



مركز دراسات الدكتوراه: "اللغات والتراث والتهينة المجالية"
تكوين الدكتوراه: "اللغات والآداب والتواصل"
محور: "الدراسات العربية"
مختبر: "التواصل وتقنيات التعبير"

أطروحة لنيل الدكتوراه في الآداب والعلوم الإنسانية

في موضوع:

كتاب "النفحة القيومية بتقرير الآجرومية" للشيخ سيدي الكبير
(دراسة وتحقيق)

الأستاذ المشرف:

الدكتور عبدالله الغواسلي المراكشي

إعداد الطالب:

إبراهيم ولد الشيخ سيدي

تاريخ المناقشة: 2021/04/08

لجنة المناقشة:

الأستاذ الدكتور عبداللطيف نجيد: رئيسا

الأستاذ الدكتور عبدالإله سيار: عضوا

الأستاذ الدكتور محمد بنلحسن: عضوا

الأستاذ الدكتور عبدالله الغواسلي المراكشي: مشرفا ومقررا

السنة الجامعية: 2020-2021

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فبادِرْ إِلَى أَصْلِ الْعُلُومِ وَرَأْسِهَا
إِذَا أَنْتَ لَا تَقْضِي مِنَ النَّحْوِ حَاجَةً
فَدُونَكَ مَا فِيهِ الضَّرُورِيُّ حَاصِلٌ
وَلَا تَخْشَ مِنْ بُعْدٍ فَقَدْ ذَهَبَ الْعَنَا
لِتَسْلَمَ مِنْ لَحْنٍ بِصَاحِبِهِ يُزْرِي
كَذَبْتَ عَلَى الْهَادِي وَأَخْطَأْتَ فِي الذِّكْرِ
وَمَا فِيهِ نَفْعُ الْقَارِئِينَ وَمَنْ يُقْرَى
مَسِيرُكَ فِي عَامٍ تُلَاقِيهِ فِي شَهْرِ

زين الدين الآثاري (ت828هـ)⁽¹⁾

1- كفاية الغلام في إعراب الكلام، زين الدين شعبان بن محمد القرشي الآثاري، تحقيق: الدكتور زهير زاهد والأستاذ هلال ناجي، مكتبة النهضة العربية، بيروت - 1987، ص 25.

الإهداء

■ إلى روح النحوي البارع الذي كان أول من شقق لي ألفاظ الآجرومية، فحبَّب إلي النحو؛ والدي: محمد ولد أحمد ولد الشيخ سيديا (باب) ولد الشيخ سيدي محمد ولد الشيخ سيديا الكبير، رحمهم الله أجمعين، ورضي عنهم، وبارك في عقبهم إلى يوم الدين.

■ إلى روح من كانت لي كلّ شيء في الحياة؛ جدتي الغالية: زينب بنت المصطفى (طّقى)، تغمدها الله بواسع مغفرته وعظيم رضوانه:

لك أهدي شهادتي ومساري ومقامي مقدّمًا في الصفوف
إنه غرسك الجميل تبدّى في سماء العلا بديع الشّفوف
■ إلى من أحاطتني بالدعاء والرضا؛ أمي فاطمة بنت هارون ولد الشيخ سيديا، أطال الله عمرها في صحة وطاعة.

■ إلى من تعلّمتُ على يديها القراءة ولمّا أدرك ما يدور حولي؛ خالتي عائشة، جزاها الله أحسن الجزاء.

■ إلى من دفعتنني إلى إكمال مسيرتي العلمية، ومهّدت أمامي سُبُل ذلك؛ أختي الحنون: أمّامة، جزاها الله عني كل خير.

■ إلى أمّ محمد؛ التي تحمّلت الكثير من أجل استقرار وتفرّغي للبحث، فكانت خير مُعين في السّراء والضّرّاء، جعل الله كلّ ذلك في ميزان حسناتها.

■ إلى أبنائي؛ أقرّ الله بهم العين، ووفّقهم لما يرضيه عنّا وعنهم.

■ إلى إخوتي؛ حفظهم الله من كلّ مكروه.

■ إلى كلّ غيور على لغة القرآن الكريم.

أهدي هذا العمل، راجيا من الله أن يجعله خالصًا لوجهه وينفع به، وأن يرحم برحمته الواسعة المؤلف والشارح، ويجزيهما عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

شكر وتقدير

الحمد لله الذي إذا أراد شيئاً هيأ له الأسباب وأزال الموانع. وبعد،

أقدم شكري الخالص إلى أستاذي الجليل **الدكتور عبد الله الغولسي المراكشي** الذي تفضل بقبول الإشراف على هذا البحث، وفتح لي بيته مع قلبه، ومنح لي وقته مع علمه، وأعطاني من شعوره الأبوي الخالص، وأستاذيته الفاضلة؛ عرفاناً منّي بما قدّمه لي من عون ونصح وتوجيهات، وتقديرًا لما تحلّى به معي من صبر وجلّد على رعاية هذا البحث حتى استوى على سؤقه بهذه الصورة التي بين أيديكم الكريمة؛ فما كان في عملي من خير فعائدٌ إليه، وما كان فيه من نقص فعائدٌ لعجزِي أن أطبّق وأنقذ كل ما أرشدني إليه.

لقد تبدّت لي في أستاذي الفاضل الكريم أخلاق العلماء وفضل النبلاء حين أبلغني تواضعاً منه - رفع الله قدره - أنه قبل الإشراف على عملي هذا ليفيد منه، إذ يرى أن في مدارس العلم ومذاكرته فائدة للعالم قبل المتعلم؛ فهو بهذا على نهج العلامة الدكتور محمود الطناحي (رحمه الله)، الذي كتب: "وما زلتُ أقول إنّنا حين نُعلّم ونُخرّج أبناءنا الطلبة إنّما نقرأ معهم العلم مرة أخرى، بل ربما استفدنا منهم مثل الذي استفادوه منا، ولأمرٍ ما كان التلميذ قديماً يسمّى "صاحباً" لشيخه: فأبو يوسف ومحمد صاحباً أبي حنيفة، والربيع بن سليمان المرادي صاحب الشافعي، وابن جني صاحب أبي علي الفارسي... وهلمّ جرّاً"⁽¹⁾.

رحم الله الدكتور الطناحي، وأطال بقاء أستاذي وجزاه عني خير ما يجزي معلّماً عن تلميذه. اللهم آمين.

1- منال الطالب في شرح طوال الغرائب، مجد الدين ابن الأثير، تحقيق: الدكتور محمود محمد الطناحي، منشورات مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي - جامعة أم القرى بمكة المكرمة، 1983، ج 1، ص 7.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، الذي أنزل القرآن بلسان عربي مبين، على نبيه محمد سيد الأولين والآخرين، ليكون نذيرا للعالمين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين.

وبعد؛ فقد خصَّ الله اللغة العربية بالحفظ والحماية والرعاية، وجعل العناية بها جزءاً من الاهتمام بالشرعية الإسلامية الغراء، لكونها وسيلة لفهمها والوقوف على أحكامها؛ فقد خاطب الله سبحانه عباده بلسان عربي مبين؛ واعظا ومُشَرِّعاً ومبصِّراً؛ فقال جلّ من قائل: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾⁽¹⁾، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنَّ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾⁽²⁾، وأمر بتدبره فقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾⁽³⁾.

والحديث النبوي الشريف - وهو المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، والمنهل البياني له في تفصيل الأحكام المجملّة التي وردت فيه، وفي تقييد المطلق منها وتخصيص العام، بل وفي تأسيس الأحكام التي لم ينصَّ عليها القرآن - حديثٌ عربي تحدّث به النبي العربي (ﷺ) ونقله عنه صحابته (رضي الله عنهم) الذين كانوا علماء لغة عربية، إما لكونها لغتهم الأم أو لكونهم بذلوا في تعلمها قصارى جهدهم؛

1- سورة الشعراء، الآيات: 193-195.

2- سورة الرعد، الآية: 37.

3- سورة ص، الآية: 29.

إدراكًا منهم استحالة فهم تعاليم الإسلام بمعزل عن إجادتها؛ فهذا الزمخشري⁽¹⁾ يقول: "الله أحمدٌ على أن جعلني من علماء العربية، وجبلي على الغضب للعرب والعصبية، وأبى لي أن أنفرد عن صميم أنصارهم وأمتاز، وأنضوي إلى لفيف الشعوبية⁽²⁾ وأنحاز (...). والذي يُقضى منه العجب حال هؤلاء [الشعوبيين] في قلة إنصافهم، وفرط جورهم واعتسافهم، وذلك أنهم لا يجدون علمًا من العلوم الإسلامية؛ فقهها وكلامها، وعلمي تفسيرها وأخبارها، إلا وافقاره إلى العربية بين لا يُدفع، ومكشوف لا يتقنع. ويرون الكلام في معظم أبواب أصول الفقه ومسائلها مبنيًا على علم الإعراب، والتفاسير مشحونة بالروايات عن سيبويه والأخفش والكسائي والفراء وغيرهم من النحويين البصريين والكوفيين، والاستظهار في مآخذ النصوص بأقوالهم، والتشبث بأهداب فسرهم وتأويلهم"⁽³⁾. وهذا السُّهيلي⁽⁴⁾ يقول: "فإذا كانت صناعة

1- جار الله أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري. ولد في زمخشّر سنة 467هـ، وتوفي في خوارزم سنة 538هـ. كان يُضرب به المثل في علم الأدب والنحو. راجع: الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط15، بيروت - 2002، ج7، ص178.

2- الشعوبية تيار فكري مُناهضٌ للعرب ومبغض لهم. راجع: ضحى الإسلام، أحمد أمين، مطبعة الاعتماد، القاهرة - 1934، ج1، ص49 وما بعدها.

3- شرح المفصل للزمخشري، أبو البقاء ابن يعيش، تقديم: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت 2001، ج1، ص41-51.

4- أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السُّهيلي: حافظ، عالم باللغة والسِّير، وُلد في مالقة، سنة 508هـ، ونسبته إلى سُهَيْل (من قرى مالقة) سُميت باسم الكوكب لأنه لا يُرى في جميع الأندلس إلا من جبل مطلّ عليها. عمي وعمره 17 سنة لكن ذلك لم يمنعه من النبوغ، فاتصل خبره بصاحب مراكش فطلبه إليها وأكرمه فأقام يصنف كتبه إلى أن توفي بها سنة 581هـ. من كتبه (الروض الأُنْف) وهو أجلُّ ما أُلف من الشروح على سيرة ابن

الإعراب مرقاة إلى علوم الكتاب، لا يُتَوَلَج فيها إلا من أبوابه، ولا يُتوصَّل إلى اقتطاف زهراتها إلا بأسبابه؛ فواجبٌ على الناشئين تحصيل أصوله، وحتم على الشادين البحث عن أسرارها وتعليلها"⁽¹⁾. ثم هذا ابن منظور⁽²⁾ يقول: "إنني لم أقصد سوى حفظ أصول هذه اللغة النبوية وضبط فضلها، إذ عليها مدار أحكام الكتاب العزيز والسنة النبوية"⁽³⁾؛ وبذا يتضح أن التشريع الإسلامي ليس إلا ثمرة للغة العربية، ومن هذه الحقيقة انطلق علماء المسلمين في مناداتهم بضرورة إتقان اللغة العربية لعدم استغناء الشرع عنها، معتبرين علوم اللغة بمنزلة الأساس، وعلوم الشرع بمنزلة البناء، وكل بناء لم يوضع على قاعدة وأساس فهو منهار؛ وبذلك اكتسبت اللغة العربية صفة الاستمرارية عبر أجيال متلاحقة، وذلك منذ نزل بها القرآن، فصارت الوعاء الذي يمتزج فيه الفكر الديني بالفكر اللغوي؛ فالأول ينظر في القرآن بحثاً عن علومه

هشام، وأشهر مؤلفات السهيلي، وبه علت شهرته. وأُنف: بوزن عُثْق، الروض الذي لم يُرْعَ. ويريد السهيلي بهذه التسمية أن يؤكد أن كتابه هذا لم يؤلّف أحد مثله من قبل. راجع: نتائج الفكر في النحو، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت - 1992، ص 20.

1- المرجع السابق، ص 26.

2- هو محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، من نسل الصحابي رُوَيْفِع بن ثابت الأنصاري، دفين بُرقة في ليبيا. وصاحبنا ابن منظور (630 هـ - 711 هـ)، أديب ومؤرّخ وعالم في الفقه الإسلامي واللغة العربية، خدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة، ثم ولي القضاء في طرابلس. من أشهر مؤلفاته معجم لسان العرب. راجع: المسالك والممالك، أبو عُبيد البكري، تحقيق: الدكتور جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت - 2003، ج 2، ص 176. ولسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر - بيروت، ج 1، ص 4.

3- لسان العرب، ج 1، ص 8.

الدينية، والثاني ينظر في جملة وألفاظه بحثاً عن شواهد النحوية واللغوية، ولجوء أحدهما إلى الآخر قديم قدم نشأة تلك العلوم.

ومن هذا يتّضح جلياً أن مسألة اللغة العربية مسألة دين وليست مسألة وطن ولا قوم ولا عرق؛ من أجل ذلك كان نشرها والدفاع عنها واجباً دينياً، ذلك أنه إذا كان تعلم أحكام الشريعة واجباً فإن تعلم العربية واجبٌ أيضاً، لأنّ ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب؛ وانطلاقاً من هذا المفهوم نجد علماءنا السابقين قد أخلصوا للغتهم وأحاطوها بالعناية والدرس والتمحيص، وبذلوا قصارى جهودهم في لِم أصولها وصيانة أحكامها، فحاضوا بحرّها تدريساً ومناظراتٍ وتأليفاً في مختلف فنونها. وقد كان للنحو الحظُّ الأوفر من مناظراتهم وتأليفهم، ولا عجب من ذلك فهو الأساس الذي تنبني عليه اللغة؛ ولذلك نجد هؤلاء العلماء يتبارزون في التأليف النحوي، فمنهم من كان يؤلف الكتب والشروح الطوال، ومنهم من كان يؤلف المختصرات المتمثلة بالمتون نثرًا أو نظمًا، وكان بعض تلك المتون يلقي من الاستحسان والإعجاب عند العلماء ما يدعوهم إلى وضعه موضع الاهتمام، فيكتبون عليه الشرح والإيضاح والتفصيل والتعليق والحواشي؛ وبذلك أضحي تراثنا النحوي مشتملاً على كل ما تصبو إليه نفس المتعلم من مستويات في التعليم، فالمبتدئ يجد فيه بُغيته، والمختص يجد فيه ضالته، إذ نجد إلى جانب "أصول" ابن السراج "الموجز"⁽¹⁾، وإلى جانب "تذكرة" أبي علي الفارسي و"تكملة" "الإيضاح"⁽²⁾، وإلى جانب "خصائص"

1- الأصول في النحو، والموجز في النحو؛ كتابان لأبي بكر محمد بن السري بن سهل النحوي، المعروف بابن السراج (ت 316هـ). راجع: الأعلام، ج 6، ص 136.

2- كتاب (تذكرة النحاة) أحد أضخم مؤلفات أبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي (ت 377 هـ)، والكتاب المذكور من المفقودات في هذا العصر، وقد ورد في بعض

ابن جني و"سر صناعة الإعراب" "اللُّمَع" و"الملوكي" في التصريف⁽¹⁾، وإلى جانب "مُفَصِّل" الزمخشري "الأنموذج"⁽²⁾؛ وهكذا فقد كان من هم كل واحد من هؤلاء الأعلام أن يصنّف كتابًا للناشئة، يشتمل على مبادئ النحو، بأيسر عبارة وأقرب سبيل. ومن المتون النحوية التي نالت الاهتمام لدى العلماء القدامى والمعاصرين "متن الآجرومية" الذي ألفه الإمام أبو عبد الله محمد بن داود الصنهاجي المعروف

المصادر أنه عشرون مجلدًا. أما كتاب (التكملة) فقد ألفه أبو علي الفارسي ردا على استصغار عضد الدولة بن بويه كتابه الآخر (الإيضاح العضدي)؛ فهما كتاب واحد له جزآن، أولهما في النحو والآخر في الصرف. راجع: معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، ياقوت الحموي الرومي، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت - 1993، ج2، ص811. والأعلام، ج2، ص179-180. والتكملة، أبو علي الفارسي، تحقيق: الدكتور حسن شاذلي فرهود، الرياض - 1981، مقدمة المحقق.

1- أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت 392هـ). أما (جني) فهو بإسكان الياء، وليس منسوبًا وإنما هو معرَّب (كني) الرومية ومعناه في العربية: فاضل؛ وتُعرَّب (جني) على الحكاية لحالها في العجمية، فلا تعامل في الإعراب معاملة المنقوص، إذ لو قيل (ابن جنّ) لضاعت صورة العلم والتبس الأمر بالجن، فمن ثم أُبقيت كما هي حفاظًا على صورتها. وكتابه (الخصائص) هو أحد أشهر الكتب التي كتبت في فقه اللغة وفلسفتها، وأسرار العربية ووقائعها، ناقش فيه بنية اللغة وفقها وأصولها، وقد فتح ابن جني بهذا الكتاب في اللغة العربية أبوابًا جديدة لدراساتها. راجع: الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، القاهرة - 1952، ج1، ص8-9.

2- سبق التعريف بالزمخشري. وكتابه "الأنموذج" كتاب مختصر في النحو، اقتضبه من كتابه الآخر "المفصّل" الذي جمع فيه ما استطاع من قواعد وضوابط، وأوجز عباراته إيجازًا شديدًا، والظاهر أنه وضعه لطبقة متقدمة من الطلاب حظيت بقدر وافٍ من الثقافة العامة حينئذ.

بابن آجروم⁽¹⁾، حيث انتشر هذا المتن بصفة مذهلة، وشاع شرقًا وغربًا باسم مؤلفه بدل عنوانه، إن كان له عنوان؛ وهو خلاصة موجزة في قواعد النحو، صغيرة الحجم، عظيمة القدر، بالغة الأثر، كادت على فرط اختصارها تحيط بما في جميع كتب النحو طولها وقصارها؛ يقول عنها العلامة الدكتور محمود الطناحي⁽²⁾: "وهذا متن الآجرومية، لا يطاوله متن آخر؛ ضبطا لقواعد اللغة، وحصرًا لمسائله، ويُسرًا في صياغته، ولا يزال موضع التلقي والقبول إلى يوم الناس هذا"⁽³⁾.

وقد كان متن الآجرومية الأساس للدراسة النحوية لدى العلماء، وانتفع به خلق لا يُحصى كثرة؛ "فقد غَبَرَ زمنٌ طويل على العالم العربي لا يتدبّر أحدٌ فيه دراسة علم النحو إلا ويجعلُ المقدمة الآجرومية أولَ ما يدرس وفاتحة ما يتلقى من هذه الدراسة، حتى لقد صار اسمها علمًا على قواعد الإعراب وعلم النحو جملة، فيقال: أخذ

- 1- ستأتي ترجمته مفصلة، إن شاء الله؛ فدراسة حياته جزء أصيل من هذه الأطروحة.
- 2- أحد علماء اللغة العربية المعاصرين، حجة في فنونها وآدابها، بصير بعلموها، متقن للقرآن وقراءاته، كثير الرواية. وُلد في محافظة المنوفية بمصر سنة (1353هـ/1935م)، نال درجة الدكتوراه من من كلية دار العلوم سنة (1398هـ/1978م). اتصل بالتراث العربي مبكرًا؛ ناسحًا ومحققًا، حتى صار من خبراءه المعدودين في العالم. عمل بعد حصوله على الدكتوراه باحثًا في مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، ثم أستاذًا بالجامعة نفسها. وبعد عودته إلى القاهرة عمل أستاذًا بجامعة القاهرة، ثم أستاذًا بجامعة حلوان، وظل على صلة بالجامعات العربية. توفي فجأة (رحمه الله) وهو في أتم صحة وعافية، وذلك في السادس من ذي الحجة 1419هـ = 23 مارس 1999م. راجع: **محمود الطناحي.. ذكرى لن تغيب**، إعداد: محمد محمود الطناحي، مطبعة المدني، القاهرة - 1999.

- 3- مقالات العلامة محمود الطناحي، دار البشائر الإسلامية - 2002، القسم الأول، ص96.

الآجرومية مثلاً أو أنقن الآجرومية، ويراد العلم لا الكتاب، وذلك من كثرة ما شاعت هذه المقدمة بين المتعلمين، ووقع التعويل عليها في تلقين قواعد اللغة العربية"⁽¹⁾.

وبقدر ما كُتِبَ لمتن الآجرومية من القبول والذیوع والانتشار، كان الاهتمام بنسخه وطبعه وشرحه والعناية به، حتى لا تكاد مكتبة خاصة أو عامة للمخطوطات أو للمطبوعات تخلو من نسخة منه. وقد نال اهتمام العلماء في كل مكان وزمان، فانكبوا عليه مفسرين لألفاظه وشارحين لمعانيه ومتممين له وناظرين له، وشرحت هذه الأنظام، ووضعت الحواشي على الجميع وأُعرِبَ، ووضع العلماء تمارين عليه؛ كل ذلك بشكل يفوق الحصر ولا يكاد يحصيه أحد. وما كان الشناقطة الموريتانيون ليغيبوا عن مشهد الاحتفاء بهذه المقدمة النافعة، وهم الذين يَعِدُّون تعلم اللغة مطلوبًا شرعًا؛ وفي ذلك يقول علامتهم الصوفي الزاهد محمد بن فال⁽²⁾ ولد مُتَّالِي⁽³⁾:

- 1- ذكريات مشاهير رجال المغرب، عبد الله كنون، تقديم: الدكتور محمد بن عزوز، دار ابن حزم، بيروت - 2010، ج 1، ص 425.
- 2- ينطق اسمه بـ ذال مكسورة منوثة، وهو تصحيف شائع لاسم (محمد) دعا إليه حرصُ الشناقطة على تسمية أبنائهم بهذا الاسم؛ فلجئوا إلى تقليبه على كل وجه ليتسنى للرجل منهم أن يسمى به أكبر عدد من أبنائه دون أن يقع الخلط بينهم، إذ والحالة هذه سينطق اسم كل واحد منهم بطريقة مغايرة لاسم الآخر، فهناك (محمّدن) و(محمّدو) و(محمّدن) و(محمّدن) ... وقُل الشيء ذاته عن اسم أحمد. وسيكرر هذا النمط من التصحيف في أسماء الأعلام الشناقطة، فلا نقف عنده بعد هذه الإشارة.
- 3- هو العلامة الشيخ لمرباط محمذن فال ولد المختار (متالي) التندغي. ولد سنة (1205هـ/1790م)، علامة جليل أذعن له علماء عصره وتضلع كثير منهم من علمه، وقد بلغ اهتمامه بالعلوم اللغوية والبيانية حدَّ إصداره لفتواه الشهيرة التي تُفضّل تعلم اللغة على العبادة، توفي سنة (1287هـ/1870م) وترك آثارا علمية كثيرة. راجع: الوسيط في تراجم

تَعْلُمُ اللُّغَةَ شَرْعًا فَضِّلَ عَلَى التَّحْلِي لِعِبَادَةِ الْعَلِي
يُؤْخَذُ ذَا مِنْ قَوْلِهِ: وَعَلَّمَا آدَمَ الْأَسْمَاءَ. الزَّمِ التَّعْلَمَا

وهذا شاعرهم الفدُّ أحمدُو ولد عبد الله "الذيب الصغير"⁽¹⁾ يفخر بامتلاكهم ناصية اللغة العربية؛ فيقول:

أدباء شنقيط، أحمد بن الأمين الشنقيطي، مطبعة المدني، القاهرة - 1989، ص 343.
وبلاد شنقيط.. المنارة والرباط، الخليل النحوي، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس - 1987، ص 530.

1- لقب "الذيب" أطلق على ثلاثة شعراء بارزين من الحسنيين الشناقطة، ينتمون إلى الأسرة ذاتها على تفاوت في التاريخ؛ أولهم من القرن الحادي عشر وأوائل الثاني عشر الهجري، وهو محمد بن ولد الأمين ولد بوالمختار، وقد لقب بلقب (الذيب) لبنتين نظمهما وهو ما يزال صغيرا، والأرجح أن وفاته كانت سنة 1129هـ عن عمر مديد قارب المائة. أما الذيب الثاني أو الأوسط فهو المختار ولد المحمود ولد محمد بن ولد بوالمختار، ابن عم الأول، وهو من القرن الثاني عشر، وكانت له مشاعرات عديدة أشهرها مشاعره مع بوفمين المجلسي، وكانت وفاته سنة 1198هـ. أما صاحب الأبيات المذكورة فهو الذيب الصغير (الثالث) أحمد ولد عبد الله ولد المختار ولد المحمود ولد محمد بن ولد بوالمختار، وُلد في منطقة العُقْل سنة 1281هـ، وقد عرف بقوة الشكيمة في الشعر وغنائيه المتدفقة، كما عرف عنه التقشف، والتعرض لكل من لم يحترمه؛ ولذا كان مرهوب الجانب، له مساجلة ذائعة مع مَمُو ولد عبد الحميد الجكني. وقد توفي سنة 1343هـ، وترك ديوان شعر غير مجموع، ضاع كثير منه وحقق جزءًا مما بقي الباحث محمد عيسى ولد المختار، تحت عنوان: «الجزء الأول من ديوان الشاعر أحمدُو بن عبد الله الملقب بالذيب الحسني» - في المدرسة العليا للأساتذة والمفتشين - نواكشوط 1987. وقد استقيتُ جُلَّ المعلومات المتعلقة بهؤلاء الشعراء الثلاثة مما كتبه رئيس اتحاد الأدباء والكتاب الموريتانيين، الدكتور محمد ولد احظانا، ردا على طلبي تفصيلا حول الموضوع، إذ هو أدري به؛ لا لمكانته العلمية فحسب بل لقربه أيضا من مصادر ترجمة من حملوا هذا اللقب، بحكم اشتراكه معهم الانتساب إلى القبيلة ذاتها.

لَنَا الْعَرَبِيَّةُ الْفُصْحَى وَإِنَّا
فَمُرْضَعُنَا الصَّغِيرُ بِهَا يُنَاغَى
أَعْمُ الْعَالَمِينَ بِهَا انْتِفَاعًا
وَمُرْضِعُهُ تُكَوِّرُهَا قِنَاعًا

ويرفض هؤلاء القوم - وهو أمر ذو دلالة - أن يكون الفقه مُغْنِيًا عن علوم اللغة، أو مستقلًا دونها؛ ولذا يقول شاعرهم الطائع الحسني⁽¹⁾:

يَا طَلَبَ الْفِقْهِ وَالْأَمْوَالِ فِي تَعَبٍ
فَالْمُسْتَقِلُّ بِعِلْمِ الْفِقْهِ مُفْتَضِحٌ
لَا تَسْتَقِلُّوا بِعِلْمِ الْفِقْهِ وَالنَّشَبِ
بَيْنَ الْمَحَافِلِ عِنْدَ الْغَوْصِ فِي الْكُتُبِ
رُدُّوا إِلَيْكُمْ جِمَاحَ اللُّسَنِ إِنْ نَطَقَتْ
بِالنَّحْوِ كَيْ تَرَأُّبُوا مَثَأَى لُعَى الْعَرَبِ
فَالنَّحْوُ تَثْقِيفُ نُطْقِ اللُّسَنِ إِنْ نَطَقَتْ
وَالشَّعْرُ خَرِيْتُ مَعْنَى شَارِدِ غَرَبٍ⁽²⁾

وكون الاهتمام بالدرس اللغوي في بلاد شنقيط نابعا من الاهتمام بالدرس الديني الذي هو رُبْع عَزَّة وبيت القصيد، جعل عددا من العلماء الشناقطة يضعون شروحا على المتون اللغوية، كالمقدمة الآجرومية التي حظي بعض شروحهم لها بقيمة كبيرة، وأضحى مقررا دراسيا في المحاضر⁽³⁾ يدرسه الطلبة ضمن دراستهم النحوية، ومن أمثلة ذلك كتاب النفحة القيومية بتقرير الآجرومية، للشيخ سيدنا الكبير الذي نحن بصدد دراسته وتحقيقه؛ لنسلط عبره بعض الضوء على هذه المقدمة النحوية النافعة، وعلى

1- شاعر ضائع الشعر. راجع: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص342.

2- راجع: الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر الهجري.. مساهمة في وصف الأساليب، الدكتور أحمد ولد الحسن، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية - ليبيا، ط 1، 1995، ص116. ونكتفي من اسم هذا المرجع لاحقا بعبارة (الشعر الشنقيطي).

3- المحاضر نمط تعليمي تميز به المجتمع الموريتاني، وسيأتي الحديث عنه بشكل مفصل، إن شاء الله.

مؤلفها، إضافة إلى إبراز شكل آخر من أشكال شروحاتها المتعددة تميز عن غيره، ذلك أن هذا الشرح ممتزج بنص المقدمة الآجرومية، فواضعه لا ينقل فقرًا من كلام ابن آجروم ويشرحها، بل يمزج الكلامين ويتمم الناقص من الضوابط والمسائل مما أهمله ابن آجروم؛ وبامتزاج المتن والشرح هذا الامتزاج التام أصبحنا أمام متن نحوي جديد جمع المحاسن من أطرافها، ففيه اختصار ابن آجروم غير المخل، وتوسّع الشيخ سيديا غير الممل.

والحديث عن كتاب النفحة القيومية يستدعي التطرق إلى سيرة مؤلفه الشيخ سيديا الكبير، الذي عاش مشهورا وترك إرثا علميا أكسبه المكانة السامقة التي أجملها مُريدُه المبدع الشيخ محمذن ولد السالم⁽¹⁾، في بيتيه اللذين طبقت شهرتهما آفاق القطر الشنقيطي، وضمتّهما قصيدته الطويلة التي مدحه بها⁽²⁾، وهما:

حَوْتُ مَا دُونَ مَرْتَبَةِ التَّنْبِيِّ يَدَاكَ مِنَ الْمَكَارِمِ وَالْمَعَالِي
فَأَنْتَ - إِذَنْ - مِنَ الثَّقَلَيْنِ طُرًّا بِمَنْزِلَةِ الْيَمِينِ مِنَ الشِّمَالِ

1- محمذن ولد السالم ولد ميلود ولد اعدّيجّه المجلّسي نسبًا، الحسني وطنًا في أولاد بانعمر من إيدابالحسن. شاعر مفلّق، أخذ الطريقة الصوفية القادرية عن الشيخ سيديا الكبير، ومدحه ورثاه بقصائد متعددة. نأى بالشعر عن مسالك التكسب، تميز بعفة اللسان، وعذرية الغزل والتشبيب، له منزع تصوفي رقيق، عكّس شعره رفعة في النفس وسموًا إنسانيًا يكاد لا يجارى فيه، توفي سنة (1312هـ) وعمره 96 سنة. له ديوان شعري حققه الأستاذ محمد ولد عبد الباقي ولد سيد الفال، بعنوان "إرساء المعالم لشرح ديوان ابن السالم"، تضمن ترجمة للشاعر واشتمل على 111 قطعة شعرية عالجت الأغراض الشعرية المختلفة فجاءت دليلًا على نضج التجربة الشعرية في بلاد شنقيط. راجع: الشعر الشنقيطي، ص 134.

2- راجع: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، مرجع سابق، ص 300.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره

اهتم علماء كل فنّ وعلم باللغة، يقدمونها أمام كل بحث، ويُعَنَوْنَ بها قبل كلّ كلام؛ ولا عجب في هذا، فاللغة هي المدخل الحقيقي لمعرفة علومنا كلّها وتاريخنا كلّها، والاستهانة بها والتفريط في قواعدها ورسومها إنما هي استهانة وتفريط بمعارفنا وعلومنا كلّها؛ ذلك أن "تراثنا لم يأخذ مكانه بين تراث الإنسانية إلا بما صنفه الأوائل، مضافا إليه تلك الشروح والمختصرات والذيل والصّلات والحواشي والتقارير"⁽¹⁾.

وقد نهجت دراسة الظواهر النحوية والصرفية منهجين متكاملين؛ يتمثل أحدهما في دراسة الظاهرة وفق الأسس التي قدّمها النحويون في كتبهم مع الاتصال بالدرس النحوي والصرفي في صورته الحديثة، وهذا المنهج قائم على إشباع القديم بحثا واتخاذ الدرس الحديث آلة من آلات فهم القديم ودراسته، أما المنهج الآخر فيتمثل في تحقيق المخطوطات العربية ودراستها وإخراجها إلى النور لكونها المادة الأساس لأصحاب المنهج المذكور قبلا. وقد رأيت أن أجمع بين المنهجين، فأثرت أن أتناول في تجربتي البحثية الثانية تحقيق إحدى المخطوطات ودراستها، وذلك بعد أن تناولتُ المنهج الأول في رسالتي التي نلت بها درجة الماجستير وكان موضوعها **الجهود النحوية والصرفية للشيخ سيدي الكبير**؛ وبذا أشارك أيضا في الجهود المبذولة لتحقيق المخطوطات العربية ونشرها، إذ من المعلوم أن حضارتنا الإسلامية متمثلة في هذا التراث العلمي الضخم الذي خلفه علماء الأمة في العصور المتقدمة - جديرة

1- الموجز في مراجع التراجم والبلدان والمصنفات وتعريفات العلوم، الدكتور محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة - 1985، ص 35.

بالتقدير والاحترام، فنحن أحوُج ما نكون في حاضرننا ومستقبلنا إلى إرساء قواعد نهضتنا على أسس تحفظ لهذا التراث شموخه وعطاءه عبر القرون الطويلة، والأجيال الحاضرة يُلقَى عليها عبء حفظ هذا التراث، ونقله إلى الأجيال القادمة في صورة ميسورة سهلة، وهذا جُهدٌ يجب أن يبذل ليخرج ما كان منسيا في أروقة المكتبات مجلّواً محققاً، ولن يتأتى ذلك إلا بتكاتف الجهود إذ ما يزال الجزء الأكبر من هذا التراث متفرقا في خزائن المكتبات في الشرق والغرب ينتظر دوره لرؤية النور.

ويظهر من العنوان الذي اختاره الشيخ سيديا الكبير (رحمه الله) لكتابه هذا أنه أرادَه شرحاً يشمل كلّ جوانب المقدمة الآجرومية؛ لغةً وشواهدَ واصطلاحات وتأويلات وتصحيحات واحتمالات، فلعلّه أرادَه جزءاً من عمل متكامل في قواعد اللغة العربية؛ إذ نجد له مؤلفاً في التصريف شرح به لامية الأفعال⁽¹⁾ شرحاً نفيساً استدرك فيه

1- تعدّ منظومة لامية الأفعال من أهم المنظومات في علم الصرف، وقد كَمَّل بها ابن مالك مواضيع ألفيته، حيث خصصها لمباحث الصرف، مركزاً على صرف الأفعال ومهملاً بعض مباحث تصريف الأسماء. وللشناقطة عناية خاصة بهذه المنظومة، ولهم عليها العديد من الشروح والطرر والزيادات.

ما فات ناظمها الأصلي ابن مالك⁽¹⁾، وما فات بحرقاً⁽²⁾ في كتابه (فتح الأقفال) الذي استدرك فيه كذلك على ابن مالك. وقد وسّم⁽³⁾ الشيخ سيديا الكبير شرحه لامية الأفعال بـ(تحفة الأطفال بحل عقّد لامية الأفعال)، وفي هذا العنوان ما فيه من دلالة واضحة على المستوى العالي الذي وصل إليه الشناقطة من إتقان علوم اللغة العربية حتى أضحى

1- يعدُّ ابن مالك (600-672هـ) أحد أبرز أعلام النحاة، فقد لاقت مؤلفاته عناية خاصة منذ أيامه، فتلقّاها المتعلمون والمعلمون على السواء، وذاع بعضها ذيوغاً واسعاً استمر إلى هذه الأيام. وكان للنظم نصيب وافر من مؤلفاته، فبرز من منظوماته أرجوزته الكبرى التي نظم فيها قواعد النحو والصرف وسمّاها (الكافية الشافية) وبلغت عدّة أبياتها نحو ثلاثة آلاف، ثم اختصرها في أرجوزته الصغرى التي عرفت بـ(الخلاصة) لأنها تلخيص للكافية الشافية، واشتهرت أيضاً بـ(الألفية) لأن عدّة أبياتها قرابة الألف. ولم تلق منظومة نحوية ما لقيته ألفية ابن مالك من حرصٍ على حفظها ودّرسها وشرحها عبر العصور، فحجبت الأنظار عن الأصل الذي لخصّت منه (الكافية الشافية) وعن منظومات ابن مالك الأخرى التي لخصّ فيها كثيراً من مسائل اللغة والنحو والقراءات. بل يمكن القول إنها حجبت الأنظار عن المنظومات النحوية الأخرى كالفيتي ابن معطٍ (ت 628هـ) والسيوطي (ت 911هـ) وغير ذلك. راجع: ابن مالك الطائي ناظم علوم العربية، مجلة التراث العربي - مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب - دمشق، العدد 98 - السنة الخامسة والعشرون - حزيران 2005 - جمادى الأولى 1426.

2- محمد بن عمر بن مبارك الحميريّ الحضرميّ، الشهير ببقرق (869 - 930 هـ) فقيه أديب باحث متصوف، نعته الزبيدي بعلامة اليمن. وُلد بحضرموت وأخذ عن علمائها وعلماء زبيد ومكة والمدينة. نبغ وولي القضاء بالشحر، ثم استقال ورحل إلى الهند، فأكرمه السلطان مظفر، وأقام إلى أن مات في أحمد آباد. راجع: الأعلام، ج 6، ص 315-316.

3- اخترت هنا لفظ (الوسم) اقتداءً بالمجد الفيروزآبادي في خطبة القاموس. راجع: تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، 1965، ج 1، ص 68.

أطفالهم يُتحفون بهذا الكتاب النفيس الذي يستعصي مضمونه على جُلّ أكابر عصرنا فضلاً عن أصاغره، ودعك من موضوع الكتاب نفسه فهو علم التصريف الذي قيل - في معرض مقارنته بصنوه النحو - إنه "أشرف شطري العربية وأغمضها، فالذي يُبين شرفه احتياج جميع المشتغلين باللغة العربية من نحوي ولغوي إليه أيما حاجة؛ لأنه ميزان العربية، ألا ترى أنه قد يؤخذ جزء كبير من اللغة بالقياس، ولا يوصل إلى ذلك إلا من طريق التصريف ... وقد كان ينبغي أن يقدم علم التصريف على غيره من علوم العربية؛ إذ هو معرفة ذوات الكلم في أنفسها من غير تركيب، ومعرفة الشيء في نفسه قبل أن يتركب ينبغي أن تكون مقدّمة على معرفة أحواله التي تكون له بعد التركيب، إلا أنه أُخّر للطفه ودقته، فجعل ما قدّم عليه من ذكر العوامل توطئة له، حتى لا يصل إليه الطالب إلا وهو قد تدرب وارتاض للقياس"⁽¹⁾.

وكتاب (تحفة الأطفال) هذا هو الأساس الذي اعتمد عليه العلامة الحسن ولد زين⁽²⁾ في نظمه وحواشيه على لامية الأفعال⁽³⁾؛ حيث يقول:

فِيهِ افْتَفَيْتُ أَبَا الْأَنْوَارِ، سَيِّدَنَا: سَيِّدِي، قُطْبُ الرَّحَا، بَذَرِ الدُّجَا، الْمَثَلَا

1- الممتع في التصريف، ابن عصفور الإشبيلي، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار المعرفة، بيروت - 1987، ج 1، ص 27-31.

2- الحسن ولد زين ولد سيدي سليمان القناني، عالم نحوي لغوي، شيخ محطرة امتد عطاؤها أربعين سنة، ولد سنة 1225هـ/1810م. له احمرار على لامية الأفعال لابن مالك. وعنه أخذ العلامة يحظيه ولد عبد الودود. توفي الحسن سنة 1315هـ/1898م. راجع: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص 377. وبلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص 511.

3- صدر النظم والحواشي ضمن كتاب: الطرة.. توشيح لامية الأفعال لابن مالك، الحسن ولد زين الشنقيطي، تحقيق: عبد الحميد بن محمد الأنصاري، دار الكتب العلمية، بيروت - 2008.

وقد قام الشيخ سيدنا الكبير في مؤلفيه المذكورين بعمل نفيس وجهد مذكور، فقرب النحو والصرف ووضحهما حتى انجلت غوامضهما وانحلت إشكالاتهما، ويعود ذلك إلى سببين: أولهما استيعابه قواعد النحو والصرف العربيين استيعاباً تاماً، وإحاطته بكل الآراء المتعلقة ببنية الكلمة العربية، حتى إن الناظر في تحليله المتعلق بالمعنى يرى أنه قد سبق "البنويين" في التوصل إلى الأسس التي بنوا عليها نظرياتهم البنيوية الحديثة⁽¹⁾. وثانيهما قدرته على تبسيط هذه القواعد مهما بلغت من التعقيد أو التجريد، وإيصالها بشكل واضح ومنظم. وهناك جانب آخر يتجاوز مستوى فهم القاعدة وإيصالها بسهولة، ألا وهو إدراكه العميق للأسس والمبادئ الأصولية التي قام عليها النحو العربي، فقد كان تمكُّنه من تلك الأسس والمبادئ عاملاً رئيساً في "تحرّكه بحريّة" دون أن يلزم نفسه في بعض المسائل مثلاً برأي سابقه، كما كان يجتهد عند تعارض آرائهم في مسألة ما، أو تباين مواقف البصريين والكوفيين حول

1- اشتقّ لفظ البنيوية من البنية، أي أن لكل ظاهرة إنسانية أو أدبية بنية لا بدّ لدراستها من تحليلها إلى عناصرها الرئيسة مع استبعاد العوامل الخارجية التي تحيط بها. والمدرسة البنيويّة المتخصّصة بالأدب واللغة تتبنى التفكير الذي ينظر في التصميم الداخلي للأعمال الأدبية، حيث تأخذ النظرية البنيوية بمفهوم سيطرة النظام اللغويّ على العناصر التي يتكون منها، والنظر إلى اللغة على أنها نظام مستقلّ عن صانعه أو الظروف الخارجية التي قد تؤثر فيه، ويؤمن أتباع المذهب البنيوي بمفهوم التزامنية أي أن دراسة لغة محددة في لحظة معينة لا يتطلب النظر إلى المراحل التاريخية التي مرّت بها. راجع: البنيوية، جان بياجه، ترجمة: عارف منيمه وبشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت - 1985. والبنيوية بين العلم والفلسفة، عبد الوهاب جعفر، دار المعارف، مصر - 1989. والنظرية البنائية في النقد الأدبي، صلاح فضل، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1980.

خلاف نحوي معين، نلاحظ ذلك مثلاً في تحليله المفيد لكلمة (أشياء) وبنيتها الصرفية، فقد رجّح في نهايته رأي الخليل وسيبويه داعماً ترجيحه بالأدلة⁽¹⁾.

ولمّا كان كتاب (النفحة القيومية بتقرير الآجرومية) قد ألقى الله عليه القبول لدى أهل البلد (شنقيط = موريتانيا) فاعتمدوه عن جدارة ضمن مقررات تدريس النحو في محاضرتهم، وأولوه بالغ عنايتهم، ولمّا كان المأثور البشري إنما هو ذخراً وتراثاً مشاعاً، وأمانةً تجب صيانتها والمحافظة عليها من الضياع، ولمّا كان هذا التراث ترتفع أو تتدنى درجة خصبه وثرائه بحسب ثراء وخصب المصنوع والمحفوظ من وحداته وأجزائه، وكان حاضر الإنسان وآتيه يعتمد على المحفوظ من أمسه وماضيه،

1- أثار وزن كلمة (أشياء) خلافاً بين علماء العربية؛ إذ يراه الخليل وسيبويه (لُفْعَاءً) معتبرين أصله (شيئاء) كحمرء، فاستثقل اجتماع همزتين وألف فقدمت اللام على الفاء فصار (لفعاء)، وعليه فالكلمة (أشياء) اسم جمع لا جمع حقيقي. أما الأخفش والفراء فيريان أن وزن (أشياء) إما (أُفْعَاءً) أو (أَفْلَاءً) لأن أصلها عندهما (أُشْيَاءُ) كأنباء فحذفت لامه أو عينه بعد إبدال لامه ياءً تخفيفاً فصار (أَفْعَاءُ) أو (أَفْلَاءُ)، وعليه فهو جمع حقيقي؛ شاذ عند الأخفش لكون مفردة بوزن (شيخ)، قياسي عند الفراء لكونه عنده بوزن (هين). بينما رأى الكسائي أن وزن (أشياء) (أَفْعَالٌ) كأشياخ، فهو عنده جمع حقيقي قياسي. وقد ذهب الشيخ سيدي الكبير، في كتابه (تحفة الأطفال بحل عقد لامية الأفعال) إلى أن قول الخليل وسيبويه هو الأصح لما يلزم على قول الأخفش والفراء من كون (أشياء) يصغّر على (شَيْئَاتٍ) كفليسات لا على (أُشْيَاءُ) كحميراء؛ لأن الجمع الحقيقي غير صيغة (أفعال) إذا صُغِّرَ رُذِّ إلى مفردة وُجِّعَ صحيحاً، ومن كون (أفعلاء) كأنباء يُجمع على (فَعَالِي) بفتح اللام كصحارى لقولهم في جمع (أشياء) أَشْيَا وَأَشَاوَى بوزن هدايا وهراوى كما يُجمع على (أَشْيَاوَاتٍ) كصحراوات، واللازم باطل فالملزوم مثله. ولما يلزم على قول الكسائي من التزام منع صرفه بغير علة، ودعوى أنه لكثرة الاستعمال تردّ بلزوم مثل ذلك في (أنباء) و(أسماء). راجع: تحفة الأطفال بحلِّ عُقْد لامية الأفعال، الشيخ سيدي الكبير، مرقون، بحوزتنا.

فقد دفعني إلى تحقيق هذا الكتاب ما رأيتُ من ضياع الكثير من الذخائر العلمية والنفائس الأدبية لوطني عامة ولمنطقتي خاصة، حتى خَلْتُ مدوّنات أدبية ذات مصداقية عالية من أيّ إشارة إلى أسماءٍ وإبداعاتٍ هي من ألمع وأشهر ما لمع لدينا واشتهر في ميدان اللغة العربية، وقد لا يرجع ذلك إلى الإهمال عن قصد والتجاهل عن عمد، بقدر ما هو راجع إلى بُعد هذا المأثور عن أيدي الباحثين، وعدم معرفتهم به، أو بموقع وجوده ومظنته، فلذلك كانت المسؤولية تقع على العارفين به، والأقربين إليه، والقادرين عليه، ومن هذا المفهوم وهذا المنطلق، أنجزتُ هذا العمل الضيق في بعده الجغرافي وإطاره البشري، وعُذري وشافعي في ذلك أنني إنما أردته إضافةً شذرةً ومسدّدًا ثغرةً؛ إذ إنّ النسخ المخطوطة من هذا الكتاب القيم لا تتيح للقارئ والمحقق بغيتها منه، فقد كثرت في تلك المخطوطات الأسقاط وعظمت، كما أن الطريقة التي كُتبت بها لم تعد مألوفة لدى أبناء هذا العصر، فكانت الحاجة ماسّةً إلى مقارنة جيدة لها، حتى يخرج النص على ما أراده مؤلفه، لذا تصديتُ لتحقيقه ليعمّ به النفع، وتسهل منه الاستفادة، رغم اعترافي بالقصور عن بلوغ الشأو المراد منه؛ إذ التحقيق أمر جليل يحتاج من الجهد والعناية أكثر مما يحتاج إليه التأليف؛ فهذا زعيم البيان العربي الجاحظ يقول معبراً عن مشقة تصحيح الكتب: "ولربما أراد مؤلف الكتاب أن يُصلح تصحيحاً أو كلمة ساقطة، فيكون إنشاءً عشر ورقات من حُرّ اللفظ وشريف المعاني، أيسرَ عليه من إتمام ذلك النقص حتى يردّه إلى موضعه من اتصال الكلام"⁽¹⁾.

1- كتاب الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة - 1965، ج 1، ص 79.

وهذا فيلسوف الأدباء أبو حيّان التوحّيدي يرى أن إنشاء الكلام الجديد أيسر من ترقية القديم، ويُفرد لذلك المقابسة الثانية عشرة من مقابساته⁽¹⁾.

وتكمن أهمية عملي هذا في أنه يسعى إلى إمطة اللثام عن كنز من كنوز تراث أمتنا العربي الإسلامي، وأنه يضيف سفرًا متميزًا إلى أسفار المكتبة النحوية، وذلك عبر دراسة وافية لمتن الآجرومية وشرحها هذا الذي بين أيدينا، وما يستدعيه ذلك من ترجمة مفصلة للمؤلف والشارح معًا، ودراسة للظرفين المكاني والزمني اللذين عاش فيهما كل واحد منهما؛ ليستبين بذلك منهجهما الذي لا يفصل بين ما هو عربي وما هو إسلامي، بل يراهما وجهين لعملة واحدة.

وما كتاب **النفحة القيومية** - الذي بين أيدينا، نتناوله دراسة وتحقيقًا - إلا واحدٌ من الشروح العديدة التي وُضعت على المقدمة الآجرومية، ولكنه مختص بانصرافه إلى تفصيل الأحكام التي أطلقها ابن آجروم الذي يكفيه فخرا أنه قد أوجد هذا النمط التعليمي المتكامل في النحو العربي، أما **الشيخ سيديا الكبير** فقد أبدع في طريقة شرحه فسلك فيه منهجا خاصا مبتكرًا أثبت من خلاله أنه على مستوى لا يقلّ عن مستوى ابن آجروم وغيره من أئمة النحو العربي، وبذلك كان شرحه ذا منزلة مزدوجة؛ فهو ذو قيمة في نفسه أولا، وذو قيمة ثانية يستمدّها من كتاب ابن آجروم الذي يتابع أحكامه ويفصلّها. وهكذا يتضح جليا أن أسلافنا العلماء قد أبلّوا بلاءً حسنا في خدمة اللغة العربية والاهتمام بها، على الرغم من شحّ الإمكانيات التي كانت متاحة

1- **المقابسات**، أبو حيان التوحّيدي، تحقيق: حسن السندوبي، دار سعاد الصباح، الكويت - 1992، ص153.

لهم حينها، لكنها العزيمة وعلوّ الهمة اللذان تحلى بهما أولئك الأفاضل المتفانون في حبّ هذه اللغة.

ويمكن إجمال أسباب اختياري لهذا الموضوع في الآتي:

1- أن هذا الشرح لا تخفى أهميته على أهل العلم؛ فلعلّ تحقيقه يدفع الباحثين

إلى الالتفات إلى تحقيق بقية شروح هذا المتن المتفرقة في بقاع العالم، وفي

ذلك كثير من الفوائد المرجوة للدراسة اللغوية والنحوية والصرفية.

2- أن أغلب الباحثين المعاصرين ربما لم يعرفوا الشيخ سيدي الكبير نحويا، بسبب

طغيان شهرته الصوفية ومكانته الاجتماعية على غيرهما؛ فلعلّ تحقيق كتابه

هذا ونشره يكشف لهم أنه لا يقلّ تمكنا في النحو والصرف عن تمكنه في

غيرهما من المعارف التي اشتهر ببراعته فيها، وبذلك تُبرز شخصيته ذات

الأبعاد الثقافية المتنوعة، ونبين ملامحها بدقة.

3- أنني وجدت في هذا الشرح أسلوبا يميزه عن باقي الشروح؛ فقد حوى مادة

نحوية غزيرة لمن يريد ترسيخ قدمه في الدراسة النحوية، فهو جامع بين إيضاح

متن الآجرومية وإضافة معلومات نحوية أخرى لم يتطرق إليها ابن آجروم.

4- أن من الواجب علينا في مقابلة الفضل الذي قدّمه لنا علماؤنا السابقون أن

نحيي ما كتبوا وألفوا، وأن نظهره للناس كي ينتفعوا به.

5- تسليط الضوء على بعض علماء المغرب الكبير الذين كانت لهم إسهامات

معتبرة في خدمة اللغة العربية، وإمالة اللثام عن جهودهم وآثارهم العلمية من

خلال تحقيقها ونشرها خوفا عليها من عوادي الزمن.

الدراسات السابقة

سبقني إلى محاولة تحقيق كتاب النفحة القيومية بتقرير الآجرومية، أخي الأكبر الأستاذ/ عبدالله ولد يوسف ولد محمد ولد الشيخ سيديا، غير أن جهده نسفته الأخطاء والتحريفات التي لم تأت من قبله، وإنما جاءت من مأمنه، ومن مأمنه يُؤتى الحذر؛ فقد أُوكل أمر التنضيد والإخراج إلى من يظهر أنه لم يكن من أهل اللغة، فجاء العمل مليئاً بالأخطاء على نحو يصدّم الألباب ويجافي الصواب. والحقيقة أن الأغلاط والأخطاء تصعب السلامة منها، لكن حين تتجاوز الحد وتطول الجوهر وتخل بالمبنى وتفسد المعنى في غير موضع واحد، بل يتكرر ذلك ويستمر بحيث لا تكاد تسلم منه الصفحة أو الصفحتان .. فإن الخطب يصعب ويكون الضرر أقرب من النفع. ومعاذ الله أن يكون هذا تقليلاً من أهمية مبادرة أخي ونبيل مقاصدها وعظم الجهد فيها، بل ربما كان من فائدها ما أثارته من عناية بهذا الكتاب واستفزاز الغيورين عليه من أجل نشر أصله الصحيح.

ويبقى أخي الأستاذ/ عبدالله ولد يوسف (رحمه الله) مستحقاً الشكر والثناء والقدر:

وهو بسبق حائز تفضيلاً	مستوجب ثنائٍ الجميلاً
والله يقضي بهبات وافرة	لي وله في درجات الآخرة ⁽¹⁾

1- بيتان من مقدمة الألفية النحوية الأشهر، يثنى فيهما صاحبها ابن مالك على ابن مُعطٍ الذي سبقه إلى وضع ألفية نحوية.

وقد وقفتُ مؤخراً على أن هنالك تحقيقاً لكتاب (النفحة القيومية) أنجزه الباحث الأستاذ محمد الأمين ولد العلوي⁽¹⁾، غير أنني لم أتمكن من الاطلاع عليه، بعد أن استوفيتُ في سبيل ذلك غاية الجهد المُتاح لمن يعيش خارج وطنه.

الصعوبات التي اعترضت إنجاز البحث

اعترضتني في سبيل إنجاز هذا البحث صعوبات جمة محسوسة من نبضه، تضافرت مجتمعة على المنع من تقديمه في الظرف الأنسب وبالطريقة الأكمل، وكان في مقدمتها الظروف الشخصية المتمثلة في قلة الزاد المعرفي، والانشغال بالعمل الوظيفي.

أما العوائق الموضوعية فقد تمثلت في ما تتطلبه طبيعة البحث من الاطلاع على أكبر قدر ممكن من المراجع ذات الصلة بقسم الدراسة تحديداً، وهي المراجع التي ما تزال مخطوطة، أو مرقونة من دون عناية بالإخراج والتنقيح، مع صعوبة الوصول إليها في جميع الحالات.

وقد تركتُ لديّ إقامتي خارج موريتانيا حرجاً داخلياً، نتيجة لإحساسي بعدم سبر أغوار الدراسة واستقصاء شواردها وانتشال غوارقها؛ وذلك لبُعدي عن مظانّ مادتها المتفرقة في الأرياف والقرى والمدن الموريتانية في صدور أشخاص أو حوزة مكتبات خاصة أو عامة.. وحسبي أنني حاولت، وقد قيل: العجز عن دَرَكَ الإدراك إدراك⁽²⁾.

1- ورد ذكر هذا التحقيق في: تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، د. محمد المختار ولد اباه، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت - 2008، ص 484.

2- صدر بيت من بحر البسيط، ينسب إلى أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، وعجز البيت: "وَالْبَحْثُ عَنْ ذَاتِهِ كُفْرٌ وَإِشْرَاكٌ".

منهج الدراسة

زاجتُ في هذا العمل بين مناهج متعددة تقتضيها طبيعته الجامعة بين الدراسة والتحقيق؛ فقد اعتمدتُ في قسم التحقيق المنهج الوصفي الذي يُعنى بوصف الظاهرة النحوية بما تتضمنه من إشارات نحوية، ويرصد مظاهر إيرادها. وقد قصدت من ذلك إبراز مكانة المصنّف في مجال الدراسات النحوية، وموقفه من المذاهب النحوية ومسائل الخلاف النحوي.

أما في قسم الدراسة فقد اعتمدتُ في أغلب الأحيان المنهج الذي يردُّ الظاهرة إلى أصولها ومصادرها الرئيسة، وذلك عند توثيق بعض المسائل ومناقشة بعض الآراء. وبمناسبة التوثيق فقد ذكرتُ طبعة الكتاب وبقية بياناته عند أول وروده، واكتفيت لاحقاً بذكر المرجع والصفحة فقط.

كما اعتمدت المنهج التاريخي في أجزاء عديدة من قسم الدراسة، خصوصاً منها تلك الأجزاء المتعلقة بتاريخ تدوين اللغة ونشأة علم النحو، وبحياة المؤلف وآثاره. وكان الاستقراء حاضراً في التثبت من صحة نسبة الكتاب لمؤلفه، ونسبة الآراء إلى من نسبتهما إليهم المراجع وفهارس الكتب والمخطوطات.

عملي في الأشرطة

بذلتُ في سبيل تحقيق النصين (المتن والشرح) ودراستهما جهوداً كبيرة، منها:

1- تمهيدٌ ضافٍ شمل تاريخ تدوين اللغة ونشأة علم النحو، إضافة إلى الروايات المتعلقة بالواضع الأول للنحو، وأوائل النحاة. وحديثٌ مفصّل عن المذهبيين البصري والكوفي، وأعلامهما، وأوجه الخلاف النحوي بينهما.

- 2- التعريف بالآجرومية، وشرحها المسمى (النفحة القيومية بتقرير الآجرومية)، وبمؤلفه والمنطقة التي أنجبته؛ وشمل ذلك جميع جوانب الحياة في شنيط ووارثتها موريتانيا، مع التركيز على الجانب الثقافي الذي أفرز نظام المحاضر الفريد من نوعه بين نظم التعليم قديمه وجديده.
- 3- ضبط ما يُشكل من كلمات النصين؛ وهو عمل أرى أنه ينبغي أن يؤتسى به في كل عمل يخرج للناس في مجال تعليم العربية خصوصا؛ لأن الحركات قوام العربية، وسرّ عظيم من أسرارها، وما فسدت سلائق الناس وفشا اللحن في ألسنتهم إلا من إهمال الضبط أو الإخلال به.
- 4- هذا اللبوس الجلي الذي ظهر به المتن والشرح معًا، وحُقّ لمثلهما أن يخرج في شكل يمكن جيل اليوم من الانتفاع بما فيهما من فوائد عظيمة.
- 5- لم تخلُ هوامش النص من بعض الإيضاحات والتنبيهات التي تفيد القارئ، سواء المبتدئ في دنيا النحو، والراغب في الازدياد من هذا العلم الذي لا ساحل له.

وما كان لي أن أعرف ما يعانیه المخلصون من المشتغلين بالتحقيق حتى كتب علي أن أصلي بما صلّوا به؛ فأنا اليوم أكبر ما يلَقون، وأُشيد بما يبذلون. وما عملي هذا الذي حرصتُ فيه على أن أبلغ المعنى من نفس القارئ وافيا كما تمثلته، إلا محاولة متواضعة للإدلاء بدلوي في خدمة اللغة العربية، وتنبيهًا للباحثين إلى ضرورة الاعتناء بمجال علومها والكتابة فيه، ليفهم بها الإسلام فهمًا صحيحًا.

ملاحظات ومفاهيم

- أطلقت في هذه الأطروحة كلمة "المتن" على نص المقدمة الآجرومية.

- أطلقت كلمة "الشرح" على ما وضعه الشيخ سيديا الكبير في (النفحة القيومية) من شرح على المتن.
- أطلقت كلمة "الحاشية" - إن وردت - على ما وضعه آخرون على هذا الشرح من تعليقات، ذكر صاحبها نفسه أم لا.
- خصّصت كلمة "هامش" لما وضعته على هذا الشرح من تعليقات، وما أضفت إليه من عمل.
- التزمتُ ذكر أسماء الكتب قبل أسماء مؤلفيها؛ فالرجال يُعرفون بالحق ولا يُعرف الحق بالرجال، ولنعم ما قيل: لا تنظر إلى من قال بل انظر إلى ما قال.
- وفاء لتاريخية أسماء الأعلام المحلية فقد توخيتُ رسمها بأقرب طريقة ممكنة إلى نطقها، وذلك بدلا من كتابة تأثيلية ترسم بدل العلم العامي أصله الفصيح، فتلغي بذلك التطور اللغوي وتطمس معالم المجتمع المحلي الذي نسعى إلى تسجيل تاريخه؛ ولذا عمدتُ إلى كتابة (سيديا) في اسم المؤلف بالألف، خلافا لأصلها اللغوي (سَيِّدِي).
- ربطتُ أسماء الأعلام المحليين بأبائهم مستخدما لفظ (ولد) الذي جرت العادة المحلية على استخدامه بدلا من لفظ "ابن"؛ ولم أخرق ذلك إلا في حالات نادرة تقتضيها الطبيعة الوضعية لبعض تلكم الأسماء.
- ميّزتُ الكاف الفارسية بوضع خط فوقها، هكذا (ك). وأضفتُ هاء السكت في آخر بعض الكلمات التي تنتهي بفتحة لا يوقف عليها سكونا، مثل: بابَه - شَنْظورَه - ولاتَه - تندوجَه - امّاه .. إلخ.
- جعلتُ النطق معيارا أوحده للتمييز بين همزتي الوصل والقطع في بداية أسماء الأعلام المحلية، مثل: أعمر، أعل.

- كتبتُ تنوين النصب على ما قبل ألف التعويض عن التنوين عند الوقف؛ مقتفياً في ذلك مذهب الخليل المبنى على نقط أبي الأسود، لا مذهب الزبيدي الذي فضّله الداني⁽¹⁾.

منهج التحقيق

انطلاقاً من أن الهدف من التحقيق هو إخراج النص المخطوط في صورة أقرب ما تكون إلى الصورة التي وضعه عليها مؤلفه، فلم أدّخر وسعاً ولم أبخل بجهد أو وقت في تحقيق هذا النص، وإخراجه بالصورة التي تليق به وبسمعة مؤلفه، فلم أتدخل إلا فيما كان من رسم الناسخ، وأما ما كان من اقتراح يتصل بنقص أو زيادة أو تعديل فقد أشرت إليه في المتن وفصلته في الحواشي، مراعيًا بذلك الأمانة والحذر في تقديم النص كما هو أصلاً، ولعلّ ذلك - كما أسلفت - أشدّ صعوبة من بناء نص جديد.

وبعدّ جمع النسخ التي سيأتي وصفها في موضعه من قسم التحقيق، وقراءة تلك النسخ ودراستها، ومقابلة بعضها مع بعض، واعتمادها في نقل النص وكتابته؛ عملتُ على تحقيق النص مراعيًا في ذلك القواعد المتبعة في تحقيق النصوص التراثية، ومعتمداً المنهجية التالية:

1- أثبتُّ ما بين النسخ من خلاف له أهمية أو فائدة، وأعرضتُ عن التصحيحات السطحية التي يُدركها كلُّ قارئ ولا تُقدّم فائدة تذكر.

2- كتبتُ متن الآجرومية بحرف بارز، وجعلتُ نص الشرح بالحرف المعتاد.

1- راجع: مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، المجلد الثامن - العدد الرابع، أكتوبر - ديسمبر 2006، مراجعة بعض ما جاء في "رمز التنوين في العربية ومواضعه الكتابية"، أبو أوس إبراهيم الشمسان، ص 196.

3- كتبتُ النص كما ورد في الأصل دون أي تغيير، إلا ما جاء في الشكل مخالفا للقواعد الإملائية أو مخالفا للقواعد النحوية؛ لأن هذا من عمل الناسخ ولا يُعبّر عن علم المؤلف. وقد أشرت إلى الأصل في الحاشية.

4- عملتُ على إخراج نصوص الكتاب وفق الرسم الحديث، وطريقة الكتابة العصرية فغيّرتُ في بعض الأحيان شكل الكلمات عن الشكل الذي وردت مكتوبة به في نُسخ المخطوط. ووضعت علامات الترقيم المناسبة؛ كالنقطة، والفاصلة، وعلامات التعجب والاستفهام، والفاصلة المنقوطة ... وغيرها من علامات الترقيم التي تساعد في إبانة المعنى المقصود.

5- تقوياً للنص وحرصاً على الفائدة فقد أدخلت في صلب الكتاب ما كان على هامش المخطوط، وأشرت إلى ذلك في الحاشية؛ إذ يغلب على الظن أن معظمها سقط من الناسخ ثم استدركه، وبعضها لتمام الفائدة.

6- تسهيلاً لقراءة النص وفهمه ميّزت عناوينه فجعلتها بخط أكبر حجماً مما كُتب به سائر النص، وضبطت بالحركات أغلب نصّي الآجرومية والنفحة القيومية؛ مُطَبِّقاً مقولة أنه "لا يُشكّل إلا ما يُشكّل"⁽¹⁾، وأنصح لجميع الغيورين على اللغة العربية أن يلتزموا بضبط معظم ما يكتبون بالشكل التام، لتصبح صحة اللغة ملكة لدى القراء.

7- ميزتُ الآيات القرآنية وضبطتها بالشكل، وأحطتها بمعقوفين هكذا ﴿...﴾ وذكرْتُ في الحاشية اسم السورة ورقم الآية، كما أشرت إلى القراءات الواردة فيها

1- عبارة كانت أثيرة لدى الدكتور محمود الطناحي (رحمه الله). راجع: محمود الطناحي.. ذكرى لن تغيب، ص28.

بالرجوع إلى كتب القراءات والتفسير؛ حين يكون موضع الشاهد يمتُّ بِصِلَةٍ إلى قراءة معينة.

8- ميزتُ الحديث الشريف وجعلته بين ظفرين هكذا {...} وخرّجته ما استطعت، دون التعرض لدرجته غالباً. مع ذكر مختلف الروايات إن وجدت، وقد أقتصر على رواية واحدة إذا كان غيرها من الروايات لا يحتوي على موضع الشاهد من الحديث، وإن لم أجد رواية الشرح في كتب الأحاديث الصحيحة ألجأ إلى أقرب رواية له، مع التنبيه إلى ذلك.

9- شرحتُ بعض ألفاظ النص شرحاً لغوياً، وكذلك فعلت مع الأبيات ذات المعنى الغامض؛ ذلك أن مثل هذه النصوص تحتاج إلى إخراج يَجْلُوها ويربطها بما قبلها وبما بعدها في خط التراث العربي المتداخل المتشابك.

10- ترجمتُ للأعلام الذين وردت أسماءهم، جاعلاً أساس ذلك (فهرست النديم) لعلماء القرون الأربعة الأولى للإسلام، و(أعلام الزركلي) لمن سواهم، والغالب الأعم أن أقتصر على ترجمة العلم مرة واحدة لدى أول ورود لاسمه؛ معتمداً في ضبط الألفاظ والأسماء المشككة على (وفيات الأعيان) الذي التزم مؤلفه بضبط ما يمكن أن يقع فيه التصحيف.

11- خرّجتُ الأشعار وعزوتها إلى قائلها ما أمكنني ذلك، كما أتممت الأبيات التي وردت أشتاراً، وشرحت موطن الشاهد من كل بيت وعلّقت عليه إن كان ذلك ضرورياً، وأحياناً أشير بإيجاز إلى مناسبة القصيدة التي ورد فيها الشاهد وأشرح الغامض من مفرداته وأشير إلى رواياته المتعددة إن كان له أكثر من رواية، كما أشير إلى اختلاف نسبه إن كان منسوباً إلى أكثر من قائل.

12- ذكرتُ محلّ الشاهد من الأبيات خاصة، على أنني إنما أركز غالباً على ما أوردها له الشارح، ولو كان غيره استشهد بها لغير ذلك.

13- تعرضتُ في الهامش - أيضاً - لمسائل نحوية؛ إمّا بذكر جانب الخلاف الذي طواه المؤلف والشارح فلم يذكره، وإمّا لتوضيح معنى بدا لي أنه غامض، وإمّا بذكر إعراب كلمة يفيد ذكرُ إعرابها معنى زائداً، وإمّا بذكر طُرف ونوادر نحوية، مع مراعاة الاختصار والسعي إلى عدم إثقال الحواشي. "ولا شك أن هناك جهداً صامتاً للمحقق لا يظهر في التعليقات، فلن يضير المحقق أن تكون تعليقاته قليلة؛ وهذه حقيقة يعرفها كلُّ من ابتلي بتحقيق النصوص"⁽¹⁾.

14- وضعتُ رقمًا في المتن أحيل به إلى الهامش، وذلك لأحد الأغراض التي من قبيل:

- بيان اختلاف النسخ، ولا أذكر من ذلك إلا ما كان له وجه يخدم النص.
- تخريج الآيات.
- تخريج الأحاديث.
- توضيح ما في النص من غموض، أو تكملة لما كان ضرورياً إكمالاً.
- التعليق على الشواهد.
- التعريف بالأعلام والمواضع.

15- وضعتُ مسردًا خاصاً بالمصادر والمراجع، مع بيان مكان الطبع وتاريخه، تسهيلاً للعودة إلى تلك المصادر. كما أشرت إلى أماكن الكتب المخطوطة وأرقامها في الخزائن الموجودة فيها، أو إلى بعض النسخ الخاصة المتوفرة لدي.

وأشرت إلى المقالات وأصحابها حيث أثبتت أعداد المجلات والدوريات وسنوات طبعتها.

16- تسهيلات للبحث في الأطروحة فقد وضعت فهرسا خاصا بما اشتمل عليه قسمها: الدراسة، والتحقيق. وهذا الفهرس خاص بما أثبتت في المتن دون ما في الهوامش.

وسيلحظ القارئ الكريم أنني بدأت عملي انتقائيا أستمّد مادتي من مصادر متعددة ثم ألائم بين أجزائها بما يُشعر بمدى الجهد المبذول في سبيل الانتقاء والدقة معا، غير أنني في مواطن أخرى أكون استرساليا أستمّد مادتي من مصدر واحد أو مصدرين كأني أخص تلخيصا؛ وما ذلك إلا لما يعتري المصادر من توفّر وعدمه.

خطة الأطروحة

قصد بلوغ الغاية من هذا العمل ضبطت سيره وفق خطة اقتضتها طبيعته؛ فاستقام عموده على مقدمة وقسمين وخاتمة، وذلك على النحو الآتي:

المقدمة: وقد عرضت فيها الموضوع والإشكالات التي يطرحها، وبيّنت حدوده المكانية والزمنية، وحاولت إلقاء نظرة نقدية خاطفة على المصادر والمراجع المعتمدة. أما **القسم الأول** فهو مختص بالدراسة، وجعلته من ثلاثة فصول.

- أولها تمهيد عام شمل تاريخ تدوين اللغة ونشأة علم النحو، إضافة إلى الروايات المتعلقة بالواضع الأول للنحو، وأوائل النحاة. وتفصيل الحديث عن البصرة والكوفة، وأعلامهما، وأوجه الخلاف النحوي بينهما، وهل حقا لدينا مدارس نحوية.

- أما الفصل الثاني من هذا القسم فخصصته لدراسة حياة ابن آجروم، مؤلف المتن الذي وُضع عليه هذا الشرح الذي نحن بصدد تحقيقه.

- وجعلتُ الفصل الثالث دراسة تحليلية لسيرة الشيخ سيدنا الكبير، مؤلف الشرح. وقد تناولتُ في كل من الفصلين الأخيرين عصر صاحبه، وذلك عبر ثلاثة مباحث في كل فصل؛ خصصتُ أولها لدراسة الحياة العامة في عصر المعني، بينما كرست المبحث الثاني لدراسة الحركة العلمية في العصر ذاته، وجعلت المبحث الأخير مخصصاً للترجمة لكل واحد منهما في الفصل المخصص له من هذا الباب. وتطرّقتُ في ترجمة كل منهما إلى اسمه ونسبه - لقبه وكنيته - بلده - رحلاته العلمية وشيوخه وتلاميذه - شخصيته العلمية - مكانته الاجتماعية - وفاته. وقد جعلتُ الدراسة التي خُصص لها هذا القسم الأول شاملة كلاً من متن الآجرومية وكتاب النفحة القيومية؛ فبينت فيها مصادر الكتابين - أسلوب المؤلفين فيهما وطريقتهما في ذلك - المصطلحات التي استعملوها في كتابيهما - ظهور الجانب التعليمي في الكتابين - اختيارات المؤلفين وترجيحاتهما النحوية.

أما القسم الثاني فخصصته للنص تحقيقاً وتعليقاً، وجعلته من فصلين؛ كرّستُ أولهما لتحقيق متن الآجرومية، وقد آثرتُ ذلك في هذا القسم، تميماً للفائدة؛ إذ هو المتن الذي وُضع عليه الشرح موضوع التحقيق.

بينما خصّصتُ الفصل الثاني لتحقيق كتاب النفحة القيومية بتقرير الآجرومية، وفيه توثيق اسم الكتاب ونسبته إلى المؤلف - طريقة عملي في التحقيق - وصف نسخ مخطوطة الكتاب - الكتاب محققاً.

وقد جعلتُ الخاتمة حوصلة لما ناقشته ضمن القسمين السالف ذكرهما، وخلصتُ فيها إلى جُملة من الاستنتاجات المرتبطة بموضوع البحث.

وأرى أن عملي هذا لم يجر ليضيف لبنة إلى المكتبة النحوية فحسب، بل ليسد ثغرة في التاريخ الموريتاني ويلقي الضوء على جوانب حساسة من التطور الاجتماعي والسياسي والروحي لهذا البلد (شنقيط = موريتانيا)؛ إضافة إلى علاقته بمحيطه الأعم في المغرب الكبير. وهنا أقول بمثل قول ابن فارس (ت395هـ)⁽¹⁾ في خطبة كتابه (الصاحبي): "والذي جمعناه في مؤلفنا هذا مفرّق في أصناف العلماء المتقدمين ... وإنما لنا فيه اختصارٌ مبسوطٌ، أو بسطٌ مختصرٌ، أو شرحٌ مشكّلٌ، أو جمعٌ متفرّق"⁽²⁾. وبمثل قول ابن منظور (ت711هـ)⁽³⁾ في مقدمة (لسان العرب) بعد أن عدّد المراجع

1- هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي. أحد أئمة اللغة والأدب، كان متعدد المعارف متقنا لعلوم اللغة العربية مكثرا من التأليف في فروعها المختلفة، أما طريقته في النحو فطريقة الكوفيين. أخذ عن كثيرين، منهم أبو بكر الخطيب راوية ثعلب، وعلي بن القطان، وابن المنجّم، وأبو عبيد، وأبو القاسم الطبراني. دعاه فخر الدولة البويهري إلى الري ليؤدب ابنه مجد الدولة؛ فأقام بها قاطنا، وممن تتلمذ عليه بديع الزمان الهمذاني والصاحب ابن عباد. اختلف في تحديد سنة وفاته والراجح أنها كانت سنة 395هـ أو التي تليها. راجع: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد ابن فارس، تحقيق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت - 1997، ص5 وما بعدها. والأعلام، ج1، ص193.

2- الصاحبي في فقه اللغة العربية، ص12.

3- وردت ترجمته قبل في الصفحة رقم 9.

الخمسة التي استصفي منها مادة كتابه⁽¹⁾: "وليس لي في هذا الكتاب فضيلة أمتُّ بها، ولا وسيلة أمسك بسببها، سوى أنني جمعتُ فيه ما تفرَّق في تلك الكتب من العلوم"⁽²⁾. وهذا جلال الدين السيوطي (ت 911هـ) - على جلاله قدره ونباؤه محلّه - ليس له من كتابه الضخم (المزهر) إلا الجمع والترتيب، عدا بدوات قليلة وفقرات يسيرة، بل إنه ضمّن مقدمة كتابه مقدمة كتاب الصاحبى لابن فارس كاملة؛ فما حطّ ذلك من قدره، ولا نقص من قيمة كتابه، إذ حفظ لنا في تصانيفه التي بلغت نحو ستمائة مصنّف كثيرا مما عدت عليه عوادي الناس والأيام، من علوم الأوائل وفنونها، واستخرج من كل ذلك علما عُرف به ونُسب إليه⁽³⁾.

وإني لأرجو أن أكون قد أحسنتُ الجمع والوضع؛ فأخرج بذلك من عداد صنفين معلومين، أحدهما أحسن الجمع ولم يُحسن الوضع، والآخر أجاد الوضع ولم يُجد الجمع؛ فلم يُفد جمع هذا مع إساءة الوضع، ولا نفعت إجادة وضع ذاك مع رداءة الجمع.

وألفت عناية القارئ الكريم إلى أنني لم أتطرق في تحقيق هذا الكتاب للأحكام النحوية المتعمقة؛ خشية أن يتضخم البحث فتصعب السيطرة عليه، بل إنما اكتفيت بأهم الأحكام النحوية التي بوّب عليها النحاة في كتبهم، وجعلوها أقلّ المجزء من

1- جمع ابن منظور في كتابه أصول المعاجم الخمسة: الصحاح للجوهري، وحواشيه لابن بري، والتهذيب للأزهري، والمحكم لابن سيده، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير.

2- لسان العرب، ج 1، ص 8.

3- راجع: الموجز في مراجع التراجم والبلدان والمصنفات وتعريفات العلوم، ص 26.

فمن النحو. وأنا في هذا أقتدي بمؤلف كتاب (تهذيب اللغة) الغني عن التعريف⁽¹⁾، فقد قال في مقدمته: "ولو أنني أودعتُ كتابي هذا ما حوته دفاتري، وقرأته من كتب غيري، ووجدته في الصحف التي كتبها الوراقون وأفسدها المصحفون = لطلال كتابي، ثم كنتُ أحد الجانين على لغة العرب ولسانها. ولقليلٌ لا يُخزي صاحبه، خيرٌ من كثير يفضحه"⁽²⁾.

وقد وجدتني أمام النقص الفادح في الدراسات الأكاديمية عن تاريخ هذا البلد (شنيط = موريتانيا)، مضطرا لإدراج فصول مطوّلة تكتسي طابعا تاريخيا محضا؛ إذ لو كان موضوع هذه الأطروحة جزءا من تراث قطر عربي ذي تاريخ معروف إلى حد مقبول، لكان الجانب التاريخي أخف مما هو عليه بكثير، بل لعلّه لم يكن أصلا، ولكن ما نعلمه من ندرة الدراسات العربية حول تاريخ هذا القطر قد استكّرهنّي على

1- يُعدُّ (تهذيب اللغة) من أوثق المعاجم اللغوية؛ فمؤلفه الأزهري (282هـ - 370هـ) أمينٌ في نقله، لا يقبل رواية اللغويين إلا بعد وضعها على الميزان، ويحتج بالرواية الصحيحة والسماع من الأعراب ومشاهداته، وقد انتفع بالفترة التي قضاها في أسر القرامطة حيث شافه الأعراب الذين كانوا ما يزالون يتكلمون العربية بالسليقة وروى عنهم. وتعدُّ مقدمة كتاب (تهذيب اللغة) من أهم الوثائق في تأريخ التأليف اللغوي وتأريخ المذاهب اللغوية الأولى، ويُفهم منها أن الاستشهاد بكلام العرب أمكن أن يمتدَّ إلى ما بعد سنة 312هـ وهي السنة التي وقع فيها المؤلف في أسر القرامطة. كما تحتوي مقدمة الكتاب المذكور على نص قاطع بأنه قد أُلِّف بعد أن بلغ الأزهري سن السبعين، أي بعد اكتمال نضوجه العلمي، وهو ما يعطي قدرا عظيما لهذا الكتاب ويعزز الثقة في محتواه.

2- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة 1964-1967، ج1، ص40.

أن أرتدي ثوب المؤرخ، وهو ثوب إن ارتديته اليوم فمُكرّة لا بطل؛ على حدّ تعبير أستاذي المرحوم الدكتور جمال ولد الحسن⁽¹⁾.

ويتعيّن علي هنا - قبل الخوض في لجج التاريخ - أن أبين أن نطاق المجال المدروس يشمل بالإضافة إلى موريتانيا الحالية مناطق أخرى مجاورة، تربطها بها وحدة اللغة، والعادات والتقاليد، والنسب والتاريخ؛ وبذلك فنحن نتحدث عن مجال ثقافي وحضاري وبشري منسجم لكنه ليس ضمن حدود سياسية واحدة، فتلك الحدود استجدت مع الاستعمار الذي قسّم هذا المجال وشتّت سكانه، ولذا فسأتححر هنا من الفضاء السياسي وتصوراته المثيرة للجدل، لأتحرك في مجال ثقافي هو الأنسب لدراسة حياة الناس وتحولاتها في الزمان والمكان، مستخدماً في ذلك المصطلحات والمفاهيم وفقاً لسياقها الزمني والمنطقي. وآمل أن أكون قد تجنّبت في هذا المضمّار مزالق الاعتماد على أساليب التحليل والرؤى المبنية على قراءات لتاريخ مناطق وشعوب أخرى تختلف بيئتها والتطورات التي مرت بها عن تلك التي عرفها المجال المدروس هنا؛ إذ لم يؤلّه الكتاب من الاهتمام إلا ما يخدم المواضيع المتعلقة بانشغالاتهم ومصالح مناطقهم.

وأرى أن استفاضتي في سبيل التمهيد للموضوع بحيث فاق حجمُ الدراسة حجمَ التحقيق نفسه، يُعدُّ ضرورة منهجية تحول دون احتلال الهامش مساحة المتن، شكلاً

1- أحمدّو جمال ولد الحسن: باحث موريتاني معاصر، من كتبه المنشورة "الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر الهجري.. مساهمة في وصف الأساليب" وهو في الأصل أطروحة دكتوراه دولة مقدمة إلى جامعة تونس سنة 1986م، وفيه وردت العبارة هذه. وقد شرفت بالتلمذ له خلال أولى سنوات دراستي في قسم اللغة العربية بكلية الآداب في جامعة انواكشوط؛ قبل أن ينتقل إلى الرباط للعمل في المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة. توفي (رحمه الله) في حادث سير سنة 2001م في أبوظبي وحضرْتُ هناك الصلاة على جثمانه الطاهر قبل أن يُنقل إلى موريتانيا حيث دُفن.

ومضمونا. وأرجو في السياق ذاته، أن يتفهم القارئ الكريم اجتهادي في إثقال بعض الهوامش بالتعليقات والتوضيحات المطولة التي أحسبها مفيدة؛ فهذا العمل وإن أعوزه بعضُ الترتيب والتهديب فذلك شأن كل كتابة جديدة في أمر متشعب الأطراف ممدود النواحي.

وألتمس العذر في تقصيري، فمثلي يصغر أمام هذا العمل الجليل، فما أنا إلا كما قال القائل⁽¹⁾:

أَسِيرُ حَلْفَ رِكَابِ التُّجْبِ ذَا عَرَجٍ مُؤَمَّلًا جَبَرَ مَا لَاقَيْتُ مِنْ عَوَجٍ
فَإِنْ لَحِقْتُ بِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا سَبَقُوا فَكَمْ لِرَبِّ الْوَرَى فِي ذَاكَ مِنْ فَرَجٍ
وَإِنْ بَقِيتُ بِقَفْرِ الْأَرْضِ مُنْقَطِعًا فَمَا عَلَى عَرَجٍ فِي ذَاكَ مِنْ حَرَجٍ

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أجزى الشكر الجزيل لخالي الفاضل السيد باب ولد هارون ولد الشيخ سيديا، لما قدّمه لي من تسهيلات مكنتني من الحصول على نسختي المخطوط المحفوظتين في مكتبتنا العائلية التي كرّس جلّ وقته وماله لحفظها والعناية بها. وكذلك الشكر كلّ للشيخين الكريمين: إبراهيم (المفتي) ولد يوسف ولد الشيخ سيديا، والأستاذ الفاضل محمدّو سالم ولد جدّو، اللذين كنت ألجأ إليهما بين الحين والحين، سائلا ومستفسرا؛ فكانا المرجع والمآل فيما يعترضني من صعوبات.

كما أشكر كلّا من أخي الأكبر عبدالرحمن (الناجين) ولد الخليل ولد أحمد، وأخي وصديق طفولتي محمد ولد أحمد ولد الدّيّاه (ولد بونا)، اللذين أمّداني ببقية نسخ المخطوط.

1- هو أبو ذؤيب الهذلي، خويلد بن خالد بن محرّث، شاعر فحل، مخضرم أدرك الإسلام وأسلم لكنه لم ير رسول الله (ﷺ)، توفي نحو 27هـ. قال عنه البغدادي: "هو أشعر هذيل من غير مدافعة". راجع: الأعلام، ج2، ص325.

ولا يسعني أن أنسى شكر مفخرة شباب أسرتنا وابن مفخرتها، الذي يجسّد بين شبابنا القيم العلمية والأخلاقية التي أكسبت هذه الأسرة مكانتها الاجتماعية، أعني أخي الفاضل أحمد ولد المفتي، الذي كان وسيلتي إلى والده الشيخ المفتي.

وبعد، فهذا ما وسعه الجهد والوقت، فإن أكن قصّرت أو سهوت فمني، وإن أكن أصبت فبفضل ربي، له الحمد في الأولى والآخرة.

فَاللَّهُ أَسْأَلُ إِنْ قَصَّرْتُ مَغْفِرَةً وَإِيَّاهُ أَرْجُو إِنْ أَخْطَأْتُ إِحْسَانًا.

وختاماً، أؤكد افتقاري إلى النصّح والتوجيه - سادتي القراء الكرام - لتدارك أي ملاحظات شابت هذا العمل، وتعديلها لاحقاً، إن شاء الله تعالى؛ فالعلم رحم بين أهله، ومفهوم الأهل واسع.

إبراهيم ولد الشيخ سعيد

أبوظبي: مستهل سنة 1442هـ

موافق: 20 أغسطس 2020م

القسم الأول

الدراسة

ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: تاريخ تدوين اللغة ونشأة علم النحو.

الفصل الثاني: ابن آجروم، مصنف المقدمة الآجرومية.

الفصل الثالث: الشيخ سيدنا الكبير، مصنف كتاب النفحة القيومية بتقرير الآجرومية.

الفصل الأول

تاريخ تدوين اللغة ونشأة علم النحو

ويشتمل على المباحث التالية:

- توطئة
- بؤادر اللحن
- الاحتجاج
- نشأة النحو
- واضع علم النحو
- نَقْطُ المصاحف
- أوائل النحاة
- المذهب البصري
- المذهب الكوفي
- الفروق الأساسية بين المذهبين
- السماع والقياس
- النحو التعليمي

تولصة

العرب ذوو فصاحة وبلاغة يتأثرون برفيع البيان وجُمله ذات الإيحاء، وقد كانت أسواقهم في جاهليتهم قائمة على الانتقاء من لغات القبائل، فأخذ بلغاؤهم وشعراؤهم أنفسهم بما أجمعوا على استحسانه من تلكم اللغات؛ وتنافسوا في ذلك حتى أضحت اللغة التي اصطفوها متفقا على التعبير بها عما يخالج النفوس من أغراض وأحاسيس.

وجاء القرآن الكريم فوجد العرب قبائل ذات لهجات متباينة فلم يعد ذلك التباين لحنًا أو خطأ لغويًا، وإنما عدّه لغة لها أصحابها وكيانها، فتعددت بذلك القراءات في الآية الواحدة وأقرّ النبي (ﷺ) ذلك؛ إذ كان العربي منهم يتكلم باللغة سليقة وطبعًا، ويستنكر زيغ الإعراب أكثر من استنكاره لخلاف اللغة؛ فقد ينطق بعضهم بالدخيل والمولد ولكنه لا ينطق باللحن⁽¹⁾.

ومع اتساع نطاق الفتوحات الإسلامية ووصولها إلى مصر والشام والعراق وفارس اختلط العرب الفاتحون بالشعوب التي كانت تحت سيطرة الفرس والبيزنطيين والأحباش، فتسرّب الفساد إلى لغة كثير من العرب وظهر ما يعدّ عيبًا ولحنًا في اللغة العربية، وقد كان ذلك قليلًا في بدايته ثم أخذ ينتشر حتى لفت إليه الأنظار؛ لذا يعدّ اللحنُ الباعثُ الأولُ على تدوين اللغة وجمعها وعلى استنباط قواعد النحو وتصنيفها، فقد دقّت حوادثه المتتابعة جرس الإنذار الذي أيقظ الغيورين على العربية والإسلام. ولعلّ من المناسب تقديم عرض تاريخي سريع لبعض أحداث اللحن المتتابعة.

1- راجع: من تاريخ النحو، سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت - د.ت، ص 17.

المبحث الأول

بولدر اللحن⁽¹⁾

يمكن القول إن جميع العصور لم تخلُ من اللحن، فحتى في العصر الجاهلي نجد بعض المصادر تذكر أن الشاعر المفلق سُحيمًا عبدَ بني الحسحاس كان يرتَضِخُ لُكْنَةً حبشية مع جَوْدَةٍ شِعْرِهِ⁽²⁾.

وفي عهد الرسول (ﷺ) كان اللحن موجودا، فقد زُوي أنه سمع رجلا لحن بحضرته، فقال (ﷺ): {أرشدوا أخاكم}⁽³⁾. ويظهر أن اللحن كان معروفا بهذا الاسم نفسه فقد روي عن رسول الله (ﷺ) قوله: {أنا من قريش ونشأت في بني سعد فأنتي لي اللحن}⁽⁴⁾.

- 1- استقيثُ أغلب مضامين هذا المبحث من كتاب: سبب وضع علم العربية، جلال الدين السيوطي، تحقيق: مروان العطية، طبعة دار الهجرة، بيروت / دمشق، 1409هـ - 1988م.
- 2- راجع: لسان العرب، ج3، ص18. وديوان سُحيم عبد بني الحسحاس، تحقيق: عبد العزيز الميمني، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة - 1950، ص5.
- 3- رواه الحاكم عن سعد بن عبد الله بن سعد، عن أبيه، عن أبي الدرداء (رضي الله عنه)، وقال "صحيح الإسناد" ووافقه الذهبي. غير أن الألباني ضعّف الحديث، قائلا إن عبد الله بن سعد والد سعد وهو الأيلي غير معروف، ولم يترجموا له، مع أنهم ترجموا لابنه ولم يذكروا له رواية عن أبيه. راجع: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض - 1992، ج2، ص315.
- 4- راجع: المزهري في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت - 1986، ج1، ص210.

ويؤثر عن أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) قوله: "لأن أقرأ فأُسْقِطُ أَحَبُّ إلي من أن أقرأ فأُلْحَنُ" (1).

وتذكر المصادر أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) مرَّ إبان خلافته بقوم يسيئون الرمي فقرعهم، فقالوا: "إنا قوم متعلمين"، فأعرض مغضباً، وقال: "والله لخطؤكم في لسانكم أشدُّ علي من خطئكم في رميكم. سمعتُ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: {رحم الله امرأً أصلح من لسانه}" (2).

والأدهى من كل ما سلف أن يتسرب اللحن باكراً إلى قراءة الناس للقرآن، فقد قديم أعرابي المدينة في خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فقال: من يُقرئني شيئاً مما أنزل على محمد؟ فأقرأه رجل سورة براءة حتى وصل منها إلى قول الله تعالى: ﴿وَأَذَانُ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولُهُ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ۖ وَرَسُولُهُ﴾ (3) فكسر المُقرئ لام كلمة (رسوله)، فقال الأعرابي: "إن يكن الله بريئاً من رسوله فأنا أبراً منه"، فبلغ ذلك عمر (رضي الله عنه) فدعا الأعرابي وقرأ عليه الآية قراءة صحيحة بضم اللام، فقال الأعرابي: "وأنا أبراً ممن برئ الله ورسوله منهم"، ثم أمر عمر (رضي الله عنه) ألا يُقرئ القرآن بعدها إلا عالمٌ باللغة (4).

وتوشك قصة ابنة أبي الأسود الدؤلي (5) أن تكون أشهر معلم في تاريخ النحو، فقد دخل عليها أبوها في وقفة الحرّ بالبصرة، فقالت له: يا أبت، ما أشدُّ الحرّ! (رفعت

1- المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ج2، ص397. ومعنى (فأسقط): أترك شيئاً.

2- معجم الأدباء، ج1، ص16.

3- سورة التوبة، الآية 3.

4- راجع: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، أبو البركات ابن الأنباري، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن - 1985، ص19-20.

5- ينسب إليه وضع علم النحو. واسمه ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر بن حلس بن ثفائة بن عدي بن الدُّئل، وهم إخوة قريش. والدؤلي - بفتح الهمزة - منسوب إلى

الدُّبْل - بكسر الهمزة - وهي دابة بين ابن عرس والثعلب، وإنما فُتحت الهمزة في النسبة استئقالا لتوالي الكسرات؛ كما نسبوا إلى تغلب تغلبي وإلى يثرب يثربي وإلى نمر نمري، وهي قاعدة مطّردة. ويجوز تخفيف الهمزة فيقال الدولي بقلب الهمزة واوا محضة، لأن الهمزة إذا انفتحت وكان ما قبلها مضموما فتخفيفها يكون بقلبها واوا محضة، كما يقال في جُؤن جُؤن، وهي جمع جُونة التي هي سُليلة مستديرة مغشاة أدمًا تكون مع العطارين. وقد يقال الدَّيلي؛ بقلب الهمزة ياء حين انكسرت، فإذا انقلبت ياءً كسرت الدال لتسلم الياء، كما تقول في: قيل وبيع.

واسم جدّه (حِلْس) يقع فيه التحريف كثيرا، وما ضبطته به هو ما أورده ابن خلكان في كتابه (وفيات الأعيان) نقلا عن كتاب (الإيناس في علم الأنساب) للوزير أبي القاسم المغربي؛ وهو الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن محمد، ينتهي نسبه إلى يزيدجرد ملك فارس، وليس بمغربي الدار وإنما كان جدّه علي بن محمد يتولى ديوان الجانب الغربي ببغداد، فُنسب إليه وقيل له «المغربي» وأطلقت عليهم جميعًا هذه النسبة، ذلك أن العراق حينها كان قد استُحدثت فيه ثلاثة دواوين هي ديوان المشرق وديوان المغرب وديوان السواد، تنضوي تحتها فئات الدواوين المختلفة. وليّ أبو القاسم الوزارة لمشرف الدولة البويهية سنة 414هـ، وتوفي سنة 418هـ وعمره خمس وأربعون سنة، ورثاه أبو العلاء المعري (ت449هـ) في اللزوميات ولم يرث أحدًا غيره؛ إذ كان على صلة وثيقة به فهو الذي أرسل إليه أبو العلاء رسالتيه «المنيع» و«الإغريض». راجع: **مراتب النحويين**، أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت - 2009، ص20. وأخبار النحويين البصريين، أبو سعيد السيرافي، تحقيق: طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة - 1955، ص10. وكتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق كل من: الدكتور إحسان عباس والدكتور إبراهيم السعافين والأستاذ بكر عباس، دار صادر، بيروت - 2008، ج 12، ص215. ومعجم الأدباء، ص1093. ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس أحمد ابن خلكان، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت - 1978، ج2، ص535. والبداية والنهاية، الحافظ ابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت -

أشدّ) فظنها تسأله وتستفهم منه: أيُّ زمان الحر أشدُّ؟ فقال لها: شهرُ ناجِرٍ⁽¹⁾، فقالت: يا أبتِ، إنما أخبرتك ولم أسألك⁽²⁾.

ولم يكن ما ورد من أمثلة على اللحن يشكّل خطراً حينها، لكنه لما زاد بعد انتشار الفتح، ثمّ فشا وعمّ في آخر العصر الأموي وطيلة العصر العباسي لكثرة الاختلاط، أثار ذلك العلماء العرب ففزعوا إلى القرآن يضبطونه بالنقط والتشكيل حتى يضمنوا له الأداء الصحيح ممّن لم يستقم لهم اللسان العربي من الناشئة الذين نشؤوا في غمار الأعاجم، كما اتجه قوم إلى الحديث يحمونه، وآخرون إلى فتاوى الصحابة والتابعين يدوّنونها، واتجه قوم إلى اللغة يجمعون ما نطق به العرب منها ويحددون معانيه، واهتم قوم بالأدب من مآثور الشعر والنثر العربي يجمعونه؛ وهكذا كان شيوع اللحن سبباً في إثارة العلماء في كل ناحية وخاصة علماء اللغة والأدب. وكانت مصادرهم لجمع اللغة هي القرآن، والحديث، والشعر الموثوق بصحته وبعربية قائله، ومشافهة العرب، والأخذ عن العلماء؛ وقد اشترطوا لذلك شروطاً أسقطت الاحتجاج بكلام كثير من العرب حتى في زمن الجاهلية.

1990، ج 12، ص 23. والوزير المغربي.. العالم الشاعر الناصر الناصر، الدكتور إحسان

عبّاس، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمّان - 1988، ص 35.

1- يريد شهر صفر، فقد كانوا يسمّون شهور السنة بهذه الأسماء. ويزعم قوم أنهما شهراً حَزِيرانَ وتمُوزَ، والصحيح إنما هو وقت طلوع نجمين من نجوم القَيْظِ؛ وهو ما بين طلوع الثريا إلى طلوع الشَّعْرَى. وكل شهر في صَمِيمِ الحرِّ، فاسمه ناجِرٌ لأنّ الإبل تَنَجِرُ فيه أي يَشْتَدُّ عطشها حتى تَبْسَسَ جُلُودُها. راجع: شرح ديوان الحطيئة برواية ابن السكّيت، دار الكتب العلمية، بيروت - 1993، ص 90.

2- راجع: كتاب الأغاني، ج 12، ص 215.

المبحث الثاني الاحتجاج

المقصود بالاحتجاج إثبات صحة قاعدة، أو استعمال كلمة أو تركيب، بدليل نقلي صحّ سنده إلى عربي فصيح سليم السليقة.

وقد احتاج العرب إلى الاحتجاج لما خافوا على سلامة اللغة العربية بعد أن اختلط أهلها بالأعاجم إثر الفتوح وسكنوا بلادهم وعاشوهم، فنشأ عن ذلك أخذ وعطاء في اللغة والأفكار والأخلاق والأعراف. ولما تنبّه أولو البصر إلى أن الأمر آيل إلى إفساد اللغة من جهة، وإلى التفريط في صيانة الدين من جهة ثانية، إذ كانت سلامة أحكامه موقوفة على حسن فهم المستنبط لنصوص القرآن الكريم والحديث الشريف، وكان في ضعف العربية تضييع لهذا الفهم؛ بحث علماء العربية في من نقل الرواة عنهم من أهل المدّر والوبر⁽¹⁾ قداماء ومحدثين، وتقصّوا أحوالهم ونقدوها؛ فاجتمعوا على الاحتجاج بقول من يوثق بفصاحته وسلامة عربيته، وهم الفُصحاء الخُلصّ، وجعلوهم أصنافاً تبعاً للزمان والمكان والأحوال.

فأما من حيث الزمان فقد قبلوا الاحتجاج بأقوال عرب الجاهلية وفصحاء الإسلام حتى منتصف القرن الثاني، سواء أسكنوا الحضر أم البادية.

وأما الشعراء فقد صنّفوهم أصنافاً أربعة: جاهليين لم يدركوا الإسلام، ومخضرمين أدركوا الجاهلية والإسلام، وإسلاميين لم يدركوا من الجاهلية شيئاً، ومحدثين أولهم

1- أهل المدّر هم العرب المستقرون، وقد عُرفوا بذلك لأن أبنية الحضر إنما هي بالمدّر؛ وهو في اللغة قطع الطين اليابس. أما أهل الوبر فهم أهل البادية، وإنما قيل لهم (أهل الوبر) لأن لهم أخبية الوبر، تميزها لهم عن أهل الحضر الذين لهم مبان من المدّر. وينبغي الانتباه هنا إلى أن لفظ العرب أطلق على أهل المدّر خاصة، أما أهل البادية فعرفوا بـ"الأعراب".

بشار بن بُرد (ت 167هـ)⁽¹⁾. وقد انعقد شبه الإجماع على صحة الاستشهاد بالطبقتين الأوليين، واختلفوا في الثالثة فذهب بعضهم إلى جواز الاستشهاد بها⁽²⁾، أما الطبقة الرابعة فلا يُستشهد بكلامها في علوم اللغة والنحو والصرف خاصة؛ وكان آخر من يحتج بشعره على هذا الأساس بالإجماع إبراهيم بن هرمة (ت 176هـ)⁽³⁾ الذي ختم الأصمعي به الشعر⁽⁴⁾.

أما أهل البادية فقد استمرّ العلماء يدوّنون لغاتهم حتى فسدت سلائقهم في القرن الرابع الهجري.

وعلى هذا فقد "أجمعوا على أنه لا يُحتجُّ بكلام المؤلّدين والمحدثين في اللغة العربية"⁽⁵⁾.

وأما القبائل فقد اختلفت درجاتها في الاحتجاج على اختلاف قُربها أو بُعدها من الاختلاط بالأمم المجاورة؛ فاعتمدوا كلام القبائل في قلب جزيرة العرب وردّوا كلام القبائل التي على السواحل أو في جوار الأعاجم.

وكانت قریش أجود العرب انتقاءً للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعاً، وأبينها عمّا في النفس؛ "وكانت قریش مع فصاحتها إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم،

1- راجع: الاقتراح في أصول النحو، جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الحكيم عطية، دار البيروني، الطبعة الثانية 2006، ص 59. والأعلام، ج 2، ص 52.

2- راجع: خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، عبد القادر البغدادي، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة - 1997، ج 1، ص 6.

3- اختلفت المصادر في تحديد تاريخ وفاة ابن هرمة، غير أن التاريخ الذي أثبتناه هو الراجح. راجع: البداية والنهاية، ج 10، ص 170.

4- راجع: الاقتراح في أصول النحو، ص 59.

5- المرجع السابق، ص 31.

فاجتمع ما تَخَيَّرُوا من تلك اللغات إلى نحائزهم وسلائقهم التي طُبِعُوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب⁽¹⁾.

والذين عنهم نُقِلَت العربية وبهم اقْتُديَ وعندهم أُخِذَ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم: قيس، وتميم، وأسد، فإن هؤلاء هم الذين أُخِذَ عنهم معظم ما أُخِذَ، وعليهم أَكْثَلُ في الغريب وفي الإعراب والتصريف. ثم أُخِذَت بقية اللغة عن هُذَيْل وبعض كِنانة وبعض الطائيين، ولم يُؤْخَذَ عن غيرهم من سائر القبائل العربية؛ وذلك لمجاورتها الأمم الذين حولهم من أقباط ويونانيين ونبط وفرس وهنود وحبشة، أو لمخالطتهم تجار الأمم المقيمين عندهم. وبالجملة فإنه لم يُؤْخَذَ عن حضري ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف البلاد العربية التي تُجاور سائر الأمم الذين حولهم⁽²⁾.

ومردّ ذلك إلى الوثوق من سلامة لغة المحتج به وعدم تطرّق الفساد إليها، وهذا هو الضابط في التصنيفين الزماني والمكاني اللذين ذُكِرَا؛ وهو ما حدا ببعض العلماء إلى إسقاط الاحتجاج بشعر أمية بن أبي الصلت⁽³⁾ وعدي بن زيد العبادي⁽⁴⁾ وحتى

1- الصاحبى في فقه اللغة العربية، ص 28.

2- راجع: الاقتراح في أصول النحو، ص 47. نقلا عن كتاب الفارابي (الألفاظ والحروف) الذي لم أتمكن من الوقوف عليه.

3- شاعر جاهلي من رؤساء ثقيف، كان من الدعاة إلى نبذ الأصنام وتوحيد المعبود، أدرك الإسلام ولقي رسول الله (ﷺ) لكنه لم يسلم. مات في السنة الخامسة للهجرة. راجع: الأعلام، ج 2، ص 23.

4- شاعر تميمي من أهل الحيرة، كان من دُعاة الجاهلية، فصيحاً، يحسن العربية والفارسية وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى الذي جعله ترجماناً بينه وبين العرب. راجع: الأعلام، ج 4، ص 220.

الأعشى⁽¹⁾، وكل هؤلاء شعراء جاهليون غير أنهم خالطوا الأجانب فتأثرت لغتهم بهذه المخالطة التي حملت إلى شعرهم عددا غير قليل من الألفاظ والمصطلحات التي لا تعرفها العرب؛ بينما يذهب فريق إلى الاحتجاج بكلام الشافعي⁽²⁾ المتوفى في القرن الثالث للهجرة، وذلك لسلامة نشأته وتقلبه في البيئات العربية السليمة⁽³⁾؛ إذ علّة ترك الأخذ عن أهل المَدْر ما عرض للغاتهم من الاختلال والفساد والخلط، "ولو علّم أن أهل مدينة باقون على فصاحتهم ولم يعترض شيء من الفساد للغتهم لوجب الأخذ عنهم كما يؤخذ عن أهل الوبر. وكذلك أيضا لو فشا في أهل الوبر ما شاع في لغة أهل المَدْر من اضطراب الألسنة وخبالها وانتقاض عادة الفصاحة وانتشارها، لوجب رفض لغتها وترك تلقي ما يرد عنها، وعلى ذلك العمل في وقتنا هذا [منتصف القرن الرابع الهجري]، لأننا لا نكاد نرى بدويا فصيحاً، وإن نحن آنسنا منه فصاحة في كلامه لم نكد نعدم ما يفسد ذلك ويقدح فيه"⁽⁴⁾.

1- هو ميمون بن قيس بن جندل القيسي، شاعر جاهلي غزير الشعر، وهو أحد أصحاب المعلقات، ويقال له: أعشى قيس، والأعشى الكبير، وأعشى بكر بن وائل، وهو صَنَاجَة العرب. عاش عمراً طويلاً وأدرك الإسلام ولم يسلم. مات في السنة السابعة للهجرة. راجع: الأعلام، ج7، ص341.

2- أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي المَطَّلبي القرشي (150-204هـ) إليه ينسب المذهب الشافعي في الفقه الإسلامي، وإليه يُنسب وضع علم أصول الفقه. اتجه إلى التفصُّح في اللغة العربية، فخرج إلى البادية ولازم قبيلة هُذَيْل، وقد بلغ من حفظه لأشعار الهذليين وأخبارهم أن الأصمعي صاحب المكانة العالية في اللغة قال: صححت أشعار هذيل على فتى من قریش يقال له محمد بن إدريس. راجع: الأعلام، ج6، ص26.

3- نصَّ الإمام أحمد ابن حنبل على أن "كلام الشافعي في اللغة حجة". راجع: الاقتراح في أصول النحو، ص48.

4- الخصائص، ج2، ص5.

وقد اعترف الباحثون المعاصرون بالعبء الثقيل الذي نهض به علماء العربية الأوائل في جمع المادة واستقراءها وتقسيمها وتسمية أقسام مفهوماتها، ثم وضع القواعد التي تصف جهات الاشتراك بين المفردات، مُقرّين لهم بأنهم قد أتمّوا ذلك كلّهُ على نحو يثير الإعجاب، وأنهم قد بذلوا فيه من الجُهد ما سوف يظلُّ أثره ملحوظاً أبَد الدهر⁽¹⁾.

المبحث الثالث

نشأة النحو

بعد جَمع اللغة والأدب بعض الجمع، جاء علماء النحو - وكانوا أيضاً علماء لغة وأدب؛ لأن هذه الفروع لم تنفصل وتحدّد ويتميز كل عالم بعلم منها إلا بعد العصر الأول - فأرادوا أن يضعوا للجزئيات ضوابط، فقد رأوا: (جاء علي، وذهب زيد، ودخل إبراهيم)، فسَمّوا ضمَّ ياء علي ودال زيد وميم إبراهيم رفعاً، وجعلوا الضمة علامة له، وسَمّوا هذه الكلمات فاعلاً، ووضعوا القاعدة العامة (الفاعل مرفوعٌ). وكذلك فعلوا في قواعد الصرف، وبذلوا في ذلك جُهداً غريباً في تتبع النصوص وإعمال الفكر واستخراج القاعدة، ولنا أن نتصوّر مقدار الجهد الذي بذلوه في تعريف أبسط قاعدة نتلقّاها اليوم.

ويمكن أن تُضاف إلى شيوع اللحن والفساد في اللسان العربي أسبابٌ أخرى أدّت إلى نشأة النحو؛ منها الرغبة في ضبط اللغة وتيسير تعلمها على الأعاجم الوافدين على الإسلام، ومنها أيضاً تفرُّغ الدولة للعلم والدرس بعد أن هدأت الفتوح في عهد الأمويين والعباسيين، وقد شجّع العلماء تلك الدراسات إلى حد أدى إلى منافسة كبيرة بين المشتغلين بالعلم.

1- راجع: اللغة بين المعيارية والوصفية، الدكتور تمام حسان، منشورات عالم الكتب، القاهرة - 2001، ص159.

ولم يكد رجال الطبقة الأولى من النحاة ينفُضون أيديهم من بعض التصنيفات النحوية الأولية كأقسام الكلام وحركات الإعراب ونحوها حتى وجد المَوالي الذين كانت اللغة الحاجز الأول الذي يحول بينهم وبين الإحساس بالزمالة الاجتماعية مع العرب، كما تحول بينهم وبين الوصول إلى المناصب الرفيعة في الدولة، وجدوا في تلك التصنيفات ضالتهم المنشودة التي تمكّنوا بواسطتها من تعلم لغة الدين والدولة والمجتمع جميعاً⁽¹⁾؛ وهذا ما يفسر لنا كون النحو في بداية أمره كان معدوداً ضمن علوم الموالى، إذ كان العرب يأنفون منه لأنه غَمِيزَة في سلائقهم⁽²⁾.

ويتعيّن في هذا المقام أن أنبّه إلى أن لفظ (الموالى) يعني هنا أساساً أولئك الذين يُسلمون من غير العرب على أيدي آخرين من العرب فيُنسبون إليهم، على الرغم من كونهم ليسوا عُتقاء لهم، بل لم يكونوا عبيداً قط⁽³⁾.

وهكذا انتزع الموالى الراية النحوية من أيدي العرب، فكانت جمهرة النحاة منهم، ونشأ النحو على أيديهم وصُنِع على أعينهم، فلا ترى بعد الطبقة الأولى نحاة عرباً

1- راجع: الأصول.. دراسة إستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، الدكتور تمام حسان، طبعة عالم الكتب، القاهرة - 2000، ص 27.

2- راجع: تاريخ آداب العربية، مصطفى صادق الرافعي، مكتبة الإيمان، القاهرة - 1997، ج 1، ص 17، وص 205.

3- راجع: كتاب الفهرست، أبو الفرج محمد بن إسحاق النديم، تحقيق: الدكتور أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامى، لندن - 2009، المجلد الأول، ص 105.

إلا قلة لا تكاد تُذكر؛ كأبي عمرو بن العلاء⁽¹⁾، والخليل بن أحمد⁽²⁾، وأبي عثمان المازني⁽³⁾، وعدد قليل يُعدُّ على الأصابع، وسرعان ما حوّل الموالى النحو العربي من

1- هو أبو عمرو بن العلاء بن عمّار بن العريان التيمي المازني، وهو من أشرف العرب ووجهائها، واختلف في اسمه لأنه كان لجلالته لا يُسأل عنه، وقيل اسمه كنيته. يروى عنه أنه طلب العلم قبل أن يُختن. وهو أحد القراء السبعة المشهورين، والستة الآخرون هم: نافع المدني، وابن كثير، وعاصم بن أبي النجود، وابن عامر اليحصبي، وحمزة الزيات، والكسائي النحوي. كان أبو عمرو بن العلاء إمام أهل البصرة في القراءات والنحو واللغة، وهو سيد الناس وأعلمهم بالعربية والشعر ومذاهب العرب، أخذ عن ابن أبي إسحاق؛ وكان أوسع علما بكلام العرب ولغاتها وغريبها من ابن أبي إسحاق. وعنه أخذ يونس بن حبيب. توفي سنة 154هـ وقيل سنة 159هـ. راجع: أخبار النحويين البصريين، ص22. والفهرست للنديم، م1، ص71. ومراتب النحويين، ص27. وطبقات النحويين واللغويين، ص35.

2- هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، نسبة إلى فراهيد بن مالك بن فهم بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد، وكان من أنفسهم؛ صحيح النسب، معروف الأهل. كان غاية في استخراج مسائل النحو وتصحيح القياس، وهو أول من استخرج العروض وحصر أشعار العرب بها، فلم يكن للعرب بعد الصحابة أذكى منه ولا أجمع، وهو أستاذ سيبويه الذي يحكي عنه في كتابه. كان من أزهد الناس وأعلاهم نفسا وأشدّهم تعففا، عاش من بستان له بخريبة البصرة ورثه عن أبيه. ولم يكن في علماء البصريين من قُطع عليه أنه منقطع القرن مثله. اختلفت المصادر في تحديد سنة وفاته ما بين 160 و175هـ، واختلفوا في عمره فمنهم من عدّه سبعين ومنهم من زاد عليها أربعا. راجع: الفهرست للنديم، م1، ص113. ومراتب النحويين، ص45 وما بعدها. وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة - 1965، ج1، ص556. والأعلام، ج2، ص314.

3- هو أبو عثمان بكر بن محمد بن حبيب بن بقية المازني الشيباني - وقيل: مولى بني سدوس - نزل في بني مازن فنُسب إليهم. أحد أئمة النحو لم يكن بعد سيبويه أعلم منه به، من فضلاء الناس وعظمائهم وروائهم وثقاتهم، أخذ عن الجرّمي وقيل عن الأخفش (سعيد بن

منهج علمي إلى منهج تعليمي، وشتان بين المنهجين؛ "فالنحو التعليمي يُعطي القواعد ويحتّم مراعاتها، والنحو العلمي يستقرئ الأمثلة ويستنبط منها القواعد، فالأول قياسي والثاني استقرائي، والأول معياري والثاني وصفي، والأول قاعدة تراعى والثاني بحثٌ يسجّل وصف اللغة أثناء عملها في مرحلة من مراحل وجودها"⁽¹⁾.

وبالسعي إلى تحقيق الغاية التعليمية وجدنا المؤدبين من النحاة يكتبون المختصرات منذ عهد الكسائي (ت189هـ)⁽²⁾، لا ليؤدبوا بها أبناء الخلفاء وأبناء أعيان الدولة فقط، ولكن ليجعلوا تعلم اللغة في متناول من شاء من الموالى والمؤلّدين على حدّ سواء، فكان من نتيجة ذلك أن دخل الموالى في زمرة المواطنين بعد أن كانوا يُعدّون من الغرباء.

وقد أدّى هذا العامل إلى نهوض الموالى بتبعية استكمال النحو خدمة للغة القرآن من جهة، وإنصافاً لبني جلدتهم من جهة أخرى، فكان من نتيجة ذلك مشاركة الموالى في الحياة العامة في العراق منذ نهاية العصر الأموي، حتى إذا قامت الدولة العباسية على أكتافهم استأثروا بالمكان الأول فيها، لأن لغة الدين والدولة كانت قد أصبحت ملكة عندهم فلم يقم الجهلُ بها حاجزاً بينهم وبين السلطة؛ وهكذا إذن أدت السياسة إلى رفع شأن الدراسة النحوية وأخضعتها للتطبيق فأنحرفت بها إلى

مسعدة)، وكان أبوه محمد بن حبيب نحويًا قارئًا. لم يناظر أبو عثمان أحداً إلا قطعه لقدرته على الكلام؛ ومن ذلك قطعه الأخفش في أشياء كثيرة ناظره فيها. توفي في البصرة واختلفوا في تحديد سنة وفاته ما بين 230 و249هـ. راجع: الفهرست للنديم، م1، ص162. وأخبار النحويين البصريين، ص57 ثم ص39 قبلها. وطبقات النحويين، ص87. وبغية الوعاة، ج1، ص463. ومراتب النحويين، ص92. والأعلام، ج2، ص69.

- 1- اجتهادات لغوية، الدكتور تمام حسان، طبعة عالم الكتب، القاهرة - 2007، ص13.
- 2- ألف الكسائي كتاباً سمّاه "مختصر النحو". راجع: الفهرست للنديم، م1، ص196.

الطابع التعليمي⁽¹⁾ الذي جعل النحو في عمومهِ نحوًا معياريًا لا نحوًا وصفيًا، وقد أدت الصبغة المعيارية لمنهج النحو إلى أن تتوقف دراسته على صورتها بعد أن اكتملت لها القواعد، وهو ما أدى إلى قول بعضهم: إن النحو نضج حتى احترق. وقد انضمت إلى نشأة النحو بواعث أخرى، بعضها قومي عربي يرجع إلى أن العرب يعتزّون بلغتهم اعتزازًا شديدًا، وهو ما جعلهم يحرصون على رسم أوضاعها خوفًا عليها من الفناء والذوبان في اللغات الأعجمية حين امتزجوا بالأعاجم. وبجانب ذلك كانت هناك دوافع اجتماعية ترجع - كما أسلفنا - إلى أن الشعوب المستعربة أحسّت الحاجة الشديدة إلى من يرسم لها أوضاع العربية في إعرابها. ومعنى كل ذلك أن بواعث متشابكة دفعت دفعًا إلى التفكير في وضع النحو، ولا بدّ أن نضيف إلى كل ذلك رُقيّ العقل العربي ونمو طاقته الذهنية نموًا أعدّه للنهوض برصد الظواهر اللغوية وتسجيل الرسوم النحوية تسجيلًا تطرّد فيه القواعد وتنتظم الأقيسة انتظامًا يهيئ لنشوء علم النحو ووضع قوانينه الجامعة المشتقة من الاستقصاء الدقيق للعبارات والتراكيب الفصيحة ومن المعرفة التامة بخواصها وأوضاعها الإعرابية⁽²⁾.

المبحث الرابع

واضح علم النحو

العلوم لا تظهر فجأة، بل تأخذ في الظهور رويدا رويدا حتى تستوي على سوقها، وهذا ما كان غالبا مدعاة لأن تغمض نشأة بعض العلوم ويلتبس على الناس واضعوها المبكّرون؛ وهذا نفسه ما حدث في من نسبت إليهم الخطوات الأولى في وضع

1- راجع: الأصول.. دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، ص 28.

2- راجع: المدارس النحوية، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة - 1968، ط 7، ص 12.

النحو العربي، وفي ذلك يقول السيرافي⁽¹⁾: "اختلف الناس في أول من رسم النحو؛ فقال قائلون: أبو الأسود الدؤلي، وقال آخرون: هو نصر بن عاصم⁽²⁾، وقال آخرون: عبدالرحمن بن هرمز⁽³⁾. وأكثر الناس على أبي الأسود الدؤلي"⁽⁴⁾.

وتضطرب الروايات في وضع أبي الأسود للنحو؛ فمنها ما يجعل ذلك من عمله وحده، ومنها ما يصعد به إلى علي بن أبي طالب، إذ يروون عن أبي الأسود نفسه أنه دخل على علي وهو بالعراق فرآه مطرقاً مفكراً، فسأله فيم يفكر؟ فقال له: سمعتُ ببلدكم لحناً فأردت أن أصنع كتاباً في أصول العربية، ثم أتاه بعد أيام فألقى إليه صحيفة فيها: (بسم الله الرحمن الرحيم، الكلام كله اسم وفعل وحرف، فالاسم ما أنبأ

1- أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي، مفسر كتاب سيبويه التفسير الذي لم يسبق إلى مثله. نحوي عالم بالأدب، أخذ النحو عن ابن السراج ومبرمان. مولده قبل السبعين ومائتين في (سيراف) من بلاد فارس، تفقه في عُمان، وولي القضاء ببغداد وفيها توفي سنة 368هـ. كان متعففاً لا يأكل إلا من كسب يده، ينسخ الكتب بالأجرة ويعيش منها. راجع: الفهرست للنديم، م 1، ص 183. وطبقات النحويين، ص 119. وبغية الوعاة، ج 1، ص 506. والأعلام، ج 2، ص 195.

2- نصر بن عاصم الليثي من قبيلة كنانة (ت 89هـ)، كان فقيهاً فصيحاً عالماً بالعربية أستاذاً في القراءة والنحو، من تلامذة أبي الأسود الدؤلي، وعنه أخذ أبو عمرو بن العلاء. راجع: الفهرست للنديم، م 1، ص 104. ونزهة الألباء، ص 23. والأعلام، ج 8، ص 24. وإنباه الرواة، ج 3، ص 343.

3- عبد الرحمن بن هرمز، المعروف بالأعرج، أحد علماء اللغة العربية التي أخذ علمها عن أبي الأسود الدؤلي، سمع من بعض الصحابة الذين أدركهم في المدينة، وأكثر من رواية الحديث النبوي عنهم. حفظ القرآن وعرضه على أبي هريرة وعبد الله بن عباس، وقرأه عليه نافع بن أبي نعيم المدني. توفي سنة 117هـ مرابطاً بالإسكندرية وقد جاوز عمره الثمانين.

راجع: الأعلام، ج 3، ص 340. وإنباه الرواة، ج 2، ص 172.

4- أخبار النحويين البصريين، ص 10.

عن المسمى، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل⁽¹⁾. ويقول القفطي⁽²⁾: "رأيت بمصر في زمن الطلب بأيدي الوراقين جزءاً فيه أبواب من النحو يُجمعون على أنها مقدمة علي بن أبي طالب التي أخذها عنه أبو الأسود الدؤلي"⁽³⁾؛ فالمسألة لم تقف عند سطور أو بعض أبواب نحوية تُذكر مجملتها، بل اتسعت لتُصبح مقدمة أو رسالة صنفها علي بن أبي طالب.

وقد تقف الروايات في الواضع الأول للنحو عند أبي الأسود الدؤلي، غير أنها تعود فتضطرب في السبب الذي جعله يرسمه، وفي حاكم موطنه البصرة الذي بعثه على هذا الرسم، والأبواب الأولى التي رسمها فيه؛ فمن قائل إن أبا الأسود سمع قارئاً يقرأ الآية الكريمة ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ بكسر اللام في (رسوله)،

1- راجع: نزهة الألباء، ص 18.

2- جمال الدين علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني القفطي، وزير مؤرخ، وُلد بقفط (من الصعيد الأعلى بمصر) وسكن حلب، فولي بها القضاء في أيام الملك الظاهر، ثم الوزارة في أيام الملك العزيز سنة 633 هـ، وكان جماعاً للكتب لا يحب من الدنيا سواها. توفي بحلب سنة 646 هـ. راجع: الأعلام، ج 5، ص 33.

3- إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، مصر - 1986، ج 1، ص 40.

فقال: ما ظننتُ أمر الناس يصل إلى هذا، واستأذن والي البصرة زِيَاد⁽¹⁾ أو ابنه عُبيد الله واليها من بعده⁽²⁾ - في أن يضع للناس رسم العربية.

وروي أن الذي أوجب على أبي الأسود الدؤلي الوضع في النحو أن ابنته قعدت معه في يوم قائف شديد الحر، فأرادت التعجب من شدة الحر، فقالت: "ما أشدُّ الحرَّ!"، فقال أبوها: "القيظ، وهو ما نحن فيه يا بُنية"؛ جواباً عن كلامها لأنه استفهام، فتحيرت وظهر لها خطؤها، فعلم أبو الأسود أنها أرادت التعجب، فقال لها: قلِي يا بُنية "ما أشدُّ الحرَّ!"⁽³⁾. وفي رواية أنه شكاً فساداً لسانها لعلّي بن أبي طالب، فوضع له بعض أبواب النحو وقال له: انحُ هذا النحو، ومن أجل ذلك سُمي العلم باسم النحو.

1- زِيَاد داهية من القادة الولاة، من أهل الطائف، واختلفوا في اسم أبيه؛ فقليل عُبيد الثقفي مولى الحارث ابن كَلْدَة، وقيل أبو سفيان. أدرك النبي (ﷺ) ولم يره، وأسلم في عهد أبي بكر (ﷺ). وولاه عليُّ بن أبي طالب (ﷺ) إمرة فارس، فتحصّن في قلاعها بعد مقتل عليٍّ ممتنعاً على معاوية (ﷺ) فما أطاقه إلا بالمدارة وإلحاقه بنسبه سنة 44هـ، فكان عضده الأقوى، وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق فلم يزل في ولايته إلى أن توفي سنة 53هـ. راجع: **الفهرست للنديم**، م 1، ص 277. و**وفيات الأعيان**، ج 6، ص 356. و**الأعلام**، ج 3، ص 53.

2- عُبيد الله بن زياد بن أبيه، وإلٍ شجاع خطيب جبار، وولاه معاوية خراسان سنة 53هـ، ثم نقله إلى البصرة واليا عليها سنة 55هـ، وأقرّه يزيد بن معاوية على إمارته سنة 60هـ فكان مقتل الحسين بن علي في عهده، وبعد موت يزيد سنة 65هـ وثب أهل البصرة على عُبيد الله فأفلت منها إلى الشام ثم عاد يريد العراق فلحق به إبراهيم بن الأشتر واقتتل جيشاهما في (خازر) من أرض الموصل حيث قُتل عبيد الله سنة 67هـ. راجع: **الأعلام**، ج 4، ص 193.

3- **طبقات النحويين واللغويين**، أبوبكر الزُّبيدي الأندلسي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة - 1973، ص 21. والزُّبيدي بالتصغير نسبة لقبيلة لا إلى البلد (زُبيد) التي بفتح الزاي، وقد وهم الزُّركَلِيُّ في كتابه القِيم (الأعلام) فخلط بين الزُّبيدي صاحب تاج العروس والزُّبيدي صاحب مختصر العين؛ والأخير توفي قبل الأول بثمانية قرون!

وقد يشرك بعض الرواة مع أبي الأسود في أولوية وضع النحو تلميذيه: نصر بن عاصم وعبد الرحمن بن هرمز، فيروون أن "أول من أصّل ذلك وأعمل فكره فيه أبو الأسود ظالم بن عمرو الدؤلي، ونصر بن عاصم، وعبد الرحمن بن هرمز، فوضعوا للنحو أبواباً وأصّلوا له أصولاً؛ فذكروا عوامل الرفع والنصب والخفض والجزم، ووضعوا الفاعل والمفعول والتعجب والمضاف. وكان لأبي الأسود في ذلك فضل سبق وشرف التقدم"⁽¹⁾. بل إن من الرواة من يُخرج أبا الأسود من دائرة أولوية وضع النحو، فينسبها إلى ابنه عطاء ويحيى بن يعمر معاً⁽²⁾.

المبحث الخامس

نَقَطُ المصاحف

قد يعود سبب الاضطراب في الروايات المتعلقة بوضع علم النحو إلى أن أبا الأسود نُسب إليه حقاً أنه وضع العربية؛ فظنّ بعض الرواة أنه وضع النحو، وهو إنما وضع أولاً نَقَطَ يحرّر حركات أواخر الكلمات في القرآن الكريم، وذلك بأمر من زياد ابن أبيه⁽³⁾، وقد اتخذ لذلك كاتباً فطنا حاذقاً من بني عبد القيس، وقال له: "إذا رأيتني قد فتحتُ فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه، فإن ضممت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف، فإن أتبعت شيئاً من

1- طبقات النحويين واللغويين، ص 11.

2- راجع: إنباه الرواة، ج 2، ص 380.

3- راجع: الفهرست للنديم، م 1، ص 104.

ذلك غُتَّة (تنوينا) فاجعل مكان النقطة نقطتين". وابتدأ أبو الأسود المصحف⁽¹⁾ حتى أتى على آخره بينما كان الكاتب يضع النقط بصبغ يخالف لونه لون المداد الذي كُتبت به الآيات⁽²⁾. وكان هذا الصنيع الخطير الذي سُمِّي باسم رسم العربية سببا في أن يختلط الأمر فيما بعد على الرواة فتظن طائفة منهم أن أبا الأسود رسم النحو أو شيئا من أبوابه، وهو إنما رسم إعراب القرآن الكريم عن طريق نَقْط أواخر الكلمات فيه.

ولكلمة النَّقْط معنيان متقاربان في الاصطلاح:

- 1- نَقْط الإعجام، وهو نَقْط الحروف في سمتها، للتفريق بين الحروف المشبهة في الرسم، كنقط الباء بنقطة من تحت، ونقط التاء باثنتين من فوق، ونقط الثاء بثلاث نقط من فوق.
 - 2- نَقْط الإعراب، أو نَقْط الحركات، وهو نَقْط الحروف للتفريق بين الحركات المختلفة في اللفظ، كجعل الفتحة نقطة من فوق الحرف، وجعل الكسرة نقطة من تحت الحرف، وجعل الضمة نقطة أمام الحرف أو بين يديه.
- وقد أشرك الأقدمون النوعين في الصورة بجعلهما نَقْطاً مدوَّراً من حيث اشتراكهما في المعنى والغاية، وهي التفريق والتبيين؛ تفريق الحروف المتشابهة بعضها من بعض، وتفريق الحركات المختلفة بعضها من بعض.

1- المصحف: الجامع للمصحف المكتوبة بين الدَّقَتَيْنِ كأنه أُصْحِفَ، واصطُلح على دلالة على الصحف المكتوب فيها القرآن خصيصة. وميمه مثلثة؛ تُضم وتُفتح وتُكسر. راجع: لسان العرب، ج9، ص186.

2- راجع: المحكم في نقط المصاحف، أبو عمرو الداني، تحقيق: د. عزة حسن، طبعة دار الفكر - دمشق، 1997، ص2.

ونقط الحركات هو المقصود بنقط المصاحف، ويبدو أن الصحابة هم الذين بدأوا به؛ فقد نقل أبو عمرو الداني عن الأوزاعي أنه قال: "سمعت قتادة يقول: بدؤوا فنقطوا، ثم خمّسوا، ثم عشّروا"⁽¹⁾، وعقّب الداني على ذلك بقوله: "هذا يدلُّ على أن الصحابة وأكابر التابعين، رضوان الله عليهم، هم المبتدئون بالنقط ورسم الخموس والعشور؛ لأن حكاية قتادة لا تكون إلا عنهم، إذ هو من التابعين"⁽²⁾. على أن الصحابة لم يضعوا للنَّقط طريقة خاصة اتبعوها حين بدأوا بنقط المصاحف، ولم يجعلوا النقط نظاما يشمل ألفاظ القرآن جميعا، بل يبدو أن عملهم كان محاولات تيسيرية فحسب، ومما يدل على ذلك أن أهل المدينة كانوا ينقُطون على غير النَّقط المعروف، وكذلك كان أهل مكة، فترك كلُّ منهم نَقْطه واتبعوا نَقْط أهل البصرة، وهو نَقْط أبي الأسود الدؤلي⁽³⁾.

وقد حمل هذا الصنيع عن أبي الأسود تلاميذه من قراء الذِّكر الحكيم، وفي مقدمتهم نصرُ بنُ عاصم⁽⁴⁾، وعبد الرحمن بنُ هُرْمَز⁽⁵⁾، ويحيى بنُ يَعْمَر⁽⁶⁾، وعنبسةُ

1- وضعوا علامة بعد كل خمس أو عشر آيات.

2- المُخَكَّم في نَقْطِ المصاحف، ص 2.

3- المرجع السابق، ص 7.

4- سبق التعريف به في الصفحة رقم 59.

5- سبق التعريف به في الصفحة رقم 59 كذلك.

6- هو أبو سليمان - وقيل أبو سعيد - يحيى بن يعمر العدواني، كان في عداد بني ليث لأنه حليف لهم. تابعي مأمون عالم بالقرآن الكريم والنحو ولغات العرب، أخذ النحو عن أبي الأسود الدؤلي، وعنه أخذ عبد الله بن أبي إسحاق القراءة، وكان ينطق بالعربية المحضة طبيعة فيه غير متكلف. وُلِد بالأهواز وتوفي بالبصرة سنة 129 هـ متوليا قضاءها من قبل الحجاج بن يوسف الذي له معه خبر لحنه في القرآن. و(يعمر) بفتح الميم؛ لكونها مضارع قولهم (عمر الرجل) إذا عاش زمنا طويلا، وإنما سُمي بذلك تفاؤلا بطول العمر، كما سُمي يحيى بذلك أيضا، وفيها الضم كذلك غير أنَّ الفتح أصحُّ وأشهر. راجع: الفهرست للنديم، م 1، ص 108.

الفيل⁽¹⁾، وميمون الأقرن⁽²⁾، فكلُّ هؤلاء نقطوا المصحف وأضافوا إلى ذلك عملاً جليلاً هو اتخاذ نُقْطٍ جديد للحروف المعجمة في المصاحف تمييزاً لها من الحروف المهملة؛ فقد ذكر الرواة أن الحجاج⁽³⁾ في ولايته على العراق (74-95هـ) أمر نصر

وفيات الأعيان وأبناء الزمان، ج6، ص173. وطبقات النحويين، ص27. والأعلام، ج8، ص177.

1- هو عنبة بن معدان المَهْرِيُّ مولى مَهْرَةَ بن حَيْدَانَ، المعروف بعنبة الفيل، ولفظ (الفيل) في اسمه مجرور بالإضافة إذ ليس صفة له، بل هو متعلق بأبيه معدان لكونه تقبّل بنفقة فيل أحد أكابر البصرة حينها فسُمي به. أخذ عنبة النحو عن أبي الأسود الدؤلي فكان أبرع من أخذ عنه، وعن عنبة أخذ ميمون الأقرن؛ واختلف الناس في عنبة وميمون أيهما مقدّم على الآخر في الفضل والعلم وسعة الرواية. راجع: الفهرست للنديم، م1، ص109. وأخبار النحويين البصريين، ص18. وإنباه الرواة، ج2، ص381. وبغية الوعاة، ج2، ص233. ومعجم الأدباء، ج5، ص2132.

2- قدّمه بعضهم على عنبة الفيل، زميله في الأخذ عن أبي الأسود الدؤلي، وعن ميمون أخذ عبدالله بن أبي إسحاق. راجع: أخبار النحويين، ص19. وإنباه الرواة، ج3، ص337. وذكر بعضهم أن ميمونا أخذ عن عنبة بعد أبي الأسود. راجع: مراتب النحويين، ص24. وإنباه الرواة، ج2، ص381.

3- هو الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، قائد داهية خطيب، وُلد في الطائف سنة 40هـ ونشأ فيها، ثم انتقل إلى الشام ولم يزل يظهر حتى وُلّاه عبدالملك بن مروان على مكة والمدينة والطائف ثم أضاف إليها العراق، وثبتت له الإمارة عشرين سنة. أخباره كثيرة، توفي سنة 95هـ في مدينة واسط التي بناها بين الكوفة والبصرة. راجع: وفيات الأعيان وأبناء الزمان، ج2، ص29. والأعلام، ج2، ص168.

ابن عاصم أو يحيى بن يعمر بإعجام حروف المصحف لتمييز الحروف بعضها من بعض⁽¹⁾.

وكلُّ من ذكرناهم من تلاميذ أبي الأسود كانوا من قراء الذكر الحكيم، وكان يُؤخذ عنهم النَّقْطَان جميعاً؛ نَقَطُ الإعراب ونَقَطُ الإعجام، وكان ذلك عملاً جليلاً حقاً، فقد أحاطوا لفظ القرآن الكريم بسياج يمنع اللحن فيه؛ وهذا ما جعل بعض القدماء يظن أنهم وضعوا قواعد الإعراب أو أطرافاً منها، وهم إنما رسموا في دَقَّة نَقَطِ الإعراب لا قواعد، كما رسموا نَقَطِ الحروف المعجمة من مثل الباء والتاء والثاء والنون⁽²⁾. واهتمامهم بالنَّقْط وتداولهم له جعل منه نظاماً له قواعد وأصول تُتَّبَع.

وكانت الطريقة التي وضعها أبو الأسود الدؤلي تقوم على نَقَطِ حركات الإعراب والتنوين في أواخر الكلم لا غير، ثم جاء الخليل بن أحمد⁽³⁾ بعد ذلك بقرن من

1- راجع: شَرْحُ مَا يَقَعُ فِيهِ التَّصْحِيفُ والتَّحْرِيفُ، أبو أحمد العسكري، تحقيق: أحمد عبدالعزيز، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، القاهرة - 1963م، ص 10.

2- راجع: المدارس النحوية، شوقي ضيف، ص 12.

3- الخليل بن أحمد (ت 175هـ) صاحب العقل الجبار المبتكر الذي قلَّ أن يوجد له نظير في علماء عصره، فقد عكف على العلم يخترع فيه ويستنبط أصوله من فروعه على طريقة لم يُسبق إليها، واكتفى من دنياه بالقليل من العيش متفرغاً للنحو حتى بسطه ومدَّ أطنا به وسبَّب علله وفتق معانيه، ورسم مصطلحاته وضبط قواعده، ثم لم يرض أن يؤلَّف فيه حرفاً متكفياً بما أوحى إلى سيبويه من علمه ولقنه من دقائق نظره ونتائج فكره، فحمل سيبويه ذلك عنه وتقلَّده وألَّف فيه الكتاب الضخم الكامل الذي راع مَنْ قبله ومَنْ بعده. ولا ينكر أحد ما لسيبويه من فضل، ولكن المهم أن واضع تخطيط علمي النحو الصرف وراسم لوحتيهما إنما هو الخليل، يتضح ذلك من محاوراته التي لا تكاد تنتهي مع تلميذه والتي تدور فيها مصطلحات العلمين وأبوابهما.

الزمان وابتدع علامات أخرى وزادها في هذه الطريقة، مثل علامات الهمز والتشديد والرّوم والإشمام⁽¹⁾. وقد قفا الناس في ذلك أثرهما، واتبعوا فيه سنتهما، وانتشر ذلك في سائر البلدان، وظهر العمل به في كل عصر وأوان⁽²⁾.

وقد انصرف الناس في العصور المتأخرة عن طريقة النقط المدوّر في ضبط المصاحف إلى طريقة الشكل المأخوذ من صور الحروف الذي وضعه الخليل بن أحمد واتبعه النحويون، لأنها أسهل وأقرب إلى فهم القارئ. وقد ظلّ أصحاب القراءة لا يتبعون طريقة الشكل في ضبط المصاحف مؤثرين عليها طريقة النقط المدوّر، اتّباعا للسلف من نُقاط المصاحف، ويتشددون في ذلك، ولكن هذا التشدد قد ضعف أمره مع تراخي الزمن، وابتغى الناس السهولة واليسر في ضبط المصاحف، فمالوا إلى طريقة الشكل.

والحق أن لموضوع النقط والشكل شأنًا خطيرًا؛ لأنه يكشف بعض النواحي التي كان يكتنفها الغموض في مسألة نشأة الكتابة العربية والنحو العربي، ويبين لنا مراحل

1- الرّوم هو إضعاف الصوت بالضمّة أو الكسرة بحيث يذهب معظم صوتها. أما الإشمام فهو ضمُّ الشّفتين بُعيدَ إسكان الحرف، كمن ينطق بالضمّة من غير تصويت دون تراخٍ، على أن يترك بين الشفتين فُرجة لخروج النفس بحيث يراه المبصر ولا يدركه الأعمى، فهو بذلك هيئة تُرى ولا تُسمع.

وفائدة الرّوم والإشمام بيانُ الحركة الأصلية التي تثبت في الوصل للحرف الموقوف عليه؛ ليظهر للسامع في حالة الرّوم، وللناظر في حالة الإشمام كيف تلك الحركة؛ ولذا فلا روم ولا إشمام في الحَلوة، ولذا أيضا لا يُضبطان إلا بالتلقي والسماع من أفواه الشيوخ المتقنين. راجع: كشف المشكل في النحو، علي بن سليمان الحيدرة اليمني، تحقيق: د. هادي عطية مطر، مطبعة الإرشاد، بغداد - 1984، ج2، ص208.

2- راجع: المحكم في نقط المصاحف، ص6.

تطورهما في الأدوار الأولى بصورة خاصة. وقد أهمل هذا الموضوع وضاعت أغلب الكتب المؤلفة فيه فلم ينتبه الدارسون في العصر الحديث إلى قيمته ومقدار فائدته في دراسة اللغة العربية ونحوها وكتابتها؛ ظنًا من بعضهم أن النقط والشكل أمران هينان لا وظيفة لهما إلا في ضبط القراءة في صحف القرآن القديمة التي حلت المصاحف محلّها.

المبحث السادس

أوائل النحلة

كان وضع أبي الأسود الدؤلي لنقط الإعراب باعثًا على التساؤل عن أسباب هذا الإعراب وتفسير ظواهره، وكان طبيعيًا أن تُشتق أسماء علامات النقط الخاصة بالإعراب من كلمات أبي الأسود لكاتبه "فتحتُ شفتي وضممتها وكسرتهما" فسميت على التوالي نَقط الفتحة ونَقط الضمة ونَقط الكسرة.

والأصل في كل علم أن تبدأ فيه نظرات متناثرة هنا وهناك ثم يتاح له من يصوغ هذه النظرات صياغة علمية تقوم على اتخاذ القواعد وما يُطوى فيها من أقيسة وعِلل. ويُعدّ ابن أبي إسحاق الحضرمي (ت 127هـ)⁽¹⁾ أوّل النحاة البصريين بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة، ذلك أن سيبويه قد سمى في كتابه من روى عنهم أصول النحو من

1- هو ابن أبي إسحاق، أبو بحر عبد الله بن زيد بن الحارث، مولى آل الحضرمي حلفاء بني عبد شمس بن عبد مناف، وقد اشتهر بكنية والده أبي إسحاق، ويُعرف أيضًا بالزّيادي. أحد الأئمة في القراءات والعربية، قيل إنه أعلم أهل البصرة وأعقلهم، وهو من فروع النحو وقاسه. راجع: الفهرست للنديم، م 1، ص 109-110. ومراتب النحويين، ص 26. ونزهة الألباء، ص 26. وإنباه الرواة، ج 2، ص 104. وبغية الوعاة، ج 2، ص 42. والأعلام، ج 4، ص 71.

الأئمة ولم يتجاوز الحضرمي إلى إمام قبله، فالحضرمي على هذا هو رأس البصرية. وهو ليس من تلاميذ أبي الأسود، ولكنه من القراء، ومن الملاحظ أن جميع نحاة البصرة الذين خلفوه يُسلّكون في القراء؛ كتلميذيه اللذين يتبعانه في هذه الأولوية المبكرة: عيسى بن عمر (ت 149هـ)⁽¹⁾ وأبو عمرو بن العلاء (ت 154هـ)⁽²⁾، وتلميذاهما: الخليل بن أحمد (ت 175هـ)⁽³⁾ ويونس بن حبيب (ت 182هـ)⁽⁴⁾، كل هؤلاء من

1- هو أبو عمر، عيسى بن عمر الثقفي، مولى خالد بن الوليد وإنما نزل في ثقيف فنُسب إليهم، (وليس بعيسى بن عمر الهمداني الذي من أهل الكوفة وتروى عنه قراءات). إمام في النحو والعربية والقراءة، كان ضريرا، أخذ عن أبي عمرو بن العلاء وعبد الله بن أبي إسحاق، وروى عن الحسن البصري والعجاج بن ربيعة، وأخذ عنه الخليل بن أحمد، وروى عنه الأصمعي. كان أفصح الناس لا يدع الإعراب لشيء، كما كان أحسن الناس نشيدا؛ وذاك ما جعل سَلَم بن قتيبة يستنشد به وهو أمير على البصرة فأنشده قصيدة الأخطل التي أوقع فيها بقبيلة قيس فلما مضى فيها انتبه فأقصر فقال له سَلَم: اضرب بها وجوهنا في ظلمة. راجع: **الفهرست للنديم**، م 1، ص 110. و**مراتب النحويين**، ص 33. و**بغية الوعاة**، ج 2، ص 237. و**طبقات الشعراء**، محمد بن سَلَم الجمحي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - 2001، ص 158.

2- سبق التعريف به في الصفحة رقم 56.

3- سبق التعريف به في الصفحة رقم 66.

4- هو أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب، مولى بني ضَبَّة وقيل مولى بني ليث وقيل مولى بني ضبيعة ابن بجالة، وهو من أهل جَبَل الواقعة بين بغداد وواسط لكنه كان لا يؤثر أن يُنسب إليها. وحبيب اسم أمه ولهذا لا يصرفونه، فإنه لا يُعرف له أب، ويقال إنه ولد مُلاعنة، ويقال إن حبيب اسم أبيه فينصرف؛ وهو في هذا كمحمد بن حبيب النسابة أيضا. كان يونس مقدما بارعا في النحو قوي الحفظ لا ينسى شيئا، وقد سمع من العرب وأخذ عن أبي عمرو بن العلاء، وكان شديد الاختصاص برؤية بن العجاج. كان أعلم الناس بتصاريف النحو، وله قياس في النحو ومذاهب ينفرد بها. سمع منه الكسائي والفراء، وروى عنه سيبويه كثيرا، واختلف إليه

القرّاء. ويكثر سيبويه (ت180هـ)⁽¹⁾ في كتابه من التعرض للقراءات، وكأنّ ما كان بينها من خلافات في الإعراب هو الذي أضرم الرغبة في نفوس قرّاء البصرة كي يضعوا النحو وقواعده وأصوله، حتى يتبين القارئ مواقع الكلم في أيّ الذكر الحكيم من الإعراب المضبوط الدقيق⁽²⁾.

أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي أربعين سنة يملأ كل يوم ألواح من حفظه؛ فقد عمّر يونس طويلا حتى جاوز المائة، ولم يتزوج ولم يتسرّ، ولم تكن له همة إلا طلب العلم ومحادثة الرجال. راجع: **الفهرست للنديم**، م1، ص111. و**وفيات الأعيان**، ج7، ص244. و**مراتب النحويين**، ص34. و**إنباه الرواة**، ج4، ص76.

1- هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، مولى بني الحارث بن كعب. أخذ النحو عن الخليل وعن عيسى بن عمر ويونس بن حبيب وغيرهم، وهو أعلم الناس بالنحو بعد الخليل؛ وكتابه (الكتاب) الذي عقد أبوابه بلفظه ولفظ الخليل يسميه الناس قرآن النحو. راجع: **فهرست النديم**، م1، ص142. و**مراتب النحويين**، ص73.

ولقبه (سيبويه) لم يلقب به أحد قبله؛ ومعناه بالفارسية (رائحة التفاح) أو (ذو الثلاثين رائحة). والمختوم بـ(ويه) من الأعلام كنفطويه وخالويه ومسكويه وراهويه، له استعمالان؛ أفصحهما بناءؤه على الكسر تغليبا لجانب الصوت، وقد يُعرب إعراب الممنوع من الصرف فلا يدخله خفض ولا تنوين. ويختلف المؤرخون اختلافا شديدا في تاريخ وفاة سيبويه؛ فمن قائل إنها سنة 161هـ، وقيل سنة 177 وقيل 180 وقيل 194، والأرجح أنها سنة 180هـ. راجع: **الكتاب (كتاب سيبويه)**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة، القاهرة - 1988، مقدمة المحقق.

2- راجع: **المدارس النحوية**، شوقي ضيف، ص18.

وتذكر كتب طبقات النحاة طائفة ممن عُنفوا بالعربية من معاصري تلاميذ أبي الأسود، لعل أشهرهم حمّاد بن سلمة البصري (ت 167هـ)⁽¹⁾ وكانت رواية الحديث تغلب عليه غير أنه كان عالماً بالنحو، ويروى أن يونس بن حبيب تتلمذ عليه وكذلك سيبويه، ولم ترو له كتب النحو آراءً نحوية⁽²⁾. ومثله معاصره الأخفش الأكبر (ت 177هـ)⁽³⁾ شيخ سيبويه والكسائي ويونس وأبي عبيدة معمر بن المثنى

1- هو حمّاد بن سلمة بن دينار، مولى ربيعة بن مالك. كان إماماً رأساً في العربية، فصيحاً بليغاً، كبير القدر، صاحب سنة، شديداً على المبتدعة، زاهداً حجة، روى له مسلم والأربعة. توفي سنة 164هـ. راجع: بغية الوعاة، ج 1، ص 548.

2- تذكر المصادر أن سبب توجه سيبويه إلى دراسة النحو أنه كان يستملي على حمّاد بن سلمة حديث رسول الله (ﷺ): {ليس من أصحابي إلا من شئت لأخذت عليه ليس أبا الدرداء}، فقال سيبويه: "ليس أبو الدرداء" ظناً منه أنه اسم (ليس)، فقال حمّاد: لحت يا سيبويه، ليس هذا حيث ذهبت، وإنما (ليس) ها هنا استثناء! فقال سيبويه: لا جرم، سأطلب علماً لا تلخني فيه؛ فلزم الخليل فبرع في النحو. راجع: أخبار النحويين البصريين، ص 34. والكتاب (كتاب سيبويه)، مقدمة المحقق، ص 7-8.

3- هو أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد، مولى قيس بن ثعلبة. أكبر الأخافشة الثلاثة المشهورين من النحاة، أما أوسطهم فأبو الحسن سعيد بن مسعدة، والثالث أبو الحسن علي بن سليمان؛ وسترّد ترجمة كلّ من الأخيرين في محلها. والخفش ضعف في البصر وصغر في العين خلقة. كان الأخفش الأكبر إماماً في العربية ديناً ورعاً ثقة، لقي الأعراب وأخذ عنهم وعن أبي عمرو بن العلاء وطبقته، وعنه أخذ أبو عبيدة وسيبويه وغيرهما، وله ألفاظ لغوية انفرد بنقلها عن العرب. راجع: بغية الوعاة، ج 2، ص 74. وإنباه الرواة، ج 2، ص 157. ونزهة الألباء، ص 44. وأخبار النحويين البصريين، ص 37. وطبقات النحويين، ص 40. ووفيات الأعيان، ج 3، ص 301.

جميعاً، وكانت تغلب عليه رواية اللغة وله ألفاظ منها انفرد بنقلها عن العرب، وقد أكثر سيبويه من الرواية عنه في كتابه، فقد روى عنه سبعة وأربعين مرة⁽¹⁾.

المبحث السابع

مذهب نحاة البصرة

البصرة أول مدينة عُنيَت باللغة وتدوينها واختراع القواعد لها، وقد سبقت البصرةُ بنحو مائة عام الكوفة التي جاءت بعدها لتؤسس مذهباً خاصاً يضاهي مذهب البصرة وينازعه.

بدأ مذهب البصرة بأبي الأسود الدؤلي (ت 69هـ) الذي وضع نَقْطَ الإعراب؛ وكان من تلاميذه عَنَبَسَةُ الفيل (ت 100هـ)، ونصر بن عاصم الليثي (ت 89هـ)، ويحيى بن يَعْمَرَ (ت 129هـ) الذي نُسب إليه ابتداء النحو في بعض الروايات.

ثم جاءت من بعدهم طبقة أخرى من أبي عمرو بن العلاء (ت 154هـ)، وعبد الله ابن أبي إسحاق الحضرمي (ت 117هـ).

1- راجع: سيبويه إمام النحاة، علي النجدي ناصف، منشورات عالم الكتب، القاهرة - 1979، ص 95.

ثم جاءت طبقة ثالثة هي طبقة عيسى بن عمر (ت149هـ)، والأخفش الأكبر (ت177هـ)، ويونس بن حبيب (ت182هـ)⁽¹⁾، وأبي جعفر الرُّؤاسي (ت187هـ) مؤسس المذهب النحوي الكوفي⁽²⁾، وأبي زيد النحوي (ت215هـ)⁽³⁾.

ثم جاءت طبقة رابعة هي طبقة الخليل بن أحمد (ت175هـ)، وسيبويه (ت180هـ)، والكسائي (ت189هـ) وهو أوضح شخصية في مذهب الكوفة النحوي⁽⁴⁾.

1- جميع الأعلام المذكورين آنفا تُرجم لهم في الصفحات السابقة.
2- أبو جعفر الرُّؤاسي هو مؤسس المذهب الكوفي في النحو، وهو أستاذ الكسائي والفراء. واسمه: محمد بن الحسن بن أبي سارة، وإنما سُمِّيَ بالرُّؤاسي لكبر رأسه، ويُعرف أيضا باسم النَّيْلِيِّ نسبة إلى بلدة في سواد الكوفة كان ينزلها تسمى النَّيْل، وهي ليست نيل مصر. وهو ابن أخي معاذ الهزّاء، وهم موالي محمد بن كعب القُرظي. كان الرُّؤاسي رجلا صالحا، أخذ العربية عن أبي عمرو بن العلاء، وتقدّم في النحو حتى قال الكسائي: "ما وجدتُ بالكوفة أحدا أعلم بالنحو من أبي جعفر الرُّؤاسي"، وهو أول من وضع من الكوفيين كتابا في النحو هو كتاب (الفصل) الذي تذكر الروايات أن الخليل بن أحمد بعث إلى الرُّؤاسي يطلبه منه فقرأه ووضع كتابه (العين)، وتذكر الروايات أيضا أن الرُّؤاسي هو المقصود بقول سيبويه في كتابه "قال الكوفي". راجع: إنباه الرواة، ج4، ص105.

3- أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت بن زيد بن قيس الخزرجي؛ جدُّه ثابت بن زيد (رضي الله عنه) شهد أحدًا والمُشاهد بعدها، وهو أحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد النبي (صلى الله عليه وسلم). كان أبو زيد ثقة عالما بالنحو، وله تصانيف كثيرة، وتذكر المصادر أنه العالم البصري الوحيد الذي أخذ عن الكوفيين؛ فقد روى في كتابه (النوادر) عن المفضل. وقد أخذ عن أبي زيد كل من الجرمي والمازني وأبي حاتم والتّوّزي والزيادي. راجع: إنباه الرواة، ج2، ص30.

4- سلفت ترجمة الخليل وسيبويه. أما الكسائي فهو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله ابن عثمان - وقيل: بهمن وبهمان وبهران - بن فيروز، مولى بني أسد، وإنما سمي الكسائي

هؤلاء هم أوضح مؤسسي المذهب البصري في النحو، وقد جعلوا طبقات في التلقي والأخذ، غير أن ذلك لا يمنع من أن أفراد الطبقة الواحدة قد تلقى بعضهم عن بعض، كما تلقى سيبويه عن الخليل مثلاً.

وكان عمل علماء المذهب البصري في بدايته لا يعدو إثارة مسائل متفرقة، والنقاش حول آية أو حديث أو بيت من الشعر ثم استخراج قاعدة، ولم يبدأوا التدوين إلا لاحقاً؛ وأسبق من نسب إليه التدوين منهم هو ابن أبي إسحاق الحضرمي الذي نسب إليه أنه كتب كتاباً في الهمز.

ثم جاءت الخطوة الثانية وهي جمع مسائل النحو المعروفة في كتاب، وقد ذكروا أن عيسى بن عمر الثقفي (ت 149هـ)⁽¹⁾ فعل ذلك فألف كتابين سَمَّى أحدهما الجامع والآخر الإكمال، وفي ذلك نسب الرواة إلى الخليل بن أحمد قوله:

بطلَ النحوُ جميعاً كلُّهُ غير ما أحدث عيسى بنُ عمرُ
ذاك "إكمالٌ" وهذا "جامعٌ" فهما للناس شمس وقمر⁽²⁾

لكونه أحرم في كساء أو لكونه كان يحضر مجلس معاذ الهَرَاء والناس عليهم الحلل وعليه كساء. أحد القراء السبعة المشهورين، وإمام الكوفيين في اللغة والنحو. تعلّم النحو على الكبر، فلزم معاذ الهَرَاء حتى أنفذ ما عنده ثم خرج إلى البصرة فلقى الخليل وجلس في حلقة، ثم خرج إلى البادية يأخذ عن أهلها لغتهم حتى تبحر فيها. أخذ عنه الفراء، وقال عنه الشافعي: "من أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي". استوطن بغداد فاتصل بالمهدي وأدب ابنه الرشيد ثم الأمين بعده، وكان ذا حظوة عندهم جميعاً. وبلغ عمره سبعين سنة واختلف في تاريخ وفاته؛ فقليل سنة 180هـ، وقيل 183، وقيل 189هـ. راجع: طبقات النحويين، ص 127. وبغية الوعاة، ج 2، ص 162. وإنباه الرواة، ج 2، ص 256. ونزهة الألباء، ص 58.

1- سبق التعريف به في الصفحة رقم 69.

2- راجع: طبقات النحويين واللغويين، ص 23. وهناك بيت ثالث يُكمل معنى البيتين ورد في الصفحة 42 من المرجع ذاته؛ ونصه: وهما بابان صاراً حكمة = وأراحا من قياس ونظر.

ويبدو أن كتابي عيسى ابن عمر كانا محاولة أولية للجمع، أما الفضل فيه فيعود إلى الخليل بن أحمد (ت175هـ) صاحب العقل الجبار المبتكر الذي قلّ أن يوجد له نظير في علماء ذلك العصر، فقد عكف على العلم يخترع فيه ويستنبط أصوله من فروع على طريقة لم يسبق إليها، واكتفى من دنياه بالقليل من العيش متفرغا للنحو حتى بسطه ومدّ أطنا به وسبّب علله وفتق معانيه، ورسم مصطلحاته وضبط قواعده، يهتدي في ذلك ببصيرته النافذة التي أتاحت له وضع علم العروض وضعاً تاماً بحيث لم تستطع الأجيال التالية أن تضيف إلى صنيعه شيئاً⁽¹⁾، ثم لم يرض أن يؤلّف في النحو حرفاً مكثفياً بما أوحى إلى سيبويه من علمه ولقّنه من دقائق نظره ونتائج فكره، فحمل سيبويه ذلك عنه وتقلّده وألّف فيه الكتاب الضخم الكامل الذي راع من قبله ومن بعده؛ حتى قال فيه المازني: من أراد أن يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستح⁽²⁾.

وقد سجّل سيبويه في كتابه كثيراً من بحوث شيخه الخليل حتى كأنه كان موكلاً بالألا يترك له رأياً مهماً يتصل بقواعد علمي النحو والتصريف ومسائلهما إلا دونه، حتى قال القدماء إن كتاب سيبويه من تصنيفه وتصنيف أستاذه الخليل. وكلُّ من يقرأ الكتاب يُحسّ في وضوح أن الأصول وأمّات المسائل النحوية والصرفية من عمل الخليل⁽³⁾، وكأنه بالقياس إلى سيبويه كان الكنز الذي لا ينفد، ولا ينكر أحد

1- زاد الأخفش الأوسط في العروض بحر الخبب، فأضحت البحور ستة عشر بعد أن كان الخليل قد وضعها خمسة عشر فقط. غير أن الأخفش يُعدُّ مُجايلاً للخليل، فهو أسنُّ من سيبويه الآخذ عن الخليل؛ وبذلك يخرج عن قيد الأجيال التالية، وتفصيل ذلك يرد لاحقاً في ترجمته.

2- راجع: الفهرست للنديم، م1، ص143.

3- المرجع السابق، ص57.

ما لسيبويه من إكمال في العلمين وتتميم، ولكن المهم أن واضع تخطيطهما ورأسم لوحتهما إنما هو الخليل، يتضح ذلك من محاوراته التي لا تكاد تنتهي مع تلميذه والتي تدور فيها مصطلحات النحو والصرف وأبوابهما، وهو الذي سمّى علامات الإعراب في الأسماء باسم الرفع والنصب والخفض، وسمّى حركات المبنيات باسم الضم والفتح والكسر، ولا يخفى ما في ذلك من فائدة الإيجاز والاختصار⁽¹⁾.

والحق أن سيبويه لم يقتصر في كتابه على أقوال الخليل بل ذكر كثيرا من أقوال غيره من العلماء؛ فهو ينقل كثيرا عن يونس حتى ينقل عنه أبوابا برمتها، ويحكي أقوال أبي عمرو بن العلاء ويوازن بينها وبين قول الخليل ويونس، ويروي عن الأخفش، ويقول حدثني من أثق بعربيته؛ ويعني بذلك أبا زيد الأنصاري⁽²⁾، وأحيانا يروي عن العرب مباشرة.

ويعدُّ كتاب سيبويه أعظم إنتاج المذهب البصري في النحو، ذلكم المذهب الذي تتابع عمل أصحابه لعدّة طبقات إلى أن تغيرت الأمور السياسية وأصبحت بغداد مركز النشاط العلمي والسياسي؛ فانتقل إليها العلماء⁽³⁾.

ولبُّ الأمر أنّ تقعيد القواعد النحوية والصرفية في اللغة العربية انطلق في عصر بدأ بأبي الأسود الدؤلي ثم سيبويه، وليس من الصواب أن ننسب إلى أي فرد بعينه ممن

1- راجع: مفاتيح العلوم، أبو عبد الله الخوارزمي، القاهرة - 1930، ص 29. وقد نسب ابن يعيش تسمية علامات الإعراب إلى سيبويه. راجع: شرح المفصل للزمخشري، ج 1، ص 72.

2- راجع: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت - 1987، ج 11، ص 156.

3- راجع: نتائج الفكر في النحو، ص 11.

عاشوا في هذا العصر أنه أنشأ النحو العربي أو الصرف العربي؛ وأن كتاب سيبويه كان نتاج ذلك العصر أكثر مما كان نتاج سيبويه، ولكن فضل سيبويه يتضح في بسط المادة وفي التبويب⁽¹⁾.

المبحث الثامن

مذهب نحاة الكوفة

جاء الكوفيون فوجدوا بناء النحو قائماً مكتملاً، والطريق معبدةً مطروقةً؛ فلم يكن أمامهم إلا أن يختاروا بين أمرين: أن يقبلوا النحو البصري كما تلقّوه عن شيوخ البصرة، ويقفوا من البصريين موقف التلاميذ متناسين الفارق بين النزعة البصرية العقلية والنزعة الكوفية النقلية، أو أن يكونوا أمناء على طابعهم النقلي فيخالفوا على البصريين في بعض الأصول التي يابها هذا الطابع، وفي الفروع والمسائل المبنية على هذه الأصول. وقد اختار الكوفيون طريق الأصالة والخلاف⁽²⁾؛ فنشأ بالكوفة مذهب نحوي أسّسه أبو جعفر الرّؤاسي (ت187هـ)، تلميذُ عيسى بن عمر (ت149هـ)، وقام هذا المذهب على مبدأ خاص هو احترام النص والتزامه، على عكس مذهب البصرة القائم على احترام القياس وإجرائه وبسطه⁽³⁾. وقد وضع أبو جعفر الرّؤاسي كتاباً في النحو لم يصل إلينا⁽⁴⁾؛ وعاوناه تلميذاه عليّ بن حمزة الكسائي (ت189هـ) ويحيى بن زياد

1- راجع: اللغة بين المعيارية والوصفية، ص160.

2- راجع: الأصول.. دراسة إستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، ص37.

3- راجع: المدارس النحوية، شوقي ضيف، ص18.

4- راجع: طبقات النحويين واللغويين، ص125.

الفراء (ت 207هـ)⁽¹⁾، في تدعيم مذهبه النحوي حتى أصبح له كيان مستقل يميزه عن مذهب البصرة.

وكان الفراء أبرع الكوفيين في علمهم، ومستحق التقدم فيه؛ لأنه حمل العربية على الألفاظ والمعاني معاً، خلافاً لسيبويه رائد البصريين الذي عمل كلام العرب على المعاني وحدها وترك الألفاظ. فقد كان الفراء يرى أن "كل مسألة وافق إعرابها معناها، ومعناها إعرابها فهو الصحيح"، وهذا رأي لا مطعن فيه؛ ألا ترى أن قولنا (مات زيد) لو حملناه على المعنى لوجب أن نقول (مات زيداً) لأن الله هو الذي أماته، ولكننا حملناه على اللفظ فأردنا (سكنت حركات زيد)⁽²⁾. وصدق أبو العباس ثعلب حين قال إنه "لولا الفراء ما كانت عربية؛ لأنه حصنها وضبطها، ولولا الفراء لسقطت العربية؛ لأنها كانت تُتنازع ويدّعيها كل من أراد، ويتكلم الناس على مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب. وأدركنا العلماء يردّون في العلم أقاويل العلماء؛ ثم تكون العلل بعد، ثم رأينا الناس بعد ذلك يتكلمون في العلم بآرائهم ويقولون: نحن نقول، فيأتون بالكلام على طباعهم وبحسب ما يحسن عندهم، وهذا سبب ذهاب العلم وبطلانه"⁽³⁾. ومن

1- وردت ترجمة الكسائي سابقاً. أما الفراء فهو أبو زكرياء يحيى بن زياد بن قرايخت بن داود بن كودناد، مولى بني منقر، الديلمي وقيل العبسي. كان أبرع الكوفيين وأعلمهم، ألف كتاباً في النحو من ستين جزءاً هو كتاب (الحدود) أملاه من حفظه في مجالس دامت ست عشرة سنة لم يُر خلالها في يده كتاب إلا مرة واحدة. عاش ثلاثاً وستين سنة، فقد وُلد سنة 144هـ وتوفي سنة 207هـ. وليس لقب الفراء مشتقاً من مهنة، فلم يكن يعمل الفراء ولا يبيعها؛ وإنما قيل له الفراء لأنه كان يفري الكلام. راجع: **الفهرست للنديم**، م 1، ص 198 وما بعدها. وإنباه الرواة، ج 4، ص 7. وكتاب **الأنساب**، أبو سعد عبد الكريم السمعاني، مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند - 1977، ج 10، ص 156.

2- راجع: **الفهرست للنديم**، م 1، ص 131.

3- المرجع السابق، ص 132. ووفيات الأعيان، ج 6، ص 176.

أصحاب مذهب الكوفة: الأحمرُ عليُّ بن المبارك (ت194هـ)⁽¹⁾ وابن سعدان (ت231هـ)⁽²⁾ وابن السِّكِّيت (ت246هـ)⁽³⁾. وقد رأينا أنَّ أصحاب هذا المذهب

1- هو علي بن المبارك - وقيل ابن الحسن - الكوفي، الشهير بالأحمر؛ وليس هو علي بن حازم اللحياني كما وهم صاحب الفهرست. كان الأحمر في أول أمره جنديا من رجال النوبة على باب الرشيد، فكان يرصد مصير الكسائي إلى دار الرشيد ويعرض له قبل وصوله إلى الستر فيسأله عن المسألة بعد المسألة ولم يزل كذلك حتى قوي وتمكّن، وحين أصاب الكسائيَّ الوضخُ كره الرشيدُ ملازمته أولاده وأمره أن يرتاد لهم من ينوب عنه، فاختر الأحمر سداً للطريق أمام سيبويه والأخفش؛ فكان الأحمر يختلف إلى الكسائي كل عشية فيتلقّن ما يحتاج إليه أولاد الرشيد ويغدو عليهم فيلقّنهم، ولم يزل كذلك حتى صار نحويا وجلّت حاله وعُرف بالأدب حتى قدّم على سائر أصحاب الكسائي، ولم يكن له ذكر قبل ذلك ولا يُعرف. وحيث أُطلق السيوطي في جمع الجوامع فإنما يعني الأحمر. راجع: **الفهرست للنديم**، م1، ص132. وإنباه الرواة، ج2، ص313. وبغية الوعاة، ج2، ص158.

2- هو أبو جعفر محمد بن سعدان الضرير النحوي المقرئ، بغدادى المولد كوفي المذهب. كان ثقة من أكابر القراء، قرأ بقراءة حمزة قبل أن يختار لنفسه قراءة. أخذ عنه ابن المُرزبان وغيره، وروى عنه عبد الله بن أحمد بن حنبل وغيره. وله كتاب (مختصر النحو) وكتاب (القراءات). راجع: **الفهرست للنديم**، م1، ص210. ونزهة الألباء، ص123. وإنباه الرواة، ج3، ص140. وبغية الوعاة، ج1، ص111.

3- هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، مصنّف كتاب (إصلاح المنطق)، وأبوه إسحاق كان عالما من أصحاب الكسائي وهو المعروف بالسِّكِّيت لدوام صمته؛ وهما من الخوز المنسوبين إلى خوزستان وهي البلاد التي بين فارس والبصرة. كان يعقوب ابن السكيت من أهل الفضل والدين، موثوقا بروايته، أخذ عن البصريين والكوفيين، وكان عالما بنحو الكوفيين وعلم القرآن والشعر. واختلف في تاريخ وفاته بين سنتي 243 و246 هـ، ولم تختلف الروايات في كونه قد بلغ ثمانيا وخمسين سنة حين قتله الأتراك ضربا ودهسا بين يدي المتوكل وبأمر منه. راجع: **الفهرست للنديم**، م1، ص219. وطبقات النحويين، ص202. وإنباه الرواة، ج4، ص56. وبغية الوعاة، ج2، ص349.

يعتمدون النصّ ولو خالف الكثرة والغالب من النصوص، ويحترمون نطق الأعراب في عهدهم ولو شدّ؛ وهذا ما يفسر أنه قد كثر لديهم الشعر المصنوع⁽¹⁾.

وبذا يتضح أن مذهب البصريين في النحو ظلّ قائماً وحده إلى أن جاء أبو جعفر الرّؤاسي فأسس المذهب الكوفي، ثم دعمه تلميذاه الكسائي والفراء فظهر كيان المذهب بهما؛ ومن هنا يتضح أن مؤسسي المذهب الكوفي قد تلقّوا عن البصريين.

وكان للكوفيين الحظوة عند الخلفاء والأمراء أكثر مما كان للبصريين؛ فالكسائي رئيس المذهب الكوفي كان ذا حظوة عظيمة عند الرشيد لتأديبه إياه⁽²⁾، وكان الأحمر مؤدّب الأمين⁽³⁾. وكان الفراء معلّم أولاد المأمون⁽⁴⁾، وكان ابن السكّيت نديم المتوكل ومعلم أولاده⁽⁵⁾، وكان ثعلبُ ذا مكانة لدى أمراء بني طاهر في خراسان، خاصة منهم محمد بن عبد الله بن طاهر⁽⁶⁾.

1- راجع: نتائج الفكر، ص12.

2- راجع: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص62.

3- المرجع السابق، ص134.

4- راجع: وفيات الأعيان، مرجع سابق، ج6، ص178.

5- راجع: طبقات النحويين واللغويين، مرجع سابق، ص202.

6- راجع: إنباه الرواة، ج1، ص181. وقد تشكّلت الدولة الطاهرية في خراسان على يد "عبد الله بن طاهر" الذي عيّنه المأمون سنة 207هـ واليا على خراسان بعد وفاة أبيه طاهر الذي كان واليا عليها، وتعدّ الدولة الطاهرية نمطاً فريداً من أساليب الحكم، إذ لم تكن دولة منفصلة تماماً عن الخلافة، كما لم تكن أيضاً ولاية تابعة بشكل مباشر لسلطة الخليفة، يعيّن عليها الولاة أو يعزلهم، وإنما كانت إمارة شبه مستقلة يحكمها أمير يتوارث أبنائه الإمارة من بعده.

المبحث التاسع

أبرز الفروق بين البصريين والكوفيين

أبرز الفروق بين المذهبين هي أن البصري رأى أن أهمَّ غرضٍ وَضَعُ قواعدَ عامةٍ للغة، يلتزمها ويريد من غيره السير عليها في دقة وحزم. وبما أن اللغات لا تلتزم دائما القواعد العامة بل فيها مسائل لا يمكن أن تجري على القاعدة، وخاصة اللغة العربية التي هي لغة قبائل متعددة تختلف لهجاتها اختلافا كبيرا؛ فقد أراد البصريون تمشيا مع غرضهم أن يهدروا الشواذ، فإذا ثبتت صحتها قالوا إنها "تحفظ ولا يُقاس عليها"؛ فهم مثلا إذا رأوا (استجاد) و(استزاد) و(استخار) و(استعار) ورأوا الأكثر يجري على هذا النسق، ثم رأوا (استصوب) و(استحوذ) عدّوا الأخير شذوذا يُحفظ ولا يُقاس عليه. وإذا رأوا (إنَّ) تنصب الاسم وترفع الخبر غالبا ثم رأوها في بعض المواضع لا تسير هذا السير مع الوثوق بصحة ما ورد من نحو ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرَانِ﴾⁽¹⁾ ألزموا الناس باتباع الأغلب، مع محاولة تأويل ما ورد تأويلا يتفق وقواعدهم ولو بتكلف⁽²⁾.

1- سورة طه، الآية 63.

2- لم يجرئ الإشكال في هذه الآية على قراءة أبي عمرو البصري، فقد قرأها: (إنَّ هذين لساحران) وعلى هذه القراءة تُعرب (إنَّ) أداة نصب وتوكيد، و(هذين) اسم إنَّ منصوب بالياء لأنه مثنى. وإنما أتى الإشكال في قراءة حفص وابن كثير؛ اللذين قرآها: (إنَّ هذان لساحران)، وفي قراءة الباقيين اللذين قرؤوها: (إنَّ هذان لساحران) بتشديد النون؛ والإشكال في هاتين القراءتين هو أن اسم (إنَّ) و(إنَّ) لا بدَّ أن يكون منصوبا وهنا أتى مرفوعا بالألف فاستلزم التوجيه، فمما وجهوها به:

- أنَّ (إنَّ) بمعنى نَعَمْ، و(هذان) مبتدأ. و(إنَّ) التي بمعنى نَعَمْ لا تعمل شيئا، كما أن (نَعَمْ) كذلك، ف(هذان) مبتدأ مرفوع بالألف، و(ساحران) خبر لمبتدأ محذوف، أي: لهما ساحران،

فالبصريون يفضلون القياس ويؤمنون بسلطانته ويهدرون ما عداه؛ فإذا رأوا لغتين إحداهما تسير مع القياس والأخرى لا تسير عليه فضّلوا التي تسير عليه وضعّفوا من قيمة غيرها، أما الكوفيون فلا يسلكون هذا المسلك بل يحترمون كل ما جاء عن العرب ويجيزون للناس أن يستعملوا استعمالاتهم ولو كان الاستعمال لا ينطبق مع القواعد العامة، بل يجعلون هذا الشذوذ أساساً لوضع قاعدة عامة؛ فلو سمعوا بيتاً واحداً فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلاً وبوّبوا عليه، فهم أكثر تجويزاً للوجوه المختلفة في المسائل المختلفة، فإذا سمعوا مثلاً:

والجملة خبر (هذان) ولا يكون (لساخران) حَبَرَ (هذان) لأن لام الابتداء لا تدخل على خبر المبتدأ.

- أن الأصل (إنه هذان لهما ساخران)؛ فالهاء ضمير الشأن، وما بعدها مبتدأ وخبر، والجملة في موضع رفع على أنها خبر "إنَّ" ثم حُذِفَ المبتدأ وهو كثير، وحُذِفَ ضمير الشأن كما حذَفَ من قوله (ﷺ): "إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون"، ومن قول بعض العرب: "إنَّ بك زيدٌ مأخوذ".

- أن (إن) مؤكدة و(هذان) اسمها منصوب بالألف على لغة من يُلْزَمون المثنى الألف في كلِّ حال.

- أنه لما تُنْثِي "هذا" اجتمع ألفان: أَلِفُ هذا، وألف التثنية، فوجب حذف واحدة منهما لالتقاء الساكنين؛ فمن قَدَّرَ المحذوفة ألف "هذا" والباقية ألف التثنية قلبها في الجر والنصب ياء، ومن قَدَّرَ العكس لم يغير الألف عن لفظها.

- أنه لما كان الإعراب لا يظهر في الواحد - وهو "هذا" - جُعِلَ كذلك في التثنية؛ ليكون المثنى كالمفرد لأنه فرعٌ عليه.

راجع: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، الإمام اللغوي النحوي جمال الدين ابن هشام، تحقيق: محمد أبو فضل عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت - 2001، ص 32.

لكنه ساقه أن قيل ذا رجبٍ ياليت عِدَّةَ حَوْلٍ كَلَّه رجبا⁽¹⁾
وضعوا لذلك قاعدة مع أنه شاذ؛ لكونه وصفَ الحول وهو نكرة بـ(كله) وهو معرفة.
أما البصريون فيردون عليهم أن هذا البيت شاذٌ لا يُقاس عليه.

وقد كان الكوفيون أكثر رواية للشعر، لذا كان الشعر المصنوع أكثر لديهم منه لدى
البصريين، وواضح أن البصريين كانوا أكثر حرية وأقوى عقلا، وكانوا يريدون أن يضعوا
نظاما ثابتا للغة ثم يقضوا على كل أسباب الفوضى من رواية ضعيفة أو موضوعة. أما
الكوفيون فقد كانوا أقلَّ حرية وأكثر احتراما للغة ونصوصها، وأقوى تقديرا لطبيعة
اللغات من أنها ليست خاضعة لقانون منتظم وإنما قانونها السماع، خاصة وأن اللغة
العربية لغة قبائل متعددة متباعدة ولا يعقل أن نُخطئ العربي الذي يتكلم بالسجية
والذي نريد أن ندرس لغته!

وقد نتج عن الاختلاف بين المذهبين اختلاف في الفروع النحوية، كاختلافهم
مثلا في اشتقاق كلمة (الاسم) التي يرى البصريون أنها مشتقة من السمّ، ويراها
الكوفيون مشتقة من الوسم. ومثل أن المصدر أصل الاشتقاق عند البصريين، والفعل
أصل الاشتقاق عند الكوفيين.

1- البيت لعبد الله بن مسلم بن جندب الهذلي. راجع: شرح أشعار الهذليين، أبو سعيد
الحسن بن الحسين السكري، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مراجعة: محمود أحمد شاكر،
مطبعة المدني، القاهرة - 1965، ج2، ص910. ومجالس ثعلب، أبو العباس أحمد بن
يحيى ثعلب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، طبعة دار المعارف، القاهرة - 1948،
ج2، ص407.

وكان البصريون أكثر اعتداداً بأنفسهم، وأكثر شعوراً بالثقة، وأشدَّ ارتياباً في ما يرويه الكوفيون؛ لذلك كان الكوفي يأخذ عن البصري ولكن البصري يتحرّج أن يأخذ عن الكوفي⁽¹⁾، فلا تذكر المصادر أحداً من البصريين أخذ عن أهل الكوفة شيئاً من علم العرب إلا أبا زيد سعيد بن أوس الأنصاري، فإنه روى عن المفضل الضبي⁽²⁾.

وكان القدماء يعرفون هذه الفروق الجوهرية بين المذهبين معرفة دقيقة، ونصّوا على ذلك بعبارات مختلفة، من ذلك قول ابن سَلَّام الجُمحي (ت 231هـ)⁽³⁾: "وكان لأهل البصرة في العربية قُدْمة بالنحو وبلغات العرب والغريب عناية"⁽⁴⁾.

1- راجع: مراتب النحويين، ص 107-108.

2- راجع: أخبار النحويين البصريين، ص 45.

3- هو محمد بن سَلَّام بن عُبيد الله بن سالم، مولى قدامة بن مظعون الجمحي القرشي. إخباري أديب صدوق، روى عن حمّاد بن سلمة، وروى عنه عبد الله بن أحمد بن حنبل وغيره، وهو في الطبقة الخامسة من اللغويين البصريين، ويُعدّ كتابه (طبقات الشعراء) أول مؤلف في النقد الفني للشعر العربي. راجع: الباب في تهذيب الأنساب، عزّ الدين ابن الأثير الجزري، مكتبة المثنى، بغداد - 2004، ج 1، ص 291. وطبقات النحويين واللغويين، ص 180.

4- طبقات الشعراء، محمد بن سَلَّام الجمحي، ص 29.

ويصرّح ابن النديم (ت380هـ)⁽¹⁾ في هذا المجال بما هو أكثر وضوحاً، إذ يستهل حديثه عن نحاة الكوفة ولغويها قائلاً: "إنما قدمنا البصريين أولاً لأن علم العربية عنهم أُخذ"⁽²⁾.

وقد سعى بعض المستشرقين إلى إرجاع نشوء النحو في البصرة إلى النحو السرياني واليوناني والهندي، غير أنه يستحيل إثبات شيء من ذلك إثباتاً علمياً، خصوصاً والنحو العربي يدور على نظرية العامل وهي لا توجد في أي نحو أجنبي، ولكن ذلك لا ينفي أن نحاة البصرة الأوائل ربما عرفوا أن لبعض اللغات الأجنبية نحواً؛ فحاولوا أن يضعوا نحواً للعربية راجعين في ذلك إلى ملكاتهم العقلية التي كانت قد رقيت رُقياً بعيداً بسبب ما وقفوا عليه من الثقافات الأجنبية، خصوصاً الفلسفة اليونانية وما يتصل بها من المنطق، مما دعم عقولهم دعماً قوياً، وجعلها مستعدة لأن تستنبط قواعد النحو وعلله وأقيسته⁽³⁾.

وقد تأتت للبصرة من الصلة بهذه الثقافات في القرن الثاني للهجرة ما لم يتأت للكوفة؛ فقد كانت مرفأً تجارياً للعراق على خليج العرب، فنزلتها عناصر أجنبية كثيرة سرّعت

1- هو أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق الوراق المعروف بالنديم. كان والده ورّاقاً يتّجر في الكتب في سوق الوراقين في بغداد، وقد انتقلت مهنة الوالد إلى الابن؛ فذلك ما يتضح من طبعة كتابه (الفهرست) الذي مثل مصدراً لا غنى عنه لجميع المؤلفين الذين اهتموا بذكر مصنفات العلماء الذين عاشوا في القرون الأربعة الأولى للإسلام؛ فلم يستطيعوا الفكّ من أسرهِ أو أن يضيفوا إليه إلا في حالات قليلة ونادرة، كما اتبعوا طريقته ومنهجه عند تناولهم العلماء المصنفين اللاحقين. وُلد ابن النديم في بغداد بين سنتي 315هـ و320هـ وتوفي فيها سنة 380هـ. راجع: كتاب الفهرست، م1، ص11.

2- الفهرست للنديم، م1، ص191.

3- راجع: المدارس النحوية، شوقي ضيف، ص20.

وصلها بثقافات المختلفة. وكانت البصرة أيضا أقرب من الكوفة إلى مدرسة جُنْدَيْسَابُور⁽¹⁾ التي كانت تُدرس فيها الثقافات اليونانية والفارسية والهندية، مما جعل روافد من تلك الثقافات تصبّ فيها، ولذلك كان طبيعيا أن نجد فيها أقدم المترجمين من أمثال ماسرجويه⁽²⁾، وابن المقفّع بعده (ت143هـ)⁽³⁾ الذي ترجم إلى اللغة العربية أروع ما في الفارسية من كنوز تاريخية وأدبية، كما ترجم منها كلية ودمنة الهندية الأصل، وكذلك منطق أرسططاليس.

وبذلك نفهم السرّ في أن عقل البصرة كان أدقّ وأعمق من عقل الكوفة وكان أكثر استعدادا لوضع العلوم، إذ سبقتها إلى الاتصال بالثقافات الأجنبية وبالفكر اليوناني وما وضعه أرسططاليس من المنطق وحدوده وأقيسته. فعقل كل من البلدين كان مختلفا: عقل مصبوغ بالصبغة الفلسفية المنطقية، وعقل لا يرتفع إلى هذه المنزلة إلا في حدود ضيقة؛ لذلك كان طبيعيا أن يصاغ النحو - وهو البصري النشأة - في أدق صورة علمية ممكنة على نحو ما في كتاب سيبويه، وهي صياغة لم تستطع العصور

1- معنى (جنديسابور) معسكر سابور، نسبة إلى سابور الأول بن أردشير الذي حكم بلاد فارس بدءًا من سنة 241م إلى سنة 272م.

2- تذكره بعض المصادر باسم (ماسرجيس)، طبيب نقل من السريانية إلى العربية كتبها طيبة. راجع: **الفهرست للنديم**، م3، ص299.

3- هو عبد الله بن المقفّع، فارسي الأصل واسمه قبل إسلامه رُوزبه. كان في نهاية الفصاحة والبلاغة، كاتبًا شاعرا فصيحًا، أحد النُقَلَة من اللسان الفارسي إلى العربي مضطلعا باللغتين فصيحًا بهما. مات أيام المنصور العباسي، قتله سفيان بن معاوية حرقا بالنار. راجع: **الفهرست للنديم**، م1، ص367.

التالية أن تضيف إليها إلا بعض تعريفات وبعض تسميات، أما الأصول والقواعد والضوابط والأسس فإنها ظلت قائمة كالأطواد الراسخة⁽¹⁾.

المبحث العاشر

تأصيل مصطلحي المذهب والمدرسة

شاع في دراسة تاريخ النحو العربي في العصر الحديث استعمال تعبير "المدارس النحوية" وأُطلق على ما يعرف قديماً بـ(الكوفيين) و(البصريين)؛ فقل (مدرسة البصرة) و(مدرسة الكوفة)، وتوسّع بعضهم فجعل المدارس خمسا، إذ أضاف (مدرسة بغداد) و(مدرسة مصر) و(مدرسة الأندلس)، وقال بعضهم بـ(مدرسة القيروان) و(المدرسة الإفريقية). وأنكر بعضهم وجود المدارس إنكاراً باتاً، ولم يمتض إلى إنكارها مدرسة مدرسة، بل ذهب إلى إنكار مقدمة ذلك؛ وهو وجود (مدرسة كوفية) تقابل (المدرسة البصرية)، ورأى أن منهج درس النحو منهج واحد؛ فهو إذن مدرسة واحدة.

ولو تثبّت الباحثون في هذا الموضوع وتبيّنوا وترسّثوا لما اتسع هذا الاتساع وامتدّ هذا الامتداد؛ ذلك أننا حينما ننظر في مصطلح "المدرسة" نجد أن له استعمالين أحدهما حقيقي والآخر مجازي، فأما الحقيقي فهو الذي يدلّ على مكان الدرس وطلابه وشيوخه، فـ"المدرسة" اسم مكان على وزن "مفعلة" لما يكثر فيه الدرس، وصوّغ اسم المكان على هذا الوزن يعني إرادة الكثرة والتكرار، وهكذا يقال "مجزرة" لمكان جزر الحيوانات؛ لتكرر ذلك ودوامه وكثرته، ومن الوزن ذاته جاءت كلمة "مطبعة" و"مكتبة"⁽²⁾. وقد عرف الإسلام في تاريخه مؤسسة المسجد التي كان

1- راجع: المدارس النحوية، شوقي ضيف، ص 21-22.

2- راجع: شذا العرف في فنّ الصرف، أحمد بن محمد بن أحمد الحملاني، دار الكيان

— الرياض، د.ت، ص 133.

المسلمون يجلسون فيها بعد أداء الفرائض على شكل حلقة ليأخذوا العلم عن إمامهم؛ لذا فالمدرسة الحقيقية في الإسلام هي المسجد.

أما الاستعمال المجازي لكلمة "المدرسة" فيعني أن شيخًا من الشيوخ يمثل مدرسة بنفسه، دلالة على غزارة علمه وفهمه، أو أن مجموعة من الشيوخ وتلامذتهم يمثلون مدرسة. وقد اشتهر في الفكر الإسلامي استعمال كلمة المذهب للدلالة على أصالة الرأي وحرية التفكير، فيذهب الرأي مذاهب شتى وحينما يصبح له أتباع يسمى باسم من وسَّعه وبسطه للناس، وقد اشتهر هذا في الفقه الإسلامي، فمذاهبه هي في حقيقتها مدارس فقهية، لكن اصطُح على تسميتها (مذاهب).

وإذا كانت المدرسة - بمعناها المجازي السالف ذكره - ليست إلا أستاذًا مؤثرًا وتلاميذًا متأثرين، اجتمعوا على تحقيق غرض واحد ونهجوا للوصول إليه منهجًا واحدًا؛ فهي إذن عبارة عن اتجاه له خصائص مميزة ينادي بها فرد أو جماعة من الناس ثم يعتنقها آخرون، وبذلك يمكن القول إن الخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين كان على أشده إبان القرن الثالث الهجري، وفي نهاية القرن المذكور بدأ مذهب البغداديين في الظهور، وانتهى مجد البصرة والكوفة في دراسات النحو ومذاهبه، بعد أن بدأ علماء المدينتين يرحلون إلى بغداد ويُدرسون النحو فيها، فغلب أهل الكوفة على بغداد وحدثوا الملوك فقدّموهم⁽¹⁾؛ وبذلك يكون الاجتهاد في النحو قد خُتم بالمبرّد البصري (ت285هـ) وتغلب الكوفي (ت291هـ)⁽²⁾. غير أن ذلك لم يحل

1- راجع: مراتب النحويين، ص109.

2- راجع: أخبار النحويين البصريين، ص7. وقد سبقت الترجمة للمبرّد، أما تغلب فهو أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيّار، مولى بني شيبان. إمام الكوفيين في النحو واللغة، كان ثقة حجة صالحا دينًا مشهورا بالحفظ وصدق اللهجة والمعرفة بالغريب ورواية الشعر القديم، مقدّمًا عند الشيوخ مذ هو حدثٌ. ابتدأ طلب العربية واللغة وهو ابن ست عشرة سنة،

دون أن يكون من بين البغداديين من ظهرت عليه النزعة البصرية؛ كالزجاج (ت316هـ)⁽¹⁾ وابن السراج (ت316هـ)⁽²⁾ وابن دُرَيْد (ت321هـ)⁽³⁾ وغيرهم، كما

وحذفها وحفظ كتب الفراء كلها حتى لم يشذ عنه حرف منها وعمره حينها لم يتجاوز الخامسة والعشرين، وكان يُعنى بالنحو أكثر من عنايته بغيره. ولم يكن مع علمه موصوفاً بالبلاغة فكان إذا كتب كتاباً إلى أحد لم يخرج عن طباع العوام في كتبهم؛ وبذلك فسّر ختته أحمد بن جعفر الدينوري سبب امتناع ثعلب عن لقاء المبرد وهما شيخي وقتهما؛ مخافة أن يُحكم له عليه، فالمبرد حسن العبارة، ومذهب ثعلب مذهب المعلمين فلم يكن يعلم مذهب البصريين في استخراج القياس ولا طالبا له، وإذا سئل عن الحجة والحقيقة لم يأت بشيء. توفي سنة 291هـ عن إحدى وتسعين سنة. راجع: **الفهرست للنديم**، م1، ص225. **وإنباه الرواة**، ج1، ص173. **وطبقات النحويين**، ص215.

1- هو أبو إسحاق إبراهيم بن السري، ولُقّب بالزجاج لأن خطر الزجاج كان مهنته بداية أمره. أحد أكابر أهل العربية، وهو أقدم أصحاب المبرد قراءة عليه، وانتهت إليه الرياسة في النحو بعد المبرد. حاز منزلة عظيمة لدى المعتضد بعد تفسيره - بأمر منه واقتراح من المبرد - جداول كتاب (جامع النطق - أو المنطق) الذي عمله محبرة النديم. وقد اختلف في تحديد سنة وفاة الزجاج؛ ف قيل 310 وقيل 311 وقيل 316هـ. راجع: **الفهرست للنديم**، م1، ص175. **ونزهة الألباء**، ص183. **وأخبار النحويين البصريين**، ص80.

2- هو أبو بكر محمد بن السري السراج. قرأ كتاب سيبويه على المبرد وكان أحدث أصحابه سناً وأشدهم ذكاءً وفطنة؛ فكان المبرد يميل إليه ويقرّبه ويشرح له ويأنس به. اشتغل بالموسيقى ثم رجع إلى الكتاب ونظر في دقائق مسائله معوّلاً على مسائل الأخفش والكوفيين ومخالفاً أصول البصريين في مسائل كثيرة. ويقال: مازال النحو مجنوناً حتى عقله ابن السراج بأصوله. انتهت إليه الرئاسة بعد موت الزجاج، وأخذ عنه الزجاجي والسيرافي والفارسي والرماني، ولم تطل مدته فقد مات شاباً. راجع: **الفهرست للنديم**، م1، ص181. **وبغية الوعاة**، ج1، ص109.

3- هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دُرَيْد الأزدي، من أزد عُمان. وُلد في البصرة سنة 223هـ، وقرأ على علمائها وأخذ عنهم. كان أعلم الناس في زمانه باللغة والشعر وأيام العرب وأنسابها،

لم يحل أيضا دون أن يكون من بينهم من ظهرت عليه النزعة الكوفية في دراسة النحو؛ كالحامض (ت305هـ)⁽¹⁾ واليزيدي (ت313هـ)⁽²⁾ وابن الأنباري (ت328هـ)⁽³⁾ وغيرهم.

وتصدّر في العلم ستين سنة. وكان شاعرا مُكثرًا؛ فمن ذلك مقصورته المشهورة، لذا كان يقال إنه أعلم الشعراء وأشعر العلماء. تُوفي في بغداد سنة 321هـ. راجع: **الفهرست للنديم**، م1، ص178. و**مراتب النحويين**، ص99. و**نزهة الألباء**، ص191. و**طبقات النحويين واللغويين**، ص183.

1- هو أبو موسى سليمان بن محمد بن أحمد، وإنما قيل له الحامض لشراسته أخلاقه. كان أحد المذكورين من العلماء بنحو الكوفة، أخذ عن أبي العباس ثعلب وصحبه أربعين سنة وجلس موضعه وخلفه بعد موته، وكان قد أخذ عن البصريين أيضا فخلط النحويين لكنه كان يتعصب على البصريين فيما أخذ عليهم في عربيتهم. راجع: **الفهرست للنديم**، م1، ص240. و**إنباه الرواة**، ج2، ص21. و**بغية الوعاة**، ج1، ص601.

2- هو أبو عُبيد الله محمد بن العباس بن محمد بن يحيى بن المبارك. كان إماما في النحو والأدب عالما بالعربية، أدبيا فاضلا، حاملا لعلم سلفه اليزيديين، مصدقا في حديثه. وُلد سنة 230هـ، وتوفي سنة 310هـ أو سنة 313هـ. ويحيى المذكور في سلسلة نسبه هو رأس سلالة اليزيديين وهو المعروف بأبي محمد اليزيدي، كان مولى لبني عدي بن عبد مناة بن تميم، وليس منهم أيضا وإنما كان نازلا فيهم، وقد نُسب إلى يزيد بن منصور الحميري خال المهدي، لأنه كان مؤدبا لأولاده. راجع: **الفهرست للنديم**، م1، ص138. و**طبقات النحويين**، ص65. و**بغية الوعاة**، ج1، ص124.

3- هو أبوبكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن الأنباري. كان من أعلم أهل زمانه بالأدب واللغة، ومن أكثر الناس حفظا للشعر والأخبار حتى قيل إنه كان يحفظ ثلاثمائة ألف بيت شاهد في القرآن. ولد في الأنبار سنة 271هـ التي إليها نُسب، وتوفي في بغداد سنة 328هـ. وقد كان أبوه أيضا محدثا ثقة، صاحب لغة وعربية، وبرع الابن وألف الكتب

ولم يمنع هذا بطبيعة الحال دون وجود بغداديين جمعوا بين النزعتين فلم يتعصبوا لواحدة على الأخرى بل حكّموا الرأي والدليل؛ فكانوا نواة لنشأة المذهب البغدادي في النحو، ومن هؤلاء: ابن قتيبة (ت296هـ)⁽¹⁾ وابن كيسان (ت299هـ)⁽²⁾

وسُمع عليه في حياة أبيه المتوفى سنة 304هـ. راجع: طبقات النحويين، ص153 و ص208. والأعلام، ج6، ص334.

1- هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة المروزي الكوفي، وإنما سُمي بالدينوري لأنه كان قاضي الدينور التي يُنسب إليها جماعة كثيرة من أهل الأدب والحديث، وهي مدينة غير بعيدة من همدان. كان من أئمة الأدب، عالما باللغة والنحو وغريب القرآن ومعانيه والشعر والفقه، كثير التصنيف والتأليف، صادقا فيما يرويه. توفي سنة 270هـ وقيل سنة 276 وقيل 296. راجع: الفهرست للنديم، م1، ص235. ومراتب النحويين، ص101. وطبقات النحويين، ص183. والأعلام، ج4، ص137.

2- هو أبو الحسن محمد بن أبي سليمان أحمد المعروف بكيسان الهجيمي، والكيسان لغة سَعْدِيَّة في العَدْرِ، وكيسان ليس باسم جده إنما هو لقب أبيه. كان بصريا كوفيا خلط المذهبين النحويين، وأخذ عن ثعلب والمبرد وقيل إنه أضحى أنحى منهما. ومن جملة كتبه: كتاب المسائل على مذهب النحويين مما اختلف فيه الكوفيون والبصريون. توفي سنة 299هـ. وعُدَّ أبوه كيسان نحويا أيضا. راجع: الفهرست للنديم، م1، ص247. وأخبار النحويين البصريين، ص80. وطبقات النحويين، ص153. ومراتب النحويين، ص103. ومعجم الأدباء، ج5، ص2308.

والأخفش الأصغر (ت315هـ)⁽¹⁾ والزَّجَّاجِيَّ (ت340هـ)⁽²⁾ وابن شُقَيْرٍ (ت317هـ)⁽³⁾ وابن الخياط (ت320هـ)⁽¹⁾.

1- هو أبو الحسن عليُّ بن سليمان بن الفضل، النحوي المعروف بالأخفش الأصغر. كان عالمًا ثقة قرأ على ثعلب والمبرّد واليزيدي وأبي العيناء، وكان حافظًا للأخبار، يضجر كثيرا إذا سُئِلَ عن مسائل النحو وينتهر من يواصل مساءلته ويتابعها. أقام بمصر بضع عشرة سنة ثم انتقل إلى حلب فأقام بها خمس سنين ومنها انحدر إلى بغداد وتوفي فيها فجأة سنة 315هـ وهو ابن ثمانين أو نحوها، ويقال إن سبب موته أن ضيق ذات اليد ألجأه إلى أكل السلجم نيئًا فقبض على قلبه فمات، والسلجم اللفت. وكان ابن الرومي يهجو كثيرا بسبب مباركته له بما يتطير منه، فكان الأخفش يحفظ هجاءه ويورده في جملة ما يملئ من الأخبار والأشعار، فلما رأى ابن الرومي أنه لا يَأْلَمُ لهجائه أقصر عنه. ومن صفات الأخفش هذا أنه كان أجلع، أي لا تنضم شفتاه على أسنانه. راجع: **الفهرست للنديم**، م1، ص256. و**طبقات النحويين**، ص115. و**وفيات الأعيان**، ج3، ص301. و**بغية الوعاة**، ج2، ص167. و**معجم الأدباء**، ج4، ص1770.

2- هو عبد الرحمن بن إسحاق، أبو القاسم الزَّجَّاجِيَّ منسوب إلى شيخه إبراهيم الزَّجَّاج للزومه إياه حتى برع في النحو، وهو صاحب كتاب **الجُمْل** في النحو الذي انتفع به الطلبة وصنّف فيه **البَطْلِيوسِي** كتابه (**الحُلل**، في إصلاح الخلل، الواقع في كتاب **الجُمْل**). والزَّجَّاجِيَّ نهاوندي أصله من الصَّيْمَرَة ونزل بغداد ثم سكن طَبْرِيَّة، وأملَى وحدّث بدمشق عن الزَّجَّاج ونفطويه وابن دُرَيْد وأبي بكر بن الأنباري والأخفش الصغير وغيرهم. وقد اختلفت الروايات في تحديد سنة وفاته ما بين 337هـ و340هـ. راجع: **طبقات النحويين**، ص119. و**بغية الوعاة**، ج2، ص77. و**إنباه الرواة**، ج2، ص160.

3- هو أبو بكر ابن شُقَيْرٍ، تتَّحد المصادر في كنيته وتختلف في تحديد اسمه؛ فمنها من جعله محمداً، ومنها من جعله أحمد، ومنها من جعله عبد الله، والأول أرجح. وهو على كل حال ابن الحسين - أو الحسن - بن العباس بن الفرّج بن شُقَيْرٍ. نحوي بغداديّ من طبقة ابن السَّرَّاج، مشهور بين النحاة مذكور، خلط المذهبين وتصدّر فأفاد. روى كتب الواقدي عن أبي عَصِيدَة أحمد بن عبيد بن ناصح، ويقال إنه مؤلّف كتاب (**المحلّى**) المنسوب للخليل.

والمتتبع لمناهج مؤرخي النحو والنحاة يتضح له أنهم لم يستعملوا كلمة (مدرسة) في تصنيفهم المجموعات النحوية، فهم إما أن ينسبوا أفراد تلك المجموعات إلى البلد الذي ظهوروا فيه؛ فهم (بصريون) و(كوفيون) و(أهل بغداد) و(مصريون) و(أندلسيون) ومن (أهل قرطبة) ومن (أهل دمشق)، وإما أن يستعملوا كلمة (مذهب) فيقولوا: المذهب الكوفي ومذهب البصريين⁽²⁾.

ويُعدُّ المستشرق "جوتهولد فيل" - Gotthold Wail⁽³⁾ أول من استخدم مصطلح "المدرسة" بدل المذهب، وذلك في المقدمة التي وضعها لكتاب "الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين لأبي البركات الأنباري" المطبوع سنة 1913؛ فقد أورد في تلك المقدمة تعبير "المدرسة البصرية" و"المدرسة الكوفية"،

توفي سنة 317هـ. راجع: طبقات النحويين، ص 116. وأخبار النحويين البصريين، ص 80. وبغية الوعاة، ج 1، ص 302. ومعجم الأدباء، ج 1، ص 232. وإنباه الرواة، ج 1، ص 69. ج 2، ص 135. ج 3، ص 151.

1- هو أبو بكر محمد بن أحمد بن منصور الخياط. أحد النحاة الذين خلطوا المذهبين البصري والكوفي، ناظر الزجاج، وأخذ عنه الزجاجي وأبو علي الفارسي، وكان حميد الأخلاق طيب العشرة محبوب الخلقة. أصله من سمرقند وقدم بغداد ثم انحدر إلى البصرة وتوفي فيها سنة 320هـ. راجع: الفهرست للنديم، م 1، ص 249. وأخبار النحويين البصريين، ص 80. وبغية الوعاة، ص 48.

2- راجع: المدارس النحوية، خديجة الحديثي، ط 3، دار الأمل، الأردن - 2001م، ص 7.
3- مستشرق ألماني (ت 1889م) أقام في باريس يأخذ العربية عن علماء المستشرقين، وانتقل إلى الجزائر ثم إلى مصر حيث اشتغل مدرسا ومترجما. ولما عاد إلى بلاده عمل في مكتبة (هايدلبرغ) ثم عُين استاذا للتاريخ الشرقي في جامعتها سنة 1837. نشر بالعربية كتاب (الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين) للأنباري، وترجم إلى الألمانية عدة كتب منها سيرة ابن هشام، وله بالألمانية كتب في تاريخ الشعوب الإسلامية وفي تاريخ الخلفاء. راجع: الأعلام، ج 2، ص 143.

قاصداً بمصطلح "المدرسة" الاشتراك في وجهة النظر الذي يؤلف الجبهة العلمية ويربط العلماء بعضهم ببعض على رأي واحد. ثم تبعه في ذلك "كارل بروكلمان - Carl Brockelmann"⁽¹⁾ الذي أراد بـ"المدرسة" مجموعة النحويين الذين كانوا ينتمون إلى بيئة نحوية واحدة.

1- مشرق ألماني (1868 - 1956) عالم بتاريخ الأدب العربي، امتاز بقوة الذاكرة إذ يكاد يحفظ كل ما يقرأ. أحرز الدكتوراه في الفلسفة واللاهوت، وأخذ العربية واللغات السامية عن كبار المستشرقين من أمثال (نولدكه)، ودرّس في عدة جامعات ألمانية، كما درّس العربية في معهد اللغات الشرقية في برلين، تقاعد سنة 1935 وعمل أميناً لمكتبة الجمعية الألمانية للمستشرقين. كان من أعضاء المجمع العلمي العربي وكثير من المجمع والجمعيات العلمية في ألمانيا وغيرها، وصنّف بالألمانية (تاريخ الأدب العربي) في مجلدين وأتبعهما بملحق في ثلاث مجلدات، كلفته جامعة الدول العربية بإدخال الملحق في الأصل ونقلهما إلى العربية فباشر ذلك ولكنه لم يكمله بسبب المرض، فتولى ترجمة كتابه عبد الحليم النجار الذي أنجز الأجزاء الثلاثة الأولى من الكتاب ثم أدركته الوفاة قبل إكماله. ولبروكلمان (تاريخ الشعوب الإسلامية) وكتاب في (نحو اللغة العربية) بالألمانية، و(معجم للغة السريانية) و(قواعد السريانية). ومما نشر بالعربية (عيون الأخبار) لابن قتيبة، و(طبقات ابن سعد) ورسالة (ما تلحن فيه العوام) للكسائي. راجع: **الأعلام**، ج 5، ص 211. يُذكر هنا أنه في سنتي 1981 و1982 حصل الباحث الألماني الجاد المجتهد، الذي نذر نفسه لخدمة التراث الموريتاني الدكتور (إريخ روبشتوك) على منحة بحثية في موريتانيا؛ من بين أهدافها التعرف على مخطوطات موريتانيا وتصوير ما يراه الباحث والفريق البحثي الذي كان معه مهّداً بالزوال أو له تأثير خاص على التاريخ والثقافة الموريتانيين، وبعد عودته إلى بلاده نشر ثلاثة مجلدات ضخام تحت عنوان "تاريخ الآداب البيضانية" أراد منها تكميل عمل مواطنه كارل بروكلمان "تاريخ الأدب العربي" الذي استثنى منه موريتانيا جهلاً وقلة تواصل. وآمل أن تتم ترجمة عمل روبشتوك من لغته الأصلية الألمانية إلى اللغة العربية حيث سيجد القارئ إحصاء دقيقاً لكل مؤلفات هذا الفضاء الحساني الذي يبدأ من الساقية الحمراء غرباً وينتهي شرقاً في إقليم أزواد مروراً بقلبه موريتانيا.

وإذا كان المستشرقون، لاسيما الألمان منهم، قد عكفوا بجدٍّ ودأبٍ على دراسة التراث العربي الإسلامي اللغوي وغير اللغوي، وشخصوا اتجاهات الدرس النحوي ومذاهبه فيما أطلقوا عليه مصطلح (مدارس نحوية) إلا أنهم لم يفرّدوا دراسات مستقلة لهذه "المدارس" أو "المذاهب" أو "البيئات الجغرافية" على نحو ما فعل الدارسون العرب الذين حدّوا حدّوا رائدهم المرحوم الدكتور مهدي المخزومي⁽¹⁾، الذي كتب منتصف القرن العشرين بجامعة القاهرة أطروحة للدكتوراه عن "مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو"، ولم يدّر في خَلده حينها أنه كان يؤسس لسلسلة من الدراسات في هذا الباب؛ من قبيل "مدرسة البصرة" و"المدرسة البغدادية" و"الدرس النحوي في بغداد" و"المدرسة الأندلسية" و"النحو في مصر والشام" و"نشأة الدراسات النحوية واللغوية في اليمن" وسواها من الدراسات والعنوانات التي تدور في هذا المجال⁽²⁾.

وبما أن ما بين البصريين والكوفيين لا يعدو الخلاف في الفروع دون الأصول، فما يتفقون عليه أكثر وأهمُّ مما يختلفون فيه؛ لذا فنحن أمام نحو عربي واحد وإن تعددت أقوال علمائه واختلفت مذاهبهم، ولا يحق لنا الزعم بوجود مدرسة كوفية تختلف عن المدرسة البصرية، فعلماء المصيرين البصرة والكوفة متفقون على النظرية المفسرة لظاهرة التصرف الإعرابي وهي نظرية العامل، وهم متفقون على نظرية العلاقات التركيبية وهي نظرية النظم، وهم متفقون في نظرية التحولات وهي نظرية الأصل والفرع، صحيح أنهم قد يختلفون في نوع العامل اللفظي هو أم معنوي، وقد يختلفون في جواز تقديم الفاعل على فعله، والخبر على المبتدأ، وقد يختلفون في ألفاظ بعض

1- عالم باللغة العربية والنحو، ولد في النجف عام 1917 وتوفي عام 1993، نال درجة الدكتوراه في اللغة العربية من جامعة القاهرة عام 1953. حقق بالاشتراك مع الدكتور إبراهيم السامرائي كتاب "العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي.

2- راجع: المدارس النحوية، خديجة الحديثي، ص 13.

المصطلحات اختلافًا لا يخلّ بمفاهيمها، كما قد يختلفون في تفسير بعض الظواهر؛ ولكن هذا الاختلاف واقع بين علماء المصّر الواحد، فقد يخالف البصري البصري، وقد يخالف الكوفي الكوفي، وهو اختلاف نشهده اليوم في ترجمة المصطلحات اللسانية، بل في مفاهيم المصطلحات أنفسها؛ إذ «لا يوجد اتفاق بين اللسانين على المصطلحات»⁽¹⁾. وقد «أغفل المعنيون بتأسيس المدارس النحوية المزعومة حقيقة أن النحاة بصريين وكوفيّين قد التقوا في مسائل كثيرة، وتداخل علم هؤلاء بعلم أولئك، فقد وافق الكسائي البصريّين في مسائل كثيرة، كما وافق الفراء البصريّين في مسائل عدة ... كما وافق الأخفش الكوفيّين في مسائل معروفة، وكذلك ابن السراج في موافقاته للكوفيّين، فإذا كان هذا فهل يجترئ أحدهما ويزعم أن للكوفيّين (مدرسة)، ودلالة (المدرسة) في كل علم معروفة، وهي في جملتها تتجاوز الخلاف على الفروع!»⁽²⁾.

ألا يحق لنا بعد هذا أن نقول: إنه ليس لدينا مدارس نحوية، بل نحو أصيل متصل إلى يومنا هذا؛ لأن كل ما قيل عن وجود مدارس نحوية تجوّز وتسامح، فالحق العربي نشأ في البصرة ورُسمت أسسه وقواعده فيها، ونهض بهذه المهمة شيوخها الذين أسّسوا أركانها ورسموا أصوله وشيّدوا هيكله على مستوى الفروع والأصول، الأمر الذي يتجلى في جهود ابن أبي إسحاق الحضرمي (ت117هـ) وعيسى بن عمر (ت149هـ) وأبي عمرو بن العلاء (ت158هـ) والخليل بن أحمد (ت175هـ) وسيبويه (ت180هـ) ويونس (ت183هـ) ومن تلاهم من الأئمة كالمازني

1- مفاهيم دلالية ولسانية لوصف العربية، عز الدين محمد المجدوب، منشورات جامعة القصيم، بريدة - 1440هـ، ص149.

2- المدارس النحوية أسطورة وواقع، إبراهيم السامرائي، دار الفكر، عمان - 1987م، ص36.

(ت249هـ)⁽¹⁾ والجَرَمي (ت225هـ)⁽²⁾ والأخفش الأوسط (ت221هـ)⁽³⁾ والمبرّد (ت286هـ)⁽⁴⁾ وابن السَّرَّاج (ت316هـ)⁽¹⁾.

1- سلفت ترجمة المذكورين قبل المازني. أما المازني فهو أبو عثمان بكر بن محمد بن حبيب بن بقية المازني، من مازن شيبان. أحد أئمة النحو، من أهل البصرة ووفاته فيها، له تصانيف منها: ما تلحن فيه العامة - الألف واللام - التصريف - العروض - الديباج. كان أبوه محمد نحويًا قارئًا. راجع: **الفهرست للنديم**، م1، ص162. **والأعلام**، ج2، ص69.

2- هو أبو عمر صالح بن إسحاق الجَرَمي بالولاء؛ مولى جَرَم بن زَبان، من قبائل اليمن. كان فقيها عالمًا بالنحو واللغة، من أهل البصرة وسكن بغداد، أخذ النحو عن الأخفش ويونس، وأخذ اللغة عن الأصمعي وأبي عبيدة، وحدث عنه المبرّد، وناظر الفراء، وانتهى إليه علم النحو في زمانه. راجع: **الفهرست للنديم**، م1، ص161. **وبغية الوعاة**، ج2، ص7. **والأعلام**، ج3، ص189.

3- الأخفش الأوسط هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي، كان مولى بني مجاشع بن دارم. من مُشَهَّرِي نحويي البصرة وأصله من بلخ، أخذ عن سيبويه وهو أحذق أصحابه، وكان الأخفش أسنَّ من سيبويه ولقي من لقيه سيبويه من العلماء إلا الخليل، والأخفش هو الطريق إلى كتاب سيبويه ذلك أنه لا يُعلم أحد قرأ الكتاب على سيبويه ولا قرأه عليه سيبويه، ولكن لما مات سيبويه قُرئ الكتاب على الأخفش، وممن قرأه عليه أبو عمر الجرمي وأبو عثمان المازني. وكان الأخفش أعلم الناس بالكلام وأحذقهم بالجدل، وهو من زاد في العروض بحر الخبب فأضحت البحور ستة عشر بعد أن كان الخليل قد وضعها خمسة عشر فقط. راجع: **الفهرست للنديم**، م1، ص146. **وبغية الوعاة**، ج1، ص590. **والأعلام**، ج3، ص101.

4- هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر، وهو من ثُمالة قبيلة من الأزد. إمام العربية ببغداد في زمانه، انتهى إليه علم النحو بعد طبقة الجرمي والمازني اللذين أخذ عنهما النحو معوّلًا على المازني. كان فصيحًا بليغًا مفوهًا، ثقة أخباريًا علامة، صاحب نوادر وظرافة. وكان بينه وبين ثعلب من المُنافرة ما لا يخفاء به. والمبرّد - بكسر الراء - لقب أطلقه عليه المازني

ومن البصرة انتقل الدرس النحوي إلى الكوفة، ثم إلى بغداد، ثم إلى مصر والشام وبلاد المغرب والأندلس والحجاز واليمن والمشرق، ومدن العراق الأخرى مثل الموصل وواسط وسامراء وغيرها. فالأصول والقواعد تأسست في البصرة ونقلت منها إلى بقية المواطن العربية والإسلامية بما فيها الكوفة، التي سجّل القدماء عنها "مسائل الخلاف" بين نحاتها ونحاة البصرة، وجُلّ هذه المسائل التي بولغ في تضخيمها تقف وراءها نوازع الإحساس بالانتماء الجغرافي والمنافسة على الخطوة لدى ذوي الشأن في بغداد، لاسيما بعد نزوح مشايخ الكوفيين مثل الكسائي والفرّاء وأصحابهما إلى بغداد وانتدابهم لمجالسة أهل السلطة والنفوذ أو لتأديب أبنائهم. فطلّت جذوة المنافسة هذه تشتدّ لتؤسّس "مذهبا" للكوفيين يخالف - إلى حدّ ما - مذهب البصريين في المصطلح حيناً وفي بعض الفروع حيناً آخر، وفي التعليل أحياناً أخرى. أما الأصول فلا خلاف فيها إلا على نحو ما كان يقع داخل البيئة الواحدة بين نحاتها أو على نحو ما كان يقع بين الشيوخ وتلاميذهم، وبكل تأكيد فإنّ هذا الخلاف لا صلة له، لا من قريب ولا من بعيد بخلافات المذاهب الفقهية ولا النوازع السياسية أو العقائدية لدى الفرق الإسلامية يومذاك، وهو ما يقع في وهم بعض الدارسين اليوم ليتحامل على هذا الفريق أو ذاك بحسب ما يرى ويعتقد.

قاصداً أنه المُنْبَت للحق؛ فغيّره الكوفيون وفتحوا الراء. راجع: الفهرست للنديم، م 1، ص 169. وبغية الوعاة، ج 1، ص 269.

وقال الزبيدي في شرح خطبة القاموس: "المبرّد بفتح الراء المشددة عند الأكثر، وبعضهم يكسر، ورؤي عنه أنه كان يقول: برّد الله من برّدني". راجع: تاج العروس من جواهر القاموس، ج 1، ص 92.

1- وردت ترجمة ابن السراج في الصفحة رقم 89.

المبحث الحادي عشر السمع والقياس

وُلد النحو العربي وهو يعتمد على أساسين هما: السمع والقياس؛ فالأصوات والألفاظ والأساليب المسموعة عن العرب مباشرة في بواديهم أو من الأعراب الوافدين إلى المدن والحوضر كانت موضع الثقة من النحويين واللغويين، ثم هي موضع القياس لما لم يُسمع من كلام العرب؛ فمنذ ابن أبي إسحاق (ت 117هـ) وهو من أوائل النحويين، وقد قيل فيه: إنه شديد التجريد للقياس⁽¹⁾، حتى تلامذة سيويه؛ كانت بوادي نجد والحجاز مفتوحة لعلماء العربية الذين كانوا يجمعونها ويروونها من أفواه ساكني تلك البوادي، ثم من سُوق المِربد في البصرة الذي كان يرتاده الأعراب من مختلف المواطن للامتياز والبيع، ثم الأعراب الذين كانوا يرتادون البصرة أو الكوفة للإقامة أو للتكسب باللغة وكانوا مجالات سماع للنحويين واللغويين. فحين كان السماع للغة من العرب قائما كان القياس إلى جانبه لغويا أو هو غير بعيد عن اللغة في أساليبها المألوفة المستخدمة، وكانت الأساليب المستخدمة المسموعة معيارا لدى النحويين في قبولهم وعدمه. أما غيرها من الأساليب غير الشائعة العامة فكانت تُردّ إلى لهجات عربية أو هي تُضعّف أو تُخطأ، وفي هذا للنحويين مواقف متفاوتة وخلافات كثيرة. غير أن النحويين منذ مرحلة النحو الأولى - بالرغم من الجهود المضنية التي بذلوها في جمع اللغة وتبويبها وتقعيدها - لم يضعوا حدودا واضحة تميز الفرق بين ما كان ضمن الفصيحة العامة وما كان من اللهجات مهما كانت قيمتها في الاستعمال والشيوع، وإنما استخدموا اصطلاحات غير محدودة مثل المطرّد والشائع والقليل والنادر والشاذّ. وقد وضعوا قواعد العربية وفق مجال لغوي

1- راجع: الفهرست للنديم، م 1، ص 30.

محدود من أساليب العربية هو الذي عُدّ فصيحاً قياسياً⁽¹⁾، وحاولوا أن يفسروا ما استخدم من أساليب لهجية على قبول هذه القواعد، ومن هنا حدث الخلط بين مستويات الأداء اللغوي، ومن هنا أيضاً كانت مقاييس النحويين وقواعدهم أحكاماً صارمة على النصوص العربية، ومن هنا أيضاً كان الصراع بين التجديد والتقليد؛ فالشعراء المبدعون يرتادون آفاق اللغة المجهولة أحياناً ويأتون بأساليب غير مألوفة أو استخدامات غير معروفة لدى معاصريهم، وأحياناً يضطر هؤلاء الشعراء إلى بعض الاستخدامات اضطراراً بحكم صنعة الشعر فيهبُّ في وجوههم المحافظون من أصحاب القواعد ويخطئونهم أو يجهلونهم ولربما اتهموهم بما لا يمتُّ إلى العلم والأدب بشيء؛ هكذا خطأ ابن أبي إسحاق الفرزدق⁽²⁾. ووقف الأصمعي وأبو عمرو ابن العلاء وغيرهما من اللغويين من شعر عدي بن زيد وذي الرمة مواقف حادة. وكذا كان موقف النحويين واللغويين من أبي نواس وأبي تمام وغيرهما من المبدعين. ومما زاد الأمر صعوبة أن اللغويين وضعوا حداً لعصر الاستشهاد وهو أوائل العصر العباسي، وقيل إن ابن هرمة (ت 176هـ) هو آخر من يُستشهد به من الشعراء في العربية⁽³⁾. وفي القرن الثالث الهجري كان النحويون يعتمدون على القياس اعتماداً كبيراً؛ فالمازني والمبرّد والزجاج وغيرهم من البصريين بخاصة كانوا يتشدّدون بالقياس الذي هو أساس لمنهجهم إضافة إلى الرواية التي أخذت مكان السماع وأصبحت أساساً آخر يُعتمد عليه بدلاً من السماع المباشر.

1- راجع: المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ج 1، ص 211.

2- راجع: نزهة الألباء، ص 27-28.

3- هو أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة الكناني القرشي (90هـ - 176هـ)، شاعر غزل من سكان المدينة، ومن مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. وهو أحد أواخر من يُحتج بشعرهم في كتب اللغة. راجع: كتاب الأغاني، ج 4، ص 257 وما بعدها. والأعلام، ج 1، ص 50.

وإذ نصل القرنَ الرابعَ الهجري نجد التفنُّن في القياس يتَّسع ورواية المسموعات باقيةً على محدوديتها وضيقها السابق، كما أخذ المنطق والقياس المنطقي يتسرب إلى جدل النحويين ومناظراتهم حتى نجد بعضهم يعجب من الآخر في إغرابه وتعقيده للمقاييس بالرغم من أنه قياسي أيضاً؛ كحال أبي علي الفارسي مع الرماني النحوي، إذ قال فيه: "إن كان النحو ما يقوله أبو الحسن الرماني فليس معنا منه شيء، وإن كان النحو ما نقوله فليس معه منه شيء"، وكان الرماني يمزج المنطق بالنحو⁽¹⁾. كما نجد التفنن بالتعليل، فقد استخدم النحويون العلة المنطقية، وأكثروا من العلل وفروعها، مما جعل النحو ركاما هائلا من المقاييس والعلل وما ينتج عن ذلك من التقديرات والافتراضات؛ لذا لم يظهر بعد هذا القرن نحوي أصيل كما كان نحاة القرون السابقة، وإنما دأب النحويون بعد هذا القرن يرددون ما قيل قبلهم من آراء ويعتمدون على ما صنفه سابقوهم، فكثرت الشروح للمصنفات السابقة وكثر شراح سيبويه تحديداً إذ هو المصدر الكبير الذي تفرعت عنه الفروع. وبدأ عهد الجمع والشروح، وأخذ الاتجاه التعليمي يقوى في وضع المقدمات، وما أن يُعرف كتاب أو مقدمة نحوية لعالم حتى يتناولها الباؤون بالشرح والتعليقات والحواشي؛ كما كان مع جمل الزجاجي، ولمع ابن جني، ثم مفصل الزمخشري، وكافية ابن الحاجب⁽²⁾.

1- راجع: نزهة الألباء، ص 234.

2- راجع: المدارس النحوية، شوقي ضيف، ص 294. والجني الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت - 1992، ص 20.

المبحث الثاني عشر النحو التعليمي

تضخّم النحو ومصنفاته وأصبح مصدر شكوى من الدارسين والمدرسين معا، وصارت صورته مُهَوّلة مليئة بالألغاز والغوامض، فبذل العلماء جهودا كبيرة في تسهيله وتيسير تعلمه، فصنفت فيه كتب الإيضاح والتسهيل وشروحها، إلا أن ذلك لم ينه الشكوى من صعوبة هذا العلم فدفع الاتجاه التعليمي علماء العربية إلى نظم قواعده شعرا ليسهل ذلك حفظها؛ فابتعدوا بالنحو عن غايته وحقيقته التي هي تمرين اللسان على النطق بأساليب العرب وطُرق أدائها لا حفظ القواعد المجردة.

واستمر حال النحو والنحويين على ذلك من جمع للقواعد وشرح لمصنف أو منظومة لعالم سابق أو وضع شرح على شرح أو تعليق على شرح ووضع الحواشي، حتى أصبحنا نجد كتابا عنوانه مثلا (حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك) أو (حاشية الصبّان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك).

لم تُفد هذه المنظومات وشروحها والحواشي عليها والتعليقات النحو إلا صعوبة وتعقيدا، بل زادت عليه العلل وتفرّيعها وأثقلته بالتقديرات وألوانها، بل كان النحويون منذ القرن الرابع قد أولعوا باختراع العلل واعتقدوا أن في ذلك كمالا في الصنعة وبصرا بها⁽¹⁾. وقد أكثروا أيضا من تقسيم الموضوعات إلى فروع وهذه إلى أنواع، ومحاولة

1- يقول ابن مضاء في الأعلام الشنتمري (ت476هـ) والسهيلى (ت518هـ): "وكان الأعلام (رحمه الله) على بصره بالنحو مولعا بهذه العلل الثواني، ويرى أنه إذا استنبط منها شيئا فقد ظفر بطائل. وكذلك كان صاحبنا الفقيه أبو القاسم السُّهَيْلِي على شاكلته (رحمه الله) يولع بها، ويخترعها، ويعتقد ذلك كمالا في الصنعة وبصرا بها". راجع: الرد على النحاة، ابن مضاء القرطبي، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد إبراهيم البناء، دار الاعتصام، القاهرة - 1979، ص133.

إيراد المعاني والإكثار من التعقيد؛ ففي مجال الأدوات مثلا تستخدم كل أداة لمعان معروفة إلا أنها ألصقت فيها معان وتضمنات وتعليلات بحيث أصبح للحرف الواحد سبعة معان أو ثمانية أو أقل أو أكثر، حتى وصل مجموع توجيه الحروف خمسمائة وخمسة وخمسين وجها⁽¹⁾.

ومهما يكن من أمر فقد بدأت هذه الدراسة وازدهرت، وكانت في مبدئها وسيلة إلى غاية، ولكنها سرعان ما أصبحت غاية في نفسها متعددة الوسائل والطرق. كانت في مبدئها تقوم على الاستقراء والتعقيد، فأصبحت بعد زمن تقوم على القاعدة والتطبيق، وخلف بعد الرعيل الأول من رجالها خلف وقفوا من النحو موقف المتكلمين من الدين؛ كان الدين سمحا فطريا فجعله المتكلمون فلسفة وقضايا منطقية، وكان النحو سهلا هينا وصفيا فجعله النحاة فلسفة وقضايا معيارية منطقية أيضا، حتى أصبح الطابع المميز للنحو العربي أنه لم يعد مجهودا دراسيا لغويا بقدر ما تحوّل إلى مجهود فكري من الطراز الأول⁽²⁾.

وقد لفت ابتعاد النحاة عن الغاية من النحو نظر أحد نحاة الأندلس في القرن السادس وهو ابن مضاء القرطبي⁽³⁾ فأطلق صرخته الإصلاحية عبر كتابه "الرد على النحاة"، ولعلّ صدى تلك الصرخة قد وصل إلى ابن آجروم؛ فحداه ذلك إلى وضع مقدمته النحوية الموجزة التي طبّقت شهرتها الآفاق منسوبة إليه باسم الآجرومية.

فمن هو ابن آجروم صاحب هذه المقدمة التي يَسِّرُ النحو فعلاً لا قولاً،

فكان بذلك رائد تيسير النحو بلا منازع؟

1- راجع: كفاية الغلام في إعراب الكلام، ص 65.

2- راجع: اللغة بين المعيارية والوصفية، ص 163.

3- هو أبو العباس، أحمد بن عبد الرحمن بن محمد ابن مضاء اللخمي القرطبي، عالم بالعربية، له معرفة بالطب والهندسة والحساب. وُلد بقرطبة سنة 511هـ وتوفي بإشبيلية سنة 592هـ. ولي القضاء بفاس وبجاية ثم بمراكش سنة 587هـ. راجع: الأعلام، ج 1، ص 146.

الفصل الثاني

دراسة تحليلية لسيرة ابن آجروم
مؤلف المقدمة الآجرومية

توليفة

كانت اللغة العربية بفنونها المتنوعة أمة واحدة، ولم تزل تلك الفنون تتعاقب - في إطارها اللغوي العام - على أداء وظائفها في سياق نظام سليقي عفوي محكم، ونزل القرآن الكريم فكان قطبا لشدة الأواصر وتنسيق الأداء بين تلك الفنون؛ وهكذا وجد علماء صناعة الإعراب أرضاً خصبة لتنمية قواعدهم الناشئة، بين موارد اللغة العربية، وظلال القرآن. ولم تزل تلك الصلة الحميمة تتجسد أخذاً وعطاءً، بعد أن توجت بظهور إمامي المقرئ واللغة والنحو؛ أبي عمرو بن العلاء في البصرة (ت154هـ) وعلي بن حمزة الكسائي في الكوفة (ت182هـ)، فتابع النهج أعلام المذهبين بعدهما، فأكبوا بجياد اللغة والنحو على القرآن إعراباً وتخريجاً وتفسيراً.

وعاش النحو على هذه الحال قرونه الثلاثة الفاضلة، ومع ضعف أركان الخلافة الإسلامية بدأ الغزو الفكري الأجنبي يمتدُّ إلى عمق الكيان العربي ممطياً ظهور أرباب النحل الزائغة من أبناء الأمة، وأخذ العقل الجاف يفرض سيطرته على المناهج العلمية وذلك حين نجح هؤلاء في استدراج الحكم السياسي القائم حينئذ إلى اتباع أهوائهم، فوقع ما وقع من الفتن والمحن. وفي هذه الأجواء الموبوءة، بدأ النحو يتعد شيئاً فشيئاً عن منابعه الطبيعية، جاعلاً من المنطق اليوناني رافداً أساسياً بدلاً من اللغة.

وقد وُوجهت هذه الطفرة العقلية الزائغة بدفاع ملتزم مستमित، وقعت فيه عدة مناظرات بين أنصار المذهبين، من أهمها تلك التي جرت بين أبي الحسن السيرافي ومتى بن يونس⁽¹⁾. وإذا كانت هذه الحملة المضادة، قد نجحت في كبح جماح تلك الثورة، فإن الأمور مع ذلك لم تعد لسيرتها الأولى على الوجه الكامل.

وفي ظل هذا المنهج العلمي اللغوي المتذبذب، ومع اتساع رقعة الدولة الإسلامية، أخذ الدرس النحوي يشق طريقه إلى الأندلس والمغرب بشكل ملموس في القرن

1- راجع: مقابسات أبي حيان التوحيدي، ص68.

الثاني الهجري، وحصل امتزاج كبير بين الدراسات النحوية واللغوية بالأندلس في القرن الرابع، مما مهّد لنشاط نحوي بالغ الأثر في المغرب، امتزجت فيه عدّة اتجاهات؛ كالامتزاج بين المذاهب النحوية، وشيوع الاستنباط والتحليل، والتلاقي بين النحو والمنطق مثلاً.

وكان انتقال ثقل الدراسات النحوية بشكل واضح من المشرق إلى الأندلس والمغرب في القرن الخامس الهجري على أيدي كوكبة من النحاة واللغويين، وفي القرن السابع ظهر على يد شيخ النحويين بالأندلس محمد بن مالك الجبلي (ت672هـ) مذهب نحوي متميز بسماته وخصائصه، جامع بين المذاهب النحوية، ناحٍ في أغلب الأحيان منحى أصحاب المذهبين النحويين الكبيرين: البصري والكوفي، ثم أصحاب المذهب البغدادي، مازجاً في فكره النحوي بين توجهات هؤلاء النحويين وتصوراتهم، مع ميله الواضح في الغالب العام إلى المذهب البصري، مع تميزه بكثير من السمات والخصائص البارزة⁽¹⁾.

وسأركّز في هذا الفصل على إسهام بعض علماء المغرب العربي في إثراء المادة النحوية وتصنيفها وتمحيصها بالشكل الذي خلصت به إليهم، متخذاً المقدمة الآجرومية مثلاً على هذا الإثراء والتصنيف والتمحيص؛ إذ إن عموم النفع بها وتمييزها جعلها تحظى باهتمام العلماء في القديم والحديث، فتناولوها بالشرح والنظم والتحقيق، والتحشية والإعراب والتعليق، فأسفرت تلكم الجهود التي دامت ما يقارب سبعة قرون عن كثير من المؤلفات التي كان لها أكبر الأثر في ترسيخ مبادئ العربية، وقواعد علم النحو عبر تلكم الأجيال التي نهلت من معين هذا المتن المبارك في سني حياتها الأولى، في الوقت الذي كانت تنهل فيه من معين القرآن الكريم.

1- راجع: تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، ص 24-25، و 223-225.

وبما أن الحديث عن أي كتاب يستدعي التعريف بكتابه، من خلال إعطاء صورة عن عصره وبيئته وثقافته؛ لذا فسأخصص هذا الفصل لحياة ابن آجروم، مؤلف "المقدمة الآجرومية"، وذلك انطلاقاً مما وقفْتُ عليه في كتابات من سبقوني إلى الترجمة له، وما مكّني البحث من الاطلاع عليه من معلومات متعلقة به. وهذا يستدعي تقسيم الفصل إلى مبحثين؛ يخصص أولهما للحياة العامة في عصر المؤلف، وتحديد جوانبها العلمية، أما المبحث الثاني فيخصص لترجمة المؤلف.

المبحث الأول

الحياة السياسية والعلمية في عصر ابن آجروم

لا بدّ قبل الحديث عن ابن آجروم من نظرة إلى عصره، تلقي الضوء على مختلف جوانب ذلكم العصر، وخصوصاً منها الناحية السياسية والفكرية؛ لذا سأقدم عرضاً لتلك الأوضاع التي سادت البيئة العامة التي عاش فيها المؤلف، كي تتضح معالم المحيط الذي ندرسه.

المطلب الأول

اهتمام سلاطين الدولة المرينية بالعلم

لم يمض غير يسير على ظهور الإسلام حتى ضربت الدولة الإسلامية أطنابها شرقاً وغرباً، فوصلت طلائع الفتوح الإسلامية حدود القارة الإفريقية حوالي عام 21هـ، ثم كانت حملة موسى بن نصير عام 79هـ التي أخضع بها المغرب الأقصى، ومنذ ذلك التاريخ وحتى أوائل القرن التاسع الميلادي ظلّ المغرب العربي يُساس بأمراء ينوبون عن الخلفاء في المشرق، ثم ما لبث هؤلاء الأمراء أن استقلوا بالحكم، وأعلنوا لأنفسهم

دولا وإمارات مستقلة. وأهم تلك الدول المتعاقبة في المغرب الأقصى، المتحررة من التبعية للمشرق: الدولة الإدريسية التي أسسها الإمام إدريس الأول بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى، الذي بويع بالإمامة عام 172 هـ، وبعد وفاته سنة 177 هـ تعاقب على المغرب الأقصى جملة أحداث تاريخية أدت إلى قيام دول وزوال أخرى، وأهم تلك الدول المتعاقبة: دولة المرابطين (447 هـ - 539 هـ)، ثم دولة الموحدين (539 هـ - 620 هـ)، ثم الدولة المرينية (644 هـ - 869 هـ) وهي التي عاش في ظلها صاحبنا ابن آجروم.

وقد كانت هزيمة الموحدين أمام الإيبيريين في معركة حصن العقاب سنة 609 هـ، بداية النهاية الفعلية للدولة الإسلامية في الأندلس، وكان لذلك تأثير مباشر على المغرب حيث تتالت عليه المحن والأزمات التي أدت إلى ضعف كيان السلطة المركزية لدولة الموحدين؛ فبرز بذلك نجم الدولة المرينية بزعامة عبدالحق بن محيو المريني، وقد استتب الأمر من بعده لبنيه، حتى أطلق بعض المؤرخين على الدولة المرينية تسمية دولة بني عبدالحق. وقد "سار أولئك السلاطين [المرينيون] في إقامة مراسم الخلافة على سننٍ لاجِبٍ، فكانوا يعقدون المجالس للمناظرة والمحاضرة، ويطارحون الأدباء، ويحاورون الشعراء. أما العلماء فلا تسل عن شدة تقريهم لهم، واختصاصهم بهم ... وهذا يعني أن الدولة كانت في خدمة العلم، بحيث انصرفت الهمم إلى طلبه، واشتد التنافس في تحصيله ... وفعلا فإن ما عمله المرينيون في هذا الصدد، يجعلهم حريين بلقب دولة العلم الذي يطلقه عليهم بعض المؤرخين ... فمدارسهم الفنية العديدة لم يستطع أحد أن يأتي بمثلها إلى الآن، وخزائن الكتب كذلك لا تزال تنطق بفضلهم على الحركة العلمية في هذه البلاد ... ولا سيما خزانة القرويين؛ التي أنشأها السلطان أبو عنان، وأودعها الكثير من الكتب المحتوية على أنواع من العلوم على اختلافها، وتنوع ضروبها وأجناسها، ووقفها ابتغاء الزلفى، ورجاء ثواب الله الأوفى ... فلا جرم أن نقول بعد هذا: إن كل أعمالهم ومآتهم للنهضة

والتجديد، كانت في دائرة العروبة والإسلام الصحيح، لا تزيغ عنها قيد فتر، وأنهم خدموا العربية والدين خدمة صادقة، ورفعوا لهما منارًا عاليًا، وما بعد العيان بيان⁽¹⁾. ويُعدُّ السلطان يعقوب بن عبد الحق (ت684هـ)، أحد أهم سلاطين الدولة المرينية، فعلى يديه فُتحت بلاد الأندلس من جديد، وهو من أحمَد نار فتن الداخل، ومكَّن لمنابر المرينيين، واتخذ مدينة فاس الجديدة دارا لملكه، ومحل إيوانه⁽²⁾. وقد كان اعتناء السلطان يعقوب بالعلم والعلماء حافزا لإيقاظ الهمم، فأقبل الناس على العلم في شتى دروبه، لاسيما علمي اللغة والقراءات، وخصَّ العلماء بوظائف القصر والتراتب الإدارية، والكتابات، والدواوين، شأن سائر سلاطين الدولة المرينية، التي اتسع فيها أفق العلم؛ بتفريغ الطلبة للانكباب على الطلب، والقيام دون ما يحول بينهم وبينه، فبدأ الاجتهاد لتكوين المدارس، وقد كان المغاربة من قبل هذا تُبْعًا لمدارس الأندلس لا يزدون على الاستيعاب لا يجاوز تراقيهم، فتأخر بذلك الإنتاج الفكري للمدرسة المغربية⁽³⁾. وهكذا أنشأ السلطان يعقوب مدرسته التي بفاس، ووقف عليها كتب العلم التي كانت بأيدي النصاري منذ استيلائهم على مدن الإسلام؛ بعد أن استرجع تلك الكتب من ملكهم (سانجة) عند عقد الصلح معه، وقد بلغ مجموع ما وصله منها ثلاثة عشر حملا⁽⁴⁾.

1- النبوغ المغربي في الأدب العربي، عبد الله كنون الحسني، الطبعة الثانية، بيروت - 1960، ج1، ص185-187.

2- راجع: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء - 1997، الجزء الثالث تحديدا.

3- جريدة الميثاق، عدد (119)، مقال الأستاذ سعيد أحمد أعراب.

4- راجع: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج3، ص64.

وقد عَرَفَ معاصرو بني مرين مدى اعتنائهم بالعلم، فتنافسوا في إتحافهم بكل ذي تعلق به؛ من ذلك أن سلطان غرناطة ابن الأحمر⁽¹⁾ حين وفد سنة 692هـ على السلطان يوسف بن يعقوب لإحكام عقد الصلح بينهما والاستبلاغ عن العذر عن واقعة طريف، قدّم بين يدي نجواه هدية أتحف بها السلطان يوسف كان من أحسنها موقعاً لديه المصحف الكبير الذي يقال إنه مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفّان (رضي الله عنه)، كان بنو أمية يتوارثونه بقرطبة ثم خلص إلى ابن الأحمر فأتحف به السلطان يوسف⁽²⁾.

وهكذا يتضح أنه إذا كانت الحياة العلمية في المغرب خلال القرنين الخامس والسادس للهجرة قد اتسمت بالتقليد والتبعية لمدارس الأندلس، فإن الأمر قد اختلف في القرن السابع، لاسيما آخره، حيث أوقدت جذوة الاجتهاد، وطُوِّيت مراحل الطلب، وعلا كعب الاحتجاج والتعليل، وتضافرت الجهود في تنافسٍ نزيهٍ، وانجلت ظلمة التقليد، وانبج الصبح على أمثال محمد بن القصّاب، وأبي القاسم الضرير، وابن آجرّوم، وابن بري، وغيرهم كثير ممن مالّؤوا على إنشاد شوارد وضوال علمي القراءات والنحو، وطاردوا ألغازهما، وفتقوا رتقهما، وحرروا معاطن الخلف فيهما، وأنّقوا مصطلحاتهما؛ فسَقَوْا بصنيعهم هذا تُبَعِّعهم من ورّاد دررهم شارباً سائغاً طهوراً.

1- محمد ابن الأحمر، المعروف بالفقيه، توفي سنة 701هـ، وولي الأمر بعده ابنه محمد

المعروف بالمخلوع. راجع: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج3، ص82.

2- المرجع السابق، ص75.

المطلب الثاني

دور المرابطين في النهضة العلمية للمغرب

الحياة العلمية ليست أمرا تلقائيا مفاجئا، فلا بدّ من غراس ومغارس وأجواء ملائمة سابقة، ولولا المرابطون الذين أعطوا للمغرب الإسلامي - بما فيه الأندلس - أول قوة عظيمة يرهبها الأعداء، وأشاعوا الأمن والرخاء، وأتاحوا الفرص للاتصال؛ لما كانت تلك النتائج الاجتماعية والعلمية والأدبية التي شهدناها أوائل دولة الموحدين وبعدهم⁽¹⁾.. إذ "ليس هناك من ينكر أن الازدهار الذي عرفته الأندلس أيام المرابطين والموحدين بعدهم يكاد يفوق ما كان لها من قبل... والحياة العلمية والأدبية التي ازدهرت أيام الموحدين ليست إلا غرس ورعاية المرابطين... وقد آن للبحث العلمي أن ينصف دولة المرابطين ويقول فيها كلمة عادلة لا تتأثر بعصبية بلدانية ولا بحمية دينية"⁽²⁾. ذلك أن "معاهد الأندلس في عصر المرابطين لم تخلُ من الأعلام المجيدين في كل فن، ومن هؤلاء: ابن باجة (ت533هـ) الذي نبغ في الرياضة والفلسفة والطبيعة والفلك، وابن العربي (ت543هـ) وكان من أئمة الحديث والتفسير والفقه، وأبو الوليد محمد بن أحمد ابن رُشد، الجدُّ (ت520هـ) وكان قاضي الجماعة في قرطبة. فأما شيوخ اللغة وأساتذتها القائمون على صناعة العربية والأدب فقد كان منهم في هذا العصر جملة عبرت بهم الدراسة اللغوية بين عصرين زاهرين هما عصر أمراء الطوائف وعصر الموحدين، ومن هؤلاء: ابنُ السيّد البَطْلَيْوسي

1- راجع: مجلة دعوة الحق، العدد (54)، ص (68-70)، تعليق الأستاذ عبد السلام

الهراس على الطبعة الثانية من كتاب النبوغ المغربي.

2- النبوغ المغربي في الأدب العربي، ج1، ص65.

(ت521هـ)⁽¹⁾، وابن الطَّراوة (ت528هـ)، وابن الباذش (ت528هـ)، وابن الرَّمَّاء (ت541هـ) شيخ ابن مضاء (ت592هـ) الذي كان من خيرة تلاميذ هذا العصر، ومن الأساتذة البارزين في عصر الموحدين⁽²⁾.

والواقع أن الأغراض الشخصية والعواطف الجارفة والروح المسيحية المتعصبة كان لها الحظ الأوفر في تشويه سمعة المرابطين وتصويرهم بصور الوحشية والغلظة والبعد عن المدنية. وما خلت أمة من طبقة المنتفعين من الفساد، الذين تهيء لهم الأجواء الفاسدة والتدهور السياسي والأخلاقي في الأمة شروط حياتهم وسعادتهم، وكما أن للاتجاهات الصالحة مناضلين يسترخصون أنفسهم وأموالهم في سبيل نصره المثل العليا؛ فكذلك للباطل والانحطاط والاتجاهات المتعفنة مناضلون ومخلصون. وماذا كان يُنتظر من عصابة من الماجنين والمنتفعين من التعفّنات، يقضون ليايهم في اللهو والعبث وفي الدس والمكر والاستغلال، ويعيثون فسادا، وينخرون جسم الأمة الإسلامية في الأندلس - ماذا كان ينتظر منهم إذ قام رجلٌ صالحٌ يردعهم عن منكرهم، ويجتثُ فسادهم، ويحرمهم لذائذهم، وينعّص عليهم انحلالهم وانحرافهم، إنهم لا شك - كما وقع بالفعل - مفجّرون أحقادهم ومرسلون ألسنتهم بالسب والشتم في هذا الرجل ودولته، متمنّون زوالها كما نرى في مواقف كثير من الأحزاب إزاء بعضها وبالأخص في الدول المتخلفة. كذلك كانت قصة المرابطين مع الطبقة الفاسدة الحاكمة في الأندلس التي أضاعت كثيرا من الأجزاء الأندلسية وأوشكت أن

1- ضبط الزركلي لفظ (البطليوسي) بفتح الباء، ونقل ضمها عن ياقوت الحموي. راجع: الأعلام، ج2، ص60. وفي معرض ترجمته لصاحبنا ضبط الزركلي بالحرف الأجنبي اسم مدينة بطليوس التي ينسب إليها، فكتبه هكذا (Badajoz)، وهذا ما يرجح أن باء الاسم مفتوحة، وذلك بقرينة حرف (a). راجع: الأعلام، ج4، ص123.

2- الرد على النحاة، ص6-7.

تسلّم ما تبقى منها إلى النصارى، كما وقع بالفعل بعد أن ضعف المغرب عن الدفاع عن الأندلس⁽¹⁾.

وقد لخص صاحب "المعجب في تلخيص أخبار المغرب" أوضاع تلك الحقبة؛ فقال: "ولم يزلوا كذلك [يعني ملوك الطوائف] وأحوال الأندلس تضعف وتغورها تختل، ومجاورها من الروم تشتد أطماعهم ويقوى تشوّفهم؛ إلى أن جمع الله الكلمة، ورأب الصدع، ونظّم الشمل، وحسّم الخلاف، وأعزّ الدين، وأعلى كلمة الإسلام، وقطع طمع العدو؛ بيّمن نقيبة أمير المسلمين وناصر الدين أبي يعقوب يوسف بن تاشفين اللمتوني (رحمه الله)؛ ثم استمر على ذلك ابنه علي، وأعادا إلى الأندلس معهود أمنها وسالف نضارة عيشها؛ فكانت الأندلس في أيامهما حرماً آمناً"⁽²⁾.

المبحث الثاني

ترجمة الإمام ابن آجروم

ذكرنا آنفاً ما شهدته العلوم عمومًا من عناية من لدن سلاطين الدولة المرينية، ولم يكن نصيب علمي النحو واللغة من تلك العناية أقلّ من بقية العلوم، بل إنهما قد نالا في هذا العصر ما لم ينالا قطّ من عناية أفضت إلى تقدمهما؛ "وذلك لأن الدولة [المرينية] عربية الصبغة تقدّر مجهود العاملين على رفع شؤون العروبة، وليس لها

1- راجع: تعليق الأستاذ عبد السلام الهراس على الطبعة الثانية من كتاب النبوغ المغربي، مجلة دعوة الحق، العدد (54).

2- هو عبد الواحد المراكشي، ولد في مراكش سنة 581هـ ولا يُعرف تاريخ وفاته، فقد هاجر إلى المشرق وانقطعت أخباره بعد سنة 621هـ التي انتهى فيها من إملاء كتابه المذكور. راجع: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي، تحقيق: محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة، القاهرة - 1949، ص 93.

التفات إلى غير ذلك مما توحى به العنصرية المتخلفة ... فلا عجب وقد اتحدت وجهة العمل أن ينبغ في هذين العلمين وفي سائر العلوم العربية رجال عظام ممن يفتخر بهم المغرب، ولا يقلُّون أبداً عن نظرائهم في بقية العالم العربي؛ فمن هؤلاء النوابغ: ابن آجروم، وابن المجراد، وابن هانئ، وابن المرحّل، وأبو القاسم الشريف، والمكودي، وسواهم، وناهيك منهم جميعاً بابن آجروم؛ ذلك الرجل الذي استطاع أن يخلّد اسمه أبد الدهر بِبُورِيقَات لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة، لا تحتوي على تفكير عميق، ولا على فلسفة جديدة، وإنما هي قواعد أولية من علم النحو، مقررة لدى الجميع. فما السر في هذا الخلود الذي أتيح لهذا الرجل، حتى لقد فتح لنفسه مجالاً بين جدران مدارس القرن العشرين، وحتى أطلق الناس اسمه على النحو كأنما هو واضعه؛ فقالوا: الآجرومية، وأرادوا النحو، مما لم ينله سيبويه نفسه؟⁽¹⁾.

هذا التساؤل هو ما سنحاول الإجابة عنه، من خلال المطالب الآتية التي سنسبر عبرها أغوار حياة الرجل.

المطلب الأول

اسمه ونسبه وشهرته⁽²⁾

1- النبوغ المغربي في الأدب العربي، ص 197-198.

2- راجع: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بمدينة فاس، أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني، تحقيق الدكتور محمد حمزة الكتاني، الموسوعة الكتانية لتاريخ فاس، العدد (4)، عام 2005، ج 2، ص 127. وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف، دار الكتب العلمية، بيروت - 2003، ص 217. وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، مرجع سابق، ج 1، ص 238. وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة الأولى، 1406 هـ - 1986 م، ج 6، ص 62. ومعجم المؤلفين، عمر رضا كحالة،

هو الأستاذ⁽¹⁾ المقرئ النحوي الشهير، أبو عبد الله محمد بن محمد بن داود⁽²⁾، وقيل: هو محمد بن أحمد بن يعلي بن داود⁽³⁾، الصنهاجي⁽⁴⁾ الفاسي، "المشهور بابن آجروم: بفتح الهمزة الممدودة، وضم الجيم والراء المشددة"⁽⁵⁾، وقد انفرد علي بن سليمان الدمناتي (ت1306هـ) بأن لقب "آجروم" - كما نطقه - له ضبط آخر؛ فقد جاء في أول الصفحة الثانية من مخطوطة كتابه (غرة أشهر الأنوار بشرح أزهر الأزهار) ما نصه: "فمنهم من طلب مني مقدمة قريبة رائقة منظومة بالإعراب كالأجرامية بفتح همز فضم جيم فراء مشدود فألف، نسبة لآجرام بضبطه: لفظ بربري معناه

مؤسسة الرسالة، بيروت - 1993، ج3، ص641. وجذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس، أحمد ابن القاضي المكناسي، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط - 1973م، ج1، ص221. ودرّة الحجال في غرة أسماء الرجال، ابن القاضي المكناسي، دار الكتب العلمية، بيروت - 2002، ج2، ص109.

1- لقب "الأستاذ" من ألقاب الأندلس، لا يلقب به إلا النحوي الأديب صاحب الذوق المطبوع. راجع: إنباه الرواة، ج4، ص113. وأبو الحسين ابن الطراوة وأثره في النحو، محمد إبراهيم البناء، دار بوسلامة للطباعة والنشر، تونس - 1980، ص16.

2- راجع: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج1، ص238.

3- راجع: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار الجيل، بيروت - 1992، ج11، ص196. والأعلام، ج7، ص33.

4- ضبط بعضهم "صنهاجة" بفتح الصاد، واختلفوا حول كونها موضعا أو قبيلة. راجع: سلوة الأنفاس، ج2، ص126. وقلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، أبو العباس أحمد القلقشندي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة - 1982، ص170. ومنهم من ذكر أن (صنهاجة) قبيلة، وجعل في صاها الكسر والضم. راجع: اللباب

في تهذيب الأنساب، ج2، ص249. وهي مثلثة في معجم (تاج العروس).

5- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج1، ص238.

الصالح، خلافاً لمن ضبطه بغير ذلك لعدم خبرته ذلك اللسان⁽¹⁾، فظهر من كلامه أن الاختلاف بين الضبطين - المشهور والجديد - ينحصر في حركة الراء المشددة وما يتبعها من ألف أو واو؛ وغالب الظن أن رأيه اجتهداً منه استخلصه من الأصل اللغوي البربري للاسم، حيث يرى أن التغيير يعود إلى التصحيف في الاسم لعدم الخبرة باللسان البربري. وقد وجدت أئمة اللغة والتراجم مجمعين على ذكر الاسم بالواو، ومنهم من هو قريب في عصره من ابن آجروم، كابن الخطيب (ت 776هـ)، والمكودي (ت 807هـ)، وابن الأحمر (ت 807هـ)، والفيروزآبادي (ت 817هـ) والسخاوي (ت 902هـ) والسيوطي (ت 911هـ)، والمقري التلمساني (ت 1041هـ) وابن العماد الحنبلي (ت 1089هـ) والحسيني (ت 1206هـ). ومن المعاصرين: محمد مخلوف (ت 1360هـ)، وعبدالحى الكتاني (ت 1382هـ)، والزركلي (ت 1396هـ)، وكحالة (ت 1408هـ) وكثير غيرهم، ولم يشر أحد من هؤلاء إلى خلاف ذلك.

أما من حيث نطق جيم كلمة (آجروم) فنجد السيوطي قد نقل عن ابن مكتوم في تذكرته أنه يُعرف بأكروم⁽²⁾.

وهكذا اختلف في ضبط كلمة (آجروم) "والكل واسع؛ لأن الاسم الأعجمي قد يتعسر النطق به فيتوسع فيه ما لا يُتوسع في الاسم العربي"⁽³⁾. وقد عُرف ابن آجروم بهذه

1- مكتبة جامعة الملك سعود، قسم المخطوطات، الرقم: 5254، العنوان: غرة أشهر الأنوار

بشرح أزهر الأزهار، علي بن سليمان الدمناتي، تاريخ النسخ: 1297هـ.

2- راجع: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج 1، ص 238.

3- الكواكب الدرية على متممة الآجرومية، محمد بن أحمد بن عبد الباري الأهدل،

مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - 1990، ص 25.

التسمية؛ وذكرت أكثر المصادر اسمه بمحمدَيْن، وجاء عند بعض شراح مقدمته أن اسمه: محمد بن داود⁽¹⁾.

وقد نصّ جميع من ترجم لابن آجروم على أن كلمة (آجروم) في اسمه كلمة بربرية معناها الفقير المتصوف⁽²⁾، وعقّب صالح بن عبد الله الإلغي على ذلك قائلاً: "ونحن معشر السوسيين نقول "أكّرام" بذلك المعنى"⁽³⁾، كما عقّب عليه الأستاذ عبد الله كنون، فقال: "ولا يزال الشلوح يستعملونها بهذا المعنى أو ما يقرب منه، لكن بلفظ: أكّرام. وعلى كل حال فهي لقب تشريف عندهم، وتقوم مقام "السيد" بالعربية"⁽⁴⁾؛ وهذا يتناسب مع مكانة الرجل، فقد "كان من مؤدّبي أهل مدينة فاس"⁽⁵⁾. ويلمح العلامة عبد الله كنون في عبارة (مؤدّب) محاولة للغض من شأن ابن آجروم؛ لأن المراد بتلك العبارة معلّم الصبيان، فينبري للردّ على تلك المحاولة مذكراً بأن "سرّ نجاح أسلافنا وبلوغهم إلى أقصى الغايات في العلوم والمعارف كونهم لا يكلون تعليم أبنائهم إلا إلى كبار الأساتيد الراسخين في العلم، فسرعان ما تظهر نجابتهم ويبدو تحصيلهم، ولما صار التعليم حرفة يتعاطاها كل من هبّ ودبّ وصار أنصاف

1- راجع: شرح متن الآجرومية، أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح المكوّدي، تحقيق:

أحمد بن إبراهيم بن عبد المولى المغيني، المكتبة الإسلامية، القاهرة - 2005، ص9.

2- راجع: هدية العارفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي، مطبعة وكالة المعارف، إستانبول - 1955، ج2، ص145.

3- الحقائق المكملّة والدرّة الإلغية، سيدي صالح بن عبد الله الألغي، د.ن، ط1 - 1993، ص7.

4- ذكريات مشاهير رجال المغرب، ج1، ص422.

5- راجع: جذوة الاقتباس، ص221.

المتعلمين يَعُدُّون أنفسهم من كبار الأساتيد قلَّ التحصيل وانعدم النفع وصارت البلاد إلى ما هي عليه من توطن الجهالة وغربة العلم⁽¹⁾.

المطلب الثاني مَوْلده ووفاته

تُجمع جُلُّ مصادر ترجمة ابن آجروم على أنه وُلد بفاس عام 672هـ، الموافق 1273م، وهي السَّنة ذاتها التي تُوفي فيها الإمام النحوي الشهير ابن مالك الطَّائِي، صاحب الألفية⁽²⁾؛ فقليل: توفي نحوي ووُلد نحوي⁽³⁾. وذكر بعضهم أنَّ ولادة ابن آجروم كانت سنة 682هـ!⁽⁴⁾

1- ذكريات مشاهير رجال المغرب، ج1، ص424.

2- راجع: سلوة الأنفاس، ج2، ص127.

3- راجع: ذكريات مشاهير رجال المغرب، ص423.

4- راجع: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، تحقيق: محمد شرف الدين يالتقايا، دار إحياء التراث العربي، بيروت - 1386هـ، ج2، ص1796.

وأما وفاته (رحمه الله) فقد كانت بفاس قبل صلاة ظهر يوم الأحد لعشرين خلت من صفر، سنة 723هـ⁽¹⁾. وقد نقل السخاوي عن بعض فضلاء المغاربة أنّ وفاته تقرب من سنة عشر وثمانمائة، إلا أنه عوّب على ذلك قائلا: وفيه نظر⁽²⁾.

وقد دفن ابن آجروم بعد صلاة الظهر من يوم الاثنين، واختلفت المصادر في تحديد مدفنه؛ فذكر بعضها أنه مدفون بباب الحديد أو الجيزين، وهو الباب المغلق عن يمين باب الفتوح بمدينة فاس. "وفي قولهم: إنه دفن بباب الحديد [بالحاء] نظر؛ بل المعروف ... أنه دُفن بباب الجيزين، وباب الجيزين ذكر غير واحد من المؤرخين أنها المعروفة اليوم بباب الحمراء، عن يمين باب الفتوح (...) وها هنا شيء آخر؛ وهو: أنه يوجد في بعض نسخ شرح الشيخ أبي العباس السّوداني على هذه المقدمة ما نصّه: (ودُفن داخل باب الحديد؛ يُعرف الآن بباب الحمرة بمدينة فاس) اهـ، وفيه نظر أيضا؛ فإنّ باب الحديد عندنا غير باب الحمرة، ولم نر من ذكر

1- راجع: هديّة العارفين وآثار المصنفين، ج2، ص145. واكتفاء القنوع بما هو مطبوع (أشهر التّأليف العربية في المطابع الشرقية والغربية)، إدوارد كرنيليوس فاندايك، صححه وزاد عليه: السيد محمد علي الببلاوي، مكتبة الهلال، مصر - 1896، ص304. وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج6، ص62. وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ص217. ودرة الحجال في غرة أسماء الرجال، ج2، ص109. وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج1، ص239. وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج2، ص1796. ومعجم المؤلفين، ج3، ص641. وجذوة الاقتباس، ج1، ص222. وفهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات، عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت - 1982، ج1، ص351.

2- راجع: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج9، ص82.

أنّ باب الحمرة كان يُسمى في القديم بباب الحديد، بل الواقع في كلامهم أنّ باب الحمرة هو المسمى في القديم بباب الجيزيين⁽¹⁾، و"هو المعروف اليوم بباب الحمراء"⁽²⁾. وباب الجيزيين هذا من أبواب عدوة الأندلس، وهو الذي دُفن داخله الأمير أبو بكر بن عبد الحق المريني المتوفى سنة 656هـ حسبما أوصى بذلك ليكون بإزاء الشيخ أبي محمد الفشتالي⁽³⁾.

المطلب الثالث

شيوخه وتلاميذه

نشأ ابن آجروم ودرس في فاس، ولا تتهيأ معلومات دقيقة عن نشأته ولا عن دراسته، ولا عن شيوخه الذين أخذ عنهم⁽⁴⁾، غير أننا على يقين من أن حافظا كبيرا مثله لا بدّ أن يكون قد درس على كبار أهل عصره؛ كما هي عادة العلماء في كل عصر. وقد نقلت إلينا بعض المصادر أنه أخذ عن أبي حيّان النحوي (ت745هـ)، صاحب التفسير الكبير المعروف بـ"البحر المحيط"، فقد نسب صاحب "نيل الابتهاج" إلى ابن غازي قوله: "لما حجّ الأستاذ الأكبر أبو عبد الله ابن آجروم الفاسي استجاز أبا حيّان فأجازه"⁽⁵⁾.

1- سلوة الأنفاس، ج2، ص127-128.

2- جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، علي الجزنائي، تحقيق: عبد الوهاب ابن منصور - مؤرخ المملكة المغربية، المطبعة الملكية، الرباط - 1991، ص21، هامش59.

3- راجع: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج3، ص19.

4- راجع: ذكريات مشاهير رجال المغرب، ص423.

5- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا التنبكتي، منشورات دار الكتاب، طرابلس - 2000، ص43-44.

وقد عدّ له محقق (فرائد المعاني) جملة من الشيوخ، هم: الإمام محمد ابن القصاب، والشيخ محمد بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الطيب القيسي الضّير، وعبد الملك بن موسى⁽¹⁾.

وأما تلاميذ ابن آجروم فما من شك أنه قد تلقى العلم على يديه عدد كبير من الطلبة، لا سيما من أهل فاس، إضافة إلى الطلبة الذين يرتحلون إليها. وممن وقفت على نسبتهم إلى التلمذ له:

1- ولده: العالم الكبير، أبو محمد، عبد الله؛ وهو الذي وضع له مقدّمته الشهيرة، فانتفع بها، وانتفع بها كلّ من قرأها⁽²⁾. قال المكودي في شرحه على المقدمة الآجرومية: "وقد رويت هذه المقدمة عن ولده الأستاذ الأثير العالم الأطهر أبي محمد عبد الله عن والده المذكور"⁽³⁾.

2- الفقيه الأستاذ المقرئ أبو العباس، أحمد بن محمد ابن حزب الله، الخزرجي النحوي. قال المكودي أيضا في شرحه على المقدمة الآجرومية: "ورويتها أيضا عن ولده الأستاذ المحقق الناظم البارع أبي عبد الله المدعو بمنديل، عن الشيخ الأستاذ المحقق الناظم البارع الأعرف أبي العباس أحمد بن حزب الله، عن واضعها أبي عبد الله محمد المذكور - أي ابن آجروم - رحمه الله تعالى"⁽⁴⁾.

1- راجع: فرائد المعاني في شرح حرز الأمانى ووجه التهاني، العلامة ابن آجروم، تحقيق: الدكتور عبد الرحيم نوبلسي، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في النحو والصرف، جامعة أم القرى في المملكة العربية السعودية، سنة 1997م، ج1، ص21 وما بعدها.

2- راجع: شجرة النور الزكية، ج1، ص312. وسلوة الأنفاس، ج2، ص127.

3- شرح المكودي على الآجرومية، ص24.

4- المرجع السابق، ص25.

3- ولده: الأستاذ المحقق، أبو المكارم منديل⁽¹⁾. وكون المكودي يروي الآجرومية عن منديل عن أبي العباس ابن حزب الله⁽²⁾ عن الإمام الآجرومي⁽³⁾ ليس مدعاة للتردد في أن منديلا هذا أخذ عن والده؛ فقد أدركت من التقاليد الراسخة لدى الأسر العلمية في موريتانيا أن يعهد الشيخ منهم بتعليم أبنائه بداية إلى أنجب تلاميذه الذين مايزالون يدرسون عليه في مراحل متقدمة، وحين يصل هؤلاء الأبناء إلى مستويات متقدمة ينتقلون إلى الأخذ عن والدهم مباشرة؛ وبذلك ندرك أن "سر نجاح أسلافنا وبلوغهم إلى أقصى الغايات في العلوم والمعارف كونهم لا يكلون تعليم أبنائهم إلا إلى كبار الأساتيد الراسخين في العلم، فسرعان ما تظهر نجابتهم ويبدو تحصيلهم"⁽⁴⁾. وسيأتي تفصيل ذلك - إن شاء الله - في سياق الحديث عن النظام التعليمي في عهد الشيخ سيديا الكبير، مؤلف الكتاب موضع الدرس والتحقيق.

4- الشاعر الطبيب أبو العباس، أحمد بن شعيب الجزنائي⁽⁵⁾. وصفه ابن خلدون بالبراعة في اللسان والأدب والعلوم العقلية من الفلسفة والتعاليم والطب وغيرها⁽⁶⁾.

1- راجع: أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن (نثر الجمان في شعر من نظمنا وإياه الزمان)، أبو الوليد إسماعيل ابن الأحمر، تحقيق: الدكتور محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، بيروت - 1976، ص 416.

2- هو أبو العباس، أحمد ابن حزب الله الساعدي النحوي، توفي عام 741هـ. راجع: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني، دار صادر، بيروت - 1988، ج 5، ص 252.

3- راجع: شرح المكودي على الآجرومية، ص 25.

4- ذكريات مشاهير رجال المغرب، ص 424.

5- راجع: سلوة الأنفاس، ج 2، ص 127. وفرائد المعاني، ج 1، ص 42.

6- راجع: التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، عبد الرحمن ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني، بيروت - 1979، ص 48.

- 5- الأستاذ الفقيه النحوي أبو محمد، عبد الله بن عمر الوانغيلي الضّير⁽¹⁾. وقد أخذ عنه المكوذي شارح الآجرومية والألفية⁽²⁾.
- 6- النحوي محمد بن علي بن عمر الغساني، المعروف بابن العربي⁽³⁾ أو بابن الغزي⁽⁴⁾.
- 7- القاضي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الحضرمي⁽⁵⁾.
- 8- القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد المهيمن الحضرمي⁽⁶⁾. ولعلّ المراد: محمد ابن إبراهيم الحضرمي، المذكور قبلاً، فتصحّف⁽⁷⁾.
- 9- ابن حكم. وقد انفرد بذكره صاحب (نفح الطيب)، وذلك في سياق حديثه عن تلامذة المقرّي الجدّ؛ وعزا له القول: "كان أول اتصالي بالأستاذ أبي عبد الله ابن آجروم أني دخلت عليه وقد حفظت بعض كتاب (المفصل) فوجدت الطلبة يعربون بين يديه هذا البيت:
عهدي بها الحيّ الجميع وفيهم قبل التفرّق ميسّر وندام⁽⁸⁾

-
- 1- راجع: جذوة الاقتباس، ج2، ص424. وشجرة النور الزكية، ج1، ص312.
 - 2- راجع: فرائد المعاني، ج1، ص42.
 - 3- راجع: بغية الوعاة، ج1، ص186.
 - 4- راجع: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، دار الجيل، بيروت - 1993، ج4، ص78.
 - 5- راجع: نفح الطيب، ج2، ص694. والضوء اللامع، ج9، ص82.
 - 6- راجع: سلوة الأنفاس، ج2، ص127.
 - 7- راجع: فهرس الفهارس والأثبات، ج1، ص350-351.
 - 8- راجع: شرح ديوان لبّيد بن ربيعة العامري، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، مطبعة حكومة الكويت، 1962، ص288.

وقد عُني عليهم خبر (عهدي) فقلت له: قد سَدَّت الحال - وهي الجملة بعده - مسدَّه⁽¹⁾، فقال لي بعض الطلبة: وهل يكون هذا في الجملة كما كان في قولك: ضربي زيدا قائما؟ فقلت له: نعم، قال رسول الله (ﷺ): أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد⁽²⁾.

فجميع المذكورين قبل "جملة" من النوابع في النحو والقراءات تخرجوا بالمترجم وتأثروا به في الاختصاص بعلم العربية، ولا شك أن هناك كثيرين غيرهم من تلامذته المباشرين لم يحفظ لنا التاريخ أسماءهم؛ أما غير المباشرين من تلامذته الذين انتفعوا بمقدمته فلا يُحصَوْنَ كثرةً ولا يحيط بهم العدد، فقد غَبَرَ زمنٌ طويلٌ على العالم العربي لا يتدبَّر أحدٌ فيه دراسة علم النحو إلا ويجعل المقدمة الآجرومية أول ما يدرس وفاتحة ما يتلقى من هذه الدراسة، حتى لقد صار اسمها علماً على قواعد الإعراب وعلم النحو جملةً؛ فيقال: أخذ الآجرومية مثلاً أو أتقن الآجرومية ويُراد العلم لا الكتاب، وذلك من كثرة ما شاعت هذه المقدمة بين المتعلمين، ووقع التعويل عليها في تلقين قواعد اللغة العربية للمبتدئين⁽³⁾.

1- الجملة الخبرية بعد المعارف المحضة أحوال، وبعد النكرات المحضة صفات. راجع:

شرح شذور الذهب، ص 11.

2- نفح الطيب، ج 5، ص 225.

3- ذكريات مشاهير رجال المغرب، ص 425-426.

المصلى الرابع

مكانته وثناء العلماء عليه

- عرف العلماء قدر ابن آجروم، وأثنوا عليه بما هو أهله، وممن أثنى عليه منهم:
- 1- تاج الدين ابن مكتوم القيسي الحنفي، حيث وصفه في كتابه (التذكرة) بأنه: "نحوي مقريء، وله معلومات من فرائض وحساب وأدب بارع، وله مصنّفات وأراجيز في القراءات وغيرها، وهو مقيم بفاس، يفيد أهلها من معلوماته المذكورة، والغالب عليه معرفة النحو والقراءات"⁽¹⁾.
 - 2- أبو زيد عبد الرحمن المكوّدي، الذي قال عنه: "الشيخ الفقيه، الأستاذ المحقق المقرئ، المجود الحسابي الفرضي، نجيب دهره وفريد عصره"⁽²⁾.
 - 3- الإمام السيوطي، قال عنه: "وصفه شراح مقدمته كالمكوّدي والراعي وغيرهما بالإمامة في النحو، والبركة والصلاح، ويشهد بصلاحه عموم نفع المبتدئين بمقدمته"⁽³⁾.
 - 4- الخطيب الشربيني، وصفه قائلاً: "الشيخ العالم العلامة، الإمام الفهامة، الأستاذ"⁽⁴⁾.
 - 5- المقرئ التلمساني، وصفه بأنه: "الإمام الشهير صاحب المقدمة الآجرومية"⁽⁵⁾.

1- بغية الوعاة، ج 1، ص 238-239.

2- شرح متن الآجرومية للمكوّدي، ص 24.

3- بغية الوعاة، ج 1، ص 238.

4- نور السجدة في حل ألفاظ الآجرومية، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني، تحقيق: الشيخ سيد بن شلتوت الشافعي، منشورات دار المنهاج، جدّة - 2008، ص 51.

5- نفع الطيب، ج 7، ص 123.

6- محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني، وصفه قائلا: "الشيخ الفقيه الإمام، العالم العلامة الهمام، الأستاذ المقرئ الأنوه، النحوي البركة الأنزه، الولي الصالح، الشهير الواضح"⁽¹⁾.

المطلب الخامس

مؤلفاته

اشتغل العلامة ابن آجروم بالعلم تدريسيًا وتأليفًا، ولم يكن عدد تواليفه كثيرًا للدهشة على الرغم من عمق حملتها الداعي إلى البهجة؛ ذلك أنه لم يعمر طويلاً حيث توفي وهو في سنٍّ بزغ فيه نجم عطائه، وعمره حينها إحدى وخمسون سنة. غير أن الفهارس والتراجم نسبت إليه طائفة من الكتب، فيها المنشور والمنظوم، والمقتضب والمسهب، وهذا ذكرٌ لسته من تلك الكتب صحت نسبتها إليه، مرتبة ترتيباً ألفبائياً:

- 1- "البارع" في أصل مقرئ الإمام نافع، وهو نظم رجزي يقع في اثنتين وعشرين ومائة بيت، بين فيه الخلاف القرآني بين ورش وقالون عن نافع المدني⁽²⁾.
- 2- التبصير في نظم التيسير، وهو نظم رجزي وضعه على كتاب التيسير لأبي عمرو الداني⁽³⁾.

1- سلوة الأنفاس، ج2، ص126.

2- راجع: فهرس ابن غازي، تحقيق: محمد الزاهي، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس - 1984، ص95. وقد ورد نظم "البارع" كاملاً ضمن: فرائد المعاني، مرجع سابق، ج1، ص46-53.

3- راجع: فرائد المعاني، ج1، ص53-55.

- 3- ألفات الوصل، وهو نظم رجزي كذلك، نظم فيه ألفات الوصل في الأسماء والأفعال⁽¹⁾.
- 4- المقدمة الآجرومية في علم العربية، وهي موضوع الكتاب الذي بين أيدينا؛ لذا سنفرد لها لاحقاً حيزاً خاصاً بها.
- 5- روض المنافع، وهو كتاب ألفه في قراءة نافع، ولعله حاكي فيه تأليف شيخه ابن القصاب في كتابه المسمى "تقريب المنافع"⁽²⁾.
- 6- فرائد المعاني في شرح حرز الأمانى ووجه التهاني. وقد طبع في ثلاثة أجزاء، بتحقيق الباحث: عبد الرحيم بن عبد السلام نبولسي، ونال به درجة الدكتوراه من جامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية، سنة 1997م⁽³⁾.

المطلب السادس

مذهب في النحو

- ذكر بعض دارسي المقدمة الآجرومية أن مؤلفها ابن آجروم كان على مذهب الكوفيين⁽⁴⁾ في كثير من المسائل النحوية؛ منها:
- 1- توظيفه لبعض اصطلاحاتهم كالخفض بدل الجرّ؛ فقد وظّف في مقدمته مصطلح الخفض عشرين مرّة، بينما لم يوظّف فيها اصطلاح الجرّ سوى ثلاث مرّات فقط؛ وبابا (المبتدأ والخبر) و(الاستثناء) دليلان على ذلك.
 - 2- ذكره أن (فعل الأمر) مجزوم، وذلك ظاهر في أنه معرب؛ وهو رأي الكوفيين.

1- ورد هذا النظم كاملاً في فرائد المعاني، ج 1، ص 55-56.

2- المرجع السابق، ج 1، ص 60.

3- المرجع السابق، ج 1، ص 182-186.

4- راجع: بغية الوعاة، ج 1، ص 238.

- 3- ذكره في باب المعربات (كَيْفَمَا) ضمن الجوازم، والبصريون ينكرون ذلك.
- 4- ذكره أن النواصب عشرة، ومذهب البصريين أنها أربعة فقط.
- 5- ذكره أن "لا" تنصب النكرات بغير تنوين، فهي على ذلك معربة، والبصريون يقولون بالبناء.
- 6- ذكره أن واو "رُبَّ" من حروف الخفض، وهو مذهب كوفي، والبصريون يرون أن الجار هو (رُبَّ) المحذوفة.
- 7- ذكره أن المصدر مشتق من الفعل وفرغ عنه، وهذا مذهب الكوفيين الذين يجعلون الفعل أصلاً للمشتقات.
- 8- لم يذكر عطف النسق، الذي عدّه البصريون وحدهم من التوابع.
- 9- عبّر بلفظ (النعت) وهو عبارة الكوفيين، والبصريون يعبرون عنه بلفظ (الوصف والصفة).
- 10- جعل حدّ الإعراب على القول بأنه معنوي، وهو قول الكوفيين.
- 11- ذكر في النواصب (حتى)، والبصريون يرون أن النصب بعدها ب(أن) مضمرة.
- 12- عدّه ضمير المخاطب "أنت" ضميراً منفصلاً مبنياً على الفتح في محل رفع مبتدأ، وهذا مذهب الفراء وهو إمام الكوفة، أما البصريون فيعتبرون أن الضمير هو "أَنْ" فقط، أما ما يليه من لواحق فيعتبرونها حروف خطاب.

وهذا كله لا ينهض دليلاً على أن مؤلف المقدمة الآجرومية كان كوفي المذهب في النحو؛ وذلك لكثرة ما نجد في هذه المقدمة من السير على مذهب البصريين وآرائهم واصطلاحاتهم⁽¹⁾، من ذلك:

- 1- جعله أقسام الإعراب أربعة، والكوفيون يسقطون منها الجزم فيجعلونها ثلاثة.

1- راجع: ذكريات مشاهير رجال المغرب، ص 431.

- 2- تعبيره بلفظ (المنصرف) و(الاسم الذي لا ينصرف)، والكوفيون يقولون: المُجرى والاسم الذي لا يُجرى.
- 3- عدّه الأفعال ثلاثة، والكوفيون يسقطون منها فعل الأمر فيجعلونها اثنين فقط.
- 4- اشتراطه في الفاعل أن يُذكر قبله فعله، والكوفيون يجيزون تقديم الفاعل على فعله.
- 5- اشتراطه في المبتدأ أن يكون عاريا عن العوامل اللفظية، والكوفيون قالوا: مرفوع بالخبر.
- 6- عدّه (كان) رافعة للمبتدأ، والكوفيون قالوا: مرفوع بما كان به مرفوعا قبل دخول (كان).
- 7- عدّه (كان) ناصبة للخبر على أنه خبرها، والكوفيون يقولون إنه حال.
- 8- عدّه (إنّ) رافعة للخبر، والكوفيون قالوا: هو مرفوع بما كان مرفوعا به قبل دخول (إنّ).
- 9- عدّه (ظنّ) ناصبة للمبتدأ والخبر، على أنهما مفعولان لها، والكوفيون يعدّون الثاني حالا.
- 10- تعبيره بلفظ (الضمير) و(المضمر)، وعبارة الكوفيين: الكناية والمكنى.
- 11- قوله: التوكيد تابع للمؤكد في رفعه ونصبه وخفضه وتعريفه، وأضاف الكوفيون إلى ذلك: وفي تنكيره.
- 12- تعبيره بلفظ (البدل)، وعبارة الكوفيين: الترجمة والتبيين والتكرير.
- 13- عدّه (ربّ) في حروف الجر، والكوفيون يعدّونها اسما.
- 14- لم يعدّ (إلا) من حروف العطف، والكوفيون يعدّونها منها.

- 15- قوله في (المنادى): بينان على الضم، وقال الكوفيون: يعربان بغير تنوين.
- 16- تعبيره بلفظ (الجر) في مواضع متعددة من مقدمته؛ فقال في الخبر: "الجار والمجرور والظرف"، والظرف أيضا لفظ للبصريين. وقال في الاستثناء: "مجرور لا غير" و"يجوز جرّه ونصبه".

وهناك أمر آخر وهو أن المغاربة قد عَرَفُوا نحوَ الكوفة قبل أن يعرفوا نحوَ البصرة، ووصل إليهم كتاب الكسائي قبل كتاب سيبويه؛ فقد ذكرت المصادر أن جودي بن عثمان الطليطلي (ت198هـ) انتقل إلى المشرق فأخذ عن الرياشي والفرّاء والكسائي، وكان أول من أدخل كتاب الكسائي إلى الأندلس⁽¹⁾، وقد شرح بعد ذلك كتاب الكسائي مفرّج بن مالك المعروف بالبلع، وهو من أهل المائة الثالثة⁽²⁾. أما كتاب سيبويه فأقدم من حفظه من المغاربة أبو عبد الله حمدون بن إسماعيل القيرواني المعروف بالنعجة، الذي كان مقدّمًا بعد معلمه أبي الوليد المهري في اللغة والنحو، ويقال إنه أعلم بالنحو خاصة من المهري؛ لأنه كان يحفظ كتاب سيبويه ... وهو في العربية والغريب والنحو الغاية التي لا بعدها. وقد توفي النعجة بعد المائتين⁽³⁾. ويقال إن الشيخ أبا زيد عبد الرحمن بن علي المكوّدي هو آخر من درّس كتاب سيبويه في النحو بفاس، وقد توفي سنة سبع وثمانمائة⁽⁴⁾.

ومع الميل الذي كان للمغاربة عموما للمذهب الكوفي لارتباطه لديهم بآل البيت الذين أُشربوا حُبّهم، فقد وقع منهم إقبال كبير على دراسة كتاب سيبويه والعناية به،

-
- 1- راجع: طبقات النحويين واللغويين، ص256-257. وبغية الوعاة، ج1، ص490.
- 2- راجع: طبقات النحويين واللغويين، ص273.
- 3- المرجع السابق، ص235-236.
- 4- راجع: الاستقصا، ج4، ص100-101. وحاشية ابن حمدون بن الحاج على شرح المكوّدي، دار الفكر، بيروت - 2003، ج1، ص9.

حتى لقد وصل الأمر بالنحوي العظيم أبي حيّان إلى الالتزام ألا يُقرئ أحدًا النحو إلا في كتاب التسهيل أو في كتاب سيبويه⁽¹⁾، ومعلوم أن أبا حيّان ينتمي إلى قبيلة نفزة البربرية التي قادت الثورة للمذهب الشيعي في المغرب. وقد كان أبو حيّان رحل إلى المشرق واستقر فيه وأصبح من أصدقاء ابن تيمية، ثم وقع بينهما خلاف في مسألة نقل فيها أبو حيّان شيئاً عن سيبويه فقال ابن تيمية: وسيبويه كان نبيّ النحو! لقد أخطأ سيبويه في ثلاثين موضعاً من كتابه، فأعرض أبو حيّان عنه ورماه في تفسيره المسمّى (النهر) بكل سوء⁽²⁾. وقد انتقل أبو حيّان من المذهب الشافعي إلى المذهب الظاهري الذي ينكر القياس في الفقه⁽³⁾ فأحرى به أن ينكره في النحو.

ونخلص من كل ما سلف إلى أنه لا يمكن الجزم بأن ابن آجروم كوفيّ المذهب في النحو ولا بصريّ؛ لأنه جارى المذهبين معاً وأخذ من كليهما، دائراً مع الحق أينما ظهر له، وهذا ما مهّد لمقدمته وجعلها تنتشر هذا الانتشار العظيم بين الناس. فما هي المقدمة الآجرومية؟

1- راجع: بغية الوعاة، ج 1، ص 281.

2- المرجع السابق، ص 282.

3- المرجع ذاته، ص 281.

المبحث الثالث

التعريف بالمقدمة الآجرومية

يقتضي التعريف بالمقدمة الآجرومية التطرق لتسميتها، ومكانتها لدى العلماء، والمواضيع والمباحث التي اشتملت عليها، ومنهج مؤلفها، وطبعاتها المتعددة، وعناية العلماء بها شرحا وإعرابا ونظما؛ لذا فسنعلم هذا المبحث إلى خمسة مطالب، نتناول فيها تباعا تلك النقاط المذكورة سلفا.

المطلب الأول

التسمية

تمثل المقدمة الآجرومية حلقة في سلسلة تقريب التأسيس النحوي إلى الاستعمال، ولا يُعرف إن كان ابن آجروم قد وضع لها اسما أم لم يضعه، ومهما يكن من أمر فإنها قد اشتهرت بالنسبة إلى صاحبها الذي اشتهر بابن آجروم أكثر من اشتهاره باسمه محمد الصنهاجي؛ فيقال: الآجرومية، وتارة: الجرومية، بحذف الألف، وتارة يضاف إليها كلمة المقدمة، فتصير: المقدمة الآجرومية، أو: المقدمة الجرومية.

وقد رجح لدي تسميتها (المقدمة الآجرومية)؛ وذلك لكونها مقدمة فعلا، فهي لا تغوص في التفاصيل بل تكتفي بالمبادئ النحوية التي لا يمكن الاستغناء عنها، ثم هي بعد ذلك منسوبة إلى مؤلفها ابن آجروم، وقد بيّنتُ في ترجمته السالفة أن الهمزة في (آجروم) من اسمه ممدودة فتبقى كذلك في النسبة أيضا.

وقد وقع الدكتور يعقوب صرّوف⁽¹⁾، في خطأ لا يليق بمثله حين ذكر في مقال له نشرته مجلة "المقتطف" في عدد مارس سنة 1911، أن كلمة (آجرومية) هي نفس كلمة (اگراما) اليونانية، أو (غراماريا) اللاتينية، أو (GRAMMER) الإنجليزية وكلها تعني قواعد اللغة، زاعماً أنه لا ذكر لآجروم في ترجمة المؤلف. وقد فاته "أن صاحب هذه المقدمة قد اشتهر بابن آجروم أكثر مما اشتهر باسمه، ولا تخلو ترجمة له من ذكر هذه الكنية، كما فاته أن (آجرومية) مادة ليس لها وجود في اللغة العربية فأحرى أن يكون معناها هو معنى (اگراماتيكي - ΓΡΑΜΜΑΤΙΚΗ)⁽²⁾ اللاتينية أو اليونانية، وإنما جاء هذا التشابه في اللفظ موافقا للمعنى الجديد الذي اكتسبه ذلك الاسم في اللغة العربية فأوهم أنه أصيل مثل الكلمة الأعجمية وليس كذلك. وهذا إنما يدل على التوفيق الذي أصابه هذا المؤلف وأخطأه كثيرون غيره من واضعي العلوم بلّغ المؤلفين فيها فقط؛ فسيبويه الذي هدّب هذا العلم وجمع شوارده في "الكتاب" لم يُطلق اسمه عليه، في حين نرى ابن آجروم الذي كتب فيه

1- يعقوب صرّوف: عالم وأديب وصحفي لبناني، وُلِدَ عام 1852م في قرية «الحدث» ببلبنان، تخرّج في «الجامعة الأمريكية» ببيروت عام 1870، وتولى رئاسة فرع مدرسة الأمريكان بصيدا وطرابلس وإدارتهما، ثم شارك في إنشاء مجلة «المقتطف» عام 1876؛ حيث توالى إصدارها تسع سنوات من بيروت، ثم انتقلت إلى القاهرة حيث ظلّ صرّوف يُشرف عليها حتى وفاته. وقد نالت هذه المجلة شهرة واسعة في الدول العربية؛ وذلك لتنوع موضوعاتها بين الأدب والعلوم الحديثة واللغة، فكانت تنشر موضوعات رصينة لصفوة كتاب تلك الفترة، فعُدّت من أبرز العلامات المضيئة التي تركها صرّوف في الساحة الأدبية والعلمية. راجع: الأعلام، ج8، ص202.

2- استفدتُ ضبط اللفظ باللغة اليونانية من الدكتور ماريوس افثيميوبولوس (Marios Panagiotis Efthymiopoulos) زميلي حينها في إدارة التدريب والتطوير المستمر في مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية؛ فحرف الراء يرمزون له ب(P) وليس ب(R).

هذه الورقات القليلة اشتهر اسمه وشرّق وغرّب حتى أُطلق على العلم نفسه وصار مرادفًا له تقريبًا⁽¹⁾.

المطلب الثاني

مكانتها وثناء العلماء عليها

تبوّأت المقدمة الآجرومية مكانة كبيرة، وحصل لها من النفع والشيوع ما لم يحصل لكتاب نحوي آخر، ولعلّ أحد أسباب ذلك عائد إلى مكانة مؤلفها وإخلاصه؛ فقد وُصف بالإمامة في علم النحو، وكان على قدر كبير من الصلاح والبركة، "يدلّك على صلاحه أنّ الله جعل الإقبال على كتابه، فصارَ غالبُ النَّاسِ أوّل ما يقرأ بعد القرآن العظيم هذه المقدّمة فيحصل له النّفعُ في أقرب مدّة"⁽²⁾.

وقد أكثر العلماء من الثناء على هذه المقدمة، ووصفها بما يليق بها؛ ومن ذلك:

1- قول ابن يعلى: "هي مقدمة مباركة من أجلّ ما أُلّف في علم النحو، وهي قريبة المرام سهلة للحفظ والتفهم، كثيرة النفع لمن هو مبدئ مثلي، وضعها (رحمه الله) برسم ولده أبي محمد فانتفع بها، وانتفع بها كل من قرأها"⁽³⁾.

1- ذكريات مشاهير رجال المغرب، ص 426-427.

2- حاشية أبي العباس أحمد بن محمد بن حمدون السُّلمي (المعروف بابن الحاج) على شرح الشيخ خالد الأزهري على متن الآجرومية، المطبعة المحمودية، مصر - 1316هـ، ص 10.

3- الدرة النحوية في شرح الجرومية للشيخ ابن يعلى الحسني، مكتبة جامعة الملك سعود، المخطوط رقم (7999)، ص 1.

2- وذكر المكوّدي أن مقدمة ابن آجروم من أجلّ ما وُضع في علم اللغة العربية من المقدمات المختصرة واللمع المتخيرة، "فهي مفتاح علم اللسان ومصباح غيب البيان"⁽¹⁾.

3- وقال عنها الخطيب الشربيني: "كانت من أحسن مختصر في علم العربية صُنّف"⁽²⁾.

المطلب الثالث

موضوعاتها ومنهج مؤلفها

امتاز الترتيب الموضوعي الذي سار عليه ابن آجروم في مقدمته النحوية بدقة التقسيم، والتسلسل المنطقي، وحسن العرض للقضايا والمسائل النحوية المختلفة؛ والتعليل لكل ذلك. وهكذا جاءت مقدمته متضمنة المواضيع والمباحث التالية:

1- تعريف الكلام، وبيان أقسامه، وعلامة كل قسم.

2- باب الإعراب.

3- باب معرفة علامات الإعراب.

4- باب الأفعال.

5- باب مرفوعات الأسماء.

6- باب منصوبات الأسماء.

7- باب مخفوضات الأسماء.

وقد ذكر التوابع تفصيلاً في آخر باب مرفوعات الأسماء، وتكلم على المعرفة والنكرة في آخر باب النعت.

1- شرح المكوّدي على الآجرومية، ص 23-24.

2- نور السجية في حل ألفاظ الآجرومية، ص 52.

- ويمكن إجمال ما تميزت به هذه المقدمة في النقاط الآتية:
- 1- إيجازها الذي أكسبها الإقبال، بحيث تُطمع كل قارئ في تحصيلها؛ فصارت بذلك أساسا للدراسات النحوية، لسهولة عبارتها ودقتها.
 - 2- حُسن ترتيبها، ذلك أنها ألّمت أبواب النحو في تسلسل منطقي؛ فقد ابتدأ مؤلفها بأقسام الكلام لأن علم النحو يتعلق به، وثنى بالقسم المتعلق بالإعراب لأن الإعراب هو لبُّ النحو، وثالث بالقسم المتعلق بالأفعال والأسماء لأن قواعد الإعراب إنما تطبّق فيهما؛ وبذلك فقد كان كل قسم تمهيدا للذي يليه.
 - 3- يمكن اعتبارها مؤلفا مدرسيا ناجحا؛ فقد روعيت فيها نفسية المتعلم وأصول التربية الحديثة، وذلك بتدرجها من المحسوس إلى المعقول، ومن المبسط إلى المركب.
 - 4- راعى فيها مؤلفها الهدف الأساس من علم النحو وهو إعراب الكلام، فتحاشى الكثير من التعقيدات والتفصيلات التي تُشوِّش ذهن المتعلم؛ فحاز بذلك التوفيق والنجاح دون غيره من مقعدي اللغة العربية، حتى صارت الآجرومية علما على قواعد الإعراب، وكثر التعويل عليها في ترسيخ تلك القواعد.
- أما منهج ابن آجروم في مقدمته هذه فيمكن إيجازه على النحو الآتي:
- 1- يتدئ الموضوع بذكر التعريف غالبا.
 - 2- يهتم بالتقسيم وذكر الأنواع.
 - 3- يحرص على التمثيل للمسائل والأقسام التي يذكرها.
 - 4- يذكر الراجح عنده دون أن يتقيد بمذهب نحوي، ودون نقل مباشر عن كتاب أو إمام معين.

- 5- لم يضع لكتابه مقدمة يبيّن فيها مقصوده ومنهجه.
- 6- خلت المقدمة من ذكر الشواهد الشعرية والتعليقات النحوية.
- 7- يعرض لمباحث الباب بصورة موجزة.
- 8- أغفل بعض المباحث والأبواب؛ طلبا للاختصار.

المجلد الرابع

طبعتها

طُبعت المقدمة الآجرومية مرات كثيرة في أكثر البلاد العربية، سواء مفردة أو مع شروحاتها وحواشيها أو مع مجموعة متون أخرى، حتى يصعب على المتتبع لذلك أن يحصي طبعتها.

وسأكتفي بالإشارة إلى أشهر طبعتها القديمة، ومنها أنها:

- 1- طُبعت في روما، وذلك سنة 1592م⁽¹⁾.
- 2- طُبعت مرتين في كامبردج مقرونة بترجمة إنكليزية للقس بايرون؛ أولاهما سنة 1832م، والأخرى سنة 1852م⁽²⁾.
- 3- طُبعت في الجزائر سنة 1283هـ/1866م، مقرونة بترجمة فرنسية للمستشرق الفرنسي برينيه⁽³⁾.

1- راجع: معجم المطبوعات العربية والمعرّبة، يوسف إيان سركيس، مكتبة الثقافة الدينية،

القاهرة، د.ت، ج 1، ص 25.

2- المرجع ذاته.

3- المرجع السابق.

- 4- طُبعت في مطبعة بولاق بمصر، وذلك سنة 1239هـ (1823م)؛ وأعادت المطبعة ذاتها طباعتها مرتين، أولاهما سنة 1252هـ (1836م)، والأخرى سنة 1293هـ (1876م)⁽¹⁾.
- 5- طُبعت بتحقيق المستشرق الإيطالي أوبيشيني، مع ترجمة باللغة اللاتينية، في مطبعة مدتيشي (1631م).
- 6- طُبعت في بودابست بالمجر (1877م)، بتحقيق المستشرق المجري بيتر هاتالا.
- 7- طُبعت في النمسا (1882م)، بتحقيق المستشرق المجري كانيورسكي، مع شرح باللغة المجرية.
- 8- طُبعت في المطبعة الخيرية (1310هـ)، ضمن مجموع مهمات المتون.
- 9- طُبعت بعناية علي علاء الدين الألوسي، بالمطبعة العلية السلطانية، استانبول (1315هـ - 1897م).
- 10- طُبعت بتصحيح العلامة أحمد الأمين الشنقيطي، بمطبعة السعادة (1324هـ).
- 11- طُبعت بعناية ديف دفرسام فريس، في سنغافورة (1938م).
- 12- طُبعت في مطبعة عيسى البابي الحلبي في مصر سنة 1344هـ. وأعيدت طباعتها في المطبعة ذاتها بتحقيق الأستاذ العلامة محمد محيي الدين عبد الحميد (1370هـ - 1950م).
- 13- طُبعت في مطبعة القاهرة سنة 1367هـ، بضبط وتصحيح الشيخ زيد أبو المكارم حسن.
- 14- طُبعت في مطبعة الخشّاب في مصر سنة 1371هـ، بتصحيح الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي، في 16 صفحة، وسماها: تهذيب الآجرومية في علم قواعد العربية.

1- راجع: معجم المطبوعات العربية والمعرّبة، ص 25.

- 15- طُبعت في مطبعة الدولة التونسية في تونس سنة 1390هـ.
 - 16- طُبعت في مطبعة النهضة الحديثة في مكة المكرمة سنة 1407هـ.
 - 17- طُبعت في دار الصحابة للتراث بطنطا سنة 1410هـ، بدراسة وتحقيق من الدكتور صبحي رشاد عبد الكريم. وهي من أحسن طبعاتها منفردة⁽¹⁾.
 - 18- طُبعت في مطبعة دار الهدى في الرياض سنة 1413هـ.
 - 19- طُبعت مؤسّسة الكتب الثقافية في بيروت سنة 1415هـ، ويليه كتاب "الحقائق النحوية والمنطقية" للشيخ علي الشنوفي.
- وقد طُبعت المقدمة الآجرومية قديما أيضا في كل من: مكة المكرمة، والقدس، وبيروت، وكسروان، ودمشق، والنجف، وفاس، وهولندا، وألمانيا، وفرنسا، ومالطة، والهند⁽²⁾.

المطلب الخامس

عناية العلماء بها

اهتم العلماء بالمقدمة الآجرومية اهتماما كبيرا، فتنوعت أعمالهم عليها مذاكرة وحفظا ونسخا وتحقيقا وشرحا وإعرابا ونظما، وقد سبق في المطلب السابق بيان بعض من حققها، وبعض من ترجمها للغات أخرى، ومقصودي هنا الإشارة إلى بعض جهود العلماء في شرح وإعراب ونظم المقدمة الآجرومية.

1- راجع: الدليل إلى المتون العلمية، عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم، دار الصميعي، الرياض - 2000، ص 490.

2- لمعرفة المزيد عن طبعات الآجرومية، راجع: معجم المطبوعات العربية والمعربة، ج 1، ص 25-26. والدليل إلى المتون العلمية، ص 489-490.

الفرع الأول

شروح الآجرومية

لما كان هذا السفر صغير الحجم عظيم الفائدة لا يستغني عنه طالب فن النحو؛ تصدّر أهل العلم في كل وقت لشرحه وتقريره إلى الطلبة، فتوفّر له من الشروح ما لم يتوفّر لغيره⁽¹⁾، وسأكتفي هنا بذكر طائفة من شروح هذه المقدمة الجليلة - دون التزام باستقصاء شروحها للظن أنها تفوق ما سيذكر بكثير - فمن ذلك:

1- شرح الشيخ محمد بن أبي الفضل بن الصبّاغ الخزرجي المكناسي، المتوفى سنة 750هـ⁽²⁾.

2- شرح الشيخ أبي زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح المكوّدي، نسبة إلى قبيلة بني مكوّود القاطنين قرب فاس، ويُعرف أيضا بالمُطرّزي، واختلف في تحديد تاريخ وفاته، غير أن الراجح أنه توفي سنة 807هـ⁽³⁾.

وقد طبع هذا الشرح سنة 2005 في المكتبة الإسلامية في مجلد واحد، بتحقيق أحمد بن إبراهيم بن عبدالمولى المغيني.

وعلى هذا الشرح حاشية لابن حمدون بن الحاج، طبعت سنة 2003 في مجلدين بدار الفكر.

1- لمعرفة المزيد عن شروح الآجرومية، راجع: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج2، ص1796 وما بعدها. وإيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، إسماعيل باشا الغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - 1386هـ، ج2، ص541 وما بعدها.

2- راجع: معجم المؤلفين، ج3، ص588.

3- راجع: الأعلام، ج3، ص318.

3- شرحان للشيخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن إسماعيل المغربي الأندلسي المالكي، الشهير بالرّاعي النميري. ولد في غرناطة سنة 782هـ تقريباً ونشأ بها، ورحل إلى القاهرة فأقرأ بها وفيها توفي سنة 853هـ. وقد سمي أحد الشرحين (المستقل بالمفهومية في شرح ألفاظ الآجرومية)، وسمى الآخر (عنوان الإفادة لإخوان الاستفادة)⁽¹⁾، الأول وسيط والثاني بسيط. والأول حققه أحمد محمد جاد الله، وطُبع سنة 2012 في دار النوادر بدمشق.

4- شرح الشيخ شمس الدين أبي الفضل محمد بن أحمد بن عمر، المشهور بالقرافي، المصري المالكي، المتوفى سنة 867هـ⁽²⁾.

5- شرح الشيخ أحمد بن أحمد بن علي بن زكريا، شهاب الدين الجديدي البدراني الشافعي النجوي، ولد سنة 819هـ بمدينة بدران ونشأ بها، ثم نزل دمياط وكانت وفاته فيها سنة 868هـ⁽³⁾.

6- شرح الشيخ شمس الدين أبي العزم محمد بن محمد بن يوسف، الحلاوي المقدسي الشافعي النحوي، ولد في بيت المقدس سنة 819هـ ونشأ به، ثم رحل إلى مكة وتوفي فيها سنة 883هـ⁽⁴⁾.

1- راجع: إيضاح المكنون، ج2، ص127.

2- راجع: هدية العارفين، ج2، ص203.

3- المرجع السابق، ج1، ص132. ومعجم المؤلفين، ج1، ص96؛ وقد ورد فيه أن وفاته كانت سنة 888هـ!

4- راجع: هدية العارفين، ج2، ص210.

- 7- شرح الشيخ نور الدين علي بن محمد بن محمد بن علي الفرشي (بالفاء)،
أبي الحسن البسطي الشهير بالقلصادي، الأندلسي المالكي، نزيل باجة،
توفي سنة 891هـ⁽¹⁾.
- 8- شرح الشيخ أبي المجد محمد بن محمد بن محمد، شمس الدين البخاري
الرميثي، إمام مقام الحنفية بمكة، توفي بها سنة 895هـ⁽²⁾. وقد سمّاه
(المأموميّة في شرح مقدّمة الآجروميّة) وهو مطبوع.
- 9- شرح الشيخ داود بن علي بن محمد القلتاوي (ت 902هـ)، نسبة إلى قلتا
إحدى قرى المنوفية بمصر⁽³⁾.
- 10- شرح الشيخ محمد بن إبراهيم بن علي بن أبي الصفا المقدسي، من تلامذة
ابن الهمام⁽⁴⁾.
- 11- شرح الشيخ علاء الدين علي بن يوسف بن علي بن أحمد الدمشقي
العاتكي، الشهير بالبُصروي، فقيه شافعي نحوي (ت 905هـ)، سمّاه
(النّفحة الزكّية في شرح المقدّمة الآجروميّة)⁽⁵⁾.
- 12- شرح الشيخ خالد بن عبد الله زين الدين أبي بكر الأزهري (ت 905هـ).
وقد طُبِع ببُولاَق سنة 1274هـ، وسنة 1290هـ، والمطبعة الخيرية بمصر
1308هـ بهامش حاشية أبي النجا على الشّرح المذكور في 96 صفحة.
وله كتاب آخر في إعراب الآجرومية⁽⁶⁾.

1- راجع: هديّة العارفين، ج 1، ص 737-738.

2- راجع: معجم المؤلّفين، ج 3، ص 676.

3- المرجع السابق، ج 1، ص 700-701.

4- راجع: كشف الظنون، ج 2، ص 1796 وما بعدها.

5- راجع: الأعلام، ج 5، ص 34.

6- راجع: كشف الظنون، ج 2، ص 1798. وهديّة العارفين، ج 1، ص 343.

- وعلى شرح الشيخ خالد الأزهرى (رحمه الله) عدة حواشٍ، منها:
- حاشيتان للشيخ أبي بكر بن إسماعيل بن عمر بن علي، الشهير بالشنواني، التّونسي الأصل والمصري المولد والدار (ت1019هـ)؛ سمّي إحداهما (الدرة الشنوانية على شرح الآجرومية في علم العربية) وهو كتاب مطوّل جمع فيه نفائس الأقوال، وسمّي الأخرى (المواهب الرّحمانية حاشية على شرح الشيخ خالد للآجرومية)⁽¹⁾.
 - حاشية للشيخ شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد ابن يونس، الشهير بالشّلبى، المتوفى سنة 1021هـ تقريبا، سمّاها (الدرر الفرائد على شرح الآجرومية للشيخ خالد)⁽²⁾.
 - حاشية للشيخ علي بن عبد القادر التّبّيني، المتوفى سنة 1061هـ، سمّاها (فتح ربّ البريّة في حلّ شرح الآجرومية للأزهرى)⁽³⁾.
 - حاشية للشيخ عبد الكريم بن محمد بن رمضان السّكندري الأزهرى المالكي الوفائي الشّهير بالدّرّي (ت1080هـ)، سمّاها (الدرة السنية على حل ألفاظ الشيخ خالد والآجرومية)⁽⁴⁾.
 - حاشية للشيخ عبد الله بن عبد الغفور النابلسي، المعروف بالجوهري، المتوفى سنة 1137هـ⁽⁵⁾.
 - حاشية للشيخ العلامة أبي النجا أحمد الجرجاوي الأزهرى، فرغ من تأليفها سنة 1223هـ. طبعت عدّة مرات منها: في المطبعة الأزهرية بمصر سنة

1- راجع: كشف الظنون، ج2، ص1797. وهدية العارفين، ج1، ص239.

2- راجع: كشف الظنون، ج2، ص1797. وإيضاح المكنون، ج1، ص467.

3- راجع: إيضاح المكنون، ج2، ص164. وهدية العارفين، ج1، ص757.

4- راجع: هدية العارفين، ج1، ص613. ومعجم المؤلفين، ج2، ص209.

5- راجع: معجم المؤلفين، ج2، ص254. والأعلام، ج4، ص99.

1279هـ في 168 صفحة، وبولاق سنة 1284هـ، والمطبعة الخيرية بمصر سنة 1308هـ، وفي القاهرة سنة 1343هـ⁽¹⁾.

وعلى حاشية أبي النجا تقارير للشيخ محمد بن محمد شمس الدين الإنبائي (ت 1313هـ). وقد طبعت مع الشرح في مصر سنة 1304هـ و 1312هـ و 1317هـ بالمطبعة العلمية⁽²⁾.

وقد شرح الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي شواهد هذه الحاشية في كتاب سمّاه (كشف الدجى عن شواهد أبي النجا)، طبع في المطبعة الجمالية في القاهرة سنة 1330هـ⁽³⁾.

- حاشية للشيخ أبي العباس أحمد بن محمد بن حمدون السلمي المغربي، المعروف بابن الحاج (ت 1273هـ)، سمّاها (العقد الجوهري من فتح الحي القيوم في حلّ شرح الأزهري على مقدمة ابن آجروم) فرغ منها سنة 1269هـ. طبعت بمصر في بولاق سنة 1319هـ وفي المطبعة الخيرية سنة 1321هـ وفي فاس سنة 1315هـ⁽⁴⁾. وطبعت حديثا في دار الفكر في مجلد واحد.
- حاشية للشيخ عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن محمد السيوطي الجرجاوي (ت 1342هـ)، سمّاها (فوائد الطّارف والتّالد على شرح الآجرومية للشيخ خالد). طبعت في المطبعة الأدبية في القاهرة سنة 1318هـ، وبهامشها شرح الآجرومية للشيخ خالد⁽⁵⁾.

1- راجع: الدليل إلى المتون العلمية، ص 491.

2- راجع: معجم المطبوعات العربية، ج 1، ص 478-479.

3- راجع: الدليل إلى المتون العلمية، ص 491.

4- راجع: معجم المطبوعات العربية، ج 1، ص 70.

5- راجع: الدليل إلى المتون العلمية، ج 1، ص 492.

- حاشية للشيخ عبد الحميد بن إبراهيم الشافعي الشرقاوي (ت 1315هـ)، سمّاها (تسهيل الفوائد لتحصيل شرح الشيخ خالد) طبعت في مطبعة بولاق في مصر سنة 1313هـ⁽¹⁾.
- 13- شرح الشيخ شمس الدين أبي الجود محمد بن أبي الصفا الخليلي المقدسي، (ت 907هـ)⁽²⁾.
- 14- شرح الشيخ محمد بن إبراهيم بن علي بن أبي الصفا كمال الدين أبي الفضل المقدسي (ت 900هـ)⁽³⁾.
- 15- شرح الشيخ حسن بن حسين بن أحمد، المعروف بابن الطولوني (ت 909هـ)⁽⁴⁾.
- 16- شرح الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن سليمان بن عون الطيبي الدمشقي، المعروف ببرهان الدين الشاغوري (ت 916هـ)⁽⁵⁾.
- 17- شرح أبي الحسن علي بن ميمون الفاسي نزيل دمشق (ت 917هـ). وقد سمّاه (الرسالة الميمونية في توحيد الجرّومية)⁽⁶⁾.
- 18- شرحان للشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد، المعروف بابن عبد السلام (ت 931هـ). وقد سمى أحد الشرحين (النخبة العربية في حلّ ألفاظ الآجرومية) وسمى الآخر (الجواهر المرضية في حلّ ألفاظ الآجرومية)⁽⁷⁾.

1- راجع: معجم المطبوعات العربية، ج 2، ص 1274.

2- راجع: هدية العارفين، ج 2، ص 223.

3- راجع: كشف الظنون، ج 2، ص 1797.

4- راجع: معجم المؤلفين، ج 1، ص 546.

5- راجع: هدية العارفين، ج 1، ص 25.

6- راجع: معجم المؤلفين، ج 2، ص 537.

7- راجع: هدية العارفين، ج 1، ص 140-141.

- 19- شرحان للشيخ أبي الحسن علي بن محمد المنوفي، المتوفى سنة 939هـ. وأول الشرحين وسمه بـ (الجوهرة المعنوية على الآجرومية) وأما الثاني فوسمه بـ (الدرر المضية في شرح الآجرومية)⁽¹⁾.
- 20- وضع عليها زيادات وتمّمها الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الرعيني، الشهير بالخطّاب (ت 954هـ). وقد سمي تلك الزيادات والتتمة (متمة الآجرومية في علم العربية)⁽²⁾. وقد شرحت هذه المتمة عدة شروح، منها:
- أ - شرح الشيخ العلامة جمال الدين أبي علي عبد الله بن أحمد الفاكهي (ت 972هـ)، سمّاه (الفواكه الجنية على متمة الآجرومية)⁽³⁾. وقد طُبِعَ هذا الشرح مرارا.
- ب - شرح الشيخ محمد بن أحمد بن عبد الباري الأهدل (ت 1298هـ)، سمّاه (الكواكب الدرية شرح متمة الآجرومية)⁽⁴⁾. وقد طُبِعَ هذا الشرح مرارا.
- 21- شرح الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد، الشهير بالخطيب الشربيني، المتوفى سنة 977هـ، سمّاه (نور السجّة في حلّ ألفاظ الآجرومية)⁽⁵⁾.
- 22- شرح عبد الله بن محمد بن مسعود الدرعي التمكروتي، المتوفى بعد سنة 980هـ⁽⁶⁾.

1- راجع: هدية العارفين، ج 1، ص 743.

2- راجع: إيضاح المكنون، ج 2، ص 426.

3- راجع: هدية العارفين، ج 1، ص 472.

4- راجع: إيضاح المكنون، ج 2، ص 390.

5- المصدر السابق، والجزء ذاته، ص 685.

6- راجع: الأعلام، ج 4، ص 128.

- 23- شرح الشيخ شمس الدين محمد بن شهاب الدين أبي العباس أحمد بن أحمد بن حمزة الأنصاري، المشهور بالرملي، (ت1004)⁽¹⁾.
- 24- شرح الشيخ علي بن جار الله بن محمد بن أبي اليمن القرشي المخزومي، الشهير بابن ظهيرة، المتوفى سنة 1010هـ، سمّاه (رشف الشّربات السّنية من مزاج ألفاظ الآجرومية)⁽²⁾.
- 25- شرح الشيخ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عيسى الدمشقي المالكي المعروف بابن المغربي، المتوفى سنة 1016 هـ. سمّاه (الأنوار البهية في حلّ ألفاظ الآجرومية)⁽³⁾.
- 26- شرح الشيخ أبي الفتوح سيف الدين بن عطاء الله الوفائي الفضالي، المتوفى سنة 1020هـ. سمّاه (الحواشي المحكمة على ألفاظ المقدمة)⁽⁴⁾.
- 27- شرح أبي الحسن علي بن محمد المغربي، المعروف ببركة التطواني، المتوفى سنة 1020هـ⁽⁵⁾.
- 28- شرحان للشيخ شمس الدين محمد بن محمد المهدوي، المتوفى سنة 1020هـ وفي بعض المصادر 1026هـ. أحدهما كبير والآخر صغير، ذكر فيهما إعراب كل شاهد ذكره؛ أما الكبير فيقع في نحو تسعة عشر كراساً

1- راجع: هديّة العارفين، ج2، ص261.

2- راجع: إيضاح المكنون، ج2، ص542.

3- المرجع السابق نفسه.

4- راجع: هديّة العارفين، ج1، ص413.

5- المصدر السابق، والجزء عينه، ص764.

- سمّاه (التحفة الإنسية في شرح المقدمة الآجرومية)⁽¹⁾، وأما الصغير فسّمّاه (الفوائد المهدوية في شرح الآجرومية)⁽²⁾.
- 29- شرح للشيخ علي بن عبد العالي بن عبد الباقي العاملي، المعروف بالميسي نسبة إلى ميس من قرى جبل عامل، كان حيّا سنة 1020هـ⁽³⁾.
- 30- شرح الشيخ أبي السّعود بن علي الزّين الشّعрани، المعروف بالقسطلاني نسبة إلى قرية من أعمال دميّاط (ت1033هـ)⁽⁴⁾.
- 31- شرح الشيخ إبراهيم بن إبراهيم بن حسن بن علي اللقاني، نسبة إلى لقانة من قرى مصر، المتوفى سنة 1041هـ. سمّاه (توضيح ألفاظ الآجرومية)⁽⁵⁾.
- 32- شرح الشّيخ أحمد بن أحمد أبي العباس بابا السّوداني (ت1044هـ)⁽⁶⁾، طبع في فاس سنة 1298هـ ضمن 257 صفحة، وعليه حاشية للشيخ المهدي الوزّاني (ت1342هـ)⁽⁷⁾.

-
- 1- راجع: إيضاح المكنون، ج1، ص243.
- 2- راجع: الأعلام، ج7، ص62.
- 3- راجع: معجم المؤلّفين، ج2، ص458.
- 4- راجع: معجم المؤلّفين، ج1، ص760.
- 5- المرجع السابق، ج1، ص8.
- 6- المرجع السابق، والجزء عينه، ص95.
- 7- راجع: الدّليل إلى المتون العلميّة، ص492.

- 33- شرح الشيخ نور الدين علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي ثم القاهري، صاحب السيرة المشهورة⁽¹⁾، المتوفى سنة 1044هـ. سمّاه (التحفة السنية في شرح الآجرومية)⁽²⁾.
- 34- شرح الشيخ محمد بن يوسف بن أحمد بن علي البدري الدجاني، المشهور بالقشّاشي، المتوفى سنة 1044هـ⁽³⁾.
- 35- شرح الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الواحد ابن السراج الأنصاري السجلماسي ثم الجزائري، المتوفى سنة 1057هـ⁽⁴⁾.
- 36- شرح العريشي محمد بن أحمد الأسدي، اليمني ثم المكي، المتوفى سنة 1060هـ⁽⁵⁾.
- 37- شرح الشيخ فيض بن مبارك الأبياري المصري، المتوفى بعد 1086هـ. سمّاه (الدرر السنّية على ألفاظ الآجروميّة)⁽⁶⁾.
- 38- شرح للشيخ أحمد بن مصطفى بن أحمد الزيّري الإسكندري الشّهير بالصّبّاغ (ت 1162هـ)⁽⁷⁾.

-
- 1- أسماها "إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون"، تقع في ثلاثة مجلّدات، اختصرها من سيرة الشّرخ محمد الشّامي، وزاد أشياء لطيفة. وقد اشتهرت اشتهاً كثيراً، وتلقّتها أفاضل العصر بالقبول. راجع: هدية العارفين، ج 1، ص 755.
- 2- راجع: إيضاح المكنون، ج 1، ص 251.
- 3- راجع: هدية العارفين، ج 2، ص 278. ومعجم المؤلّفين، ج 3، ص 779.
- 4- راجع: هدية العارفين، ج 1، ص 756.
- 5- راجع: هدية العارفين، ج 2، ص 285.
- 6- راجع: معجم المؤلّفين، ج 2، ص 633.
- 7- راجع: معجم المؤلّفين، ج 1، ص 308.

39- شرح الشيخ الطالب محمد بن أبي بكر بن بنان البُرتلي، المتوفى سنة 1219هـ. سَمَّاه (مختصر المواهب السنية والمنح الربانية في شرح الآجرومية)⁽¹⁾.

40- شرح الشيخ أبي محمد عبد الله بن محمد بن عبيد الله الفاسي، سَمَّاه (الجواهر السنية في شرح الآجرومية)⁽²⁾.

41- شرح شهاب الدين أحمد بن علي بن منصور الحميدي المعروف بالبجائي، (ت 837هـ)⁽³⁾.

42- شرح الشيخ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن يعلى الشريف النحوي، سَمَّاه (الدُّرَّة النحوية في شرح الآجرومية)⁽⁴⁾.

43- شرح الشيخ محمد بن عامر، الحكيم النحوي المعروف بابن عامر، توفي في حدود سنة 1073هـ. سَمَّاه (الفتوحات الإلهية في شرح ألفاظ الآجرومية)⁽⁵⁾.

44- شرح الشيخ فضل الله بن محب الله بن محمد المحبّي (ت 1082هـ)، والد المؤرخ العلامة محمد أمين المحبّي؛ مؤلف (خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر)⁽⁶⁾.

1- راجع: فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البُرتلي، تحقيق: عبد الودود ولد عبد الله والدكتور أحمد جمال ولد الحسن، منشورات مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، القاهرة - 2010، ص 37.

2- راجع: كشف الظنون، ج 2، ص 1797-1798.

3- المرجع السابق، والجزء ذاته، ص 1797.

4- راجع: إيضاح المكنون، ج 2، ص 541.

5- راجع: هدية العارفين، ج 2، ص 289.

6- راجع: الأعلام، ج 5، ص 153.

- 45- شرح الشيخ محمد بن عبدالله الخراشي (ت1101هـ)، سَمَاه (الدُّرَر السَّنية لحلّ الألفاظ الآجرومية)⁽¹⁾.
- 46- شرح الشيخ محمد بن عمر بن قاسم بن إسماعيل البقري، نسبة إلى دار البقر من أعمال المحلة في مصر، (ت1111هـ)، سَمَاه (التحفة البهية في إعراب الآجرومية)⁽²⁾.
- 47- شرح الشيخ مسعود بن محمد بن جموع، السجلماسي الأصل الفاسي المنزل، المتوفى سنة 1119هـ⁽³⁾.
- 48- شرح الشيخ أحمد بن غنيم بن سالم بن مهنا النفراوي، نسبة إلى بلدة نفرة في مصر، المتوفى سنة 1125هـ⁽⁴⁾.
- 49- شرحها ونظمها وأعربها الشيخ محمد بن عمر بن عبد القادر الكُفيري الدمشقي، المتوفى سنة 1130هـ؛ أما النظم فسَمَاه (غرر النجوم في نظم ألفاظ ابن آجروم) ويقع في 270 بيتاً، وأما الشرح فسَمَاه (الدرة البهية على مقدمة الآجرومية)، وأما الإعراب فسَمَاه (الأنوار المضوية في إعراب ألفاظ الآجرومية)⁽⁵⁾.
- 50- شرح الشيخ أحمد بن عبد الرحمن الأوسي الأندلسي، المشهور بالنائب الطرابلسي، (ت1155هـ)⁽⁶⁾.

1- راجع: معجم المؤلفين، ج3، ص437.

2- راجع: هدية العارفين، ج2، ص307. والأعلام، ج6، ص317.

3- راجع: معجم المؤلفين، ج3، ص850.

4- المرجع السابق، ج1، ص222.

5- راجع: هدية العارفين، ج2، ص314.

6- راجع: إيضاح المكنون، ج2، ص542.

- 51- شرح محمد بن علي بن أحمد العاملي، الشهير بالحرفوشي، توفي سنة 1059هـ. سَمَّاه (اللَّالِي السَّنية في شرح الآجُرُومِيَّة)(1).
- 52- شرح الشيخ حسن بن علي بن أحمد الأزهرى المنطاوي، الشهير بالمداغى (ت1170هـ)(2).
- 53- شرح أحمد بن رجب بن محمد البقرى المصرى (ت1189هـ)، سَمَّاه (دُرّ الكلم المنظوم بحل كتاب الشيخ ابن آجروم)(3).
- 54- شرح الشيخ أبي الفتوح كمال الدين محمد بن مصطفى البكرى الغزى (ت1196هـ)، سَمَّاه (الكلمات البَكْرِيَّة في حلِّ معاني الآجُرُومِيَّة)(4).
- 55- شرح الشيخ العلامة حسن بن علي الكفراوي؛ نسبة إلى كُفر الشيخ حجازي، المتوفى سنة 1202هـ(5).
- 56- شرح الشيخ محمد بن داود بن سليمان الخربتاوي البحيري؛ نسبته إلى خربتا إحدى قرى البحيرة في مصر، توفي سنة 1207هـ. سَمَّاه (المواهب العلية من ربِّ البرية لحلِّ ألفاظ الآجُرُومِيَّة)(6).
- 57- شرح الشيخ علي بن عبد البر بن علي الحسيني، الشهير بالونائي؛ نسبة إلى (وَنَاء) قرية في صعيد مصر، (ت1212هـ). سَمَّاه (الكلمات الجليلة في بيان المراد من الآجرومية)(7).

1- راجع: هدية العارفين، ج2، ص284.

2- المرجع السابق، ج1، 298-299.

3- راجع: معجم المؤلفين، ج1، ص139.

4- راجع: هدية العارفين، ج2، ص343.

5- راجع: معجم المؤلفين، ج1، ص571.

6- راجع: إيضاح المكنون، ج2، ص602.

7- راجع: الأعلام، ج4، ص298.

- 58- شرح الشيخ أبي الفضل محمد بن محمد الغزي، المتوفى سنة 1214هـ. سَمَّاه (العقود الجوهريّة في حل الألفاظ الآجروميّة)⁽¹⁾.
- 59- شرح الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي، الشهير بابن عجيبة (ت1224هـ). سَمَّاه (الفتوحات القدوسيّة في شرح المقدمة الآجروميّة)⁽²⁾.
- 60- شرح الشيخ يحيى بن محمد الحلبي، الشهير بالمسالخي، المتوفى سنة 1229هـ. سَمَّاه (التحفة السنية لقراء الآجرومية)⁽³⁾.
- 61- شرح الشيخ محمد الصالح بن سليمان العيسوي المغربي، (ت1242هـ). سَمَّاه (الدليل على الآجروميّة)⁽⁴⁾.
- 62- شرح الشيخ محمد بن عبد الكريم، الشهير بالترمانيّ (ت1250هـ)؛ نسبة إلى ترمانيين إحدى قرى حلب⁽⁵⁾.
- 63- شرح الشيخ سيديا الكبير، الشنقيطي، المتوفى سنة 1254هـ. سَمَّاه (النفحة القيومية بتقرير الآجرومية). وهو موضوع هذه الأطروحة التي بين أيديكم الكريمة.

الفرع الثاني

أعرابها

سأقتصر على ذكر طائفة من الكتب المؤلفة تحديدا في إعراب المقدمة الآجرومية، وأنوّه هنا بأن بعض شروح الآجرومية قد احتوت على إعرابها كاملا؛ كشرح الكفيري،

1- راجع: إيضاح المكنون، ج2، ص113.

2- راجع: معجم المؤلفين، ج1، ص300.

3- المرجع السابق، ج4، ص93.

4- المرجع السابق، ج3، ص353.

5- المرجع السابق، ج3، ص424.

فإنه بعد أن ينتهي من شرح مسائل الباب يعقبه بفصل في إعراب ألفاظه. والأمر ذاته مع الكفراوي الذي مزج شرحه بالإعراب.

وسيكون ترتيبه لذكر ما وقفت عليه من أعاريب الآجرومية بحسب وفاة مؤلفيها، ومن لم أقف على سنة وفاته ذكرته حسب الترتيب الذي اعتمدته حين ذكرت شراحها؛ فمن ذلك:

- 1- بشرى طلاب العربية بإعراب الآجرومية، للشيخ خالد الأزهرى (ت 905هـ)⁽¹⁾.
- 2- الفوائد السنّية في إعراب أمثلة الآجروميّة، لنجم الدين محمد بن يحيى بن تقي الدين بن عبادة الحلبي (ت 1090هـ)⁽²⁾.
- 3- التحفة البهية في إعراب الآجرومية، لمحمد بن عمر بن قاسم، المعروف بالبكري، المتوفى سنة 1111هـ⁽³⁾.
- 4- الأنوار المضية في إعراب ألفاظ الآجرومية، للكفيري (ت 1130هـ)⁽⁴⁾.
- 5- الجوهرة السنّية في إعراب الآجرومية، للشيخ يحيى بن محمد الحسيني العطار، أتمّها سنة 1222هـ⁽⁵⁾.

1- نشرته دار ابن حزم للطباعة والنشر في بيروت سنة 2006، بتحقيق: خالد بن عبد القادر المعلمي.

2- راجع: هديّة العارفين، ج 2، ص 297.

3- راجع: الأعلام، ج 6، ص 317.

4- راجع: هديّة العارفين، ج 2، ص 314.

5- راجع: معجم المطبوعات العربية والمعرّبة، ج 2، ص 1338.

- 6- الفوائد الزكية في إعراب الآجرومية، لأحمد بن محمد الخليلي، وقد فرغ منها سنة 1195هـ⁽¹⁾.
 - 7- البهجة البهية في إعراب الآجرومية، لعبد الباقي بن محمود بن عبدالله الألوسي، المتوفى سنة 1298هـ⁽²⁾.
 - 8- الخريدة البهية في إعراب ألفاظ الآجرومية، للشيخ عبدالله بن عثمان العجيمي، أتمها سنة 1307هـ⁽³⁾.
 - 9- الباكورة الجنية من قطاف إعراب الآجرومية، للشيخ محمد أمين عبدالله الأثيوبي الهري. طبع في مطابع الصفا بمكة المكرمة سنة 1404هـ⁽⁴⁾.
 - 10- الجوهرة السنية في إعراب الآجرومية، للشيخ يحيى الحسيني العطار. طبع في مطبعة عثمان عبدالرزاق في القاهرة سنة 1303هـ⁽⁵⁾.
- ومما يلحق بهذا الفرع كتاب "تمارين الأجرومية للشبيبة العصرية" الذي وضعه محمد ابن عبد المجيد أقصبي (ت1945م)، فاتح عام 1335هـ الموافق أواخر أكتوبر سنة 1916م، وأعيد طبعه بإذن إدارة العلوم والمعارف بمطبعة المكتبة المخزنية الفاسية في أواخر عام 1339هـ.

-
- 1- راجع: إيضاح المكنون، ج2، ص542. وقد كان الخليلي حيًّا سنة 1239هـ، بدليل أن فراغه من مؤلفه الآخر (نجات الأرواح في أحكام النكاح) كان في السنة المذكورة. راجع: هدية العارفين، ج1، ص184.
 - 2- راجع: معجم المؤلفين، ج2، ص45.
 - 3- المرجع السابق، والجزء عينه، ص257.
 - 4- راجع: الدليل إلى المتون العلمية، ص498.
 - 5- المرجع السابق، ص499.

الفرع الثالث

منظوماتها

نُظمت الآجرومية مرّات كثيرة، منها:

- 1- اللعة المضية نظم المقدمة الآجرومية، لبرهان الدين إبراهيم بن إسماعيل المقدسي النابلسي، الشهير بابن النقيب، المتوفى سنة 803هـ⁽¹⁾.
- 2- العلوية في نظم الآجرومية، لنور الدين علي بن الحسن السنهوري، المتوفى سنة 913هـ. وله شرح على نظمه هذا⁽²⁾.
- 3- الدرة البرهانية في نظم المقدمة الآجرومية، لبرهان الدين إبراهيم بن والي بن نصر المقدسي، المتوفى سنة 960هـ⁽³⁾.
- 4- الدرة البهية في نظم الآجرومية، ليحيى بن شرف بن عبد الوهاب، المعروف بالشامي (ت 972هـ)⁽⁴⁾.
- 5- الدرة البهية في نظم الآجرومية، لشرف الدين يحيى بن موسى بن رمضان العمرطي، المتوفى بعد سنة 988هـ⁽⁵⁾. وهذا النظم هو أشهر منظومات الآجرومية، ويقع في 254 بيتا.

1- راجع: الأعلام، ج 1، ص 33.

2- راجع: معجم المؤلفين، ج 2، ص 422-423.

3- راجع: هدية العارفين، ج 1، ص 27.

4- راجع: معجم المؤلفين، ج 4، ص 98.

5- راجع: معجم المطبوعات، ج 2، ص 1385 و 1987. وقد حددت بعض المصادر (مثلا: معجم المؤلفين، ج 4، ص 118) وفاة العمرطي بسنة 890هـ، وهو غلط يقينا؛ فالعمرطي أَرخ عددا من منظوماته في القرن العاشر، مثل نظم الآجرومية سنة 976، ونظم

- 6- الحلة البهية في نظم الآجرومية، للشيخ نجم الدين محمد بن محمد الغزي، صاحب (الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة)، المتوفى سنة 1061هـ⁽¹⁾.
- 7- غرر النجوم في نظم ألفاظ ابن آجرؤم، لمحمد بن عمر بن عبد القادر الدمشقي، الشهير بالكفيري، (ت 1130هـ)⁽²⁾.
- 8- جمال الآجرومية، لرفاعة بدوي الطهطاوي، الأديب صاحب التصانيف، المتوفى سنة 1290هـ⁽³⁾.
- 9- نظمها علاء الدين علي بن نعمان بن محمود الآلوسي، المتوفى سنة 1340هـ⁽⁴⁾.
- 10- التحفة المكية في نظم الآجرومية، لفضل الله بن نصر الغوري العمادي⁽⁵⁾.
- 11- التحفة الإلهية في نظم الآجرومية، لأبي إسحاق إبراهيم بن عبد القادر بن أحمد الرياحي التونسي، المتوفى سنة 1266هـ⁽⁶⁾.

التحرير سنة 988، ولهذا سايرت الزركلي في ما ذهب إليه من كونه متوفى بعد تلك السنة. راجع: الأعلام، ج 8، ص 174.

- 1- راجع: هدية العارفين، ج 2، ص 285.
- 2- المرجع السابق، الجزء عينه، ص 314.
- 3- راجع: إيضاح المكنون، ج 1، ص 365.
- 4- راجع: معجم المؤلفين، ج 2، ص 539.
- 5- راجع: كشف الظنون، ج 1، ص 374.
- 6- راجع: إيضاح المكنون، ج 2، ص 542.

12- الدُّرَّة اليتيمة، للشيخ سعيد بن سعد بن نبهان الحضرمي (من أدباء القرن الرابع عشر للهجرة)، طُبعت مع كتاب الآجرومية بالمطبعة الميمنية بمصر 1333هـ⁽¹⁾.

13- المنظومة السنّية لما يسمى متن الآجرومية، لعلي بن عبد الله السني المصراطي الطائي المصري المغربي الطرابلسي، طبع على الحجر في المطبعة الشرفية بالقاهرة سنة 1307هـ⁽²⁾.

14- نظم الشيخ مولود بن محمد السعيد ابن موهوب الجزائري، المتوفى بعد سنة 1349هـ⁽³⁾.

15- نظم الآجرومية، لمحمد المختار بن محمد يحيى الولاتي الشنقيطي، المتوفى سنة 1352هـ.

16- نظم الآجرومية، لمحمد حبيب الله بن مايابى الجكني الشنقيطي، المتوفى سنة 1364هـ.

17- نظم الشيخ موسى محمد شحاده، طبع في المطبعة العلمية بدمشق سنة 1406هـ⁽⁴⁾.

18- نظم عبيد ربه محمد الشنقيطي، المتوفى سنة 1109 هـ. يقع في مائة واثنين وخمسين بيتاً. وقد شرح هذه المنظومة الشيخ زايد الأذان بن الطالب أحمد الشنقيطي، وسمى شرحه (مصباح الساري شرح منظومة عبيد ربه الشنقيطي على المقدمة الآجرومية في النحو)، وطُبعت هذا الشرح في المطبعة

1- راجع: معجم المطبوعات، ج 1، ص 26 و 264.

2- راجع: معجم المطبوعات، ج 2، ص 1363. والدليل إلى المتون، ج 1، ص 500.

3- راجع: الأعلام، ج 7، ص 333.

4- راجع: الدليل إلى المتون العلمية، ج 1، ص 501.

المحمودية في جدة سنة 1414هـ، وقد أفرد متن المنظومة في آخر هذا الشرح من صفحة 160 إلى صفحة 174⁽¹⁾.

19- نظم الشيخ محمد عبد الله بن أحمد بن الحاج حماد الله القلاوي البكري الشنقيطي، نظمها في مائة وأربعة وخمسين بيتاً، وقد طبع في جدة بدار المحمدي للنشر والتوزيع سنة 1419هـ⁽²⁾.

20- نظم العلامة محمد بن آب القلاوي الشنقيطي، وقد شرحه الشيخ أحمد بن عمر الحازمي، وطبع الشرح في مكتبة الأسد بمكة المكرمة سنة 1431هـ - 2010م.

1- راجع: الدليل إلى المتون العلمية، ج 1، ص 501.

2- المرجع السابق نفسه.

الفصل الثالث

حياة الشيخ سيدنا الكبير

مصنف كتاب

النفحة القيومية بتقرير الآجرومية

تمهيد

الحديثُ عن أي كتاب يستدعي التعريفَ بمصنّفه، وإعطاء صورة عن عصره وبيئته وثقافته؛ فالأدب بصفة عامة والتأليف بوجه خاص هو ظلُّ حركة الحياة اليومية في البيئة التي نبت فيها، ولذلك فإن صور الحياة المختلفة التي يرسمها المؤلف - عن قصد أو عن غير قصد - تأتي مختلفة الجوانب والأبعاد متعددة الرؤى خفية المقاصد، تحتاج إلى بيان وتأويل وتبسيط وتفكيك وتحليل، ولن يكون ذلك دون فهم خلفية النص وربطه بالسياق الذي أنتجه والبيئة التي وُلد فيها، وصدق أهل الأصول حين قالوا إن "معرفة الأسباب معينة على التأويل"، لذلك سأدرس في هذا الفصل حياة الشيخ سيدي الكبير، مؤلف "كتاب النفحة القيومية بتقرير الآجرومية"، وذلك انطلاقاً مما وقفتُ عليه في كتابات من سبقوني إلى الترجمة له، وما تمكنت شخصياً من الاطلاع عليه من معلومات متعلقة به اطلّعتُ عليها بفعل الرابط الأسري الذي يجمعني وإياه؛ فهو جدّي الذي لا يفصلني عنه سوى أربعة آباء.

ولا بدّ قبل الحديث عن الشيخ سيدي الكبير من نظرة إلى عصره، تلقي الضوء على مختلف جوانبه، وخصوصاً منها الناحية السياسية والفكرية؛ لذا سأقدم عرضاً عن البيئة العامة التي عاش فيها المؤلف، كي تتضح معالم المحيط الذي ندرسه، وذلك من خلال إلقاء نظرة سريعة على التسميات والحدود لإطارَي الدراسة جغرافياً وتاريخياً، إضافة إلى الحديث عن الأوضاع السياسية والاجتماعية التي سادت المجال الموريتاني في القرن الثالث عشر الهجري (قرن الشيخ سيدي الكبير)؛ وسأخص الأوضاع الثقافية تحديداً في هذا العصر بتفصيل أكثر.

وهذا يستدعي تقسيم الفصل إلى ثلاثة مباحث؛ يخصص أولها للحياة العامة في عصر المصنف، ويخصص ثانيها للحياة العلمية في العصر المذكور، أما ثالث المباحث فيخصص لترجمة المصنف نفسه.

المبحث الأول

الحياة العامة في بلاد شنيق خلال القرن 13هـ

يعتقد كثير من الباحثين المعاصرين أن القرن الثالث عشر الهجري يُعدُّ قرن اكتمال الثقافة الشنقيطية ونُضجها وازدهارها، فقد ازدهرت فيه الحياة العلمية بصفة خاصة، وكثرت المدارس التقليدية "المحاضر" فكثر المتخرجون منها، كما نشطت حركة التأليف والتصنيف، ففيه «بلغت هذه الثقافة أقصى مداها انتشاراً وعطاءً، وتمرّس هؤلاء البدو الرُّحَل المنزلون بمختلف فروعها تدريساً وتأليفاً وبحثاً وتنظيراً، واكتملت لهم شخصيتهم الثقافية المستقلة الموحّدة، فأصبح تميّزهم من سواهم جلياً. ولقد تمَّ ذلك كله في كنف تعرُّبٍ عامٍ متعمِّقٍ متعاظم ... فإذا [اللهجة] الحسّانية تشملُ البلاد كلّها؛ منفردةً بالمستوى اليومي من الإبلاغ في غالب الأحوال، وإذا تعرُّب النخبة يبلغ أوجهُ ويشمل قبائل الزوايا كافة»⁽¹⁾.

وستتناول مبحث الحياة العامة في موريتانيا خلال القرن 13هـ عبر خمسة مطالب؛ نجعل أولها لمحة عامة عن تاريخ المنطقة المدروسة، أما ثانيها فنخصصه للتسميات التي عُرف بها المجال الجغرافي الموريتاني على مرّ الحقب، ونخصص الثالث

للحدود الجغرافية لهذا الحيّز ووصف مناخه، أما أوضاعه السياسية فنُفرد لها المطلب الرابع، وتتطرق للحياة الاجتماعية في المطلب الخامس.

غير أننا مضطرون قبل الخوض في تلكم التفاصيل إلى تأكيد أن نطاق المجال المدروس يشمل بالإضافة إلى موريتانيا الحالية مناطق أخرى مجاورة، تربطها بها وحدة اللغة، والعادات والتقاليد، والنسب والتاريخ؛ وبذلك فنحن نتحدث عن مجال ثقافي وحضاري وبشري منسجم لكنه ليس ضمن حدود سياسية واحدة، لأن تلك الحدود استجدت مع الاستعمار الذي قسّم هذا المجال وشتت سكانه، ولذا فسنحرر هنا من الفضاء السياسي وتصوراتهِ المثيرة للجدل، لنتحرك في مجال ثقافي أنسب لدراسة حياة الناس وتحولاتها في الزمان والمكان، مستخدمين لذلك المصطلحات والمفاهيم وفقاً لسياقها الزمني والمنطقي.

المطلب الأول

لمحة تاريخية عامة

يفتقر دارس التاريخ إلى معلومات دقيقة وواضحة ومتسلسلة عن المجال الذي يُعرف اليوم بموريتانيا وخصوصاً ما قبل الفتح الإسلامي، ورغم ذلك فإن المهتمين حديثاً بكتابة تاريخ المنطقة يجزمون أنها كانت آهلة بالسكان منذ العصور الحجرية الأولى، وهو ما يؤكد أنها لم تكن صحراوية منذ القدم؛ فالآثار المنقوشة على صخورها التي تبدو فيها أشكال مختلفة من الأدوات التي استعملها الإنسان القديم تؤكد أنّ البلاد كانت غنية بالمياه وتتساقط فيها الأمطار وبها أنهار جفت بمرور الزمن نتيجة للتغيرات المناخية، فهجرها الإنسان نحو الشرق أو المناطق الجنوبية. وهذا ما أكّده الدراسات المسحية في مناطق عديدة من الصحراء الموريتانية حيث كشفت عن آثار

جيولوجية تعود إلى العصر الحجري القديم⁽¹⁾، وأكّدت تلك الدراسات أن الإنسان في العصر الحجري الحديث كان يعتمد على الزراعة في تلك المنطقة، وأنها عرفت خلال العصر ذاته حضارات متعددة وتجمعات سكانية واسعة الانتشار أجهز عليها الجفاف القاصم الذي اجتاحتها في فجر التاريخ فحوّلها إلى صحراء بقيت كذلك إلى اليوم⁽²⁾.

ومن أقدم الشعوب التي سكنت أرض الرمال وعمرتها على مرّ العصور قوم "لوتوفاج" الذين ذكرت بعض الكتابات اللاتينية القديمة أنهم هاجروا من شمال إفريقيا واستقروا في منطقة لا توجد فيها مياه فصاروا يعوضون عنها بجذور الأشجار التي كانوا ينتزعونها ويمتصون ما تحتويه من الماء. كما أشارت هذه الكتابات إلى وجود شعب آخر أطلقوا عليه اسم "الفاروسي" كان يجوب الصحراء مستعيناً بعربات تجرّها الخيول، ويعتقد أن هذا الشعب هو الذي ترك صوراً لعربات وخيول على بعض الجبال الموريتانية في شمال البلاد⁽³⁾.

-
- 1- راجع: موريتانيا الثقافة والدولة والمجتمع، الناني ولد الحسين ومحمد الأمين ولد الشيخ عبد الله، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى 1995، ص 41. والجمهورية الإسلامية الموريتانية.. دراسة مسحية شاملة، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الطبعة الأولى 1978، ص 6.
 - 2- راجع: الشعر الشنقيطي، ص 37.
 - 3- راجع: موريتانيا الثقافة والدولة والمجتمع، ص 42.

وخلال نهاية القرن الأول الميلادي سكنت أرض المثلثين مجموعات بشرية متعددة من أهمها الجيتول⁽¹⁾ والنازامونيون⁽²⁾، واختلطوا بالسكان الأصليين، معتمدين في عيشهم على ما تنتجه الأرض من حبوب في الواحات، إضافة إلى التجارة مع الشعوب المجاورة وخصوصا الزنوج الذين تؤكد بعض الاكتشافات الأثرية الحديثة أنهم كانوا يقطنون المنطقة في عصور ما قبل التاريخ، وقد أقام هؤلاء الزنوج مع فجر التاريخ ممالك عديدة فيما كان يعرف بالسودان الغربي الذي كان يشمل بعض الأراضي الموريتانية حاليا؛ ومن هذه الممالك مملكة "ديارا"، ثم مملكة "غانا" التي كانت عاصمتها "كومبي صالح"، لكن أيًا من هذه الممالك لم تستطع تكوين دولة مركزية موحدة راسخة الأركان يخضع لها سكان المنطقة بأكملهم، ولعل أحد أسباب ذلك عدم تجانس المجموعات السكانية، ثم ندرة المصادر المائية التي طبعت حياة أهل المنطقة على مرّ العصور والأزمنة، بالإضافة إلى نمط الترحال الذي ظلّ ديدن سكان أهل الصحراء بحثا عن الكلأ والمرعى في سفوح الجبال وبطون الأودية، حيث كان ميدان التنمية الحيوانية المصدر الوحيد لأرزاقهم في بعض العصور، ثم دخلت الزراعة بعد ذلك فاحتلت المرتبة الثانية، ثم ازدهرت التجارة في عصور لاحقة.

وخلاصة القول هي أن أهم الشعوب التي سيطرت على مجتمع الصحراء خلال العصر القديم تتمثل في: الإثيوبيين - الجرمانتيين - الفاروسيين - الجيتوليين، فهل

1- راجع: القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني، بول مارتى، تعريب: محمد محمود ولد ودادي، الطبعة الأولى، بدون تاريخ، ص 22.

2- راجع: الشعر العربي في بلاد شنقيط (مبحث في النشأة والتطور)، عبد الله ولد بن حميده، الطبعة الأولى، ص 43.

يمكن إذن اعتبار تلك الشعوب أسلافا للسكان الذين سيعمرون الصحراء لاحقا، والذين كانوا في معظمهم من صنهاجة؟⁽¹⁾

خلال العصور الوسطى زحفت قبائل صنهاجة "الملثمين"⁽²⁾ من الشمال لبسط نفوذها على معظم البلاد التي ستُعرف لاحقا باسم "موريتانيا"، وقد كانت صنهاجة من أقوى قبائل الصحراء وأشدها وأمنعها، فقد اشتهرت بقوة شكيمنتها وكثرة رجالها الذين ملؤوا الشمال الإفريقي فسكنوا جباله وسهوله، حيث إن قبائل صنهاجة تعدُّ بالعشرات⁽³⁾، لكن أشهرها وأقواها شوكة هي القبائل الثلاث: اكدالة - بكاف منعقدة - ولَمْثُونَة وَمَسْثُوفَة، وهي القبائل التي تقاسمت النفوذ على هذه المنطقة؛ فامتدت

1- راجع: صحراء الملثمين وعلاقاتها بشمال وغرب إفريقيا، الناني ولد الحسين، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة محمد الخامس، الرباط - 2000، ص 36. واسم صنهاجة تعريب للفظ الأمازيغي "إزناكُن" وهم مع مصمودة (إمصمودن) وزناتة (إزناتن) يُكوّنون المجموعات القبلية الكبرى في المغرب الكبير.

2- اشتهرت القبائل الصنهاجية "بالمِلْثَمِين" لاتخاذ رجالهم اللثام، وقد اختلف المؤرخون في سبب اتخاذهم له وأوردوا في ذلك قصصا وحكايات مختلفة، لكننا نعتقد أن لهيب الصحراء هو الذي دعاهم إلى توقيه باللثام، ثم صار بعد ذلك عادة توارثتها الأجيال. انظر: تاريخ ابن خلدون (كتاب العبر وديوان المبتدئ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، دار الفكر، بيروت - 2000، ج 6، ص 132.

3- راجع: تاريخ المغرب العربي إلى قيام دولة المرابطين، سعد زغلول عبد الحميد، منشأة المعارف، مصر 1995، ص 512.

(أكدالة) على طول شواطئ المحيط الأطلسي حتى الضفة اليمنى لنهر السنغال⁽¹⁾، واستقرت (لمتونة) في الوسط، وانتشرت (مسوفة) في الشرق والجنوب الشرقي⁽²⁾.

وقد اختلف المؤرخون حول الأصول السلالية لقبائل صنهاجة، فهناك من جعلهم بربرا نسبة إلى برّ بن قيس عيلان الذي هاجرت عشيرته فشطّت داره واستعجم لسانه⁽³⁾، وهناك من يقول إنهم قبائل يُنسبون إلى حمير وأن أجدادهم خرجوا من اليمن زمن أبي بكر الصديق فأتوا مصر ثم غزوا المغرب مع موسى بن نصير فأحبوا الصحراء واستوطنوها، وبعض الروايات تذهب إلى أن لمتونة منهم تحديداً قد استوطنوا الصحراء منذ الجاهلية⁽⁴⁾، ونجد البدوي المجلسي⁽⁵⁾ قد جزم بحميرتهم فوصف يوسف ابن تاشفين قائلاً: بيوسف القرم ابن تاشفينا # الحميري ثم من لمتونا⁽⁶⁾.

1- هذا النهر هو الفاصل بين موريتانيا والسنغال، وكان يسمى نهر صنهاجة، ثم نهر سنغانة بتحريف من الزوج، وابتداء من القرن 16 الميلادي أطلق عليه الأوروبيون الاسم المعروف به حالياً.

2- راجع: بلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص 28 وما بعدها.

3- راجع: تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص 201 وما بعدها.

4- راجع: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة - 1984، ج 18، ص 426.

5- هو البدوي ولد محمداً ولد بو أحمد المجلسي، وهو العالم الشهير الماهر بالسياسة، ناظم الأنساب والغزوات. وابنه سيدي ولد المختار ولد البدوي، من قدماء تلاميذ الشيخ سيديا، وهو كثير الخدمة له وكثير الذكر في رسائله. راجع: كتاب الأخبار، ج 2، ص 7.

6- راجع: شرح نظم عمود النسب، حماد ولد ألّمين المجلسي الشنقيطي، تحقيق: أباه ولد محمد عالي ولد نعم العبد المجلسي الشنقيطي، دار الفتح للطباعة والنشر والتوزيع، الشارقة - 2002.

وصرح المعتمد بن عباد بعروبة صنهاجة وانتمائهم إلى حمير، وذلك في رسالة استنجد أهل الأندلس بيوسف بن تاشفين الصنهاجي، فقال: "وأنت أيدك الله ملك المغرب أبيضه وأسوده، وسيد حمير، ومليكها الأكبر، وأميرها وزعيمها"⁽¹⁾.

كما تُعدُّ الرسالة الطويلة التي خاطب بها السلطان أبو عبد الله بن الأحمر، السلطان محمداً الشيخ الوطاسي؛ معذراً له عن سقوط غرناطة آخر معاقل الإسلام في الأندلس، دليلاً قاطعاً على أن البربر يعدّون أنفسهم عرباً؛ حيث وصف ابن الأحمر المرينيين قومهما معاً⁽²⁾ بأنهم: "انتسبوا إلى برّ بن قيس، فخرجوا في البرّ عن كل قيس"⁽³⁾.

والواقع أن هذا المبحث السلالي التاريخي لم يعد ضرورياً؛ إذ من المسلم به أن صنهاجة قد تعرّبت أيّاً كانت أصولها، فمنذ جاء الإسلام إلى أرضها أذعنت له بالتدرج، فخطأ بها خطوة كبيرة على طريق التعريب الذي أصبح اليوم حقيقة تكاد تعصف بكل معطيات التاريخ خصوصاً إذا صدّقنا السكان في أنسابهم⁽⁴⁾. وبغضّ النظر عن الجذور الأولى للبربر فإن القبائل البربرية في موريتانيا قد تعرّبت منذ دخولها

1- الحلل المؤشّية في ذكر الأخبار المراكشية، مؤلف أندلسي من أهل القرن الثامن الهجري (الثامن عشر خطأ في العنوان)، تحقيق: سهيل زكار وعبدالقادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء - 1979.

2- ذكر ابن خلدون "أن بني الوزير هؤلاء [الذين أسسوا دولة بني وطاس] يرون أن نسبهم دخيل في بني مرّين، وأنهم من أعقاب يوسف بن تاشفين اللمتوني ... ولم يزل السرو متربعا بين أعينهم لذلك والرياسة شامخة بأنوفهم". راجع: الاستقصا، ج4، ص118.

3- المرجع السابق، ج4، ص132.

4- راجع: بلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص29.

الإسلام وتزوجها مع القبائل العربية حتى أصبحوا كيانا واحدا، وسواء صحّ انتماءهم العرقي أم لم يصحّ فإن انتماءهم الحضاري للعرب جعل أمر الانتساب السُّلالي أمراً ثانوياً، وهذا ما يؤكدّه شاعر موريثاني من قبيلة بني حسن (إِدَابِلْحَسَن) حيث يقول:

إنا بني حَسَنٍ دَلَّتْ فصاحتُنا أنا إلى العَرَبِ العَرَباءُ ننتسبُ
إن لَمْ تقم بَيِّنَاتُ أننا عَرَبٌ ففي اللسان بيانُ أننا عَرَبُ

فكيف صار هذا اللسان عربياً، بالغاً في العروبة شأواً أَكَلَةَ الشَّيْحِ والقيصوم؟

إن الحدث الحضاري الذي كان سبب هذه الثورة الثقافية والفكرية هو دخول الإسلام إلى هذه البلاد، وقدوم العرب بعد الإسلام فاتحين؛ تجاراً أو مهاجرين، فقد ظلت بلاد الملتهمين مسرحاً للنزاعات والشدّ والجذب والكرّ والفرّ بين السكان الأصليين "الزنوج" وقبائل صنهاجة النازحة من الشمال، وأيضاً بين قبائل صنهاجة فيما بينها، إلى أن جاءت بشائر الفتح الإسلامي تحمل راية الوحدة، وترفع شعار الأخوة، وتبيّن معيار الفضل، وتنادي بالقسط بين الناس.

وقد دخل الإسلام إلى البلاد في ظلّ حملات الجهاد التي اكتسحت شمال إفريقيا في القرن الهجري الأول، على يد عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح القرشي⁽¹⁾، ووصلت

1- عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي العامري، من بني عامر بن لؤي. فاتح إفريقية، وفارس بني عامر، وأحد أبطال الصحابة. أسلم قبل فتح مكة وهو من أهلها، وكان من كتاب الوحي للنبي (ﷺ). كان على ميمنة جيش عمرو بن العاص حين افتتح مصر، ووليها بعده سنة 25هـ، واستمرّ والياً عليها نحو 12 عاماً، زحف إلى إفريقية بجيش فيه الحسن والحسين ابنا علي وعبد الله بن عباس وعقبة بن نافع، ولحق بهم عبد الله بن الزبير؛ فافتتح ما بين طرابلس الغرب وطنجة ودانت له إفريقيا كلها، وغزا الروم بحراً وظفر بهم في معركة (ذات الصواري) سنة 34هـ.

أصدأوها إلى الصحراء الكبرى وشمال السودان⁽¹⁾؛ فقد استهلّت البلاد طريقها تحت أنوار أضخم معالم التاريخ، حين وصلت طلائع الفتح العربي الإسلامي إلى الطرف الشمالي ممّا سيدعى لاحقاً باسم "بلاد شنقيط".

وقد اخترقت إحدى حملات الفتح الإسلامي - تلك الأيام - الصحراء حتى بلغت مصبّ "النيل" [نهر السنغال] في المحيط؛ حدث ذلك على عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، وولاية عُبيد الله بن الحَبّاب⁽²⁾ لإفريقية (116-123هـ)⁽³⁾؛ وهكذا سجّلت صفحات التاريخ - أول مرة - ذكر هذه البلاد، علماً بخلوّ الأدبيات اليونانية-اللاتينية من ذكرها في المدة السابقة⁽⁴⁾. ثم تسربت بواكير الدعوة الإسلامية من الأقطار التي أصبحت تضمُّها دار الإسلام إلى ما وراءها من الصحراء.

اعتزل الحرب بين علي ومعاوية بصقّين، ومات بعسقلان فجأة سنة 37هـ وهو قائم يصلي. راجع: الأعلام، ج4، ص88-89.

1- راجع: تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، ج2، ص573 وما بعدها. وكذلك ج4، ص236 وما بعدها.

2- هو عُبيد الله بن الحَبّاب السلولي الموصلّي. أمير من الرؤساء النبلاء الخطباء، كان مولى لبني سلول، ونشأ كاتباً، وولي مصر زمناً. ونقله هشام بن عبد الملك إلى إفريقية فسار إليها وضبط أمورها، وسيّر الغزاة إلى صقلية والسوس وأرض السودان، واتخذ بتونس دار صناعة لإنشاء المراكب البحرية، وأنشأ الجامع الأعظم بتونس المعروف بجامع الزيتونة. وفي أيامه انتشر مذهب الإباضية والصُّفريّة في برابرة المغرب فتأروا واضطرب عليه أمر البلاد، فاستقدمه هشام إليه وعزله سنة 123هـ. راجع: الأعلام، ج4، ص192.

3- راجع: الكامل في التاريخ، ج4، ص411 و416 وما بعدها.

4- هذا الحكم الجازم يستند إلى رأي البروفيسور العلامة محمد ولد مولود ولد داداه، المعروف في الأوساط العلمية الدولية بلقبه (الشنّافي)، المتوفى سنة 2012 عن عمر ناهز 92 سنة كانت مليئة بالعطاء جمع خلالها علومًا شتى، ولغات من مختلف جهات الأرض،

وكان أول من اتصل به الغزاة هنالك قبائل من صنهاجة "أولي الضفائر - الملتزمين للثام" كما نعتتهم أقدم الروايات التي دَوَّنَها الإخباريون ومؤلفو المسالك والممالك؛ وقد قدمت قبائل صنهاجة إلى المنطقة ضمن هجرة قبائل البربر التي غادرت إفريقيا الشمالية متوجهة نحو الغرب خلال القرن الثالث المسيحي، وبدأت احتلال الصحراء من الشمال. وقبل نزوح صنهاجة "الملثمين" كانت في المنطقة قبائل زنجية وقبائل "بافور" ذات الأصول البربرية على أحد الأقوال، فانحسرت القبائل الزنجية إلى الجنوب عبر القرون مع توسع المنطقة الصحراوية من البلاد، وتلاشت قبائل "بافور" في الحروب والتزواج والانصهار في القبائل الصنهاجية⁽¹⁾.

وقد عُرف صنهاجة الصحراء بالملثمين تمييزاً لهم عن بني عموماتهم من حاسري الرؤوس القاطنين آنذاك في التخوم الشمالية للصحراء الكبرى، ولا يُعرف الشيء

وخبرة سياسية وإدارية وتاريخية فريدة، ورحل تاركا وراءه ثروة كبيرة من الإنتاج العلمي، ومئات الطلبة والمعجبين. فبعد عقود من العمل الإداري والدبلوماسي عاد إلى قرية (عين السلامة) مقيماً في بيت متواضع ضمَّنه واحدة من أغنى مكتبات العالم، وأصبح قبلة للمئات من الطلبة والباحثين وكبار علماء الاجتماع، من بينهم: شارل ستيورات - جان دفيس - بيير بونت - كونسانت هامس. كما كانت له علاقات بحثية مميزة ودقيقة مع بعض كبار الأساتذة، كالعالم الفرنسي ثيودور مونو المتخصص في دراسة المجال الصحراوي، وأندريه ميكيل، وفينسانت مونتي، إضافة إلى باحثين موريتانيين كثر؛ فكان مؤطراً لعدد كبير من أطروحات الدكتوراه في موضوعات تاريخية واثربولوجية. ومن خصاله عدم التسرع في النشر، فهو لا يتوانى عن التحقيق في مسألة ما طيلة عقود من الزمن، وهذا ما جعله المؤرخ-المرجع، حيث بقيت المقابلات التي أُجريت معه سلطة تاريخية في حد ذاتها. راجع: الشيخ سيديا.. الموروث الثقافي والأدبي، أعمال ندوة بوتلميت 18-2006/02/19، دار الكتب العلمية، بيروت - 2011، ص 64-65.

1- راجع: بلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص 28.

الكثير عن أولية اللثام لديهم ولا عن دلالاته، أكثر من أنه صار شعاراً للقوم ومواطنهم الصحراوية؛ وهكذا نجد البكري (ت487هـ)⁽¹⁾ يقول بهذا الشأن، وهو المعاصر أهل اللثام ودولتهم: "جميع قبائل الصحراء يلتزمون النقاب وهو فوق اللثام؛ حتى لا يبدو منه إلا محاجر عينيه، ولا يفارقون ذلك في حال من الأحوال، ولا يميز رجل منهم وليه ولا حميمه إلا إذا تنقب، وكذلك في المعارك إذا قُتل منهم القتل وزال قناعه لم يُعلم من هو حتى يعاد عليه القناع، وصار ذلك ألزم لهم من جلودهم"⁽²⁾. أما ابن خلدون (ت808هـ) فقد كان أكثر دقة في التعريف بالقوم ومجالاتهم - بالرغم من تأخره في الزمان عن عهدهم - فوصفهم بقوله: "هذه الطبقة من صنهاجة هم المثلثون الموطّنون بالقفر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب، أبعادوا في المجالات هناك منذ دهور قبل الفتح لا يُعرف أولها؛ فأصْحروا عن الأرياف ووجدوا بها المراد، وهجروا التلول وجفوها واعتاضوا عنها بألبان الأنعام ولحومها، انتبأداً عن العمران واستثناساً بالانفراد وتوحشاً بالعز عن الغلبة والقهر ... وصاروا ما بين بلاد البربر وبلاد السودان حجزاً، واتخذوا اللثام خطأً تمايزاً بشعاره بين الأمم"⁽³⁾.

1- هو أبو عُبيد، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمر البكري، نسبته إلى بكر ابن وائل. وهو صاحب المرجع الجغرافي المشهور (المسالك والممالك). قيل إنه من بيت إمارة كانت في غربي جزيرة الأندلس التي تنقل في أرجائها قبل أن يستقر في المرية ويصطفيه صاحبها محمد بن معن؛ ومن هنا جاء نعتُ بعض المؤرخين له بالوزير. اتفقت أغلب المصادر التي ترجمت له على أنه توفي بقرطبة سنة 487هـ عن سنٍ عالية، وانفرد بعضها بأن وفاته كانت سنة 496هـ. راجع: **المسالك والممالك**، أبو عُبيد البكري، ج1، ترجمة المصنّف.

2- المرجع السابق، ج2، ص357.

3- تاريخ ابن خلدون، ج6، ص241.

وتذكر بعض المصادر التاريخية أن وصول الإسلام إلى هذه الربوع (بلاد شنقيط = موريتانيا) كان على يد عقبة بن نافع الفهري⁽¹⁾ الذي واصل فتوحاته سنة 46هـ حتى وصل مناطق توجد حاليا في الشرق الموريتاني⁽²⁾، غير أن بعض المؤرخين المعاصرين يرجّحون أنه لم يتجاوز "السوس" بالمغرب الأقصى - إن كان قد وصلها أصلا - ولعلّه أرسل بعض جنده إلى الصحراء حتى وصلوا هذه المنطقة⁽³⁾. والمؤكد هو أن

1- هو عقبة بن نافع بن عبد قيس القرشي الأموي الفهري، من كبار القادة العرب الفاتحين، ولد في حياة رسول الله (ﷺ) بسنة قبل الهجرة، ليست له صحبة، شارك مع ابن خاله عمرو بن العاص في فتح مصر، فوجهه عمرو إلى "إفريقية" سنة 42هـ ففتحها، ثم ولاه على "برقة" سنة 46هـ ففتح بلاد المغرب، فولاه معاوية إفريقية استقلالا سنة 50هـ ثم عزله، وفي خلافة يزيد بن معاوية ولاه المغرب سنة 62هـ، وفيه استشهد سنة 63هـ ودفن في الزاب بمنطقة تعرف الآن باسم "سيدي عقبة". راجع: المسالك والممالك، أبو عبيد البكري، ج2، ص185 وما بعدها، و255 وما بعدها. والأعلام، ج4، ص241.

2- راجع: بلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص30. وتاريخ ابن خلدون، ج3، ص12-13. وقد التبس على ابن خلدون هنا أمر عقبة بن نافع الفهري بأمر عقبة بن عامر الجهني؛ إذ معلوم أن عقبة بن عامر الجهني (رضي الله عنه) ولي مصر سنة 44هـ وعُزل عنها سنة 47هـ وبها توفي سنة 58هـ، وقبره في المقطم معروف بإزاء قبر عمرو بن العاص، وفي القاهرة مسجد يُعرف بمسجد عقبة بن عامر. وهو المعروف بعقبة المستجاب بن عامر بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن ضبة بن زيد بن عبد مناف بن سعيد بن عبد الله بن فهر بن مالك. راجع: الأعلام، ج4، ص240. والمسالك والممالك، أبو عبيد البكري، ج2، ص151. وكتاب الأخبار، ج1، ص113.

3- راجع: إمارة الترازة وعلاقاتها التجارية والسياسية مع الفرنسيين من 1703 إلى 1860، د. محمد المختار ولد السعد، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط - 2002، ج1، ص80.

حافده حبيب بن مُرَّة (أبي عبيدة) بن عقبة بن نافع⁽¹⁾، هو من قاد سنة 116هـ - إبان ولاية عُبيد الله بن الحبحاب لإفريقية - حملة على الصحراء فنشر الإسلام وانتظمت حلقات الوصل بين الشمال والجنوب، ولم ينتصف القرن الثاني الهجري حتى دخل معظم قبائل صنهاجة في الإسلام، لكنها ظلت فترةً من الزمن على قدر كبير من الجهل بتعاليم الإسلام ونقص حاد في القيام بشعائره، ولعل من أسباب ذلك غياب سلطة مركزية تؤسس أركان الإسلام وتعلم قواعده وتنشر أصوله، وتلزم الناس بشعائره، وتطبق حدوده عند الاقتضاء والحاجة⁽²⁾.

ومنذ بداية القرن الثالث الهجري تكامل انتماء قبائل صنهاجة إلى الحضارة العربية الإسلامية، وانضوت تحت راية الإسلام، ودعت إلى تثبيت أركانه بين صفوفها وإلى نشره في الأصقاع المجاورة، فاستطاعت توسيع الخريطة الإسلامية، وزعزعت أركان إمبراطورية غانا، واحتلت مدينة "أودَغَسْت"⁽³⁾ وجعلتها عاصمة لها،

1- حبيب بن مُرَّة (أبي عبيدة) بن عقبة بن نافع الفهري القرشي، قائد من الولاة، وُلد ونشأ بمصر، ودخل الأندلس مع موسى بن نُصير، وولي بها ولايات ومنها وفد على سليمان بن عبد الملك مع جماعة يحملون رأس عبدالعزيز بن موسى بن نُصير، ثم عاد إلى إفريقية فولي قيادة الجيش في قتال العصاة من البربر، وقُتل في إحدى معاركه معهم سنة [122هـ أو 124هـ]. وقد استقل ابنه عبد الرحمن لاحقا بملك إفريقية والمغرب إلى أن اغتاله أخواه سنة 137هـ. راجع: الأعلام، ج2، ص166.

2- راجع: تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي، علي محمد الصلابي، دار المعرفة، بيروت - 2005، ص20.

3- مدينة قديمة من عواصم الصحراء التي شهدت ازدهارا كبيرا، وهي عاصمة قديمة للصنهاجيين، وصل إليها حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع في حملته سنة 116هـ وفتحها المرابطون سنة 446هـ. تقع أطلالها في موضع يعرف اليوم بـ"تعداوست" يبعد (34) كيلومترا إلى الشمال الشرقي من مدينة "تامشكط" في شرق موريتانيا. راجع: معجم البلدان، ياقوت

ونشرت الإسلام فيما حولها من المناطق الزنجية. وفي ظل هذه الإمارة نشطت المبادلات التجارية بين المغرب الأقصى وبلاد السودان عبر طرق الصحراء التي كانت تعبر مدنها العامرة: أودغست وكومبي صالح وولاته⁽¹⁾. واستقبلت البلاد بعض التجار العرب الذين كان لهم دور في نشر الإسلام بالكلمة الطيبة والبيع السمح والسمت الحسن، كما انطلقت وفود الحجيج إلى الديار المقدسة ذهابا ومجيئا؛ فكان لها هي الأخرى دور في نشر تعاليم الإسلام ومبادئه. وفي آخر عهد هذه الدولة ظهرت الطبقة، وانتشر الفساد، وساد الظلم، وانحسر الالتزام بالدين، وتفرقت القبائل، وأدى ازدهار التجارة في بلاد الملثمين إلى ظهور طبقة من الأثرياء تجمعت لديهم أموال عظيمة بسبب نشاطهم التجاري؛ وعلى رأس هذه الطبقة الأمراء الذين استأثروا بالحكم وحافظوا على مصالحهم مستخدمين كل الأساليب المشروعة والمحرمة، و"في خضم هذا الفساد صار الإسلام شكليا في بلاد الملثمين وانحصر الالتزام به في مجموعات قليلة ورجعت فتوحاته القهقري، وفي بداية القرن الرابع الهجري تعرضت دولة صنهاجة لبلابل داخلية وضربات خارجية أدت إلى سقوطها على أيدي تحالف من الزوج الوثنيين والزنايين الخوارج"⁽²⁾ فاضطر الصنهاجيون إلى الخروج من "أودغست" والانحسار نحو الشمال في عمق الصحراء وذلك قبل أن يتوحدوا مرة أخرى تحت قيادة الأمير اللمتوني أبي عبيد الله

الحموي، دار صادر، بيروت - 1977، ج1، ص277-278. وصحراء الملثمين وعلاقاتها بشمال وغرب إفريقيا، ص322. وبلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص66.

1- سبق التعريف بمدينة أودغست، أما الأخريان فمدينتان تاريخيتان تقعان ضمن الأراضي الموريتانية، كانت أولاهما عاصمة سلطنة "غانا" الإسلامية، وقد تأسست في القرن الثاني الميلادي، وهي الآن مندثرة وأطلالها معروفة جنوبي مدينة تمبدغة، أما ولاته فمازالت قائمة مأهولة. راجع: بلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص67.

2- تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، ص18.

بن تيفارت المعروف بـ "تاشرتا" اللمتوني الذي لم يلبث أن قُتل على أيدي الغانيين، فخلفه صهره يحيى بن إبراهيم الذي كان على قدر كبير من العقل والحكمة، فقرر بشكل حاسم سحب قومه من المعارك وبدأ بإصلاحهم من الداخل وغزو عقولهم بتعاليم الإسلام الصحيحة: عقيدة ومنهج وسلوكا، قبل أن يغزو بهم الأعداء ويفتح بهم البلدان. وقد كان توجه الأمير يحيى إلى البلاد المقدسة لأداء فريضة الحج⁽¹⁾ حاملا معه هموم قومه الذين كانوا بحاجة إلى جهد تربوي عميق وفكر إصلاحى شامل وعمل سياسي متواصل = فاتحة خير على أهل الصحراء كافة وعلى الصنهاجيين خاصة، إذ مهدت لقيام دولة إسلامية صنهاجية إفريقية في الصحراء هي دولة المرابطين التي قامت في بداية القرن الخامس الهجري بسد الفراغ السياسي الذي دام ما يناهز ثلاثة قرون من الزمن.

وقد بدأت إرهابات قيام دولة المرابطين بمرور الأمير يحيى بن إبراهيم اللمتوني⁽²⁾ في طريق عودته من الحج بالعلامة القيرواني: أبي عمران الفاسي⁽³⁾،

1- تذكر بعض المصادر أن ذلك كان سنة 440هـ، غير أن الراجح أنه كان سنة 427هـ.

راجع: الاستقصا، ج2، ص6. والشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر، ص42.

2- أمير صنهاجي كدالي، يرجع إليه الفضل في تأسيس دولة المرابطين. لم تحدد المصادر تاريخ وفاته، ويذكر بعضها أن مروره بالقيروان قافلا من الحج كان سنة (427هـ/1035م). راجع: بلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص534.

3- هو أبو عمران الفاسي: موسى بن عيسى بن أبي الحاج الغفجومي الزناتي (368 - 430 هـ)، علم من أعلام الفقه والحديث والإصلاح والتوجيه والمشاركة في الشؤون العامة، ولد بفاس ورحل في طلب العلم إلى الأندلس ومصر والحجاز والعراق، رجع إلى فاس ثم أقام بالقيروان وبها توفي. راجع: موسوعة مشاهير رجال المغرب، عبد الله كنون، دار الكتاب المصري، القاهرة - 1994، ج4، ص6.

وطلبه منه أن يرسل معه إلى أهل الصحراء من يجدد لهم أمر دينهم وينقذهم من الوضع الخطير الذي حلّ بهم والهوة السحيقة التي كادوا أن يتردّوا فيها بسبب الجهل بأحكام الإسلام وانتشار البدع وتحكم الأهواء⁽¹⁾. ولما لم يجد أبو عمران الفاسي في طلابه من يملك الجرأة والاستعداد للزج بنفسه في مهام الصحراء الوعرة ومفاوزها الشاسعة وأجوائها الحارقة، كتب كتابا إلى تلميذه العالم المصلح وجّاج بن زلّو اللمطي⁽²⁾ المقيم في "سجلماسة" القريبة نسبيا من بلاد المثلثين ليلتمس ليحيى بن إبراهيم من يثق بدينه وفقهه وفهمه⁽³⁾، وقد لبّى السجلماسي طلب شيخه، فانتدب لهذه المهمة الشاقة النبيلة أحد تلاميذه المقربين هو عبد الله بن ياسين الذي صار فيما بعد رمزا للتغيير والدعوة والإصلاح في الشمال الإفريقي عموما وفي ديار المثلثين خصوصا⁽⁴⁾.

1- راجع: تاريخ ابن خلدون، ج2، ص182. والبيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري، دار الغرب الإسلامي، تونس - 2013، ج3، ص5.

2- اختلف المؤرخون في اسم هذا الفقيه؛ فسّماه البكري "وجّاج بن زلوي"، وسماه ابن أبي زرع "وجّاج بن زلّو"، وأطلق عليه ابن خلدون "محمد وگاك بن زلو اللمطي"، لكنهم اتفقوا جميعا على علمه وفضله، توفي وجّاج سنة 445هـ.

3- راجع: تاريخ ابن خلدون، ج6، ص182.

4- عبد الله بن ياسين الجزولي، فقيه ومجاهد، استقدمه يحيى بن إبراهيم الكدالي عودته من الحج، من منطقة السوس. أقام في بلاد شنقيط يعلم الناس ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، فكان ذلك منطلق دولة المرابطين. استشهد في جهاد برغواطة سنة (ت451هـ/1059م). راجع: بلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص520.

كان ابن ياسين من الفقهاء النابهين، يمتلك شخصية بنائية صلبة وإرادة إصلاحية قوية وشجاعة حكيمة مبصرة، ولا يخاف في الله لومة لائم، وعندما وصل مع الأمير يحيى إلى قومه احتفوا بهما والتفوا حول الفقيه يعلمهم القرآن ويبين لهم دينهم، لكنهم ما لبثوا غير يسير حتى انقلبوا عليه وأعرضوا عن علمه؛ لما رأوا من شدته وحرصه على تغيير حياتهم وتخليصهم من المعتقدات الفاسدة والعادات السيئة والأخلاق المنحرفة. وقد كاد ابن ياسين أن ييأس ويرجع إلى موطنه عندما واجه خروج الملتزمين عليه والنفور من دعوته، لكن الأمير يحيى شجعه على المضي قدما في هذا الأمر حتى يظهره الله، ثم اقترح عليه أن يأويا إلى جزيرة تحيط بها المياه "ضحضاح في المصيف وغمر في الشتاء فتعود جزرا منقطعة"⁽¹⁾ فدخلوا في غياهبها منفردين للعبادة مرابطين في سبيل الله؛ فكان ذلك مبدأ قيام حركة المرابطين⁽²⁾. وقد رافق نشأة المرابطين اعتناق مجاورهم الزوج - أهالي سلى وتكرور - الإسلام فكانوا لهم عوناً وظهيراً على مجابهة الأزمات التي عصفت بدعوتهم في مراحلها الأولى

1- راجع: تاريخ ابن خلدون، ج6، ص183. وقد اختلف الدارسون في مكان هذه الجزيرة، فمنهم من قال إنها جزيرة "تيدرة" التي تقع في منتصف الطريق بين العاصمتين الموريتانيتين: السياسية "انواكشوط" والاقتصادية "انواذيبو"، ومنهم من رأى أن الرباط أقيم بالقرب من مصب نهر "السنغال" في الناحية الجنوبية من البلاد بالقرب من مدينة "روصو" الحالية. راجع: بلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص65.

2- الراجح أن الفترة التي أطلق فيها ابن ياسين اسم (المرابطين) على أتباعه، كانت في بداية عهد المرابطة، إذ كان لشيخه "وجاج بن زلو" مدرسة تحمل الاسم نفسه؛ وبذا يكون الاسم نسبة إلى الرباط "المادي" في الجزيرة. يشار هنا إلى أن المصادر الأجنبية تذكر المرابطين باسم Almoravids.

وأوشكت أن تقضي عليها؛ حفظ لنا هذا النبأ المهم نص من رسائل أبي محمد علي بن أحمد بن حزم (ت 456هـ/1063م)⁽¹⁾.

وقد انصبت جهود المرابطين في البداية على الصحراء من أجل إرساء أسس الشريعة الإسلامية والتخلص من أهل البدع والأهواء، لكن جيش المرابطين لم يلبث أن صار قوة مهاجمة خضعت لها قبائل صنهاجة وبعض القبائل الزنجية؛ لذا لم يكتف المرابطون بترسيخ طود الإسلام في الصحراء، بل إنهم حملوا مشعل الدعوة إلى شمال إفريقيا، وأخمدوا نار فتنة الردة في قبائل المغرب، ثم عبروا البحر المتوسط لتعزيز دولة الإسلام في ربوع الأندلس، حيث أحرزوا انتصاراتهم الخالدة التي تكفلت مدونات التاريخ والأبحاث العصرية في شتى اللغات بالإشادة بأعمالها. ثم عادوا إلى مهدهم في الجنوب حيث نجح الزعيم اللمتوني الذي جمع بين الإمارة والإمامة أبوبكر بن عمر⁽²⁾ في تنظيم ولاية إسلامية تشمل جميع المناطق التي تقطنها صنهاجة

1- راجع: جوامع السيرة ورسائل أخرى، ابن حزم، دار المعارف، القاهرة - 1956، ص 350.

2- أبو بكر بن عمر بن إبراهيم بن تورفيت اللمتوني الصنهاجي، رأس لمتونة وأول أمير للمرابطين الذين أنشأوا في صحرائهم دولة امتد سلطانها إلى العدوتين المغرب والأندلس، ظهر بعد الأربعين وأربع مائة، وتختلف المصادر التي بين أيدينا في تحديد تاريخ وفاته؛ ففي "روض القرطاس" و"العبر" و"الاستقصا" أنها كانت عام 480هـ، وفي "البيان المغرب" أنها كانت في سنة 468هـ، وهو المستفاد أيضا من "الحلل الموشية"، وفي "نهاية الأرب" أنها كانت عام 462هـ، والتاريخ الأخير مستبعد؛ لأن المصادر تكاد تجمع على أنه عاد إلى المغرب من الصحراء سنة 465هـ بعد أن أخمد الفتنة فيها، فلمس من ابن عمه يوسف بن تاشفين تمسكا بالحكم فعاد إلى الصحراء مرة أخرى، لذا فالراجح المشهور أن وفاته كانت في شعبان سنة 480 للهجرة، ذلك أن الدينار المرابطي الذهبي ظل مضروبا باسمه حتى ذلك التاريخ. غير أن المتفق عليه أنه استشهد بعد إصابته بسهم أثناء الجهاد، وقبره الآن معروف في (مكسم بن عامر) على بعد نحو أربعين كيلومتر من مدينة تجكجة في موريتانيا. راجع: البيان المغرب،

الصحراء، وذلك بعد أن تولى القيادة العسكرية للمرابطين بعد وفاة أخيه يحيى بن عمر⁽¹⁾، الذي كان بدوره قد تولاهما بأمر من عبد الله بن ياسين بعد وفاة أول قائد عسكري لها وهو يحيى بن إبراهيم⁽²⁾. وهكذا توسعت حركة المرابطين في عهد أبي بكر بن عمر شمالا وجنوبا، فأقام يوسف بن تاشفين⁽³⁾ دولتهم في الجزء الشمالي، بينما كرّس أبو بكر بن عمر بعد ذلك جهوده لنشر الإسلام في غرب إفريقيا والقضاء على الوثنية وأهل البدع، ففتح "غانا" وبعض المناطق المجاورة لها، وظل يجاهد ويدعو إلى التوحيد حتى استشهد بسهم مسموم وسط الصحراء في منطقة

ج3، ص18. وسير أعلام النبلاء، ج18، ص425. والحلل المؤشّية في ذكر الأخبار المراكشية، ص15. والبداية والنهاية، ج12، ص69 وكذلك ص134. وبلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص503.

1- كان يدعى أمير الحق، وتوفي سنة (448هـ/1056م). راجع: الأنيس المطرب، ص130. وبلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص534.

2- لم أقف على مصدر يحدد تاريخ وفاة الأمير المرابطي يحيى بن إبراهيم، أما الأمير يحيى بن عمر فقد حدد ابن أبي زرع تاريخ وفاته المذكور.

3- يوسف بن تاشفين اللمتوني الصنهاجي، باني مدينة مراكش، وأكبر ملوك الدولة المرابطية. وُلد عام 400هـ، واستخلفه ابن عمه أبو بكر بن عمر على المغرب سنة 463هـ فاستقلّ به، وأنجد المستغيثين به من أمراء الأندلس فاجتاز إليها مجاهدا وهزم الجيوش النصرانية في وقعة الزلاقة الشهيرة سنة (479هـ/1086م) وبايعه بعدها من شهداها معه من أمراء الأندلس وعددهم ثلاثة عشر أميراً، ثم أخضع الإمارات التي لم تباعه بعد ما رأى تواطؤ أمرائها مع النصارى، فتم له ملك الجزيرة كلها، وشمل سلطانه المغرب الأقصى والصحراء وجزلّ المغرب الأوسط. توفي بمراكش سنة (500هـ/1107م) وبها دُفن وقبره بها شهير. راجع: الكامل في التاريخ، م8، ص489. والروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، محمد ابن غازي العثماني، تحقيق: عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط - 1988، ص26، حاشية 39.

"تكانت" في الأراضي الموريتانية، ومحلّ قبره معلوم اليوم باسم "مگسم بوبكر بن عامر" على بعد حوالي 55 كلم جنوب مدينة تجكجة عاصمة ولاية تكانت.

ويكتنف الغموض تاريخ البلاد الصنهاجية بعد وفاة أبي بكر بن عمر ومصير الجزء الجنوبي من دولة المرابطين من بعده، حيث انصرف اهتمام المؤرخين إلى الشمال ليكتبوا عن انتصارات يوسف بن تاشفين، ويبدو أنهم قد أهملوا جناحهم المتبقي في مهدهم الجنوبي فلم يبق بين أيدينا عنه منذ أواسط القرن الخامس الهجري إلى نهاية القرن العاشر إلا استطرادات عابرة أو إشارات مقتضبة⁽¹⁾. وبعد قيام دولة الموحدين في المغرب والأندلس ومطاردتهم للقبائل ذات الأصول الصحراوية التي ظلت ردحاً طويلاً تحاول القضاء على الدولة الموحدية وإحياء دولة المرابطين، وجدت هذه القبائل نفسها مرغمة على الالتجاء إلى الصحراء محتمة بها من انتقام الدولة الجديدة بعد فشل محاولات إسقاطها، وهو الأمر ذاته الذي فعله الفقهاء الذين تمسكوا بالمذهب المالكي وعقيدة السلف الصالح ولم يستجيبوا لدعوة الموحدين إلى التخلي عن الفروع والعودة إلى الأصول، وقد أدت هذه الوضعية إلى فتور في الصلّات بين صحراء الملمثمين ومناطق نفوذ الموحدين، فأهمّلها الكتاب المغاربة الذين رأوا أن مستوى الارتباط بين المنطقتين لم يعد يبرر لهم اهتماما كبيرا بالصحراء مأوى الثائرين ضد أولياء نعمتهم، وربما كانت رقابة أولي الأمر على ما يُكتب هي التي منعت هؤلاء الكتاب من ذلك، أو أن تراجع العلاقات التجارية بين المنطقتين أدى إلى ندرة في تدفق المعلومات المتعلقة بالصحراء.

ومع هذا الفراغ الوثائقي الكبير والخطير في الجزء الجنوبي من دولة المرابطين فلا خلاف في أنهم قد خلفوا في المجتمع الشنقيطي الموريتاني سمات ما تزال تميّزه

1- راجع: الشعر والشعراء في موريتانيا، د. محمد المختار ولد أباه، دار الأمان، الرباط - 2003، ص13.

عن غيره، ذلك "أنه يعود الفضل لهم في ترسيخ الإسلام بين صفوف صنهاجة الصحراء بشكل فعلي على أسس معرفية وعقائدية صلبة ونزعة زهدية شديدة"⁽¹⁾. وعلى الرغم من أن دولة المرابطين الجنوبية قد حُذِفَ خبرها من ذاكرة التاريخ بعد استشهاد أبي بكر بن عمر - وخاصة السياسي منه - طيلة خمسة قرون، فإنه يمكن تلمس بعض الآثار الثقافية التي ظلت تقاوم عوادي الزمن وإهمال كتبة التاريخ وظلم الأيام، لتدل على التراكمات المعرفية الهائلة التي شغلت حيّز هذه الفترة، ويتضح ذلك من خلال الحديث عن المدن التاريخية التي ظلت مناراتها شامخة وزواياها عامرة بالعلم والمعرفة. وقد جرّت حركة المرابطين في صفوفها حشودًا من بني جلدة القائمين بها استوعبتهم الأقطار المفتوحة شمالا وجنوبا.

ويحزّ في النفس أن دولة المرابطين التي نشرت الإسلام في غرب إفريقيا حتى جنوب الصحراء الكبرى وحفظت الأندلس من الضياع وأعادت لها تكاملها الوحدوي بعد أن تمزقت في دويلات، "قد ظُلمت من جوانب متعددة ومن فئات مختلفة؛ ظلمها المعجبون بالأندلس الكارهون لصبغة المرابطين الدينية أمثال دوزي⁽²⁾، وظلمها طموح ابن تومرت⁽³⁾ الذي حاربها كأنه مؤمن يحارب نزعات الشيطان حتى قضى

1- راجع: إمارة الترازة وعلاقاتها التجارية والسياسية مع الفرنسيين، ج1، ص82.

2- رينهارت دوزي (Reinhart Dozi) مستشرق هولندي اشتهر بدراسة المغرب العربي والأندلس. وُلِدَ عام 1820م ومات 1883م. له عدة مؤلفات، أشهرها تكملة المعاجم العربية أو المستدرك.

3- محمد بن عبد الله بن تومرت المصمودي البربري، الملقب بـ"المهدي"، ويقال له "مهدي الموحدين". وُلِدَ سنة 485هـ في المغرب الأقصى، ثم رحل إلى المشرق لطلب العلم، وأنكر على المرابطين وخرج عليهم ثم حاربهم مع صديقه عبد المؤمن بن علي القيسي الذي تولى قيادة الموحدين بعد موت ابن تومرت سنة 524هـ. راجع: الأعلام، ج6، ص228-229.

عليها، وظلمها مؤرخو الموحدين حين نظروا إليها من منظار العصبية لدولتهم، وظلمتها الأيام حين أضاعت أكثر ما كتب عن تاريخها"⁽¹⁾.

لم يحل جفاف أرض المثلثين وصعوبة العيش فيها وقلة المياه بها دون أن تظل عبر التاريخ منطقة جذب للتجار وموطنا للدعاة ومأوى للمشردين ومسرحا للغزاة، فقد استقبلت هذه المنطقة هجرات عديدة جاء أهلها زرافات ووحدانا، ولعل أهم الهجرات الجماعية التي عرفتها المنطقة بعد نزوح قبائل صنهاجة هي هجرة قبائل ذوي حسان⁽²⁾ في أواخر القرن السابع الهجري، ففي السنوات التي اشتد فيها ساعد المرابطين وشرعوا في الاستيلاء على المغرب، نجم من ناحية المشرق حدث سيكون له شأن في مصائر البلاد؛ كان ذلك "تغريبة هلال وسليم"⁽³⁾ ترافقهم طوائف من الأعراب من

1- دراسات تاريخية مهداة إلى عبد العزيز الدوري، إحسان عباس، منشورات الجامعة الأردنية، 1995، ص 17.

2- استخدم ابن خلدون عبارة "ذوي حسان" بدلاً من عبارة "بني حسان" المتداولة لدى الباحثين اليوم؛ وذلك توخيا منه لدقة العبارة، إذ ليست كل القبائل العربية التي استوطنت "بلاد شنقيط" تمتُّ إلى حسان بِصِلَةِ البَنُوَّة. راجع: تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص 91 وما بعدها. وهذا الاحتراز مذكّر باحتراز جار الله الزمخشري في حديثه عن خواص الاسم؛ فقد قال "حرف التعريف" ولم يقل "الألف واللام" على عادة النحويين، مراعاة منه للغة طيء التي تبدل لام التعريف ميمًا، وليخرج أيضا من الخلاف بين سيبويه الذي يرى أن حرف التعريف اللام وحدها والهمزة دخلت توصلا إلى النطق بالساكن، والخليل الذي يرى أن التعريف بالألف واللام جميعا لأنهما حرف واحد مركب من حرفين. راجع: شرح المفصل للزمخشري، ج 1، ص 86.

3- و(سُلَيْم) بالتصغير قبيلة من قيس عيلان، وهو سُليم بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن عيلان، وسُلَيْم أيضا قبيلة من جُذام من اليمن. راجع: شرح التصريح على التوضيح

بينها "معقل" الذين ينتمي إليهم ذوو حسّان. وقبل أن نتحدث عن الدور التاريخي المهم الذي اضطلع به هؤلاء القادمون من الشمال سنخرج قليلا على أصلهم وفصول رحلتهم الطويلة.

ينتمي بنو حسّان إلى قبائل بني معقل التي يرتفع نسبها إلى جعفر بن أبي طالب (عليه السلام)⁽¹⁾، وكان بنو معقل وبنو سليم يعيشون في الجزيرة العربية واشتهروا فيها بالحدّة وعدم الرضوخ للسلطان، وبسبب إهمال الدولة العباسية لهم - عكسا لما كان عليه حال الدولة الأموية التي جعلتهم عماد الجيوش والفتوحات وأشركتهم في العمل السياسي - فقد اتبعت هذه القبائل دعوة "القرامطة"⁽²⁾ سياسيا فقط وليس دينيا، وكانوا هم عماد جيش القرامطة الذي غزوا به الجزيرة العربية والعراق والشام ومصر وذلك قبل أن يستقدم الفاطميون هذه القبائل للاستقرار بمصر لاحقا، فنزلوها

(التصريح بمضمون التوضيح)، خالد الأزهرى، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - 2000، ج 1، ص 380.

1- ينفي ابن خلدون صحة انتساب المعقل - الذين منهم بنو حسّان - إلى جعفر بن أبي طالب، ويرى أن الأنسب في أمرهم أن يكونوا بطنا من مذحج من عرب اليمن. راجع: تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص 77.

2- القرامطة نسبة إلى قرمط (معرب من "كرميّة" وهو بالنبطية حارّ العين) لقّب به زعيمهم حمدان بن الأشعث؛ لحمرة عينيه، وكان رجلا من سواد الكوفة. وهم فرقة باطنية ظهرت في الجزيرة العربية سنة 281هـ في خلافة المعتضد، وقد اعتمدت هذه الفرقة التنظيم السري العسكري، وكان ظاهرها التشيع لآل البيت أما حقيقتها فهي الإلحاد والإباحية والفتك بالإسلام والمسلمين، وقد طالت أيامهم وعظمت شوكتهم واستولوا على بلاد كثيرة قبل أن يقضي الخليفة المكتفي بالله على آخر قوة لهم سنة 294هـ بعد مواجهات عنيفة. راجع: تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص 110. والأنساب، ج 10، ص 387. وتهذيب اللغة، ج 1، ص 6 وما بعدها من مقدمة المحقق.

واستقروا تحديدا في الصعيد لمدة تربو على القرن، لكنهم ظلوا يشكّون قلقا وإزعاجا للدولة الفاطمية⁽¹⁾، وحين خطب المعز بن باديس، صاحب إفريقية⁽²⁾ للخليفة العباسي القائم بأمر الله (ت 467هـ)⁽³⁾، وقطع خطبة المستنصر الفاطمي صاحب مصر، ودعا سنة 435هـ⁽⁴⁾ إلى إلغاء المذهب الشيعي الذي كان سائدا في إفريقية منذ سيطر عليها الفاطميون؛ تفجرت براكين الغضب في نفوسهم وقرروا الانتقام منه، فشرعوا في إغراء القبائل المقيمة على ضفاف النيل بعبوره غربا بعد أن كانوا يصدّونها عن ذلك وأمدوها بالمال والسلاح ثم وفّروا لها سبل السفر، فنزحت تلك القبائل العربية من صعيد مصر إلى شمال إفريقيا فيما عرف بتغريبة بني هلال؛ على اسم أكبر قبائل التغريبة، ترافقهم طوائف من الأعراب من بينها معقل الذين ينتمي إليهم ذوو حسان، وذلك سنة 442هـ⁽⁵⁾. وقد استقر بنو سليم منهم في "برقة" وما والاها إذ وجدوا بلادا كثيرة المرعى خالية من الأهل؛ لأن زناتة كانوا أهلها فأبادهم المعز ابن باديس، أما بنو هلال فواصلوا رحلتهم إلى القيروان وحاصروا فيها المعز نفسه، ولم يستطع صدّهم، كما أنهم لم يكونوا قادرين على احتلال المدن المسوّرة لعدم خبرتهم

1- راجع: تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص 13.

2- هو رابع سلاطين الدولة الزيرية الصنهاجية في إفريقية (تونس حاليا). وتُعتبر فترة حكمه من أطول الفترات خلال العهد الزيري، إذ حكم بين 406-454هـ. كان عالما بالمشور والمنظوم من الكلام، وله كتاب «عمدة الكُتّاب وعُدّة الألباب» وهو مطبوع، وهو أول من حمل الناس في إفريقية على مذهب الإمام مالك وكان الأغلب عليهم مذهب الإمام أبي حنيفة. راجع: الأعلام، ج 7، ص 269.

3- راجع: البداية والنهاية، ج 12، ص 110.

4- راجع: الكامل في التاريخ، عز الدين ابن الأثير، دار الكتب العلمية، بيروت - 1987، م 8، ص 265. وكذلك ص 295.

5- راجع: البداية والنهاية، ج 12، ص 61.

وعدم امتلاكهم لآلات الحصار، ولكنهم كانوا يشنون الغارات، ويقطعون الطرق، ويفسدون الزرع، ويقطعون الثمار، وانتهى الأمر بالسماح لهم بدخول القيروان وانسحاب المعز بن باديس إلى مدينة المهدية على ساحل البحر المتوسط، فنهبت القيروان سنة 449هـ⁽¹⁾، وخلال قرنين ظلت هذه القبائل العربية ذات تأثير على الشأن السياسي في إفريقية إلى أن أخضعهم الموحدون في نهاية المطاف⁽²⁾. وليس دور الأوداية البارز في التاريخ السياسي للمغرب الأقصى بخافٍ على دارسي تاريخ المنطقة، وهم من فروع قبائل ذوي حسان، فهم ذرية أودي بن حسان⁽³⁾.

وفي القرن السابع الهجري دخلت طوائف من هذه القبائل العربية إلى شمال ما سيصبح بلاد شنقيط المعروفة اليوم باسم موريتانيا، وهم بنو حسان، فكانت تلك محطتهم الأخيرة بعد سفرهم الطويل عبر التاريخ والجغرافيا. ولم تكن الهجرة الحسانية أول حضور عربي في المنطقة، لكنها كانت أبلغه أثرا على الصعيدين الاجتماعي والثقافي؛ فقد انتشرت طوائف هؤلاء الأعراب على مراحل في أرجاء البلاد برمتها قبل نهاية القرن 9هـ/15م - وبذلك استكمل القطر عناصر سكانيه - وحلت لهجتهم "الحسانية" محلّ اللهجات الصنهاجية في طول "تراب البيضان" وعرضها؛ فغدا اكتساب الدربة على إتقان الفصحى واستخدامها أيسر عن ذي قبل. ونذكر أبعاد هذا التحول الثقافي إذا ما عارضنا أسلوب مؤلفات علماء السوس وأدبائه، وما كتب فقهاء "أثوارك"⁽⁴⁾، بالدرجة العالية من تملُّك أمثالهم الشناقطة ناصية اللغة ومرونة

1- راجع: الكامل في التاريخ، م8، ص295.

2- راجع: تاريخ ابن خلدون، ج4، ص79 وما بعدها.

3- راجع: الشعر الشنقيطي، ص53.

4- يحرص العلامة محمد ولد مولود ولد داداه، على ضبط الكلمة ونطقها بالكاف الفارسية؛ حفاظا منه على أصلها قبل أن تُصبح (الطوارق) بفعل التعريب.

الأداء بها، متجليا في إبداع أدب عربي صميم، احتل مكانة عالية بين آداب هذه اللغة⁽¹⁾.

واللهجة الحسانية هي إحدى اللهجات العربية المنطوقة في "أرض البيضان" بمفهومها الجغرافي والتاريخي الواسع الذي يشمل موريتانيا وأجزاء من الدول المجاورة لها شمالا وشرقا. وهي تُنسب إلى قبائل بني حسان الذين مثلوا أكثر الهجرات العربية تأثيرا في المنطقة واهبينها وجهها العربي الذي نعرفه اليوم، وقد قدمت هذه القبائل إلى المنطقة قبل نحو ستة قرون - قادمين من شبه الجزيرة العربية مرورًا بصعيد مصر مع حلفائهم من بني هلال وبني سليم - ضمن التغريبة المشهورة في التراث العربي. وقد نتج عن امتزاج لغة العرب القادمين من الشرق مع لغة البربر من صنهاجة المثلثين من جهة، والعناصر الإفريقية الزنجية = تكوّن لهجة جديدة هي اللهجة الحسانية التي تمثل عملية انصهار ثقافي ولغوي فريد يحتوي على عناصر اصطلاحية وتركيبية وصوتية مستمدة من موروث كل تلك العناصر والمجموعات الإثنية. وقد تولت القبائل الصنهاجية التي انسلخت من لغتها القديمة تعميم العامية الحسانية ونشرها وتطوير آدابها وفنونها، ولعلّها بذلت في ذلك من الجهد وأنجزت من العمل ما لم ينجزه بنو حسان أنفسهم.

وتعتبر الحسانية أقرب لهجات المغرب العربي إلى الفصحى، ولعلّها من أنقى اللهجات العربية عموما، إذا ما استثنينا منها بعض الأعلام الجغرافية وأسماء النباتات، ويتناقل أهلها أنهم كانوا إذا أشكلت عليهم معاني بعض كلماتها فتحوا لها القاموس المحيط للفيروزبادي فوجدوها فيه⁽²⁾.

1- راجع: الشيخ سيديا.. الموروث الثقافي والأدبي، الخلفية التاريخية، العلامة محمد ولد مولود ولد داداه، ص 66-67.

2- راجع: بلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص 41.

هكذا - إذن - تم خلال هذه القرون التلاحم بين السابقين في الاستيطان والطارئين عليهم، كما نفذت تعاليم الإسلام إلى أعماق القلوب وصَبغت تنظيمات المجتمع وقيمه بمتطلباتها؛ فأتاح التطور الذي عاشته الجماعات نشأة المعارف المتداولة من علوم الدين والثقافة العربية ورسوخها.

وبعد إحكام السيطرة الحسانية وسقوط مراكز القوة الصنهاجية، تقاسمت القبائل الحسانية النفوذ على المنطقة، تقاسما لم يكن وليد اتفاق ولا ضرب قرعة، وإنما تَمَّ بمرور الوقت ولا اعتبارات عرفية أملت لها الظروف وموازين القوى. وهكذا كَرَّس ذوو حَسَّان التقسيم الاجتماعي الهرمي للمجتمع الصحراوي، وهو التقسيم الذي يرجعه بعض الدارسين إلى عهد أبي بكر بن عمر (ت480هـ) الذي قَسَّم جيش المرابطين إلى ثلاث طوائف: طائفة تنشر الإسلام بالسيف، وطائفة تنشر العلم، وطائفة ثالثة تتولى تسيير شؤون الأموال وحفظها⁽¹⁾.

وعلى الرغم من أن هذا التقسيم الذي رسَّخه بنو حَسَّان ليس قائماً على أساس سلالي بل هو تقسيم وظيفي يقسم المجتمع إلى عدة فئات بحسب الوظيفة أو المهنة التي تمارس كل مجموعة، إلا أن مداره في الأساس على فئتين رئيسيتين، متميزتين اختصاصاً وقيماً، تتنازعان قيادة المجتمع مع اختلاف في الأسلحة والمناهج. وهاتان الفئتان هما:

- **فئة العرب:** وكانت في البداية تشمل كل النازحين من بني حَسَّان الذين تميزوا بحمل السلاح وفرض القوة واكتساب المغارم، فجعلوا أنفسهم بذلك في قمة

1- يرى المؤرخ المحقق العلامة محمد ولد مولود ولد داداه أن هذا التقسيم الفئوي سابق على فترة المرابطين وأنه كان وليد تأثيرات وصراعات تطلبت قروناً لتبرز إلى حيِّز الوجود. راجع: الشيخ سيديا.. الموروث الثقافي والأدبي، ص65.

الهم الاجتماعي واحتكروا اسم العرب دون غيرهم. وبما أن جلّ هذه الفئة من أصل حسّاني، فقد أطلق اسم "بني حسّان"، وأحياناً "حسّان" فحسب، على من تبوأ هذه المنزلة الاجتماعية أيّاً كان نسبه، فتحوّل اللفظ من مدلول عرقي إلى آخر اجتماعي.

- فئة الزوايا: أصل هذه التسمية واضح من حيث ارتباطها بزوايا العلم والتصوف. وهي تشمل السكان الأصليين من قبائل صنهاجة ومن امتزج بهم وسار على نهجهم المتمثل أساساً في الاهتمام بالمشاغل العلمية والدينية والاقتصادية المسالمة.

وقد كرّس المجتمع هذه القيادة المزدوجة بتمجيد شأن العلم والسلاح واعتبارهما رمز المجد والكرامة، فلا مكان إلا لمن يدلي بشهادة علمية أو شهادة "عسكرية"، ويبدو ذلك جلياً من فحوى الرسائل المتبادلة بين سلطان المغرب الأقصى المولى محمد بن المولى عبد الرحمن والشيخ سيدي الكبير - مؤلف الكتاب الذي تتمحور حوله هذه الدراسة - إذ لم يطلب الشيخ من السلطان سوى أمرين: الكتب والسلاح⁽¹⁾.

ومع مرور الزمن أصبح التقسيم المذكور قيماً أكثر منه سلالياً، إذ أطلق مصطلح "العربي" على كل من حمل السلاح وتشبّث بالقوة والصرامة وأدار ظهره للّوح والقلم والدواة، ولو كان صنهاجياً. وأطلق مصطلح "الزاوي" على كل من اهتم بالعلم والتزم بتعاليم الإسلام بغضّ النظر عن أصله وفصله.

1- ترد لاحقاً صورة ضوئية للرسالة الجوابية التي ردّها السلطان على رسالة الشيخ سيدي الكبير.

وقد شهد مستهل القرن الحادي عشر الهجري تأسيس حركة إسلامية في الجنوب الغربي من البلاد على يد أبي بكر "أوبك" بن أبهم الأبهمي الشمشوي في محاولة جادة لسد الفراغ السياسي الذي عاشته المنطقة منذ قرون، وبعث فكر حركة المرابطين من جديد، وقد التفت حوله قبائل زوايا الجنوب وسمّوه الإمام ناصر الدين، فصار هذا اللقب علماً عليه حتى غدا اسمه الأصلي غير معروف لدى العامة⁽¹⁾. وقد تصدّت الزعامات الحسانية لحركة "الإمام ناصر الدين" بما لديها من قوة، فنشبت حرب طاحنة بين "الزوايا" و"حسان" عُرفت بـ(شَرْبَبْ)⁽²⁾ وانتهت بهزيمة الزوايا والتوصل إلى اتفاق بين الطرفين يتألف من بنود قليلة لكنها مذلّة ومجحفة⁽³⁾. وقد شكل انتصار "حسان" على "الزوايا" منعطفا مهما في تاريخ المنطقة عموما والناحية الجنوبية خصوصا، وأفضى إلى قيام الإمارات الحسانية⁽⁴⁾. وسنعود إلى هذه الحركة حين نستعرض الإطار الثقافي، وذلك لما لها من علاقة بموضوعنا.

1- هو أوبك (أبو بكر) ولد أبهم (أبوهم) ولد أشفغ محنض (الفقيه أبو محمد) الشمشوي، زعيم الزوايا وقائد حركتهم الشهيرة لإقامة الدولة. استشهد سنة (1085هـ/1674م) في موقعة ترتلاس من أيام (شربيه). راجع: بلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص533.

2- شَرْبَبْ: اختلف في معنى هذا الاسم على قولين؛ فقليل هو مركب من مقطعين هما (شر) وتعني الحرب و (بَبْ) وهو اسم شخص منع الزكاة فأراد "الزوايا" انتزاعها منه عنوة فمنعهم "حسان" فقامت الحرب. وقيل إن "بَبْ" اسم صوت يدل في اصطلاحهم الصنهاجي على الحماس، وكان يؤمر به كل من انضم إلى صفوف جيش ناصر الدين وذلك للتعبير عن الأبهة والاستعداد للقتال، فاتخذ شعارا للحرب.

3- من تلك الشروط أن قبائل حسان لا تحفر الآبار ولكن لهم ثلث كل ماء للزوايا وردوا عليه، ومنها أن المسافر - من حسان - إذا نزل بحي من "الزوايا" يقرونه ثلاثة أيام ويحملونه على دابة حتى يصل إلى حي آخر.

4- يقوم النظام الأميري على نمط سياسي شبه مركزي يعتمد على الفئة والجهة والقبيلة؛ فالأمير الذي يجلس على هرم السلطة وينتمي إلى قبيلة محاربة قوية "غالبة"، لا بد أن يقيم

وخلال القرن التاسع الهجري بدأ الوجود الأوروبي على السواحل الأطلسية الموريتانية، وتوالت البعثات من دول أوروبية مختلفة في صراع محموم على المنطقة، وكان البرتغاليون أول الواصلين إلى هذه السواحل، حيث أسسوا مركزا تجاريا بجزيرة آرگين⁽¹⁾ سنة 1445م، ووصلوا في الفترة ذاتها إلى مصب نهر السنغال⁽²⁾، ثم تغلغلوا في أعماق البلاد وأسسوا مركزا تجاريا في مدينة "وادان" لكنه ما لبث أن زال من الخريطة تحت ضغط مقاومة السكان⁽³⁾.

وقد كانت البعثات الأوروبية في بداية زحفها تبحث عن الذهب، والرقيق، والعنبر، والتمور، والدهون، وزيت خنزير البحر وجلود ذئابه، لكنها ما لبثت أن صار الصمغ العربي هو شغلها الشاغل، حيث كانت المنطقة تتوفر على كميات كبيرة من أشجار القتاد التي يستخرج منها، في الوقت الذي كان يشكل مادة أساسية في صناعة النسيج الأوروبي⁽⁴⁾.

وقد ظلّ الحضور الأوروبي في جميع مراحله وصراعاته يعتمد على التعامل مع أمراء بني حسان عن طريق معاهدات يؤمّن بها الأوروبيون قوافلهم ويحصل الأمراء من خلالها على امتيازات تتمثل غالبا في الأقمشة والأسلحة، وقد استفادت قبائل الزوايا

تحالفا مع قبائل أخرى محاربة تحميه ويحميها وينتقي حاشيته منها ومن قبيلته. راجع: إمارة الترازة وعلاقتها التجارية والسياسية مع الفرنسيين، ج1، ص304.

1- تقع جزيرة آرگين (بكاف منعقدة) شمال العاصمة انواكشوط، وهي المعروفة الآن بحوض آرگين الذي تم إعلانه حظيرة وطنية محمية، نظرا لأهمية تنوع تجمعات الطيور التي تأوي إليه.

2- راجع: إمارة الترازة وعلاقتها التجارية والسياسية مع الفرنسيين، ج1، ص388.

3- راجع: الشعر الشنقيطي، ص47.

4- المرجع السابق، ص67.

من هذه المبادلات استفادة كبيرة في ظل المعاهدات الحسانية وتحسنت أوضاع الكثير منهم تحسنا مطردا⁽¹⁾.

وفي بداية القرن السابع عشر الميلادي انتزع الهولنديون جزيرة آرگين من البرتغاليين وجعلوها قلعة محصنة وبنوا في "الجُرَيْدَه" ميناء "هَدِي" ⁽²⁾ الذي عرف فيما بعد باسم (بورتانديك - Port Tendique)، وأبرموا سنة 1633م اتفاقية تجارية مع أحمد ولد دامن، مؤسس إمارة اترارزة (ت 1636م). وفي سنة 1689 وقع أحمد الكجيل ولد دامن، أمير اترارزة بعد أبيه هدي ولد أحمد ولد دامن، اتفاقية تجارية مع الألمان⁽³⁾. كما أقامت فرنسا أواسط القرن السابع عشر الميلادي مركز (سين لويس - Saint-Louis) عند مصب نهر السنغال الذي سيصبح فيما بعد عاصمة لمستعمرتها. وقد شهدت هذه المراكز الثلاثة طيلة القرن السابع عشر الميلادي وخاصة الأولين منها صراعا كبيرا بين البرتغال وهولندا وفرنسا وإسبانيا وإنجلترا وبروسيا⁽⁴⁾، وفي العقد الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي بدأ انسحاب بعض هذه

1- راجع: إمارة الترارزة وعلاقتها التجارية والسياسية مع الفرنسيين، ج 1، ص 399.

2- نسبة إلى هدي ولد أحمد ولد دامن، ثاني أمراء الترارزة، وأحد القادة البارزين للمغفرة في حرب شربه. توفي سنة 1686م.

3- راجع: بلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص 507.

4- لم يعد في العالم اليوم دولة تسمى (بروسيا)، ولكن هذه التسمية كانت تُطلق على دولة لها مكانتها في وقتها، وهي في الأصل إمارة صغيرة أُقيمت بداية القرن الثالث عشر الميلادي على أراضي تقع اليوم مقسمة بين كل من روسيا وبولندا. ومنذ 1466م انقسمت بروسيا شطرين؛ غربي خاضع لألمانيا، وشرقي تحت الحكم البولوني، وبعد تقسيم بولندا سنة 1772 ونظرا لما كانت عليه بروسيا الشرقية من تطور عسكري واقتصادي فقد خاضت عدة حروب مكنتها من التوسع وضم بعض الولايات الألمانية التي كان أهمها مملكة بروسيا الغربية، وبذلك توحدت بروسيا وأصبحت خامس أقوى دولة في أوروبا. وفي عام 1806م ألحق نابليون بونابرت بروسيا

الدول واعتزالها الصراع على "الصمغ العربي"، فانسحبت بروسيا وهولندا والبرتغال وإسبانيا، وبقي الصراع محتدماً بين فرنسا وإنجلترا اللتين دامت المواجهات بينهما أكثر من عشرين سنة، إلى أن تنازلت إنجلترا سنة 1857م عن "حقها" في التبادل على السواحل الموريتانية مقابل تنازل فرنسا عن جزء من الساحل الغامبي، وذلك في نطاق إعادة تقسيم العالم بين القوى الأوروبية إبان منتصف القرن التاسع عشر الميلادي⁽¹⁾.

وبعد انفراد فرنسا بالمنطقة تجاوزت أطماعها المجال التجاري وبدأت في تنفيذ مشاريعها الاستعمارية عبر التدخل في سياسة المنطقة، فأغضب ذلك أمراء "الترارزة"، خاصة بعدما بسط الفرنسيون نفوذهم على منطقة "والو"⁽²⁾ التي كان الأمراء يعدّونها

هزيمة ساحقة خسرت على إثرها نصف أراضيها ولم تستعدها إلا بعد هزيمة نابليون في معركة واترلو الشهيرة سنة 1815م، ولكنها أصبحت مكوّنة من إقليمين منفصلين. وفي عام 1862م أصدر الملك "فيلهلم الأول" قراراً بتعيين الداهية "أوتو فون بسمارك" رئيساً للوزراء، وكان بسمارك يرى أن الحرب هي السبيل لتحقيق الوحدة فقاد حرباً ضد الدانمارك ثم النمسا وانتصرت بروسيا فيهما وضمت أراضي كثيرة جعلتها إقليماً مترابطاً، ثم سعى بسمارك إلى الحرب مع فرنسا وكان له ما أراد حيث أعلنت فرنسا الحرب ضد بروسيا واحتلت مدينتين، ولكن بروسيا ردت على ذلك واستمرت الحرب أشهراً اتضح خلالها التفوق العسكري الكاسح لبروسيا وحوصرت باريس إلى أن سقطت في يناير 1871م، وفي قاعة المرايا الشهيرة في قصر فرساي بباريس أُعلن عن قيام إمبراطورية ألمانيا وأصبح "فلهلم الأول" هو الإمبراطور الأول لها. وقد أصبحت هذه الإمبراطورية الألمانية هي الأقوى في أوروبا، وهي ما يسمى بـ"الرايخ الثاني" وقد ظلت قائمة إلى أن أسقطتها ثورة 1918م التي نشبت نتيجة لهزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى.

1- راجع: إمارة الترارزة وعلاقاتها التجارية والسياسية مع الفرنسيين، ج1، ص400.

2- منطقة شاسعة في شمال جمهورية السنغال حالياً، تمتاز بوفرة محاصيلها الزراعية وثروتها الحيوانية.

منطقة تابعة لهم، فبدأت بذلك المواجهات بين الطرفين حيث كانت تقع من حين إلى آخر غارات أمراء بني حسان على السنغال فيكون رد فعل فرنسا قتلا وأسرا وحجزا موقوفات للموريتانيين الواردين على السنغال وتجميدا موقتا للإتاوات، كما يجمد الأمراء التجارة تارة. وفي سنة 1854م نشبت الحرب بين فرنسا من جهة، وتحالف إمارتي الترارزة والبراكنة من جهة أخرى، وأفضت الحرب لاحقا إلى التوقيع على اتفاقية 20 مايو 1858 بين أمير اترارزة محمد لَحْبِيب⁽¹⁾ والحاكم الفرنسي للسنغال فيديرب Faidherbe⁽²⁾، وهي الاتفاقية التي اعترف فيها الأمير محمد لحبيب بالسيادة الفرنسية على منطقة والو، وأن يسري ذلك الاعتراف على ورثته من بعده، كما نصت على قطع الامتيازات الثابتة التي كان يحصل عليها الأمير من قبل السلطات والتجار الفرنسيين مقابل تأمين التجارة، واستبدالها بنسبة قدرها ثلاثة في المائة (3%) من جملة ما يباع من الصمغ، تتكفل السلطات الفرنسية بتحصيلها؛ وفي 10 يونيو من السنة ذاتها عقدت فرنسا اتفاقية مماثلة مع أمير البراكنة.

1- هو محمد لَحْبِيب ولد أَعْمَر ولد المختار بوكعبة ولد الشرقي ولد اعلي شنظورة ولد هَدْي ولد (أحمد من دمان). تولى إمارة الترارزة سنة (1254هـ/1829م) فوصف بأنه أعظم أمرائهم على الإطلاق، وكان على صلة طيبة بعلماء منطقته. جاهد الفرنسيين ومال ميزان القوة لصالحهم فانتهت الحرب سنة (1274هـ/1858م) بتوقيع معاهدة تجارية أملوا فيها إرادتهم عليه. اغتاله أبناء إخوته سنة (1277هـ/1860م). راجع: كتاب الأخبار، ج2، ص198. وبلاد شنقيط... المنارة والرباط، ص524.

2- ليون سيزار فيديرب (Leon Cesar Faidherbe) أحد الحكام الفرنسيين الذين قادوا الحملة الاستعمارية الفرنسية في إفريقيا، بدأ تألقه العسكري من الجزائر التي تعلم فيها اللغة العربية. وقد حكم السنغال فترتين؛ الأولى من 1854 حتى 1861، والأخرى من 1863 إلى 1865م. راجع: إمارة الترارزة وعلاقاتها التجارية والسياسية مع الفرنسيين، ج2، ص546.

وقد كانت شروط الاتفاقيتين المذكورتين مجحفة بالإمارتين، خصوصا في جانبهما الاقتصادي الذي حدّد دخل كل إمارة بنسبة ثابتة بدلا من هدايا كانت تتناسب مع قيمة كمية الصمغ المباعة وحجمها، ولم تلبث فرنسا أن أوقفت دفع هذا المبلغ الزهيد حين ضعف دور الأمراء وسادت الفوضى والقتل والنهب المنظم؛ وهو ما دعا بعض الساسة إلى التلويح بعدم الممانعة من دخول فرنسا في أعماق البلاد وتدخلها لتهدئة الأوضاع وضمان الأمن، فوَقَّع بعض الوجهاء اتفاقية مع مبعوث فرنسا سنة 1899م تم بعدها احتلال أجزاء من البلاد⁽¹⁾. لكن مجموعة أخرى من العلماء رأت في الاتفاق مع المستعمر ردة عن الحق وركونا للذين ظلموا وموالاته للعدو، فأعلنت الحرب على المستعمر، والتف جمهور المقاومين حول الشيخ ماء العينين ولد الشيخ محمد فاضل⁽²⁾ الذي كان يتلقى الدعم من السلاطين العلويين، وتكبد المستعمر خسائر كبيرة نسبيا بالمقارنة مع إمكانيات المقاومين وعددهم⁽³⁾، لكن شساعة البلاد وصعوبة المناخ ومحدودية الإمكانيات وعدم الإجماع على مشروعية المقاومة كانت عوائق حالت دون صدّ الفرنسيين فأكملوا سنة 1935 بسط نفوذهم

1- راجع: الإمارات والمجال الأميري البيضاني خلال القرن 18م-19م، محمد المختار ولد السعد، حوليات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة انواكشوط، العدد الثاني، 1990.

2- هو الشيخ محمد المصطفى (ماء العينين) ولد محمد فاضل ولد مامين القلقمي، أحد أعيان بلاد شنقيط، عالم وشيخ صوفية ومجاهد. ولد سنة (1246هـ/1831م) درس في مدينة شنقيط وربط علاقات طيبة بسلاطين المغرب وقاد الجهاد المسلح إبان دخول الاستعمار الفرنسي إلى المغرب وبلاد شنقيط. اتخذ السمارة مقرا له، وتوفي سنة (1328هـ/1910م) تاركا مئات الآثار العلمية. راجع: الوسيط في تراجم أدياء شنقيط، ص365. وبلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص517.

3- المرجع السابق، ص520.

على المجال الموريتاني باستثناء ما كانت إسبانيا قد سيطرت عليه في الشمال الغربي.

وبعد الحرب العالمية الثانية بدأت الشعوب المستعمرة تشيخ غيث الاستقلال؛ ففي سنة 1945م منح دستور فرنسا لبلدان ما وراء البحار حق تمثيلها في المجالس الفرنسية، فمُثلت موريتانيا بموجب هذه المادة الدستورية بنائب في البرلمان الفرنسي ومستشارين في المجلس الوطني. وفي سنة 1957م أحدث الدستور الفرنسي ما عرف بـ"القانون الإطاري" الذي يسمح لبعض مستعمراتها بانتخاب رئيس، فتأسست أول حكومة موريتانية إدارية ترأسها الأستاذ المختار ولد داداه، الموريتاني الأوحده الذي كان يحمل شهادة جامعية في ذلك الحين⁽¹⁾.

وفي سنة 1958م منحت فرنسا لموريتانيا حق تقرير المصير، فأنشئت لجنة دستورية انتخبت بدورها مجلسا وطنيا منح ثقته للمختار ولد داداه بوصفه رئيسا للحكومة. وفي 28 نوفمبر 1960م أعلن المختار ولد داداه استقلال الجمهورية الإسلامية الموريتانية، وفي 27 أكتوبر 1961م انضمت إلى منظمة الأمم المتحدة.

وقد رحل الفرنسيون عن موريتانيا وتركوها خلواً من أي بنية تحتية كالتي تركوا في الدول المجاورة، وهو ما وضع تحديات كبيرة أمام جيل الاستقلال الذي بدأ من الصفر في جميع مجالات الحياة، وعندما كادت الدولة أن تستوي على ساقها من

1- هو المختار ولد محمدن ولد داداه، وُلد في بوتلميت سنة 1924، كان أول موريتاني يحصل على شهادة الباكلوريا، تابع بعدها دراساته الجامعية في فرنسا فتخرج محاميا، وهو أول رئيس لموريتانيا منذ استقلالها 1960/11/28، أطيح بحكمه في انقلاب عسكري أبيض يوم 10 يوليو 1978. وتوفي في باريس 2003/10/14، وُثِّل جثمانه إلى موريتانيا حيث دُفن في مقبرة البُعلاتية بمسقط رأسه.

عدم، اثبتت بمسلسل من الانقلابات والدكتاتوريات منذ سنة 1978م، فانعكس ذلك سلبا على ثروة ثقافية ظلت أكثر من أربعة قرون حبيسة الأدراج والصناديق وصدور الرجال، تتحرى بفارغ الصبر ظروفًا سياسية مواتية تنقذها وتحميها، فخاب أملها وضاع منها الكثير.

قد يظن القارئ عند المرور بفقرات هذا الفصل أنها قد استوعبت تاريخ المنطقة برمتها واستجلت جميع غوامضه، لكن المتفحص سيجد هلهلة واختصارا وحذفًا في التاريخ الطويل لهذه المنطقة التي أردنا تعريف القارئ بها فضلا عن التعريف بأنساق الثقافة فيها منذ ما قبل دخول الإسلام إلى اليوم.

المطلب الثاني

التسميات التي عُرفت بها بلاد شنقيط

عُرفت البلاد التي تُسمى اليوم "موريتانيا" بأسماء كثيرة خلال القرون التي سبقت الاستعمار الفرنسي الذي اكتسح مجالها الجغرافي منذ مطلع القرن العشرين وقام - ضمن جملة ما قام به - بتغيير اسمها من "بلاد شنقيط" - الاسم العربي الوضع، الإسلامي الروح - إلى "موريتانيا" الاسم اللاتيني الذي معناه "بلاد السمّر"⁽¹⁾. وهذه التسمية في حقيقة أمرها ليست سوى تحريف لاتيني للفظ أمازيغي معروف، هو (اُتمور اُثناغ) ومعناه: أرضنا، ويُنطق أيضا (مورثنا)⁽²⁾. ولعله متأثّر من

1- راجع: بلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص 25.

2- راجع: الممتع المحيط من كلام أهل شنقيط، إسماعيل ولد محمد يحظيه، دار الفكر، نواكشوط - 2010، ص 28.

قبائل المُوَرَّ الشَّهيرة التي ناهدت الرومان والوندال وغيرهم من غزاة بلاد الأمازيغ القديمة⁽¹⁾.

ونتطرق تالياً إلى أشهر الأسماء التي عُرف بها هذا الحيز الجغرافي؛ سواء أكانت تلك الأسماء نعوتاً أم إحالات تاريخية وجغرافية، وهي في عمومها أسماء مرتبطة بدول وإمارات حكمت البلاد أو أجزاء منها:

1- بلاد شنقيط: أشهر التسميات التي ذاعت في أقطار العالم العربي والإسلامي علماً على هذا القطر، تسمية "بلاد شنقيط" التي ورد ذكرها موثقاً أول مرة في تاريخ السودان للسعدي⁽²⁾. وحاضرة شنقيط التي سُمي القطر كله باسمها تأسست سنة 660هـ في منطقة آدرار، ولعلّ تأسيسها كان على مرحلتين زمنيّتين، وبها ترسّخت تقاليد الدرس والإمامة والقضاء والفتيا فكانت بذلك عاصمة وسوقاً تجارية وأدبية. ونجد النسبة إلى شنقيط في "شجرة النور الزكية" عند ذكر "محمد الشنقيطي" الآخذ عن زروق⁽³⁾.

1- راجع: تاريخ بلاد شنقيطي، د. حماد الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، بيروت - 2010، ص 18. وكتابة (شنقيط) بكاف وياء بعد الطاء، مذهب العلامة محمد ولد مولود ولد داداه، المعروف بلقبه الشنّافي؛ وقد قاده إليه حرصه على إيضاح أن اللفظ بكاف معقودة، أما الياء في آخره فليست ياء نسبة وإنما جيء بها تفادياً لإسكان الطاء عند انعدام شكلها بالكسرة.

والمُناهضةُ في الحرب: المُناهضةُ، إلا أنّ الثُّهُوضَ قيامٌ عن قُعود، والثُّهُودُ ثُهُوضٌ على كل حال.

2- راجع: الشعر الشنقيطي، ص 32.

3- راجع: بلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص 72.

وذكرها الزبيدي في "تاج العروس" فحرّف كتابتها، قائلاً: «ومما يستدرك عليه "شكيت" مدينة بأقصى الغرب»⁽¹⁾؛ ثم عاد في موضع آخر منه فاستدركها على نحو صحيح، قائلاً: «ومما يستدرك عليه "شنقيط" بالكسر: مدينة من أعمال السوس الأقصى بالمغرب»⁽²⁾.

ومعنى "شنقيط" «عيون الخيل ... وشنقيط تطلق في الأصل على مدينة من مدن آدرار، واقعة فوق جبل، في جهة غرب الصحراء الكبرى، ثم سمي به القطر كله .. فصار من باب تسمية الشيء باسم بعضه»⁽³⁾. وهذا الرأي يجعل كلمة "شنقيط" مأخوذة من اللغة الأزيرية أي البربرية الصنهاجية، وأن معناها "العيون التي تشرب منها الخيل".

وهناك رأي آخر يرى أنصاره أن أصل الكلمة عربي صرفاً أصله "سنّ قيط" أي طرف جبل قيط، ويستندون في ذلك إلى وجود جبل مجاور للمدينة يعرف باسم "قيط".

وهناك رأي ثالث يرى كسابقه عروبة التسمية، ولكنه يرجعها إلى "الشقيط" وهي كلمة عربية فصيحة دالة على الجرار الخزفية التي يُجعل فيها الماء، وقد كانت منتشرة في المنطقة⁽⁴⁾.

1- تاج العروس من جواهر القاموس، ج4، ص584.

2- المرجع السابق، ج19، ص419.

3- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص422.

4- (الشقيط، كأмир)، أهمله الجوهري والصاغاني، وقال ابن الأثير: هي (الجرار من الخزف) يُجعل فيها الماء، أو الفخار عامة. راجع: تاج العروس، ج19، ص419.

ويرى والدنا الشيخ سيديا (بابه)⁽¹⁾، أن إطلاق اسم شنقيط على هذه البلاد لم يكن من فعل أبنائها، وإنما أُطلق في المشرق على الحجاج الوافدين من عموم المنطقة «لأنهم كانوا من أكثر أهل هذه البلاد حُجاجًا، فصاروا أعرف في تلك البلاد»⁽²⁾. ويَعُضد هذا الرأي ما أورده سيدي عبد الله ولد الحاج إبراهيم العلوي⁽³⁾ في رسالته المسماة "صحيحة النقل في علوية (إيدوعلي) وبكرية (محمد قِل)" وهي - كما يدلُّ عليه عنوانها - مسوقة لإثبات نسب قبيلة (إيدوعلي) إلى علي بن أبي طالب، و(محمد قِل) جد قبيلة (الأقلال) إلى أبي بكر الصديق = إذ يقول فيها: «وكان الركب يمشي من شنقيط إلى مكة كل عام، ويحجّ من أراد الحجّ من

1- عالم جليل، فقيه ومحدث وأصولي ومؤرخ وشاعر، ورجل سياسة بارز، كان له دور حاسم في تاريخ موريتانيا قُبيل الاحتلال الفرنسي وفي بداياته. له ديوان شعر من ضمنه القطعة التي اختيرت كلماتٍ للنشيد الوطني الموريتاني غِبَّ إنشاء الدولة الموريتانية. من مؤلفاته المطبوعة: إرشاد المقلّدين عند اختلاف المجتهدين، وله: تاريخ إمارتي إدوعيش ومشظوف. توفي سنة 1924م. والده المباشر هو الشيخ سيدي محمد ولد الشيخ سيديا، الابن الأوحيد للشيخ سيديا الكبير. وكونه حفيد الشيخ سيديا الكبير، وسميّه؛ هو ما أدى إلى إضافة صفة (الكبير) إلى اسم الجد تمييزاً له عن الحفيد. راجع: **بلاد شنقيط.. المنارة والرباط**، ص 516.

2- راجع: **تاريخ إمارتي إدوعيش ومشظوف**: بابّه ولد الشيخ سيديا، مرقون، ص 18.

3- سيدي عبد الله ولد الحاج إبراهيم ولد عبد الرحمن العلوي: عالم متبحر، أصولي محدّث، وفقه لغوي شهير، ولد سنة (1152هـ/1739م). أخذ عن المختار ولد بونه الجكني، ورحل للحج فزار المغرب وأخذ عن محمد البناني الفاسي، وشارك هناك في الجهاد ضد البرتغاليين. تخرّج عليه عشرات العلماء، وترك مؤلفات كثيرة كُتب لها القبول. توفي سنة (1233هـ/1818م). راجع: **الوسيط في تراجم أدباء شنقيط**، ص 37. و**بلاد شنقيط.. المنارة والرباط**، ص 513.

سائر الآفاق، حتى إن أهل هذه البلاد، أعني من الساقية الحمراء إلى السودان إلى أروان، يُعرفون عند أهل المشرق إلى الآن بالشناجطة»⁽¹⁾.

وكتابة شنقيط في النص السابق بالجيم (شنجيط)، وقول صاحب الوسيط إنها تُكتب بالقاف والجيم بعد أن كانت في العصر الأول تُكتب بالجيم فقط؛ ربما يكون تأثراً من الحجاج باللهجة المصرية إذ كانت مصر مدرجهم في رحلة الحج ذهاباً وإياباً؛ فكلمة (شنقيط) تنطق في العامية بكاف معقودة وتلك تساوي الجيم المصرية، غير أن غالب شأن الشناقطة أن يقلبوا القاف كافا معقودة في لهجتهم العامية أما الجيم فليس من شأنهم إبدالها كافا معقودة أو نطقها جيما مصرية، بل ينطقونها جيما متفشية⁽²⁾.

1- **صحيحة النقل في علوية إيدوعلي وبكرية محمد قلي**، سيدي عبد الله ولد الحاج إبراهيم، مخطوط بحوزتنا صورة منه، ولم نتمكن من الوقوف على طبعته التي نشرتها وحدة المنارة للدراسات والبحوث والتحقيق سنة 2016. أما الساقية الحمراء فواد يقع في جنوب بلاد السوس الأقصى، والسودان المقصود هنا اسم يشمل في اصطلاح القدماء بلاد العجم الزنوج المسلمين في غرب إفريقيا، وأروان مدينة قديمة في جمهورية مالي تقع على تخوم المجال الشنقيطي شرقاً. راجع: **الشعر الشنقيطي**، ص 22.

2- وقد أخذ كثير منهم بالجيم الشديدة في قراءة القرآن تحديداً، وذلك بعد أن جاء بها سيدي عبد الله ولد أبي بكر التناجوي (ت 1145هـ/1732م) من سجلماصة حيث أخذها عن شيخه سيدي أحمد الحبيب اللمطي السجلماسي. وقد كانت تلکم الجيم مثار جدل طويل، وألفت فيه كُتب؛ منها مثلاً لا حصراً (ملاحن القراء) للشيخ ولد حاتمّي، وقد حققه محمد عبد الله ولد عمر، في المدرسة العليا للمعلمين، سنة 1984. راجع: **بلاد شنقيط.. المنارة والرباط**، ص 20 وكذلك ص 513. **والشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر الهجري**، ص 112.

ويتخذ الشاعر محمدي ولد سيدينا⁽¹⁾ تسمية "شنقيط" محمداً لأهل هذه المدينة؛ فيقول في قصيدة يمدحهم بها:

بِكُمْ تُضْرَبُ الْأَمْثَالُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا وَيُنْمَى إِلَيْكُمْ كُلُّ مَنْ جَاءَ مِنْ قُطْرِي⁽²⁾

2- البلاد السائبة: اسم أطلقه بعض العلماء الشناقطة على بلادهم؛ فقد تحدث "الشيخ سيدي محمد ولد الشيخ سيدي المختار الكنتي"⁽³⁾، عن البلاد السائبة الخالية من سلطان أو أمير أو رئيس خير يدفع ظلم الظلمة، وجور الجور، وعُدوان العادين⁽⁴⁾.

1- محمدي (بدي) ولد سيدينا ولد أشفغ سيد أحمد ولد محم ولد القاضي العلوي، من فخذ أهل محم ولد القاضي من قبيلة إيدو علي. ولد سنة 1202هـ في بيت فقه وأدب وسيادة متوارثة وعاش في بلاد قومه من إمارة الترازة، درس على أبيه سيدي عبدالله المعروف بسيدينا (ت1242هـ)، وعلى صهره حرمة ولد عبد الجليل، فأتقن العلوم المتداولة في عصره، وعند عودة زوج أخته الشيخ محمد الحافظ ولد المختار ولد الحبيب العلوي من فاس سنة 1220هـ، أخذ عنه الطريقة الصوفية التجانية ووقف عليه وعلى طريقته حياته وشعره، وبعد وفاة شيخه (1247هـ) خلفه في تحمل أعباء قيادة الطريقة التجانية إلى أن توفي سنة 1264هـ، وخلفه ابنه الشيخ أحمد (آبه) المتوفى سنة 1323هـ. راجع: الشعر الشنقيطي، ص149. وبلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص502 وكذلك 508 وأيضاً 517.

2- راجع: ديوان محمدي ولد سيدينا، تحقيق: محمد الأمين ولد بدي، دار المعلمين العليا، انواكشوط - 1984، ص51. والشعر الشنقيطي، ص14.

3- الشيخ سيدي محمد ولد الشيخ سيد المختار الكنتي: عالم وشيخ طريقة صوفية كبير، خلف أباه العلم الأبرز في مقامه الروحي والعلمي والسياسي، وعليه وعلى أبيه تصدر الشيخ سيديا الكبير. له مؤلفات كثيرة منها "الطرائف والتلائد في مناقب الوالدة والوالد". توفي سنة (1242هـ/1826م). راجع: بلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص516.

4- ورد ذلك في رسالته المخطوطة المسماة "الرسالة الغلاوية".

وقد وردت هذه الصفة نفسها عند "الشيخ محمد المامي ولد البخاري"⁽¹⁾، وذلك بلفظ "بلاد السيبة"، كما أطلق أيضاً على هذه البلاد اسم "بلاد على فترة من الأحكام" واسم "بلاد المنكب البرزخي"، حيث يقول «إِنَّ عَلمَ أهل المنكب البرزخي عند أهل الأمصارِ الشناجطة»⁽²⁾.

وجميع التسميات المرتبطة بمصطلح "السيبة" تعكس مدى تحكُّم واقع الفوضى والانفلات من قبضة السلطان في هذه البلاد التي عاشت أغلب تاريخها خاليةً من سلطة مركزية، تسوس أمر الناس وتحكم بينهم؛ إذ "السيبة" مصطلح يدل في اللغة التاريخية المغربية على الفوضى والتمرد في مقابل النظام والخضوع، إلا أن دلالة هذا المصطلح في بلاد شنقيط مغايرة لها في بلاد المغرب الأقصى؛ فهي في المغرب - حيث الدولة أصل مستمر - تعني تمرداً قليلاً مؤقتاً، فهي بذلك استثناء، أما في بلاد شنقيط فالسيبة هي الأصل والسمة الجوهرية في بنية المجتمع⁽³⁾.

1- الشيخ محمد المامي ولد البخاري اليعقوبي، من أهل باركا الله: عالم جليل وشاعر مجيد، وأحد أبرز أعلام الحياة الفكرية في بلاد شنقيط. ولد سنة (1206هـ/1791م) واشتهر بدعوته إلى فتح باب الاجتهاد وإقامة السلطة المركزية، وتأليفه كتاب (البادية) وهو محاولة طموحة لإيجاد حلول فقهية للمشاكل المعيشية في مجتمع بدوي لا تنتظمه دولة. له مؤلفات كثيرة يقال إنها بلغت أربعمئة مؤلف، وتميز بعنونة قصائده ذات العبارة الكثيفة والنفس الطويل؛ ومن تلك العناوين على سبيل المثال: الجرادة الصفراء - الدلفينية - الزعفرانية. توفي (سنة 1292هـ/1875م). راجع: الشعر الشنقيطي، ص 14. وبلاد شنقيط، ص 518.

2- كتاب البادية (مخطوط)، الشيخ محمد المامي.

3- راجع: الشعر الشنقيطي، ص 17.

3- البلاد المغربية الصحراوية البيضاء: أطلق بعض المؤرخين الموريتانيين على بلادهم اسم "البلاد المغربية الصحراوية البيضاء"، وذلك حين استعصى عليهم أن يجدوا لها اسما جامعا مانعا، فهذا "الشيخ سيديا (باب)" - حفيد الشيخ سيديا الكبير - يتعجب من أهل هذه «البلاد البيضاء الصحراوية المغربية وأدبائها - على فضلهم ونبلهم - كيف لم يعتنوا بتاريخها في كتاب معتبر من أول الزمان إلى الآن، مع كثرة ما وقع فيها من الأمور الكبار التي ينبغي الاعتناء بكتابتها، وكثرة من كان بها من الأكابر من كل صنف، الذين لا ينبغي أن نترك أخبارهم نسيًا منسيًا»⁽¹⁾.

4- صحراء الملمثمين: سبب هذه التسمية أن سكان المنطقة كانوا قبائل صنهاجة المعروفين باسم "الملمثمين" الذين مدحهم أحد الشعراء بالثناء معيّنًا المقصود بالملمثمين، فنسب قبيلة "المثونة" - وهي من صنهاجة - إلى حمير، حيث يقول:

قَوْمٌ لَهُمْ شَرَفُ الْعُلَا⁽²⁾ مِنْ حَمِيرٍ وَإِذَا انْتَمَوْا لِمُثُونَةٍ فَهُمْ هُمْ
لَمَّا حَوَّوْا إِخْرَازَ كُلِّ فَضِيلَةٍ غَلَبَ الْحَيَاءُ عَلَيْهِمْ فَتَلَثَّمُوا⁽³⁾

في إشارة من الشاعر إلى أن "صنهاجة الصحراء" عُرفوا بلقب "الملمثمين" تمييزا لهم عن بني عمومته من حاسري الرؤوس القاطنين آنذاك في التخوم الشمالية للصحراء الكبرى.

1- تاريخ إمارة إدوعيش ومشظوف، ص 5.

2- ألف (الْعُلَا) فيها وجهان؛ كتابتها طويلة، لأن أصلها واوي، وهذا هو الوجه الراجح. وأما الوجه الآخر فكتابتها مقصورة، وهو ما يناسب قواعد الخط عند أهل الكوفة. ورحم الله الفراء حيث يقول: من عرف العربية حق معرفتها لم يخطئ أحداً.

3- راجع: بلاد شنقيط، ص 18. وقد ورد البيتان في مرجع آخر منسويين إلى القائل ذاته ولكن باختلاف يسير لا يُخلُّ بالغرض المستشهد بهما له. راجع: الأنيس المطرب، ص 137.

ولا يُعرف الشيء الكثير عن أولية اللثام ودلالاته، أكثر من أنه صار شعارًا للقوم ومواطنهم في الجزء الغربي من الصحراء الإفريقية الكبرى؛ إذ نُسبت إليهم فُعرفت بصحراء الملتهمين، لأنهم كانوا - في قرون الإسلام الأولى - سكانها الغالبين عليها عددًا ونفوذًا، إذ كانت قبائلهم تنتشر في أركانها، وفيها أقاموا دولتين قويتين كان لهما دورهما الواضح والمؤثر في المغرب الإسلامي، هما مملكة أودغست الصنهاجية في منتصف القرن الثاني الهجري، التي أنجبت لاحقًا دولة المرابطين، وذلك في النصف الأول من القرن الخامس الهجري.

5- بلاد المغافرة: إذا كان الفقهاء والمؤرخون الشناقطة الذين ذكرناهم آنفاً قد نصّوا على انتفاء سلطة مركزية في بلادهم، فإننا لا نعدّم آخرين منهم يُعرّفونها بإضافتها إلى أصحاب السلطة العسكرية فيها، أي المغافرة وبني حسان، كما نرى عند محمد فال ولد باب العلوي⁽¹⁾، إذ يذكر أن «هذه البلاد الصحراوية تُسمى - عند من أدركنا - في عرفهم بلاد المغافرة»⁽²⁾.

1- محمد فال ولد باب ولد أحمد بيبه العلوي (1265هـ - 1349هـ): شخصية علمية ودينية بارزة متعددة الجوانب والاهتمامات، وذات مقام مرموق في جنوب غربي موريتانيا. راجع: كتاب التكملة في تاريخ إمارتي البراكنة والترارزة، محمد فال بن باب العلوي، تحقيق: أحمد ولد الحسن، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات (بيت الحكمة)، تونس - 1986.

2- المرجع السابق، ص 80. وأما "المغافرة" فاسم يطلق على ذرية مغفر بن أودّي ابن حسان، وهم أهم فرع من قبائل بني حسان العربية المعقلية التي دخلت صحراء شنقيط بداية من القرن 8هـ/14م وبسطت عليها سيطرتها العسكرية، وأسهمت كثيرا في تعريبها اللغوي، على الرغم من عجزها عن توحيدها في دولة. راجع: الشعر الشنقيطي، ص 18.

6- تراب البيضان: البيضان اسم أطلقه المؤرخون القدماء على صنهاجة اللثام مقابلة لألوانهم بألوان جيرانهم الأفارقة ذوي البشرة السوداء؛ فقد ذكر البكري في القرن الرابع الهجري أن (تين يروتان) الصنهاجي صاحب (أودغست) الذي كان يؤدي إليه الجزية أزيد من عشرين ملكا من ملوك السودان، قد أمدّ ملك (ماسين) بخمسين ألف مقاتل انتصر بهم على ملك (أوغام) وقتله؛ فلما عاينت نساء (أوغام) ذلك قتلن أنفسهنّ بضروب القتل أنفة من أن يملكهن البيضان⁽¹⁾.

وقد استخدم بابّه ولد الشيخ سيديا مصطلح "تراب البيضان" دالا على بلاد شنقيط⁽²⁾، وبالاسم عينه عنون الكاتب اللبناني محمد يوسف مقلد كتابه "العرب البيضان في إفريقيا السوداء"⁽³⁾.

7- موريتانيا: الاسم الحالي للبلاد هو "موريتانيا"، ويعود أصل هذا اللفظ إلى الكلمة اليونانية Mauros التي بمعنى الأسمر، وهو في اللاتينية Mauritania بمعنى ظلال الشمس؛ وبذلك فإن معنى لفظ (موريتانيا) هو بلاد الرجال السمر. وأول من أطلق هذه التسمية على ما كان يُعرف ببلاد شنقيط هو القائد الفرنسي "كبولاني"⁽⁴⁾ وذلك إبان بداية الاستعمار الفرنسي للمنطقة، وقد استعاره من الاسمين الرومانيين

1- راجع: المسالك والممالك، أبو عبيد البكري، ج2، ص345.

2- راجع: تاريخ إمارتي إدوعيش ومشظوف، ص5.

3- راجع: موريتانيا الحديثة.. أو العرب البيض في إفريقيا السوداء، محمد يوسف مقلد، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت - 1960.

4- أكرافيي كبولاني Xavier Coppolani، مستشرق فرنسي من قادة الاحتلال في جنوب الصحراء، تربي في الجزائر فتعلم اللغة العربية وأتقن اللهجة الجزائرية، دخل البلاد الموريتانية سنة 1902م قائدا لطلائع الاستعمار الحقيقي للمنطقة. قُتل في "تجكجة" سنة 1905 على يد مجموعة من المقاومين يقودهم البطل المجاهد سيدي ولد ملاي الزين.

القديمين "موريتانيا الطنجية" الذي كان الرومان يطلقونه على جزء من المغرب الأقصى خاصة منطقة فاس ومراكش، و"موريتانيا القيصرية" ويعنون بها مملكة تلمسان⁽¹⁾. وبغض النظر عن الأصل اللاتيني للفظ (موريتانيا) إلا أنه لا ينبغي إغفال الأصل الأبعد له، ذلك أنه ليس سوى تحريف لاتيني للفظ أمازيغي معروف، هو "أتمور أثناغ" ومعناه أرضنا، ويُنطق أيضا "مورثنا"⁽²⁾.

وقد لبثتُ مستغربا سبب نُطق إخواننا المغاربة التاء في (موريتانيا) طاءً، إلى أن وقفتُ على أن ذلك أمر معهود في لهجة أهل شرق الأندلس؛ فقد رأيتُ قاضي الجماعة في مراكش أبا عبدالله بن عبد الملك (ت703هـ) قد أورد في كتاب (الذيل والتكملة) أن القاضي أبا محمد عبدالله ابن قُطْرال - وهو ولدُ قاضي مراكش أبي الحسن ابن قُطْرال - ذكر له أنه رأى مكتوبا بنقش في جص على باب حمام أو فندق (والشك من ابن عبد الملك): رحم الله عبدا صنع شيئا فأطقنه، بالطاء، يريد: فأطقنه. ثم عَقَّب ابن عبد الملك على ذلك قائلا: "ولا شك أن ذلك معروف من لغتهم، سمعته كذلك من غير واحد منهم"⁽³⁾. فلعلَّ هذا الإبدال بين الطاء والتاء قد انتقل إلى المغرب حين كانت العُدوتان كيّانا واحداً، ثم فشا حتى أصبح سمة مغربية وتُنوسِّي أصله الأندلسي.

1- راجع: موريتانيا الماضي المتحرك والمكان المؤثر، أحمد ولد سيد أحمد، الشركة الإفريقية للطباعة والنشر، د.ت، د.ن، ص37.

2- راجع: الممتع المحيط من كلام أهل شنقيط، ص28.

3- راجع: الذيل والتكملة لكتّابي الموصول والصلة، محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، دار الغرب الإسلامي، تونس - 2012، المجلد الأول، ص68 وكذلك ص328.

المطلب الثالث

الإحصاء الجغرافي والسكان

نتطرق في هذا المطلب إلى تحديد الحدود المكانية والجغرافية التي ينحصر داخلها القطر الشنقيطي، وما إذا كانت هي حدود موريتانيا الحالية نفسها. والحديث عن الإطار الجغرافي يستدعي أيضا وصف المناخ السائد فيه.

وقد رسم "الشنقيطي"⁽¹⁾ في كتابه "الوسيط" حدودًا مكانية تقريبية لبلاد شنقيط، فقال: «يحدُّ هذا القطر شمالًا الساقية الحمراء، وهي تابعة له، وجنوبًا قاع ابن

1- هو «أحمد بن الأمين بن محمد الأمين بن عثمان العلوي الشنقيطي» عالم موريتاني موسوعي، شاعرٌ وأديبٌ، رحالة ماهرٌ في علوم اللغة العربية وآدابها، يُعدُّ علَمًا من أعلام النهضة الحديثة، ونابعًا من نوابغ عصره في الحفظ والضبط، تعددت مؤلفاته وشروحاته خلال رحلة عُمره القصيرة. وُلد جنوبي شنقيط (موريتانيا) سنة 1872م، ودرَسَ في أعوامه الأولى القرآن الكريم ومبادئ العلوم الإسلامية والعربية، وتتلّمذ على علماء وأدباء بلده، وأظهرَ في وقتٍ مُبكرٍ ميلًا إلى حفظ الشِّعر وقُرْضه. وقد حدّاه طموحه ونَهْمُه للمعرفة إلى التَّرحال في أنحاء وطنه وخارجه؛ فبدأ سنة 1897م رحلةً علميةً زار فيها مُدن مكناس والسمارة وفاس، وذهب عقب ذلك إلى الحج، فالتقى علماء مكة والمدينة وأدباءهما وأخذ عنهم، ثم زار البلدان الإسلامية في روسيا القيصرية، ثم بلاد الأناضول، فزار المعاهد العلمية والمكتبات النفيسة في الآستانة وإزمير، وذهب كذلك إلى سوريا فالتقى أفاضلها وعلماءها، وأخيرًا ألقى عصا التَّرحال في مصر سنة 1902م، وأكبَّ هناك على الدَّرس والتصنيف والتحقيق. وفي عام 1913م لَقِظَ (رحمه الله) أنفاسه الأخيرة بالقاهرة، عن عُمرٍ ناهزٍ واحدًا وأربعين عامًا، بعدما أتخفَ المكتبة العربية بآثاره ومؤلفاته العديدة القيِّمة، ومنها: «الدُّرر اللوامع على هَمْع الهوامع شرح جَمْع الجوامع»، و«الدُّرر في منع عمر»، و«طهارة العرب»، و«المُعلَّقات العشر وأخبار شعرائها». ومن ضمن

هبة⁽¹⁾، وهو تابع له أيضًا، وشرقًا ولآته والنعمة، وهما تابعتان له أيضًا، وغربًا بلاد سنغال أو سنغال، المعروفة عند أهل "شنقيط" بـ"إندَر"، وهي خارجة عنه⁽²⁾. وهنا سبق قلم إذ الصحيح أنّ السنغال تحدُّ موريتانيا من الجنوب ويحدُّها المحيط الأطلسي من الغرب، أما ما جعله حدودا شرقية للبلد فالظاهر أنه لا يقصد به المدينتين المذكورتين فحسب بل مناطقهما وإنما اقتصر على المدينتين لكونهما حينها أبرز المراكز الحضرية في المنطقة الشرقية. أما قاع ابن هبة المذكور فهو الآن منطقة كوزكول على الضفة الشمالية لنهر السنغال في أقصى الجنوب الموريتاني⁽³⁾.

الكتب الكثيرة التي شرحها وحققها: «ليس في كلام العرب» لابن خالويه، و«الإعلام بمثلث الكلام» و«تحفة المودود في المقصور والممدود» لابن مالك، و«الأضداد في اللغة» لابن الأنباري، ودواوين «طرفة» و«الشمّاخ» و«الحطّية». ولعلّ أشهر مؤلفاته وأهمّها على الإطلاق كتابه «الوسيط في تراجم أدباء شنقيط»، الذي يُعدّ أول وثيقة تناولت شعراء موريتانيا وتاريخها وآدابها، وعاداتها الاجتماعية والثقافية، وقد صدر هذا الكتاب القيم سنة 1911م. كان الشنقيطي زاهدًا متقشّفًا لم يتزوَّج قطُّ، ولم يكتب في أيّ من مؤلفاته شيئًا عن نفسه؛ وهو ما أحاط شخصيته ببعض الغموض. راجع: الشعر الشنقيطي، ص 24.

1- هذا القاع هو الذي أخذت منه مدينة (كيهيدي) الموريتانية المعروفة اليوم تسميتها، وهو منسوب إلى الأمير البركني هبة ولد اعل ولد امحمد ولد اعل ولد عبدلّ ولد كروم ولد ملوك ولد بركن ولد هداّج ولد عمران ولد عثمان ولد مغفر. راجع: كتاب الأخبار، ج 2، ص 113 ثم العودة إلى ص 96.

2- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص 422.

3- راجع: الشعر الشنقيطي، ص 22.

ولا تختلف الحدود التي رسمها صاحب الوسيط، عن الحدود التي رسمها "سيدي عبدالله ولد الحاج إبراهيم" في رسالته "صحيحة النقل" إذ يقول: "إن حدود هذا القطر تبدأ من الساقية الحمراء إلى السودان إلى أروان"⁽¹⁾.

وواضح أن الحدود التي حددها الرجلان، والمتقاربة حدّ التطابق، حدود يمكن اعتبارها إطاراً تقريبياً لأقصى ما وصل إليه المجال الموريتاني اتساعاً، ولا مجازفة في الحكم بأن هذه الحدود يمكن الاطمئنان إلى أنها كانت بالفعل حدود هذا القطر في القرن الذي ندرسه على الأقل؛ ذلك أن ما كان المؤرخون يُطلقون عليه تسمية "بلاد شنقيط" أعظم من الحدود الحالية التي وضعها المستعمر لـ "موريتانيا"؛ إذ شملها ونواحي أخرى تخضع الآن لسيادة دول مجاورة. فبلاد شنقيط هي المجال الذي كان مهد حركة المرابطين، والذي حلّت فيه اللغة العربية محل اللهجات البربرية منذ القرن الهجري الثامن، كما يُعدّ هذا المجال وحدة تاريخية لأنه عرف مؤثرات تاريخية واحدة، وهو أيضاً يُعدّ وحدة بشرية لأن سكانه يتكلمون "الحسانية" وهي من أقرب اللهجات إلى اللغة العربية الفصحى⁽²⁾.

وببلاد شنقيط التي عُرفت في المحافل الدولية بعد سنة 1960م باسم الجمهورية الإسلامية الموريتانية، دولة عربية إفريقية تقع في الجزء الشمالي الغربي من القارة

1- الساقية الحمراء وادي يقع في جنوب بلاد السوس الأقصى، وهو داخل في مفهوم بلاد شنقيط عند أحمد بن عبد المولى العلمي اليملاحي. راجع: نعت البدايات، الشيخ ماء العينين ولد الشيخ محمد فاضل، دار الفكر، دون تاريخ للنشر، ص322. أما السودان فهو اسم يشمل في اصطلاح القدماء بلاد الزنوج المسلمين في غرب إفريقيا. و"أروان" مدينة قديمة تبعّد عن تمبكتو مسافة عشرة أيام، وهي تابعة اليوم لدولة مالي. راجع: بلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص21.

2- راجع: الشيخ سيديا.. الموروث الثقافي والأدبي، ص63.

الإفريقية بين خطي عرض 16 و28 شمالاً، وخطي طول 4 و18 غرباً، ويمرُّ مدار السرطان من الجزء الشمالي منها⁽¹⁾.

وكل حدود موريتانيا تقريباً عبارة عن حدود هندسية مستقيمة؛ إذ يحدها من الغرب المحيط الأطلسي الذي يبلغ طول الشريط الساحلي المطلّ عليه 754 كم، ومن الجنوب نهر السنغال الذي يمثّل الحد الطبيعي الذي يفصلها عن السنغال بطوله البالغ 813 كم، وتجاورها من الجنوب والشرق جمهورية مالي بحدود تبلغ 2237 كم، ومن الشمال الشرقي تشترك مع الجزائر حدوداً تبلغ 463 كم، وتُصاقبها من الشمال المملكة المغربية بحدود يبلغ طولها 1561 كم. وبذلك فموريتانيا همزة وصل بين العالمين العربي والإفريقي.

وتبلغ مساحة موريتانيا مليوناً وثلاثين ألفاً وسبعمائة كيلو متر مربع (1,030,700) كم²، وهي تشغل الحيز الغربي من الصحراء الإفريقية الكبرى ولذا تمثّل الصحراء الجزء الأكبر من أراضيها، وهي بذلك رابع دولة عربية من حيث المساحة بعد الجزائر والسعودية وليبيا.

ويقدر تعداد سكان موريتانيا - حسب آخر الإحصائيات - بحوالي أربعة ملايين نسمة، يدينون جميعاً بالدين الإسلامي الحنيف. ويتوزع المجتمع الموريتاني من الناحية السلالية والعرقية إلى ثلاث مجموعات سكانية رئيسية: الزنوج والبربر والعرب. وقد أسهمت عوامل متعدّدة في تكوين ملامح هذا المجتمع وتركيبته السلالية، ذلك أن سكّان هذه البلاد كانوا منذ بداية العصر التاريخي كانوا يتألّفون عرقياً من مجموعتين رئيسيتين هما: البربر القدماء في المناطق الشّمالية، والمجموعات الزّنجية في المناطق الجنوبية، ولم يحدث تغيير على التركيبة السلالية للسكّان حتّى مجيء الفتح الإسلامي في النّصف الثّاني من القرن الهجري الأوّل 64هـ حين أتى

1- راجع: الجمهورية الإسلامية الموريتانية، منشورات وزارة الإعلام الموريتانية، 1987م، ص5.

العرب ليكونوا المجموعة الثالثة. وهكذا نرى أن المجتمع الموريتاني خليط من الزّوج والبربر والعرب جمعهم الإسلام فجعلهم كتلة واحدة، حيث يدين جميع السّكان بالإسلام ويتبعون المذهب المالكي، لذا لا نجد في هذا المجتمع صراعا عقائديا.

أما المنطقة التي أنجبت الشيخ سيدي الكبير - الذي نحن بصدد الحديث عن أنموذج لجهوده العلمية - فهي تحديدا المنطقة المعروفة تاريخيا بـ "القبلة"؛ ومركز هذه المنطقة - وإن كانت غير واضحة الحدود تماما - هي المنطقة المعروفة اليوم بولاية "الترارزة" في الجنوب الغربي من الجمهورية الإسلامية الموريتانية.

ويغلب على منطقة "القبلة" مناخ الصحراء؛ فسطحها مشكّل - في أغلبه - من الكثبان الرملية، ويتصف غطاؤها النباتي بعدم الكثافة؛ إذ من البديهي أن كثافة الغطاء النباتي وتنوعه قد تأثرا بالتحوّلات المناخية التي عرفتھا المنطقة الصحراوية منذ أقدم عصورها وحتى الوقت الراهن، فمنذ آلاف السنين خلال الفترات التي كان فيها مناخ الصحراء رطبا كانت الغابات بها كثيفة⁽¹⁾، بينما أدى الجفاف التدريجي الذي عرفته إلى تفهقر الغطاء النباتي.

ومنذ القرون الوسطى أضحى التصحّر سمة من سمات المنطقة وواقعا لا جدال فيه، لذا فإن الغطاء النباتي فيها يقلّ من حيث التنوع والكثافة كلما اتجهنا من الجنوب إلى الشمال، وذلك بسبب التراجع التدريجي للجهة المدارية نحو

1- **MONOD T.**, La dégradation du monde vivant: flore et faune.
In: « Les problèmes de la désertification au sud du Sahara. Le cas de la Mauritanie. » Coll. Nouakchott, 17-19 Déc 1973. p93.

الجنوب⁽¹⁾، إذ من المعلوم أن الرياح الموسمية هي العامل الأبرز في نزول الأمطار⁽²⁾؛ وهذا ما يفسر احتفاظ منطقة القبلة الواقعة في الجنوب بغطاء نباتي أهم ما فيه "القتاد" الذي كان مصدراً للصمغ العربي أهم المنتجات تأثيراً في تاريخ المنطقة. وقد كان لقلة الأمطار انعكاس سلبي على التنمية الحيوانية في هذه المنطقة؛ إذ لا تكفي عادة كمية الأمطار - المتساقطة في فصل الصيف حصراً - لإنبات ما يكفي من المراعي لتغذية المواشي طول السنة، لا سيما في الأجزاء الشمالية المتصحرة⁽³⁾.

الحديث عن المجال الجغرافي الذي عاش فيه الشيخ سيدي الكبير، يقود إلى الحديث عن الأوضاع العامة التي كانت تسوده خلال الفترة ذات الصلة بموضوع الدراسة؛ وهذا ما نبينه في المطلب الموالي الذي نخصه للأوضاع الاجتماعية والسياسية إبان تلك الحقبة.

1- **TOUPT C.**, L'évolution du climat de la MAURITANIE du Moyen-Âge jusqu'à nos jours, In la desertification au sud du Sahara, p57.

2- **DAVEAU S.**, La decouverte du climat d'Afrique tropicale, pp. 953-988.

3- راجع: شَرْبِيه أو أزمة الجنوب الغربي الموريتاني خلال القرن 17م، محمد المختار ولد السعد، منشورات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، انواكشوط 1993، ص9.

المطلب الرابع

الأوضاع الاجتماعية والسياسية

الحديث عن الأوضاع العامة في بلاد شنقيط يستدعي التمهيد بحديث عن مراحل تأسيس المجتمع الشنقيطي؛ ذلك أن التراتبية الاجتماعية والتقسيم الفئوي للمجتمع الشنقيطي هما المؤثران الأبرزان في هذا المجتمع عموماً، وخصوصاً خلال القرن الثالث عشر الهجري.

ويرى العلامة المؤرخ "محمد ولد مولود ولد داداه" أن بنية المجتمع الذي أقام لهذه البلاد مكونات شخصيتها تأسست على مراحل يمكن حصر أبرز الأحداث التي شهدتها في الأدوار التالية:

- بدء التبشير بالإسلام.
- حركة المرابطين.
- انتشار اللسان العربي.

فقد شهدت البلاد خلال هذه الحقب تحولات جذرية على جميع الأصعدة، وعرف القرن الثالث عشر بالذات إقامة الإمارات الحسانية وتصاعد النفوذ الأوربي في منطقة الصحراء، وانكباب قبائل الزوايا على العلم قراءة وتديسا وتأليفاً، وهو ما فجر ثورة علمية على أديم الصحراء كسرت نظرية ارتباط العلم بالحضر والتمدن والاستقرار.

لذا فنقسم هذا المطلب إلى فرعين؛ نخصص أولهما للحديث عن التقسيم الفئوي لهذا المجتمع، أما الفرع الآخر فنخصصه للحديث تفصيلاً عن نظام الإمارات الحسانية.

الفرع الأول

التقسيم الفئوي للمجتمع

تُعَدُّ الحرب التي انقذت شرارتها في بدايات القرن الهجري التاسع بين "ابْدُوْكَل" (صنهاجة) وأولاد الناصر (بني حَسَّان)، أهم حرب عرفت بها بلاد الصحراء، وهي التي تفسّر تاريخ موريتانيا السياسي والديني والثقافي، حيث حدّدت مشروعية تقسيم المجتمع إلى طبقات تحتلّ كلّ واحدة منها مكانة محددة في السلم الاجتماعي، كما حدّدت تقسيم الوظائف بين المحاربين والزوايا؛ وبداية انتشار العربية في شكلها اللهجي بين السكان القدماء؛ كما كانت المنطلق الفعلي لسيطرة عرب بني حَسَّان على البلاد⁽¹⁾.

ويكاد المهتمون بدراسة الشأن الموريتاني يُجمعون على اعتماد التقسيم الفئوي الناجم عن الحرب المذكورة آنفاً؛ فهذا صاحب "الوسيط" يلقي نظرة تأصيلية على هذا التقسيم، فيقول إن «سكان شنقيط - من حيث الجنس - في الأصل قبائل من البربر التي كانت تقطن صحراء المغرب، ثم دخلها العرب في الفتوح الإسلامية وتغلبوا عليهم، فصاروا قسمين: عرباً وبربراً؛ ثم تجنسوا جنسين: الزوايا وحَسَّان؛ وانقسمت قبائل حَسَّان إلى قسمين: العرب واللحمة؛ فصار بهذا الاعتبار سكان شنقيط ثلاثة أجناس، فالأول كان يتوغّل في البلاد، ينشر فيها دين الإسلام؛ وهم المجاهدون، والثاني اشتغل بإحياء العلوم، والثالث اشتغل بإصلاح الأموال؛ وكان يدفع للمتعلمين الزكاة، ويعطي الإعانة للمجاهدين. فغلبت على الأول [تسمية] حَسَّان، وعلى الثاني [تسمية] الزوايا، وعلى الثالث [تسمية] اللحمة. فلما وضعت الحرب أوزارها،

1- راجع: تاريخ بلاد شنقيط، ص 8.

واجتمعت هذه الطوائف، بقي "الزوايا" على شأنهم من طلب العلم وإقامة الدّين، وصارت "حسّان" تتناهب الأموال ويُقاتل بعضها بعضاً، وصار ما كانوا يأخذون من "اللحمة" مُلكاً متوارثاً إلى أن صاروا يتعاون رقاب "اللحمة" ... ولا يعنون بالبيع الاسترقاق الشرعي، بل مرادهم بيع المكس الذي يؤخذ من أحدهم ... ويُسمونهم "آزناغة" ⁽¹⁾.

وإذا كان بنو حسان قد وضعوا تقسيما اجتماعيا هرميا للمجتمع الصحراوي جعلوا أنفسهم قمته واحتكروا لأنفسهم اسم العرب ⁽²⁾، إلا أن ذلك لا ينفي أن المجتمع الصنهاجي قد عرف التقسيم الفئوي قبل بني حسان لكنه تركز بعد مجيئهم بشكل واضح وثابت، ويرجع بعض الدارسين هذا التقسيم إلى عهد أبي بكر بن عمر الذي قسّم جيش المرابطين إلى ثلاث طوائف: طائفة تنشر الإسلام بالسيف، وطائفة تنشر العلم، وطائفة ثالثة تتولى تسيير شؤون الأموال وحفظها، غير أن بعض المحققين التاريخيين يرى أن التقسيم سابق على فترة المرابطين وأنه ظاهرة بنيوية في منطقة غرب إفريقيا إن لم تكن ظاهرة عالمية ⁽³⁾.

وهذا التقسيم رغم أنه يقسم المجتمع إلى عدة فئات بحسب الوظيفة أو المهنة التي تمارس كل مجموعة، إلا أن مداره الأساس على فئتين رئيسيتين هما:

← فئة العرب: وكانت في البداية تشمل كل النازحين من بني حسان الذين تميزوا بحمل السلاح وفرض القوة واكتساب المغارم، والاستفادة من الامتيازات التي كانت تمنحهم إياها شركات التجارة الأوربية مقابل تأمينها ⁽⁴⁾.

1- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص 475.

2- مازال لفظ (لَعْرَب) يطلق في موريتانيا على من ينحدرون من أصول تعود إلى الفئة المحاربة.

3- راجع: إمارة الترارزة وعلاقاتها التجارية والسياسية مع الفرنسيين، ص 225.

4- المرجع السابق، والصفحة ذاتها.

← فئة الزوايا: وتشمل السكان الأصليين من قبائل صنهاجة المهتمين بالعلم والمعرفة والشؤون الإسلامية والاقتصادية، ومن امتزج بهم وسار على نهجهم من الأقليات.

ومع مرور الزمن أصبح هذا التقسيم قيما أكثر منه سلاليا، إذ أُطلق مصطلح العربي على كل من حمل السلاح وتشبّث بالقوة والصرامة وأدار ظهره للّوح والقلم والدواة؛ ولو كان صنهاجيا، وأطلق مصطلح الزاوي على كل من اهتم بالعلم والتزم بتعاليم الإسلام؛ بغضّ النظر عن أصله وفصله.

ولا تنحصر مكونات المجتمع الشنقيطي في الفئتين المذكورتين (الزوايا وحسّان)، بل إن هناك فئات أخرى هامشية تابعة لهما؛ وسنلقي نظرةً على هذه التراتبية المجتمعية، نرصد عبرها الأدوار التي اضطلعت بها كل واحدة من هذه الفئات في البنية التركيبية والوظيفية للمجتمع.

أولاً- فئة بني حسّان

تُسمى أيضا فئة المحاربين، وهي ذات أصول عربية، وتستأثر بالأدوار السياسية والعسكرية، وتتولى مهمة الدفاع عن البلاد. ويعتمد اقتصاد هذه الفئة على الغرامات التي تفرضها على سائر فئات المجتمع، وعلى السلب والنهب الذي يطلقون عليه باللهجة "أْتَهْنَيْتْ" ويعبرون عنه بقولهم: "فلان يعيش بفم مدفعه". وقد أُضيفَ لاحقا إلى ما سبق الضرائب والإتاوات التي يدفعها لهم الفرنسيون والأوروبيون عموما مقابل تأمين تجارتهم في المناطق المحاذية لنهر السنغال والمحيط الأطلسي.

وكان أبناء هذه الفئة يفخرون بعدم التكسب ويعدون ذلك عيباً، ولم يكن لهم اهتمام بعمارة الأرض ولا بطلب العلم. وفيهم - مع ذلك - أمراء عُرفوا بالعدل وردّ المظالم ومحبة العلماء وأهل الصلاح.

وقد لخص صاحب "الوسيط" مزايا هذه الفئة بقوله: «إن [بني] حسّان في أرض شنقيط لهم ضرر ونفع، وبعضهم أكثر ضرراً من بعض. أما نفعهم فهو خوف بعضهم من بعض، لأن في ذلك نفعاً للزوايا وحسّان؛ فضرر "حسّان" لمن جاورهم من "الزوايا" أقلّ من ضرر البعيد عنهم. وما أقول في قوم يعيبون من مات منهم حتف أنفه ... وفي طبقتهم العليا أُبّهة عظيمة فإنهم يحتكرون لفظة "العرب" لأنفسهم، ولا يسمحون بهذه اللفظة لغيرهم كالزوايا مثلاً وكالطبقة الوسطى منهم أنفسهم، ولا يدعون أن من ذكرناه عجمي الأصل؛ بل لأنه عندهم لا يستحق ذلك الاسم لضعفه»⁽¹⁾.

وربما كانت ملامح هذه الفئة أوضح في وصف المؤرخ المختار ولد حامد⁽²⁾ لها؛ حيث قال مُعدّداً سِماتها: «أمّا حسّان فشيمنتهم اقتناء السّلاح، ومُداومة الكفاح، ومُلك الرقاب، واستلاب الأسلاب، والأخذ بالثّرات، وإدمان الغارات. لا

1- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص 479.

2- المختار ولد حامد ولد محمذن ولد محنض بابه ولد اعبيد الديماني، علامة مؤرخ جليل وشاعر مكثّر. ولد سنة (1315هـ/1898م) لقبه الباحثون (ابن خلدون موريتانيا) لما بذل من جهد في إحياء تاريخها وتدوينه. عكف على إعداد موسوعة عن الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في بلاد شنقيط وأنجز منها اثني عشر مجلداً، طُبِع منها حتى الآن اثنان: الجزء الأول (الحياة السياسية) والجزء الثاني (الحياة الثقافية). توفي بالمدينة المنورة سنة (1413هـ/1993م). راجع: كتاب الأخبار، ج2، ص68. وبلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص531.

يأكلون الدماء⁽¹⁾، ولا يملؤون من مقارعة الأعداء. أموالهم سلاحهم، وحصونهم ظهور خيلهم ونجائبهم. جُلُّ عيشتهم الصّيد وما يأخذون من المغارم أو ينتهبون من الأعداء، وما عدا ذلك فهو عيبٌ عندهم، من تجارة أوحِث أو اقتناء ماشية⁽²⁾.

وهكذا يتّضح أن هذه الفئة لم تكن سوى تجسيد للقيم والصفات البدوية المعهودة لدى البدوي عموماً، من قبيل الميل الفطري إلى التنقل والسكن المؤقت، وعدم معرفة التجارة أو الصناعة بل قد وصل الأمر إلى احتقار تلك المهن، ولذا أصبح سلوك القبائل البدوية مرتبطاً بالغزو والإغارة على أراضي ومواشي غيرها من القبائل الأخرى فتسبي نساءها وتستولي على قطعانها وممتلكاتها، ولما لم يكن للمرأة دور في الحرب فقد أدى ذلك إلى تراجع مرتبتها فأصبحت في الدرجة الثانية بعد الرجل، بل وصل الأمر لدى بعض القبائل إلى وأد البنات الذي ظلّ معهوداً حتى مجيء الإسلام محرماً له.

وهذا الوضع هو ما أدى إلى ضرورة وجود مظلة واقية تتمثل غالباً في قبيلة كبيرة تستقطب من هم أقل حجماً وأضعف قوة فتتولى حمايتهم لقاء خدمات معينة، وبما أن هذه الأحلاف غير مبنية على أسس ثابتة فإنها سرعان ما تتفكك ليحل محلها الخصام والحرب. غير أنه إلى جانب الصفات السالفة القائمة على رد الصاع صاعين، فقد امتلك البدو خصالاً ومزايا حسنة، فكانوا كثيراً ما يكرمون الضيف ويغيثون الملهوف، وعُرف إجمالاً عن العربي تحليه بالصفات الحميدة وبشرف التعامل حتى مع العدو.

1- عبارة (لا يأكلون الدماء) عبارة مجازية من قبيل تنزيل المسبّب منزلة السبب، ومعناها أنهم لا يرضون المال عوضاً عن قتالهم؛ بل يثأرون لهم أو يعفون عفو المقتدر.

2- موسوعة حياة موريتانيا، المختار ولد حامد، الدار العربية للكتاب، تونس - 1990، ج2، ص184.

وقد ترسخت سيطرة "بني حسان" سياسياً وعسكرياً على مجتمع "البيضان"⁽¹⁾ منذ نهاية حرب "شربيه" الشهيرة، وامتازوا باحترافهم فن القتال، واستخدامهم العنف والسلب، وجمع الغرامات، بوصفها وسيلة أساسية لتوفير ضرورات الحياة؛ إذ لم يكونوا يملكون مصادر خاصة في توفيرها، فأصبحت أرزاقهم في رماحهم، لأن السلب في المجتمعات التي لا توجد فيها سلطة منتظمة هو الوسيلة لإعادة توزيع الثروة بطريقة أخرى⁽²⁾.

وكانت فئة "حسان" - بسبب احتكارهم للسلاح - يحتلون أعلى السلم الاجتماعي، بينما تحتل فئة "الزوايا" المرتبة المئوية لهم دون أن يعترفوا بامتياز "حسان" عليهم. وقد ظلت فئة "حسان" - في الغالب - «قليلة الحظ من المعرفة،

1- البيضان: كلمة استعملها المؤلفون للدلالة على العرب في بلاد شنقيط، وذلك لامتياز لون بشرتهم بالبياض النسبي موازنة ببقية السكان من ذوي البشرة السمراء. وقد ابتعث له الفرنسيون معادلاً هو (Les Maures) الذي لا يخفى أنه كان يعني سكان كل شمال إفريقيا، ومنه اشتقوا اسم موريتانيا (Mauritanie) الذي بعثوه من مرقده الروماني ليطلقوه على أكبر جزء من بلاد شنقيط حوّلوه إلى مستعمرة فدولة مستقلة. راجع: الشعر الشنقيطي، ص 20.

2- شربيه: حرب مشهورة في موريتانيا، دارت بين بعض قبائل الزوايا في منطقة الجنوب الغربي من موريتانيا، من جهة، وبعض قبائل حسان، من الجهة الأخرى. وقد قاد جبهة الزوايا في هذه الحرب، ناصر الدين الأبهمي الديماني، وقد استشهد يوم تَنِيْقُظَاظُ (ت 1085هـ)، وقد كان ذلك اليوم آخر أيام تلك الحرب. أما "حسان" فكانوا بقيادة هدي ولد أحمد ولد دامن (ت 1095هـ). وقد اختلف في تحديد مدة هذه الحرب، غير أن العلامة المؤرخ محمد ولد مولود ولد داّاه يرى أنها دامت خمس سنين؛ مفندا بذلك الرواية التي تقول إنها دامت ثلاثين عاماً. راجع: كتاب الأخبار، ج 2، ص 77. وشربيه أو أزمة الجنوب الغربي الموريتاني خلال القرن 17م، ص 51.

لا تكادُ تضرب في الثقافة العالمية بسهم، فهي لذلك خارجة عن ميدان اهتمامنا، من حيث تاريخ الشعر الموريتاني قراءةً وكتابةً... ولكنها صاحبة السلطة السياسية»⁽¹⁾.

ثانياً - فئة الزوايا

هذه الكلمة تدلُّ على الجمع وليس لها في اللهجة الحسانية مفرد من لفظها؛ إذ مفردُها فيها "المرباط"، فهي كجمع امرأة على نساء، مثلاً. وتتكوّن هذه الفئة من أصول عربية، صنهاجية وحسانية تخلّت عن السلاح وآثرت الرجوع إلى الله طبيعةً وانقياداً مبدئياً، أو نتيجة لتغلب غيرهم عليهم؛ مثل حال من يعرفون بـ"التّيّاب" أي التائبين.

وقد «صار لفظ الزوايا علماً على قبائل كثيرة، أغلب سيرها في تعلم العلم وتعليمه، وتعمير الأرض بحفر الآبار وتسيير القوافل وقرى الضيف، وبقيت هذه الطائفة التي هي عمارة الأرض مستمرة على ذلك»⁽²⁾.

وأصل تسمية "الزوايا" واضح من حيث ارتباط هذه القبائل بزوايا العلم والتصوف؛ فـ«هذه الفئة متّجهة بالأساس إلى المشاغل العلميّة والدّينية والاقتصادية المسالمة، فهي الفئة التي تحترف الثقافة العالمية، وهي تحاول الالتزام بالدّين الإسلاميّ حتى أدقّ التفاصيل، وتستمد منه شرعيّتها العقديّة والتاريخية. وقد كانت هذه الفئة صاحبة الحظ الأوفر في تنظيم أعمال الإنتاج الاقتصادي في البلاد، تجارة وزراعة ورعيّاً؛ إذ كانت صاحبة المملكيّة العقارية للأراضي الزراعية والرعيّة، والمنفردة بتنظيم التجارة، سواءً عبر الصحراء بين الشمال والجنوب، أو بين المجال الشنقيطي

1- الشعر الشنقيطي، ص 59.

2- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص 478.

[الموريتاني] والقوى الأوربية الموجودة على الشواطئ ... وقبائل الزوايا مسالمة في الغالب»⁽¹⁾.

وتستأثر فئة "الزوايا" بتولي الأدوار الدينية والثقافية، والإشراف على التدريس والقضاء، وتتولى - كذلك - أدواراً اقتصاديةً كتجارة الصمغ العربي الذي كان محطَّ اهتمام الأوربيين وهو الذي فتح أعينهم على هذه البلاد. ويُشكِّل التقوى والعلم المثلَّ العليا في محيط فئة الزوايا؛ لذا كانت السلطة الدينية والسلطات التي تخوِّلها - في هذا المجتمع - من اختصاصهم. وترتكز سلطتهم كذلك على وزنهم الاقتصادي والإيديولوجي داخل المجتمع، ويغلب عليهم النفور من فئة "حسان" بسبب تباين الاهتمامات بين الفئتين.

وقد غلبت على فئة الزوايا - كما أسلفنا - الثقافة العالمية، إذ إنه «لا يوجد من بينهم ذكرٌ أو أنثى إلا يقرأ ويكتب، وإن وُجد في قبيلة غير ذلك فإنه نادر، بحيث لا يُوجد في المئة أكثر من واحدٍ، على تقدير وجوده»⁽²⁾. فالثقافة والعلم - إذن - هما السلاح الذي بقي بأيدي "الزوايا"، وظلُّوا يحتكرونه مقابل احتكار "حسان" للسلاح العادي. «وفي قبائل الزوايا تنحصرُ الثقافة العالمية إنتاجاً واستهلاكاً؛ فعليها يتركزُ عملُ مؤرخ الثقافة والأدب، ولا سبيل إلى فهم الثقافة الشنقيطية - وعلوم اللغة أحد فروعها - إلا باستصحاب دائم لطبيعة الفئة التي تنفرد بها وأبرز ملامحها التدين العميق، والولعُ بالمعرفة العربية الإسلامية إلى حد التّفنِّ والافتتان والحرمان من ممارسة السلطة السياسية، بل والنفور - في الغالب - من الفئة التي تمارسها، نفوراً يقارب العداء؛ والارتباط بالأرض وخيراتها في محيط تغلب عليه ندرة الموارد،

1- الشعر الشنقيطي، ص 59-60.

2- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص 517.

وتعدُّد المخاطر بين نهب "حسان"، وشبح الجفاف المحدث، ومكر النصارى المتربصين»⁽¹⁾.

وإذا كانت المجموعتان السابقتان (حسان والزوايا) تُشكّلان - كما رأينا - الأرستقراطية القائدة سياسيًا وعسكريًا وإيديولوجيًا في المجتمع الموريتاني خلال القرن الثالث عشر الهجري؛ فإن ذلك يفسّر ظاهرة ازدواجية السلطة في هذا المجتمع، خلافا لما كان عليه الحال في أجزاء المغرب العربي الأخرى التي كانت الزعامة السياسيّة دائماً فيها للفئة المستنيرة نسبياً. وجدير بالذكر هنا أنّ هاتين المجموعتين هما نتاج تزاوج العرب الفاتحين مع البربر الذين كانوا قد توطّنوا المكان قبل ذلك بزمان طويل، وقد نتج عن هذا التزاوج بين العرقين طبقة اجتماعية جديدة سُمّيت بـ "البيضان" وذلك لتمييزهم عن الزنوج.

ثالثاً- الفئات الخاضعة

لم يكن المجتمع مكوناً فقط من الفئتين المسيطرتين (الزوايا وحسان)، بل إن هنالك فئات أخرى تابعة لهاتين الفئتين، وهي فئات تغلب عليها صفة الأميّة، وتتولى مهمات مختلفة داخل المجتمع كالتنمية الحيوانية والزراعة والصناعة اليدوية البسيطة... الخ. وسنعرّف تباعاً بكل واحدة منها على حدة:

■ **اللّحمة:** يُعرفون أيضاً باسم "آزناغة"، وواضح من الاسم الأول أن له علاقة بلحمة الولاء ولحمة النسيج، أما الاسم الأخير فتحريف للفظ (صنهاجة)؛ إذ هم فلول بقيت من القبائل التي كانت تسكن البلاد - وهم صنهاجة في الغالب الأعم -

1- الشعر الشنقيطي، ص 60.

قبل أن تنهكهم الحروب مع بني حسان خلال فرض الأخيرين سيطرتهم على البلاد وضربهم المغارم على من بقي من خصومهم المحاربين، أما المجموعات والقبائل المختصة بالشأن الديني والعلمي فقد تُركت وشأنها⁽¹⁾. وقد اتجهت فئة "اللحمة" إلى تربية المواشي، وعاشت في كنف الفئتين السابقتين؛ فمعظمها تابع لفئة "حسان" وبعضها تابع لفئة "الزوايا". وهم أُمِّيُّون في الغالب مفرغون لأعمال الرعي وتربية المواشي، ويمثلون رصيِّداً من اليد العاملة في الميدان الرعوي متنازعة بين الزوايا وحسان، وهم يدفعون زكاة مواشيهم للزوايا ليستعينوا بها على العلم والتعليم، وعليهم جُعلٌ لبني حسان مقابل ما يوفرونه لهم من حماية⁽²⁾.

■ **إِيْگَاوُنْ:** هم المغنَّون الذين يحترفون الموسيقى والغناء، ويرتبطون غالباً ببني حسان؛ يتغنون ببطولاتهم ويمجدون قوتهم وبطشهم. والصلة بينهم وبين فئة الزوايا - على صعيد المبدأ - صلة جفاء؛ لتنافي المشاغل بين من يحترف اللهو ومن يحترف العلم والدين.

1- يقول مؤلف "الرسالة العَلَاوِيَّة" عند حديثه عن انهيار وتفكيك إمارة "ابْدُوْكَلْ" اللمتونية الصنهاجية على يد تحالف قاده "أولاد الناصر" الحسانيون: "فهزموهم هزيمة لم تُبق منهم على مجتمع، وأبقوا منهم البقايا المدعوة الآن بـ"اللحمة" التي ضرب بنو حسان على رقابها المغارم، ومن كان منهم "زوايا" أبقوه على ما كان عليه". ومؤلف هذه الرسالة هو الشيخ سيدي محمد ولد الشيخ سيدي المختار الكنتي (1242هـ/1826م)، ألفها في إطار ما أعقب حرب قبيلته كنتة مع إدولحاج بقيادة وزعامة عبد الله ولد سيدي محمود الحاجي (ت1250هـ). راجع: بلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص519.

2- راجع: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص475.

- **لَمُعَلِّمِينَ:** هم الحدادون القائمون بالصناعة اليدوية البسيطة التي تقتضيها الحياة الرعوية التي كان يحياها المجتمع الموريتاني؛ وهم مرتبطون بحسّان والزوايا معاً، مع اعتمادهم على الزوايا بوصفهم أصحاب القوة الاقتصادية.
- **لَحَرَاطِينَ:** مجموعات ضاربة إلى السواد لكنهم جزء من مجتمع البيضان العربي، وليست أصولهم واحدة فمنهم من كان من الموالي أو العتقاء، على الرغم من وجود أسر منهم ظلت مستقلة منذ القدم، ومنهم جماعات ترجع لأصول مختلفة من الفئات الأخرى انفصلت عنها لأسباب متباينة. ولفظ (لَحَرَاطِينَ) مفردة (حرطان) وأصله (أَحْرَضَان) التي تعني الخلاسي المهجّن من أب بربري وأم حبشية.
- **لَعَبِيد:** هم الأرقاء الخلّص، وجُلُّهم من الرقيق الأسود الذي انتقل إلى الصحراء عبر تجارة القوافل، وتزايد في عهد الحروب ضد الممالك الوثنية، وهناك الرقيق الأبيض القادم من المغرب عبر الهجرة والتحويلات البشرية والتجارية. وقد كان الرقيق عنصراً مهماً في التجارة الصحراوية، مع العلم أن المنطقة المدروسة كانت تستورد منه أكثر مما تُصدّر؛ وذلك استجابةً لواقع الإنتاج الرعوي وتطوّر تجارة الصمغ العربي مع الأوروبيين⁽¹⁾.

رابعا- التحول في التراتبية المجتمعية

التقسيم الفئوي المذكور آنفا لا يمتلك وسائل الاستمرارية والثبات؛ فالمجتمعات تعرف حركة تطور وتحول دائبة «وليس من الموضوعية التاريخية في شيء أن يُصوّر هذا التقسيم الفئوي على أنه ثابت في مضمونه ككتابته في شكله، ونعني بذلك أن

1- راجع: الشعر الشنقيطي، ص 61-62.

العناصر البشرية والمجموعات القبلية التي كانت تتألف منها هذه الفئات، كانت في حركة دائبة بمقتضى الظروف والملابسات التاريخية؛ بحيث نجد قبائل تتحول من "حملة السلاح" إلى "حملة الألواح"، وهو ما يسمى "الهجرة" أو "التوبة". وأحياناً نجد القبيلة الواحدة تنقسم إلى "عرب" و"طَلَبَة" أي (زوايا)، كما نجد قبائل تحمل السلاح بعد أن كانت "زاوية" أو "غارمة" فإذا هم عرب أصحاب سلطان⁽¹⁾. أما الأسباب التي تفرض على بعض الفئات التحول من فئة إلى أخرى فكثيرة، ولعل من أهمها مخلفات الأوضاع الاقتصادية الصعبة، «وهناك أسباب مختلفة لضرب المغارم، فالحسّاني أو الزاويّ يُصبح غارماً (ويسمى لحمياً = نسبة إلى اللحم) لمجرّد انهزامه في حرب، أو إقامته في قوم ذوي سطوة، أو بسبب جريمة تضطره إلى الاحتماء بزعيم حسّاني؛ فيحتمل مُقابل ذلك مغرمًا، أو بأن تضطره الفاقة إلى الاستدانة فيصبح ذلك سبباً لاستضعافه، وقد يُفرضُ المغرم مقابل الانتجاع في أرض تقع تحت سيطرة أحد الأمراء»⁽²⁾.

ويقودنا الترابط الوثيق بين الجانبين الاجتماعي والسياسي إلى الحديث بشكل مفصّل عن نظام الإمارات الحسانية التي سيطرت على المجال الجغرافي الشنقيطي خلال القرن الثالث عشر الهجري.

1- راجع: الشعر الشنقيطي، ص 63.

2- المرجع السابق نفسه.

الفرع الثاني نظام الإمارات الحسانية

يُعدُّ القرن الثالث عشر الهجري استمراراً لسيطرة نظام الإمارات التي أقامها بنو حسان على أغلب مناطق بلاد شنقيط، وشاهدًا كذلك على صراعات هذه الإمارات؛ داخليا من خلال صراع أبناء بيوتات الحكم في كل إمارة للتفرد بحكمها، وخارجيًا من خلال الصراع بين الإمارات بعضها مع بعض للسيطرة على الموارد الشحيحة المتاحة، ف"الناظر في تاريخ هذه الإمارات نظرة تأليف، يلحظ أنها قد بلغت فيه [أي القرن 13هـ] أوج قوتها واكتمال سلطانها، كما شهدت فيه أعنف أزماتها وأعتى صراعاتها، في تشابك حميم بين داخلي النزاعات وخارجيها (...). فمن السمات المشتركة بين هذه الإمارات في هذا القرن، أنها شهدت كلها تقريبًا من بدايته، تحولًا كبيرًا من أسرة مالكة إلى أخرى، إن لم يكن من قبيلة إلى أختها؛ فكأنما هي حركة تجديد قد عمّت، فأخذت بزمام كل إمارة قوة ناشئة متحفزة أنجبت خلال هذا القرن أعظم الأمراء، وانتهت قريبًا من نهايته إلى الضعف والانحلال"⁽¹⁾.

وستتوقف عند كل إمارة من هذه الإمارات معرّفين بالمجال الذي بسطت سيطرتها عليه ضمن الحيز الأعم المعروف ببلاد شنقيط، ومستعرضين بعض أبرز الأحداث التي شهدتها كل إمارة على حدة. وسنختم هذا الفرع بتحليل الأزمة البنيوية التي عانت منها هذه الإمارات الحسانية.

1- راجع: الشعر الشنقيطي، ص 95.

أولاً- إمارة اترارزة

تُنسب هذه الإمارة إلى تَرُوزْ ولد هَدَّاجْ ولد عمرانْ ولد عثمانْ ولد مَغْفَرْ، وأول من ملك من ذرية تَرُوزْ: أحمد ولد دامنْ ولد عَزُوزْ ولد مسعود ولد موسى ولد تَرُوزْ، وكان أحمد ولد دامنْ حيًّا سنة 1040هـ وهو عام انتتَامْ؛ ففيه هَزَم جيش لَكْتِيَّاتْ من أولاد رَزْكَ بمعونة سيد ابراهيم ولد سيد أحمد لَعُوسِي، وباد من هذا اليوم ملك أولاد رَزْكَ وانتقل للترارزة وأولاد عبد اللّ⁽¹⁾.

وقد شهد القرن الثالث عشر الهجري استمرار إمارة "الترارزة" الواقعة في الجنوب الغربي من موريتانيا = في ممارسة السيادة الفعلية والاسمية أحيانًا، على كافة التراب الواقع ضمن حوزتها، كما هي حال الإمارات الأخرى في مناطق سيطرتها ونفوذها؛ إذ شهدت هذه الإمارة مع مطلع القرن المذكور مقتل أميرها القوي "أغل الكوري ولد أَعْمَرْ ولد أَعْلِ شَنْظُورَة" (ت 1200هـ/1776م)⁽²⁾ على أيدي تحالف "لَبْرَاكْنَة" والدولة الإمامية⁽³⁾، ثم تحولت بعد تتالي ثلاثة أمراء خلال خمس عشرة سنة إلى أيدي فرع جديد من القبيلة المالكة؛ فتحمل أعباءها الأمير "أَعْمَرْ ولد المختار ولد

1- راجع: كتاب الأخبار، ج2، ص195.

2- حول هذا الحدث وما يليه من تاريخ إمارة اترارزة، ينبغي الرجوع أساسًا إلى: كتاب التكملة في تاريخ إمارتي البراكنة والترارزة، ص37-78.

3- هي الدولة التي أنشأتها حركة (تورودوبي) الدينية في بلاد فوتا على الضفة الجنوبية من نهر السنغال. وكانت هذه الدولة دينية الطابع ولذلك سُمي حاكمها (الإمامي) وهي تحريف (الإمام). ويرد ذكر هذه الدولة في بعض المراجع باسم الدولة الفوتية؛ نسبة إلى منطقة فوتا. ويُعتبر الإمام سليمان بال الفوتي (ت 1183هـ/1769م) المؤسس الفعلي لهذه الدولة، وهو أحد من تلقوا تعليمهم في المحاضر الشنقيطية. راجع: الشعر الشنقيطي، ص15. وبلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص78.

الشرقي ولد اعل شنظورة" (ت 1245هـ/1829م)⁽¹⁾. وقد استطاع هذا الرجل الذي تولى السلطة وصيًا على يتيم قاصر، أن يستخلص الإمارة لنفسه ثم لبنيه من بعده، خائضًا صراعًا عنيفًا ضد أنصار الفرع السابق، وضد الفرنسيين؛ إذ وقف بنجاح في وجه مشاريعهم الاستيطانية الزراعية في ضفة نهر السنغال، فضلًا عن مناوشاته المتقطعة مع الإمارات الأخرى⁽²⁾.

وقد بلغت إمارة "الترارزة" أوج قوتها في عهد "أعمر ولد المختار ولد الشرقي" (1215هـ/1800م - 1245هـ/1860م)، ثم عهد ابنه "محمد لحبيب" (1245هـ/1829م - 1277هـ/1860م)، ثم عهد حفيده "سيدي ولد محمد لحبيب" (1277هـ/1860م - 1288هـ/1871م)⁽³⁾. وقد ربطت الأمير "أعمر ولد المختار" علاقة مميزة مع الشيخ سيدي الكبير، ظل الأمير بموجبها ملتزمًا للشيخ بمبلغ من ميزانية الإمارة إسهامًا في تسيير زاويته العلمية الشهيرة، وظلت هذه العلاقة باقية في عقبه من بعده؛ فكان للشيخ تأثير قوي على ابنه الأمير التروزي الشهير "محمد لحبيب"، وسانده في صراعه ضد الفرنسيين على الضفة

1- هو أعمر ولد المختار بوكعبة ولد الشرقي ولد اعل شنظورة، تولى إمارة الترارزة ابتداءً من سنة (1215هـ/1800م) وانتهاءً بسنة (1245هـ/1829م)، وهو من أحبط محاولات الفرنسيين الاستيلاء على الأراضي الزراعية الواقعة على الضفة الجنوبية من نهر السنغال. ربطته علاقات وطيدة بالشيخ سيدي الكبير، ولم يل إمارة الترارزة من بعده إلا ذريته إلى اليوم وقد رعوا تلك العلاقات التليدة. راجع: كتاب الأخبار، ج 2، ص 24 وكذلك ص 196. وبلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص 507.

2- راجع: الشعر الشنقيطي، ص 95.

3- تولى الإمارة بعد مقتل أبيه (1277هـ/1860م)، وقد عُرف بالعدل والتدين والعناية بالعلماء. اغتاله أخوه أحمد سالم سنة (1288هـ/1871م). راجع: بلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص 513.

ومحاولاتهم احتلال بلاد شنقيط.

وهذه العلاقة المتميزة التي ربطت بين الشيخ سيديا الكبير وأمراء الترازة هي ما دعاني إلى التطرق لذكر هذه الإمارة قبل الإمارات الأخرى، ولعل ذلك الدور السياسي الفاعل الذي تجاوز حدود الإمارة الواحدة هو ما حدا ببعض الباحثين إلى أن يدعوه "صانع ملوك"⁽¹⁾.

ثانيًا- إمارة لبراكنة

شهدت العقود الأخيرة من القرن 12هـ تحول إمارة "لبراكنة" من أيدي "أولاد نغماش" إلى أيدي "أولاد السيّد". وعلى الرغم من استمرار الصراعات الداخلية بين أنصار الأمراء الجدد والسابقين، والخارجية بين الإمارة وجاراتها، فإن أبرز أمرائها من أمثال "سيد أغل الأول" قد ظهوروا في هذا العهد.

ثالثًا- إمارة أولاد يحيى بن عثمان

تُنسب هذه الإمارة إلى يحيى بن عثمان بن مغفر، ومنذ وُجدت ورثاستها محصورة في أبناء عمّ (بتفخيم الميم) ولد أكشار ولد آكمتار ولد مسعود ولد غيلان ولد يحيى ولد عثمان ولد مغفر. وقد شهدت هذه الإمارة أواخر القرن الثاني عشر الهجري استقرارًا في أيدي بيت "عثمان ولد لفظيل ولد شنان ولد بوبّ ولد عمّ" بعد صراع مع بني عمومته، وبمشايعة من أولاد غيلان؛ فكان بذلك أول الأمراء من ذرية بوبّ ولد عمّ. وقد وطّد الإمارة لهذا البيت سيد أحمد ولد عثمان ولد لفظيل،

1- راجع: الشعر الشنقيطي، ص 101.

الذي طالت أيامه وكان حيًّا إلى سنة 1242هـ/1836م؛ ذلك أنه لقي الشيخ سيديا في قدمه قدمها على آدرار، والتاريخ المذكور هو تاريخ عودة الشيخ سيديا من أزواد. وبعد سيد أحمد ترأس ابنه أحمد، المعروف بـ "أحمد ولد عَيْدَه" (ت 1277هـ/1871م) الذي عُرف بالعدل والشجاعة وبلغت الإمارة في عهده أوج قوّتها ومجدها، وهو من مريدي الشيخ سيديا وبينهما مراسلات محفوظة. وقد واصل هذا الاتجاه - بعد عشر سنين من حرب داخلية طحون - حفيده "أحمد ولد امحمد ولد أحمد ولد عَيْدَه" (1277هـ/1871م - 1308هـ/1891م) وهو المذكورة أهليته للإمارة دينا وعقلا وعدالة وسياسة⁽¹⁾.

رابعاً- إمارة إيدو عيش

كان مطلع القرن الثالث عشر عهد التأسيس الفعلي لإمارة "إيدو عيش" في منطقة "تْكَانِت"؛ ذلك أن هذه القبيلة اللمتونية قد حاربت طوال القرن الهجري الثاني عشر من أجل انتاعها من سيطرة المغارة، ولاسيما نفوذ "أولاد امبارك"⁽²⁾. وقد تُوج هذا الصراع بانتصار "إيدو عيش" تحت إمرة "امحمد شين ولد بكار ولد أعمَر" (1145-1202هـ/1733-1788م)⁽³⁾ على تحالف شمل أغلب المغارة كان حاصرهم أشهراً عديدة، واستطاع الانتصار عليهم بعد حصار "اْخْنِيْكَاتْ بَعْدَاة" سنة (1192هـ/1778م) وهو ما مثّل بداية انفراد "إيدو عيش"

1- راجع: كتاب الأخبار، ج 2، ص 236.

2- المرجع السابق، ص 101.

3- تنطق الميم في بداية اسم هذا الأمير ساكنة، وكذلك حال العين في بداية اسم جدّه؛ لذا وضعتُ ألف وصل في بداية كل من الاسمين توصلا للنطق بالساكن.

بالسلطة على هضبة "تْكَانِتْ". وقد أفضى موت الأمير "مَحْمَدُ شَيْن" إلى صراع دامٍ حول خلافته، لكن الإمارة لم تلبث أن استعادت وحدتها تحت إمرة ابنه مُحمد (1208-1236هـ/1793-1821م) وهو - بلا منازع - من أعظم الأمراء في عصره.

وبموت محمد ولد امحمد شين، ظهرت الصّراعات الداخلية في شكل أزمة خلافة جديدة، لم تحسم نهائياً إذ بقي الانقسام الناشئ عنها قائماً، وذلك على الرغم من أن بعض الطوائف المتنازعة استطاع أميرها أن يفرض نفسه على كافة "إِيدُوْعِيشْ" بل على سائر إمارات البلاد في عصره، وذلك باعتباره "أمير تْكَانِتْ" الوحيد؛ كما هو حال الأمير "بْكَار ولد اسْوَيْدَ احمد" (1256هـ/ 1842م - 1323هـ/ 1905م) الذي لم يبلغ أحد من هؤلاء الأمراء مبلغه في الدولة وطول أمدّها وانتصاراته فيها على مناوئيه، وكانت له علاقة وطيدة بالشيخ سيديا الكبير؛ فقد أخذ عليه الورد وكان يهاديه طول حياته⁽¹⁾.

خامساً- أزمة الإمارات الحسانية

خلال القرن الثالث عشر الهجري تواصلت الصراعات بين الإمارات الحسانية وبلغت أشدّها خلاله، ولم تسع أيُّ منها إلى توحيد البلاد تحت رايتها، كما لم تُفلح في وضع نظام ثابت يُؤمّن انتقال السلطة بشكل سلمي، وقد فتح ذلك باباً واسعاً أمام انتشار الفتنة الداخلية والحروب الخارجيّة التي لا نهاية لها.

1- راجع: كتاب الأخبار، ج2، ص102.

وعاشت هذه الإمارات خلال القرن ذاته أزمةً في بنية نظامها الداخلي والخارجي، إذ لم تكن تستند في حكمها إلى شرعيةً عقدية ولا إلى قوة اقتصادية؛ بل إنّ سُلطتها قائمة على القوة العسكرية وحدها، دون الاستعانة بوسائل القوة الكثيرة الأخرى. وقد ساعد على تفاقم أزمتها هذه بعضُ العوامل الخارجية ممثلة في تصاعد النفوذ الأوربي، والداخلية ممثلة في صعود نجم قبائل الزوايا المطّرد خلال هذا القرن وبعده.

وعموماً، فمظاهر الفوضى والنّزاع في هذا القرن (13هـ) كانت أكثر وضوحاً وسيطرةً على الواقع من مظاهر النظام والتوافق؛ ففي هذا القرن استمرّت ظاهرة "السّبية" أي فوضى السّلب والنهب التي كان يقوم بها عناصر "حسنان" المسلحون ضدّ الفئات المسالمة المجردة من السلاح، إذ إن حملة السلاح كانوا يعتمدون اقتصادياً على السلب والنهب، فانتشرت الكتائب المسلحة تجوب البلاد، وتنهب مال من تستطيع قهره، علماً أن حمل السّلاح كان مقصوراً على فئة "حسنان" والمجموعات التابعة لها وحكراً عليهم، ولم يكونوا يسمحون لباقي فئات المجتمع بحيازته حتى لغرض الدفاع عن النفس.

كانت تلکم الحياة العامة التي عاشها المجتمع الموريتاني إبان القرن الثالث عشر الهجري؛ وقد جعلناها توطئة لحديث مفصّل عن الحياة الثقافية التي طبعت هذا المجتمع، على أننا سنتجنب الحديث عن الشعر - بالرغم من اعترافنا بأنه فرع من فروع الثقافة - وذلك لأنّ الأساس من عملنا هذا هو التعريف بموريتانيا خارج الإطار الشعري الذي بلغت فيه منتهاها حتى وُصفت ببلد المليون شاعر.

المبحث الثاني

الحياة الثقافية في بلاد شنقيط خلال القرن (13)هـ

بيّنّا قبل أن صحراء الملثمين قد عرفت الإسلام مبكراً، وقامت فيها دولة إسلامية منذ القرن الثالث الهجري بزعمامة القبائل الصنهاجية ذات القوة والسلطان⁽¹⁾، لكن الإسلام ظل شكلياً والجهل بأحكامه هو الغالب الأعم، ويبدو من خلال العرض التاريخي السابق أن ثمة مسوغات تبرر عدم سريان الإسلام بسهولة وسرعة في كيان المجتمع، ولعل من أهم تلك المسوغات طبيعة الملثمين الذاتية، فالقوم غالبيتهم من قبائل صنهاجة التي كانت تدين بالوثنية⁽²⁾ وتكلم اللغة الصنهاجية⁽³⁾ وتتشبث بالعصبية القبلية وتتباهى بالسلطة والقوة، وتعضّ على عاداتها وتقاليدها بالنواجذ، ولا يخفى ما للعامل اللغوي من أهمية في بلورة الفهم الصحيح والتخلي عن

1- هي قبائل أكدالة ومسوفة ولمتونة. ولغتهم الصنهاجية فرع من سلالة اللغة الأمازيغية المعروفة في شمال إفريقيا منذ آلاف السنين.

2- تبه ابن خلدون إلى ذلك أثناء حديثه عن سكان الصحراء، فقال: "وكان دينهم جميعاً المجوسية شأن برابرة المغرب". راجع: تاريخ ابن خلدون، م 6، ص 371.

3- كانت القبائل الصنهاجية تتكلم - في الأساس - اللغة المعروفة باسم (تامشكيت) وهي لغة مكتوبة كشفت الحفريات عن نماذج منها على الصخور، وتسمى كتابتها "تيفناغ" ويُعتقد أن هذا اللفظ تحريف لكلمة (فينيقي) وما زال بعض الطوارق يجيد كتابتها وقراءتها إلى اليوم، وقد يكون (اكلام آزناكة) الذي ما زالت بقاياه في موريتانيا إلى اليوم لهجة منبثقة عن (تامشكيت). وقد عرف سكان الصحراء أيضاً لغة أخرى تسمى (آزير) يعتقد بعض الباحثين أنها انتشرت أثناء عهد أوداغست وغانا، ويعتبرون أنها خليط من السوننكية والصنهاجية، في حين أن باحثين آخرين يعتقدون أن لغة أزير لا تختلف كثيراً عن لغة تامشكيت أو كلام آزناكة. راجع: صحراء الملثمين، ص 203. والوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص 511-512.

العادات والأفكار الخاطئة، ولذلك ظل الإسلام غريبا في غياب اللغة العربية والثقافة الإسلامية الرصينة⁽¹⁾.

وسنسى في هذا المبحث إلى تلمس التداعيات والظروف التي أنتجت الثقافة العربية الإسلامية في هذه الربوع الصحراوية القصية التي جعلتها الأسباب المذكورة تتمنع عن الإسلام واللغة العربية، ثم نتحدث عن المؤسسات العلمية التي صنعت هذه الثقافة، وكذا التيارات الفكرية التي نشأت عن الإنتاج الثقافي الكثيف الذي شهدته المنطقة خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر؛ فنتج عنه تعمق في الدرس اللغوي المتعلق بموضوع اهتمامنا. علمًا أن من غير الممكن رسم صورة واقعية أو حتى تقريبية لمسار الثقافة خلال تلك الحقبة وذلك لأنَّ المقام يضيق عن العرض والتبُّع الطويلين؛ لذا يبقى هدفنا في هذه اللوحة عرض بعض المظاهر العامة لهذه الثقافة، والإشارة العابرة إلى أصولها، بُغية التمثيل للازدهار والتطور اللذين أصاباها خلال الفترة التي ندرسها.

المطلب الأول

نشأة الثقافة الشنقيضية

ظل إسلام سكان منطقة الصحراء شكليا، والالتزام به محدودا، حتى منّ الله عليهم بـ"المعلم الأول" عبد الله بن ياسين⁽²⁾ الذي جدد لهم أمر دينهم وفق منهج شامل ومتكامل سُداه العلم ولُحمته الدعوة والجهاد، فاستطاع أن يقوّم سلوكهم ويحملهم على الوقوف عند حدود الله أمرا ونهيا، مستخدما في ذلك أساليب

1- راجع: بلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص 63.

2- لقب "المعلم الأول" أطلقه عليه العلامة المختار ولد حامد. راجع: الشعر الشنقيطي، ص 48.

عديدة، من ضمنها تعزيز المتخلف عن صلاة الجماعة، وإلزام الناس بالبذل في سبيل الله؛ فقد قيل إنه أمر قبيلة لمطة بإنفاق ثلث مالها ليطيب لها الثلثان الباقيان⁽¹⁾.

وعلى الرغم من الغموض الذي اكتنف عهد المرابطين فإن الإجماع منعقد - أو يكاد - على الملاحظات التالية:

1 - أن رباط ابن ياسين كان يجمع بين التعليم والتعلم والجهاد، وعلى الرغم من أنه لا توجد معلومات عن المعينات الدراسية التي كان يستخدمها ولا عن الطرق التربوية التي كان يتبعها في رباطه، إلا أن آثار جهوده غيرت حياة سكان الصحراء وأنتجت مدناً عامرة بالعلم والمعرفة في أعماق الصحراء.

2- كان المنهج الدراسي في فترة المرابطين الأولى هو القرآن العظيم والحديث النبوي الشريف والعقيدة والفقه المالكي.

3- تواترت الروايات على أن المرابطين استقدموا مجموعة من العلماء من بينهم أبوبكر الحضرمي⁽²⁾ وإبراهيم الأموي⁽³⁾ وقد كان الأول يسمى المعلم الثاني بعد

1- راجع: بلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص 64.

2- هو أبو بكر محمد بن الحسن الحضرمي المرادي، فقيه ومتكلم أشعري ومنظر سياسي، نشأ بالقيروان واستكمل دراسته في الأندلس. كان بأغامت وريكة عندما مرّ بها الأمير أبو بكر بن عمر اللمتوني مقلّله الأخير إلى الصحراء، فاصطحبه ورثبه قاضياً ومستشاراً. خلف الإمام الحضرمي كتاباً في أخلاق الملوك صدرت منه طبعتان تحت عنوانين مختلفين؛ إحداهما (الإشارة إلى أدب الإمارة) حققها رضوان السيد، والأخرى (كتاب السياسة) حققها سامي النشار. وقد توفي سنة 489هـ 1094م ودُفن في "أزوكي" التي كانت حينها عاصمة لأبي بكر بن عمر، وما تزال أطلالها ماثلة قرب مدينة أطار في موريتانيا حالياً. راجع: الشعر الشنقيطي، ص 46. وبلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص 512.

3- إبراهيم الأموي هو القاضي الكبير والمعلم الشهير في دولة المرابطين، وُلد ونشأ في الأندلس ودرس فيها وتولى منصب القضاء والفتوى والتعليم، ثم نزع من الأندلس والتحق بدولة

ابن ياسين⁽¹⁾، وعلى الرغم من أن المصادر قد التزمت الصمت حيال الطور الأخير من تاريخ حركة المرابطين - إلا ما كان من إشارات عابرة⁽²⁾ - فإنها قد أولت الإمام الحضرمي من الاهتمام ما لم تول لأحد من معاصريه، وذلك قبل أن يصل الصحراء؛ فذكرت أنه عالم فقيه لغوي أصولي متكلم بالإضافة إلى أنه منظر سياسي وله مؤلفات في العقائد وغيرها، ومقابل ذلك فإننا لم نسمع عن الإمام الحضرمي منذ دخل الصحراء، إلا ما ألفه الخيال الشعبي من قصص حول كراماته وخوارقه⁽³⁾.

4- انتهى حكم دولة المرابطين السياسي - حسب أغلب الباحثين - بموت الأمير أبي بكر بن عمر سنة 480هـ 1087م⁽⁴⁾، لكن الجانب الثقافي لهذه الدولة قد

المرابطين التي تدخلت لإنقاذ الأندلس، وقرّبه أمراؤها وخصوصا منهم يحيى وأبو بكر ابنا عمر، واصطحبه أبو بكر إلى الصحراء الشنقيطية فظلّ معه قاضيا في مجلسه ومعلما، وبعد استشهاد قائد الدولة المرابطية أبي بكر بن عمر وتفرّق أصحابه من العلماء والقادة، أقام في الجنوب الغربي من بلاد شنقيط حيث كانت له زاوية علمية يأوي إليها من أراد الانقطاع للعلم والعبادة. وتوفي سنة 480هـ عن عمر مديد، ودفن بموضع يعرف بـ"انبلطون" شمال غرب مدينة القوارب في موريتانيا. وهو جدّ قبيلة "المدلش" المعروفة في موريتانيا بالعلم والفضل، وأول من قدم من أجدادهم على القطر الشنقيطي. راجع: شرح نظم عمود النسب، ص 12-13.

1- راجع: بلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص 65.

2- راجع: الحركة الفكرية في بلاد شنقيط حتى نهاية القرن الثاني عشر (18م)، عبد الودود ولد عبد الله، مركز الدراسات الصحراوية، الرباط - 2015، ص 41.

3- راجع: الشعر العربي الفصيح في بلاد شنقيط، عبد الله حسن ولد بن احميده، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة - 1986، ص 40.

4- راجع: عوائق البحث في التاريخ الموريتاني، محمد المختار ولد السعد، بحث قدم لندوة اتحاد المؤرخين العرب حول إعادة كتابة التاريخ العربي المنعقدة في بغداد من 27 إلى

بقي صامدا بحكم البنية الصلبة التي أسسها ابن ياسين ثم الحضرمي والأموي، ثم جاء من بعدهم جيل آخر من العلماء انطلقوا من الأسس نفسها، فعمقوا التجربة وأضافوا في المنهج واتخذوا المسجد مؤسسة دائمة لتدريس العلم وأخذه، كالشريف عبد المؤمن بن صالح⁽¹⁾ والحُجّاج الثلاثة: عثمان الأنصاري وعلي الصنهاجي وعبد الرحمن الصائم⁽²⁾، وغيرهم من العلماء الذين وفدوا على هذه الأرض من بلاد شتى ولأسباب مختلفة وفي فترات متفاوتة شهدت فيها منطقة الصحراء استقرارا أمنيا - نسبيا - ورخاء اقتصاديا كبيرا بفضل الحركة التجارية النشطة التي عرفتها المدن الصحراوية مدة قرون عديدة ظلت فيها هذه الحواضر تمثل جسر تواصل بين بلاد المغرب وبلاد التكرور.

الفرع الأول

المراكز العلمية في المدن الأثرية

كان لحقبة "ما بعد المرابطين" نصيب الأسد من النسيان والحذف من ذاكرة التاريخ، ولذلك فقد درج الباحثون على الحديث عنها من خلال المدن الأثرية التي ظلت ثوابت تاريخية صادقة، تقاوم عوادي الزمن وتتحدى إهمال المؤرخين وغفلة مثقفي بلاد الصحراء عن أهمية تدوين الأحداث التاريخية والتسيير الذاتية.

30 دجنبر 1987م، منشور في مجلة الوسيط العدد 1987/2م الصادرة عن المعهد الموريتاني للبحث العلمي، ص8.

1- أحد تلاميذ القاضي عياض، وقد جاء من المغرب وبنى مدينة "تيشيت" وهو جدُّ شرفائها المنسوبين إليها. راجع: حياة موريتانيا، ج2، ص6.

2- تقول الروايات المتداولة إن هؤلاء الثلاثة اجتمعوا من مدن مختلفة قاصدين الحج، وعندما رجعوا من البلاد المقدسة بنوا مدينة "وادان" واستقروا بها وعلموا بها العلم.

وقد عرفت منطقة الصحراء عددا من المدن التي كان لها دور كبير في نشر العلم، مثل "آبير - أودغست - كومبي صالح - غانا"، لكن هذه المدن الأربع اندثرت ولم يبق منها سوى رسوم دارسة وحفريات غائرة، وسأضرب صفحا عن ذكر ما تحدث به بعض المؤرخين عن هذه المدن المندثرة، وما كَوَّنه الخيال الشعبي عنها من قصص مازالت تروى إلى اليوم، وأجعل الحديث هنا مقتصرًا على مدن مازالت حية تقاوم نكبات الدهر وعوادي الزمن وآفات التصحر، بعد أن كانت قد شكَّلت في حقب من تاريخها مراكز علمية مزدهرة بلغت شهرتها جميع أصقاع العالم الإسلامي، تلك هي مدن: ولاته - شنقيط - تيشيت - وادان؛ فهذه الأربع مازالت إلى اليوم تعطي صورة واضحة وتشهد شهادة حقيقية على النهضة العلمية والأدبية التي شهدتها المنطقة طيلة عدة قرون، وبلغت ذروتها في القرن 13هـ، وقد برهنت آلاف المخطوطات الثمينة وعشرات الكتب النفيسة النادرة والآثار العمرانية التليدة على أن منطق شرارة تلك النهضة العلمية كان من هذه المدن نفسها قبل عشرة قرون، ومازالت الذاكرة الشعبية تحتفظ ببعض الأسماء التي شارك أصحابها في بناء هذه المدن التي أضحت صروحا علمية باهرة أنجبت جيلا متميزا من العلماء الذين خلَّدت أسماءهم الآثار العلمية والعمرانية.

مدينة ولاته:

مدينة عريقة قديمة ما تزال حية، ظلَّت منافسا أول لمدينة "تنبكتو"⁽¹⁾ في ميدان الثقافة الإسلامية؛ فقد كان الولايتون يتلقون العلم في تنبكتو أيام ازدهارها، وحين بدأ

1- لم يرد ذكر تنبكتو في المصادر العربية قبل زيارة ابن بطوطة لها سنة 1353، وقد ضبط اسمها بالنون لا بالميم؛ فقال: "وضبُطُ اسمِها بضم التاء المعلوَّة، وسكون النون، وضم الباء الموحدة، وسكون الكاف، وضم التاء المعلوَّة الثانية، وواو". راجع: تحفة النظار في غرائب

نجمها يأفل ارتحل عنها العلماء إلى ولاته التي أحسنت خلافة شقيقتها. واليوم نجد الحدود المصطنعة قد فصلت بينهما فجعلت "تمبكتو" تابعة لجمهورية مالي بينما جعلت "ولاته" جزءاً من أراضي الجمهورية الإسلامية الموريتانية، تابعة إدارياً لولاية الحوض الشرقي، وهي تبعد بحوالي 1200 كيلومتر شرقي العاصمة الموريتانية "انواكشوط".

وتختلف الروايات حول تاريخ تأسيس "ولاته"، لكن الإجماع منعقد على أنها شهدت في القرون الوسطى حركة تجارية وعلمية كبيرة وكانت محطة مهمة من محطات القوافل العابرة للصحراء، زارها الرحالة ابن بطوطة سنة 753هـ وسماها "إيو الآتن"⁽¹⁾، وتحدث عنها السعدي وسماها "بيرو" وقال إنها كانت أول ملاذ لعلماء "تمبكتو"⁽²⁾.

وقد عرفت مدينة "ولاته" ازدهارا ثقافيا كبيرا، واستقبلت مدارسها على مرّ الأزمان أفواج الطلبة من كافة أنحاء المنطقة، وقد شهدت سنة 873هـ حدثا تاريخيا كان له عظيم الأثر في تركيز ثقلها الحضاري، ألا وهو هجرة علماء الطوارق إليها قادمين من "تمبكتو" التي احتلها حينها "سوني عالي"؛ حيث استقر هؤلاء العلماء في "ولاته" وجعلوها دارا لهم فزادها ذلك تألقا وعطاء في جميع ميادين الثقافة الإسلامية⁽³⁾.

الأمصار وعجائب الأسفار، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة، الناشر: أكاديمية المملكة المغربية، الرباط - 1417 هـ، ج 4، ص 268.

1- راجع: تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ص 244 وما بعدها.

2- راجع: تاريخ السودان، عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر السعدي، تحقيق وطبع هوداس، المدرسة الباريزية لتدريس الألسنة الشرقية، باريس - 1981، ص 65-66.

3- راجع: الشعر والشعراء في موريتانيا، ص 25.

مدينة شنقيط:

تقع مدينة شنقيط في ولاية آدرار، على بعد 90 كيلومترا من مدينة أطار عاصمة الولاية، وتبعد عن صنوها مدينة وادان التاريخية 100 كيلومتر. ويفصلها عن العاصمة الموريتانية انواكشوط حوالي 525 كيلومترا تقريبا.

تأسست مدينة شنقيط الحالية سنة 660هـ / 1262م، وهو التاريخ الذي يعود إليه بناء منارة مسجدتها التي مازالت قائمة إلى اليوم. وقد بنيت "شنقيط" على أنقاض مدينة "آبير" التي تعيد الروايات التاريخية تأسيسها إلى 160هـ / 776م، وما زالت أطلالها قائمة على بعد ثلاث كيلومترات إلى الشمال الشرقي من شنقيط. وقد يكون لفظ "آبير" تصغيراً للفظ "بئر" مقرونا بأداة التعريف البربرية التي تمثلها الهمزة الممودة، وكانت واحة "آبير" خصبة ومأهولة بعدد كثير من القبائل تفرقوا فيما بعد.

أما دور "شنقيط" الثقافي والديني فقد بدأ مع بنائها، وتعزز كثيرا حين جعلها حجاج المنطقة منطلقا لهم، إذ كانوا يتجمعون من كافة بلاد الصحراء ثم ينطلقون من "شنقيط"؛ فاكسبت بذلك سمعة كبيرة في بلاد المشرق والبلدان التي تمرُّ بها قوافل الحجيج، فأطلقوا اسم المدينة على أجزاء كبيرة من الصحراء، وتألق هذا الاسم في القرنين الماضيين بفعل ما حظي به العلماء الشناقطة من مكانة بسبب تمكنهم من العلوم الشرعية واللغوية. ومازالت مكتبة شنقيط إلى اليوم تضم ذخائر المخطوطات القديمة.

ومن الغريب عدم اكتشاف كتاب عن تاريخ مدينة شنقيط مثل كتب الحوليات الموجودة في تاريخ ولاته وتيشيت وتجبكة، ويعتقد بعض سكان "شنقيط" أن كتابا من هذا النوع كان متداولاً بينهم وأنه ربما ضاع نتيجة للحروب والأزمات التي كانت تتعرض لها المدينة بين حين وآخر. وإذا ما اعتبرنا أن صيت هذه القرية قد ارتفع بحيث يعرف بها القطر كله، وصار الشناقطة تعني سكان موريتانيا الحالية،

فإن هذا يدل على أننا لا نعرف إلا الشيء القليل من تاريخ هذه المدينة ذات الشهرة العالية.

وقد عرفت "شنقيط" ازدهارا تجاريا كبيرا، فقد ضمت إحدى القوافل التجارية الخارجة منها اثنين وثلاثين ألف بعير، وهو ما يعكس أهميتها حينئذ كمركز للتجارة الصحراوية⁽¹⁾. وما زالت هذه المدينة حية تغالب الشيخوخة والعزلة.

مدينة ولدالن

تقع "وادان" في ولاية آدرار في الشمال الموريتاني، وتبعد من عاصمة الولاية "أطار" حوالي (170 كلم) وتفصلها عن مدينة شنقيط التاريخية مسافة 100 كلم، أما المسافة بينها وبين العاصمة انواكشوط فتبلغ (600 كلم) تقريبا.

تأسست "وادان" على العلم في يوم عرفة سنة 536 هـ فهي توأم لمدينة تيشيت، وقد أرسى قواعدها عدد من العلماء الذين حجوا البيت الحرام وتلقوا العلم خارج بلدهم، وكانوا ثلاثة في البداية، هم: الحاج عثمان الأنصاري، تلميذ القاضي عياض السبتي، والحاج يعقوب القرشي، والحاج علي الصنهاجي، والتحق بهم بعد التأسيس عبد الرحمن الصائم⁽²⁾.

وقد عُرفت "وادان" في المراجع الأوربية بيهودن، فهكذا كان اسمها عند أصحاب الحوليات من البحارة البرتغاليين في القرن التاسع الهجري⁽³⁾. أما اسمها الحالي فيقال إن سبب اشتقاقه مرتبط بوظيفتها المزوجة بين العلم والتجارة، إذ معنى (واديان مليء أحدهما علما ودينا ومليء الآخر نخلا وتما). ومما يروى من

1- راجع: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص 426.

2- راجع: بلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص 71.

3- راجع: الشعر والشعراء في موريتانيا، محمد المختار ولد اباه، ص 27.

القصص حول اهتمام أهل هذه المدينة بالعلم أنه كانت في وقت من الأوقات توجد بها أربعون دارا متوالية في كل منها عالم ضليع، ولعل ذلك يفسر سبب وجود شارع اليوم في المدينة يحمل اسم (شارع العلماء) منذ القدم⁽¹⁾.

وقد شهدت هذه المدينة ازدهارا كبيرا طيلة أربعة قرون بعد تأسيسها فكانت محطة لنقل الملح من "كدية الجل"، كما يمر بها الطريق اللمتوني الذي يربطها بدرعة وسجلماسة في الشمال وتنبكتو في الجنوب عبر تيشيت وولاتة، كما تربطها طرق أخرى بتوات وتغازة؛ وبذلك كانت "وادان" تصدر إلى الشمال المواشي والمصنوعات الجلدية والذهب والتوابل والعاج والأخشاب وريش النعام وبعض الحبوب، وإلى الجنوب الملح والتمور والأقمشة والفرش والمصنوعات المعدنية والخيل والقمح والشعير.

وكان طلبة العلم يشدون الرحال من المدن الصحراوية الأخرى كشنقيط وتيشيت إلى وادان لينهلوا من معين علمائها، وما تزال في هذه المدينة مكاتب تضم نفائس الكتب والمخطوطات؛ من بينها أقدم تأليف موريتاني محفوظ - إذا ما استثنينا كتاب الإشارة في تدبير الإمارة للإمام الحضرمي - وهو (موهوب الجليل في شرح مختصر خليل) لمؤلفه محمد بن أحمد بن أبي بكر⁽²⁾.

مدينة تيشيت:

تقع مدينة تيشيت شمال شرقي العاصمة الموريتانية انواكشوط على بعد (850) كيلومترا تقريبا، وهي إحدى مدن الواحات ومحطات القوافل قديما، وقد ارتبط ازدهارها بموقعها كمحطة لتنظيم العلاقات التجارية بين شمال الصحراء وجنوبها حيث كانت تمر بها طريق قلم - ولاتة - تنبكتو - توات - فزان - الإسكندرية

1- راجع: بلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص 71.

2- المرجع السابق ذاته.

وغيرها. وهي اليوم إحدى المدن الشواهد التي شاخت وما تزال حية تغالب عوادي الزمن وعوامل الاندثار⁽¹⁾.

ويرجح أن تيشيت تأسست سنة 536هـ على يد الشريف عبد المؤمن بن صالح، وهو سفير من سفراء العلم والدين، أخذ عن القاضي عياض السبتي بمراكش وحمل علمه إلى بلاد شنقيط فأسس هذه الحاضرة العريقة، والتحق به فيها زميله الحاج عثمان أحد مؤسسي وادان، وعن هذين الرجلين انتشر العلم واتسع نطاقه قروناً عديدة في القريتين، وكان قبل ذلك قاصراً على علوم الشرع دون آلائها ومتمماتها، وهما مدفونان بجانب مسجد تيشيت العتيق⁽²⁾.

وقد أنجبت تيشيت خلال القرون الماضية علماء كُثراً، وتقف مکتباتها اليوم شاهدة على ما عرفته من إشعاع ثقافي جعلها اليوم تحتضن أهم مخزون ثقافي في موريتانيا؛ إذ يقدر عدد المخطوطات فيها بستة آلاف مخطوط يرجع بعضها إلى القرن السادس الهجري. ومع ذلك فقد ظلت هذه الحاضرة العريقة نكرة شبه مجهولة عند المؤرخين العرب، وحسبك أن مؤرخاً معاصراً من منطقة المغرب العربي ذكر أنها اسم قبيلة!⁽³⁾.

1- راجع: بلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص 69.

2- المرجع السابق ذاته.

3- المرجع السابق، ص 70.

الفرع الثاني

مؤسّسات الثقافة الشنقيصية

المقصود بالمؤسسة هنا المكان الذي كان يحتضن النشاط المعرفي المتداول في المجتمع الصحراوي على نطاق واسع في مراحل من تاريخه، ونقصد بـشنقيط المنطقة كلها بما فيها شنقيط المدينة.

ولا تسعنا المعطيات التاريخية بتفصيل للواقع التعليمي في عهد المرابطين ولا في العهود التي تلت ذلك - كما أسلفنا - لكن المؤكد لدى الباحثين في هذا الإطار "أن المسجد كان أهم مؤسسة تعليمية في مدينة شنقيط وأخواتها، وكان الإمام يترأس المجالس التي تعقد بالمسجد - لتدريس العلم - حسب جدول محدد. وفي بداية عهد مؤسسة المسجد التعليمية في المدن الشنقيطية لم يكن الدرس اللغوي موضع اهتمام كبير من لدن الصحراويين، وإنما كانوا يركزون على العلوم الإسلامية الأخرى، فكان من ضمن المناهج الثابتة على سبيل المثال "سرد كتابي صحيح البخاري والشفاء"⁽¹⁾ ومن التقاليد المعروفة لديهم في هذا الشأن أن يوجد إلى جانب الإمام سارد يقرأ بصوت جهوري منعم، في حين يتولى الإمام مهمة الشرح، وكانت هذه المساجد مفتوحة لكل المتعلمين⁽²⁾.

وفي عهد المدن أيضا انتشرت المدارس القرآنية التي كانت تعنى بتدريس القرآن في المسجد أو في بيت المعلم، وكانت هذه المدرسة تسمى بالمكتب في مرحلة من المراحل ويتلقى الأطفال في هذه المؤسسة مبادئ القراءة والكتابة مقابل أجر

1- هو كتاب (الشفاء بتعريف حقوق المصطفى) للقاضي عياض الأندلسي (544هـ) ويعدّ من أحسن الكتب المعرّفة بالنبي (صلى الله عليه وسلم)، قال فيه أهل العلم لما قرؤوه: لولا الشفاء لما عُرف المصطفى.

2- راجع: الحركة الفكرية في بلاد شنقيط، ص 74.

محدد وهدايا يتلقاها شيخ المكتب كلَّ أربعاء. كما كانت منازل العلماء في هذا العهد أيضا بمنزلة كليات للتعليم العالي، لكن الدرس فيها كان مفتوحا في الغالب لخاصة الطلبة فقط لاسيما من وصلوا إلى مرحلة الملازمة، والطالب الملازم يكون في الغالب قد أكمل تعليمه وأصبح مكلفا بتقديم الدروس نيابة عن الشيخ... ويحضر مجالس القضاء ويستمع إلى ما يدور في مجالس العلماء⁽¹⁾.

ومما سبق يتّضح أن هذه المنطقة قد عرفت نوعين أساسيين من المؤسسات، هما: المسجد والمحظرة، وسنكتفي حول مؤسسة المسجد بما سلف من حديث، أما المحظرة فنفرد لها المطلب اللاحق.

المطلب الثاني

المدارس التقليدية (المحاضر)

شهد الربع الأخير من القرن العاشر الهجري تحولات جذرية في البني الشنقيطية بسبب تراجع التجارة العابرة للصحراء وتحول مسالك تجارة المنطقة إلى السواحل الأطلسية التي بدأت السفن الأوربية تغزوها ببضائعها المختلفة منذ أواخر القرن الخامس عشر الميلادي؛ فتحول مركز الثقل الاقتصادي من المدن الصحراوية إلى الأرياف المحاذية للشواطئ، وتحولت المراكز الثقافية بعناصرها البشرية (الأساتذة والطلاب) إلى البوادي التي لا يعرف أهلها الاستقرار بحثا عن مواطن الكلا ومساقط القطر، فكان من اللازم أن يتفاعل منتجو الثقافة مع محيطهم الجديد الذي يتنافى مع تخصصهم واهتماماتهم العلمية، إذ من المسلمات القديمة التي تواترت الأدلة

1- راجع: الحركة الفكرية في بلاد شنقيط، ص 74.

عليها عبر التاريخ أن "البادية ربيبة الجهل والتخلف، والثقافة سليله العمران والتحضر والاستقرار"⁽¹⁾، كما أنّ "من شروط الازدهار الثقافي حصول فائض اقتصادي؛ لأن الثقافة لا تقوم إلا على فائض من الإنتاج لأنها هي نفسها استهلاك"⁽²⁾. لكن البادية الشنقيطية (الموريتانية) شكّلت استثناء من هذه القاعدة المطّردة، حيث انتشرت في ربوعها مؤسسات جامعية شعبية متنقلة حلّت محل مؤسسة المسجد، وأنتجت ثقافة فكرية ثرّة شكلت خلال القرنين (12 و13هـ) نهضة علمية وأدبية في وقت كانت فيه البلاد العربية تمر بـ(الغفوة) التي عرفت بـ(عصر الضعف)، فشكّلت المؤسسات الجديدة بذلك استثناء من حيث مكان نشوئها وتطورها، واستثناء من حيث زمان قطوف ثمرتها، تلکم هي مؤسسة المحظرة التي مازالت تثير اهتمام الباحثين باعتبارها مؤسسة فريدة من نوعها جعلت البلاد الشنقيطية استثناءً مما كان يعانيه العالم العربي حينها، إذ كانت "المحاضر" هي الحوض الذي أنتج الكم الهائل الذي نشهده اليوم من الآثار والملکات العربية اللسانية والذهنية، وانصهر بفضلله سكان هذا المجال الجغرافي على اختلاف لهجاتهم وأعراقهم.

و«المحاضر» كلمة تُطلق على المدارس التقليدية في موريتانيا، وواحدتها «محظرة»، وهي مؤسسة من مؤسسات التربية العربية الإسلامية الأصلية، تحمل بعض خصائص وسمات النظام التربوي الذي نشأ وازدهر في أحضان مدن الثغور وحواضر الخلافة والثقافة، ولكنها تتميز بسماتٍ هي فيها أبرز وأبين، أو هي خالصة لها دون غيرها من مدن المؤسسات التربوية العتيقة، فهي جامعة شعبية

1- ذلك هو مضمون نظرية ابن خلدون المعروفة.

2- راجع: الحركة الفكرية في بلاد شنقيط، ص 93.

بدوية متنقلة، تلقينية، فردية التعليم، طوعية الممارسة ... ويتدرّج الطالب في دراسة هذه المعارف من مستوى ابتدائي أو متوسط إلى أعلى مستويات التخصص⁽¹⁾.

الفرع الأول أصل التسمية

اشتقَّ الشناقطة لمؤسستهم التربوية اسما خاصا، كان مظهرا من مظاهر فرادتها وتميزها في بناها ومناهجها ونمط حياتها عن مؤسسات التربية العربية الإسلامية الأخر؛ فلم يسمّوها "كتّابا" لأنها تختلف عنه، ولم يسمّوها "خلوة" ولا "زاوية" ولا "مدرسة" أو غير ذلك من التسميات المتداولة لمراكز نقل المعرفة ونشرها في ديار العروبة والإسلام، وإنما اشتقوا لها اسما خاصا ينطق ويكتب في العامية الشنقيطية (الحسانية) بالطاء المعجمة المشالة (محظرة)؛ فمن أين جاء هذا الاسم الذي أصبح علما على هذه الجامعة البدوية المتنقلة؟

تضاربت آراء الدارسين والباحثين حول اشتقاق كلمة "المحظرة"؛ فذهب بعضهم إلى أنها مشتقة من "الحضور" وذلك لحضور الطالب درس الشيخ، وقد أبدلت الضاد في الكلمة الأصلية ظاء مشالة بفعل التداول المحلي؛ إذ يغلب مثل ذلك الإبدال في اللهجة الحسانية السائدة في موريتانيا، فنجدهم يقولون "الطب" للضب، و"الظّو" للضوء، و"أبيض" للأبيض، و"أخطر" للأخضر، وفي فعل عضّ يعضّ (عظّ)، وفي حضر يحضر (احظر) ... إلخ

1- راجع: بلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص 53.

ورأى باحثون آخرون أنها "مفعلة" من "الحظيرة" التي يُحرز بها على المال؛ منطلقين في ذلك من أن المساكن التي كان يأوي إليها الطلبة يغلب في مكوّناتها الحشيش وأغصان الشجر، وهي المكونات المعهودة في الحظيرة.

ويذهب فريق ثالث إلى أن أصل الكلمة مشتق من "الحظر" بمعنى المنع، إذ يحظر على الطالب أن يقوم في "المحطرة" بأي فعل أو قول حظه الشرع الإسلامي. بل يمتنع فيها عن جميع متع الحياة من ملذات ومغريات حتى وإن كانت مباحة.

ولم يمنع الاختلاف في أصل الجذر من الإجماع على التعريف الاصطلاحي الذي باتت تدل عليه تلك الكلمة في المجتمع الموريتاني، فهي "جامعة شعبية، بدوية متنقلة، تلقينية، فردية التعليم، طوعية الممارسة"⁽¹⁾. وفي تلك المؤسسة التعليمية الحرة يتلقى "اثّلاميد" - تنطق محليا بالبدال لا بالذال - مختلف العلوم اللغوية والشرعية على يد الشيخ؛ ابتغاء وجه الله تعالى.

واستخدام لفظ (المحضرة) بمعنى المدرسة ورد في مراجع تاريخية وفقهية؛ فقد ورد في رحلة ابن جبير المتوفى سنة 614 هـ، في معرض حديثه عن معالم القاهرة ومآثر صلاح الدين الأيوبي فيها؛ قوله: "ومن مآثره الكريمة المعربة عن اعتنائه بأمر المسلمين أنه أمر بعمارة محاضر ألزمها معلمين لكتاب الله العزيز يعلمون أبناء الفقراء والأيتام وتجري عليهم الجراية الكافية لهم"⁽²⁾. كما ورد اللفظ ذاته في معيار الونشريسي المتوفى سنة 914 هـ؛ فقال: "وسئل القاضي أبو عمرو بن منظور عن إمام مسجد، وأضيف لذلك المسجد المذكور محضرة يقرئ فيها الأولاد، وصدر أمر مولانا السلطان بدرهين ليتقوى راتب ذلك المسجد، فانفتحت فوقها محضرة

1- راجع: بلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص 53.

2- رحلة ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، منشورات دار صادر - بيروت، من دون تاريخ، ص 27.

ثانية فتفرقت الأولاد ونفرت؛ أفيجوز له أن يؤاجر على ولدين أو ثلاثة أو أكثر أو أقل أو يتركها؟ فأجاب: يجوز للمؤذن أن يبقى في محضرة يقرئ كتاب الله وإن لم يبق من الأولاد إلا واحد أو اثنان، ويأخذ ما عيّن له السلطان⁽¹⁾.

وقد ظلّ لفظ "المحضرة" متداولاً في المغرب الأقصى للدلالة على كتاتيب تعليم القرآن إلى وقتنا الراهن؛ فهذا العلامة عبد الله كنون يستخدم في مذكراته لفظ "محاضرة" ويشرحها في الهامش بأنها "جمع محضريّ، وهو بمعنى التلميذ، منسوب إلى المحضر بمعنى الكتاب كما يسمى عند بعضهم"⁽²⁾.

ولا يُستبعد أن يكون لفظ "المحضرة" الذي كان متداولاً قديماً في المغرب الأقصى للدلالة على كتاتيب تعليم القرآن - كما مرّ بنا آنفاً -، قد وصل إلى بلاد شنقيط فاستخدمه الشناقطة للدلالة على الكتاب في مرحلة أولى، وبعد أن انتشر التعليم في البادية أطلق العامة على المدارس الجديدة اسم المؤسسة التعليمية التي لم يكونوا يعرفون سواها، فحوّرت دلالة المصطلح القديم لينطبق على المؤسسة التعليمية الجديدة ذات المستوى العالي⁽³⁾.

وضبطاً للمصطلح فإنني أؤثر جعله ظائياً، مراعاة لجملّة بواعث؛ منها اطراد قلب الضاد ظاءً في اللهجة الحسانية، فهم ينطقون (حضر) نفسها وفرعها قاطبة بالظاء لا بالضاد. وهناك باعث آخر ذو أهمية بالغة هو الحفاظ على فرادة هذه المؤسسة

1- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب، أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط - 1981، ج 7، ص 156.

2- راجع: مذكرات غير شخصية، عبد الله كنون، منشورات جمعية مكتبة عبد الله كنون بطنجة - 2000، ص 44.

3- راجع: الحركة الفكرية في بلاد شنقيط، ص 94.

وتميّزها عن مؤسسات التربية العربية الإسلامية الأخر، فلا أقلّ من أن نحفظ لها اسمها الفريد الذي تتشخص به الثقافة العربية في هذه البلاد.

الفرع الثاني

المحاضرة جامعة بدوية متنقلة

يُدرس في المحاضرة أغلب العلوم الشرعية واللغوية، فهي جامعة لجميع العلوم، جامعة لجميع الفئات العمرية من الذكور والإناث، جامعة لمختلف المستويات من المستوى الابتدائي إلى المستوى الجامعي الذي يتعمق فيه الطالب بدراسة المتون الصعبة المتخصصة والمطولات والشروح والطرر والحواشي ... إلى أن يصل إلى درجة الأستاذية فيطلق عليه في المصطلح المحلي (عالم)، والعالم عندهم هو الذي يحفظ مطولات المتون في أغلب الفنون الشرعية واللغوية ولديه القدرة على إملائها من حفظه، وتدرّسها من إملائه دون الرجوع إلى الشروح.

ويُتفق الباحثون على الدور الكبير الذي نهضت به "المحاضرة" الموريتانية عبر إشعاعها العلمي وعطائها المعرفي المتميز، وهو ما أولاهها عناية كبيرة من لدن مختلف فئات المجتمع؛ فأصبحت لها تقاليد خاصة بها ومعاييرها ومبادئها التي يحترمها الجميع من داخلها وخارجها.

أما البنية التحتية لهذه المؤسسة فبسيطة، لا تزيد على أعرشة من الحشيش أو خيم من الوبر يتخذها الطلاب مأوى للسكن بجوار بيت شيخهم الذي يمثل في شخصه هيئة التدريس وإدارة الجامعة، وقد وهب نفسه لهذا الغرض النبيل، وفي بعض الأحيان يتكفل هذا الشيخ بالنفقة على الطلاب أو جزء منهم وفق قدرته وحسب حاجة الطلاب لذلك، وتكون الأولوية في الكفالة للطلاب القادمين من

بلاد بعيدة، ويسمى الطالب الذي تتكفل المحظرة بنفقته تلميذا مؤبدا. وما يزال هذا الوضع قائما على حاله في بعض المحاضر إلى اليوم.

وأغلب أدوات الكتابة في المحظرة مصنوع محليا من البيئة الصحراوية: لوح الخشب، وأقلام الحلفاء والشمم وجريد النخيل، أما المداد فيصنع من ورق (التمات) وصدئ الحديد والفحم والصمغ العربي وثمار القرظ⁽¹⁾، وقد نظم أحدهم معادلة المداد في البيت التالي:

جُزْآنِ مِنْ قَرْظٍ وَجُزْءٌ مِنْ سَوَادٍ وَالرُّبْعُ لِلْكَندَرِ ثُمَّ ذَا الْمِدَادِ

وقد عرفت المحظرة طريقها إلى مجتمع كانت الحياة البدوية طابعه؛ حيث كان السكان يعتمدون في حياتهم على تتبع الكالا والعشب والماء في صحراء مترامية الأطراف تعاني الخشونة وشظف العيش؛ فحوّلت هذا المجتمع الذي كان لاهثا خلف الريح والغمامة إلى مجتمع معرفي متميز حفظ الشرع الإسلامي واللغة العربية وآدابها في ظرف عصيب، بل زاد على ذلك فامتد إشعاع عطائه العلمي وجهده الدعوي إلى إفريقيا التي كان يؤمّها العرب من موريتانيا تجارًا ودعاة إلى الله، وازدهرت في ذلك المجتمع الآداب إبان الغفوة الأدبية التي أَلمت بالعالم العربي فيما يعرف لدى الدارسين بعصر الانحطاط، وأصبحت كلمة الشنقيطي - نسبة إلى حاضرة شنقيط - في العالم العربي ترمز إلى العلم الغزير والحفظ العجيب، نظرا إلى المرتبة العلمية المتميزة التي وصل إليها العلماء الموريتانيون الذين هاجروا سواء إلى المغرب أو المشرق؛ ولو كان مؤرخو الأدب العربي قد اطلعوا على المنتج الأدبي

1- القرظ شجر عظيم يوجد في بعض المناطق الموريتانية، يسمى محليا (آمور)، ومنه اتّخذت الأضاءة تسميتها المحلية (تامورت) وذلك لكون هذا الصنف من الأشجار لا ينبت إلا في محيط أضاءة.

الموريتاني لما صاغوا نظرية الانحطاط التي وسموا بها الأدب العربي إبان فترة القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين (18 و 19 الميلاديين)، باعتبارها مرحلة انحطاط وتقهقر للأدب العربي عمومًا، والشعر خاصة؛ قاصرين نظرهم على الحيز الجغرافي المشرقي ومتجاهلين منطقة المغرب عمومًا، والشعر الموريتاني الشنقيطي على الخصوص، الذي شهد في تلك الحقبة ازدهارًا وتطورًا بارزين، ينفيان عنه صفة الانحطاط، ويجعلان إخراجهم من السياق العام لتاريخ الأدب العربي قصورًا بالغًا يقدم صورة ناقصة لصيرورة الشعر العربي؛ ف"الصورة الأدبية التي نراها لشنقيط في هذين القرنين 12 و 13 الهجريين، جديرة بأن تُعدّل الحكم الذي اتفق مؤرخو الأدب على إطلاقه على الأدب العربي عامة في هذه الفترة"⁽¹⁾، ذلك أن "النهضة الشعرية التي عرفها الجنوب المغربي والقطر الموريتاني"⁽²⁾ خلال القرن الماضي [12هـ] وبداية هذا القرن [13هـ]، أسبق تاريخيا وأكثر توفيقا فنيا من نهضة الشعر في المشرق على أيدي البارودي وشوقي، وذلك لأن شعراءها استطاعوا بثقافتهم وظروفهم أن يطرقوا صميم القصيدة الجاهلية الذي واجه شعراء البعث المصريين بصعوبات جعلتهم لا يحاكون من الشعر القديم إلا السهل من الشعر العباسي"⁽³⁾؛ لذا يمكن اعتبار الدعوة التجديدية التي أطلقها الشيخ سيدي محمد

1- دراسات وصور من تاريخ الحياة الأدبية في المغرب العربي، د. طه الحاجري، طبعة دار النهضة، بيروت - 1983، ص 439.

2- وردت الكلمة بالطاء في النص الأصلي، وذلك أمر درج عليه إختوتنا في المغرب، وقد آن له أن يُصحَّح؛ فاسم بلاد شنقيط الآن "موريتانيا" بالتاء لا بالطاء.

3- الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه، د. عباس الجراري، مكتبة المعارف، 1979، ج 1، ص 181.

ولد الشيخ سيديا في قصيدته العينية المعروفة⁽¹⁾ التي تضمنت وقفة نقدية لم نقف على من سبقه إليها من الشعراء العرب = ريادة في ميدان التجديد؛ فقد تناولت القصيدة كاملة أزمة التعامل مع التراث، وأرسل الشاعر لنفسه فيها العنان تحليلاً وتفصيلاً؛ فاستحق بذلك ريادة الدعوة إلى التجديد، حيث كانت ولادة ابن الشيخ سيديا سنة 1247هـ/1832م، أي قبل ولادة البارودي الذي تنسب له الأدبيات النقدية العربية ريادة المدرسة الإحيائية (الكلاسيكية)، يضاف إلى ذلك أن وفاة ابن الشيخ سيديا كانت في السنة ذاتها التي وُلد فيها أمير الشعراء أحمد شوقي (1286هـ/1856م)؛ وبذلك يتضح أن ابن الشيخ سيديا قد أنشأ عينيته التي ناهزت خمسين بيتاً، في النصف الأخير من القرن الثالث عشر، فقد وُلد سنة 1247هـ وتوفي سنة 1286هـ. ولولا طرافة موضوع هذه القصيدة وجدته لما نالت من الاهتمام والحفاوة ما نالته؛ فقد تعرضت لأزمة الإبداع والتجديد مشخصة الواقع الإبداعي في البلاد حينها، مثيرة قضايا أدبية وفكرية وثقافية، غير مكثفة بطرح الأسئلة وإثارة الإشكالية، بل ومحاولةً جلاء آفاق الممكن والمقبول في مجال الإبداع الشعري⁽²⁾.

لقد ارتفع هذا الصوت من رمال ناعمة تحفُّ بميمونة السعدى، بعيداً من مراسى السفن، وأزيز الطائرات، وضجيج الأسواق، وهدير المطابع؛ من بلاد لم يعرف الانحطاط إلى شعر أهلها سبيلاً؛ من بلاد تُعلَى مقام الشعر، وتحيط القوافي بهالة

1- راجع: خواطر حول عينية ابن الشيخ سيديا، أحمد ولد الحسن، حوليات الجامعة التونسية، عدد 1984/23، ص 83. وأزمة الإبداع في الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر الهجري من خلال عينية ابن الشيخ سيديا، د. الشيخ أحمد المنى، حولية كلية اللغة العربية بنين بجرجا، العدد الثاني والعشرون للعام 1440هـ/2018م، الجزء السابع.

2- راجع: قراءة في عينية الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيديا، د. يحيى ولد محمدن الهاشمي، مجلة التعليم، المعهد التربوي الموريتاني، انواكشوط، العدد 35، 2004.

من التجلّة والتقديس؛ من بلاد ترى حفظ لغات العرب واجبا مفروضا، وأمانة يحرم التفريط فيها، حتى كأنهم مُضَعُّ الشَّيْح والقيصوم أيام الجاهلية وصدر الإسلام. يقول:

يَا مَعْشَرَ الْبُلْغَاءِ هَلْ مِنْ لَوْذَعِي	يُهْدَى حِجَاهُ لِمَقْصِدٍ لَمْ يُبْدَعْ؟
إِنِّي هَمَمْتُ بِأَنْ أَقُولَ قَصِيدَةً	بِكُرًّا، فَأَغْيَانِي وَجُودُ الْمَطْلِعِ
لَكُمْ الْيَدُ الطُّوْلَى عَلَيَّ إِنْ أَنْتُمْ	أَلْفَيْتُمُوهُ بِبُقْعَةٍ أَوْ مَوْضِعِ
فَاسْتَعْمِلُوا النَّظَرَ السَّدِيدَ، وَمَنْ يَجِدْ	لِي مَا أُحَاوِلُ مِنْكُمْ فَلْيَصْدَعْ
وَحَذَارٍ مِنْ خَلْعِ الْعِذَارِ عَلَى الدِّيَا	رِ وَوَقْفَةِ الزُّوَارِ بَيْنَ الْأَرْزِعِ
وإِفَاضَةِ الْعَبْرَاتِ فِي عَرَصَاتِهَا	وَتَرْدُدِ الرَّقَرَاتِ بَيْنَ الْأَضْلَعِ
وَدَعُوا السَّوَانِحَ وَالْبَوَارِحَ وَاتْرُكُوا	ذِكْرَ الْحَمَامَةِ وَالْغُرَابِ الْأُبْقَعِ...
فَجَمِيعُ هَذَا قَدْ تَدَاوَلَهُ الْوَرَى	حَتَّى غَدَا مَا فِيهِ مَوْضِعٌ إِصْبَعِ

ولسنا هنا بصدد إلقاء اللوم على طرف بعينه، وإن كان الموريتانيون أنفسهم يتحملون جزءاً كبيراً من مسؤولية عدم التعريف بأدبهم؛ لكننا نأمل أن يتصدى باحثون متخصصون، لدراسة الأدب العربي، وإعادة بناء صورة أكثر واقعية وشمولية لمساره بكل جوانبه وتجلياته، بعد أن أصبحت وسائل البحث أيسر والمراجع أوفر.

ولعل هذه الإشارة تكون بداية لإعادة النظر في مجمل التاريخ العربي، وتنقيته من الشوائب والأهواء ونقص المعلومات، "وفي هذا المجال أيضا ينبغي أن نستبعد من منهجنا نظرية تقسيم عصور الفكر العربي إلى عصور علوّ وانحطاط، وألّا ننظر إلى كتب المتأخرين وأصحاب المختصرات والذبول والحواشي على أنها من الفضول والحشو (...). على أن تراثنا لم يأخذ مكانه - عند التأمل والانصاف - إلا بما

صنّفه الأوائل، مضافاً إليه تلك الشروح والمختصرات والذيل والصّلات والحواشي والتقارير. وهذا حديث طويل⁽¹⁾.

الفرع الثالث

النظام التعليمي المحضري

نشأت المحظرة في بلاد شنقيط (موريتانيا) امتداداً للنشاط التعليمي الذي ورثته المنطقة عن دولة المرابطين، و لم نقف في المراجع التاريخية التي بين أيدينا على تاريخ محدد لنشأة المحاضر، لكن البعض يرجّح أن هذا الاسم عُرف قبل حوالي ألف سنة مع بداية تشكّل المدن التي كانت تحتضن الدروس القرآنية والفقهية واللغوية في منطقة الصحراء.

ويمكن أن نحدّد بداية تأسيس "المحظرة" في موريتانيا بالرباط الذي أسسه الداعية والمعلم المعروف "عبد الله بن ياسين" في القرن الخامس الهجري، في منطقة قريبة من العاصمة انواكشوط، والذي كان منطلقاً لتأسيس دولة المرابطين في المغرب. وظل الأمر يتطور حتى بلغ الذروة مع انتشار "المحاضر" في موريتانيا خلال القرون اللاحقة، سواء في الحواضر كـ "شنقيط" و "وَلَاتِه"، أو في الربع الصحراوي المترامية الأطراف التي هي الأكثر سكاناً.

ولا يخلو - غالباً - حيٌّ من "أحياء الزوايا" البدوية من "محظرة" على الأقل، وهذه المحاضر لا تعتمد على نظام المقاعد الدراسية، ولا تراعي في الطالب أي سن، ولا تراعي كذلك في الدراسة مدة زمنية معينة، فالجميع حرٌّ في أن يلج تلك

1- مقالات العلامة محمود محمد الطناحي، ص162.

المؤسسة التعليمية في أي سن وفي أي وقت حسب الجهد والإمكان؛ فالمحاضرة - إذن - «مؤسسة تعليمية تقوم بأدوار المؤسسات التعليمية، من رياض الأطفال حتى الجامعة، وترتكز على شيخ واحد، يتولى التدريس متبرعاً بدروسه لوجه الله تعالى، إلى جانب أنه يقوم بالسهر على طلابه أخلاقياً وأدبياً، وربما مادياً»⁽¹⁾.

وتبدأ علاقة الطالب بـ"المحاضرة" منذ أن يستقيم لسانه، وعادة ما تكون البداية مع إحدى قريباته سواء كانت أمه أو خالته أو عمته أو جدته أو أكبر نساء العائلة سنّاً، وذلك من باب الاكتفاء الذاتي، وأحياناً توجد في الحي من تتفرغ لهذه المهمة. ويبدأ الطالب بكتابة الحروف في لوح خشبي مصنوع لهذا الغرض خصيصاً صُمم من لدن صنّاع مهرة، ويكتب فيه بمداد يجهّز من ماء مخلوط بفحم وصمغ يضمن بقاء الدرس مدة طويلة على اللوح.

وبعد إتقان الطالب الهجاء تُكتب له أبيات أو أنظام للتمرن على القراءة السليمة قبل البدء بالقرآن، ثم ينتقل بعدها لكتابة القرآن بدءاً بالفاتحة وبعض السور القصار ويستمر بما يشبه العد العكسي؛ ويعتمد الموريتانيون في التنسيق القرآني على الأثمان والأحزاب بدءاً بحزب "سَبَّح اسم رَبِّكَ الْأَعْلَى" وانتهاء بحزب "الم، ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ". والحزب عندهم - وفي المغرب الكبير عموماً - هو نصف الجزء عند المشاركة.

وحينما يصل الطالب إلى مرحلة متقدمة يُعهد به إلى شيخ "المحاضرة" في الفريج - وهي كلمة تعني الحي - وأحياناً يبعثه ذووه إلى "محاضرة" في حي آخر طلباً للأفضل أو لشهرة تلك "المحاضرة" في العطاء الجيد والأداء المتميز.

1- تاريخ الأدب الموريتاني، أحمد ولد حبيب الله، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق -1996، ص82.

ويتسع اللوح لأربعة دروس⁽¹⁾ يراجعها الطالب حتى إذا ما أتقنها حفظاً غسل أقدمها في مكان معدّ لذلك تعظيماً لشأن القرآن، ثم يكتب درساً جديداً بدله وهكذا. ولا ينقطع الطالب عن المذاكرة والاستظهار في مُدد تبدأ من الهزيع الأخير من الليل لتنتهي ضحى، ثم تستأنف عند صلاة الظهر وتنتهي عند العصر ثم يعود الطالب قبل المغرب أو بعده ليقرأ تارة بعد العشاء.. وهكذا.

ويراوح الطالب في هذه المدد بين قراءة الدروس الجديدة التي مازالت مكتوبة في اللوح، وبين استظهار القديم على الشيخ أو على يد أحد التلاميذ الذين يثق الشيخ في حفظهم ويرى فيهم الكفاية والقدرة على تلك المهمة. والقدر المحفوظ الذي يستظهره الطالب من القرآن يسمى "سُورَات"، كأنه جمع سُورة⁽²⁾.

وعادة ما يكتب الطالب ثُمناً⁽³⁾ بعدما يتجاوز المراحل الأولية المتقدمة، ويكون الطالب في هذه المرحلة متفرغاً لدراسة القرآن الكريم، حتى يختمه، وحينها تخضّب يده بالحناء احتفاءً واحتفالاً بهذا الإنجاز، وتقدم له ولذويه التهاني. ويقال إنه "حَتَّى أَيُّدُ" أي خضّب يده بالحناء.

وبعد إكمال الطالب حفظ القرآن الكريم، يبدأ في دراسة بعض النصوص المتعلقة به مثل كتب الرسم العثماني، ونظم "ابن بري" في قراءة الإمام نافع (رحمه الله)، وهي القراءة المتداولة في موريتانيا بروايتي ورش وقالون؛ من طريقَي أبي يعقوب الأزرق عن ورش، وأبي نسيط عن قالون، وتداول رواية ورش أكثر من قالون. ولعلّ ما حجب قراءة

1- يسمى الدرس المحظري المكتوب "كِتَبَة" وهي اسم مرّة أحييت تأوّه هاء سكّ، أو أن تقديرها أن تكون اسم مفعول على وزن "فُعلة" بالضم.

2- يقابل لفظ "السورات" لفظ "الأسوار" المعروف في "كُتّاب" المغرب الأقصى. راجع: ذكريات مشاهير رجال المغرب، ص 41.

3- اصطلاح لتقسيم الحزب الواحد إلى ثمانية أجزاء.

نافع إلى نفوس عموم المغاربة هو أنها اختيار إمامهم مالك الذي وصفها بأنها سنة، ولأنها كذلك مقراً أهل مدينة رسول الله (ﷺ)⁽¹⁾، ثم لكون نافع أحد شيوخ مالك؛ إذ عنه أخذ علم قراءة القرآن الكريم⁽²⁾. ومعلوم أن تحوّل المغاربة من قراءة حمزة الكوفي - التي كانوا عليها أولاً - إلى قراءة نافع المدني، كان بسبب تحولهم إلى المذهب المالكي⁽³⁾.

ويختص شيخ "المحطرة" القرآنية بأخذ الأجرة على تدريسه، وعادة ما تكون جذعة من الإبل أو البقر عند ختم الولد للقرآن، سوى ما يوجد به ذوو الطلاب من منح وعطايا متنوعة. وإذا كان الشيخ فقيراً أو يعيش في غير حيّه فإن على أولياء التلاميذ الإنفاق عليه والاهتمام بمصالحه.

وبعد البلوغ يبدأ الطالب في الانتقال من مرحلة التلقي الإجباري للقرآن الكريم التي قد يصحبها التهديد والوعيد والضرب أحياناً إلى مرحلة تلقي العلم، وذلك أمر له شيوخه المختصون الذين لا يأخذون - غالباً - أي أجر مقابل تعليمهم، والغالب أن يكون الشيخ عالماً في جُلّ الفنون، وإن كان له قصب سبق في فن من الفنون أمّه الطلاب للتوسع والتخصص في ذلك الفن.

1- راجع: إيضاح الأسرار والبدائع في شرح الدرر اللوامع في أصل مقراً الإمام نافع، ابن المجراد، تحقيق: ناصر محمد أبو زيد نصر، جامعة الأزهر، أطروحة دكتوراه - 1991.

2- راجع: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، الإمام الذهبي، تحقيق: الدكتور طيار آتي قولاج، إسطنبول - 1995، ج 1، ص 242. ولفظ (طيّار) في اسم المحقق ليس مهنة.

3- راجع: المدرسة القرآنية في المغرب من الفتح الإسلامي إلى ابن عطية، عبد السلام أحمد الكنوني، مكتبة المعارف، الرباط - 1981، ص 55.

وانطلاقاً مما سبق يمكن تصنيف التعليم الأهلي في موريتانيا إلى صنفين رئيسيين، هما: المدارس القرآنية التي تنحصر وظيفتها في تعليم القراءة والكتابة للمبدئين وتحفيظ النص القرآني لا أكثر؛ فهذه المدارس بالنسبة لنا خارج التصنيف المحظري، مراعاة للاصطلاح المحلي الذي يميزها بمصطلح "قراءة اللوح". وسيكون حديثنا منصبا على المحاضر الجامعة بين علوم الغاية وعلوم الآلة معا (تجويد، تفسير، حديث، أصول، نحو، بلاغة، حساب، منطق، عروض ... الخ)، وهذا الصنف من المحاضر لا ينتصب للتدريس فيه إلا شيخ متبحر في مختلف العلوم الشرعية واللغوية والأدبية، وهو الذي أعطى هذا الركن القصي من ديار الإسلام صيته العلمي.

الفرع الرابع

مميزات النظام المحظري ومبادئه التربوية

تميز النظام المحظري بميزات عديدة، لعل أهمها:

- **الحرية:** حيث يتمتع الطالب بالحرية في اختيار المحاضرة التي ينتسب إليها، والشيخ الذي يأخذ عنه العلم، والفن الذي يرغب في دراسته، والفترة الزمنية لدراسته. ولا شك أن هذه المساحة من الحرية تمنح الطالب مستوى من تحقيق الذات والنزول عند الرغبة الذاتية وتحمل المسؤولية الشخصية، مما يجعله يتعاطف وجدانيا مع محيطه المحظري ويجد المتعة في الأخذ والتلقي.
- **المساواة:** تكاد تكون المحاضرة الفضاء الوحيد الذي تذوب فيه أشكال التمايز على أساس الجنس أو السن أو العرق أو اللون ... وإن كانت في القديم تكاد تكون حكرا على طبقة واحدة من طبقات المجمع هي طبقة الزوايا التي تحدثنا عنها قبلا، ولعل في هذا تفسيراً لعدم تسمية الشناقطة مؤسستهم التعليمية باسم

"الزاوية" تجنباً للبس الذي سيحدثه جمعها على "زوايا" فلا يعرف هل المقصود الطبقة الاجتماعية أم المؤسسات التعليمية. وقد أصبحت المحاضر الآن - ولله الحمد - وجهة لمختلف فئات المجتمع، حسب الإرادة الذاتية والهمة الشخصية.

● **المجانية:** الانتساب إلى المحظرة لا يتطلب رسوماً، ولا يستدعي تدخل أصحاب النفوذ، فكلما يتطلبه الطالب أثناء وجوده في هذه المؤسسة هو مصروفاته الشخصية التي قد يوفرها شيخ المحظرة - كما سيأتي - أو يوفرها المحسنون من أهل الحي، "والطالب المحظوظ هو ذلك الذي يصطحب معه بقرة حلوباً أو ناقة إلى المحظرة، ونجد طلبة كثراً يأتون ولا زاد لهم إلا العزيمة، فتتسع صدور إخوانهم ويقاسمونهم ما يملكون على قلته بلا منٍّ ولا أذى" (1).

● **الرقابة الذاتية:** ليس في المحظرة سجل للغياب والحضور، والطالب يحضر متى شاء ويتغيب إذا أراد، لكن العرف "الزاوي" والتنافس الشريف مع الزملاء يشكلان رقيباً على كل طالب ودافعاً له نحو المثابرة والسرعة في التحصيل في مجتمع يقول شاعره امحمد ولد أحمد يورّه:

هُوَ الْجَهْلُ جَهْلُ الْفَقْهِ لَيْسَ بِجَائِزٍ	وَجَاهِلٌ عِلْمُ النَّحْوِ لَيْسَ بِفَائِزٍ
وَجَهْلُ عَرُوضِ الشَّعْرِ شَرُّ غَرِيزَةٍ	إِذَا عُدِدَتْ يَوْمًا شِرَارُ الْغَرَائِزِ
وَلَا تَجْهَلُوا عِلْمَ الْحِسَابِ فَإِنَّهُ	قَبِيحٌ عَلَى الْفَتَيَانِ عَدُّ الْعَجَائِزِ
وَلَا تَتْرُكُوا التَّوْحِيدَ مُلْعَى فَإِنَّهُ	لِحَيْمَةِ دِينِ اللَّهِ إِحْدَى الرِّكَائِزِ (2)

1- راجع: بلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص 136.

2- المرجع السابق، ص 191.

• **أسلوب التأديب:** شيخ المحظرة الجامعية التي يلتحق بها الطالب بعد حفظ القرآن وبعض المتون الصغرى، ليس مدير مؤسسة يعنى بمحاسبة رجالها، وإنما هو "مرابط" يقف على ثغر من ثغور العلم ينفق من علمه على من أتاها يسأله. وقد نشأت المحظرة وتطورت في ظروف لم يكن فيها للتأديب ضرورة؛ فالناس يقبلون على الدراسة بشغف كبير، ويقدرّون للعالم جهده ويشكرون له عطاءه ويقبلون كل التوضيحات في سبيل الاستفادة منه والأخذ عنه. وفي حالة كهذه لا مكان للتأديب ولا ضرورة له في حفز الطلبة على متابعة الدروس، خصوصا وهم أحرار في مغادرة المحظرة متى شاءوا، أحرار في اختيار ما يكتبون بل وفي أن لا يكتبوا.

وهكذا لم تعرف المحظرة الجامعية تقاليد مرتبطة بمجال التأديب ومحاسبة الطلبة؛ لأن الدراسة غير قائمة على القسر، بل على المبادرة الحرة للطالب الذي ينذر نفسه لطلب العلم ويتعشق المعرفة بصدق وحرارة. فإذا بلغ "المرابط" أن أحد التلاميذ أساء فإنه يعاتبه برفق بأن لا يلفت إليه حتى يعلم التلميذ ذلك من حاله، لا يوقع عقوبة بدنية ولا مالية، وإنما هو عقاب نفس هادئ ورزين ولكنه مؤثر.

ولغياب السلطة القسرية، اتسمت علاقة الشيخ بطلبته بأدب جم وخلق رفيع. ومن شأن الشيخ إذا نُمي إليه ما لا ينبغي عن أحد الطلبة أن يشمل به برداء الستر، وينظر التتأم الحلقه حوله وفيها المعني ليسدي نصحا عاما يفهم منه المقصود، وذلك أدب نبوي رفيع، فهكذا كان النبي (ﷺ) يفعل على جهة التعميم؛ فيقول: "ما بال أقوام يفعلون كذا أو يقولون كذا. وما بال أقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله". ويعقب صاحب "الوسيط" على هذا النهج التربوي قائلا: "هذا النوع أُرِدع للناس، فليت أن علماء الأزهر فعلوا مثله وتركوا عنهم: يا ابن الفاعلة أو يا ابن الكلب أو يا حمار، فإن هذه الألفاظ تُذهب هيبة الشيخ من قلب الطالب" (1).

أما في المرحلة التحضيرية (مرحلة الكتاب) التي لا نعتبرها - كما أسلفنا - داخلة في حدّ مصطلح المحظرة، فالعقوبات مقررة، معمول بها، نظراً لأنّ حوافز الطفل للدراسة في مثل هذه السن ضعيفة، وتتلون العقوبة في هذه المرحلة ما بين العقاب الجسدي والعقاب النفسي.

وكون الطالب يتمتع بحرية واسعة في دراسته المحظرة، فإن ذلك لم يمنع من وضع طائفة من المبادئ التربوية التي ينصح بها الشيوخ الطلبة الذين يحرصون على الإلتقان، منها:

● **التدرج في المتون:** بحيث يتدرج الطالب في المتون المقررة من الأسهل إلى الأصعب، ومن الخاص إلى العام، ومن المختصر إلى المفصل. يقول أحدهم مبينا خطورة مخالفة هذا المبدأ:

عَلَامَةُ الْجَهْلِ بِهَذَا الْجِيلِ	تَرَكُ الرِّسَالَةَ إِلَى خَلِيلِ
وَتَرَكُ الْأَخْضَرَ إِلَى ابْنِ عَاشِرٍ	وَتَرَكُ ذَيْنِ الرِّسَالَةِ اخْذَرِ
وَتَرَكُ لَاجِرُومٍ لِلْأَلْفِيَّةِ	وَتَرَكُ الْأَلْفِيَّةَ لِلْكَافِيَّةِ ⁽¹⁾

1- لفظ (الرسالة) إذا ما أُطلق فالمقصود به لدى الشناقطة رسالة ابن أبي زيد القيرواني (ت996هـ) في الفقه المالكي. ويقصدون بإطلاق (خليل) مختصر خليل بن إسحاق المصري (ت776هـ) في الفقه المالكي، وهو المختصر الذي عليه اعتماد من جاء بعده. أما الأخضري ففقيه جزائري (ت983هـ) اسمه عبد الرحمن، له مختصر في العبادات يُعرف لدى الشناقطة بنسبة مؤلفه. وابن عاشر هو عبد الواحد (ت1040هـ) فقيه مغربي له منظومة في مبادئ العبادات. راجع: بلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص171. والشعر الشنقيطي، ص114.

- ترتيب الأولويات: وهي مسألة تختلف من "محاضرة" إلى أخرى، فبعض المحاضر تجعل الفقه أولوية، وبعضها يجعل علوم اللغة أولوية لكونها أداة فهم العلوم الشرعية. يقول محمد امبارك اللمتوني⁽¹⁾:

وَقَدِّمِ الْأَهَمَّ إِنَّ الْعِلْمَ جَمٌّ وَالْعَمْرُ طَيْفٌ زَارَ أَوْ ضَيْفٌ أَلَمَّ
أَهْمُهُ عَقَائِدٌ ثُمَّ فُرُوعٌ تَصَوُّفٌ وَآلَةٌ بِهَا الشُّرُوعُ

وعلوم الآلة يعنون بها علوم اللغة العربية والنحو وما إليهما مما يدرس لا لذاته بل ليفهم به كتاب الله وأحكام الشرع، وعلوم الشرع غاية في حد ذاتها. ومهما اختلفت المحاضر في الترتيب بين علوم الآلة وعلوم الشرع، فقد اتفقت جميعها على ضرورة الإلمام بهما معا، فكانت علوم العقيدة والفقه واللغة والنحو وهي المعارف السائدة، دعائم يقوم عليها بناء المحاضرة المعرفي.

- وحدة المتن واستيفاءه: يرون أن على الطالب أن يشتغل بدراسة متن واحد، يفرغ له وينفرد به فلا يجمع إليه غيره، ولا ينتقل عنه حتى يستوفي دراسته كله؛ فترادف الفنون يحد من قدرة الطالب على الاستيعاب، فيظل جهده الذهني موزعا بين عدة متون لا يكاد يتقن أيًا منها، كما أن بتر الدرس يضيع جهد الدارس هباء، وينم عن كسل وقصور همة. وقد نظم أحدهم هذا المبدأ، فقال:

وَإِنْ تُرِدْ تَخْصِيلَ فَنِّ تَمِّمَهُ وَعَنْ سِوَاهُ قَبْلَ الْإِنْتِهَاءِ مَهْ
وَفِي تَرَادُفِ الْفُنُونِ الْمَنْعُ جَا "إِنْ تَوَأَّمَانَ اسْتَبَقَا لَنْ يَخْرُجَا"⁽²⁾

1- هو محمد مبارك ولد حبيب الله ولد الأمين اللمتوني، المتوفى سنة 1290هـ عن نحو 90 سنة. أجازته الشيخ سيديا في العلوم الظاهرة والباطنة. له ما يربو على مائة تأليف. راجع: بلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص 195 و 208 و 526.

2- راجع: محمد ولد محمد سالم (حياته)، رسالة تخرج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، أعدها القاضي / محمد الأمين ولد داداه، سنة 1985، ص 14.

● **تقليل الحصة الدراسية:** الطالب حر في تحديد مقدار الحصة الدراسية، ولكن أعراف المحاضرة تندب الطلبة إلى اختيار حصص دراسية قصيرة يتمكنون من استيعابها بيسر. وقد تدخلت المحاضرة في كبريات المتون خاصة، فاعتمدت لها حصصا دراسية موزونة، وحذرت الطالب من تجاوزها، كما هو الشأن في مختصر خليل الذي وزعته إلى وحدات تشكل الوحدة منها أكبر درس يمكن السماح للطالب بتلقيه في يوم واحد، له أن يقصر دونه ولكن ليس له أن يتجاوزها، وذلك مراعاة لاكتناز مادة المختصر، وصعوبة استيعابها؛ فكتبوا عند نهاية كل وحدة "قف" ومن هنا جاءت تسمية هذه الوحدات "أقفاف".

● **إعادة دراسة المتن بعد استيفائه:** تندب المحاضرة الطالب إلى أن يعيد دراسة المتن، خاصة من المتون الكبرى، بعد دراسته الأولى (فتحة النص)؛ ليزداد حفظا له واستيعابا. وأول من يتجه إليهم هذا الخطاب التربوي أولئك الذين درسوا المتن دراسة مبكرة دون أن يمروا ببعض المتون التي تعتبر سلما إليه، أو استعرضوه متعجلين فكانوا يقرأونه حصصا دراسية كبيرة، أو جمعوها مع غيره فلم يفردوه بالدراسة حتى يخلصوا منه. ومن شأن الطالب المجد حتى من غير هؤلاء أن يعود الكرة تلو الكرة لدراسة متون سبق أن قرأها.

الفرع الخامس

مكانة شيخ المحاضرة

يحظى شيخ "المحاضرة" بإجلال كبير من لدن الطلاب، ويتهلل أحدهم فرحًا إذا كلّفه الشيخ بمهمةٍ ما، وكلما كانت أكثر صعوبة كانت الفرحة والبشارة أكبر، ويتداولون في يومياتهم حكايات أولئك الطلاب الذين "فتح الله عليهم" بسبب خدمة قدّموها للشيخ أو أداء مهمة شاقة كلّفهم بها، ولهذا يسعون جميعًا في

خدمة الشيخ طواعية والسهر على مصالحه ورعايتها دون كلل أو ملل؛ عليهم يحظون بذلك "الفتح" أو يحظون بدعاء صالح من الشيخ. وهنا نشير إلى ما اشتهر عن الشيخ سيديا الكبير من حرص على خدمة شيخه حرمة ولد عبد الجليل العلوي، وقد وردت تُنف من ذلك في كتاب (الإعلام)⁽¹⁾.

وتؤكد أهمية شيخ "المحظرة" إذا ما وضعنا في عين الاعتبار أن الموريتانيين يجنحون إلى مقولة "العلم من أفواه الرجال لا من بطون الكتب".

وعلى الرغم من المكانة التي يحظى بها شيخ المحظرة فإن ذلك لم يحل بينه وبين مكابدة الأتعاب، فانت «إذا نظرت إليه من جهة التدريس، تجده يكابد من الأتعاب ما لا يحصى؛ فقد يستغرق يومه كله في التدريس، لأن الشيخ عندهم لا يُلزم الطلبة أن يشتركوا في درس واحد من فنّ من الفنون، فتراه مثلاً يدرّس العشرة من التلاميذ الألفية، فبعضهم يقرأ من أوّلها، وبعضهم يقرأ من وسطها، وبعضهم يقرأ من آخرها، ويلقي لكلّ درسه من موضعه الذي يليق به، وهكذا في الفقه وغيرهما من العلوم؛ وقد يضمُّ أشخاصاً في محلّ واحد، ويضمّ آخرين في محل آخر منه، ويُسمون المشتركين في الدروس "دولة"»⁽²⁾.

وهكذا يتّضح أن معاناة شيوخ هذه "المحاضر" كانت كبيرة، فقد اجتمعت لديهم صعوبة الحياة الصحراوية، وما في التدريس من معاناة ملازمة له. وفي هذا الصدد يقول "الشنقيطي" أيضاً: «أمّا ما يكابده العالم من مشاقّ الدُّنيا، فهو أنه يكون مَورداً للضيوف والمستفتين ولطالبِي الحاجة؛ وليس للقاضي ولا للمدرّس هناك أوقافٌ تصرف عليهما، ولا يأخذُ أحدهما من الطلبة، بل قد يعطيهم من يده،

1- راجع: الإعلام بمن حلّ بمراكش وأغمات من الإعلام، القاضي العباس بن إبراهيم

المراكشي، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، 1983، ج10، ص157.

2- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص518.

والمفتي أيضاً لا يأخذ شيئاً في مقابل الفتوى.... وإذا ظلم "[بنو] حَسَّان" أحداً ممن ينسبُ إليه يذهب في طلب استرداد ما أُخذ، وربما جلس في استرداد ذلك سنةً أو نصفها»⁽¹⁾.

ولم يَفُتْ صاحب "الوسيط" وهو المهاجر إلى عدة أقطار في المشرق العربي والإسلامي، أن يَعقد مقارنةً بين واقع التعليم التقليدي في بلده وبين واقعه في المشرق؛ فقال: «إذا تأملت يا مشرقِي طالب العلم في شنقيط، علمتَ أنك تجدُ من الإعانة ما لا يجد؛ لأن لك من الأوقاف ما يكفيك، ووراءك امتحان يحملك على الاجتهاد، لأنك إذا سقطت قُطعت من الدفتر، وإذا لم تكن عالماً جُعلت عسكرياً، وإذا صرت عالماً تأخذ من الأوقاف ما يكفيك أنت ومن تَمون. أما الطالب في أرض شنقيط فبعكس هذا كله، فإنه إذا لم يتعلم لا يُؤخذ للعسكر، وإذا طلب العلم لا يجد وفقاً يتقوّت منه، وإذا صار عالماً ليس وراءه وقف يضمن له ما هو مضمون لك، فهذا كله يُبْطَلُ عن العلم»⁽²⁾.

ليس حال شيخ المحظرة بأحسن من حال طلابه «فهو كسائر البداءة متكشف في ملبسه ومظهره ولا يمتاز بشيء عن سكان الحي سوى أن ترى أمام بيته مجموعة من الشبان يقل عددها ويكثر حسب الأزمنة، تسكن تحت شجرة أو عريش من خشب وثمرام وتعيد بناءه كلما ارتحل آل الشيخ»⁽³⁾.

1- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص 519.

2- المرجع السابق، ص 520.

3- الشعر والشعراء في موريتانيا، ص 28.

الفرع السادس

العلوم المحظرة

كانت المعارف المحظرة تسير على خطين متوازيين هما: العلوم الشرعية، والعلوم العربية، يتنافسان على اهتمام أجاويد الطلبة ومقررات أمهات المحاضر، واستمر الأمر على مستوى مقبول من التوازن بين هذين الجانبين أيام ازدهار المحظرة قبل أن يزاحمها التعليم النظامي وتضايقها العلوم العصرية؛ فكانت هذه المحاضر - وربما ما تزال - «تحتفظ بكثير من تقاليدها وعاداتها في الحفظ والتلقين لمختلف العلوم الموروثة، كالقرآن: حفظه ورسمه وتجويده وتفسيره، وبقية علومه، والحديث: متنه ومصطلحه ورجاله، والعقيدة وعلم الكلام، والتصوف، والفقه: أصوله وقواعده وفروعه، والسيرة والتاريخ والأنساب، والأخلاق وآداب السلوك، واللغة والأدب: دواوين الشعراء والامتون النثرية (مثل المقامات)، والنحو والصرف والعروض والقوافي، والبلاغة: المعاني والبديع والبيان، والمنطق وأسرار الحروف والحساب والهندسة والجغرافيا والفلك والطب...»⁽¹⁾ مع ملاحظة أن بعض المعارف التكميلية لا يصل فيها الطالب إلى مستوى التخصص (الحساب، المساحة، الطب ... إلخ).

وانطلاقاً مما سبق يمكن القول إن المحاضر نوعان: «الأول: محاضر قرآنية يُدرس فيها القرآن حفظاً وتجويداً في البداية، ويقوم بالتدريس فيها الرجال والنساء تطوعاً أو مشاركةً بأجرٍ معين نقدي أو عيني، وهذا النوع - الذي يُعدُّ بمثابة التعليم

من الروضة وحتى الثانوية - يدخله الطفل من سنّ خمس سنوات فما فوق. والثاني: محاضِر عالية المستوى تُدرّس مختلف العلوم بتعمُّق...»⁽¹⁾.

الفرع السابع

الرحلة في طلب العلم

على الرغم من أن "المحاضِر" كانت منتشرة في أغلب أحياء الزوايا، إلا أنّ الرحلة في طلب العلم كانت من أخلاق القوم وشيمهم التي يحرصون عليها، لأنّ الطالب «يصعب عليه أن يتعلم في بيت أهله؛ إذ يلزمه أن يتفقّد مواشيّه، وأن يواظب على معاملة الضيوف التي تقصده دائماً، وبالنظر في الشؤون المنوطة به، فيتعرّب لذلك؛ إذ لا يهمله إذا كان غريباً غير شؤون نفسه»⁽²⁾.

وعلى العموم، فالرحلة والاعتراب في طلب العلم شكلٌ من أشكال الحرص الشديد على التفرغ للتحصيل العلمي الكامل، وهذا ما جعل القوم يعدّون الطلاب الذين لا يتغرّبون في طلب العلم عالةً على غيرهم؛ يقول أحدهم:

إِذَا الْفَتَى لَمْ يَرْتَكِبْ أَهْوَآلَا وَلَمْ يَغِبْ عَنْ أَهْلِهِ أَهْوَآلَا
فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَكَسْبِ الْمَالِ فَعُدَّهُ مِنْ جُمْلَةِ الْعِيَالِ⁽³⁾
وقد عانى طلاب المحظرة في الزمن القديم ألواناً شتى من الفاقة وشظف العيش وضيق ذات اليد وسوء الأحوال، وقد خلّدوا في تراثهم غرائب القصص ونوادر الطرف

1- بلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص210.

2- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص520.

3- راجع: تاريخ الأدب الموريتاني، ص84.

عن أيام التحصيل؛ فشكوا طول السفر، وشدة الحر، وقوة البرد، وقلة الملبس والمأكل والمشرب، وبُعد الشقة، وفقد الأهل والأحبة، لكنهم في المقابل عبّروا في أشعارهم عن نشوة الانتصار على هذه الصعاب و مواجهتها بالصبر والعزم والجلد والمثابرة وعلوّ الهمة، وبذلك تشكّل في الأدب الموريتاني ما يمكن أن نسميه شعر المحظرة.

ومن ذلك قول العلامة المختار ولد بونه الجكني⁽¹⁾ "سيبويه شنقيط" مفتخرا بالانتصار الذي أحرزه طلاب المحظرة على ظروفهم القاسية فنالوا شرف العلم متخذين من ظهور الإبل مدرسة⁽²⁾:

وَنَحْنُ رُكْبٌ مِنَ الْأَشْرَافِ مُنْتَظِمٌ أَجَلٌ ذَا الْعَصْرِ قَدْرًا دُونَ أَذْنَانَا
قَدْ اتَّخَذْنَا ظُهُورَ الْعِيسِ مَدْرَسَةً بِهَا نُبَيِّنُ دِينَ اللَّهِ تَبَيَّانَا

ويقول محمد ولد المهاجر واصفًا معاناة الطلاب في سكنهم المحظري:

- 1- المختار ولد بونه الجكني: عالم مدرس جليل الشأن، لعله أكبر علماء بلاد شنقيط تأثيرا في أبنائها كافة، ولد سنة (1080هـ/1669م) وعاش عمرا مديدا ينشر المعقولات الأشعرية تدريسا وتأليفا، واشتهر بتبحره في النحو، واحمراره على الألفية وطُرُثُه النحوية أشهر من أن يُعرَفَا، وكان جَوَّالًا لا يقرّ ورغم ذلك فقد تعلّق به طلبته بسبب ما اخترع لهم من طريق لا يقدر عليها غيره، ومن نهضة الدرس اللغوي على يديه وأيدي تلاميذه استمدت الحياة الثقافية الشنقيطية في القرن 13هـ معينها الأجل. وقد عدّه عبد الله كنون ضمن نبغاء اللغة والنحو في عصر العلويين. توفي سنة (1220هـ/1804م)، وقبره معروف في (تباريت) قُرب مدينة المِجْرِيّة. راجع: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص277. والنبوغ المغربي، ص278. والشعر الشنقيطي، ص109 وكذلك ص115. وبلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص530.
- 2- ديوان المختار بن بونه الجكني، جمع وتحقيق: محمد محمود بن محمد الأمين، بحث مقدم لنيل الإجازة في اللغة العربية وآدابها، جامعة انواكشوط، السنة الجامعية (93-92)، ص142.

يَظْلُونَ تَحْتَ الشَّمْسِ كَالظِّلِّ عِنْدَهُمْ وَتَحْتَ لَيَالِ الصَّيْرِ، أَكْسِيَّةَ النَّعْلِ
وَمَأْوَاهُمْ وَهْنَا عَرِيشُ كَأَنَّهُ كِنَاسُ ظَبَاءٍ فِي جُدُوعٍ مِنَ الْأَثَلِ

ويقول طالب آخر:

تَلَامِيذُ شَتَّى أَلْفِ الدَّهْرِ بَيْنَهُمْ لَهُمْ هِمَمٌ قُصْوَى أَجَلٍ مِنَ الدُّرِّ
يَبِيتُونَ لَا كِنَّ لَدَيْهِمْ سِوَى الْهَوَى وَلَا مِنْ سَرِيرٍ غَيْرِ أَرْمَدَةٍ غُبْرِ

الفرع الثامن

المداخل التخصصية

عرف القرن الثالث عشر الهجري كسابقه تنوع المراكز الثقافية والمدارس التقليدية (المحاضر)، فمنذ نهاية القرن (12هـ) وبداية القرن (13هـ) ظهرت المدارس بكثرة، بحيث لا يكاد يخلو حيٌّ من أحياء قبائل الزوايا من وجود مدرسة (محظرة) أو أكثر؛ ففي منطقة الجنوب الغربي الموريتاني المعروف بـ"القبلة" ظهرت مدرسة المختار ولد بونّه الجكني، ومدرسة حرّمه ولد عبد الجليل العلوي⁽¹⁾، ومدرسة بابّه ولد أحمد بيّه

1- حرّمه ولد عبد الجليل ولد الحاج العلوي: علّم من أعلام شنقيط، فقيه ولغوي وشاعر، أخذ عن المختار ولد بونّه الجكني، وتخرّج عليه جمع غفير من علماء بلاد شنقيط منهم الشيخ سيديا الكبير. ولد سنة 1150هـ/1737م وتوفي سنة 1243هـ/1826م. راجع: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص24. وبلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص511.

العلوي⁽¹⁾ ومدرسة أحمد ولد العاقل الدّيماني⁽²⁾، إضافة إلى مدرسة محنّص بابّه ولد اعبيد الدّيماني⁽³⁾، ومدرسة الشيخ سيدنا الكبير⁽⁴⁾، وغيرها كثير.

وقد كانت بعض هذه المحاضر تتميز بطابع خاص، ففي إطار المدرسة النحوية اللغوية وُجدت مدرسة متعمقة لها طابع شمولي، ويعدُّ "المختار ولد بونّه" أحد رُؤاها

1- بابّه ولد أحمد بيّه العلوي: عالم جليل وشاعر مشهور، تذكر الروايات أنه ناظر العلماء وعمره 13 سنة. ولد سنة 1207هـ/1793م، وتوفي سنة 1276هـ/1859م. راجع: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص34. وبلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص507.

2- أحمد ولد محمد العاقل ولد محنّص ولد الماحي ولد المختار ولد عثمان ولد يعقوب الفغ ولد بهنّص ولد يحيى ولد ابهنّص امغر الجد الجامع لبني ديمان: عالم متبحر، وعلم مشهور من بيت علم وصلاح. أخذ عن أخته العالمة الجليلة خديجة بنت العاقل الآخذة عن والدها، وهي التي أخذ عنها علماء أجلاء آخرون منهم سيويّه شنقيط المختار ولد بونّه الجكني. وقد توفي أحمد ولد العاقل سنة (ت1244هـ/1828م). راجع: بلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص505 وكذلك ص512.

3- محنّص بابّه ولد اعبيد ولد أحمد بوي ولد المختار بوي ولد يعقوب ولد باركل ولد يُقْبَلْ ولد يدّيمان، وُلد سنة (1185هـ/1771م): أحد أكبر علماء موريتانيا في عصره، وأكثرهم إشعاعًا واستقلال رأي ونشرًا لعلوم المعقول والمنقول. كان قاضيا أيام تولي الأمير محمد لحبيب إمارة الترارزة، فطبّق الحدود، ودعا مع الشيخ محمد المامي لنصب الإمام وإقامة الدولة. كان شيخ محظرة كبيرة دامت 60 سنة فدرس فيها الرجل وابنه وحفيده. له مؤلفات كثيرة، منها "ميسّر الجليل في شرح مختصر خليل". توفي سنة (1277هـ/1860م). راجع: كتاب الأخبار، ج2، ص67. الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص236. وبلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص530.

4- ترد لاحقا ترجمته الكاملة؛ فجهوده العلمية أساس هذا العمل.

ومؤسسيها، ثم انتقلت من بعده إلى "بُلاًّ ولد الفاضل الشَّقْروي"⁽¹⁾، وهذه المدرسة تحشد حول النصوص كلّ المعلومات المتعلقة بالموضوع (النحو واللغة). كما وُجدت كذلك مدرسة نصيّة، تتوخّى الصرامة المنهجية، فتكتفي بشرح النصوص وتدرّسها، كما هي حال مدرسة "محض بابيه ولد اعبيد الديماني"، ومدرسة "أهل العاقل الديمانيين" وغيرهما.

وإلى جانب هاتين المدرستين، وُجدت مدرسة ذات طابع تطبيقي؛ تُوجّه جزءاً كبيراً من اهتمامها إلى دراسة دواوين الشعراء وكتب اللغة. وتعتمد هذه المدرسة على التمرّن والتدريب الميداني طريقاً لاكتساب الخبرة النحوية اللغوية، أكثر من اعتمادها حفظ القواعد. وقد غلبت هذه المدرسة على قبيلة الحسنيين.

وقد اكتفينا بالتمثيل بالمدرسة النحوية، استغناءً عن المدارس الأخرى (الفقهية وغيرها). ولا شك في أن هذه المدارس قد استطاعت أن ترسخ الثقافة والعلوم في هذه الربوع الصحراوية التي تغلب عليها ندرة الموارد، كما تغلب على سكانها صفة البداوة؛ إذ إنّ «من الصّعب على من لم ير "المحاضر" أن يتصوّرّها، ذلك أنّ البداوة تقتنن في الذهن بالغبابة والجهل فالثقافة جزءٌ من الحضارة، ومراكز العلم والتدريس تقتنن - غالباً - بالمعاهد والجامعات المشيدة التي اتصلت شهرتها بشهرة المدن التي تحتضنها، غير أن المحاضر فريدة في نوعها؛ ففي بعض أحياء البدو الذين ينتجعون المراعي، متنقلين من ضفاف نهر السنغال إلى الساقية الحمراء، تُصادف شيخاً كسائر البداوة متقشّفاً في ملبسه ومظهره، لا يمتاز بشيء عن سكان الحي

1- بُلاًّ ولد الفاضل الشَّقْروي (وليس ولد مكبد، كما أورد صاحب الوسيط خطأ): أحد أشهر أئمة النحو واللغة في قطره، وحسبك دليلاً على ذلك أنه أستاذ أساتذة النحاة من أمثال: عبد الودود ولد عبد الله ولد انچنن الحيلي، والحسن ولد زين القناني، والشيخ محمدو ولد حنبل الحسني، وهو ممن تخرّج على يد المخترار ولد بونّه الجكني. توفي سنة 1274هـ/1856م. راجع: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص 339. والشعر الشنقيطي، ص 130.

سوى مجموعة من الشبان تلتف حوله يقلُّ عددها ويكثر حسب الأزمنة، تقيم تحت الشجر وفي أعرشة من خشب وثمار وحشائش، تقوِّضها وتعيد بناءها كلما ارتحل الشيخ؛ هؤلاء هم تلاميذ المحاضر. وهذه "المحاضر" منتشرة في جُلِّ قبائل الزوايا باعتبارها معاهد تعطي تعليماً ثانوياً وعالياً في بعض الأحيان، وربما تخصص منها البعض في مواد مستقلة، وما زال البعض منها موجوداً حتى اليوم»⁽¹⁾.

الفرع التاسع

التيارات الفكرية في المحاضر

سيطرت على المحاضر في القرن الثالث عشر الهجري - وربما في الذي قبله - تيارات فكرية ومذهبية متصارعة، ولعل أهمها - فضلاً عن الطرق الصوفية - تياران رئيسان⁽²⁾ هما:

أ- التيار السلفي: وقد تزعمه "محمدٌ ولد حبَّ الله اليعقوبي" المعروف بـ«المجيدري»⁽³⁾، وهو تيار يتمسك بنصوص الكتاب والسنة في ظواهرها، ويُعادي علم الكلام والمنطق الأرسطي اللذين تقوم عليهما العقيدة الأشعرية السنوسية.

1- الشعر والشعراء في موريتانيا، ص 28.

2- راجع: الشعر الشنقيطي، ص 108.

3- "المجيدري" لقب أطلقه عليه سلطان المغرب سيدي محمد بن عبد الله؛ وذلك لظهور أثر الجدري على وجهه، وكان لمجيدري إبان إقامته بالمغرب قد اتصل بالسلطان سيدي محمد الذي يمت للشناقطة بصلة وطيدة، فجذته لأبيه خنثة بنت بكار بن أعلي الشنقيطية البركنية الجعفرية كما هو معروف. أما اسم "المجيدري" الكامل فهو محمدٌ ولد حبيب الله "حبلل" ولد الفاضل (الفالل) ولد أشفع موسى اليعقوبي، عالم موريتاني أخذ عن أجداء عصره كالعلامة

ب- مدرسة المعقولات الأشعرية: ونعني بها المدرسة التي تقوم بنيتها على علم الكلام الأشعري والمنطق الأرسطي وأصول الفقه والنحو والبلاغة، وقد حمل لواء هذه المدرسة أواخر القرن 12هـ وأوائل القرن 13هـ "المختار ولد بونه الجكني".

وقد حصلت مساجلات بين هاتين المدرستين وروادهما (السلفية والأشعرية). كما تصارع هذان التياران مع الطرق الصوفية التي لم يمض وقتٌ كثير - آنذاك - على دخولها للبلاد.

ونختم هذا المطلب بالقول إن هذا النظام التعليمي المحظري الذي انفرد في موريتانيا بسمات وخصائص مميّزته عن غيره من النظم التي عرفتها مؤسسات التربية العربية الإسلامية الأصيلة التي نشأت وازدهرت في أحضان مدن الثغور وحوضر

الشيخ أحمد محمود ولد أشفغ الخطاط، والعلامة المختار ولد بونه، والتقى أثناء رحلته إلى الحج بمشايخ أجلاء. وأخذ عنه في بلاده وخلال رحلته جم غفير، منهم من الشناقطة: العلامة محمد ولد محمد سالم، والبخاري ولد الفلالي، والمامون ولد الصوفي، ومولود ولد أحمد الجواد، وأشفغ نل ولد عبد الله الأبييري، والشريف الشيخ سيد محمد التشيتي. ولقي لمجيدري إبان إقامته بالمغرب كثيرا من العلماء وحصلت بينه وبين بعضهم مباحثات ومساجلات علمية وأدبية، ومما يدل على مكانته في المغرب أن الشريف السيد أحمد بن إدريس السجلماسي مؤسس الطريقة الإدريسية كان ضمن من أخذوا عنه. ولما غادر المغرب إلى الحجاز بقصد الحج مرّ بمصر، ولقي علماءها فأدهشهم بسعة علمه وقوة حفظه، ومن أبرز العلماء الذين لقيهم بها العلامة الشريف مرتضى الزبيدي الحسيني، فكان من إخوته الناصحين، وكان يعرض عليه ما يكتب من شرحه على "القاموس"، وراسله من مصر إلى شنقيط. توفي لمجيدري عام 1204هـ عن عمر ناهز الأربعين، ودفن بالدار التي كان بناها في "اگجوجت" إلى جنب ابنه الوحيد الذي توفي صبيا.

الخلافة والثقافة - كما أسلفنا - هو الذي أنجب الشيخ سيدي الكبير وأمثاله من الشناقطة أساطين الفكر العربي الإسلامي الذين خدموه تأصيلًا وتأسيسًا في تلك البقاع؛ فإذا "شنقيط" بدءًا من القرن الهجري العاشر تعكس صورة بغداد في عصرها الزاهر (العصر العباسي الأول)، وإذا لغة أهلها تضاهي لغة الأعراب فصاحة، وإذا هي قبلة وكأنما "شنقيط" مربدها المورد منه ينهل شباب ذلك العصر، يغدون عليه ويروحون للقاء الفصحاء من الأعراب والتحدث إليهم، تمرينا لألستهم وتربيةً لأذواقهم ومحاولةً لاكتساب السليقة العربية المصفاة من شوائب العجمة؛ وبذلك أصبح الشناقطة يمثلون المجموعة الفريدة من بين الرّحل التي احتضنت تقاليد ثقافية مكتوبة أكسبتهم شخصية متميزة تضاهي النظائر التي عاصرتها في سائر أرجاء العالم الإسلامي.

وقد قاومت مؤسسة المحظرة الاستعمار الثقافي وحافظت على الأصالة والهوية العربية الإسلامية في أعماق الصحراء، وبذل رجال المحاضر جهدًا متواصلًا ليس في موريتانيا فحسب، بل اقتحموا مجاهل إفريقيا داعين إلى عقيدة الإسلام وتعاليمه وحاملين مشعل حضارته، وفي الوقت نفسه ظلت هذه المؤسسات التعليمية تستقبل أفواج الطلاب المتلاحقة، من داخل موريتانيا ومن خارجها يرتوون منها عبر منابع الثقافة الإسلامية، وترتب على ذلك تحصين هذه الشعوب من الذوبان في ثقافة المستعمر. وقد تنبه الفرنسيون إلى دور هذه المؤسسة في رفض الموريتانيين للغزو الثقافي والاستلاب الحضاري وعبروا عن ذلك بامتناع في كتاباتهم.

وظلت مؤسسة "المحظرة" تؤدي دورها الديني والتعليمي بشكل بارز، وظل دورها يتعزز حتى في ظل الدولة الحديثة فأصبح اسمها أيقونة للموريتانيين، يرمز للعلم والتعلم والأدب الموسوعي، فامتدت شهرتها إلى الكثير من بقاع العالم العربي والإسلامي مع خريجيه من العلماء الموسوعيين الذين أثروا في الحياة الثقافية

قديمًا وحديثًا، وتصدروا مجالس العلم والأدب ومراكز الفتوى والقضاء في شمال إفريقيا وغربها، وفي عدد من بلدان المشرق العربي في عصرنا الحديث كمصر والسودان والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة والأردن والعراق وتركيا، ومن المحيّر لمن لا يعرف المحظرة ونظامها التعليمي أن يجد في أيامنا هذه من بين خريجي المحاضر من يفتي أو يقضي أو يدرس وقد سلّم له الجميع بالكفاءة في عمله وهو لا يحمل أي شهادة علمية تثبت تضلعه في العلوم الشرعية واللغوية.

المطلب الثالث المُشرق الصوفية

كان للطرق الصوفية بالغُ الأثر في حياة المجتمع الموريتاني؛ «إذ تكوّنت حول مشايخها - بنسبٍ متفاوتة طبعًا - قوى ثقافية واقتصادية وسياسية كبيرة، يتجاوزُ نفوذها وتكوينها القبيلة الواحدة ... وكانت "سياسة المشايخ" - غالبًا - قائمة على الاستقلال التام عن الإمارات، و التوسط في كل النزاعات، حفاظًا على سلم هشٍّ ... وقد تحوّلت "حضرات المشايخ" إلى حرمٍ آمنٍ يمتنع [بنو] حسان من نهبه ومن الأخذ بالثار إذا احتّمى به قاتل»⁽¹⁾ علما أن تلك الحرمة ليست منطبقة على عامة الحضرات والزوايا الصوفية.

1- الشعر الشنقيطي، ص 105.

الفرع الأول

دخول الصرق الصوفية إلى بلاد شنقيط

دخلت الطرق الصوفية إلى بلاد شنقيط بدءًا من العقود الأولى من القرن (13هـ)؛ فقد دخلت الطريقة التجانية⁽¹⁾ سنة 1220هـ / 1804م، على يد "الشيخ محمد الحافظ ولد المختار ولد حبيب العلوي"⁽²⁾، بينما أحضر الشيخ سيدي الكبير الطريقة القادرية⁽³⁾ وخصوصًا "المختارية" إلى "أرض القبلة" ومناطق أخرى من موريتانيا وغرب إفريقيا، وذلك سنة 1242هـ / 1825م.

الفرع الثاني

الجدل الذي أحدثه دخول الصرق الصوفية

رافق دخول الطرق الصوفية إلى موريتانيا جدلٌ كبير بين الفقهاء والعلماء المؤيدين لهذه الطرق وبين المناوئين لها؛ فدارت مساجلات شعرية كثيرة، وطريقة

1- تنسب الطريقة «التجانية» إلى شيخها وصاحبها أبي العباس سيدي أحمد بن محمد التيجاني، المتوفي بفاس سنة (1230هـ).

2- الشيخ محمد الحافظ ولد المختار ولد الحبيب العلوي: اشتهر بكونه أول من أدخل الطريقة الصوفية التجانية إلى موريتانيا ونشرها فيها وفي غرب إفريقيا، توفي سنة 1247هـ / 1832م. راجع: بلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص 517.

3- تنسب الطريقة «القادرية» إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني، المتوفى في حدود 550هـ. راجع: كتاب الأخبار، ج 1، ص 94.

أحياناً وذلك عندما يتهم الفقهاء أتباع الطرق الصوفية بالعلو، بينما يتهمهم الصوفية بالغفلة عن الله؛ فتقع حروب شفووية وقلمية منظومة.

وهكذا نجد "ولد حنبل الحسني"⁽¹⁾ يتساءل:

يَا خَائِضِينَ بُحُورَ الْعِلْمِ مَسْأَلَةً عَنْهَا أَجِيبُوا بِأَفْهَامِ زَكِيَّاتِ
عَنِ اشْتِغَالِ شَبَابِ الْعَصْرِ جُلِّهِمْ عَنِ الْعُلُومِ بِأَوْرَادِ سَنِيَّاتِ
أَهَذِهِ نِعْمَةٌ فِي الدِّينِ نَشْكُرُهَا؟ أَمْ هِيَ فِي دِينِنَا إِحْدَى الْمُصِيبَاتِ؟

فيجيبه "عبد الله ولد مختار إنّا الحاجي"⁽²⁾ قائلا:

1- محمدُو ولد حنبل ولد محم ولد الفك الحسني، من فخذ أولاد أعمر أكداش من قبيلة إيدابلحسن. شاعر مشهور، وُلد سنة (1239هـ/1824م)، وأخذ الطريقة الصوفية القادرية عن الشيخ سيديا الكبير وعُدَّ من أبرز تلاميذه وأشهر مادحيه. أسس مدرسة جليلة الشأن فكان من تلاميذه علماء وشعراء نابهون، واشتهر بالتدريس والبحث الدائب عن العلم. له مؤلفات منها (ري الظمان في تفسير القرآن) و(الناموس في حل ألفاظ القاموس). توفي سنة (1302هـ/1885م). راجع: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص 311. وبلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص 518. والشعر الشنقيطي، ص 132.

2- عبد الله ولد محمدن ولد المختار إنّا الحاجي، من أهل اشفع أوبك من قبيلة إيدولحاج القاطنين في منطقة القبلة. فقيه وشاعر وقاض. أخذ عن كل من محنض بابه ولد اعبيد الديماني، ومحمّدين فال ولد متالي التندغي. من مؤلفاته: نظم في التوحيد عقد به السنوسيات وبلغ 1600 بيت، ونظم في التجويد، ومكتوب في الرد على القائلين بالجيم المنعقدة، ونظم في أحكام الهمز في القرآن، ومكتوب في تسهيل الهمزة بالهاء، ونظم فتاوى عليش، ونظم عقد به نوازل محنض بابه ولد اعبيد؛ الكبرى والوسطى، ونظم عقد به نوازل العلمي، ونظم عقد به نوازل المعيار في 5000 بيت. ونظم عقد به نوازل مُحمّدين فال ولد متالي، ونظم في التصوف، وحرز الثريد للحفظ من كيد المريد. توفي سنة (1330هـ/1911م) عن تسعين سنة. راجع: موسوعة المختار ولد حامد، جزء إدوّالحاج، (مرقون) ص 13.

الْوَرْدُ يَا خِلُّ ذِكْرٍ وَالِدَوَامُ عَلَى ذِكْرِ الْمُهَيِّمِينَ مِنْ أَسْنَى الْمَزِيَّاتِ
لَكِنَّ الْأَغْلَبَ فِي ذِي الْوَرْدِ أَزْمَنَّا تَرْكُ التَّعَلُّمِ مَعَ تَأْخِيرِ الْأَوْقَاتِ
وَرُبَّمَا كَانَ بِالتَّعْلِيمِ مُشْتَغِلًا وَضَمَّ لِلْعِلْمِ أَوْزَادًا سَنِيَّاتِ
فَهَذِهِ نِعْمَةٌ فِي الدِّينِ نَشْكُرُهَا وَتِلْكَ فِي دِينِنَا إِحْدَى الْبَلِيَّاتِ

وقد بلغ "ولد أحمد دام الحسني"⁽¹⁾ قمة الدفاع عن الطريقة التيجانية، وذلك عندما قال مدافعاً عن شيخها:

مَنْ كَانَ فِي مَذْهَبِ التَّيْجَانِي مُمْتَرِيًا فَإِنِّي لِكَمَالِ الشَّيْخِ مُعْتَقِدُ
مَنْ يَنْظُرِ الْكُتُبَ الَّتِي أَفَادَ بِهَا يَنْظُرُ كَلَامَ مُحِقِّ كُلِّهِ رَشْدُ⁽²⁾

وعموماً فقد امتاز القرن (13هـ) بكثرة النقاشات بين العلماء، وبتبادلهم الآراء في مسائل متنوعة، تراوحت بين أمور العقيدة، مثل ما وقع بين "المختار ولد بونا الجكني" ومعاصريه: "المجيدري" و"الشيخ سيدي المختار الكنتي"⁽³⁾؛

1- سيدي عبد الله ولد أحمد دام (ببناء الميم الأخيرة على السكون) ولد عبد الرحمن ولد أشفع الحسني، من فخذ أولاد بانعمر من قبيلة إيدابلحسن. شاعر موريتاني مشهور، عاش بين سنتي 1170-1264هـ، تتلمذ على يدي المختار ولد بونه، ثم أخذ الطريقة الصوفية القادرية بعد كبرته عن الشيخ سيديا الكبير، فهو أسنُّ من شيخه بقرابة عشرين سنة، وقد مدحه بمطولات قصائده؛ وكان إلى ذلك من أنصار الطريقة التيجانية الوافدة ضد خصومها. راجع: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص 287. والشعر الشنقيطي، ص 130. وبلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص 513.

2- راجع: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص 289.

3- الشيخ سيدي المختار ولد أحمد ولد أبي بكر الكنتي: من أشهر علماء بلاد شنقيط في عصره، وهو قطب الطريقة الصوفية القادرية فيها، وعنه أخذها الشيخ سيديا الكبير؛ صاحب الكتاب الذي نحن بصدد تحقيقه ودراسته. للشيخ سيدي المختار الكنتي مؤلفات كثيرة في

وكخلافاتهم في الطرق الصوفية، كما دار بين إدييجه ولد عبد الله الكمليلي⁽¹⁾ والتيجانيين؛ هذا فضلاً عن خلافهم في المسائل الفقهية، كما وقع بين حرمه ولد عبد الجليل العلوي وبابه ولد أحمد بيب العلوي؛ وغير هذه الأمثلة كثير⁽²⁾.

ومثلما اختلف علماء هذا القرن في المسائل العقدية والفقهية، فقد اختلفوا كذلك في علوم اللغة فأطالوا، ودار بينهم في مسائل الخلاف نقاش فيه حدة، غذاه أطال مداه انعدام سلطة سياسية أو علمية عليها تستطيع حسمه، وربما مكثت القضية بهذا سنين، حتى يتفق رأي العلماء فيها⁽³⁾.

وكل هذه النقاشات التي ذكرناها، والتي لم نذكرها، تعتبر شاهداً حياً على أن الثقافة الموريتانية في هذا القرن دخلت مرحلة متطورة من تاريخها، واستطاعت أن ترسخ قدمها في بنية سكان هذه الأرض، على بُعد من الشُّقَّة وكثرة من المثبِّطات.

علم الكلام والتفسير والفقه والتصوف واللغة وغيرها. ذكره رفاعة الطهطاوي في (تخليص الإبريز في تلخيص باريز)، وألف في ترجمته ابنه الشيخ سيدي محمد كتابه (الطرائف والتلائد في مناقب الوالدة والوالد). وقد توفي سنة 1226هـ. راجع: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص361. والشعر الشنقيطي، ص101.

1- ادييجه ولد عبد الله الكمليلي: عالم كبير ولغوي شهير وشاعر مجيد، اشتهر في الفقه والبيان والعروض، دخل في مساجلات شعرية حول مسائل في الفقه والتصوف مع عدد من علماء العلويين. توفي سنة 1270هـ. راجع: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص368. وبلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص506.

2- ذكرت بعض هذه الخلافات في مواضع متفرقة من كتاب الوسيط، وخصوصاً في أثناء ترجمته لمن ذكرناهم.

3- راجع: الشعر الشنقيطي، ص122. والوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص279.

المطلب الرابع

مصادر الثقافة الشنقيطية

استمدَّ الشناقطة ثقافتهم من مصادر يتوجَّب علينا أن نتطرق لها ببعض التفصيل مستعرضين آراء بعض دارسيها المعاصرين، لنصل من خلال ذلك إلى الحديث عن إسهامات العلماء الموريتانيين في الثقافة العربية الإسلامية، مبينين ومؤيدين القول بأن هذه الإسهامات كانت كبيرة، و لكنها - للأسف - ظلت مجهولة في أغلب أقطار العالم العربي والإسلامي، وذلك بسبب أنها - في الأغلب - مخطوطات تقبع في محيط صحراوي يغلب عليه زحف الرمال، وهو ما يهدد الآلاف منها بأن تطمرها عوادي الزمن فتمنعها من الوصول إلى أيدي الباحثين في أقطار العالم الإسلامي المترامي الأهداف والأطراف.

وقد كان القرن الثالث عشر الهجري قرن اكتمال الثقافة الموريتانية ونُضجها وازدهارها؛ ففيه كان "الزوايا" يحتلُّون المرتبة الثانية في هرم الفئات الاجتماعية بعد فئة "حسنان" من دون أن يعترفوا بذلك واقعياً، وربما كان هذا أحد الأسباب التي دفعتهم إلى المثابرة والسعي في تحصيل العلم والثقافة، وذلك كي يُعوّضوا السلطة السياسية والعسكرية المفقودة عندهم بسلطة ثقافية ودينية تناهز سلطة بني حسنان العسكرية والسياسية، وربما تعلوها أحياناً. فقد عُرفت عند قبائل الزوايا الرحلة في طلب العلم وجلب الكتب، وكانت تتجه هذه الرحلات - في الغالب - إلى المغرب، كما كانت رحلة الحجّ فرصة لجمع الكتب وإحضارها إذ كان موسم الحجّ فرصة الموريتانيين الذهبية التي يلتقون فيها بأطراف العالم العربي والإسلامي⁽¹⁾. «وكان ركب

1- راجع: الشعر الشنقيطي، ص 107.

شنقيط (موريتانيا) خليطاً أخوياً من البيض والسود، يأتي كل عام مشياً على الأقدام، حاجاً إلى البيت العتيق، مشتاقاً إلى رؤية "الحشر" على الجبل، وإذكاء النحر، وتقبيل الحجر الأسود، والصلاة ما وسعه الوقت في فناء الحرم أو داخل الكعبة... ثم يعود بعد عامٍ شديد المشقة، حاملاً إلى بلاده "تراب الأرض المقدسة" و"ماء زمزم" و"أخبار بلاد العرب"⁽¹⁾. وهكذا، فقد أحضر "سيدي عبد الله ولد الحاج إبراهيم" في عودته من الحج مكتبةً من المغرب، كما أحضر كلٌّ من "سيدي عبد الله ولد رازكه"⁽²⁾ والشيخ سيدي الكبير⁽³⁾ مكتبات من المغرب أيضاً.

1- موريتانيا الحديثة، ص 21.

1- هو سيدي عبد الله ولد محمّ ولد القاضي عبد الله ولد محمد ولد حبيب العلوي، المشهور بـ(ولد رازكه). عالم شاعر نابغة، وُلد في مدينة شنقيط ورحل إلى منطقة القبلة فتعلم على جده القاضي عبد الله (ت 1103هـ) الذي هو من قاد هجرة طائفة من قومه إلى تلك المنطقة لما قامت الحرب بين العلويين في مدينة شنقيط نحو (1070هـ/1660م)، كما أخذ أيضاً عن أشفع مینحنا ولد مودي مالك ولد عبد الله جنك (ت 1151هـ/1738م). وقد سافر إلى المغرب الأقصى مرات عديدة، فمدح المولى إسماعيل وابنه محمد العالم؛ فكسب ثقة الأول وصداقة الثاني، وكان ذلك مُعينا لصديقه أمير الترازه "اعلي شنظوره هدي" في استنجاهه بالسلطان العلوي. وهو بحق أول شاعر شنقيطي كبير معروف. وقد كان موقراً بين علماء البلاد، مكيناً عند ذوي الأمر فيها. توفي سنة (ت 1143هـ/1731م). له ديوان شعر مطبوع وله مؤلفات في المنطق والأصول والبيان وغير ذلك. راجع: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص 1. والشعر الشنقيطي، ص 85. وبلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص 502 وكذلك 522. والنبوغ المغربي، ص 314.

3- ترد ترجمته لاحقاً - إن شاء الله - في فصل كامل مخصص للتعريف به، فهو مؤلف الكتاب موضوع هذه الأطروحة.

وقد كان الناس يتنافسون في اقتناء الكتب، فينفقون الأموال الطائلة في شرائها، والسنوات الطوال في كتابة نُسخِهَا، وكلُّ هذه الكتب التي يستجلبونها تخدم جوانب متعددة من الثقافة العربية الإسلامية؛ لذا فإن مصادر الثقافة الموريتانية لا تختلف عن مصادر الثقافة العربية، ذلك أن "المحاضر" المذكورة قبل، كانت قد عرفت أهم الكتب المتداولة في العالم العربي والإسلامي، «فابتداءً من القرن (11هـ) دخلت إلى المكتبات الموريتانية المؤلفات التالية: الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني - الأُمالي لأبي علي القالي - الزاهر في الآداب لابن الأنباري - وفيات الأعيان لابن خلكان، ومن الكتب الأدبية المعروفة عند الموريتانيين منذ القديم: خزانة الأدب للبغدادي - الكامل للمبرد - زهر الآداب للحصري - بهجة المجالس وأنس المجالس لابن عبد البر - حُلِّي النواهد على ما في الجوهر من الشواهد»⁽¹⁾.

الفرع الأول

انتماء الثقافة الشنقيضية إلى المغرب والأندلس

الثقافة الموريتانية واضحة الانتماء للمغرب والأندلس؛ ذلك أن الكتب والمراجع العربية وصلت إلى موريتانيا عن طريق المغرب، «وإذا كان علماء موريتانيا ابتداءً من القرن الثالث عشر الهجري، قد امتازوا بثقافة عربية إسلامية، أخذوا مصادرها من رحلات علمائهم المتعددة في المشرق والمغرب، وطبعوها بذاتيتهم الخاصة، فإن هذه الثقافة يتضح انتماءها إلى المراجع المغربية الأندلسية؛ ذلك أن الدعوة الإسلامية امتدت أولاً من القيروان إلى سجلماسة، ومنها إلى الصحراء، ثم انتظمت حلقات الوصل بين قرطبة وفاس وبين الصحراء والسودان، وتعرّزت في فترات معينة،

1- الشعر والشعراء في موريتانيا، ص 25.

حتى أخذت شكلها النهائي المتمثل في مجموعة من المعارف، تعتمد على متون أكثرها من المغاربة والأندلسيين. ففي علوم النحو واللغة فإن نظم ابن آجرؤم، وألفية ابن مالك، وكتب أبي حيّان، هي من المصادر الرئيسية للتعليم؛ كما أن شرح الأعلام الشنتمري للشعراء الستة الجاهليين من أهم الكتب لدراسة هذا الشعر⁽¹⁾. وعلوم القرآن في موريتانيا - كذلك - أندلسية المسلك، فكتب الشاطبي والداني هي الأساس للتفقه في فنّ القراءات والتجويد. ولعل بعض القصور التّسبي الملحوظ في علوم الحديث والأصول في الأندلس (إذا استثنينا أفرادًا بارزين أمثال ابن عبد البر وابن حزم) هو الذي جعل العلماء الموريتانيين لم يتخصّصوا في هذا العلم مثل ما كان لهم في الفروع والنّوازل الفقهية. وفي علوم التفسير عرّف الموريتانيون كتاب أحكام ابن العربي وتفسير القرطبي وابن عطية. ولقد كان كتابهم المتداول في التاريخ نظم ابن الخطيب المعروف برقم الحل، وتوجد منه مخطوطات متعددة في أنحاء موريتانيا. وإذا انتهينا إلى الفقه وكتبه المدرسية [وجدنا] نظم ابن عاشر ورسالة ابن أبي زيد القيرواني، وإذا كان مختصر خليل بن إسحاق المصري أصبح المتن الأساسي لدراسة الفقه المالكي، فإنه ارتكز على أربعة فقهاء هم: المازري واللكمي وابن يونس وابن رشد، بيد أنّ هذا الأخير له حصّة الأسد في هذا الارتكاز، وعليه تأسّس الفقه الموريتاني⁽²⁾.

ولعلنا نجد المبررات التاريخية لهذا التأثير، حينما نتذكر أن شمال المغرب الأقصى قد مدّ جسورًا واصله بين شبه الجزيرة والصحراء، فقلد كانت سجلّ ماسة وفاس ومراكش من أهم القواعد التي ارتكزت عليها هذه الجسور، كما نتذكر أن

1- حول الأعلام الشنتمري ودوره في نشر الأدب الجاهلي في الأندلس، راجع: تاريخ النقد

الأدبي في الأندلس، محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، بيروت - 1993.

2- الشعر والشعراء في موريتانيا، ص 33.

رجال العلم والحكم في المغرب ظلوا على صلة وثيقة بهذين القطرين، ابتداء من ظهور الدعوة المرابطية التي انطلقت من صحراء موريتانيا، وفتحت أزهارها في مراكش، وامتدت ثمارها إلى الأندلس، ولقد كان حكامها ودعاتها يؤدون بين القطرين رسالة الجهاد والعلم والحضارة والإيمان⁽¹⁾.

بيد أن هناك ما يسترعي الانتباه في معرض الحديث عن انتماء الثقافة الشنقيطية إلى المغرب والأندلس، وهو أن طريقة ترتيب الحروف عند الشناقطة طريقة مشرقية لا مغربية⁽²⁾؛ فقد ذكر بعض الباحثين أنه كان يظن أن الطريقة المغربية في ترتيب حروف الهجاء هي السائدة بين الموريتانيين، غير أنه لاحظ أن طريقة ترتيب الحروف المشرقية - دون خطها - هي الشائعة بينهم، ولكي يتأكد من استنتاجه هذا، عرض الطريقتين على بعضهم؛ فأكدوا له صحة استنتاجه، وأن الطريقة المغربية غريبة عليهم، ولا يعرفونها، بل قالوا إنهم تعلموا التهجي طبقاً للطريقة المشرقية، لا المغربية. وبناء على قولهم يمكن القول بأن الخط المغربي - دون ترتيب حروفه - هو السائد في موريتانيا، وهو ما يطرح إشكالية التوفيق بين دخول الطريقة المشرقية - دون خطها - إلى هذه البلاد، وبين المسلمة المتعلقة بأن الثقافة العربية الإسلامية دخلت موريتانيا قادمة من الأندلس والمغرب فلا بد أن الخط في تلك البلاد قد صاحبها، إلا أنه ينبغي أن نعترف بأن التأريخ لدخول الخط العربي إلى

1- راجع: الشعر والشعراء في موريتانيا، ص 57.

2- ترتيب الحروف عند المشاركة: (ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه و لا ي)، أما عند المغاربة فترتيبها: (ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش ه و ي)؛ ويلاحظ أن اللام ألف (لا) الوارد قبل الياء في ترتيب الحروف عند المشاركة لم يرد مطلقاً ضمن ترتيب المغاربة للحروف. راجع: المحكم في نقط المصحف، ص 30. وفتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، ص 37. والذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، م 1، ص 204.

موريتانيا ما زال مجهولا أو ناقصا ولعل العثور على النصوص التاريخية، واستقراء النقوش الأثرية من جانب أصحاب الشأن تعرّفنا به أو تُزيل الغموض الذي يكتنفه، غير أنه إذا لم يكن قد شاع في مضمار الخط في هذه البلاد إلا "الخط المغربي الأندلسي"، ولم يكن ليشيع سواه من الخطوط: نظرا للوحدة الثقافية بين المنطقتين، إلا أننا ما زلنا بحاجة إلى جواب السؤال المطروح أو ما يزيل الاستشكال المثار. ويمكن وصف الخط الموريتاني بأنه فريد من نوعه لأنه مزيج من طريقتين متباينتين هما الطريقة المشرقية في ترتيب حروفه، والمغربية في رسم تلك الحروف؛ في الوقت الذي يستبعد فيه الباحثون الموريتانيون وجود أي صلات ثقافية منذ التاريخ المبكر بين موريتانيا والمشرق العربي، لا عن طريق السودان الغربي، ولا عن طريق غيره إلا في القرون المتأخرة، وابتداء من القرن الثاني عشر والثالث عشر الهجريين⁽¹⁾.

الفرع الثاني

إسهامات العلماء الشناقطة ومؤلفاتهم

اعتمدت بلاد شنقيط في تحصيل العلوم العربية الإسلامية عموما، والدراسات النحوية خصوصا في بدايات نشأتها وتكونها على الروافد المعرفية الوافدة إليها من المغرب والأندلس، ثم مصر. واهتم العلماء والدارسون الشناقطة بالمتون النحوية المغربية والأندلسية اهتماما كبيرا منذ أن وصلت بلادهم، وتأثروا بها أيما تأثر؛ فتعددت خدمتهم إياها ما بين دارس وناظم وشارح ومحاك. وقد ترك العلماء

1- راجع: ديوان محمد ولد ابن ولد احميد الشقروي، تحقيق: أحمد ولد حبيب الله، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة - 1988، ص 526.

الموريتانيون مجموعة كبيرة من المؤلفات، لاسيما علماء القرن (13هـ) إذ كانت المحاضر تضم إلى جانب حركة التدريس «حركة تأليف ناشطة، فكان كل عالم يضع لتلاميذه شروحا على المتون القديمة، أو يستبدل بها متونا مدرسية جديدة، فضلاً عما جمعت فتاويهم كتباً مستقلة وهم يُعدُّون بالعشرات. ويكفي النظر في المراجع البيبلوغرافية المؤقتة لتصوُّر هذا الكم الضخم من المؤلفات، وقد كتبها قوم بداء، ينتجعون الغيث ويرتقبون النهب»⁽¹⁾.

ويرى د. محمد المختار ولد اباه أن «جل ما خلفه هؤلاء العلماء [الموريتانيون] يتمثل في أنظام وشروح، تتناول في أغلب الأحوال العلوم الدينية؛ فالشروح والطُرُ يُؤلفها - عادة - العالم الذي ينتصب للتدريس، لاستكمال الاستيعاب والأداء، أما المنظومات فتُستعمل لتسهيل عملية الحفظ، لأن المدرس يعتمد على الذاكرة لعدم توافر مواد الكتابة، وصعوبة القراءة في كثير من الأوقات، ولاسيما عند من يمارسون التدريس ليلاً في الأحياء البدوية التي لا تستعمل وسائل الإنارة المعروفة اليوم. وقد اشتهر كثير من العلماء الموريتانيين بإنشاء المنظومات التعليمية، نذكر منهم:

البدوي المجلسي⁽¹⁾، والمختار ولد بونه الجكني، وعبد الله ولد الحاج حماد الله الغلاوي⁽²⁾»⁽³⁾.

وقد استطاعت قبائل "الزوايا" وهم أهل الثقافة والعلم، أن تُكوّن نسيجاً متماسكاً تنتقل فيه المعلومات والكتب، وتُتبادل الرسائل والفتاوى، ويرحل الطلاب بين المشايخ من أقصى الصحراء الشنقيطية إلى أدناها، وهو ما جعل المثقف الزاوي يعي انتماءه إلى وحدةٍ بشريةٍ وثقافية متميزةٍ، موحدةٍ فكرياً رغم تفككها السياسي. وما كان هذا الوعي بالتوحيد ليتم لولا التجانس في الأطر المرجعية والبرامج المدرسية، وهو أمر لم يتم تلقائياً⁽⁴⁾. وهذا ما دعا بعض الباحثين إلى اعتبار شنقيط بالنسبة لمواقع الحدث العلمي في العالم العربي بمنزلة ما يسميه الحكماء "القوة الحافظة للمعلومات الصادرة عن الحس المشترك" وذلك ما يقتضيه موقعها من بيت الأسرة العربية، والبيئة البدوية التي نشأ فيها العلم الشنقيطي وترعرع واكتهل، و هو ما يمكن اعتباره تأويلاً قريباً لما يلاحظه الباحثون من أن فترات الانحطاط العلمي

1- أحمد البدوي المجلسي: عالم كبير ونسابة شهير، اشتهر بأنظامه التعليمية الكثيرة، وقد أحيا أنساب العرب في بلده بنظمه المسمى "عمود النسب" (مطبوع)، وله نظم آخر يسمى "الغزوات" وهو مطبوع أيضاً؛ وهما من المتون المعتمدة في المحظرة الشنقيطية. توفي 1209هـ/1793م. راجع: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص350. وبلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص503.

2- عبد الله ولد الطالب أحمد ولد الحاج حماد الله الغلاوي: عالم مشهور، أخذ عن خاله سيدي عبد الله ولد الفاضل الشمشوي اليعقوبي وعن المختار ولد بونه. كانت له اليد الطولى في مختلف الفنون، وخصوصاً منها علوم اللغة والبلاغة والنحو والعروض، وأرثت مؤلفاته على الأربعين. توفي سنة (1209هـ/1785م). راجع: بلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص520.

3- الشعر والشعراء في موريتانيا، ص27.

4- راجع: الشعر الشنقيطي، ص108.

والأدبي، تكون عادة أيام تطور وازدهار في هذين المجالين بالنسبة للمدارس والنوادي الشنقيطية.

وبذلك كانت شنقيط الغائب الحاضر في جميع مراحل التطور العلمي على امتداد التاريخ الإسلامي؛ فلم يفت العلماء الشناقطة على طول الأمد وتشعب الفنون، أن يلاحظوا ما للنحو العربي من غناء في خدمة القرآن والشريعة الإسلامية بصفة عامة فاتخذوا منه وسيلة لاستجلاء بعض نكت القرآن وتفسير معانيه وضبط قواعد رسمه المطابقة لرسم المصحف العثماني⁽¹⁾.

وقد ترك لنا النحاة الشناقطة عبر العصور السالفة تراثا ثرا، وكنوزا أصيلة غنية، أودعوها في فيض غزير من تأليفهم النحوية التي ما زال معظمها مخطوطا يُخشى عليه من الضياع والسقوط من يد الزمن، مما جعل هذا التراث الغني محتاجا بالبحاح إلى من يدلي فيه بدلوه بين الدلاء، وذلك بتسليط الضوء عليه، والتعريف به، والتنويه بمكانته، لنفض الغبار عنه، وإيقاظه من سباته العميق، ومراجعته، وتحقيقه، وإبراز قيمته العلمية الكبيرة، ليكون في متناول أيدي الدارسين وطلاب العلم.

الفرع الثالث

لصرافة الثقافة الشنقيطية

أدى البحث والدرس بعلماء "الزوايا" إلى طرح مسائل نظرية طريفة، كقضية الاجتهاد وضرورته في مجتمع بدوي يتعامل مع تراث فقهي أُلّف كله في الحضر، ولم يكن أصحابه يتصورون مشاكل أهل البادية، فكأنهم بهذا كانوا يعون

1- راجع: حوليات جامعة شنقيط العصرية، النحو في النوادي الشنقيطية، محمد ولد بتار، السنة 2007-2008.

خصوصيتهم التاريخية، باعتبارهم أول مجتمع بدوي مثقف ثقافة عالمةً وخالٍ - مع ذلك - من سلطةٍ سياسيةٍ مركزية، في التاريخ الإسلامي كله، وكذلك كانوا يعون - أو بعضهم - وظيفة هذا "العنف الفكري" في حياة قومٍ لا يمارسون "العنف العسكري"، وما بين الحربين من فروقٍ في الأسلحة والغنائم، وهذا ما عبّر عنه "المامون اليعقوبي" ⁽¹⁾ بقوله:

حَرْبُ الزَّوَايَا جِدَالٌ أَوْ مُنَاطَرَةٌ أَقْلَامُهُمْ كَقِسِي النَّبْعِ وَالسُّمْرِ
لَا بُدَّ أَنْ تَشْهَدُوا يَوْمَ النَّضَالِ بِهَا أَنَّ الْمَدَارَ عَلَى مَا حُطَّ بِالزُّبْرِ
لَيْسَ الْمَدَارُ عَلَى مَنْ يَدَّعِي شَرًّا إِنَّ الْجَحِيمَ غَدًا تَكْفِي مِنَ الشَّرِّ ⁽²⁾

ويرى بعض الباحثين أنَّ الثقافة الموريتانية قد طُبعت بطابعي "الدين والأدب" وأنَّ طرافتها تكمن في ارتباطها بالحياة اليومية لمنتجيتها؛ ذلك أنه «إذا كانت الثقافة الموريتانية قد طُبعت بطابعين "ديني وأدبي" يمثلان اهتمام مثقفي تلك الفترة، ويرتبطان وثيق الارتباط، فإنَّ طرافتها تكمن في مدى ارتباطها كذلك بالحياة اليومية لمنتجيتها، مما أعطاهما - في نظرنا - طرافةً وتميزًا، حيث كان الشيخ العالم المتذرع بالمنطق الأرسطي لفهم النصوص الشرعية، هو ذاته الممارس للشعوذة والخرافة لردع

1- هو أحمد المامون ولد محمذن الصوفي ولد عبد الله المجاور اليعقوبي، من فخذ الأعمام من قبيلة إيديقب. ولد حوالي 1140هـ ونشأ وعاش في بلاد قومه من تيرس في بلاد شنقيط، والراجح أنه تتلمذ للمختار ولد بونه الجكني ثم خالفه مع سائر تلاميذه من اليعقوبيين تحت تأثير المجيدري. وقد كان للمامون في قرض الشعر مذهب يتنكّب التكلف البديعي، توفي حوالي سنة 1235هـ. راجع: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص 217. الشعر الشنقيطي، ص 147.

2- راجع: ديوان المامون اليعقوبي، تحقيق: محمد ولد ماء العينين، المدرسة العليا للتعليم، انواكشوط 1983م، ص 63. والشعر الشنقيطي، ص 113.

"الظلمة" من أصحاب السِّلاح، واكتساب الشهرة والاحترام ... حيث كانت الثقافة لصيقةً بالفئة التي أنتجتها، مُوجَّهةً لخدمة مصالحها توجيهاً جعل العلماء يمزجون بين المتناقضات ولا يفرطون في أيِّ علم، ما دام كلُّ علم قادراً على تحقيق مآربهم، وهو ما خلق من ثقافة القرن [13هـ] خليطاً غنيا بالمعارف»⁽¹⁾.

الفرع الرابع

منزلة علوم اللغة من الثقافة الشنقيضية

يمكن الجزم بأن علوم اللغة نالت حظها من العناية في بلاد شنقيط، فحضيت بفائق الاهتمام بل تجاوزت ذلك في بعض المناطق وبخاصة منطقة "القبلة" التي ينتمي إليها الشيخ سيديا الكبير، لتصبح غاية تدرس لذاتها، بعد أن كانت وسيلة - أي علم آلة - لإصلاح النص الشرعي من قرآن وسنة وفهمه، وسبباً لدرسه. ويبالغ أهل هذه المنطقة في الاهتمام بتدريس علوم اللغة حتى أصبح متعارفاً عند غيرهم من أهل المناطق الأخرى أنهم يعتبرون تعلم الشعر الجاهلي أول ما يتوجب على المكلف، ويقولون في ذلك:

أول واجبٍ على من كُلفا أن يعرف الله، ويعرف "قفاً"

1- راجع: المعارضة في الشعر الموريتاني، د. عبد الله ولد محمد سالم ولد السيّد، منشورات المعهد التربوي الموريتاني، 1996م، ص24. ومن طريف آثارهم مسائل الألباز التي تعاطوها في قصائد مشهورة محفوظة في مكتبة المعهد الموريتاني للبحث العلمي تحت رقم: 2677.

وقد تجلّى هذا المنحى اللغوي المتعمق في المدرسة الحسنية، وبخاصة في مدرستي "الشيخ محمد و ولد حنبل" (ت1302هـ)⁽¹⁾، و"الشيخ محمد و ولد الغزالي الشقروي" (ت1312هـ)، وكذا لدى الشاعرين الآخرين المفلّحين "الشيخ محمد حامد و ولد آلاء" (ت1379هـ) و"محمد النانه و ولد المعلى" (ت1402هـ).

كما تجلّى هذا المنحى اللغوي في "المدرسة اليعقوبية" وخصوصاً مع "مولود و ولد أحمد الجواد" (ت1243هـ)⁽²⁾ وتلميذه "أحمد و ولد الطلبة" (ت1272هـ)⁽³⁾ وقبلهما "الحويج و ولد مسكه و ولد باركل" الذي اشتهر بعلم اللغة واستظهار مفرداتها حتى سماه "و ولد رازكه العلوي" بالقاموس، وكذا "أحمد تَكْرُوز و ولد حبيب الله و ولد

1- سبقت ترجمته، وهو أحد من أخذوا الطريقة القادرية عن الشيخ سيد الكبير مؤلف الكتاب الذي نحن بصدد دراسته وتحقيقه. راجع ص

2- هو مولود و ولد أحمد الجواد و ولد محمذن و ولد عبد الله و ولد أحمد و ولد هنض، من قبيلة إيديقب. و ولد حوالي سنة (1170هـ/1768م)، في بيت علم وأدب، تتلمذ للمختار و ولد بونه الجكني و عُدَّ من أكابر تلاميذه وشرح كتابه (الوسيلة) في علم الكلام. وبعد الخلاف بين و ولد بونه والمجيدري انحاز مولود مع اليعقوبيين من تلاميذ و ولد بونه إلى ابن عمهم المجيدري، فصار مولود هو الخصم الألد لولد بونه فناقشه وساجله طويلاً. وقد عُرف في عصره بتفوقه في علوم اللغة العربية، وبخلافاته مع أعلام من أهل عصره فهجا وأكثر الهجاء. توفي سنة (1243هـ/1727م). راجع: الشعر الشنقيطي، ص151. وبلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص532.

3- حقق ديوانه "أحمد جمال و ولد الحسن" بالمدرسة العليا للأساتذة بتونس خلال السنة الجامعية: 1979-1980. وذكر أن اسمه أحمد و ولد أحمد الأمين و ولد محمذن (المعروف بابّ) و ولد المختار و ولد أشفع موسى اليعقوبي؛ مصححاً بذلك ما أورده بعض المصادر من خلط في نسب هذا الشاعر. ولفظ (الطلبة) في الحسانية جمع (مرايط) على غير لفظه، ويطلقه التلاميذ على بيت أستاذهم إجلالاً؛ فينسب إليه أبنائه. راجع: الشعر الشنقيطي، ص140.

أَتَفَعَ موسى "العالم اللغوي. إلا أن الاهتمام باللغة تجذر مع "عبد الله العتيق ولد ذي الخلال"⁽¹⁾ أصمعي زمانه، الذي جعل "لسان العرب" مقررًا دراسيًا في محضرته، فضلا عن غيره من كتب اللغة الأخرى ودواوين الشعر؛ وتكفي مؤلفاته برهانًا على منزعه⁽²⁾، ثم مع تلميذه "محمود ولد عبد الله الجكني" (ت 1369هـ/1949م)⁽³⁾. وما بالك بكبار العلماء أهل التقوى والتصوف، الذين يكرسون جل أوقاتهم لتدريس شعر الجاهلية من هجاء لاذع وغزل فاحش ولا يجدون في ذلك غضاضة ولا بأسًا حتى في الأوقات التي يرغّب فيها في التوجه إلى الله، والتخلي لعبادته؛ حتى ليصل الأمر بـ "محمذن فال ولد مُتّالي" إلى الإفتاء بأفضلية تعلم اللغة على التخلي للعبادة، فيقول:

تعلم اللغة شرعا فضِّل على التخلي لعبادة العلي
يؤخذ ذا من قوله: "وعَلما آدم الأسماء"؛ الزم التعلما

- 1- شيخ محطرة مكينة في اللغة وغيرها. توفي سنة (1339هـ/1921م). راجع: بلاد شنيط.. المنارة والرباط، ص 520.
- 2- من مؤلفاته اللغوية: تيسير الورد إلى تحفة المودود في المقصور والممدود - شرح دواوين الشعراء الستة الجاهليين - شرح ديوان غيلان ذي الرمة - شرح نظم ابن المرحل - الشرح المختصر لمثلث ابن مالك وكذا الشرح المطول.
- 3- له عدة مؤلفات في اللغة، منها: تعليق على ديوان الشعراء الستة الجاهليين - تعليق على ديوان غيلان ذي الرمة - شرح على ألفية البيان للسيوطي - حاشية على طرة ابن بون، سماها "غالية" - طرة على لامية ابن مالك (استدرك فيها عليه وعلى الحسن بن زين ناظم احمرار اللامية) - شرح على لامية العجم للطغراوي - شرح على قصيدة مولود ولد أحمد الجواد اليعقوبي المعروفة بالمرجانية - شرحان: مطول ومختصر على تحفة المودود في المقصور والممدود لابن مالك.

ولذا صار الطالب بعد حفظه القرآن يكرّس وقته لحفظ دواوين الشعراء الستة: امرؤ القيس بن حُجر الكندي، وعلقمة بن عبدة التميمي، والنابغة الذبياني، وزهير ابن أبي سُلمى المزني، وطرفة بن العبد البكري، وعنترة بن شداد العبسي؛ يحفظها عن ظهر قلب ثم يتتبعها بيتًا بيتًا قراءةً وشرحًا، وهكذا يفعل بمقصورة ابن دريد، ولامية الشنفرى، وديوان غيلان ذي الرمة، ونصوص شعرية أخرى كثيرة. ومن شدة مخالطة الشناقطة لشعر غيلان أضحى اسم ناقته "صيدح" - الذي تردد في شعره كثيرا - اسما في لهجتهم الحسانية لكل ناقة تُمتطى.

واهتمام الشناقطة = الموريتانيين بتدريس الشعر الجاهلي على الرغم من القطيعة الزمنية والنفسية بينهما، يجلي لنا دافع الحرص على تلقين الناشئة للمادة اللغوية على الرغم مما يحمله من رؤى وسلوكيات لا تتلاءم وواقعهم الثقافي والديني، فهو لغاية نفعية يُقصد، لا يدرسونه ويتفاعلون معه لأنه يصور طموحاتهم ويجلي همومهم، بل لأنه يثري الرصيد اللغوي للطالب وينمي فيه ملكة الإبداع، وبخاصة أن الشعر الجاهلي يمثل مرحلة لا يُطعن في أهلها بالحن ولا في لغتها بالفساد. هذا الاهتمام المركّز بعلوم اللغة، يفسّر لنا ظاهرة الكثرة الهائلة من الشعر والشعراء التي جعلت بعض الباحثين يطلق على موريتانيا لقب "بلد المليون شاعر".

وليست الدراسة النحوية بدعًا من علوم اللغة الأخرى بل هي ثالثة الأثافي لهذه الثقافة، ولا غرو فالنحو قوام اللسان، ودرع اللغة وسياج القرآن الواقى من التحريف والدافع عنه غائلة اللحن والفساد؛ فوجد لذلك عناية خاصة تجلت في كثرة الدرس والتحقيق ووفرة التأليف: أنظماً وشروحاَ ورسائلَ ومناظراتٍ. كما تجلت في استغلاله بإطناب في الشعر خاصة، وذلك لغايات فنية؛ كالتورية في قول "ولد رازكه" متغزلاً ومُؤرّياً ببعض الأعلام من النحاة المتقدمين:

ألا إني خليلك يا "خويرة"
ومبسمك المبرد للغليل
فقلولي للنحاة حمائي عنه
دعوا بين المبرد والخليل

وقولة أجود ولد اكتوشني العلوي⁽¹⁾ مادحاً تلميذه "عبد الخير"، ومعرضاً بتلميذه الآخر "الفتي"؛ وكان جاءهما بعد طول فراق فأكرمه الأول وأجزل له العطاء، ولم يفعل الآخر مثل ذلك؛ فقال:

إضافة "عبد الخير" محض إضافة
تؤول إلى المعنى ومعناه كاسمه
و"أم حكيم" أولعت باقتنائها
ولوع أخي نظم بترصيع نظمه
ولم ينسه طول الزمان بشيخه
وبالطول قد ينسى "الفتي" شيخ علمه

وقولة "محمدو ولد فتى العلوي" (ت 1337 هـ) مبينا حالة "هل" الإعرابية في أسلوب غزلي صرف:

حببتي "هل" أنا، والفعل أنت؛ و"هل"
إن تلق فعلاً قريباً لن تفارقه
إن ينأ عنها تسلت عنه والهة
أو يدن لم ترض إلا أن تعانقه
وقولة العلامة "محمدن ولد أحمد ولد العاقل" في "الشيخ سيديا الكبير" (مصنف الكتاب الذي نحن بصدد تحقيقه ودراسته):

1- اسمه عبد الوهاب ولد اكتوشني ولد السيد العلوي، عالم شاعر شيخ محطرة، له مؤلفات منها (جامع المعاني) وهو منظومة في التصريف وشرحها. كان من دعاة الجهاد المسلح ضد الفرنسيين. توفي سنة (1289هـ/1872م). راجع: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص 81. وبلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص 509.

إِضَافَةُ الشَّيْخِ لَغَيْرِ سَيِّدِيَا فِي قِبْلَةٍ أَظْنُّهَا تَعَدِيَا
فَذِي الإِضَافَةِ اسْمُهَا لَفْظِيَّةٌ وَتِلْكَ مَحْضَةٌ وَمَعْنَوِيَّةٌ⁽¹⁾

أما الشعر الضابط للمسائل النحوية، أو المشير إليها الذي غالبًا ما يكون رجزًا فنجده بكثرة عند جماعة من العلماء، من أبرزهم في هذا المجال: عبد الودود ولد عبد الله الحيلي⁽²⁾، وابن عبد المديني⁽³⁾، وأحمد ولد كدّاه الكميلي⁽⁴⁾. وقد ركّز دعائم البحوث النحوية واللغوية، واشتغال الموريتاني بها حبه للغة القرآن والحديث، والتقديس البالغ الذي يحظيان به في عموم المجتمع الموريتاني. غير أن من الملاحظ أن اللغة العربية - بمفهومها المعجمي - لم تبلغ مبلغ النحو في المحاضر الشنقيطية، حيث كانت المدارس المتخصصة في المعجم اللغوي

1- القبلة ناحية من نواحي موريتانيا. وينسب بعضهم البيتين إلى محمد فال، ابن العلامة محمذن المذكور. وفي ثاني البيتين تضمين من ألفية ابن مالك.

2- عبد الودود ولد عبد الله ولد انجنان الحيلي، من أولاد أشفع حيلّ، وهاء لفظ الجلالة (الله) من اسم أبيه غير منطوق عند العامة. عالم نحوي، وشيخ محظرة، أخذ عن بُلّا الشقروي. ولد سنة (1245هـ/1829م). من مؤلفاته (روض الحرون من طرة ابن بون). توفي سنة (1286هـ/1869م). راجع: بلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص521.

3- هو محمد ولد عبد الله ولد الأمين ولد محم. فقيه نحوي وقاض جليل معروف بالورع، ولد سنة (1232هـ/1869م)، له مؤلفات منها طرة على الألفية في العروض. وقد توفي سنة (1286هـ/1917م). راجع: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص238. وبلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص502.

4- هو أحمد ولد محمد ولد أحمد بابّه. عالم تخرج من محظرة يحظيه ولد عبد الودود الجكني القناني (ت1265هـ/1849م)، جمع أنظاما في النحو لمعاصريه فعُرفت هذه المجموعة باسم الكداهية، وله كناش في الفقه يُعرف بالمحبوك. توفي سنة 1340هـ/1922م راجع: بلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص505 وكذلك ص533.

محدودة مقتصرة في تعميق دراستها على الدواوين الستة وديوان غيلان والمثلثات،
و- في بعض الأحوال - مقامات الحريري.

ويأتي المنطق بعد اللغة العربية بمراحل على قائمة الفنون المحظية في بلاد شنقيط
ولعل من أهم أسباب هذا التأخر صعوبة الاستفادة من هذا الفن، وعدم ثقة أكثر
العلماء بجوداه، مع ما يحفُّ به من مخاطر حملت بعض العلماء على تحريم
الاشتغال به.

ولم تحل القلة النسبية لمخزون اللغة والمنطق في الذاكرة الشنقيطية، دون استغلاله
في ضبط وتأصيل المادة النحوية، فللنحاة الشناقطة تحقيقات مهمة في المباحث
المشتركة بين النحو والمنطق، منها الضابط الذي وضعه الشيخ محمد اليدالي⁽¹⁾ في
الفرق بين علم الجنس واسم الجنس حيث قال: "ومن الفرق بين علم الجنس واسمه
اعتبار وضع الواضع، لأنه إذا استحضر صورة ليضع لها، فتلك الصورة المستحضرة
في ذهنه جزئية باعتبار تشخصه لا بالنسبة للكلية التي هي مطلق صورة الأسد، فإن
هذه صورة واقعة لهذا الشخص في زمان ومثلها يقع في زمان آخر في ذهن شخص
آخر، والجميع مشترك في مطلق صورة الأسد، فإن وضع لها من حيث خصوصيتها
فهو علم الجنس، أو من حيث عموميتها فهو اسم الجنس"⁽²⁾.

ومنها تحقيق الشيخ محنّض بابّه ولد اعبيد الديماني (ت 1277هـ) في "ال"
وحاصله أنها إما للإشارة إلى الحقيقة المطلقة، أو للحقيقة في ضمن جميع أفرادها،

1- هو محمد ولد المختار محم سعيد، المعروف بمحمد اليدالي (1096-1166هـ). من
أكابر علماء شنقيط، وُلد وعاش في إمارة اترارزة، له مؤلفات كثيرة في التفسير والتصوف
والأنساب والتاريخ؛ منها: الذهب الإبريز في تفسير كتاب الله العزيز، وفرائد الفوائد، ومغازي
خير الوري، وأمر الولي ناصر الدين، وشيَم الزوايا، وله ديوان شعر. راجع: الوسيط في تراجم
أدباء شنقيط، ص 223. والشعر الشنقيطي، ص 85.

2- محمد اليدالي.. حياته وآثاره، الأستاذ محمذن ولد باباه، مرقون.

أو للحقيقة في ضمن فرد مبهم؛ ونظير مدخول الأولى علم الجنس، والحكم عليه قضية طبيعية عند المناطق، ونظير مدخول الثانية كل مضافة إلى نكرة، والحكم عليه قضية كلية، ومدخول الثانية نكرة معنى، والحكم عليه قضية مهمة. ومن أمثلة حضور اللغة في تحرير المسائل النحوية وتأصيلها، السؤال الذي طرحه الشيخ: محمد عالي ولد عبد الودود على بعض مشايخ معاصريه، حيث سأل عن شاهد من كلام العرب يحتج به على جمع العلم جمع مذكر سالم، ولاشتهار جمع العلم بهذا الجمع بين صغار الطلبة بله الكبار، رأى أحد الشيخين اللذين سألهما الشيخ محمد عالي أن السؤال ضرب من الفضول فلم يوله ما يستحق من التأمل، بينما رأى الشيخ الثاني أنه سؤال وارد ينبئ عن مستوى لغوي رفيع فامتدح السائل وقال: "إن من شواهد المسألة قراءة عاصم والأخوين "سلام على إلياسين" على أنها جمع إلياس".

بعد أن استعرضنا الأوضاع العامة التي عاشها المجال الشنقيطي في القرن الثالث عشر الهجري؛ فتعرفنا فيه على التسميات التي عُرف بها هذا المجال في كتب المؤرخين، وعلى الحدود التي رسموها له؛ وبيّنا اختلاف تلك الحدود عن حدود موريتانيا الحالية. وتحدثنا فيه كذلك عن الأوضاع السياسية للمجال الشنقيطي خلال القرن (13هـ) حيث استمر حكم الإمارات الحسّانية أغلب المجال الجغرافي، مع استمرار الصراعات الداخلية والخارجية في هذه الإمارات التي لحظنا من خلال تتبعنا لأوضاعها أنّ مظاهر الفوضى والنزاع قد طغت فيها على مظاهر النظام والتوافق، ذلك لأن ظاهرة "السّبية" قد اتضحت وتجدّرت من خلال استمرار أعمال السلب والنهب التي تمارسها الفئة المسلحة ضدّ الفئات المجرّدة من السلاح؛ وهو ما أدى إلى انقسام المجتمع الموريتاني إلى فئات اجتماعية، محورها اثنتان: "حسّان" و"الزّوايا" فكان العلم والثقافة من نصيب فئة "الزوايا"، بينما استأثرت فئة "حسّان" لنفسها

بالأدوار العسكرية والسياسية ولا تَسمح لغيرها أن تشاركها فيهما، وقد أدى الأمر إلى تجافي فئة "الزوايا" عن السلطة وأهلها مكرسين جهودهم للعلم والتعلم وهو ما أدى في القرن المذكور إلى ازدهار التأليف وتنوُّع أغراضه وفنونه وأساليبه.

وآمل أن أكون قد بيّنت في المبحثين الآنفين ملامح المجتمع الشنقيطي في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين، وأن أكون قد أوضحت كيف تبلور تقسيمه الطبقي، وتشكّل تنظيمه السياسي، ودخل باب التعرب من باب اللغوي العام والعلمي المتعمق، ولكن كل هذا إنما هو كالتوطئة للحديث عن حياة الشيخ سيدي الكبير الذي على كتابه "النفحة القيومية بتقرير الآجرومية" يتركز هذا العمل.

المبحث الثالث

ترجمة الشيخ سيديا الكبير

يصدق علي وأنا أحاول الترجمة لجدي الشيخ سيديا الكبير ما قرره ابن السُّبكي⁽¹⁾ في معرض ترجمته لأبيه⁽²⁾؛ إذ رأى أن الناظرين في تلك الترجمة على قسمين: قسم عرف الشيخ كمعرفته وخالطه كمخالطته؛ فهو يحسبه قصّر، وقسم مقابله؛ فهو يحسبه بالغ فيه⁽³⁾.

وهذا المبحث مقسم إلى ستة مطالب؛ نتناول في أولها نسبه ومولده، وفي الثاني مساره العلمي والروحي، ونخصص الثالث لمكانته الاجتماعية، والرابع لمكانته العلمية، والخامس لمكانته السياسية، بينما نخصص السادس لوفاته.

1- تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، المعروف بالسُّبكي الصغير. انتهت إليه رئاسة القضاء والمناصب بالشام. توفي سنة (771هـ) عن عمر لم يتجاوز (44) سنة إلا أنها كانت حافلة بالقضاء والتأليف والإفادة. من مؤلفاته (الأشباه والنظائر) و(طبقات الشافعية الكبرى) و(طبقات الشافعية الوسطى) و(طبقات الشافعية الصغرى). والطبقات الوسطى عمل مستقل، لم يقصد به اختصار الطبقات الكبرى.

2- تقي الدين علي بن عبد الكافي، المعروف بالسُّبكي الكبير. والد المتقدم، إمام كبير من أجلاء الشافعية، محدث مفسّر نحوي فقيه أصولي صاحب تصانيف مفيدة في فنون عديدة (ت756هـ).

3- راجع: طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب ابن السبكي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة - 1964، ج10، ص139.

المطلب الأول

نسبه ومولده

هو كمال الدين⁽¹⁾ الشيخ سيديا⁽²⁾ ولد المختار ولد الهيبه ولد أحمد دؤله ولد أبابك (أبوبكر) ولد محم (محمد) الملقب انتشايت - جد أولاد انتشايت - وهم بطن من بطون قبيلة "أولاد أبييري"؛ وينتسب أبييري وهو الجد الجامع للقبيلة إلى

1- تواتر ذكر كنيته في الأشعار الكثيرة التي دبّجها فيه الشعراء؛ فمن ذلك قول سيدي عبدالله ولد أحمد دام الحسني في قصيدته الذائعة التي مدحه بها:

حَارَتْ أَنْاسٌ بِجَدْوَى حَاتِمٍ، وَلَقَدْ نَرَى سَخَاءَ كَمَالِ الدِّينِ قَدْ غَلَبَهُ

وقول محمدو ولد مُحَمَّدِي العلوي:

يَا حَبَّادَا ذَاكَ الْكَمَالِ وَحَبَّادَا جُلَسَاؤُهُ مِنْ زَائِرٍ وَمُقِيمٍ

وقول محمدو ولد حنبل الحسني:

هَذَا وَبَارَكَ فِي الْكَمَالِ إِلَهُهُ وَثَنَى عَلَيْهِ عَوَاطِفَ الرِّضْوَانِ

وقول محمدن ولد السالم المجلسي الحسني:

وَقَافِيَةٍ بَدَلْتُ الْوَسْعَ فِيهَا لَتَصْلُحَ أَنْ تُرْفَ إِلَى الْكَمَالِ

أُحَاوِلُ أَنْ أُضَمِّنَهَا خِلَالًا تَضَمَّنَهَا فَمَنْ لِي بِالْمُحَالِ؟

2- كتبها هو نفسه دون ألف، وكذا فعل أبنائه من بعده، وتبعهم في ذلك من عُنوا بالتاريخ الموريتاني؛ غير أنني أرى أن إضافة الألف أولى في هذا العصر، وذلك للتمييز بين أسماء العائلات الموريتانية المتقاربة كتابة. وقد أضيفت صفة "الكبير" إلى اسم الشيخ سيديا، بعد مولد حفيده وسمّيه "الشيخ" سيديا (بابه) ولد الشيخ سيدي محمد ولد الشيخ سيديا الذي خلفه في مكانته العلمية والاجتماعية والسياسية؛ بعد والده المباشر "الشيخ سيدي محمد" الذي لم يعمر بعد والده "الشيخ سيديا" إلا تسعة أشهر تقريبًا.

البراكنة، الذين ينتسبون بدورهم إلى المغافرة، وينتسب المغافرة إلى بني حسان، ويعود نسب بني حسان إلى الجعافرة الشرفاء أبناء جعفر الطيار⁽¹⁾.

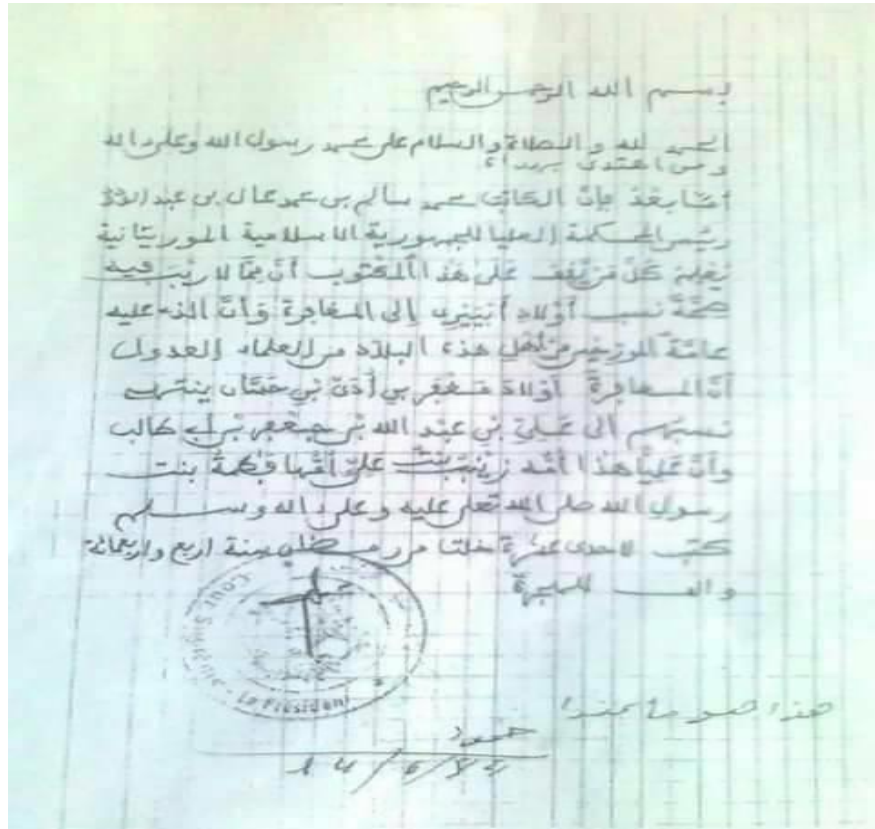
يقول سيدي عبد الله ولد أحمد دام الحسني، واصفا الأرومة التي ينتمي إليها الشيخ سيديا الكبير:

مِنْ نَبْعَةٍ طَيِّبِ الْبَارِي أُرُومَتِهَا بَيْتًا أَحَلَّ ذُرَى الْمَجْدِ الْعُلَى نَسَبَهُ

وقد اتفق مؤرخو البلد العلماء العدول على صحة انتساب أولاد أبييري إلى جعفر ابن أبي طالب، بمن في ذلك الشيخ سيديا الكبير نفسه؛ فقد نصّ بالحرف على أن "أولاد أبييري من ذرية جعفر الطيار الذي هو ابن عم النبي (ﷺ)، وأخو علي بن أبي

1- حسب شجرة النسب المعروفة الواردة في وثيقة أحمد ولد أَعْدَجْ ولد امرباط مكة، وهي الوثيقة التي عثر عليها عُمنا إسحاق ولد الشيخ سيديا في مقبرة "بير الل" (بلامين مغلظتين مع إدغام، أي بئر الله)، سنة 1386هـ، مدفونة عند رأس مريم بنت أَرِيَّة (وهي والدة خديج منت محمد ولد الحاج ولد محم ولد أيَّه الجكني، من فخذ (إِدْيَشْف) أولاد يوسف، على قول. وخديج هي والدة (أَمَّامَه) محجوبة منت عال ولد عبدي، وأَمَّامَه هي زوجة الشيخ سيديا الكبير، ولم يتزوج سواها مطلقا). وكانت مريم منت أَرِيَّة ابتعثت الوثيقة من حيتها أولاد أَعْدَجَه ولد امرباط مَكَّه (أهل محمد) بعد ما رحلت إلى آدرار مع زوجها محمد ولد الحاج المختار اليوسفي الجكني؛ لتثبت بها نسب أولاد أَبْيَرِي أمام أترابها من نساء آدرار، وقد أوصت - رحمها الله - أن تدفن الوثيقة عند رأسها إذا توفيت. وقد قام الباحث الأمريكي المعروف شارل استوارت Stewart بفحص الوثيقة فحصا علميا مخبريا وتأكد أنها تعود فعلا إلى التاريخ المرسوم فيها. وسبب ذلك الفحص والاهتمام عائد إلى كون هذا الباحث قد وطّد علاقة علمية راسخة مع والدنا المؤرخ هارون ولد الشيخ سيديا (ترجمته في الصفحة الموالية)، واستمدّ منه معلومات وافية عن تاريخ موريتانيا، وأقام معنا فترات طويلة عكف خلالها على تصوير جميع مخطوطات مكتبتنا العائلية، واستفاد منها في أطروحته للدكتوراه التي أعدها سنة 1970م؛ فحفظ بذلك من الضياع تراثا غنيا ويسرّ سُبُل الانتفاع به. راجع: كتاب الأخبار، ج 1، ص 24. وكذلك ج 2، ص 48 وأيضا ص 74.

طالب، كرم الله وجهه⁽¹⁾. وهو ما تؤكد كذا الوثيقة المدرجة صورتها، وقد خطتها يد علامة موريتانيا الأبرز الشيخ محمد سالم ولد عدو (رحمه الله)، وذلك إبان تقلده منصب رئيس المحكمة العليا في موريتانيا.



وقد أخطأ صاحب كتاب "الوسيط في تراجم أدباء شنقيط" فذكر - خلافا للحقيقة - أن نسب الشيخ سيديا الكبير «يرجع إلى تندغ، ثم إن فخذ أولاد انتشايث كذا»⁽²⁾، وهذا الخطأ لم يمنع والدنا المؤرخ هارون⁽³⁾ ولد الشيخ سيديا من

1- كتاب الأخبار، ج2، ص46.

2- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص240.

3- هارون ولد الشيخ سيديا (بابه) ولد الشيخ سيدي محمد ولد الشيخ سيديا الكبير: أحد أبرز أعلام وقته وأكثرهم مثابرة واجتهاداً في البحث العلمي. درس على شيوخ أجلاء من أهل بلده، وزاد على ذلك مطالعته العديدة التي سهلها عليه جمعه أكبر رصيد من مكتبة والده وجدّه المعروفة بتألقها، واقتناؤه معظم ما نشر من المطبوعات العربية الصادرة في حياته. سافر

الاعتراف لصاحب الوسيط بالريادة وفضيلة السبق؛ فقال في معرض حديثه عنه وعن كتابه: «وهو أول من اعتنى بذكر غير قبيلته، فله فضيلة السبق ... وجرى لأولاد أبييري فيه [يعني كتاب الوسيط] ذكر غير مَرَضِي، ولكنه يُغتفر في جنب ما أفاد ... ولو أن كل قبيلة أخذت ما كتبت عنها وزادته بما ينبغي أن تزيد به لتكامل كتاب أدب عن موريتانيا»⁽¹⁾. وهذا القول يذكر بما ينبغي التنبيه له عند النظر في كتاب "الكشاف" للعلامة جار الله الرمخشري إمام الفصاحة والبلاغة صاحب التصانيف النافعة في النحو واللغة والأدب، فقد نبّه العلماء على ما فيه من الزلل، كنصرة مذهبه الاعتزالي، وكلامه في بعض القراء، ولولا ذلك لعدّ كتابه آية، واتفقت عليه كلمة الجماعة؛ فعلى الناظر فيه مراعاة ذلك، وحمل كلام العلماء فيه على هذه المسالك.

ومردُّ هذا الغلط الذي وقع فيه صاحب الوسيط وتبعه فيه آخرون، هو الخلط بين نسب انتشايت الحفيد (ولد امرباط مكة) ونسب سميّه جدّه لأُم: انتشايت ولد مَحَمّ (من شرفاء تندغة)؛ فقد نشأ انتشايت ولد امرباط مكة في حي أحواله من قبيلة تندغة

كثيرا في سبيل أبحاثه التاريخية فجمع من الوثائق والآثار ودوّن من الروايات الشفهية وأثار من ردود كبار معاصريه على أسئلته ما لا يحصى. عمل في سلكي التعليم والقضاء قبل أن يتفرغ للبحث والتأليف، له عدة مؤلفات تربو على العشرين من أبرزها مدونة "كتاب الأخبار" التي تكاد أن تكون قد حوت مجمل التاريخ الموريتاني، وقد طبعت منها أجزاء قليلة بجهود شخصي من ابنه بابّه، ومن مؤلفاته الأخرى: كتاب الشروط، إحياء الموات، ثبوت الأهلّة، المسائل الخمس في النكاح، تهذيب شرح عبد القادر ولد محمد ولد محمد سالم المجلسي للوسيلة، حاشية على طرة المختار ولد بونّه الجكني على ألفية ابن مالك. توفي (رحمه الله) سنة 1977.

1- كتاب الأخبار، هارون ولد الشيخ سيديا، الشركة الإفريقية للطباعة والنشر، انواكشوط - 1998م، ج1، ص16.

وفيه تزوج وتوفي، وقد عاد أولاده الثلاثة بقيادة أبابك إلى أهلهم من أولاد أبييري بعد وفاة أبيهم.

أما والددة الشيخ سيدنا الكبير فهي عائشة الملقبة "أم المؤمنين" بنت أَلْفَغ عُبِيد⁽¹⁾ ولد الفال (بلامين مغلظتين مع إدغام، أي الفاضل) ولد أَبَابُك (أبوبكر)، حيث يلتقي نسب أبيه؛ وأحوال أمه بطن إدْبَعَمَر (أولاد عمر) من قبيلة "أولاد أبييري" كذلك. وأم أبيه المختار: تنوازل منت عبدالله ولد أبابك؛ حيث تلتقي معه في النسب. وأم جده الهيبه: اخويديجه منت بوتف، من قبيلة الشقرويين الشرفاء. وأم جد أبيه أحمد دولة: مريم منت أحمد ولد الفال ولد امربط مكّه؛ حيث تلتقي معه في النسب. وأما أبابك وانتشايت فأم كليهما من قبيلة تندغة، كما أسلفنا.

وقد كان مولد الشيخ سيدنا الكبير في الضواحي القريبة من البئر التي سيحفرها لاحقا في الرّيع المسمى "بوتلميت"⁽²⁾ التي تشير الوثائق إلى أن أبناء أبابك ولد انتشايت كانوا قد اشتروها من قبيلة (تَنَّاك) بُعيد وفاة والدهم.

1- أَلْفَغ (وهو أشفع أيضا) لفظ بربري أصله الفقيه، وهي منزلة علمية ومرتبة اجتماعية عالية.
2- تأسست مدينة "بوتلميت" الحالية حول البئر التي حفرها الشيخ سيدنا الكبير بعد عودته من رحلته العلمية الطويلة، وقد استمدت اسمها من نبتة صحراوية تعرف محليا باسم (تلميت).
«وقد مضى عليها زمان في حياة الشيخ سيدنا لا يصلها خائف إلا أمن، ولا فقير إلا استغنى، ولا جائع إلا شبع؛ فهي كقبة ذي الأعواد، وقد صدق الأسود بن يعفر في قوله: ولقد علمت سوى الذي حدثني = أن السبيل سبيل ذي الأعواد.» الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص464.

والأرجح أن مولده كان عام 1190هـ/1770م⁽¹⁾ وهو العام الذي وقعت فيه وقعة المرفق المعروفة في الحوليات الموريتانية⁽²⁾. وقد نظم بعضهم تاريخ مولده، فقال:

ووقعة المرفق عام "يُشفق" وُلد فيها العالم المحققُ
الشيخ سيدي إمام المغرب جميعه من عجم وعرب

ويرى العلامة المؤرخ محمد ولد مولود ولد داداه، أن مولد الشيخ سيدي الكبير لم يكن سنة 1770م بل كان سنة 1776م، في حين ذكرت بعض المصادر الفرنسية أنه ولد عام 1780م⁽³⁾.

ولا غرابة في اختلاف الروايات المتعلقة بتاريخ مولد الشيخ سيدي الكبير، فلم يكن للشناقطة الموريتانيين في عهده سجل للحياة المدنية يدونون فيه ولادة المواليد، وأسماء آبائهم وأمهاتهم، وأماكن ولادتهم، ووفياتهم، وغير ذلك، ولم يكن تعاطي معرفة التاريخ ديدنهم ولا عاداتهم، بل كانوا يؤرخون للسنة بذكر أبرز حدث فيها، فإذا لم يكن هناك حدث بارز عام أرخوا بأحداث دون ذلك مثل موت أحد العلماء العظام أو الأمراء أو قحط عام أو انتشار وباء معين. فإذا لم يكن شيء من ذلك أرخوا

1- راجع: كتاب الأخبار، ج1، ص235.

2- "المرفق" هو الموضع الذي حدثت فيه الوقعة الشهيرة بين البراكنة وبنو عمومتهم الترازة، وقُتل فيها بينيوك ولد منصور البركني، وأمير الترازة حينها اعل الكوري ولد أعمر ولد اعل شنظورة، الذي قتله جيش المامي عبد القادر سنة 1200هـ بعد أن استنجد به البراكنة عليه. راجع: كتاب الأخبار، ج2، ص196. وحوادث السنين (حياة موريتانيا)، المختار ولد حامد، تحقيق الدكتور سيدي أحمد ولد أحمد سالم، الناشر غير مذكور، الدوحة - 2009، ص197.

3- التاريخان المذكوران وردا في محاضرة للشيخ إبراهيم (المفتي) ولد يوسف ولد الشيخ سيديا، ألقاها في الدورة الأولى من مهرجان بوتلميت الثقافي، ضحوة السبت 12 ربيع الثاني 1439هـ الموافق 30 دجنبر 2017م.

بأحداث تختلف من منطقة إلى منطقة مثل عام الخصب، أو سنة الجذب، أو عام النيسانية، ويستثنى من ذلك تاريخ وفيات الأعيان؛ فمعاصروهم يؤرخون لوفياتهم، كثيرا للعلماء، وغالبا للأمرء المعروفين بعدلهم، وقليلًا لغيرهم. وقد كان مثل ذلك شائعًا في المنطقة كلها؛ فقد أطلق أهل المغرب اسم عام المشعلة على سنة ثلاث عشرة وستمائة، والمشعلة نبات معروف عندهم⁽¹⁾. كما أطلقوا اسم عام وقعة القاعة على سنة ست وخمسين وألف، وبها أرخوا لولادة المولى إسماعيل⁽²⁾.

ولو اقتصر الأمر على العامة لهان الأمر وسهل الخطب، لكن طبقة العلماء أيضا لم تكن تهتم كثيرا بتأريخ الأحداث بالزمن، حتى لتجد مؤلفًا ضخما لا يُستبان متى كان تأليفه، وإذا كتب مؤلفه تاريخ نهايته منه فإن الناسخ قليلا ما يهتم لذلك؛ وإذا تناولوا شيئا من ذلك بالتحديد أتوا به في بيت رجز مقيددين الحدث بحروف من رمز الجُمْل، مثل ما أسلفنا آنفا من تقييد بعضهم لمولد الشيخ سيدي الكبير، بأنه كان عام "المرفق"، ومثل قول أحدهم مؤرخا احتلال الفرنسيين لموريتانيا:

وَعَامَ "شَاكِس" عَلَى الْبَيْضَانِ قَدْ طَلَعَ الْكَافِرُ كِبْلَانِي

ولم يكن الشناقطة بدعا في تقييد الأحداث بحروف من رمز الجُمْل؛ فهذا ابن غازي المكناسي (ت 919هـ) يؤرخ لوفاة ابن مالك، فيقول:

قَدْ حَبَعَ ابْنُ مَالِكٍ فِي "حَبَعَا" وَهُوَ ابْنُ "عَه" كَذَا حَكَى مَنْ قَدْ وَعَى

وهذا أحدهم نظم تاريخ مولد ابن آجروم ووفاته؛ فقال:

قَدْ وُلِدَ ابْنُ آجُرُومَ عَامَ "حَبَعَ" وَ"جَكَذ" فِيهِ إِلَى اللَّهِ رَجَعَ⁽³⁾

1- راجع: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 3، ص 6.

2- المرجع السابق، ج 7، ص 46.

3- راجع: سلوة الأنفاس، ج 2، ص 127.

ومنه يتضح أن ابن آجروم قد وُلد في السنة ذاتها التي توفي فيها ابن مالك، فقليل: "توفي نحوي وولد نحوي"، ولقد كان هذا - من غير شك - خيرا مما قيل في ولادة عمر بن أبي ربيعة ليلة وفاة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وكان ابن أبي ربيعة قد أسرف في المجون والتعرض للحُرْم بشعره؛ فقليل في ذكر هذا الاقتران بين وفاة الفاروق وولادة الشاعر: "أيُّ حق رُفع، وأيُّ باطل وُضع!"، وهي عبارة تُعزى إلى الحسن البصري⁽¹⁾.

وقد استخدم ابن خلدون حساب الجُمْل في تحديد خطوط العرض التي تقع عليها المدن المطلة على الضفة الجنوبية مما يُعرف اليوم بالبحر الأبيض المتوسط، وبذلك يتضح أن هذه الخطوط التي لا يستغني عنها علم الجغرافيا كانت معلومة لدى العرب حينها⁽²⁾.

ويُذكر هنا أن حساب الجُمْل يختلف ما بين المشاركة والمغاربة تبعًا لاختلافهم في ترتيب الحروف الذي سبق ذكره.

المطلب الثاني

مساره العلمي والروحي

كرّس الشيخ سيديا الكبير جزءًا مهما من حياته لطلب العلم والعرفان، فترك الأهل والأحباب والأوطان، وخاض غمار مخاطر الأسفار الطويلة في الفلوات، وهضم النفس عن الشهوات والملذات، وتفرغ للبحث والتعلم، حسب تدرج محكم، إلى الأهم فالأهم، والمتمم فالأتم؛ فكان ثراء وتكامل مشربه العلمي والروحي على قدر طموحه وعزيمته، ومثابرته وهمته وهضمه النفس على قدر مآله وغنيمته، فهو كما قال

1- راجع: ذكريات مشاهير رجال المغرب، ص 423.

2- راجع: تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص 130.

المتنبي:

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ
وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعَظَائِمُ

وقد بدأ الشيخ سيدي الكبير مساره العلمي من "المحاضر" التي رأينا كيف يصعب على من لم يطلع على نظامها التعليمي أن يقدر مدى العزيمة والهمة العالية التي تحلى بها علماء شنقيط في مجابهتهم العوائق العديدة التي تحول عادة دون إنتاج علمي في بيئة صحراوية يغلب على أهلها الظعن وشظف العيش وانعدام الأمن.

الفرع الأول مساره العلمي

سنذكر فيما يلي مراحل طلبه العلم بشيء من التفصيل؛ لأن من شأن هذا أن يُبرز بيئته الثقافية، ويظهر جهوده في سبيل الدرس والتحصيل، ويصور ما كان عليه الرجل من عزم صادق وسعي دائب إلى العلم والمعرفة. ويمكن تمييز أربعة مراحل بارزة في المسيرة العلمية للشيخ سيدي الكبير، هي:

1. **مرحلة تعلم القرآن:** بدأت وهو في الثالثة عشر من عمره، أي سنة 1203هـ⁽¹⁾. وامتدت أربع سنين بمرباع قبيلته "أولاد أبييري"؛ حيث درس أولاً على خاله وسميه العالم الفاضل "سيدي ولد الفقيه عُبَيْد"، وكان سيدي هذا من العلماء والنحاة الذين تخرجوا بالعلامة المختار ولد بونّه الجكني، ومن المشاركين في وضع طرته الشهيرة على ألفية ابن مالك. ويُتوقع - حسب العادة - أن يكون

1- راجع: كتاب الأخبار، ج 1، ص 234.

الشيخ سيديا أخذ عن خاله هذا، أو عن غيره، من أهل بيته، بعض المتون التي تدرّس للناشئة في بدايات الطلب.

وما لبث الشيخ سيديا الكبير أن غادر بيئته الخاصة، إلى قبيلة تيمرگيون - وهي قبيلة فاضلة من قبائل الزوايا، مجاورة لمنطقته - ابتغاءً التفرغ للتحصيل، إثر نصيحة قدمها له أحد أكابر عشيرته، ممن عرف بالحكمة وحصافة الرأي. ولا يمكن تحديد سنّه يومئذ، إلا أنه يمكن الزعم أنه في حدود الخامسة عشرة من عمره، على وجه التقريب. فمكث فيهم أربع سنوات أتقن خلالها دراسة القرآن حفظاً ورسمًا وضبطاً وتجويداً بمقرّر الإمام نافع المدني من روايتي ورش وقالون عنه. وقد تولى تدريسَه القرآن في هذه المرحلة ومنحه الإجازة فيه شيخه الطالب الأمين ولد الطالب المختار الذي يروى أن القرآن الكريم كان يُكتب كاملاً يوميًا، في محضرته، موزّعاً بين الألواح، من كثرة طلابه.

2. مرحلة تعلم علوم الآلة: امتدت ثلاث عشرة سنة في آبار قبيلة "إيدوعلي" وهي الآبار المعروفة محليا بالعُقل؛ فبعد حصوله على الإجازة في القرآن، توجه -مثلما هي عادة طلاب العلم في منطقته- لطلب علوم الآلة من لغة ونحو وبلاغة ومنطق... وهي ما يسمى بالعلوم العقلية التي كان من التقاليد المعرفية السائدة حينها أن يتدبّر بها الطالب دراسته قبل الفقه وغيره؛ ليتسنى له بها فهم النصوص الشرعية من فقه وأصول وسنة وتفسير.. ذلك أن مدارك الطالب وآفاقه المعرفية ستكون أكثر استعدادًا لفهم الأسس والقواعد التي بُنيت عليها الأحكام الفقهية وتأويلات الفقهاء واجتهاداتهم.

وقد حلّ الشيخ سيديا بمحظرة العلامة "حُرْمَة ولد عبد الجليل العلوي" (ت1243هـ)، وهو حينها في السابعة عشر من العمر، وذلك سنة 1207هـ⁽¹⁾.

1- راجع: كتاب الأخبار، ج1، ص234.

فأخذ عنه علوم العربية نحواً وصرفاً ولغةً وبلاغةً، كما أخذ عنه العقيدة الأشعرية والمنطق. وهناك معلومة تفيد أنه أخذ عنه القراءات السبع، وأن حرمة (رحمه الله)، كان قد أخذ الإجازة فيها من مدينة شنقيط⁽¹⁾، والذي لا شك فيه أن الشيخ سيدي بلغ القمة في علوم المقرء، كما سيتضح فيما بعد من خلال مؤلفاته وفتاواه في هذا المجال.

ولم يرحل الشيخ سيدي من عند العلامة حرمة ولد عبد الجليل إلا بعد أن أربى على الغاية في إتقان العربية وعلومها، فكان يقول إنه أحسن كأنها أصبحت له جبلةً وشنشنةً راسخة⁽²⁾.

وخلال درسه للنحو والصرف عند هذا الشيخ نقل ثمة كتاب المساعد لابن عقيل على تسهيل الفوائد لابن مالك - وقد كان يحفظ التسهيل عن ظهر قلب - ولما فرغ من نسخه واستنساخ بعضه كتب في خاتمته بيده ما لفظه: "فرغ من كتابة هذا الجزء منه بعون ذي الجلال يوم السبت لثلاث عشرة بقيت من شوال عام 1219 كاتبه لنفسه، ثم لمن شاء الله بعده؛ سيدي بن المختار بن الهية بن أحمد دولة الانتشائي ثم الأبياري كان الله له ولوالديه ولجميع المسلمين ولياً ونصيراً. آمين"⁽³⁾. كما كتب هنالك أيضاً شرح المقصور والممدود لابن مالك، وأرخ فراغه من كتابته بعشية السبت ليلة خلت من ربيع الثاني عام عشرين ومائتين وألف. وهي السنة ذاتها التي فرغ فيها من شرحه لمقصورة ابن دُرَيْد، وأرخ فراغه

1- وردت هذه المعلومة ضمن محاضرة العلامة إبراهيم (المفتي) ولد يوسف ولد الشيخ سيديا، المذكورة قبل.

2- راجع: كتاب الأخبار، ج 1، ص 69.

3- مازال هذا الكتاب بذاته محفوظاً في مكتبتنا العائلية. وبين تاريخ الفراغ من كتابته وتاريخ مولد كاتبه تسع وعشرون سنة.

منه بيوم الخميس لأربع أو ثلاث بقين من ربيع الثاني عام 1220، كما هو مثبت في أصل الكتاب الموجود في مكتبتنا العائلية، لله الحمد.

وكانت مدة إقامته عند "الشيخ حرّمه" ثلاث عشرة سنة، كان فيها الطالب النهم، المشمر عن ساعد الجد والتحصيل، والشاب الذي نشأ في طاعة الله، حيث لم يُعلم أنه ارتكب خلاف الأولى، فضلا عن المكروه. وكان فيها التلميذ المهذب المؤدب الذي يحرص على مكارم الأخلاق، ومعالي الشيم، ويخلص في خدمة شيخه وإعانتته في تلك البيئة القاسية.

وقد ختم هذه المرحلة بقصيدته البائية الشهيرة التي وجه فيها النصح لإخوانه من طلبة العلم، يحثهم فيها على الاجتهاد في طلب العلم، والانقطاع له، ويحضهم على التحلي بالفضائل ومكارم الأخلاق، والطموح إلى معالي الأمور، ومطلعها:

أَيَا مَعْشَرَ الإِخْوَانِ دَعْوَةٌ نَادِبٍ إِلَى الْحَقِّ وَالْمَعْرُوفِ لَيْسَ بِكَاذِبٍ
أَعِيرُونِي الْأَسْمَاعَ أَهْدِي إِلَيْكُمْ وَصِيَّةَ صَافِي النَّصْحِ غَيْرِ مُخَالِبٍ

ويُقال إن هذه القصيدة هي أول شعر قاله، وقد جمعت كثيرا من الحث على مكارم الأخلاق وما ينبغي للإنسان أن يتخلق به⁽¹⁾.

وقد أتقن الشيخ سيديا خلال هذه المرحلة جملة المباحث النحوية واللغوية والبلاغية وغيرها، فأذن له شيخه العلامة حرمة في الانصراف، بعد أن شهد له بإتقان العربية.

3. مرحلة تعلم الفقه: بعد أن أتقن العلوم العقلية المعروفة بعلوم الآلة في "محظرة" شيخه العلامة "حُرّمه ولد عبد الجليل العلوي"، اتجه نحو محظرة أخرى عُرفت

1- راجع: كتاب الأخبار، ج 1، ص 55.

أساسًا بالتعمق في الدراسات الفقهية وما يتعلق بها، وكانت لها بذلك شهرة عمت موريتانيا، ألا وهي "محاضرة أهل حبيب الله ولد القاضي" من قبيلة إيديجبه، حيث درس في هذه المحاضرة المعروفة علما باسم "الصِّفْرَة والكَحْلَة"⁽¹⁾ الفقه وقواعده على شيخها العلامة الفقيه حبيب الله ولد القاضي⁽²⁾ وابنه محمد محمود، ومكث معهما أربع سنوات في منطقة "بوطْلَيْحِيَّة" في الجزء الشمالي الغربي من آبار قبيلة إيديجبه، أتقن خلالها مختصر خليل وقواعد المذهب المالكي أيما إتقان، وذلك لذكاء التلميذ وعناية الشيخين. وكان مقدمه على هذه المحاضرة سنة 1221هـ، وهو حينها ابن ثلاثين سنة⁽³⁾.

ومن الجدير بالملاحظة أنه لا بدّ أن يكون قد درس متونا فقهية أخرى على شيخه حرمة، وربما يكون من بينها مختصر خليل، إلا أنه أراد أن يدرسه في محاضرة حبيب الله المتخصصة فيه وفي متون الفقه المالكيّ عموماً؛ إذ يُستبعد أن يكون اقتصر على علوم العربية والعقيدة والمنطق طوال هذه المدة عند شيخه حرمة الذي كان عالماً متفنناً، وإن غلبت عليه العربية. كما أنه ينبغي أن يُعلم أنه كان يحضر دروس شيخه في كل الفنون، ويشهد حلقاته المختلفة التي يدرس فيها طلاباً آخرين، من مستويات مختلفة؛ وهكذا حال الطلبة الحراس على العلم

1- استمدت محاضرة «الكحلة» العريقة اسمها من لون الخيمة التي كانت مقراً للتدريس، وهي مصنوعة من وبر الضأن الأسود، والسوداء في اللهجة الحسانية تسمى (كَحْلَة). وكانت في بداية أمرها مختصة بالدراسات الشرعية (قرآن - فقه - أصول) ثم أنجبت محاضرة «الصفرة» التي اختصت بالدراسات اللغوية (نحو - صرف - بلاغة) والتي استمدت اسمها أيضاً من لون خيمة التدريس المصنوعة من وبر الإبل ذي اللون المائل للصفرة.

2- عالم فقيه شيخ محاضرة الكحلاء العريقة. له مؤلف (المعين) في الفقه. توفي سنة 1240هـ/1825م. راجع: بلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص511.

3- راجع: كتاب الأخبار، ج1، ص234.

والتحصيل، في كل زمان ومكان، الذين يُعدّ صاحبنا في طليعتهم. كما أنه من المستبعد جدا، أو المستحيل أن لا يكون قد درس الفقه، وقد تجاوز الثلاثين من عمره! بل الذي تطمئن إليه النفس أنه أراد في محظرة الكحلأ والصفرأ دراسة الفقه تخصصا وتوسعا وتفرغا، بعد أن استكمل دراسة سائر العلوم.

4. مرحلة الاطلاع على المكتبات والتفرغ لاستكناها واستنطاقها: لم يكتف

الشيخ سيديا وهو النهم في العلم، الطُلعة إلى المعرفة، بهؤلاء الشيوخ الذين أخذ عنهم في محيطه وأتقن العلوم التي يُدرسونها، بل سمت به همته إلى الاطلاع على المكتبات والتفرغ لدراستها والاستفادة منها؛ فانتقل سنة 1224هـ وهو ابن أربع وثلاثين سنة⁽¹⁾، في سفر بعيد قاده من منطقة "البراكنة" - حيث محظرة الكحلأ والصفرأ - إلى مدينة "تيشيت" التاريخية، في أقاصي أرض تكانت، فلبث فيها سنة كاملة يطالع الكتب ويؤلف الشروح في خزانة كتب آل عبد المؤمن الشرفاء الذين أكرموا أيما إكرام. ثم بعد فراغه من تأليفه، ومن النظر في تلك الخزانة العامرة المملأى بالمخطوطات النفيسة، توجه إلى مدينة "ولاتة" التاريخية في أقصى الجنوب الشرقي من بلاد الحوض صحبة القوافل المتجهة إليها من تيشيت، فأقام بها ردحا من الزمن حتى حصل ما يمكن أن يحصله من علمائهما ومن الاستفادة من مكتباتها، ومنها انطلق أيضا مع القوافل مارا بمدينة "تنبكتو" في "أزواد" من بلاد الدولة المالية الحالية، قاصدا الشيخ سيدي المختار ولد

1- راجع: كتاب الأخبار، ج1، ص234.

سيدي أحمد ولد سيدي أبي بكر الكنتي ثم الوافي⁽¹⁾؛ لتبدأ مرحلة جديدة من مسيرة حياته.

الفرع الثاني مسار الروحي

سبب توجه الشيخ سيدي الكبير إلى الشيخ سيدي المختار الكنتي هو أنه كان في مدينة "تيشيت" خلال مُقامه بها شيخان معروفان بالعلم والصلاح، فاستشار أحدهما وقصَّ عليه قصته ومراحل طلبه للعلم، قائلاً: "هل ترى أن أذهب إلى أهلي لعلَّ الله ينفعهم بي، أم أذهب إلى هذا الشيخ (الشيخ سيدي المختار الكنتي)، فقال له: "لا أرى لك حاجة إلى الاستزادة الآن، أرى أن تعود إلى أهلك فتبث فيهم ما حصّلت من العلم والله ينفع بك هناك". واستشار الشيخ الآخر فقال له: "البحر لا يملُّ الزيادة، أرى أن تذهب إلى هذا الشيخ لعلك تدرك منه (من حياته) ما ينفعك الله به"؛ فعقد الشيخ سيدي العزم على أن يلتحق بالشيخ سيدي المختار الكنتي.

ومن مدينة "ولاتة" انطلق مع القوافل مارّاً بمدينة "تنبكتو" في "أزواد" من بلاد الدولة المالية الحالية، ولما وصل الشيخ سيدي إلى الشيخ سيدي المختار الكنتي أعطاه ورده القادريّ المختاريّ، وأصبح الشيخ سيدي قافلاً من الغد إلى وطنه، وذلك سنة 1225هـ وهو حينها ابن خمس وثلاثين سنة⁽²⁾. ثم إن الشيخ سيدي

1- الشيخ سيدي المختار الكنتي: أحد أبرز علماء بلاد شنقيط ومشايخها، نشر الطريقة القادرية وتلمذ عليه كثيرون، وله مصنفات كثيرة. ولد سنة (1142هـ/1730م) وتوفي سنة (1226هـ/1811م). راجع: بلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص517.

2- راجع: كتاب الأخبار، ج1، ص234.

المختار أخبر بمكانة الشيخ سيدي العلمية، فأرسل في إثره رسولا بيده خطابٌ منه يسأله الرجوع إليه، بعد أن قطع أشواطاً في طريق العودة، فأدركه الرسول، فائثنى راجعاً، ولبت في حضرته ست عشرة سنة، منها خمسة أشهر في حياة الشيخ سيدالمختار⁽¹⁾، والباقي في حياة ابنه الشيخ سيد محمد الخليفة⁽²⁾، وابن ابنه الشيخ سيدي المختار الصغير الملقب بادي، بتفخيم الباء. وكانت هذه المدة ما بين أوائل عام 1225هـ الموافق لسنة 1811م وأواخر عام 1242هـ الموافق لسنة 1827م.

وعند آل الشيخ سيدي المختار تلقى الشيخ سيدي الطريقة والأوراد الصوفية القادرية والاختيارات المختارية عن الشيخ سيدي المختار نفسه وعن ابنه الخليفة، كما اشتغل عندهم بالتدريس والإقراء، والمطالعة ونسخ الكتب لنفسه. وهناك حصّل فنونا علمية وجد جملة من مصادرها كالتفسير والحديث، فأدمن النظر فيها مطالعة وبحثاً، ودّرّسها في حلقاته العلمية بالحضرة⁽³⁾ المختارية؛ ومن ذلك مثالا لا حصراً أن سيدي أحمد البكاي ولد الشيخ سيدي محمد ولد الشيخ سيدي المختار قد قرأ على الشيخ سيدي جامع المختار ولد بونه الجكني،

- 1- توفي الشيخ سيدي المختار الكنتي (رحمته الله)، ضحوة الأربعاء لخمس ليال خلون من جمادى الأولى عام 1226هـ، (29 مايو 1811م). راجع: كتاب الأخبار، ج1، ص76.
- 2- توفي الشيخ سيدي محمد الخليفة ولد الشيخ سيدالمختار (رحمته الله)، ظهر الجمعة منتصف ربيع الأول عام 1242هـ (12 مايو 1826م). راجع: كتاب الأخبار، ج1، ص215.
- 3- "الحضرة" كلمة تدل في الاصطلاح الشنقيطي على مستقر الشيخ في حيه المتنقل، فهي مرادفة لما يدل عليه مصطلح "الزاوية" في سائر العالم العربي والإسلامي. ولعلّ عدول الشناقطة عن مصطلح (الزاوية) عائد إلى أن جمعها (زوايا) وهو ما يحيل في السياق الشنقيطي إلى فئة بذاتها لا إلى دور العبادة والتعليم.

المسمى (الجامع بين التسهيل والخلاصة المانع من الحشو والخصاصة)، وكان الشيخ سيدي ماهرًا به غاية، فقد أخذه عن أستاذه حرّمه ولد عبد الجليل العلوي الذي أخذه عن المؤلف نفسه⁽¹⁾. كما نسخ ما أمكنه من المخطوطات في تلك الناحية، فضلًا عن جمعه وتحصيله لعامة تراث آل الشيخ سيدي المختار الديني والأدبي.

وقد قوّيت صلّات الشيخ سيدي بأشياخه وبقبيلتهم العربية القرشية الكريمة، وبتلامذتهم ومن في حضرتهم، وأحبهم وأحبه، ووصفوه بالأوصاف الجميلة. ومدحهم هو بدوره بالمدائح الرائقة، ورثاهم بالمراثي الفائقة. وكانت تلك الآثار الشعرية البديعة جارية على طريقة القوم، في اصطلاحاتهم ورموزهم وإشاراتهم ومفاهيمهم، مطابقة في أساليب المدح والثناء لمألوف الخطاب الشعري الصوفي السائد، منذ قرون، بأغلب أصقاع الإسلام.

وما لبث الشيخ سيدي بعد وفاة الشيخين أن صار محكّمًا في الحضرة الكنتية، متصدرًا في تلك الناحية، مسموع الكلمة بها. وقد أخذ عنه العلم فيها والأوراد الصوفية خلّاقًا لا يُحصَوْن. وقد اتفقت "حضرة أهل الشيخ سيدي المختار على أنها لم يخرج منها مثله، بل قد قال بعض حفدة الشيخ سيدي المختار إنهم لم ينتفع منهم أحد بعد ذهاب الشيخ سيدي عنهم ... وسترى أسماء رجال منهم أخذوا الطريقة عنه وصرّحوا بأنهم من تلاميذه"⁽²⁾.

1- راجع: كتاب الأخبار، ج 1، ص 139.

2- المرجع السابق، ج 1، ص 23.

الفرع الثالث

عودته من رحلته العلمية الصوبلة

في أواخر سنة 1242 هـ أو أوائل التي تليها⁽¹⁾، وصل الشيخ سيدنا إلى مضارب قبيلته أولاد أبييري ومسقط رأسه، بعد رحلة علمية دامت قرابة ثمانٍ وثلاثين سنة. وإذا ما حُسبت المددُ التي استغرقتها الأسفار في طلب العلم، في أرض القبلة والبراكنة وتكانت والحوض وأزواد، وأضيفت إليها المدة التي استغرقتها سفر العودة والمروور بشنقيط أثناءها، صحَّ أن يقال إن مجموع مدة رحلته العلمية أربعون سنة، على وجه التقريب؛ وبهذا تكون أطول رحلة علمية عرفت في هذه البلاد، بل وفي أكثر حواضر الإسلام قديما وحديثا.

وقد أشاد بهذه الهمة العالية والرحلة العلمية الطويلة الشاقة جماعةً من فحول الشعراء نذكر منهم ابن حنبل وابن أحمد دأَمَ الحسنيين، وهما من أجلاء تلامذة الشيخ سيدنا الكبير، كما هو معلوم.

يقول الشيخ محمدُو ولد حنبل الحسني، في مقطع من قصيدة له طويلة:

لَمَّا رَأَى أَنَّ الْمَعَالِيَّ صَعْبَةٌ	لَا تَسْتَقِيدُ إِلَى الضَّعِيفِ الْوَانِي
بَسْلٌ ⁽²⁾ عَلَى مَنْ لَا يُجَشِّمُ نَفْسَهُ	جَمَرَ الْغَضَا وَعَوَالِي الْمُرَّانِ
نَصَبَ الرَّحَالَ عَلَى رَوَاحِلِ هِمَّةٍ	مَا شِيبَ دَائِبُ سَيْرِهَا بِتَوَانِ
عِيسٍ أَحَنَّ إِلَى الْهَوَاجِرِ وَالشُّرَى	مِنْهَا إِلَى الْأَعْطَانِ وَالْأَوْطَانِ
مَا زَالَ يُقْحِمُهَا الْمَفَاوِزَ مَاضِيًا	كَالْعَضْبِ يَوْمَ تَصَاوُلِ الْأَقْرَانِ

1- راجع: كتاب الأخبار، ج 1، ص 233-234.

2- أي حرام.

حَتَّى أَنَاخَ إِلَى خِضَمِّ خِضْمٍ رَحِبِ الشَّرَائِعِ وَاسِعِ الْأَعْطَانِ
فَسَقَاهُ كَأْسَ الْمَالِكِيَّةِ مُزَّجَتْ بِالقَادِرِيَّةِ سِرِّهِ الْمُصْطَطَانِ...

ويقول سيدي عبد الله ولد أحمد دَامَ الحسنِي:

رَأَاهُ ذُو الْعَرْشِ عَالَمُ الْغُيُوبِ لَذَا أَهْلًا فَسَاقَ لَهُ مِنْ قَبْلِهِ سَبَبَهُ
عِلْمًا وَفَهْمًا يَصِيدُ الْمُشْكِلَاتِ بِهِ دَرْكَ الطِّمَرَةِ مِنْ سِرِّبِ الْمَهَا عَطَبَهُ
وَمَصَّ كُلَّ دُرُورٍ مِنْ مُسْلَسَلَةٍ دُرًّا تَخَيَّرَهُ لِلْمُلْكِ مَنْ ثَقَبَهُ
لَمَّا تَغْلَغَلَ فِي عِلْمِ الشَّرِيعَةِ مِنْ صَافِيهِ أَعْمَلَ فِي نَيْلِ الْعُلَا نُجْبَهُ
شَدَّ الرِّحَالَ عَلَى عُتْقِ الرِّكَابِ إِلَى تَاجِ الْأَجَلَّةِ مِنْ سَادَاتِنَا النُّحْبَهُ
فَنَالَ مَا نَالَ إِذْ حَطَّ الرِّحَالَ وَمَا أَذْرَاكَ مَا نَالَ، يَا وَاهَا لَهَا رُتْبَهُ.

وليس هذا سوى غيض من فيض من مدائحه الرائقات، إذ لا يسعها مجال الكتب والمؤلفات، ويكفي التنويه إلى أن الأوساط الشعبية في شتى أنحاء بلاد البيضان قد جعلت منه مضرب مثل وغاية للسمو وعلو الشأن.

والحق أن الشيخ سيديا الكبير بلغ من العلم، والجد في تحصيله، مبلغا تتقاصر عنه الهمم، وتستحضر دونه القوى؛ إلى ما كان عليه من الورع الشديد، ومجاهدة النفس والتقوى، ومكابدة العبادة، ومقاساة الشدائد في بلوغ القمم العالية التي تسوقه إليها العناية الربانية عبر نفس طموح، وهمة جموح. وبذلك أصبح أول شخص من أبناء أسرته ذهب في هذا الاتجاه، إذ لم تذكر المصادر أحدا منهم أحرز شهرة علمية قبله، وإن كانت حفلت بعده بذكر ما أحرزه أبناؤه من شهرة علمية تأصلت فيهم، ويطول بي القول لو أردت أن أقف عند كل واحد منهم، وفي هذا المقام علينا أن ندرك أن الانتماء يحدد أحيانا مجالات الاختيار.



رسالة بخط الشيخ عبد الله ولد داداه، موضحاً فيها أن الرحلة العلمية للشيخ سيديا الكبير، دامت أربعين سنة. والرسالة موجهة إلى والدنا المؤرخ هارون ولد الشيخ سيديا، الذي وثّق تاريخها بخطه وأتبع ذلك عبارة (وإرسال ثلاثة أجزاء أُخرى)؛ إذ كان كلما فرغ من جزء من موسوعته التاريخية (كتاب الأخبار) أرسله إلى الشيخ عبد الله، مستطلعاً رأيه في فحواه. راجع: كتاب الأخبار، ج1، ص29.

وقد أمدّني بهذه الوثيقة القيّمة شيخي وقُدوتي: الشيخ سيديا ولد عبد الرحمن (الحكومة) ولد الشيخ سيديا الكبير؛ وذلك ليلة 20/07/2017 في حاضرتهم المباركة قرب "تيدّملين" شمالي بوتلميت.

المطلب الثالث

مكانته الاجتماعية

تزامنت عودة الشيخ سيديا الكبير من نجعته الطويلة إلى مسقط رأسه مع وضعية سياسية واجتماعية سيئة؛ فعلى المستوى السياسي كان الصراع محتدماً بين إمارتي الترازة والبراكنة، وكان الاستعمار الفرنسي على التخوم يُذكي الخلافات بين الإمارات ويشعل الصراعات الداخلية والاضغاث السياسية والظلم والنهب الذي تمارسه المجموعات الحسانية المتغلبة؛ فأخذ في إصلاح هذا الوضع من خلال مستويات من الإصلاح السياسي والتعليمي والاجتماعي والفكري.

الفرع الأول

تأسيس حاضرة بوتلميت واتخاذها موطناً معنوياً

حين عاد الشيخ سيديا الكبير إلى بلاده بعد رحلته العلمية الطويلة، عالماً منتهياً في شتى العلوم الشرعية والأدبية، وولياً كاملاً عارفاً بأسرار القلوب والمعارف الربانية، وحاملاً مشروع إصلاح مجتمع أنهكته الفتن والظلم والحمية الجاهلية؛ تلقاه قومه أولاد أبييري بما هو أهله من التبجيل والتكريم، فكان يحل بالحي منهم فيجد الآذان صاغية لدعوته الإصلاحية والقلوب مطمئنة للاستنارة بتوجيهاته السنية⁽¹⁾، فسأل إبان مقدمه عن بلدة مَوات لا منار فيها لأحد، ولا دعوى، فدلّه بعض أكابر قومه على موضع بوتلميت الحالي، فاختره موطناً معنوياً. وكان هذا الموضع يُدعى من قبل وادى الفيلة، بما كان غابة أو غيضة ملتفة تأوي إليها فيلة ذات أُجُرٍ. فحاز الأرض، وبدأ

1- راجع: كتاب الأخبار، ج2، ص8.

بتأسيس مسجده، وبحفر بئرها، وبناء دار الكتب بها؛ وكان ذلك آخر سنة 1242 للهجرة أو مستهل 1243هـ.

واختيار الشيخ سيديا الكبير اسم (بوتلميت) ليسم به المكان الذي اتخذ موطنًا ومقرًا لحضرته نابع من اسم نبتة تُعرف محليًا باسم (تلميت) كانت تكثر في المنطقة حينها، وقد أصبح من النادر الآن رؤيتها.

ولا أستبعد أن يكون للتسمية علاقة بالتفاؤل والتبرك باسم (تلميت) الذي هو لمتونة⁽¹⁾ الجد الجامع للقبيلة الصنهاجية المشهورة التي ينتمي إليها أحد أهم أمراء دولة المرابطين التي كان لها دور مشهود في التاريخ الإسلامي، أعني يوسف بن تاشفين الذي "اتفق على تقديمه أشياخ المرابطين لما يعلمون من دينه وفضله وشجاعته وحزمه ونجدته وعدله وورعه وسداد رأيه ويمن نقيته"⁽²⁾، وهو الذي وصفه مؤرخ المملكة المغربية بأنه "من خيرة ملوك المغرب عدلا وديانة وحسن سيرة ومضاء عزيزة وبُعد همة"⁽³⁾؛ فهو "يوسف ابن تاشفين بن إبراهيم بن ترقوت بن ورتانطق بن منصور

1- راجع: قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، ص171. وصبح الأعشى، أبو العباس أحمد القلقشندي، طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة - 1922، ج5، ص189. وتاريخ ابن خلدون، ج6، ص242، وفيه جعل أولى تائي (تلميت) ثاءً. وبغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، أبو زكرياء يحيى ابن خلدون، طبعة الجزائر - 1903، ص26. ويحيى ابن خلدون هو شقيق المؤرخ الأشهر عبد الرحمن بن خلدون، وهو مؤرخ مثله، لكن الشهرة والاسم بقيا لعبد الرحمن مع أن يحيى له إسهامات تاريخية جلية.

2- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، علي بن أبي زرع الفاسي، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط - 1972، ص134.

3- الروض الهمتون في أخبار مكناسة الزيتون، ص26، حاشية 39.

بن مصالة بن أمية بن واطملي ابن تلميت الحميري الصنهاجي، من ولد عبد شمس بن وائل بن حمير⁽¹⁾. ومعنى "تلميت" بلغة صنهاجة "الضباب"⁽²⁾.

بعد عودة الشيخ سيديا الكبير إلى موطن قبيلته بعد رحلته العلمية التي دامت أربعين سنة، تزوج ابنة عمه السيدة الفاضلة، محجوبة الملقبة أمّاه بنت عالي ولد عبدي ولد المصطفّى ولد مَحْنُضَلَّ⁽³⁾ ولد امرابط مكة ولد أبييري، حيث أنجبت له ابنه الوحيد، وخليفته الفريد، الشيخ سيدي محمد، الشاعر المجيد، والعالم اللوذعي الأريب، والمريد الناصح اللبيب.

وقد كان من الطَّبَعِيّ أن يكون المجتمع البدوي القبلي متناثرا في مساقط القطر ومنابت الكلا، في أرض شحاح كهذه، وأن يكون للحروب وظاهرة السبية أيضا يدٌ في تفرق العشيرة الواحدة، بل البطن الواحد، بحثا عن الحلف والأمان، فكان من أولويات الشيخ سيديا جمع شتات قومه، ليكون نواة حضرة قوية جامعة، وقال لهم في ذلك كلمته المشهورة: "املاؤا لي هذه الكثبان من الخيام العُبر، أملاؤها لكم من المال والرجال"⁽⁴⁾. وفعلا صدقت جملة جواب الأمر، ولله الحمد.

1- راجع: الأنيس المطرب، مرجع سابق، ص136. وقد ورد فيه لفظ (تليت) بدلا من (تلميت) التي أوردتها المصادر الأخرى؛ فلعلّ الميم سقطت سهوا.

2- راجع: تاريخ بلاد شنقيطي، ص45 وما بعدها. والبيان المغرب، ج3، ص14.

3- مَحْنُضَلَّ وأخوه محمد ابنا مرابط مكة مدفونان على كتيب (أفغيل) الواقع جنوب شرقي (تندگسّم) التي يُرجع امحمد ولد أحمد يورّه أصل تسميتها إلى استيطان (إدگسّم) لها، وهم فخذ من أولاد أبييري قبيل الشيخ سيديا. راجع: المدافن الشمشوية بإيگيدي، تحقيق: الدكتور الأمير ولد آكاه، ص25.

4- كتاب الأخبار، ج2، ص23.

عاد الشيخ سيدي محملا بالعلم والعمل والصدق والإخلاص، والاستعداد الكامل للبذل والتضحية والعطاء، بعد أن أعدته العناية الربانية لتحمل الأعباء العظام، والنهوض بالمسؤوليات الجسام، فإن الله سبحانه أقام الحجة على الناس بالرسول الذين أرسلهم مبشرين ومنذرين ليذللوا الناس على الطريق الذي يرتضي منهم، فما من أمة إلا وفُرِط فيها رسول دعاها إلى ما يرتضيه منها خالقها سبحانه وتعالى، وعندما ختم الله رسالات الرسل إلى أهل الأرض جعل العلماء ورثة الأنبياء، فهم الحاملون لمشعل الحق الرافعون لواءه، يجاهدون في سبيله معلين كلمة الله بما يبذلون ويضحون، وقد يسرهم الله لذلك وأعانهم عليه، واختارهم اختيارا من بين خلقه، قال تعالى: ﴿وَرُبُّكَ يُخَلِّقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ۚ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾⁽¹⁾، وقال: ﴿مَا أَشْهَدْتَهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾⁽²⁾، فقد اختار الله من خلقه أمناه على الوحي الذين هم خلفاء الأنبياء وحملة هذا الوحي وأمناء الله عليه، وهم الموقعون عن رب العالمين تقوم بهم الحجة لله على الناس، وقد قال فيهم الإمام أحمد بن حنبل (رحمه الله): (ما أحسن أثرهم على الناس، وما أسوء أثر الناس عليهم). إن أولئك الذين ائتمنهم الله على الوحي واختارهم من بين الخلق لإقامة الحجة هم أمناه الله سبحانه وتعالى قد ارتضاهم لهذه الأمانة فلم يكن ليجعل وحيه بدار هوان، إنما يختار لوحيه من يصلح لأن يؤتمن عليه. ويُعَدُّهم الله لذلك إعدادا عظيما قبل أن يكلفهم بهذه المهمات، وقد انتبه لهذا الإعداد الشاعر سيدي عبدالله ولد أحمد دأم الحسني في بيت من قصيدته التي أوردت أنفا بعضا منها في وصفه الشيخ سيدي الكبير، رحمهم الله أجمعين، حيث يقول:

1- سورة القصص، الآية 68.

2- سورة الكهف، الآية 51.

رَأَاهُ ذُو الْعَرْشِ عَلَّامُ الْغُيُوبِ لَئِذَا أَهْلًا فَسَاقَ إِلَيْهِ قَبْلَهُ سَبَبَهُ⁽¹⁾

فالشاعر هنا قد انتبه إلى الاختيار الرباني للذين يأتمنهم الله على الوحي ويجعلهم أساطين الأرض، يقومون بالحجة لله؛ فيقولون كلمة الحق مدوية لا يخافون في الله لومة لائم، ويقومون لله بالقسط في عبادته؛ فيؤدون الحق الذي عليهم بعد أن تحمله فأخذوه من حِلِّه ووضعه في محله، وجاهدوا في سبيله.

وقد كان عشير الشيخ سيديا الكبير على المستوى اللائق بهم، فبايعوه والتفوا حوله، وأمدّوه بالنفس والنفيس؛ ولا غرورَ فهم أرومة صدق، ومحتد كل فضل، وفيهم العلماء والصلحاء والأعيان والقادة والرؤساء.

وتدلّ رسائل الشيخ سيديا الكبير المتعددة على أنه حاول أن يضع مشروعاً تنظيمياً لمجتمعه، ويتجلى ذلك أساساً في جملة من الإجراءات كاعتماد النقباء داخل قبيلته؛ كل نقيب أو مجموعة نقباء يمثل بطناً معيناً، ويكون عدد النقباء بحسب الكم الديمغرافي للطن. ووظيفة النقيب حل المشكلات الاجتماعية المشتركة. ويُكمل هذا الإجراء التنظيمي أيضاً إجراء آخر، وهو تشكيل جهاز قضائي بتعيين قاضٍ لكل بطن... كما سعى إلى دمج الوافدين من الطلبة والمريدين في نسيجه القبلي، مكوناً بذلك مجتمعاً متجانساً متآخياً، في وئام وانسجام.

وسرعان ما بدأ نجم بوتليميت يسطع في سماء المجد والمكرمات، ويستقطب الناس زرافات ووحدانا، وبدأ الشيخ سيديا يؤسس نظام الحضرة الجامعة للمقيمين والوافدين إليه من كل فج عميق؛ فشرع في إرساء المقومات الدينية والثقافية

1- وردت القصيدة وترجمة منشئها في كل من: الشعر والشعراء في موريتانيا، ص 259. والوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص 292.

والاقتصادية والاجتماعية والسياسية للمجتمع الجديد في بوتلميت، فبدأ طور التشكل بعد طور النشأة الذي ذكر آنفا.

فعلى الصعيد الديني والروحي بدأ الشيخ سيديا، بعد تأسيس المسجد، ينشر التعاليم الدينية، ويدعو إلى الانخراط في الطريقة، بالحكمة والموعظة والتوجيه، ويث رسله إلى المناطق الداخلية. ثم ما لبث أن بعث موفدين إلى الدول الإفريقية المصاحبة، لنشر الإسلام، فأسلم على أيديهم خلق كثير، صاروا تلامذة ومريدين للشيخ، ولأسرته من بعده. وهكذا غصّت "حضرتة" بأفواج الطلبة وذوي الحاجات من كل حذب وصوب؛ فعمّ تأثيره الروحي جميع نواحي القطر الشنقيطي وتجاوزه إلى البلدان المجاورة كالسينغال وغامبيا وغينيا ومالي وسيراليون، بل إن من ضمن من قدم على حضرتته وفوداً من مكة والطائف فضلاً عن أهل المغرب⁽¹⁾.

وعلى الصعيد الثقافي أنشأ الشيخ سيديا جامعة علمية عظيمة يدرّس فيها هو وجهابذة العلماء من مريديه مختلف العلوم والمعارف، ويتلقى فيها الطلاب الزاد الروحي إلى جانب الزاد المعرفي المتميز، وسيكون ابنه الوحيد الشيخ سيدي محمد أحد أبرز طلابها، ثم أحد أبرز شيوخها، فيما بعد، وكذا حفيده الشيخ سيدي بابو، والشيخ سيدي المختار والقاضي العدل سيدي محمد ولد الداه ولد داداه وغيرهم من جلة العلماء والفضلاء.

وقد وفد الشيخ سيديا هذه الجامعة الصحراوية المتنقلة بمكتبة نادرة من نفائس المخطوطات وذخائر التراث قدم بها من المغرب الأقصى الذي لبث فيه حولاً كريتا ينتظر ارتفاع الطاعون من أرض الحجاز كي يحج بيت الله الحرام، واهتم على وجه الخصوص بكتب الحديث والتفسير فاستجلب العديد منها خلال هذه الرحلة، وكان أول من أدخل بعض سروح الصحاح إلى أرض البيضان، كشرح الأبى لصحيح مسلم

1- راجع: كتاب الأخبار، ج 1، ص 27.

وفتح الباري في شرح صحيح البخاري وغيرهما. وفي هذه المكتبة يقول العلامة بابه ولد أحمد بيبه العلوي:

لَكَ الطَّائِرُ المَيْمُونُ وَالْمَنْزِلُ الرَّحْبُ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَوْثُ لَا شَكَّ وَالْقُطْبُ
وَأَنْتَ حُسَامٌ قَاطِعٌ كُلَّ شُبْهَةٍ وَأَنْتَ سِرَاجٌ فِي الْبَرِيَّةِ لَا يَحْبُو
أَضَاءَتْ بِلَادُ الْعَرَبِ لَمَّا حَلَلَتْهَا وَأَصْبَحَ يَبْكِي عِنْدَ تَرْحَالِكَ الْعَرَبُ
وَجِئْتَ بِكُتُبٍ يُعْجِزُ الْعِيسَ حَمْلُهَا وَعِنْدَكَ عِلْمٌ لَا تُحِيطُ بِهِ الْكُتُبُ

ويقول آخر:

لَئِنْ جِئْتَ بِالْكِتَابِ النَّفَائِسِ شَرَّدَتْ بِنَقِي الْمَطَايَا فِي بُطُونِ الصَّنَادِقِ
فَصَدْرُكَ يَحْوِي مَا تُكِنُّ وَتَحْتَوِي وَأُودِعَ عِلْمًا لَمْ يَكُنْ فِي الْمَهَارِقِ

وكان للشيخ أصدقاء من العلماء وتلامذة كثيرون يسهرون على صيانة المكتبة وترتيبها، ومعرفة الساقط من كل مخطوط، مع المقابلة والنقل، لتصحيح النسخ وتكثيرها. ويرى الأستاذ الألمعيّ الفريد، الدكتور أحمد جمال ولد الحسن، تغمّده الله برحمته، أن تلك المكتبة كانت من عوامل النهضة الأدبية الكبرى في بلاد شنقيط إبان القرن الثالث عشر الهجري.

وكان الشيخ يتلقى الاستفتاءات، وترفع إليه النوازل والإشكالات، من حين لآخر، فيدبج فيها الأجوبة الشافية والفتاوى الوافية، وينتشر ذلك الألق في الحضرة، ويتلقفه الطلاب والعلماء. كما كان جمعُ عيون مدائح الشيخ وتداولُ ديوانه الشعريّ الخاصّ، رافدا ثقافيا ثرا من روافد الحركة الأدبية، لذلك العهد.

وعلى الصعيد الاقتصاديّ بدأ الشيخ بتنظيم الموارد الاقتصادية المتاحة حينها؛ فوزع المهام المختلفة، وحفر الآبار، واستصلح الأراضي الزراعية التي وهبه إياها الأمراء والأعيان في المناطق الجنوبية المحاذية لنهر السنغال أكثر المناطق ملائمة لقيام

النشاط الزراعي والغنية بالأراضي الفيضية، ومازالت مناطق شاسعة من تلك الأراضي التي تتميز بأنها ذات تربة جيدة صالحة للزراعة ملكاً لأسرته منذ ذلك التاريخ، وسير القوافل شمالاً لجلب التمور من "آدرار" وجنوباً لجلب الحبوب (الدخن والذرة) من "شماقه" وغرباً لجلب الملح من سباح "الساحل"، كما نظّم تجارة الملح والصمغ العربي، واعتنى بتنمية الأنعام باعتبارها عمود الاقتصاد الريفي التقليدي آنذاك⁽¹⁾.

وعلى الصعيد السياسي ربط صلاتٍ قويةً بجميع الإمارات في عموم هذه البلاد، عن طريق الزيارات المتبادلة أحيانا، وعن طريق المراسلات أحيانا أخرى، حتى استطاع أن يكتب له كل أمير مصرحا له بالتلمذة والولاء. وهكذا فعل مع سائر قبائل العرب وأهل الشوكة عموما، ومع قبائل الزوايا أيضا، وأعيان العلماء والفضلاء. وتدخل شخصيا بنفسه وبرسائله ورسله في الإصلاح بين القبائل، والإمارات المتنازعة، حتى إن رسائله رسمت الحدود الحالية للدولة الموريتانية.

وهكذا وضع الشيخ سيديا الأسس والنظم والموارد لإصلاح حقيقي على المستويات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بمنطقته، حيث لم شمل بطون قبيلته أولاد أبييري، ووزع المهام بين مريديه وأعوانه، وعمر الأرض، وحفر الآبار، وأصلح الأراضي الزراعية، واهتم بتربية الماشية، وأصلح ذات البين، وكفل الأيتام، وآوى المستضعفين، وفدى الغارمين؛ فصار أصناف الناس يقدون إلى جنبابه راجلين أو ركباناً، وكان حرماً آمناً وركنا منيعاً لا يخشى الآوي إليه ظلماً ولا عدواناً، وكان مهيباً من لدن ذوي السلطة والنفوذ من أمراء المناطق المجاورة لحضرته.

وأما خارج نطاق هذه الحدود فإن الشيخ سيديا إبان توجهه إلى الحج سنة 1834م مكث بالمغرب الأقصى وذلك بعد أن لم يتمكن من إكمال رحلة الحج بسبب انتشار وباء الطاعون في منطقة الحجاز، وخلال تلك الفترة وطّد علاقة راسخة بسلطان

1- راجع: كتاب الأخبار، ج2، ص28.

المغرب المولى عبد الرحمن بن هشام (1238-1276هـ / 1822-1859م) وذلك بعد أن طلب منه السلطان أن يرقى له أحد أبنائه ففعل، فشفاه الله تعالى، فكان ذلك بدء تلك العلاقة الراسخة التي جعلت السلطان يستبقه معه نحو سنة كاملة أكرم خلالها وفادته، وعاد من المغرب بالمكتبة العظيمة التي ذكرنا آنفا أنها تعدُّ من أولى المكتبات في بلاد شنقيط، وجرت بينهما مراسلات محفوظة⁽¹⁾.

كما أسس الشيخ سيدي الكبير علاقات مع سكان البلدان المجاورة كالسنغال وغامبيا وغينيا وسيراليون ومالي وغيرها، وأسلم على يديه، وتلمذ له من أهل هذه الأصقاع، ولذريته من بعده، من لا يحصيهم إلا الله.

وقد أسهمت كل هذه الصلات والعلاقات في تنمية الحضرة وتشكيل مجتمع إسلامي متآلف جديد بحاضرة بوتلميت، ينتمي إلى أعراق وأجناس شتى.

وهكذا ما لبثت بوتلميت أن أصبحت قبلة يؤمُّها القُصَّاد، ومعلمة كبرى تفد إليها الوفود، ويردها الشعراء والعلماء والطلاب وذوو الحاجات، ومركز إشعاع علمي وروحي في قلب هذه الصحراء، كما أصبحت عاصمة الحل والعقد بلا مدافع.

وقد تطلب كل ذلك أن تخرج هذه البلدة عن المألوف في المحاضر وعند أغلب المشيخات السائدة، وترتقي إلى مكانة تؤهلها لاستقطاب عموم الواردين، واستقبال الأمراء والأعيان والعلماء، دون أن تصطنع شيئا من شارة الملك، وأبهة السلطان.

وذلك ما جعل الشيخ سيدي نمطا فريدا في هذه الربوع، ففضلا عن علمه الغزير، وما أجرى الله على يديه من الخوارق المشهودة، وكرمه الذي يضرب به المثل، وسعيه

1- نظرا لأهمية العلاقة المتجدرة بين سلاطين المغرب والشيخ سيدي المترجم له فقد أفردتها بمبحث خاص، يأتي لاحقا، إن شاء الله.

الدؤوب في النفع العام والإصلاح بين المسلمين، كان سياسيا محنكا، وقائدا ملهما مؤهلا بكل الطاقات والمؤهلات.

ومما وسّع دائرة نظره، وعمّق فكره: معرفته الدقيقة بالبيئات المختلفة، في كل نواحي بلده، وتجوّاله في المدن التاريخية السنين ذوات العدد، وطول مكثه مع آل الشيخ سيّدي المختار الكنتيين الذين كان نظام الحضرة لديهم مرتبطا بمستوى عال من الوعي السياسي، ولبّثه في المغرب الأقصى سنة كاملة يراقب عن كثب سياسة البلاط، فضلا عن قراءاته المختلفة، وتجاربه الواسعة، ومعرفته التامة بالسياسة الشرعية.

الفرع الثاني

صورة حية عن المشهد العام لحضرة الشيخ سيدي

كي نأخذ صورة حية عن المشهد العام للحضرة الجديدة الآخذة في النمو والتشكل في بوتلميت، لا بدّ لنا من وقفة مع بعض الشواهد والنصوص التي كتبها بعض من عاصر تلك الحضرة وشاهدها، ثم من في حكمهم ممن أخذوا عنهم.

يقول الشاعر المفلق النحير، محمّد و ولد محمدي العلوي⁽¹⁾:

1- هو محمّد و ولد مُحَمّدي ولد سيدينا ولد أشفع سيد أحمد ولد مُحَمّم ولد القاضي العلوي، من فخذ أهل مُحَمّم ولد القاضي، من قبيلة إيدو علي. ولد سنة 1242 هـ في بيت علم وتصوف وأدب، درس على أبيه وعلماء آخرين في منطقة القبلة حيث مولده ومنشأه وموطنه، وأدمن عشرة كتب الأدب مطالعة ونسخا؛ وتوجد هوامش كثيرة بخطه على نسخة كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان التي أهداها محمد العالم بن المولى إسماعيل إلى ولد رازكة. وأبيات ولد محمدي هذه مجتزأة من قصيدة له يعتذر بها إلى الشيخ سيدي الكبير بعد سجال شعري جرى بين الشاعر وبين الابن الأوحّد للشيخ سيديا، سببه إنكار ولد محمدي كلمة استعملها ولد الشيخ

عَمَّ الْأَنَامَ بِهَدْيِهِ وَأَمَدَّهُمْ
وَرَدَّتْ حِيَاضَ نَوَالِهِ وَعُلُومِهِ
فِي كَفِّهِ رِزْقُ الْأَنَامِ فَكُلُّهُمْ
فَتَرَى الْبُيُوتَ أَمَامَهُ مَمْلُوءَةً
كُلًّا بِنِسْبَةِ مَا يُحَاوِلُ حَصَّهُ
لَمْ يَكْفِهِ الْمَيْرُ الْكَثِيرُ لَدَى الْقَرَى
فَتَرَى بِسَاحَتِهِ الدِّمَاءَ وَفَرْنَهَا
وَتَرَى الْقُدُورَ رَوَاسِيًا وَتَرَى الْجِفَا
مَنْ قَاسَهُ بِالْأَكْرَمِينَ فَإِنَّمَا
بَلَّ قَاسَ مُلْتَطِمَ الْبَحَارِ بِنُطْفَةٍ
حَدَّثَ وَلَا حَرْجَ عَنِ الشَّيْخِ الرِّضَا
يَا حَبَّذَا ذَاكَ الْكَمَالُ وَحَبَّذَا

كُلًّا بِفَيْضٍ مِنْ نَدَاهُ عَمِيمٍ
هَيْمُ الْوَرَى فَشَفَى غَلِيلَ الْهَيْمِ
سَاعٍ لِمَوْضِعِ رِزْقِهِ الْمَقْسُومِ
مَا بَيْنَ نَاوِي رِحْلَةٍ وَمُقِيمِ
مِنْ قُوتٍ أَفِيدَةٍ وَقُوتِ جُسُومِ
كُلًّا وَرِشْلُ الْكُومِ نَحَرَ الْكُومِ
وَلَقَى الْعِظَامَ جَدِيدَةً وَرَمِيمِ
نَ لَوَامِعًا بِخَوَاصِرِ الْمَطْعُومِ
فِي الشَّأْوِ قَاسَ مُجَلِّيًّا بِلَطِيمِ
وَالرُّوضَ غَضًّا نَاضِرًا بِهَشِيمِ
أَوْ دَعِ إِذَا حَدَّثَتْ بِالْمَعْلُومِ
جُلَسَاؤُهُ مِنْ زَائِرٍ وَخَدِيمِ

ويقول أخوه الشاعر المفلق، الهادي ولد محمدي:

كَهْفُ الْبَرِّيَّةِ حَامِلٌ أَعْبَاءَهَا
غَوْتُ الْأَنَامِ إِذَا السُّنُونُ تَتَايَعَتْ
كَمْ كَاعِبٍ أَوْ فَارِضٍ أَوْ يَافِعٍ
كَمْ عُصْبَةٍ ضَرَبَتْ إِلَيْهِ حَيَادَهَا
تَبْغَى حَوَائِجَ مِنْ يَدَيْهِ كَثِيرَةً
الْوَاهِبُ الْجُرْدَ الْعِتَاقَ وَقَدْ حَمَتْ

دُونَ الْوَرَى وَمُصَدِّقُ آمَالِهَا
وَالْأَرْضُ أَصْبَحَ مَأْوَاهَا صَلَاحُهَا
أَوْ عَائِلٍ قَدِمَتْ إِلَيْهِ فَعَالُهَا
وَعِصَابَةٌ ضَرَبَتْ إِلَيْهِ جَمَالُهَا
حَطَّتْ لَهْنٌ سُرُوجُهَا وَرَحَالُهَا
قَصَبَ الرِّهَانِ إِذَا تَجُولُ مَجَالُهَا

سيديا في شعره، وقد انتصر تلاميذ الشيخ سيديا لابن شيخهم، وانتصر الشيخ نفسه لولد محمدي؛ لأن أمه بنت أستاذه حرمه ولد عبد الجليل العلوي. وقد توفي ولد محمدي أواخر عام 1272هـ في الطريق بين مكة وجدة بعد إتمامه الحج والزيارة، وعمره ثلاثون سنة. راجع: الشعر الشنقيطي، ص 142 وكذلك ص 237.

إِنَّ الْعَطِيَّةَ لَا يَتِمُّ نَفَادُهَا إِلَّا وَأَزْدَفَ بَعْدَهَا أَمْثَالَهَا
دَارٌ رَأَى إِقْبَالَهَا إِذْ بَارَهَا وَرَأَى الْوَرَى إِذْ بَارَهَا إِقْبَالَهَا
ومنها:

مَا وَى الْوَرَى قُطْبُ الرَّحَى مَنْ جَاءَهُ يَجِدُ كَرِيمَةَ شَوْلِهِ مَعْقُولَةً
تَحْشَى الْمَسَاءَ أَوْ الصَّبَاحَ سَوَامُهُ فَالْتَّاسُ يَنْتَجِعُونَ سَيْبَ يَمِينِهِ
كَمْ لَيْلَةٍ أَوْ بَلَدَةٍ أَحْيَاهُمَا لَمَّا رَأَى سُبُلَ الرِّفَاقِ مَضِلَّةً
مَنْعَ الْبِلَادِ مِنْ أَنْ تُصَابَ بِسَيِّئِ وَإِذَا الْعُدَاةُ مَعَ الْعُدَاةِ تَقَابَلَتْ
وَحَمَى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ حِمَايَةً

ويقول الشاعر المفلح محمذن ولد السالم المجلسي الحسني:

وَلَمْ أَرْ قَبْلَ مَسْجِدِهِ مُصَلَّى تَضَمَّنَ وَإِلَّا سَرِبَ الْعَزَالِي
يَدَاهُ غَمَامَتَانِ عَلَى الْبَرَايَا عَلَى التَّدْءَابِ دَائِمَتَا انْهِمَالِ
فَذِي عَمَّتْ بِصَيِّبِهَا وَهَذِي تَخُصُّ بِهَا ذَوِي الْهِمَمِ الْعَوَالِي
حَوَتْ مَا دُونَ مَرْتَبَةِ التَّنْبِي يَدَاكَ مِنَ الْمَكَارِمِ وَالْمَعَالِي
فَأَنْتَ إِذَنْ مِنَ الثَّقَلَيْنِ طُرًّا بِمَنْزِلَةِ الْيَمِينِ مِنَ الشِّمَالِ
إلى أن يقول:

وَعَرْجَلَةٍ مِنَ الْغُرَبَاءِ شُعْثِ مِنَ اللَّأَوَاءِ تَجَارُ كَالسَّعَالِي
جَمَعْتَ عَلَى مُكَلَّلَةٍ رَدَاحِ كَجَابِيَةِ الْمُخَوَّلِ وَفَرِ مَالِ
وَمَلْهُوفٍ أَغْثَتْ وَذِي عِيَالِ جَعَلْتَ عِيَالَهُ أَخْطَى عِيَالِ

وَعَانَ قَدْ فَكَكْتَ وَمُسْتَضِيفٍ هَضَاتُ لَهُ الرَّخِيعَ عَلَى التَّلَالِ

ويقول صاحب "الوسيط في تراجم أدباء شنقيط"، وهو من الطبقة التي أدركت تلامذة الشيخ: "هو العلم الذي رفع على أهل قُطره، واستظل به أهلُ دهره، وماذا أقول في رجل اتَّفَقَ على أنه لم يظهر مثله في تلك البلاد ... فلم تزل فضائله تبدو، حتى أذعنت له الزوايا وحسَّان، وصار مثل الملك بينهم، فلا يعقب أمره؛ وكان أهلاً لذلك، كرماً وحلماً وعلماً، ولم تزل الدنيا تنثال عليه، ويفرقها في الناس ... وكانت العرب في أرض شنقيط، تجعله حرماً آمناً، فيجتمع عنده أحدهم، بمن قتل أباه أو أخاه، فيجلسهما على مائدة واحدة. وإذا بلغ الجاني نواحي البلد الذي يقيم به، أمن على نفسه. ولم يمض عليه يوم إلا وعنده آلاف من الناس، يطعمهم ويكسوهم ويقضى جميع مآربهم، حتى لقي الله، ولا يسأله أحد حاجة إلا أعطاه إياها، بالغة ما بلغت ... وكان يبلغه أن الطريق منقطع في الجهة الفلانية، لعدم عمارتها، فيحفر فيها الآبار، ويبعث المؤمن الطائفة لقرى المارين"⁽¹⁾.

وقال أيضاً: "(بُوتَلَمِيْتُ) بئر مشهورة لأهل الشيخ سيدي، وقد مضى عليها زمان في حياة الشيخ سيدي، لا يصلها خائف إلا أمن، ولا فقير إلا استغنى، ولا جائع إلا شبع، فهي كقبة ذي الأعواد"⁽²⁾، وقد صدق الأسود بن يَعْفَرُ⁽³⁾ في قوله:

1- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص 240.

2- "ذو الأعواد" الأُسَيْدِيُّ التميمي، من بني أُسَيْد بن عمرو ابن تميم، كان من أعز أهل زمانه، وكان له خرج على مُضر يؤدونه إليه كل عام، فشاخ حتى كان يُحمل على سرير عليه قُبَّة يُطاف به على مياه العرب فيجبي الخرج، ولم يكن يأتي قبته خائف إلا أمن ولا جائع إلا شبع ولا ذليل إلا عزّ. راجع: القاموس المحيط، مادة (العود).

3- الأسود بن يعفر النهشلي الدارمي التميمي، يُكَنَّى بأبي نهشل، شاعر جاهلي من أسiad قبيلة تميم المعروفة التي كانت تسكن أراضي العراق. كان من أهل الفصاحة والبيان، عُرف عنه الجود والكرم، وكان من الذين نادىوا النعمان بن المنذر، وعندما تقدّمت به السن فقد بصره

وَلَقَدْ عَلِمْتُ سِوَى الَّذِي حَدَّثْتَنِي أَنَّ السَّبِيلَ سَبِيلُ ذِي الْأَعْوَادِ⁽¹⁾

وقال عنه الفقيه المؤرخ أحمد سالم بن باگا الديماني: "شيخ المشايخ وقطب البلاد الشيخ سيدي بن المختار بن الهيب، من قبيلة (أولاد انتشايت)، وهو أول من لقب بالشيخ في هذه البلاد"⁽²⁾.

وقد بلغ الشيخ سيديا الغاية فكان يضرب به المثل في الفضل، وفي ذلك يقول العالم اللغوي النحوي، الحسن ولد زين، في احمراره على لامية الأفعال للإمام النحوي ابن مالك:

فِيهِ اقْتَفَيْتُ أَبَا الْأَنْوَارِ، سَيِّدَنَا: سَيِّدِي، قُطْبَ الرَّحَا، بَدْرَ الدُّجَا، الْمَثَلَا⁽³⁾

ويقول الشيخ سيدي محمد مخاطبا أباه الشيخ سيديا الكبير، ومصورا جوانب هذه الحضرة العامرة، ومشيدا بمختلف عطاءاتها الغامرة:

لَا زِلْتُمْ فِي الْحَرَمِ الْمُحَجَّبِ	وَالنَّاسُ مِنْ حُرْمَتِهِ فِي عَجَبِ
وَأَنْتُمْ فِي قُطْرِهِ الْمُرَجَّبِ	وَعَصْرِهِ فِي مَكَّةٍ وَرَجَبِ
يَأْتِيهِ فَلَّ آرِبٍ وَهَرَبِ	كُلُّ أَخِي مَخَافَةٍ وَتَرْبِ
فَامِلٌ سَيْحِ جِمَامِ الْقُلْبِ	وَمُشْتَكٍ هَضْمِ اللَّصُوصِ الْغُلْبِ
وَمُسْتَرْقٌ رَامَ فَلَكَ الرَّقَبِ	وَسَالِكٌ رَامَ جَوَازِ الْعَقَبِ

فُسَمِّي أعشى بني نهشل، ولم يُعرف تاريخ صريح لمولده، بينما من المرجح أنه توفي سنة 600 للميلاد.

1- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص 464.

2- كتابه (تاريخ إمارة الترازة)، الذي ما يزال مخطوطا، على الرغم من أهميته العلمية والتاريخية.

3- راجع: الطرة.. توشيح لامية الأفعال لابن مالك، ص 112.

وَسَائِلُ عَنْ مُشْكِلٍ مُسْتَضْعَبٍ وَجَاهِلٌ يَمْشِي كَمَشْيِ الْمُضْعَبِ
فِيَلْتَقَى جَمِيعُهُمْ بِمَرْحَبٍ وَتُبْسَطُ الْبُسْطُ لَهُمْ بِالرَّحَبِ
وَأَدَبٌ بِالنَّقَرَى لَمْ يَذَرِبِ وَالْجَفَلَى مَهْمَا دَعَاهَا يَطْرِبِ
تَرَاهُمْ لَدَى الْجَنَابِ الْمُخَصِبِ عَلَى الْقَرَى كَالْعَكْرِ الْمُعْصُوبِ
فَمَنْ يُقَمُّ يُزْدُ عَلَى الْمُطَلَّبِ وَمَنْ يُوْبُّ فَحَامِدُ الْمُنْقَلَبِ
وَلَا يَزَلُ بَرَقُ نَدَاكُمُ يَطْبِي أَهْلُ الْقَرِيضِ نَحْوَكُمُ وَالْخَطَبِ
رِكَابُهُمْ يَنْهَجْنَ كُلَّ نَيْسَبِ مِنْ سَبَسَبِ خَوَارِجًا لِسَبَسَبِ
.... إلخ.

والشيخ سيدي محمد، صاحب هذه الأبيات هو الابن الأوحد للشيخ سيدي الكبير، وقد امتاز بالعلم ونبغ في الشعر حتى عدّه جلُّ دارسي الشعر الشنقيطي رائد التجديد في مضامين هذا الشعر دون منازع⁽¹⁾. وقصيدته النونية إحدى روائع الأدب العربي الإسلامي في بلاد شنقيط، وهي تعطي تعريفا واضحا لشخصية قائلها وتبين مكانته التي لا تضاهى في الرسوخ في علوم لغة العرب وآدابها والتمكن المطلق في علوم الشريعة⁽²⁾. وقد تضمّن كتاب "النبوغ المغربي" نصوصا شعرية له، وجاء فيه اسمه مجردا من ثلثيه⁽³⁾؛ اعتقادا من مؤلف الكتاب أن ما حذفه صفات وألقاب للشاعر،

1- يقول عنه محمد يوسف مُقلد: "سيدي محمد هذا، أكبر شاعر في موريتانيا بين القدماء والمحدثين إطلاقا". راجع: شعراء موريتانيا القدماء والمحدثون، محمد يوسف مقلد، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء - 1962، ص 361.

2- يقول عنه أحمد بن الأمين الشنقيطي: "إنه الشاعر المجيد والصوفي الوحيد... كان حسنة من حسنات الدهر، وترك قصائد تدل على طول بابه في الآداب". راجع: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص 244.

3- راجع: النبوغ المغربي، ج 2، ص 672 وكذلك ص 717 وأيضا ص 875.

وهي لعمرى صفات وألقاب لا تُستكثر على من يقول فيه علامة موريتانيا الأبرز،
المرابط محمد سالم ولد عدود، رحمهم الله أجمعين:

وسيدي محمد بدر الظلم أعني به ابن الشيخ سيدي الأشم

وقد هممت أن أقف مع ديوان الشيخ سيدي محمد⁽¹⁾ وقفة أبين من خلالها
ما وصل إليه الشعر الشنقيطي في حقبة والده الشيخ سيدي الكبير، فإذا بي قد كتبت
ما يربو على خمسين صفحة؛ فرأيت جعلها عملا آخر مستقلا بمشيئة الله - إن
فُسح في الحياة والصحة.

ويصور الشيخ سيدي محمد في يائته التي تغنى فيها بجمال (آوكار) ومناظره
الخلافة، هذه الجوانب والمقومات التي قامت عليها حضرة والده، في (ميمونة
السعدى)، أحد أهم منتجعات والده الشيخ سيدي الكبير؛ فيقول:

أَذَاتِ الْيُمْنِ لَا زَالَتْ نَوَاحِي	كَ آمِنَةِ الْجَنَابِ مِنَ الْبَلَايَا
فَدَى كُتُبَانِكَ الْكُتُبَانُ طُرَا	وَتَقْدِيكَ الزَّوَاخِرُ وَالرَّكَايَا
وَلَا زَالَتْ دِيَارُكَ أَهْلَاتِ	وَلَا حَلَّتْ بِسَاحَتِكَ الرَّزَايَا
وَلَا زَالَ الْفَلَاحُ يَخْدَنَ حُوصَا	يَسْمَنُ الْعَفْرَ تَحْلِيلَ الْأَلَايَا
بِعُوجِ كَالْحَذَارِيفِ اسْتَمَرَّتْ	يُحْذِرُنَ الْحَصَا سُمُرِ الْعُجَايَا
بَرَاهَا النَّصُّ وَالْدَيْدَا قَالَتْ	وَقَدْ رُحِلَتْ نَوَاعِمُ كَالْبَلَايَا
تَكَادُ لِضُمَرِهَا الْكَيْرَانُ عَنْهَا	تَزِلُّ بِرُكْبِهَا لَوْلَا الْبَلَايَا
بِكُلِّ تَنَوُّفَةٍ تَحْكِي سَمَاهَا	كَمَا حَاكَتْ أَهْلَتُهَا الْمَطَايَا

1- كان تحقيق ديوانه موضوع رسالة تخرج من المدرسة العليا للمعلمين، أعدها سنة 1983
الأستاذان: عبد الله ولد سيدي والناجي فال ولد سيدي.

يُؤَدِّي كُلُّ سَفَرٍ سَارَ فِيهَا	لَهَا حَرْجًا مِنْ أَشْلَاءِ الرِّذَالِ ⁽¹⁾
بِشُعْنٍ شَاحِبِينَ لِرُمِي بِيَدٍ	بِهِمْ بِيَدًا عَنْ أَشْبَاهِ الْحَنَائِي
إِلَى أَهْلِيكَ بَيْنَ أُولَى انْتِجَاعٍ	نَدَاهُمْ أَوْ أُولَى رَفْعِ الشَّكَايَا
فِيَشْكُونَ الْأَلَى رَفَعُوا الشَّكَايَا	وَيُعْطُونَ الْأَلَى طَلَبُوا الْعَطَايَا
وَأِنْ حَطُّوا الرِّحَالَ لَدَيْكَ حُطَّتْ	رِحَالُ الْفَقْرِ عَنْهُمْ وَالْخَطَايَا
وَأَبُوا بِالذِي أَمَلُوا جَمِيعًا	كَمَا صَدَرَتْ عَنِ الرُّفْرِ ⁽²⁾ الرِّوَايَا
وَتَحْسِبُهُمْ مَتَى رَأَمُوا انْصِرَافًا	حَوَائِسَ حُبُّهُمْ حَبَسَ الْأَحْيَايَا
وَلَا زَالَتْ مَدَارِسُ عَامِرَاتٍ	لَدَيْكَ مِنَ الْأَعَارِبِ وَالزَّوَايَا
فَمِنْ قَارِي قُرَانٍ أَوْ كَلَامٍ	وَمِنْ قَارِي الطَّهَّارَةِ وَالْوَصَايَا
وَتَصْرِيفٍ وَتَمْرِينٍ وَنَحْوٍ	وَرُؤُومٍ الْمَعَانِي وَالْقَضَايَا
وَرُؤُومٍ التَّصَوُّفِ وَالْمَعَالِي	وَرُؤُومٍ الدَّرَاهِمِ وَالْوَقَايَا ⁽³⁾

وقد كان الشيخ سيدي الكبير حريصا على نماء هذه الحضرة، وازدهارها، يحث مكوناتها على الاشتغال بالعلم النافع، والعمل الصالح، والمتجر الرابع، ويلهج لها بالدعاء ليلا ونهارا، تارة بالسقيا، وأخرى بكشف الكرب، وتحقيق الأرب، يمزج ذلك بالتوحيد الخالص، والضراعة الصادقة إلى الخالق، إذ كان من السمات البارزة في شخصية الشيخ سيدي شدة تعلقه بالله تعالى، وإخلاصه في توحيده، وتجريد التوكل عليه، والاطِّراح على عتبات الإنابة والانكسار بين يديه، وصدق اللجأ والفرار إليه؛ وقد تجلّى ذلك واضحا في ديوانه الفريد الموسوم بديوان الاستسقاء الذي يضم

1- الرذية: الناقة المهزولة من السير؛ والجمع الرذايا. انظر: الصَّحاح في اللغة، مادة (رذى).

2- الرُّفْر: النهر الكبير، ويكون سمي بذلك لأنه كثير الحمل للماء.

3- راجع: مجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، السنة الثامنة عشرة

— العدد السبعون، يونيو 2010، يائية الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي الإحيائية

(جهود للكشف عن إحياء الأصيل ونظرة في بناء القصيد)، د. محمذن ولد أحمد ولد

المحبوبي، ص 53.

عشرات القصائد والمقطوعات، والذي يمكن أن يُدعى أن لا نظير له من حيث الكم، في الاختصاص بهذا الغرض العجيب، في مدونة الشعر العربي على مرّ العصور؛ ومن المستحسن أن نعرض منه شذرات في هذا المقام تكون لهذا المحور مسك ختام:

اللَّهُ رَبِّي لَمْ أَشْرِكْ بِهِ أَحَدًا وَلَسْتُ أَشْرِكُ مِنْ شَيْءٍ بِهِ أَبَدًا
فَهُوَ الْمُقَدِّرُ مَا يَجْرِي عَلَى قَدَرٍ وَهُوَ الْمُدَبِّرُ أَمْرَ الْكَوْنِ مُنْفَرِدًا
يَخْتَصُّ مَنْ شَاءَ بِمَا شَاءَ كَيْفَ شَاءَ وَلَا تَثْنِي الثَّنَائِي عَنِ الْمَرْفُودِ مَا رَفَدَا
سُبْحَانَهُ جَلَّ رَبًّا مُفْسِطًا حَكَمًا بَرًّا رُؤُوفًا لَطِيفًا مَاجِدًا صَمَدًا
لَا شَأْنَ يَشْغَلُهُ عَنْ غَيْرِهِ وَلَهُ نُعْمَى عَلَى الْخَلْقِ لَنْ يُخْصُوا لَهَا عَدَدًا
فَأَمْنُنْ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا الْجُفَاءَ بِمَا بِهِ مَنَنْتَ عَلَى عَبْدَانِكَ السُّعَدَا...

ويقول أيضا من قصيدة أخرى:

أَمَّا وَحَقِّكَ لَا نَرْضَى سِوَاكَ لَنَا رَبًّا يُزِيلُ بَلَاءً أَوْ يُنِيلُ إِلَى
وَلَا نُقَدِّرُ فِي أَذْهَانِنَا أَبَدًا مُشَارِكًا لَكَ لَا ضِدًّا وَلَا مَثَلًا
بَلْ أَنْتَ رَبُّ الْوَرَى كُلاًَّ وَخَالِفُهُمْ وَقَاسِمُ الرِّزْقِ بَيْنَ كُلِّهِمْ أَزَلًا
وَأَنْتَ حَقًّا إِلَهُ الْعَدْلِ تَفْعَلُ مَا تَشَاءُ بِغَيْرِكَ مِمَّنْ جَارَ أَوْ عَدَلَا
أَنْتَ الْكَرِيمُ فَلَا مَجْدٌ وَلَا كَرَمٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا فِيكَ قَدْ كَمَلَا
أَنْتَ الْإِلَهُ الَّذِي لَا شَيْءٌ يُشَبِّهُهُ وَلَا شَرِيكَ لَهُ قَطْعًا وَلَا مَثَلًا.

وقد رسم الشيخ سيدي محمد ولد الشيخ سيديا، معالم حضرة والده، ومقومات منهجه الديني والعلمي الذي ينتهجه، ويدعو إليه، ويرغب فيه أهل زمانه ومكانه، وقد كشف عن ذلك في المقطوعة التالية ذات الصلة الحميمة بالتوحيد والإخلاص الذي رأينا نماذج منه في شعر والده:

أَمْعَالُ الْمَيْمُونَةِ السُّعْدَى ذِهِ؟ أَمْ أَنْتَ رَائِيهَا بِمُقَلَّةِ أَمْرِهِ؟
فَكَأَنَّهَا هِيَ وَالسِّنْمَاتُ سِمَاتُهَا لَكِنَّ مَا تُبْدِيهِ لَيْسَ بِمُشْبِهِهِ
أَزْمَانٍ مَنَظَرُهَا يَرُوقُ وَيَطْبِي مَبْهَاهُ قَلْبُ الزَّاهِدِ الْمُتَأَلِّهِ

فَيُودُّ لَوْ يَبْقَى مَدِيدَ حَيَاتِهِ بِرَمَالِهَا فِي غِبْطَةٍ وَتَنَزُّهُ
 مُتَوَجِّهًا لِلَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ بِأَجَلٍ مَا يُرْضِيهِ حَقٌّ تَوَجُّهُ
 مَا إِنَّ لِهِمَّةِ نَفْسِهِ مُتَعَلِّقٌ تَسْمُو إِلَيْهِ سَوَى الَّذِي لَا يَنْتَهِي
 عَبْرَاتُهُ تَجْرِي عَلَى الْخَدَّيْنِ لَا يُخْصِي لَهَا صَوْنًا كَدَابٍ مُدْلَهُ
 طَوْرًا يَنَاجِي رَبَّهُ مُتَضَرِّعًا بِتَمَلُّقٍ وَتَحَرُّقٍ وَتَأَوُّهُ
 وَيَقُوبُ طَوْرًا لِلْعُلُومِ: كِتَابُهَا وَحَدِيثُهَا وَتَصَوُّفٍ وَتَفْقَهُ
 وَعَقَائِدٍ صَحَّتْ بَرَاهِينُهَا فَمَا يَخْطُو بِسَاحَتِهَا جِدَالَ مُمَوِّهُ
 وَوَسَائِلٍ تَجْلُو وَجُوهَ مَقَاصِدِ تَأْبَى الْبُدُو لِنَهْيَةِ الْمُتَوَجِّهِ
 مِنْ ذَا يَعْجُبُ وَتَارَةً مِنْ ذَائِهِ عَبَّ الصَّدْي مِنْ عَذْبِ مَشْرِبِهِ الشَّهْيِ
 وَيَخِي⁽¹⁾ مُذَاكِرَةَ الصِّحَابِ وَنَشْرَهُمْ لِلْعِلْمِ وَخِي مُعَلِّمٍ وَمُنَبِّهِ
 وَمَجْدِدٍ يَدْعُو إِلَى سُبُلِ الْهُدَى بِتَعَقُّلٍ وَتَنْقُلٍ وَتَفْقُوهُ
 وَيَحِبُّ الْبَارِي إِلَى عَبْدَانِهِ وَإِلَيْهِ إِيَّاهُمْ عَلَى السَّنَنِ الْبَهْيِ
 تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا مُطَاوَعَةَ الْهَوَى فِي كُلِّ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ وَيَشْتَهِي
 كَلَّا وَلَا نَهْجُ الْمُدْمَمِ شِرْعَةً وَحَقِيقَةً بِرُكُوبِ كُلِّ مُشَوِّهِ.

وتبعاً لهذا فإن هذه الثقافة العالمية كانت قد نضجت وآتت أكلها في هذه الحضرة،
 وأصبحت تدار في رحابها كؤوس المعرفة والأدب والشعر من كل عصر ومصر، في
 أسمار حافلة بالمذاكرات والمطارحات؛ وفي هذا يقول الشيخ سيدي محمد:

وَكَمْ سَامَرْتُ سُمَارًا فُتُوًّا إِلَى الْمَجْدِ انْتَمَوْا مِنْ مُحْتَدَيْنِ
 حَوُّوا أَدَبًا عَلَى حَسَبِ فِدَاسُوا نَدِيمِ الْفَرْقَدَيْنِ بِأَحْمَصَيْنِ
 أَذَاكِرُ جَمْعُهُمْ وَيُذَاكِرُونِي بِكُلِّ تَخَالُفٍ فِي مَذْهَبَيْنِ
 كَخُلْفِ اللَّيْثِ وَالنُّعْمَانِ طَوْرًا وَخُلْفِ الْأَشْعَرِيِّ مَعَ الْجَوْنِي
 وَأَوْرَادِ الْجَنِيدِ وَفِرْقَتَيْهِ إِذَا وَرَدُوا شَرَابَ الْمَشْرَبَيْنِ
 وَأَقْوَالِ الْحَلِيلِ وَسَيَبَوِيهِ وَأَهْلِي كُوفَةٍ وَالْأَحْفَشَيْنِ

1- الوحي: الطريق المعتمد، وقيل: هو الطريق القاصد؛ وقال ثعلب: هو القصد. وحي يخي
 وحيًا إذا تَوَجَّهَ لوجهه. انظر: لسان العرب، مادة (وحي).

نُوضِّحُ حَيْثُ تَلْتَسِيسُ الْمَعَانِي دَقِيقَ الْفَرْقِ بَيْنَ الْمَعْنَيْنِ
وَأَطْوَارًا نَمِيلُ لِذِكْرِ دَارَا وَكَسْرَى الْفَارِسِيِّ وَذِي رُعَيْنِ
وَنَحْوِ السِّتَّةِ الشُّعْرَاءِ نَنَحُوا وَنَحْوِ مُهْلَهْلِ وَمُرْقَشَيْنِ
وَشِعْرِ الْأَعْمِيِّينِ إِذَا أَرَدْنَا وَإِنْ شِئْنَا فَشِعْرِ الْأَعَشِيِّينِ
وَنَذْهَبُ تَارَةً لِأَبِي نُوَّاسٍ وَنَذْهَبُ تَارَةً لِابْنِ الْحُسَيْنِ.

الفرع الثالث

صفات الشيخ سيدي الكبير

كان الشيخ سيدي الكبير حليماً، ثبّتاً، عالماً متضلّعاً، متبعاً للسنّة مؤتمراً بأوامرها ومبتعداً عن نواهيها، ومدرّساً تخرج على يده طلاب كثراً... وكان ساعياً في مصالح المسلمين بجلب المنافع لهم ودفع المضار عن ساحتهم، هذا فضلاً عن كفالة ضعافهم والنفقة على فقرائهم وتسيير مصالحهم؛ يقول عنه صاحب الوسيط: "هو العلم الذي رُفِعَ على قطره، واستظل به أهل دهره؛ وماذا أقول في رجل اتَّفَقَ على أنه لم يظهر مثله في تلك البلاد! اشتغل في شبابه بالعلوم وبرع فيها، لازم "حَرَمَهُ بن عبد الجليل" مدة طويلة، ثم شدَّ رحاله إلى "الشيخ سيد المختار الكنتي" وبرع في الطريقة، ثم رجع إلى أهله حيث اعترفوا بفضله، ولم تزل فضائله تبدو حتى أذعنت له "الزوايا" و"حسنان" وصار مثل الملك بينهم فلا يعقّب حكمه، وكان أهلاً لذلك كرمًا وحلماً وعلمًا، ولم تزل الدنيا تنثال عليه ويفرّقها بين الناس. وكانت شنقيط تجعله حرماً آمناً يقيم عنده آلاف الناس يطعمهم ويسقيهم ويقضي جميع مآربهم، حتى لقي الله ولا يسأله أحد حاجة إلا أعطاه إياها بالغّة ما بلغت؛ وفضائله أكثر من أن تعدّ" (1).

1- راجع: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص 240.

وقد وفدت أصناف الناس إلى بابه، ويتضح ذلك من خلال الشعر الكثير الذي قيل فيه فصيحاً وعامياً؛ فكان بذلك الممدوح الأول في عصره. وبينا محمد بن ولد السالم المجلسي الحسني، اللذان أصبحا على كل لسان في موريتانيا، وهما من قصيدة له رائعة طويلة في مدح الشيخ سيدي الكبير، يلخصان تلك المكانة السامقة، يقول:

حَوَتْ مَا دُونَ مَرْتَبَةِ التَّنْبِي يَدَاكَ مِنَ الْمَكَارِمِ وَالْمَعَالِي
فَأَنْتَ - إِذَنْ - مِنَ الثَّقَلَيْنِ طُرًّا بِمَنْزِلَةِ الْيَمِينِ مِنَ الشِّمَالِ

وهذا الشاعر المجيد محمد بن ولد محمدي، يقول متحدثاً عن تنوع فضائله:

هَذِي مَحَاسِنُ مَنْ غَدَا بِصِفَاتِهِ مُسْتَوْجِبِ الْإِجْلَالِ وَالتَّعْظِيمِ
مَنْ بِالسِّيَادَةِ وَالْمَحَامِدِ وَسَمُهُ وَفُقِ اسْمُهُ فَالِاسْمُ كَالْمَوْسُومِ
نَالَتْ مِنَ الرُّتَبِ الْعَوَالِي كَفُّهُ مَا لَمْ تَكُنْ لِنَتَالِ كَفُّ أَرِيمِ
أَلْفَى الْمَكَارِمَ قَدْ تَهَدَّمَتْ رُكْنُهَا فَأَقَامَ سَاقِطَ رُكْنِهَا الْمَهْدُومِ
خَلَقَ الْإِلَهِ بَنَانَهُ لِلْبَحْثِ عَنْ صَعْبِ الْعُلُومِ وَكَسْبِ كُلِّ عَدِيمِ
وَلِسَانَهُ لِلْكَفِّ إِلَّا مُدْمِنًا لَتَعْلَمَ أَوْ مُدْمِنَ التَّعْلِيمِ
وَجَنَانَهُ الْمَاضِي الْمُنِيرَ لِفَهْمِ مَا عَنْهُ قَدْ أَكْدَى فَهْمُ كُلِّ فَهِيمِ
وَقَصَائِدَ وَدَّ الْعَذَارَى جَعَلَهَا حَلِيًّا مَكَانَ اللُّؤْلُؤِ الْمَنْظُومِ
يَا رَاكِبًا يُدْنِيهِ سَاحَةُ بَابِهِ تَقْرِبُ دَامِيَةَ الْأَظْلَى رَسُومِ
أَبْشُرَ فَقَدْ يَمُمْتَ مَنْ مَنْ يَنْحُهُ يَظْفَرُ بِنَيْلِ مُؤَمِّلٍ وَمَرْوَمِ
إِنْ سَائِلًا يَمُمْتَ بَحْرَ مَوَاهِبِ أَوْ جَاهِلًا يَمُمْتَ بَحْرَ عُلُومِ
أَوْ مُشْتَكٍّ مِنْ ذِي عَدَاءٍ مَظْلَمًا يَمُمْتَ رَفَعَ شِكَايَةَ الْمَظْلُومِ

وهذا الشاعر المجيد: سيدي عبد الله ولد أحمد دام، يقول فيه:

مَا لِلْمَشِيبِ وَفِعْلَ الْفِتْيَةِ الشَّبَبَةِ وَلِلَّيْبِ يُوَاصِي فِي الصَّبَا حَبَبَهُ
أَنْتَ لِذِي شَمَطِ الْفُودَيْنِ رَجَعْتُهُ إِنَّ الْقَتِيرَ لِيَحْمِي ذَا النُّهَا طَرَبَهُ
لَمَّا تَأَوَّبْتَنِي مِنْ طُولِ مَا جَمَحَتْ نَفْسِي هُمُومٌ رَمَتْ صَبْرِي بِمَا سَلَبَهُ
نَاجِيْتُ فِكْرِي وَقَدْ أَمَعْتُ مِنْ نَظْرِي ثُمَّ اسْتَمَرَّ بِي الرَّأْيُ الَّذِي اكْتَسَبَهُ
أَيَّ يَمَمْتُ شَرَفَ الدِّينِ الْكَمَالَ بَنَا عَلَيَاءُ تَعْتَسِفُ الْآكَامَ وَالْهَضَبَهُ
حَتَّى وَضَعْتُ عَصَا سِيرِي بَابَ فَتَى يُوَوِّي الطَّرِيدَ وَيُولِي الرَّاغِبَ الرَّغْبَهُ
مِنْ نَبْعَةِ طَيْبِ الْبَارِي أُرُومَتِهَا بَيْتًا أَحَلَّ ذُرَى الْمَجْدِ الْعُلَى نَسَبَهُ
حَارَتْ أَنْاسُ بَجْدَوَى حَاتِمٍ وَلَقَدْ نَرَى سَخَاءَ كَمَالِ الدِّينِ قَدْ غَلَبَهُ
أَحْنَى عَلَى الشُّعْثِ وَالْأَيْتَامِ مِنْ نَصَفٍ عَلَى صَغِيرٍ لَهَا قَدْ أَكْبَرَتْ عَطَبَهُ
أَشَدُّ عِنْدَ تَمَادِي أَزْمَةٍ فَرَحًا بِالْمَعْتَفِينَ مِنَ الْعَافِي بِكُلِّ هَبَهُ
يَلْقَى الْعَفَاةَ بِوَجْهِهِ مِنْ سَمَاحَتِهِ كَالْهَنْدُؤَانِي تَجْلُو مَتْنَهُ الْجَلَبَهُ
وَإِنْ أَلَمَ بِهِ ضَيْفٌ فَمُرْتَحِلٌ يُثْنِي وَكَانَ جَمِيلَ الظَّرِّ إِذْ رَغِبَهُ
وَلِي يُفَرِّقُ مَدَحَ الشَّيْخِ فِي فَرَقٍ شَتَّى وَيُكْثِرُ مِمَّا قَدْ رَأَى عَجَبَهُ
رَأَى هُنَالِكَ أَخْلَاقَ الْكِرَامِ إِلَى زِيِّ الْمُلُوكِ وَزِيِّ السَّادَةِ النَخَبَهُ
رَأَى مُصَرَّعَةَ الْأَنْعَامِ قَدْ قُسِمَتْ بَيْنَ الصَّفِيفِ وَبَيْنَ الْجَوْنَةِ الرَّحَبَهُ
رَأَى الْوَفُودَ عَلَى بَابِ الْكَمَالِ كَمَا يَرَى الدُّثُورَ عَلَى عِدِّ حَمَتِ قُلْبِهِ
مِنْ مُعْتَفٍ وَأَخِي فَتَوَى وَمُلْتَمَسٍ فَصَلَ الْقَضَا وَمُرِيدٍ كَشَفَ مَا حُجِبَهُ
أَوْ كَشَفَ مَسْأَلَةَ الْكُلِّ قَدْ وَسِعَتْ حِقَانَهُ وَلِكُلٍِّ مِنْهُ مَا طَلَبَهُ
فَاللَّهُ بَارَكَ فِي نَفْسِ الْكَمَالِ وَفِي مَا اللَّهُ مُوَلِيهِ مِنْ قُصُوصٍ وَمُقْتَرَبِهِ
إِنْ تَسْتَبِقُ حَلْبَاتُ الْمَجْدِ رَاكِضَةً نَحْوَ الْمَعَالِي تَرَاهُ سَابِقَ الْحَلَبِهِ
لَا يُضْمِرُ الصِّغَرُ مِنْ جَارٍ أَسَاءَ وَلَا مِنَ الْمَرَافِقِ يُوهِي صَبْرَ مَنْ صَحِبَهُ
وَلَا يَضِيقُ ذِرَاعًا بِالَّذِي صَنَعَتْ أَيْدِي الْحَوَادِثِ تَبْتَرُ الْفَتَى سَلَبَهُ
وَكَمْ ثَنًا بَيْنَ مَا حَيَّنَ أَصْلَحُهُ حَزَرَ الصَّنَاعِ لِمُسْنِي أُجْرَةِ قَرَبِهِ
أَمَّا الرِّقَاعُ فَأَعْلَاقُ يَجُودُ بِهَا وَالسَّيْرُ نُصْحٌ بَلِيغٌ يَبْتَغِي الْقُرْبَهُ

رَأَهُ ذُو الْعَرْشِ عَلَامُ الْغُيُوبِ لِيَذَا أَهْلًا فَسَاقَ لَهُ مِنْ قَبْلِهِ سَبَبَهُ
عِلْمًا وَفَهْمًا يَصِيدُ الْمَشْكِلَاتِ بِهِ دَرَكَ الطَّمَرَةِ مِنْ سِرِّبِ الْمَهْيِ عَطْبَهُ
ولو أردتُ أن أستقصي سائر ما مُدح به من الشعر ما استطعتُ، ولو استطعتُ لامتدَّ
القول وفاض.

وقد كان الشيخ سيدنا الكبير حرماً آمناً وركناً منيعاً لا يُخشى العدوان بحرمه، مهيباً
عند أهل السلطة «وكانت العرب في أرض شنقيط تجعله حرماً آمناً؛ فيجتمع عنده
أحدهم بمن قتل أباه أو أخاه فيجلسهما على مائدة واحدة. وإذا بلغ الجاني نواحي
البلد الذي يقيم به أمن على نفسه. ولم يمض عليه يوم إلا وعنده آلاف الناس يطعمهم
ويكسوهم ويقضي جميع مآربهم، حتى لقي الله. ولا يسأله أحد حاجة إلا أعطاه
إياها بالغة ما بلغت»⁽¹⁾.

ويقول عنه الكاتب اللبناني محمد يوسف مقلد: «وأنت إذا طفت موريتانيا،
أو زرت بعض نواحيها فقط، فإنك ستسمع حالاً أسماء عائلات معروفة مشهورة كأنها
أسماء العواصم أو أسماء الشعوب ... ولكن "عائلة آل الشيخ سيدنا" عائلة
لا تضاهيها عائلة أخرى في العلمية والشهرة، لا في القديم ولا في الحديث.. يمدّون
أحناكهم في ياء (سيدي) الأخيرة، ويفتحونها عالياً حتى تصبح (سيديا)؛ فالشيخ
المذكور - جد العائلة الأكبر - وذووه آل الشيخ سيدي، قبلة شعراء "البيضان" في
كل قطر من أقطارهم من قديم الزمان، فهم أصحاب وجهة زمنية وروحية، لها من
الحرمة والمهابة عند "البيضان" ما لا يستطيع أن يظفر بمثلها كبير أو وجيه ... وإنَّ
شعر شعراء عرب إفريقيا في الشيخ سيدي ومن يليه من سلالته، لا يتسع لجمعه
والإحاطة به وقت مهما طال وتوفرت معه الأسباب، حتى إنني لأعتقد أنه لا يوجد

1- راجع: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص 241.

في موريتانيا شاعر أو شويعر، إلا وله في الشيخ سيدي أو أحد أبنائه قصيدة رثاء أو مدح، ومنهم من له قصائد لا قصيدة واحدة في الرثاء والمدح لأفراد هذا البيت»⁽¹⁾. وإن من أجود ما يحضرنى الآن في هذا المقام مما يعزّز قول الأستاذ محمد يوسف مقلد، تلك القصيدة الذائعة الرائعة التي نسجها العالم العلامة أحمد ولد محمد محمود ولد فتّي الشقروي، مرحّبًا بالشيخ سليمان ولد الشيخ سيديا⁽²⁾؛ بمناسبة وفادته على الشقرويين سنة 1963:

يَا نَائِبًا فِي خِصَالِ الْمَجْدِ عَنْ (بَابَا) ³	بَابًا فَبَابًا فَحَارَ الْيَوْمَ أَبْوَابًا
بَابًا مِنَ الْبَشَرِ مَفْتُوحًا لِقَاصِدِهِ	مَا إِنَّ تَرَى دُونَهُ إِنَّ جِئْتَ بَوَّابًا
وَبَابَ تَنْفِيسِ كَرْبِ الْمُسْتَغِيثِ بِهِ	فِي الْحَادِثَاتِ إِذَا مَا الْخَطْبُ قَدْ نَابَا
وَبَابَ تَدْيِيرِ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ إِذَا	مَا الدَّهْرُ أَنْشَبَ أَظْفَارًا وَأَنْيَابَا
وَبَابَ دِينَ يَدِينِ اللَّهَ جَلَّ بِهِ	وَفَقَّ الشَّرِيعَةَ تَحْرِيمًا وَإِيجَابَا
وَبَابَ جُودٍ بِهِ صِينَتْ مَرُوءَتُهُ	أَنْ تُسْتَبَاحَ فَمَا طَ الذَّمَّ وَالْعَابَا
وَبَابَ بَذْلِ عَلَى الْعَافِينَ مَنْسَكٍ	يَعْمَ جَمْعُهُمْ سَحًّا وَتَسْكَابَا
وَبَابَ عَقْلِ يَسُوسِ الْمُسْلِمِينَ كَمَا	قَدْ سَاسَهُمْ قَبْلَهُ غَيْثُ الْوَرَى (بَابَا)
ذِي سَبْعَةٍ هِيَ أَبْوَابُ النِّيَابَةِ إِذْ	قَدْ كُنْتَ عَنْ حَرَكَاتِ الشَّيْخِ نَوَّابَا
فَإِنْ تَكُنْ حَرَكَاتُ الشَّيْخِ تُعْرِبُ عَنْ	نَفْعِ الْوَرَى نُبِتَ عَنْهَا الْيَوْمَ إِعْرَابَا

1- شعراء موريتانيا القدماء والمحدثون، ص 359.

2- هو حفيد الشيخ سيدي الكبير، ولد 1924/07/14. شخصية معروفة كان لها دور سياسي بارز إبّان نشأة موريتانيا وبعد ذلك. شغل منصب رئيس البرلمان، وعمل مندوبا دائما لبلاده في الأمم المتحدة حيث نجح في الحصول على الاعتراف الدولي بها. توفي 1999/11/01.

3- هو والد الممدوح؛ العلامة الشيخ سيديا (بابّه) ولد الشيخ سيدي محمد ولد الشيخ سيديا الكبير.

ما سُدَّتْ أَقْفَالُ خُطْبٍ عِنْدَ حَادِثَةٍ إِلَّا وَكُنْتُ لَهَا الْمِفْتَاحَ وَالْبَابَا
فِي حَضْرَةِ نَفْعِ اللَّهِ الْأَنَامِ بِهَا سَيَّانٌ فِي النِّفْعِ مَنْ قَدْ شَبَّ أَوْ شَابَا
إِنْ تَلَقَّهِمْ تَلَقَّ أَقْمَارًا مَنُورَةً غُرَّ الْوُجُوهَ حَوَّوْا عَلَمَا وَآدَابَا
سَادُوا صِغَارًا فَلَمَّا تَمَّ أَمْرُهُمْ فَاقُوا بَنِي الدَّهْرِ آرَاءَ وَأَلْبَابَا
يَا طَيِّبِي الْأَصْلَ يَا غُرَّ الْوُجُوهِ وَيَا مِنْ ظَاهِرُوا مِنْ صَمِيمِ الْمَجْدِ أَثْوَابَا
صَيْتٌ لَكُمْ عَمَّ وَجْهَ الْأَرْضِ قَاطِبَةً غَطَّى بَنِي الدَّهْرِ أَشْيَاخًا وَأَقْطَابَا
طَابَتْ فُرُوعُكُمْ مِنْ طَيْبِ أَصْلَكُمْ فَالطَّيِّبِ عَمَّكُمْ إِذْ كُلُّكُمْ طَابَا
حَمَلْتَ أَعْبَاءَ حَاجَاتِ الْعِبَادِ فَمَا إِنْ ضَقْتَ ذَرْعًا وَلَا أُلْفَيْتَ صَحَابَا
إِنَّ السِّيَادَةَ لَا تَنْقَادُ طَائِعَةً إِلَّا لِمَنْ ذَاقَ فِيهَا الصَّبْرَ وَالصَّابَا
يَا مَرْحَبًا بِقُدُومِ النَّدْبِ مِنْ كُسَيْتِ مِنْ عَدَلِهِ الْأَرْضُ بَعْدَ الْجَوْرِ أَثْوَابَا
عُمِّرْتَ عَمْرًا طَوِيلًا فِي بُلْهَنْيَةٍ لَا تَخْتَشِي حَاسِدًا يُولِيكَ إِرْهَابَا
أَوْلَاكَ مَوْلَاكَ مَنْ أَوْلَاكَ نِعْمَتُهُ عَمْرًا يَزِيدُ عَلَى التَّسْعِينَ أَحْقَابَا
مُظَاهِرًا بَيْنَ ثَوْبَيْ عِزَّةٍ وَغَنَى مُسْتَشْعِرًا مِنْ ثِيَابِ الْأَمْنِ جَلْبَابَا.

وذكر الشاعر العلامة هنا تسلسل المجد في أسرة المرحب به، يستدعي إلى
الذاكرة ما عرفه تاريخ الثقافة العربية "من البيوتات العلمية التي استفاد العلم فيها،
وكان إرثا طيبا يؤول إلى الأبناء فيما يؤول إليهم من عقار وحطام، فكان علم الأبناء
امتدادا ناضجا لعلم الآباء، وقد صان هؤلاء الأبناء ذلك الموروث العلمي العظيم،
وعملوا على إثرائه وإخصابه. وحسبنا في هذا المقام أن نذكر أبا حاتم الرازي محمد
بن إدريس بن المنذر، المتوفى سنة 277 هـ، وابنه عبد الرحمن بن أبي حاتم، المتوفى
سنة 327 هـ، وهما من أئمة الجرح والتعديل. والإمام ضياء الدين خطيب الري عمر
بن الحسين بن الحسن، وابنه الفخر الرازي محمد بن عمر، المتوفى سنة 606 هـ،
وهما من فرسان علم الكلام. والإمام العلامة تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي،

المتوفى سنة 756 هـ، وابنه العلامة تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي، المتوفى سنة 771 هـ.⁽¹⁾

يقول الأستاذ الدكتور محمد المختار ولد اباه، عن الشيخ سيديا الكبير: "إن شهرة هذا العالم العلم تغني عن التعريف به، ونكتفي بما قاله عنه جدنا بابّه بن أحمد بيّه العلوي:

لَكَ الطَّائِرُ الْمَيْمُونُ وَالْمَنْزِلُ الرَّحْبُ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَوْثُ لَا شَكَّ وَالْقُطْبُ
وَأَنْتَ حُسَامٌ قَاطِعٌ كُلَّ شُبْهَةٍ وَأَنْتَ سِرَاجٌ فِي الْبَرِيَّةِ لَا يَحْبُو
أَضَاءَتْ بِلَادُ الْعَرَبِ لَمَّا حَلَّتْهَا وَأَصْبَحَ يَبْكِي عِنْدَ تَرْحَالِكَ الْعَرَبُ
وَجِئْتَ بُكْتَبٍ يُعْجِزُ الْعِيسَ حَمْلَهَا وَعِنْدَكَ عِلْمٌ لَا تُحِيطُ بِهِ الْكُتُبُ⁽²⁾

وقد وصف بعض الباحثين الشيخ سيديا الكبير بأنه أبرز مفكري الأروستقراطية الدينية⁽³⁾، ولذلك ما يعضده، إذ اختطّ الشيخ سيديا لحضرته الدينية العلمية نظاما شاملا لم يكن مألّوفا في غيرها، حيث ورّع الوظائف والمهام بين التلاميذ فكُلّفت طائفة منهم بوظائف مالية تتعلق بتسيير الموارد المالية للحضرة؛ من حراثة، وتسيير قوافل، وتنمية المواشي، إلى غير ذلك من الجوانب ذات الصلة بتنمية الموارد المالية. ولم تكن العناية بالجانب المالي لتطغى على الجانب الثقافي حيث تخصص بعض تلاميذ الحضرة من العلماء المهرة في التدريس ونسخ الكتب والقيام على المكتبة...

1- مقالات العلامة محمود الطناحي، ص 47.

2- راجع: تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، ص 483. وقد أثبت الأبيات برواية تخالف قليلاً ما ورد في المرجع، فلربما يكون المؤلف قد أثبتّها من حفظه.

3- راجع: الأروستقراطية الدينية في موريتانيا، المصطفى ولد اعلمبطالب (علي بن أبي طالب)، أطروحة تخرج في المدرسة العليا للأساتذة، انواكشوط 1985م.

المطلب الرابع مكانته العلمية

بعد أن قضى الشيخ سيديا أربعين سنة من عمره مغتربا طلبا للعلم، في رحلة قادته من منطقة القبلة في أقصى الجنوب الشنقيطي إلى منطقة أزواد، مسجلا بذلك أطول رحلة علمية عرفت في هذه البلاد، بل وفي أكثر حواضر الإسلام قديما وحديثا؛ فلا غرو أن يتصدّر علماء عصره، وهذا ما يؤكده النظر إلى من تتلمذوا له وتصدروا على يديه، وما تركه من مؤلفات ورسائل. لذا سنقسم هذا المطلب إلى فرعين؛ نتناول في أولهما تلاميذه الذين أجازهم، وفي الآخر بعض مؤلفاته ورسائله.

الفرع الأول بعض تلاميذه الذين أجازهم

تصدّر على يدي الشيخ سيديا الكبير خلق كثير نفع الله به وبهم عباده، فصاروا أقمارًا في أقطار الأرض شرقًا وغربًا، وسأكتفي هنا بذكر أسماء من ذكر والدنا القاضي المؤرخ هارون ولد الشيخ سيديا، في كتابه الموسوعي (الأخبار) أنه وقف على إجازات بعضهم وثبت عنده بالتواتر بعضها الآخر⁽¹⁾. فمما وقف عليه من الإجازات المكتوبة

1- راجع: كتاب الأخبار، ج1، ص57.

المؤرخة إجازته لكل من:

1. الشيخ هلال ولد محمدن الألفغي الشمشوي. أجازته ليلتين خلتا من ذي القعدة عام 1253هـ.
2. الشيخ محمد مبارك ولد أحمد ولد حبيب الله اللمتوني. أجازته في العلوم الظاهرة والباطنة أواسط المحرم عام 1265هـ. له ما يربو على مائة تأليف. توفي سنة 1290هـ عن نحو 90 سنة⁽¹⁾.
3. الشيخ سيدي عبد القادر ولد سيد الأمين ولد الطالب اعمر ولد خيرى. أجازته في التاريخ الآنف.
4. الشيخ سيد الامين ولد محمود ولد طوير الجنة الحاجي. أجازته أواخر شوال عام 1268هـ.
5. الشيخ محمد عبد الرحمن ولد محمود ولد الرباني التندغي. أجازته لخمس خلون من ذي القعدة عام 1271هـ.
6. الشيخ أحمد ولد المختار ولد ازوين التنواجيوي. أجازته لبقاء ليلة أو ليلتين من جمادى الأولى عام 1282هـ.
7. الشيخ سيدي محمد ولد سيدي أحمد ولد الإمام أحمد (حَبْت) الغلاوي. أجازته لعشر بقين من شوال عام 1253هـ. وهو من علماء شنقيط البارزين، ومؤسس كبرى مكنتاتها إلى اليوم. له مؤلفات منها (المواهب النحوية على الخلاصة والألفاظ البونية). توفي سنة (1288هـ/1871م) عن خمس وتسعين سنة. وقد أخذ عنه ولده الشيخ (ت1299هـ/1882م) وهو الذي

1- راجع: بلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص526.

وضع اختصارا في أربعة أجزاء لكتابه (المواهب النحوية) وطُبع منه جزءان في فاس مع حاشية للسلطان المغربي مولاي عبد الحفيظ⁽¹⁾.

1. الشيخ محمد المبارك الكسمي.
2. الشيخ محمدٌ ولد بابُ (من ذرية القطب الكبير عبد السلام بن مُشَيْش).
3. الشيخ مولاي إبراهيم ولد سيدي محمد (من ذرية القطب ابن مشيش أيضا).
4. الشيخ عثمان كبا.
5. الشيخ أحمدٌ ولد ألفتغ محمد (من تاكنيت من أولاد طالب أحمد).
6. الشيخ محمدٌ ولد ألفتغ محمد (أخو السابق).
7. الشيخ محمد سيدين ولد أحمد محمود ولد محم ولد بابُ الأبييري.
8. الشيخ أحمدٌ ولد اسليمان ولد أحمد سالم الديماني⁽²⁾.

1- هو سيدي محمد ولد أحمد ولد سيدي محمد ولد سيدي أحمد ولد محمٌ ولد أحمد الملقب (حَبْت) ولد الإمام محمد أحمد ولد الإمام محمٌ ولد إبراهيم ولد حنبلٌ ولد حبيب الله ولد عبد الله ولد موسى ولد محمٌ ولد محمد قلي الذي يجتمع إليه نسب الأغلال. راجع: كتاب الأخبار، ج 1، ص 220. بلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص 514 وكذلك ص 516.

2- هو ابن اسليمان ولد أحمد سالم ولد محنض أشفغ ولد الفالّل ولد باركللٌ ولد يُقْبَنَللٌ ولد يَدَيِّمَان ولد يعقوب ولد موسى ولد مُهْنُض امْعَر (ثاني الخمسة اتفاقا الذين شكلوا حلف تشمشه) ولد عامريل ولد علي التونكلي، وهو وأخوه محمذن فال أمهما سكيانة بنت محمذن ولد سيدنٌ ولد محنض أشفغ ولد الفالّل ولد باركلل، وأم سكيانة هذه خديج بنت محمد ولد الحاج المختار، وخديج هذه هي التي تزوجها فيما بعد عالي ولد عبدي ولد المصطفى ولد محنضلل فولدت له ابنتهما أمامة التي تزوجها الشيخ سيديا الكبير؛ وبذلك فالشيخان أحمدٌ

9. الشيخ أحمد ولد الفالال الأبهمي الديماني.
 10. الشيخ محمدٌ ولد "ابنُ عمر" ولد محمدًا (من إيدودنيقب).
 11. الشيخ سيدي الأمين ولد حبيب الله (من إيدودنيقب).
 12. الشيخ سيدي الفاللي ولد ابهاه الحسني (من أولاد بُلمختار).
 13. الشيخ الحسن ولد ايه الحسني (من أولاد اخطيرَه).
 14. الشيخ محمدٌ ولد حنبلُ الحسني.
 15. الشيخ أحمد ولد محمد الألفغي الشمشوي.
 16. الشيخ سالم ولد المصطف ولد آبُوْدَه الألفغي الشمشوي.
 17. هلال ولد محمذن الألفغي كسابقيَه.
 18. الشيخ أحمد ولد محمذن ميلود الإدبعمري الأبييري.
 19. الشيخ حمدي مولود ولد أحمد محمود (أخو الشيخ محمد سدينَ المذكور سابقًا).
 20. الشيخ سيدي محمد؛ ابن الشيخ المذكور آنفا.
- وقد أخذ عنه غير هؤلاء ممن لم يقف الوالد القاضي هارون على إجازاتهم، وإنما ذكرنا هؤلاء الشيوخ الأفاضل من باب التدليل على التنوع الجهوي والقبلي لمن تتلمذ
-
- ومحمذن فال ابني اسليمان هما ابنا أخت امامَه بنت عالي ولد عبدي، وابنا خالة الشيخ سيدي محمد الابن الأوحده للشيخ سيديا الكبير. وقد كان للشيخ أحمدو (ت1300هـ) دور بارز في الحفاظ على المكانة الاجتماعية لأسرتنا بعد أن توفي ابن خالته والدنا الشيخ سيدي محمد ولد الشيخ سيديا وابناه لم يبلغا الحلم بعد. وهو من الأعيان والعلماء البارزين. أما أخوه الشيخ محمذن فال ولد اسليمان، فهو أكثر من كان يكتب للشيخ سيديا رسائله. راجع: كتاب الأخبار، ج2، ص33 وكذلك ص67. وبلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص515.

على يديه. أما الذين دخلوا في زمرة وأخذوا طريقته فلا يحصيهم إلا خالقهم، فتبارك الله أحسن الخالقين، "فلا أدعي الحصر ولا يمكنني"⁽¹⁾.

الفرع الثاني

مؤلفاته ومائله

على الرغم من كثرة مشاغل الشيخ سيدي الكبير وتنوعها فقد ترك تراثا ضخما من المعارف والفنون والآثار؛ ما بين كتب تنيف على الخمسين في مختلف معارف عصره؛ فضلا عن كم هائل من الرسائل التي كتبها لنظرائه، ولأمراء عصره، ولقادة القبائل، وكذلك للحاكم الفرنسي لغرب إفريقيا. وتكشف هذه الرسائل عن تمكنه من فن الكتابة النثرية، وعن توظيفه ثقافته الدينية والصوفية واللغوية والأدبية، وعن حنكته السياسية؛ فقد كانت تحمل مضمونا دعويا حكيما، ونصحا وإرشادا عظيما، وأمرًا بالمعروف ونهيا عن المنكر، وحثا على تطبيق شرع الله واتباع ما به أمر، والابتعاد عما عنه نهى وزجر، وكانت كلها تنم عن فكرة راسخة لديه بضرورة إقامة الإمامة الراشدة، في دولة موحدة عادلة رائدة، دستورها الرسالة المحمدية الخالدة.

وقد كان المحتوى السياسي لرسائل الشيخ سيدي الكبير إلى أمراء الترابزة خصوصا، موضوعا لمذكرة تخرج في المدرسة العليا للأساتذة في انواكشوط، أعدها سنة 1986م أحد حفدته، هو الباحث يعقوب ولد يوسف ولد يعقوب ولد الشيخ سيديا. أما مجمل رسائله إلى الكيانات السياسية والمجموعات القبلية فقد جمعه

وحققه الباحث الدكتور محمد المختار ولد السعد، وصدر حديثا في سفر ضخم نشرته دار الإسرائ في العاصمة الأردنية عمّان⁽¹⁾.

وقد ترك الشيخ سيدي الكبير ديوان شعر، كان تحقيقه - أيضا - موضوع بحث تخرّج في المدرسة العليا للأساتذة في انواكشوط، أعدها الباحث أحمد ولد جدو سنة 1981م. وقد صدر مؤخرا تحقيق آخر لهذا الديوان، أعدّه الأستاذ عبدالله ولد إسماعيل ولد أبومدين، و"لعلّ القارئ الساذج الذي لا يعرف عن الشيخ سيدي الكبير إلا ما اشتهر عند الناس من أنه قطب زمانه، وفائق أقرانه، علما وحلما، وورعا وكرما، ورئاسة وسياسة، لعل هذا القارئ سيقول في نفسه وإن لم ييدها لنا: ما للشيخ سيدي والشعر؟ أليس الشعر شأننا نحن أهل الحظوظ الدنيوية؟

لهذا القارئ أقول: وأبيك إنه لشاعر. ولعل الذي لبس عليك الأمر أن الشيخ سيدي الكبير شدّ عن قاعدة معروفة في هذا القطر وهي أن من فاق في ميادين كثيرة كالعلم والورع والسخاء والسيادة ويمن الطالع، وفاق في فنّ الشعر فإن الشعر سيغلب على هذه الميادين كلها، فلا يعرف إلا به ولا يوصف إلا بحليته، يقولون: "فلان الشاعر" وإن كان الشعر هو أدنى مقومات شهرته.

شدّ الشيخ سيدي الكبير عن هذه القاعدة فما عرف بالشعر ولم يَطْع شعره على الجوانب الأخرى من شخصيته الفذة بالرغم من أنه شاعر مفلق بما في الكلمة من معنى - أقولها وأنا على وعي مما أقول - شاعر ولكنه لم يشتهر بهذا الوصف إلا عند القلة القليلة من أهل الميدان الذين لهم اطلاع على خبيئات هذا الشأن. ولقد حدثت عن بعض شيوخنا من أهل الصقع الإكدي أنه كان يقول: لولا أن لا يصدقني

1- راجع: رسائل الشيخ سيدي الكبير إلى الكيانات السياسية والمجموعات القبلية، تحقيق: الدكتور محمد المختار ولد السعد، دار الإسرائ، عمّان - 2020.

الناس لقلت إن الشيخ سيديا الكبير إن لم يكن أشعر من ابنه الشيخ سيدي محمد، فما هو بدونه.

ولعل من حق القارئ أن يتساءل عن السبب في كون شعر الشيخ سيديا الكبير لم تتداوله الرواة ولا شاع بين الناس كما شاع غيره من عينات الشعر على اختلاف درجاتها والتفاوت في قيمتها.

والذي يظهر لنا - على تسليم هذه المقالة - أن ذلك يعود إلى ثلاثة أسباب:

- السبب الأول يرجع إلى طبيعة الأغراض التي عالجها الشيخ إذ غالبها في الأمور الجدية كالحكم والنصائح ومدح أشياخه والتصوف والمناجاة، وهي مواضيع استحوذت على نصيب الأسد من شعر الشيخ ولا تتوفر الدواعي عند كثير من الناس إلى الميل إليها واستحسانها.

- السبب الثاني هو الوقار والهيبة التي تلوح على شعر الشيخ - وهذا مما يُذاق ولا يناقش - وذلك في ما نرى أن كلام هؤلاء الأولياء، وإن كانت له حلاوة في بعض الأحيان، فإنه لا يخلو من شدة بحكم الإرث النبوي؛ إذ من المعروف أن الوحي شديد ثقل وأن لكلام الأولياء من ذلك نصيبا معلوما.

- السبب الثالث أن شعر الشيخ نخبوي يكاد أن يكون موجها إلى طبقة من مستوى معين فلم ينزل إلى مستوى تشترك فيه عامة "المستهلكين"، ومن طالع ديوانه تحقق من ذلك إذ وجده يحيل إلى علوم ذوقية من علوم المنازلة والمعاملة وإلى مرجعيات ثقافية وعلمية لا بد لاجتلائها من الإبعاد في النجعة والتسور على مراتع تحامتها أطراف الرماح كما يقال⁽¹⁾.

1- جزء من تقديم الأستاذ الإداري محمد فال ولد عبد اللطيف لتحقيق الديوان. راجع: ديوان الشيخ سيدي بن المختار بن الهيب، تحقيق: عبد الله بن إسماعيل بن أبي مدين، د.ت.ن.

والناظر في قصيدته الدالية، المعروفة بالزرقاء⁽¹⁾، التي يمدح بها شيخه الشيخ سيدي محمد الكنتي، ومطلعها:

طَلَعَتْ بِبُرْجِكَ لِلْبَرِّيَّةِ أَسْعُدُ أَيَّامَ جَادَ بِكَ الزَّمَانُ الْأَجُودُ

يدرك مدى تمكنه من أسس البناء الفني للشعر؛ فهذه القصيدة في البحر الكامل تُستخرج منها أخرى في البحر البسيط وثالثة في المديد، فتضحى الكلمة أو العبارة داخلية في شبكتين من العلاقات النحوية، إحداهما تنتظمها والكلمات الموالية لها أفقيا والأخرى تربطها بالكلمات الموالية لها عموديا. يضاف إلى ذلك انفراده بالنظم على البحر المجتث، وذلك من بين جميع شعراء المدونة التي جعلها أستاذي المرحوم الدكتور جمال ولد الحسن مجالا لدراسته القيمة حول الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر الهجري. كما أن البحور التي نظم عليها قد بلغت في المدونة ذاتها أحد عشر بحرا، وبذلك حاز المرتبة الأولى في عدد البحور التي نظم عليها شعراء المدونة⁽²⁾.

ويضم ديوان الشيخ سيدي الكبير حوالي (3000) بيت، غلب عليها من الناحية الموضوعية الجانب الديني؛ فقد كان الرجل عالما وشيخ طريقة ولذا وظّف أداة شعرية جاهزة لنشر ثقافته العالمية، فخلا ديوانه من الغزل خالصا ومقدمة لغيره، ووقف شعره على المعاني الدينية مديحا وتوسلا ورثاء.

أما من الناحية الفنية فيبرز في ديوان الشيخ سيدي الكبير طول النفس، وهو ما يدل على التمكن من استجلاب القوافي المناسبة. وهناك ملمح آخر يتمثل في إيثاره للبحور الطويلة، وما يعنيه هذا الإيثار من ميل إلى الرصانة وإشباع المعاني. وعموماً

1- راجع: كتاب الأخبار، ج1، ص202.

2- راجع: الشعر الشنقيطي، ص165 وكذلك ص177 وأيضاً ص189.

فقد طغت الجزالة والسلاسة على شعره، وامتازت بعض قصائده برقة لا تفوت على متذوق الشعر.

ولا يُستبعد أن تكون بعض قطع شعر الشيخ مازالت في طيات الكتب ورفوف المكتبات، فإن الشيخ كما سيتضح لاحقا عاش عمرا مديدا، وجاب بلادا كثيرة من المحيط إلى أزواد، ومما وراء النهر إلى تخوم المغرب الأقصى، وعاشر كثيرا من أبناء هذا المنكب، وشارك في أحداثه الدينية والسياسية، وتخرج على يديه الكثير من أقطاب الطريق، وتعلق به الكثير من الأمراء والوجهاء، وراسلهم وراسلوه، فلا يستبعد - والحالة هذه - أن يستدعي ذلك منه إنتاجا شعريا لم يصل إلينا حتى الآن.

وللشيخ سيديا الكبير رسائل في التفسير والفقه وفتاوى كثيرة جدا، ورسائل في التوجيه الاجتماعي والأخلاقي، وله رسائل في علم التجويد وغيره، وشروح في النحو والصرف وغيرهما من علوم العربية؛ وكلها مازالت مخطوطة. وبالجملة فقد ترك تراثا ضخما من المعارف والفنون السائدة في عصره، ومن ذلك:

- القصد والتسديد في حكم نازلة اللحن والتجويد.
- بغية الخائض في حكم التمتع بالحائض.
- تحفة الأطفال بحل عقد لامية الأفعال.
- خلاص النفس من الحبس.
- الكلام المقنع في مسألة المسمع.
- مجمع الطي والنشر في أجوبة المسائل العشر.
- مرآة النظر في وجه خبايا المختصر.
- شرح مقصورة أبي بكر محمد بن دريد.

- هصر العراجين من عذق أم البراهين للضعفاء المراهين (شرح الصغرى للسنوسي).
- رسالة في المال المدفوع للأكابر ولمدارة الظلمة.
- والكتاب الذي بين أيدينا = النفحة القيومية بتقرير الآجرومية.

المطلب الخامس

مكانته السياسية

أدت المكانة العلمية للشيخ سيدي الكبير إلى تبوئه مكانة اجتماعية مرموقة جعلته مرجعا وحكما بين أبناء منطقته، فنشطت دبلوماسيته وكثر سفرؤه، خاصة وهو يتصل بالإمارات الموريتانية؛ فقد اتصل عندما استقر بحضرته في بوتلميت وضواحيها ببعض الأمراء والأعيان في زمنه، وكانت له علاقة روحية قوية بأغلبهم؛ من ذلك علاقته بأمير "الترارزة": أَعْمَرُ ولد المختار (ت1245هـ) وهو الأمير الثاني عشر من أمراء الترارزة، وقد تركها الأمير سُنَّة في أبنائه، وبخاصة ابنه الأمير من بعده "مُحَمَّدُ لَحْيِب" (ت1277هـ) الذي رعى تلك العهود والأواصر حق رعايتها طيلة الخمس والثلاثين سنة التي مكثها أميراً؛ فكان يجلُّ الشيخ سيدي ويستشيره في أمور الدين والدنيا، ويفد عليه ملتمسا النصح والدعاء كلما أراد الإقدام على أمر ذي بال.

كما أن صِلات الشيخ سيدي كانت قوية بأمراء البراكنة بدءاً بالأمير "أحمدُ ولد سيد إغل ولد آغْرِيشي"⁽¹⁾، وابنه سيد إغل، ومرورا بأمحمد ولد محمد ولد سيدي ولد المختار ولد آغْرِيشي.

1- أمير لبراكنة بعد وفاة أبيه (1311هـ/1893م). هاجر إلى المغرب حين دخل الفرنسيون البلاد سنة (1321هـ/1903م). راجع: بلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص504.

كما ربط صِلَاتٍ وطيدة مع أمير آدرار "أحمد ولد سيد أحمد ولد عَيْدَه"، وأمير تكانت "بكار ولد اسْوَيْد أَحْمَد"⁽¹⁾. وهكذا كانت الرسائل تروح وتغدو بينه وبين أمراء "أولاد السَّيِّد" من "البراكه"، وبينه وبين "بَكَّاز ولد اسْوَيْد أحمد" أمير "إدوعيش"، وكذلك الأمير "أحمد ولد عَيْدَه" أمير آدرار.

كما كانت له صِلَاتٌ وثيقة بملوك "الدولة الفُودية" في سوكوتو بنيجيريا، التي أسَّسها الشيخ العالم المجاهد عثمان بن محمد بن عثمان بن صالح الفلاني، وهو المعروف باسم "عثمان دان فُودِي"، وخصَّهم بقصيدة فريدة بين قصائد ديوانه مؤيدا لهم وناصرا وداعيا⁽²⁾. وراسل رؤساء "مَاسَن"⁽³⁾ الذين خرجوا عن طاعة الشيخ عثمان فُودِي. وقد بايع الشيخ عثمان هذا السلطان المولى سليمان بن سيدي محمد بن المولى عبد الله بن المولى إسماعيل، وكتب له السلطان وأرَّخ كتابه له في ثامن عشر جمادى الثانية عام خمسة وعشرين ومائتين وألف⁽⁴⁾.

1- هو بكار ولد اسويد احمد ولد محمد شين ولد بكار ولد أعمر، أمير تكانت نحو نصف قرن، مجاهد ذو نفوذ واسع، استشهد في وقعة تنكاوم مع الفرنسيين سنة 1905 وهو حينها قد جاوز التسعين. راجع: بلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص 509.

2- راجع: كتاب الأخبار، ج 1، ص 175 وما بعدها. والشعر الشنقيطي، ص 193. وبلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص 521.

3- مكون عِرقي زنجي له الآن اسم آخر معروف هو (هُوَص = الهوسا)، وهم من امتنعوا من قبول البقاء تحت الحكم التكروري المتمثل في الدولة الفودية التي نشأت في بدايات القرن التاسع عشر الميلادي على أنقاض مملكة هوص المنهارة. وتقع مناطق تلك القبائل الآن ضمن أراضي دولة مالي. راجع: كتاب الأخبار، ج 1، ص 181.

4- كانت بيعة السلطان المولى سليمان يوم الاثنين سابع عشر رجب سنة 1206هـ، وهو حينها ابن عشرين سنة طالب علم متجرد منعزل لا همة له بأدنى مرتبة من مراتب الدنيا، فكان

وكما راسل الشيخ سيدي الكبير الأمراء فقد راسل قبائل المغفرة وأعيانهم؛ فراسل "أولاد مبارك"، و"أولاد علوش"، وسائر القبائل المجاورة لـ"أزواذ" من قريب أو بعيد⁽¹⁾.

ونختم هذا المطلب بالإشارة إلى رسالة تدلّ من غير حصر على مكانة الشيخ سيديا عند أهل الشوكة في البلاد المتغلبين في أطرافها، وهي رسالته إلى تلميذه الصادق ورئيس قومه الفائق: الشيخ برام ولد سيدي ولد بُبْكَرْ، رئيس جماعة أولاد أحمد⁽²⁾؛ فقد جمعت الرسالة المذكورة بين اثنين من أهل آغريشي يجمعهما جد واحد ويتنازعان الإمارة، وهما سيد اعل ولد أحمدو ولد سيد اعل ولد المختار، وامحمد ولد محمد ولد سيدي محمد ولد المختار. وقد بيّن فيها الحكم الشرعي في من يستحق تولية الخلافة، بأنه الأعراف بالسياسة وطُرق الرياسة، والأحب إلى أكثر العباد والأضبط لهم عن الفساد في البلاد، فإذا اجتمعت هذه الصفات كلها أو جلها في أحد المتنازعين دون الآخر تعيّن نصره وتقديمه وامتنع خذلانه وتسليمه. وفي الرسالة ذاتها أمرٌ للشيخ برام أن يُعلم محمد لحبيب ولد أعمر ولد المختار أن سيد أحمد ولد إبراهيم اخليل وبعض من قومه قد مرّوا بمرسل الرسالة فاستبقاهم معه وأنه يريد من محمد لحبيب القدوم عليه عند بوتلميت أو ما يقرب منها من المناهل ليصلح بينهم وبينه.

لذلك من خيار السلاطين، وقد توفي (رحمه الله) ثالث عشر ربيع الأول عام 1238هـ. راجع: كتاب الأخبار، ج 1، ص 182.

1- المرجع السابق: ص 37.

2- كان لجماعة أولاد أحمد مكانة خاصة لدى الشيخ سيديا الكبير، لم يحظ بها غيرهم من العرب ذوي الشوكة، وظل الأمر كذلك لدى ذريته من بعده؛ فقد كان أولاد أحمد يحبون الشيخ سيديا ويعظمونه، ولا يزال ذلك دأبهم إلى الآن مع ذريته من بعده. راجع: كتاب الأخبار، ج 2، ص 149 وكذلك ص 208.

وتضمنت الرسالة المذكورة أن سيد أحمد ولد إبراهيم أخيل أخذ الورد على الشيخ سيديا الكبير، وعاهده على أن لا يخالفه، وأخبره أن ولد عيْدَة فَوْض أمره إليه⁽¹⁾. فهؤلاء المذكورون في هذه الرسالة هم أكثر العرب ذوي الشوكة في ذلك العهد، وكلهم معتمد على الشيخ سيديا الكبير في ما بينه وبين قومه وما بينه وبين الآخر؛ ثقة منهم جميعا به، ووقوفاً منهم عند أمره، ومهابة من عامتهم له، وتجربة لصدق نيته وصفاء طويته. فقد كان الشيخ سيديا يرى أنه ملزم بإصلاح جميع شؤون خلق الله، لا يمنعه من معالجة ذلك بُعدُه عنه أو مشقة الوصول إليه ولا ضعف بدنه عن تحمل كُلف التوجه إليه؛ فقد قضى على سبيل المثال سنة كاملة بعيداً عن حضرته متنقلاً بين القبائل والأمرأ، وأدّا للفتنة وحقنا للدماء في ما أصبح معروفاً تاريخياً بقضية تاييت⁽²⁾.

الفرع الأول

مقاومته الاحتلال الفرنسي لبلاد شنقيط

عرف عهد الشيخ سيديا الكبير بداية التحرك الفرنسي في بلاد شنقيط، وهو التحرك الذي تولّد عنه الاحتلال المباشر؛ فقد عرفت المنطقة في أواسط القرن التاسع عشر الميلادي تحركاً فرنسياً عاماً. وكان رجوع الشيخ سيديا من منطقة "أزواد" واستقراره بـ"القبلة" مع نهاية عشرينيات هذا القرن مزامناً لوصول المحتل الفرنسي إلى الجزائر 1830، حيث كان الفرنسيون يومها قد وطّدوا أيضاً أقدامهم في الأراضي السنغالية المجاورة، وأسّسوا فيها حامية في مدينة "سان لويس" وبسطوا نفوذهم على الضفة

1- راجع: كتاب الأخبار، ج2، ص142.

2- المصدر السابق، ج2، ص102.

اليسرى لنهر السنغال الذي هو الحد الجنوبي لبلاد شنقيط، فكانت بذلك موريتانيا محط أنظار الفرنسيين لربط مستعمراتهم في الشمال بمستعمراتهم في الجنوب⁽¹⁾.

وفي حدود سنة (1270هـ) عُيّن الرائد "فيديرب" L.Faidherbe مفوضاً عاماً في السنغال (1854-1865م) لمواكبة نزعة فرنسا التوسعية المتمثلة في انتهاج الإمبراطورية الثانية في عهد نابليون الثالث سياسة أكثر نشاطاً في إفريقيا⁽²⁾، وقد عرفت علاقة هذا الحاكم مع الموريتانيين توتراً شديداً، وبخاصة مع المجموعتين التَّروُزِيَّةَ والْبَرْكَنِيَّةَ؛ ولم يكن الشيخ سيدي الكبير ذو الاتصال الوثيق مع الأميرين: التَّروُزِي "محمدٌ لحبيب" (اغتيال سنة 1860م)، والْبَرْكَنِي "امحمد ولد سيدي" غائباً عن هذا الصراع الفرنسي الموريتاني، بل أصبح فيه طرفاً أساساً. ويؤكد الفرنسي لوشاتيه (le chateier) أن مواقف الشيخ سيدي الكبير المناهضة للفرنسيين والمحرضة ضدهم قد أذكت روح الكراهية والجهاد في جموع البراكنة ضد الوجود الفرنسي في المنطقة⁽³⁾.

وتكشف بعض مراسلات الشيخ سيدي الكبير مع الحاكم "فيديرب" المذكور عن هذا الجو الساخن والمناهضة الشديدة؛ فقد وجدنا رسالة لهذا الحاكم الفرنسي يشيد فيها بالشيخ سيدي وبمنزلته المتميزة في المجتمع الموريتاني، وفي الوقت نفسه يهدّد

1- راجع: الحزب الواحد وتطور الحياة السياسية في موريتانيا، سيد إبراهيم ولد محمد أحمد، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في العلوم السياسية، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1989-1990، ص23.

2- راجع: السياسة الاستعمارية الفرنسية في موريتانيا على عهد فيديرب، د. محمد عبد الرحمن ولد عمار، مجلة عصور الجديدة، العدد 14-15، أكتوبر 2014.

3- راجع: رسائل الشيخ سيدي الكبير إلى الكيانات السياسية والمجموعات القبلية، ص243.

بعض تلاميذ الشيخ سيدنا الذين ذكر "فيديرب" أنهم قد نهبوا بعض الممتلكات الفرنسية.

وقد رد الشيخ سيدنا على "فيديرب" بما نصه:

"بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله الملك الحق العلي العظيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيه ورسوله الكريم، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم على دينهم القويم.

هذا وإنه من عبد ربه: سيدي بن المختار بن الهيب، طهر الله منه الجيب، وستر به العيب، وأصلح له الشهادة والغيب، إلى "فضرب" أمير أندز، الذي خفي عليه كثير من حقيقة أهل الخبر، سلام على من اتبع الهدى، وخاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى.

أما بعد، فاعلم يا "فضرب" أن مكتوبك وصل إلينا، وقدم به حامله علينا، فنظرنا فيه فإذا هو مشتمل على أسلوب من الكلام لم يواجهنا بمثله أحد من الأنام، لما فيه من الجرأة والتوعد بالانتقام إن لم نرد إليك ما نهبه (أولاد أحمد) من مالك ومال عيالك.. فاعلم أنا ندعوك إلى الإسلام ونأمرك به أمرًا جازمًا، لتنجو به من النار وتخلد به في الجنة خلودًا ملازمًا، والله يهدي من يشاء إلى الصراط المستقيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فأسلم تسلم ويؤتك الله أجرك مرتين، وتفز بما فيه لك قرّة العينين، وانبذ عنك شهاب الكفر بدخانه، واستضيء بضياء دين الله تعالى: إسلامه وإيمانه وإحسانه تتحف بمغفرته سبحانه لجميع ما مضى من ذنوبك ورحمته ورضوانه؛ لأن الإسلام يجب ما قبله، وينشر الله على العبد به رحمته ونعمته وفضله.."(1)

وهي رسالة طويلة جريئة، وفيها تأسّر بالنبي (ﷺ) عندما بعث إلى هرقل عظيم الروم يدعوه إلى الدين الحنيف.

الفرع الثاني مؤتمر تندوجة التاريخي

استطاع الشيخ سيديا الكبير ببصيرته النافذة ورؤيته الواعية الفذة استشعار الخطر الاستعماري وسياساته التوسعية؛ فعمل على لَمّ شمل الإمارات "البيضانية" وتوحيد صفوفها للوقوف في وجه الزحف الفرنسي القادم، فدعا سنة 1856م أمراء البلاد إلى لقاء عام، حيث التأموا برعايته في تندوجة مقر حضرته العلمية والسياسية؛ وذلك لتنسيق جهودهم وحلّ خلافاتهم السياسية الجانبية⁽¹⁾. ويعتبر هذا المؤتمر الأول والأكبر من نوعه الذي عرفته البلاد بهدف مواجهة الاستعمار الفرنسي الذي لم تنجح محاولاته المتكررة في السيطرة عليها حتى عام 1905.

وكان من الحاضرين "محمد لحبيب" أمير "الترارزة"، و"محمد ولد سيدي" أمير "البراكنة"، و"أحمد ولد عيَّده" أمير "آدرار"، وممثل لـ"بِكَازْ ولد اسْوَيْدَ أحمد" أمير "تكانت". وكان هدف الشيخ سيديا من اللقاء إيجاد جبهة موحدة للوقوف في وجه الفرنسيين، بعد إصلاح ما بين كل الإمارات من الخلافات والنزاعات.

وقد كان لهذا الاجتماع صدى سياسي عظيم عند الفرنسيين؛ فقد كتبت حينها جريدة (Moniteur du Senegal) ما لفظه: "في يناير 1856 عُقد مجلس عند تندوجه وفق فيه الشيخ سيديا بين الترارزة والبراكنة وبني يحيى بن عثمان على

1- راجع: كتاب الأخبار، ج2، ص211.

حرب الفرنسية، فجمع فيديرب من فوره جيشا عظيما قوامه 3500 مقاتل وسار به إلى الركيز وقطع المواصلات بين الترازرة والبراكنة". وذكرت الحوليات الفرنسية بداية سنة 1856 هذه الأحداث؛ يقول الحاكم "فيديرب": «وقع حدث هام في "البيضان"، إذ تم عند الشيخ سيديا - شيخ البراكنة الجليل الذي يدين له هذا الجزء من الصحراء - عقد اجتماع موسع التأم فيه رؤساء القبائل لينظروا في الإجراءات الضرورية التي ستتخذ بشأن الحرب التي يشنها الفرنسيون ضدهم، ومع ما راج من شائعات حول القرارات التي اتخذت في هذا اللقاء فقد تأكد حصول مصالحة بين "محمد لحبيب" و"ولد عيده" كما أن أمير الترازرة قدّم بعض التنازلات لبعض الأمراء في عائلته ممن كانوا لاجئين في آدرار ورجع هؤلاء إلى وطنهم للمشاركة في الحرب ضدنا، أما "سيد اغل" وهو أمير لجزء من البراكنة وحليف لنا فإنه لم يُستدع أو لم يشأ الذهاب مع الآخرين إلى الشيخ سيديا»⁽¹⁾.

ويبدو أن الشيخ سيديا لم يقف عند هذا الحد، بل حاول في طموح لا يعرف الحدود أن يصنع السلاح في منطقته؛ فاستورد الصناع واستجلب الآلات، إلا أن هذا المشروع لم يكتب له الاكتمال.

ويستصرخ ابنه الأوحّد العلامة الأديب الشاعر: الشيخ سيدي محمد، وهو يعيش هذا الجو الجهادي العارم الذي قاده والده وحرك أطرافه وكان قطب رحاه، يستصرخ المسلمين في قصيدته العصماء التي ذاع صيتها، حيث يقول:

حماة الدين إن الدين صار	أسيرا للصوص وللنصارى
فإن بادرتموه تُداركوه	وإلا يسبق السيفُ البدارا
بأن تستنصروا مولى نصيرا	لمن والى ومن طلب انتصارا

1- L.Faidherbe ,Le Sénégal, La France dans l'Afrique Occidentale, P 145

وَأَنْ تَسْتَنْفِرُوا جَمْعًا لَّهُمَا
تَنِي رِبْدُ النِّعَامِ بِحَافَتِيهِ
تَمُرُّ عَلَى الْأَمَازِ وَالْثَنَايَا
تَعَصُّ بِهِ السَّبَاسِبُ وَالصَّحَارَى
وَتَعْيَا دُونَ مَعْظَمِهِ الْحَبَارَى
قَنَابِلُهُ فَتَتَرَكُّهَا غَبَارَا

إِلَى أَنْ يَقُولَ:

وَلَمْ أَعْرِفْ وَسُوفَ تَعْرِفُونَ عَمَّا
مَهَّاءَ حُورِ الْمَدَامِ عَاطِفَاتٍ
إِذَا التَّفَتُّ لَجَانِبِهَا تَلَّافَتْ
لَأَنَّ كَانَتْ مَرَاقِبَهَا الْمَهَارَى
تُكَلِّفُهَا بَنَاتُ السُّرُورِ قَسْرًا
فَلَاهُم يَرْحَمُونَ لَهَا بَكَاءً
وَيَشْدُدْنَ الْحَبَالَ بِكُلِّ خِصْرٍ
وَيَحْمِلْنَ الْجَذُوعَ عَلَى رُؤُوسٍ
فِيَا لِلْمُسْلِمِينَ لَهَا أُمُورَا
قَلِيلٌ صُبْحٌ لَيْلِكُمْ اسْتِنَارَا
تَخْوِضُ بِهَا الْقِرَاقِيرُ الْبَحَارَا
حِذَارَ الْمَوْجِ لَوْحًا أَوْ دِسَارَا
وَأَنْ كَانَتْ مَرَاوِدُهَا الْقِفَارَا
بِخِدْمَتِهَا رَوَاحَا وَابْتِكَارَا
وَلَا يَخْشَوْنَ أَنْ تَجِدَ اقْتِدَارَا
رَقِيقُ السُّرُورِ كَانَ لَهُ إِزَارَا
غَدَائِرُهَا تَضِلُّ بِهَا الْمَدَارَى
لَهَا الْأَكْبَادُ تَنْفَطِرُ انْفِطَارَا⁽¹⁾

فبقصيدته الفريدة هذه دوى شعر الجهاد، إثر انعقاد مؤتمر الدولة والجهاد الذي دعا إليه والده في تندوجة - وكان مشهودا، شهدته الأمراء والعلماء والأعيان - ومنه انطلق تنسيق الجهود من أجل إقامة العدل والإصلاح؛ فكانت هذه الرائعة بنت تلك الأجواء. ولهذا قال بعض المحققين: إن شعر "المقاومة" رأى النور في هذه الربوع على يد الشيخ سيدي محمد، وإن تجسيد فكرة الدولة ولمّ الشمل والجهاد رأى النور على يد والده الشيخ سيدي الكبير، رحمهما الله.

1- وردت القصيدة كاملة في: بلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص 400.

لقد كان دور الشيخ سيديا الكبير في الجهاد ضد الوجود الاستعماري حاضراً بل كان من أبرز الظواهر السياسية التي عرفت موريتانيا في منتصف القرن التاسع عشر، وهو موضوع بحاجة إلى توسع وبحث؛ وبخاصة أن بعض مراجعه مازال ضمن الوثائق الفرنسية التي شهدت له باستحالة احتلال البلاد ما دام حيّاً. ومع ذلك فلم تحل مكانة الشيخ سيديا الكبير ومشروعه الإصلاحية المناقضة للمصالح الفرنسية من إقامة علاقة معهم على أساس الندية والاحترام؛ فقد وعت الإدارات الاستعمارية الفرنسية مكانته ونفوذه فأجلّته وقدرته، وتبرز رسائله إلى الإدارة الاستعمارية جانباً من تلك المكانة وذلك الدور، وأبرز مثال عليها الرسالة التي أوردنا نصّها آنفاً؛ إذ تُعتبر مصدراً من مصادر التاريخ الموريتاني تلقي الضوء على مختلف أطواره وتشكلاته الاجتماعية والسياسية وتقلباته، وهذا ما عبّر عنه الباحث الإنجليزي "استيوارت - C.C. Stewart"، بقوله: "لا يوجد شك عند دارسي التاريخ الموريتاني في اعتبار الشيخ سيديا الكبير مركزاً مسيطراً بين الزعماء السياسيين والدينيين لهذه البلاد في القرن التاسع عشر؛ وحقاً فعلى الجيل الموريتاني المقبل من علماء السياسة أن يعيد إلى الشيخ سيديا حقه كأول شخصية وطنية؛ لقد كانت حياة "الشيخ سيديا" السياسية هي التي أرسّت الأساس الذي يمكن أن ترجع إليه أغلب التحالفات السياسية السابقة للاستقلال".⁽¹⁾

1- **Islam and Social Order in Mauritania: a case study from the nineteenth century**, by C. C. Stewart with E. K. Stewart. Clarendon Press, Oxford, African Affairs, Volume 73, Issue 293, October 1974, Page 489.

الفرع الثالث

علاقته بسلالة الحسين المغرب

لم تكن علاقة الشيخ سيديا الكبير بسلاطين المغرب سوى امتداد طبيعي للعلاقات التليدة التي ربطت شنقيط بالمغرب، إذ لم يكن الجنوب بمعزل عما كان يجري في الشمال، فكلاهما امتداد جغرافي وبشري وحضاري للآخر.

وإذا كانت العلاقات السياسية الموريتانية المغربية، قد عرفت تقلبات وتشنجات، فإن ذلك لم يكن له أدنى تأثير على التواصل والترابط الوثيق بين الشعبين الشقيقين اللذين تربطهما علاقات وطيدة ذات أبعاد تاريخية وجغرافية واجتماعية وثقافية واقتصادية⁽¹⁾، تجعلها في مأمن من تأثير الخلافات الظرفية والأزمات العابرة وتقلبات أمزجة بعض صناع القرار. فعلى الصعيد الجغرافي، هناك تصاقب وتماس بين القطرين نجم عنه تمازج وتداخل وترابط بين السكان، أدى إلى نشوء قبائل عديدة تتوطن البلدين وتتنقل بينهما دون مراعاة للحدود الاصطناعية التي اختطها الاستعمار قسرا واعتباطا خدمة لمصالحه الخاصة. يضاف إلى ذلك أن المغرب يُعدُّ بوابة موريتانيا إلى أوروبا، وموريتانيا تشكّل واجهة لانفتاح المغرب على عمقه الإفريقي؛ لذا لا يمكن لأي من البلدين أن يستغني عن الآخر.

وعلى الصعيد الثقافي والعلمي، فقد كان للبلدين تأثير ملموس على بعضهما امتد أحقابا طويلة من الزمن، وذلك من خلال تواصل العلماء في البلدين واهتمام الدارسين في كل منهما بمؤلفاتهم في مختلف المعارف؛ ففي مجالات الفقه واللغة والفلك

1- راجع: التقرير العام لموريتانيا 2014، المركز الموريتاني للبحوث والدراسات الاستراتيجية، انواكشوط - 2015، ص 96.

والحساب، كان طلبة المحاضر الشنقيطية منذ القدم يتدارسون كتب العلماء المغاربة وتحديدًا كتاب "المرشد المعين" لابن عاشر في الفقه، وكتاب "الآجرومية" لمحمد ابن آجروم في اللغة والنحو، وكتاب "علم الفلك" لمحمد بن سعيد، ومنظومة ابن غازي في علم الحساب. وكان سيدي عبد الرحمن بن أحمد الشنقيطي الصديقي، المتوفى سنة 1224هـ/1809م من أكابر العلماء في فاس، وكان نجباء وقته يأتون من فاس الإدريسية على أرجلهم لحضور مجلسه بفاس العليا⁽¹⁾. كما كان مؤلف "بوطليحية" للعالم الشنقيطي النابغة الغلاوي المطبوع سنة 1862 في المطبعة الملكية بفاس، مقررا على طلاب جامعة القرويين إلى عهد قريب⁽²⁾. وهذا ما يؤكد أن الثقافة من أكثر مكوّنات الجسم الاجتماعي مرونة، وأشدّها قدرةً على التماهي والتكيف؛ إذ تذوب بفعلها فروق الخصوصية، وتمّحي الحدود، التي يراد بها الفصل وتعطيل التفاعل بين خصوصية وأخرى؛ ولذلك تغدو الثقافة أهم عوامل التوحد والانصهار في الوجود البشري بعيدا عن واقع السياسة الذي فرضته ظروف وملابسات؛ ليس أقلها تأثيرا السياسة الاستعمارية.

وعلى الصعيد التاريخي نجد أن البلدين قد أنجبا الحركة المرابطية واحتضناها، واستأنسا بتعاليم عبدالله بن ياسين، وأسهما في إنجازات أبي بكر بن عمر ويوسف ابن تاشفين وجهادهما.

1- راجع: بلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص512.

2- راجع: الحركة الفكرية في بلاد شنقيط، ص55 وما بعدها. والنابعة هو محمد ولد أعمر الغلاوي (ت1245هـ/1829م)، عالم وشاعر، جال في طلب العلم فتتلمذ على أحمد ولد العاقل، وأخذ عن خاله عبد الله ولد الحاج حمّاه الله. وكتابه المذكور (بوطليحية) منظومة في الإفتاء والكتب المعتمدة. راجع: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص93. وبلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص532.

وعلى سعيد وشائج القربى والنسب نجد أن والده المولى إسماعيل هي لالة امباركة المغربية الشنقيطية⁽¹⁾، وقد وطّد وشائج القربى تلك زواج المولى إسماعيل نفسه من الأميرة الشنقيطية خناثة بنت بكار⁽²⁾، والده ابنه المولى عبد الله (ت1171هـ/1757م) الذي ولي المغرب أربع مرات في فترات اضطراب بعد وفاة والده، وهو الذي يرجع إليه نسب جميع من تولّوا حكم المغرب بعده حتى الآن؛ وبذلك أضحت علاقة العرش المغربي بالشناقطة علاقة خؤولة ومصاهرة.

1- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج7، ص14.

2- هي خُناصة - وجعل السين ثاءً إبدال شائع - بنت بكار ولد اعلي ولد عبد اللّ ولد كروم (عبد الكريم) ولد عبد الجبار ولد ملوك (عبد الملك) ولد بركنّ ولد هّداج ولد عمران ولد عثمان بن مَغفر بن أودّي بن حسان. فيهم بيت إمارة البراكنة التي هي من أولى الإمارات الحسانية في بلاد شنقيط، وأقواها وأكثرها اتساع سلطان. يُعرف والدها ببيكار الغول، وذلك لجرأته في الحروب وبسالته، وقد تولى الإمارة بعد والده اعلي؛ فهو بذلك ثاني أمراء هذا الفرع من رؤساء البراكنة. وهو أحد قادة حرب المغافرة ضد الزوايا أيام حركة ناصر الدين، وقد توفي سنة (1092هـ/1681م). كانت خناثة فقيهة عالمة، بارعة أدبية، خيرة دينية. لها تعليقات على كتاب الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، والنسخة المخطوطة من كتاب الإصابة التي تتضمن تعليقاتها محفوظة في الخزانة الملكية بالرباط تحت رقم 5932. وكان لها كلام ورأي وتدبير مع السلطان ومشاورة في بعض أمور الرعية فإنها كانت له وزيرة صدق وبطانة خير، كما قال الوزير الإسحافي في رحلته. توفيت (رحمها الله) سنة 1159هـ ودفنت بروضة الأشراف من المدينة البيضاء بفاس الجديد. راجع: المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي، عبد الهادي التازي، نشر الفنك، الطبعة الأولى، 1992. والنبوغ المغربي، ص281. وكتاب الأخبار، ج2، ص96 وكذلك ص99. وبلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص509 وكذلك ص512.

وقد كان لبعض شعراء شنقيط دور أساسي في النهضة الأدبية بالمغرب؛ وهو ما حدا بمؤلف كتاب "النبوغ المغربي" إلى أن يعدّ بعضهم كالشاعرين سيدي عبد الله ولد رازك⁽¹⁾، والشيخ سيدي محمد ولد الشيخ سيديا⁽²⁾، ضمن مؤسسي هذه النهضة، ويعقّب على ذلك قائلاً: "تفوّق أهل شنقيط في علوم العربية، والنبوغ الذي ظهر منهم في هذا العصر وخاصة في نظم الشعر العربي المتين، مما لا خفاء به على أحد"⁽³⁾. وكان ولد رازك من أول المتصلين بالبلاط العلوي وذلك في عهد المولى إسماعيل، وقد ربطته صداقة قوية مع المولى محمد العالم بن المولى إسماعيل أيام خلافته عن والده بإقليم سوس، وله معه مساجلات شعرية تنبئ عن مدى عمق تلك الصداقة؛ كالبيتين اللذين يخاطبه بهما المولى محمد مبالغاً في الإعجاب بشعره:

أَتَانَا مِنْ قُرَى شَنْقِيطَ شِعْرُ تَعَالَى فَوْقَ سِحْرِ السَّاحِرِينَا
يُقَصِّرُ شِعْرُنَا عَنْهُ لَوْ أَنَّا بَعَثْنَا فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَا⁽⁴⁾

وقد قدم مع ولد رازك على المولى إسماعيل، صديقه الأمير التروزي اعْلِ شَنْظُورَة⁽⁵⁾، مشتكياً صولة أبناء رزك في أرض الكبلة؛ فأمدّه السلطان بجيش عرمرم يعرف

1- راجع ترجمته في الصفحة 281 من هذه الدراسة.

2- راجع الصفحة رقم 336 من هذه الدراسة.

3- النبوغ المغربي، ص 314.

4- راجع: الشعر والشعراء في موريتانيا، ص 52.

5- اعْلِ شَنْظُورَة ولد هَدِي ولد أحمد (بن دامن)، أمير الترازة القوي الذي أرسى دعائم الإمارة بالتخلص من أولاد دليم والبراكنة وفلول أولاد رزك. تولى الإمارة اعتباراً من سنة

بالمحلة، سار به الأمير اغلِ شَنْظُورَة إلى أبناء رزگ فأبادهم، وكان ذلك مبدأ تربع أسرة اغلِ شَنْظُورَة على عرش إمارة التَّرَارْزَة لما يزيد على قرنين من الزمن، والسلطان سيدي محمد بن عبد الله هو الذي خصّ أمير التَّرَارْزَة المختار ولد أعمر ولد اغلِ شَنْظُورَة بطبل النحاس وشارة السروال الأبيض تمييزا له عن غيره؛ فأصبح ذلك شعارا لرؤساء الترارزة، والمختار هذا متوفى سنة 1185هـ⁽¹⁾.

وزار العلامة محمد لمَجِيدِي ولد حبيب الله اليعقوبي (ت1204هـ) السلطان سيدي محمد بن عبد الله، وأصبحت له حظوة عنده، ودرّس في فاس⁽²⁾.

وفي هذا السياق العام كان مَقدم الشيخ سيدي الكبير إلى مراكش، حوالي سنة (1252هـ/1836م). وقد أورد القاضي العباس بن إبراهيم المراكشي في موسوعته التاريخية "الإعلام بمن حلّ بمراكش وأغمات من الأعلام" ترجمة للشيخ سيدي الكبير، ذكر فيها أن الشيخ قدم مراكش متوجها إلى الحج في أيام السلطان

(1114هـ/1703م) وحتى سنة (1139هـ/1726م). وقد سافر إلى المغرب رفقة صديقه ولد رازگه فأمدهما السلطان مولاي إسماعيل بمحلة (جند) ساعدته في تدعيم سلطانه، وهو أول أمير تَرُوْزِي أقام علاقات تجارية منتظمة مع الدول الأوربية مستفيدا من تناقضاتها. راجع: بلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص521.

1- راجع: كتاب الأخبار، ج2، ص196. وللتوسع في موضوع التحالفات بين المغرب وبعض الإمارات في موريتانيا، راجع: خُطْب جلاله الملك الحسن الثاني: 3 مارس 1977 - 3 مارس 1978، وزارة الإعلام، الرباط - 1978، ص130.

2- راجع: دور موريتانيا في التواصل الفكري المشرقي-المغربي، بحوث ومناقشات ندوة الذكرى الثمانين للشيخ محمد محمود بن التلاميذ الشنقيطي، انواكشوط: 18-20 يونيو 1996، الناشر منشأة المعارف - الإسكندرية، ص64 وما بعدها.

عبد الرحمن بن هشام⁽¹⁾ ونال لديه حظوة عظيمة. وعزا المراكشي إلى عبد الرحمن الجزولي المعروف في مراكش بابن التلمود - وكان أبوه كاتباً للمولى عبد الرحمن - أن الشيخ سيديا الكبير لمّا قدم مراكش وجدّ المولى سيدي محمد بن المولى عبد الرحمن ألكّن لا يبين الكلام، فدعا له فانطلق بالكلام⁽²⁾.

وقد أكرم السلطان عبد الرحمن وفادة الشيخ سيديا الكبير واستبقاه معه نحو سنة كاملة، سعى الشيخ أثناءها في شراء الكتب واقتناء المخطوطات، واضعاً بذلك أسس مكتبته المتميزة؛ فقد جاء بمائتي كتاب، خمسة وعشرون منها في اللغة⁽³⁾.

وخلّد باب ولد أحمد بيّنه العلوي هذه الرحلة في شعره، مؤكداً قطبانية الشيخ، منتهياً إلى أن المغاربة استناروا بهديه ونعموا بصحبته فترة جعلتهم يحرصون على استبقائه بين أظهرهم، لذلك حزنوا كثيراً لمباعدته، بل تولّوا ساعة توديعه وأعينهم تفيض من الدمع حزناً على فراقه. يقول⁽⁴⁾:

1- أحد سلاطين الأسرة العلوية الشريفة التي مازالت تحكم المغرب الأقصى منذ بايع أهل سجلماسة الشريف بن علي عام 1041هـ/1631م. وقد تولى السلطان عبد الرحمن بن هشام الحكم خلال 1238-1276هـ الموافق 1822-1859م. راجع: كتاب الأخبار، ج1، ص44.

2- راجع: الإعلام بمن حلّ بمراكش وأغمات من الأعلام، ج10، ص158.

3- راجع: بلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص112. والشعر الشنقيطي، ص146.

4- راجع: أدب الرحلة في بلاد شنقيط، محمذن ولد المحبوبي، مطبعة المنار، الرباط، 2013، ص78.

لَكَ الطَّائِرُ الْمَيْمُونُ وَالْمَنْزِلُ الرَّحْبُ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَوْثُ لَا شَكَّ وَالْقُطْبُ
وَأَنْتَ حُسَامٌ قَاطِعٌ كُلَّ شُبْهَةٍ وَأَنْتَ سِرَاجٌ فِي الْبَرِيَةِ لَا يَحْبُو
أَضَاءَتْ بِلَادُ الْعَرَبِ لَمَّا حَلَلَتْهَا وَأَصْبَحَ يَبْكِي عِنْدَ تَرْحَالِكَ الْعَرَبُ
وَجِئْتَ بُكْتَبٍ يُعْجِزُ الْعِيسَ حَمْلُهَا وَعِنْدَكَ عِلْمٌ لَا تُحِيطُ بِهِ الْكُتُبُ

ورسالة الشيخ سيديا الكبير إلى السلطان محمد الرابع، داخلة في سياق سعي الشيخ إلى مقاومة بسط الفرنسيين سيطرتهم على بلاد شنقيط؛ فقد طلب فيها من السلطان تزويده ببعض السلاح، غير أن ظروف التصنيع العسكري لم تكن حينها قد تطورت كثيرا في المغرب - كما يتضح من ردّ السلطان المؤرخ بالثالث من ربيع الثاني سنة 1277هـ، الموافق 1860/10/19م - إلا أنه وعد بتلبية الطلب حال توفر الظروف المناسبة⁽¹⁾.

وقد تولى السلطان محمد بن عبدالرحمن، الحُكم في المغرب بعهدٍ من أبيه الذي توفي سنة (1276هـ) بعد أن كان وليّ الحكم بدوره بعهدٍ من السلطان أبي الربيع سليمان (ت1238هـ)؛ الذي تجاوزَ بنيه لصلبه عمَدَ عَيْنٍ واختار للأمر من بعده ابنَ أخيه عبد الرحمن بن هشام فعهدَ إليه به؛ وذلك لما ظهر له فيه من الفضل والديانة والاقتدار على هذا الأمر. وذَكَرَ السلطانُ أبو الربيع في وصيته أنه قلَّد في هذا الأمر سليمان بن عبد الملك في عهده بالخلافة إلى عُمَرَ بن عبد العزيز مُتَجَاوِزًا بنيه، وأنه يرجو بذلك الأجر له ولسليمان بن عبد الملك الذي سَنَّ هذه السنة. ومن اللطيف أن السلطان أبا الربيع اسمه سليمان، فهو سَمِيَّ سليمان بن عبد الملك وإن لم يكن كُنْيَه، فكنية سليمان بن عبد الملك أبو أيوب.

1- ترد لاحقا صورة ضوئية من رسالة السلطان محمد الرابع التي ردّ بها على رسالة الشيخ سيديا الكبير.

ومضى عهد السلطان أبي الربيع وانتقل الملك لابن أخيه عبد الرحمن وصار في عقبه من بعده إلى يومنا؛ فَمَلِكُ المغرب اليوم هو: محمد بن الحسن بن محمد بن يوسف بن الحسن بن محمد بن عبد الرحمن بن هشام المذكور.

واستمرت الصلة قائمة بين العرش العلوي وأسرتنا آل الشيخ سيدي منذ أيام السلطان عبد الرحمن بن هشام؛ ورسالة ابنه السلطان محمد الرابع التي رد بها على رسالة والدنا الشيخ سيدي الكبير تؤكد متانة هذه العلاقة.

وقد وقفتُ على قول للأستاذ الكبير الدكتور عباس الجراري، ذكر فيه أن "المختار ابن الهية الأبيري كان كاتبًا للسلطان المولى عبد الرحمن"⁽¹⁾، غير أن المؤكّد الذي لا شكّ فيه أن جدّنا المختار ولد الهية الأبيري لم يبرح قطّ مضارب قبيلتنا في الجنوب الموريتاني، فلعلّ دكتورنا الفاضل التبس عليه اسم الأب باسم ابنه؛ وبذلك يكون المعنيّ هو الشيخ سيدي ولد المختار ولد الهية الأبيري، فهو الذي تحدّثنا آنفا عن علاقته الوطيدة بالمولى محمد الرابع وبوالده قبل المولى عبد الرحمن بن هشام؛ لكنها لم تكن علاقة كتابة، وهو ما يبدو جليا من فحوى الرسائل بينهما، فحين كتب الشيخ سيدي الكبير إلى السلطان مولاي محمد بن مولاي عبد الرحمن لم يطلب منه سوى أمرين: الكتب والسلاح، كما يتّضح من الرسالة الجوابية التي ردّ بها السلطان، ومازال أصل هذه الرسالة محفوظًا في أرشيفنا العائلي؛ اعتزازًا بهذه الصلة الوطيدة. وتاليا صورة تلکم الرسالة:

1- دور علماء الصحراء المغربية وأدبائها في تثبيت الوحدة الوطنية، عرض تمهيدي قُدّم مرتجلًا في افتتاح الندوة التي عقدتها أكاديمية المملكة المغربية حول "ثقافة الصحراء: مقوماتها المغربية وخصوصياتها" يومي 26-27 ذي الحجة 1422هـ الموافق 11-12 مارس 2002م وقد نشرت أعمالها ضمن سلسلة "الندوات".



ولمن عُسِرَ عليه أن يقرأ الخط المغربي البديع الذي كُتبت به هذه الرسالة الكريمة،
فإليه نصّها الحرفي الذي يقول:

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه.

الطابع السلطاني وبداخله (محمد بن عبد الرحمن - الله وليّه)

محبّنا في الله البركة الأجلّ الخير: سيديّ بن المختار بن الهيب، وقّقنا الله وإيّاكم لما يحبّه
ويرضاه، وجعلنا من المتحابين في الله، وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد، فقد وصلنا كتابكم وعرفنا ما فيه، وعلمنا ما أنتم عليه من المحبّة لجانبنا ومواظبة الدعاء
الصالح لنا، فذلك الظنّ بكم والمعهود منكم، جزاكم الله عنا خيراً؛ فلا تنسونا من ذلك.

وقد وصلت بيعتكم المباركة نطلب الله الإعانة على ما حمّلنا من أمور المسلمين، والتوفيق

لما فيه رضاه وخير الدنيا والآخرة، آمين.

وعلمنا ما ذكرت في شأن ما طلبتم من توجيه ما تيسر من الكتب لزاويتكم السعيدة، وما تيسر من العُدّة والمدافع وغيرها من آلة الجهاد؛ فاعلم أنّا اليوم لا زلنا في شغل شاغل، ولا زلنا لم نلتفت إلى أمر خزانة الكتب، وحين نتفرّغ لها وننظر فيها نوجّه لكم ما يناسب من ذلك.

وأما العُدّة والمدافع فحتى في هذه الجهة ذلك قليل عندنا، وها نحن جادّون بحول الله في اتخاذه وتعليم أناس لتلك الصناعة، وحين يحصل المراد من ذلك يصل تلك الجهة حظّها منه، إن شاء الله تعالى. والسلام.

في 3 ربيع الثاني عام 1277هـ.

ولم يكن الشيخ سيديا الكبير العالم الشنقيطيّ الوحيد الذي وفد على المغرب، فقد بدأ توافد العلماء الشناقطة على هذا القطر بهدف التبخر والتدريس، ابتداءً من القرن الميلادي السادس عشر في عهد السعديين، حيث جلس العلامة أحمد بابا التمبكتي⁽¹⁾ وبعض أقاربه للتدريس بجامع الشرفاء بمراكش سنوات عديدة. كما حلّ بالمغرب في فترات لاحقة عدد وافر من العلماء الشناقطة نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: محمد يحيى الولاتي، والعلامة الطالب أحمد ولد طوير الجنة

1- أحمد بابا ولد الحاج أحمد المسك ولد الحاج أحمد ولد أعمر ولد محمد آرقيت التمبكتي التكروري الماسني، من ذرية أبي بكر بن عمر الصنهاجي. عالم جليل، من بيت علم فقد توارث أسرته رئاسة العلم في تمبكتو ما يقارب مائتي سنة. ولد سنة 963هـ، وقد أخذ عن والده وعمه وغيرهما. أسره السعديون سنة 1002هـ ونقلوه إلى مراكش وذلك حين رفض التسليم بسيطرتهم على تمبكتو، وقد أفرجوا عنه بعد سنتين ومنعوه من مغادرة مراكش فأقبل عليه العلماء وطلبة العلم، وظل يدرّس بجامع الشرفاء بمراكش نحو 11 سنة. له عشرات التصانيف، منها (نيل الابتهاج بالذيل على الديباج). وقد توفي سنة 1036هـ. راجع: كتاب الأخبار، ج 1، ص 39. وبلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص 503 وكذلك ص 505.

الوداني؛ الذي بنى له السلطان عبد الرحمن بن هشام زاوية بمكان يدعى (سبعة رجال) بقي بها ابنه محمد الصابر الذي جاء برفقته إلى مراكش بعد أن غادر هو عائدا إلى شنقيط⁽¹⁾.

وقد ظل هذا التواصل العلمي والتلاقح الفكري قائما بين البلدين الشقيقين اللذين يجمعهما التوجه الديني والمذهبي عبر العقيدة وعبر المذهب سواء في الفقه أو في التصوف؛ فالعقيدة أشعرية، والمذهب مالكي، والتصوف سني على طريقة الجنيد⁽²⁾. ويتجلى ذلك من خلال المتون التي كانت تدرس وما زالت تدرس في الشمال وفي الجنوب إلى يومنا هذا. وحاليا يلتحق بالمدارس والمعاهد والجامعات المغربية ويتخرج فيها آلاف الطلاب الموريتانيين في مختلف التخصصات ليكونوا بعد عودتهم إلى موريتانيا جزءا هاما من الموارد البشرية التي تعتمد عليها البلاد في نهضتها وعصرنتها والارتقاء بمستواها في كل المجالات.

وعلى الصعيد الاجتماعي فإن قبائل المغافرة الشنقيطية التي ينتمي إليها الشيخ سيديا الكبير، هي القبائل ذاتها التي تنتمي إليها خنثة بنت بكار زوجة المولى إسماعيل ومستشارته، ووالدة ابنه السلطان عبد الله بن إسماعيل، وهي التي تولت تربية ورعاية حفيدها السلطان محمد بن عبد الله الذي تحدر من صلبه بعد ذلك كل سلاطين المغرب وملوكه إلى اليوم؛ وهذا ما يفسر كون الملك الحسن الثاني درج على أن ينادي بكار ولد التيس - سليل إمارة لبراكنة الذي أقام في المغرب مدة طويلة - بخالي إشارة لجدة الملك خنثة بنت بكار.

1- راجع: بلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص 519 وكذلك ص 529.

2- الطريقة الشاذلية في بلاد شنقيط.. أعلام ونصوص، أحمدو ولد آكاه، أطروحة لنيل الدكتوراه في الآداب، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس - 2013، ص 63.

وثمة تمازج وتداخل وعلاقات رحم بين الموريتانيين وسكان الجنوب المغربي بوجه خاص نتيجة للتساكن والتعايش والتزاوج طيلة أحقاب متوالية من الزمن، فعلى السلطان عبد العزيز بن الحسن الأول وفد غزي الأركاب سنة 1905 بقيادة الشيخ ماء العينين ومعه زعماء قبائل موريتانيا وقبائل الصحراء طالبين العدة والعتاد. والملك محمد الخامس هو الذى آوى أقطاب حزب النهضة بقيادة الأمير محمد فال ولد عمير الذى سُمِّي باسمه ثالث أهم شارع في الرباط بعد شارع محمد الخامس والحسن الثاني، وهو شارع الأمير فال ولد عمير بأكدا.

وعلى الصعيد الاقتصادي، فإن التبادلات التجارية بين البلدين التي كانت قد بدأت بتسيير القوافل بين منطقة واد نون والشمال الموريتاني عبر ما كان يعرف بـ"طريق اللمتوني"، ما زالت متواصلة إلى اليوم عن طريق البر والبحر والجو، ولعل أبرز مظاهر ذلك هي أساطيل الشاحنات المحملة بمختلف أنواع المؤن وشتى أصناف السلع، القادمة من المغرب إلى موريتانيا؛ والاقتصاديون يقولون إن أهم مؤشرات الاندماج بين شعبين متجاورين هو وجود حركة الشاحنات بينهما.

وبناء على كل ما تقدم ذكره من معطيات واعتبارات فإنه يمكنني القول بكل ثقة إن العلاقات التي تربط الشعبين الشقيقين هي علاقات وطيدة ضاربة في القدم ومتعددة الأبعاد، ولذلك فإن من المستحيل أن تؤثر في استمراريتها توترات عابرة أو تشنجات ظرفية لا تكاد تطفو على سطح مسرح الأحداث حتى تتلاشى ويطويها النسيان، وذلك نتيجة لمتانة العلاقات بين الشعبين ورسوخها وحرصهما على تعزيزها وديمومتها. وهذا ما جعل الموريتاني لا يشعر أبدا بالغرابة في المغرب، وهو السبب الرئيس لنزوع الموريتانيين التلقائي إلى التوجه صوب المغرب للدراسة والاستطباب

والراحة والسياحة والتجارة وحتى للاستقرار.

وبما أن التفاعل ظل الآلية التي أسهمت في صياغة تراث المنطقة عموماً، كما كان طابع نموها وتطورها الثقافي، وبسبب من خصوصية العلاقة بين المغرب وموريتانيا فلا يسوغ الحديث عنها حديثاً عن المتعدد المختلف، إذ هي ثقافة التفاعل التكاملي، والانسجام بين مختلف المكونات؛ ولذا فهي متعدد متحد، ومختلف مؤتلف.

المطلب السادس

وفاته وخليفته (رضي الله عنهما)

كانت وفاة الشيخ سيديا الكبير (رحمه الله) في اليوم الأخير من السنة الهجرية 1284 هـ، الموافق ليوم الخميس 23 إبريل 1868م، عن عمر ناهز ثلاثاً وتسعين سنة، قضاها في طاعة الله تعالى، تعلماً وتعليماً وتربيةً وإصلاحاً بين الناس وقضاءً لحوائجهم.

ومرّد ضبط تاريخ وفاته خلافاً لتاريخ مولده عائد إلى ما سلف ذكره من أن الشناقطة الموريتانيين لم يكن لديهم في عهده سجل للحياة المدنية يدونون فيه ولادة المواليد، ولم يكن تعاطي معرفة التاريخ ديدنهم ولا عادتهم، بل كانوا يؤرخون للسنة بذكر أبرز حدث فيها، ويستثنى من ذلك تاريخ وفيات الأعيان خصوصاً العلماء؛ فمعاصروهم يؤرخون لوفياتهم. قال بعضهم مؤرخاً ذلك:

الشَّيْخُ سَيِّدِي عَنِ الْأَنَامِ سَارِ بِ(دَفِّ) عِنْدَ انْقِضَاءِ الْعَامِ

وَرَا حَ لِلْمَضْجَعِ عَامِ (شَرَفَهُ) لِرَبِّهِ وَذَا دَلِيلُ شَرَفِهِ

لفظ (دف) يعني أربعة وثمانين، وهي السنة الهجرية التي توفي في آخر أيامها. أما لفظ (شرفه) فيعني 1285، وهي السنة التي دُفن في أول يوم منها.

وقد دُفن (رحمه الله) حيث توفي، وذلك عند بئر "تندوجه" التي كان هو من حفرها وجعلها في أواخر عمره مقرًا لـ "حضرتة"⁽¹⁾، وهي التي شهدت انعقاد المؤتمر الذي أصبح يعرف في التاريخ السياسي الموريتاني بـ "مؤتمر تندوجه"، وتقع هذه البئر على بعد ستين كيلومترا شمال مدينة بوتلميت التي كان هو أيضا من أنشأها وجعلها مقرا رئيسا لحضرته.

وتطرق الباحث الإنجليزي شارل استيوارت C. C. Stewart في دراسته عن "النظام الاجتماعي في موريتانيا" إلى وفاة الشيخ سيديا الكبير، قائلا: "عند موت الشيخ سيديا سنة 1868 عن عمر يناهز ثلاثا وتسعين سنة، كان زعيم "أولاد أبيري" الذين أصبحوا بدورهم من أقوى التجمعات في الجنوب الموريتاني اقتصاديا واجتماعيا. وكان للشيخ سيديا نفسه أتباع من فوتا جالون إلى الجنوب المغربي، ومن فوتا تورو إلى تيمبكتو. وكان الشيخ سيديا على صلة عن طريق المراسلة برجال في مكة، وبولاة سان لويس ومع سلطانين متعاقبين في مراكش، ومع اثنين (وربما أربعة) من قادة الجهاد في غرب إفريقيا في القرن التاسع عشر. وقد أصبح صانع القرار في الشؤون الدينية فريداً بلا منازع في بلاد شنقيط"⁽²⁾.

1- الحضرة مصطلح يدل في الثقافة الموريتانية على ما يدل عليه مصطلح "الزاوية" في الثقافة المغربية.

2- Islam and social order in mauritania, A case study the nineteenth century, مرجع سابق.

وقد كَرَّس والدنا الباحث المحقق العلامة القاضي المؤرخ هارون ولد الشيخ سيدي بابَه ولد الشيخ سيدي محمد ولد الشيخ سيديا (رحمهم الله جميعا) مؤلفه الموسوعي "كتاب الأخبار" للترجمة لوالدنا الشيخ سيديا الكبير، كما ترجم له أحمد بن الأمين العلوي في "الوسيط في تراجم أدباء شنقيط"، ومحمد فال ولد بابَ العلوي في "التكملة"، والباحث الإنجليزي شارل استيوارت في دراسته عن "النظام الاجتماعي في موريتانيا" المذكورة آنفا، والعديد من المؤرخين والباحثين ممن عاصروه أو جاؤوا بعده.

أما أرشيف الدولة الفرنسية فيزخر بكثير مما كتبه عنه الساسة الفرنسيون ممن تقلدوا مناصب إدارية أو عسكرية في غرب القارة الإفريقية منذ بداية القرن الميلادي التاسع عشر وحتى نهاية الاحتلال العسكري الفرنسي لغرب القارة الإفريقية في عقد الستينات من القرن العشرين، وقد أجمعوا كلهم على استحالة احتلال بلاد شنقيط ما دام "الشيخ سيديا الكبير" حيًّا.

وكما مُدح الشيخ سيديا الكبير بالمدائح الذائعة في حياته فقد رثي بالمراثي الرائعة بعد مماته. ولا يزال هذا الكم الهائل من الشعر الشنقيطي محفوظًا في خزائن أسرتنا، لله الحمد.

وتعدُّ القصيدة التي رثاه بها الشاعر المُصقع: الهادي ولد بَدِّي (محمدي) العلوي، إحدى عيون المراثي الموريتانية، وهي دليل على المكانة السامقة التي تسنّمها الشيخ سيديا الكبير في محيطه؛ يقول فيها:

الأَرْضُ بَعْدَ الشَّيْخِ ثَكَلَى، يَالَهَا قَدْ زُلْزِلَتْ مِنْ فَقْدِهِ زِلْزَالَهَا
 أَنَّى لَهَا تَجِدِ السُّلُوءَ وَرَاءَهُ عَزَّ السُّلُوءُ وَرَاءَهُ، أَنَّى لَهَا
 يَالَخَوَائِجِ وَالْخُطُوبِ إِذَا دَهَمَتْ ذَهَبَ الْمُعَدُّ لَهُنَّ كَانَ، فَيَالَهَا⁽¹⁾
 إِنَّ الْبِلَادَ بِذِي الْجِبَالِ ثَبَاتُهَا وَتَمِيدُ إِنْ نَزَعَ إِلَهُ جِبَالُهَا⁽²⁾
 رُزْءُ أَصَابَ الْعَالَمِينَ جَمِيعَهَا أَطْفَالُهَا وَنِسَاءُهَا وَرِجَالُهَا
 كهفُ البرية، حاملُ أعباءها دون الوري، ومصدقُ آمالها
 قطبُ الرحي، بدرُ الدجى، من جاءه يجدُ الرحي أبدا تحكُّ ثفالها⁽³⁾
 ويجدُ كريمةً شؤله معقولةً بالباب قد خَضَبَ النجيعُ عقالها⁽⁴⁾

1- اللام في (ياللخوائج) - كما في (يالها) في البيت الأول - هي لام المستغاث به، وهي مفتوحة، خلافا للام المستغاث من أجله فتلك مكسورة؛ كقولك: يالزيد للعجب، فتفتح لام (زيد) لأنه المستغاث به، وتكسر لام (العجب) لأنه المستغاث من أجله، كأنك قلت: أدعوك للعجب. راجع: التبصرة والتذكرة، أبو محمد عبدالله بن علي الصيّمري، تحقيق: فتحي أحمد مصطفى علي الدين، منشورات مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي في جامعة أم القرى - 1982، ص 359 وما بعدها. والصيّمري نسبة إلى نهر بالبصرة يقال له صيّمر. راجع: البداية والنهاية، ج 12، ص 52.

2- إحالة إلى قوله تعالى: "وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ". سورة النحل، الآية 15.
 3- الثّقال: الجلد الذي يُبْسَط تحت رَحَى اليد ليقَي الطّحِينَ من التراب؛ وربما سمي الحجر الأسفل من حجري الرحي بذلك. راجع: لسان العرب، ج 11، ص 85.
 4- الشّوْل: جمع شائلة، وهي من الإبل التي أتى عليها من حملها أو وَضَعَهَا سبعة أشهر فحَفَّ لبنها. انظر: المرجع السابق، ج 11، ص 374. النجيع: دم الجوف خاصة لأنه ينصبُّ منه. المرجع السابق، ج 8، ص 348.

تخشى المساء أو الصباح سوائه⁽¹⁾ فكلاهما انتظرت به آجالها
فالناس ينتجعون سيب يمينه⁽²⁾ لا سيفها وسنانها ونبالها
فترى البيوت عفاة قدامها ووراءها ويمينها وشمالها
ولكم ترى من يافع أو كاعب أو فارض طلع المشيب قذالها
ولكم ترى من سائل أو جاهل أو عائل؛ قديمت إليه فعالها⁽³⁾
غيث الأنام إذا السنون تتايعت والأرض أصبح مأوها صلصالها⁽⁴⁾
كم عصابة زجرت إليه جياذها وعصابة ضربت إليه جمالها⁽⁵⁾
تبغي حوائج من يديه كثيرة حطت لهن سروجها ورحالها
الواهب الجرد العتاق وقد حمت قصب الرهان إذا تجول مجالها
والواهب النعم الكثير تسوقه خذل الشوى صبغ الحياء جمالها
إن العطية لا يتم نفاذها إلا وأردف بعدها أمثالها
دار رأى إقبالها إدبارها ورأى الورى إدبارها إقبالها
لما رأى سبل الرفاق مضلة عمّر البلاد وهادها ورمالها

1- السّوأم: كل ما رعى من المال في القلوات إذا حُلّي وسوّمه يرمى حيث شاء. المرجع السابق، ج12، ص311.

2- الانتجاع والنجعة: طلب الكلا ومساقط العيث، يقال: انتجعنا أرضاً نطلب الرّيف، وانتجعنا فلاناً إذا أتينا نطلب معزوفه. انظر: المرجع السابق، ج8، ص347. والسّيب: العطاء. المرجع السابق، ج1، ص477.

3- هي من العول الذي هو بمعنى كثرة العيال. المرجع السابق، ج11، ص482.

4- التّنايع في الشيء وعلى الشيء: التهاؤ فيه والمتايعة عليه والإسراع إليه. المرجع السابق، ج8، ص38. والصلصال: الماء الذي يقع على الأرض فتتشق فيجف فيصير له صوت. المرجع السابق، ج11، ص382.

5- العُصبة والعصابة: جماعة دون الأربعين. المرجع السابق، ج1، ص605.

كم ليلة أو بلدة أحيهما بالذكر والحفر المفيض زلالها
ولرب طامسة المنار متهيئة ورنالها أبداً تمزق آلهة⁽¹⁾
ألقى بها للسائرين محلة يهدي هدير جمالها ضلالتها
منع البلاد من أن تصاب بسيء حتى أجار من الرعاة سيالها
وإذا العداة مع العداة تقابلت وضع العداة عن العداة نبالها
وحمي جميع المسلمين حماية لم تحمها أسد الشرى أشبالها
لاكنما المولى رحيم بالورى فلتحمد المولى الذي أبقى لها
من كان وارث سره ومقامه حذو الرجال على النعال نعالها
أتت الخلافة مربعا قد طالما سحبت به من قبل ذا أذيالها
فتنسمت آرائها آرامها وتكنست أطلاؤها أطلالها
أبقى لها غيثا يسح على الورى قد تخرج الجذباً به أبقالها
وأنالها الثبت الذي لما أتى شد الإزار إذن وقال: أنا لها
أبدى لها شهما سقاه من الذي أسقى به من قبل ذا أبدالها
أوحى لها بالعطف للبدل الذي هو المؤكد نعتها أو حالها
أوصى لها بالشيخ غوث زمانه أصلا يقوم إن ونت أوصالها
أوعى لها وحى حريم جنابها مثل البواذخ إن حمت أوعالها
أحمى لها من غيره من جنسه وهو الذي لا يشتكي أحمالها
وشكى لها لما اشتكت من رزئها إن الخلافة تتبغى أشكالها
أقوى لها ربعا فأعمر لحظة فسل الخلافة واسمعن أقوالها
أنقى لها بيتا وأترع جوفه كتبنا يظل مقيدا أنقالها
أفعى لها سم تعز رقاته ظفرت بها يد من يلي أفعالها

1- الرئال: جمع رأل؛ وهو ولد النعام. والآل: سراب أول النهار.

ووفى لها بعهودها فهو المصد دق وسمها المرئي عليه وفالها
وغزا لها فأباح حرمة أرضها واصطاد منها ريمها وغزالها
وحوى لها فبنى مدائن ملكها وثوى فعمر وسطها وحوالها
وزوى لها المولى بخير خليفة لما أراد عن آخرين زوالها
من خالها تابى الأجانب إنما أتت الخلافة عمها أو خالها
ونوى لها حسن القيام بحقها ولقد درى تأسيسها ونوالها
ومحا لها صحف السفاهة والصبا فثنى على بين الأنام محالها
وكمى لها كفوًا كريما مدُّه حتى ينال كماله وكمالها
صلى الإله على النبي محمد ما استخلفت شمس الزوال زوالها⁽¹⁾

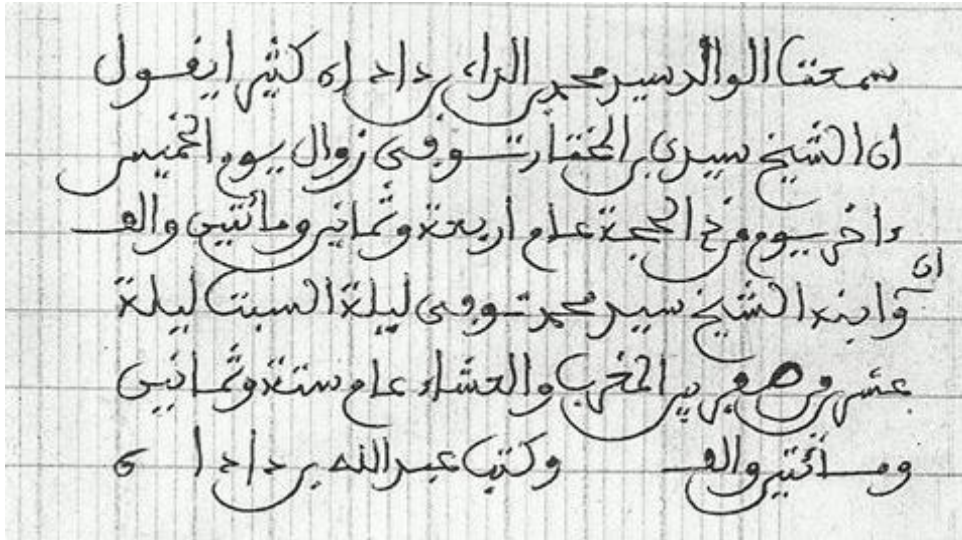
رحمه الله برحمته الواسعة، ورفع درجته في الآخرة أضعاف ما رفعها في الدنيا؛
فلئن كان قد رحل عن الدنيا بجسده فإنه باقٍ بعلمه ومصنفاته وآثاره، يذكره أهل
العلم فيترحمون عليه، ويعرف له أهل الفضل فضله، وهذه سنة الله في خلقه، وهو
القائل جلّ من قائل: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾⁽²⁾.

﴿وَلَا خَيْرَ أَكْبَرَ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرَ تَفْضِيلًا﴾⁽³⁾.

1- ديوان الهادي بن بدي العلوي، تحقيق حفيده محمد بن الهادي، دار نجيبويه
للمخطوطات والتراث، 2015، ص 72-74.

2- سورة المجادلة، الآية 11.

3- سورة الإسراء، الآية 21.



وثيقة بخط الشيخ العلم: عبدالله ولد داداه، تحدد تاريخ وفاة الشيخ سيديا الكبير.

بعد وفاة الشيخ سيديا الكبير اجتمعت كلمة قبيلته وأكابر تلامذته على مبايعة ابنه الأوحد الشيخ سيدي محمد، خليفة له. وقد دُوّنت هذه المبايعة في وثيقة تاريخية شكلا ومضمونا، والنسخة التالية صورتها مكتوبة قبل نحو 73 عاما، على يد العالم الأديب النحوي اللغوي الأستاذ أحمد ولد مولود ولد داداه (رحمه الله).

وقد ارتأيتُ إيراد النص الحرفي لتلكم البيعة؛ ليكون مُعينا على تصوّر الإطار العام للعصر الذي عاش فيه الشيخ سيديا الكبير، ودليلا على المكانة العالية التي وصل إليها في محيطيه الخاص والعام. وكنتُ أردتُ الاكتفاء بنشر صورة الوثيقة قبل أن أدرك أنه ربما تتعذر قراءتها من خلال الصورة، فرأيت أن من المفيد تقريبها وتسهيل قراءتها، عسى أن يكون في ذلك ما ينفع الناس ويمكنهم في الأرض.

○○○○

الحمد لله الحي الدائم الباقي الذي لا يموت، القاضي على عباده بعدما أنشأهم بالموت والفوت، والصلاة والسلام على من هانت المصائب في جانب مصيبتة، وعلى آله وأصحابه القائمين بعده بمصالح أمته..
أما بعد أيها الناس توبوا، وإلى ربكم فأنيبوا، واعلموا أن لا باقي إلا الله، وأن لا بقاء لمن سواه، وتعزوا بمصيبة النبي الأواب، فإن فيه عزاء لكل مصاب،

واذكروا قول الله تعالى في الفرقان ((كل نفس ذائقة الموت. وكل من عليها فان))، وثقوا بأننا لو استطعنا دفع الخطب الذي حل بنا لدفعناه، ولو كان يفتدى بالنفوس لفديناه، ولكن ما على الله في حكمه من معتب، ولا لأحد عما قضى به من مهرب، فاصبروا لحكم الله واحمدوه، وعلى ما أسدى عليكم من نعمه فاشكروه، حيث متعكم بشيخكم المرحوم مدة زهاء أربعين، أحسن فيها ما لم يحسنه غيره زهاء المئين، وسعكم معروفه وفواضل نعمته، ولم تنقموا عليه شيئا في صحبتته، فهو الوالد المترفق، والشيخ الناصح المتدقق، بث فيكم علمه ومفاده، ومحضكم نصحه ووداده، لم شملكم ورأب نأيكم، أرشد غاويكم وأكسب معدمكم، أصلح ذات بينكم، وسعى في صلاح شأنكم، أصلح قلوبكم من فسادها، وقاد نفوسكم لرشادها، سن لكم المكارم وأجلاها، وأنزلكم من شماريخ العز ذراها، ترككم على الملة القيومية، والحنفية البيضاء المستقيمة، لا ميل فيها ولا عوجا، أدخلكم فيها فوجا فوجا، فكان وعده مبرورا، وسعيه عند الله مشكورا، فطوبى لمن عرف طبعه من طبعه، ولمن كان في سمعه وطوعه، فجراه الله خيرا عن أهل زمانه، وأجزل مثوبته بفضله وإحسانه..

ثم قبضه ربه لدار كرامته، ولقد ترك فيكم ابنه خليفة يحمده، دعاه بالشيخ سيدي محمد، ورثه وراثته تامة، للخاصة وخاصتها والعامة، علما وحلما وتربية وديانه، وسخاء وسياسة ونزاهة وأمانه، والله إنه لمصب ميزاب أبيه الخضم، وماتح زلال تياره الغطمطم، والصدق الفرد الذي يختزن فيه، والدر النفيس المصون كان لديه، استهل والتربية لأبيه مرتع، فأرضعه من ثديها حتى تضلع.

ولعمري لئن أحسنتم الظن بهذا الوحيد، وتيمنتم بطالع نجمه السعيد، واستننتم بهديه ورشده، وأقمتم على دعوته وعهده، لتسليتم به عن أبيه، ولوجدتم فيه ما عهدتم فيه، ولقرت بفعاله عيونكم، ولطابت بمساعيه نفوسكم، ولوسعتكم نتائج أفكار لبه المصونة، ولوردتم فيض معين بحره ظمأ، ثم صدرتم كما تشاؤون رواء، ولتزامتم عليه طلبا لنائله، وحرصا على رشفة من وابل فضائله، وسيرى منه إن تقصى النظر أولوا الألباب،

فيما وليه إن شاء الله العجب العجاب، وافقت مدته مدة النبي عليه السلام في بعثته، وفيه الإشارة إلى نجاح أمره واستقامة دولته، بآرك الله له في عمره، وأنسأ له في أثره، وجعل في طاعته مهتمه، وثبت على الاستقامة قدمه.

ثم إنا وفود أبناء أبير وفدنا، للتهنئة والتكرمة والوفاء بما وعدنا، فما منا إلا محب ودود، وليس فينا حسود ولا حقود، جئنا مبايعين لك بالسمع والطوع على وفق بيعة الأنصار بالعقبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فنحن في حكمك وطوع يدك، منقادين لأمرك، مجمعين على نصرك، ننصرك ما بقينا، ونمنعك ما حيننا، نحميك مما نحمي منه أزرنا، ونبذل دونك مالنا ومهجننا، نحارب من حاربك، ونسال من سالمك، نمحضك ودادنا ونعطيك قيادنا، نجيب دعوتك ونصدق كلمتك، ولا يناجيك من دوننا أحد، على حب من أحب وعلى رغم من حسد، وليعلم الناس أنا العشيرة الدافعة والفصيصة المؤوية القامعة، من ضئضى عمرو العلا هاشم، وسلالة جعفر ذي المكارم، قد خصنا الله بك وبأبيك من قبلك، والناس كلهم من وراء ذلك، فبالله ورسوله ثم بكم كان انتصارنا، وبكم كان عزنا وافتخارنا، خلد الله مجدكم ومآثركم، وأدام عزكم ومفاخركم.. والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيد المرسلين، ورضي الله تعالى عن أصحابه المهاجرين، وأنصاره حماة الدين المبايعين، وعن التابعين وتابعي التابعين، وعن المشائخ والأمراء أئمة الدين، ويغفر الله لنا ولكم أجمعين آمين.

كتبه أحمد بن مولود بن دلداه لائنتي عشق خلعت من شوال عام 1367 هجرية، من خط منشئه محمد محمود بن عبد الفتاح الأبيري البدي مريخ الشيخ سيدي، تيب على الجميع بجاه النبي الشفيح.

مَنْعُكَ

الصفحة الأولى من وثيقة بيعة أولاد أبييري للشيخ سيدي محمد ولد الشيخ سيديا، بعد وفاة أبيه والتعزية فيه، رحمهما الله ورحم السلف أجمعين وبارك في الخلف والمحبين.

غير نكم، والحكايت بمصايبه نعوذ بكم وأوسعتم
تلايح أكلد ربي المحصنة، ونحو لنكم لم لا
دارا به الميمونة، ولترتم قعص مجيب بحري حماة
نم صبرتم كما تشله ورواة، ولتر احتهر علفه كليا
لطايلة وحس صلا على شعبة من وابل قضا بدو ويرى
منه اة تفصى التلح لولوا البلب بهما رلية
اه تمار الله الحجب الخبايا، وبعث مرنة مر
النبي عليه السلام به بختية، وبيد هراشاة
النيح امي، واستغفارة ولغة، بارح الله لسا
به عمن له، ونصا له لى، وجعل به كلاس
متممة، وثبت على اما تفتاة، فرفه، ثم انلا
وجود ل بناء لبيسر، وعزله لى، فمفهم، وانكرمة
والتر جاد كما وعزله، ثم علفه لى، فمفهم، وانكرمة
ولبيسر جينا مسرود، ولا علفه لى، فمفهم، وانكرمة
لى بالسمج والشروع على شى، فمفهم، وانكرمة
بالترفة لى سرور الله على الله عليه وسلم فمفهم
به حكيم، وكجوع يونا، مففاد لى، فمفهم، وانكرمة
على نحر لى، تففى ك ما يفينا، ونففى ما جمينه
نمينا، فمفهم، مففاد لى، ونملا، ونملا ما لى
ونمينا، فمفهم، مففاد لى، ونملا، ونملا ما لى
نمينا، فمفهم، مففاد لى، ونملا، ونملا ما لى
ونمينا، فمفهم، مففاد لى، ونملا، ونملا ما لى
على حب من حب، وعلى غير من حب، فمفهم، وانكرمة

خاتمة باب الدراسة

بعد أن درسنا جميع الجوانب المتعلقة بحياة الشيخ سيدنا الكبير، وعرفنا البيئة التي أُلّف فيها كتابه "النفحة القيومية بتقرير الآجرومية"، وكنا قبل ذلك قد عرّفنا بمتن الآجرومية الذي هو الأساس الذي بنى عليه الشيخ كتابه هذا الذي بين أيدينا، وعرّفنا بابن آجروم؛ نكون قد أنهينا القسم الأول من هذه الأطروحة وهو باب الدراسة، وباستيفاء مكوناته نخلص إلى الباب الآخر المتعلق بالتحقيق، وسيكون أيضا في فصلين كسابقه، نخصص أولهما لتحقيق المقدمة الآجرومية باعتبارها أساس الكتاب الذي سيكون موضوع التحقيق في الفصل الآخر.

وأنبّه هنا إلى أن هذا الباب ليس منفصلا عن لاحقه، بل هما مترابطان ارتباطا عضويا لا انفصال له؛ لذا فإن الفهارس كلها ستكون في نهاية الباب اللاحق.

القسم الثاني

التحقيق

وفيه فصلان:

الفصل الأول: تحقيق المقدمة الآجرومية.

الفصل الثاني: تحقيق كتاب النفحة القيومية بتقرير الآجرومية.

الفصل الأول

تحقيق المقدمة الآجرومية

الحمد لله الذي فضّل اللغة العربية على سائر لغات البشر، فأنزل بها على رسوله العربي قرآنا بلسان عربي مبين، والصلاة والسلام على أفصح من نطق الضاد، وأوتي جوامع الكلم، وأعيت فصاحته الحكماء الخطباء، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

وبعد؛ فقد كان النحو أحد أهم علوم اللغة على الإطلاق، إذ في جهله الإخلال بالتفاهم جملة، ونظرا لأهميته فقد صُنِّفت فيه التصانيف المتنوعة بين مسهب جُمع في أسفار، وموجز ضُمّ في أوراق. ويُعد "متن الآجرومية" الذي ألفه الإمام أبو عبدالله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي المعروف بابن آجروم، واحدا من المتون النحوية التي نالت الاهتمام لدى العلماء القدامى والمعاصرين، حيث انتشر هذا المتن بصفة مذهلة، وشاع شرقًا وغربًا باسم مؤلفه بدل عنوانه إن كان له عنوان، وهو خلاصة موجزة في قواعد النحو، صغيرة الحجم، عظيمة القدر، بالغة الأثر، كادت على فرط اختصارها تحيط بما في جميع كتب النحو طوالها وقصارها؛ فهي "من أجلّ ما وُضع من المقدمات المختصرة، واللمع المتخيّرة... فهي مفتاح علم اللسان، ومصباح غيب البيان"⁽¹⁾. وهي متن "لا يطاوله متن آخر، ضبطا لقواعد اللغة، وحصرا لمسائله، ويُسر في صياغته، ولا يزال موضع التلقي والقبول إلى يوم الناس هذا"⁽²⁾.

وقد انطلقت هذه الومضة من ينابيع فاس، وكانت ثمرة تجربة تربوية عريقة، فقد كانت مدينة فاس معقل مدرسة ابن طاهر الأنصاري الإشبيلي المعروف بالخدب (ت580هـ) الذي اشتهر بتدريس كتاب سيبويه، وله عليه طرر مدونة اعتمدها تلميذه

1- شرح متن الآجرومية، أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح المكدودي، ص24.

2- مقالات العلامة محمود الطناحي، ص96.

ابن خروف (ت 609هـ) في شرحه الذي سمّاه: تنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب. وإلى فاس امتدت تعاليم أبي موسى الجزولي المراكشي (ت 609هـ) وابن أبي الربيع السبتي (ت 688هـ)، قبل أن يغرس فيها المكودي (ت 807هـ) مدرسة ابن مالك التي عرفت تأصلاً وترسيخاً بين أساطين جامع القرويين⁽¹⁾؛ لذا فمن الظلم الفادح لابن آجروم أن تُعدَّ مقدمته الآجرومية اختصاراً لأي كتاب سبقها⁽²⁾، كما نرى عند من ذهبوا إلى أنها مختصر موجز لكتاب (الجمل في النحو) لأبي القاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي⁽³⁾.

وقد كان متن الآجرومية الأساس للدراسة النحوية لدى العلماء، فكانوا أول ما يبدؤون به مع من يريد دراسة النحو، وذلك لاشتماله على ما لا يسع جهله من فن النحو، وكان والدي - رحمه الله وجزاه خيراً - يلزمني إبّان صغري بحفظه عن ظهر قلب ويشرحه لي درساً بعد درس.

وبقدر ما كُتب لهذا المتن من القبول والذيع والانتشار، كان الاهتمام بنسخه وطبعه وشرحه والعناية به، حتى لا تكاد مكتبة خاصة أو عامة للمخطوطات أو للمطبوعات تخلو من نسخة منه. وقد نال اهتمام العلماء في كل مكان وزمان، فانكبوا عليه مفسرين لألفاظه وشارحين لمعانيه ومتممين لها وناظمين، وُشرت هذه الأنظمة، ووضعت الحواشي على الجميع وأُعرب، ووضع العلماء تمارين عليه؛ كل ذلك بشكل يفوق الحصر ولا يكاد يحصيه أحد.

1- راجع: تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، ص 379.

2- راجع: ذكريات مشاهير رجال المغرب، ج 1، ص 429.

3- راجع: دائرة المعارف الإسلامية، إعداد وتحرير: إبراهيم زكي خورشيد وآخرين، دار الشعب - القاهرة، ج 1، ص 191.

وأجدني وأنا بصدد تحقيق أحد شروح هذا المتن ملزماً بتحقيق المتن نفسه، لذا خصصت لذلك هذا الفصل، وقسمته إلى مبحثين؛ تناولتُ في أولهما وصف النسخ المعتمدة أساساً للتحقيق، وجعلتُ المبحث الآخر للنص المحقق.

وقد اقتديتُ في الفصل الأول هذا بسيوييه - إمام النحاة - فقد نقل في كتابه الضخم الكامل أبواباً برمتها عن يونس بن حبيب، مصرّحاً بذلك فقال: "وجميع ما ذكرتُ لك في هذا الباب وما أذكر لك في الباب الذي يليه قول يونس"، ويعني سيوييه بذلك فصلين من التصغير نقلهما في الكتاب بأمانة عن يونس⁽¹⁾؛ وهكذا أنا هنا فجميع ما أذكره في هذا الفصل - تقريباً - قول الدكتور حاييف النبهان في تحقيقه للمقدمة الآجرومية الصادرة طبعته الثانية سنة 2011 عن دار الظاهرية للنشر والتوزيع في الكويت.

المبحث الأول

النسخ المعتمدة في تحقيق الآجرومية

اعتمد الدكتور حاييف النبهان في تحقيقه للمقدمة الآجرومية على عشر نسخ خطية، واثنى عشر شرحاً لها، وكتاب إعراب لألفاظها وأمثلتها، ومطبوعتين. وتبعاً لذلك فسيكون مبحثي هذا مقسماً إلى أربعة مطالب، يتناول أولها النسخ الخطية للآجرومية، ويتناول الثاني شروحها، ويتناول الثالث كتاباً مؤلفاً في إعرابها، بينما يتناول المطلب الأخير النسخ المطبوعة التي اعتمد عليها في التحقيق.

1- راجع: نتائج الفكر في النحو، ص 10.

المطلب الأول

النسخ الخفية

1. مخطوطة جامعة الملك سعود، ويرمز لها بالرمز (أ)، عدد صفحاتها 9، كتبت بخط نسخ واضح، وتاريخ نسخها سنة 1279هـ.
2. مخطوطة خسرو بيك - سرايفو، ويرمز لها بالرمز (خ)، وعدد صفحاتها 5، كتبت في القرن 12 على يد أحمد بن علي.
3. مخطوطة الأزهر الشريف، ويرمز لها بالرمز (ز)، وعدد صفحاتها 15، كتبت سنة 1225هـ.
4. المخطوطة الثانية لجامعة الملك سعود، ويرمز لها بالرمز (س)، وعدد صفحاتها 15، كتبت بخط نسخ حسن، على يد سليم البيروني، سنة 1278هـ.
5. المخطوطة الثانية لجامع الأزهر، ويرمز لها بالرمز (ع)، وعدد صفحاتها عشرون صفحة.
6. مخطوطة وزارة الأوقاف الكويتية، ويرمز لها بالرمز (ك)، وعدد صفحاتها 17 صفحة، كتبت بخط حسن وعليها حواش، وتاريخ نسخها سنة 1231هـ.
7. مخطوطة مكتبة الاسكندرية، ويرمز لها بالرمز (ل)، وعدد صفحاتها 24 صفحة.
8. النسخة الثالثة لجامعة الملك سعود، ويرمز لها بالرمز (م)، وعدد صفحاتها 24 صفحة تنقصها الورقة الأولى، ونسخت سنة 975هـ.
9. النسخة الرابعة لجامعة الملك سعود، ويرمز لها بالرمز (ن)، عدد صفحاتها 24 صفحة، كتبت بخط نسخ معتاد، على يد عبدالعزيز عبدالله محمد، ونسخت سنة 1272هـ.

10. النسخة الخامسة لجامعة الملك سعود، ويرمز لها بالرمز (ي)، عدد صفحاتها 12 صفحة، كتبت في القرن 12 ضمن مجموع فيه 11 رسالة.

المطلب الثاني

شروح الآجرومية المعتمدة في تحقيقها

شروح الآجرومية كثيرة جدا تجاوزت المائة بكثير، كما مرّ بنا في باب الدراسة، وحسبنا هنا أن نذكر الشروح التي اعتمد عليها الدكتور حايك النبهان في تحقيق المتن.

علمًا أن مؤلفي هذه الشروح على أقسام من حيث التعرض للمتن، فمنهم من مزج الشرح بالمتن، بحيث لا يتميز أحدهما عن الآخر إلا بكتابة المتن بالحمرة والشرح بالسواد، أو بوضع المتن داخل قوسين والشرح خارجهما؛ ولا شك أنه ينبغي التعامل بحذر مع هذا القسم، فكتابة المتن بالحمرة أو وضعه بين قوسين، خاضع لتصرف النساخ أحيانًا.

ومن الشراح من ذكر المتن كاملاً، وفصل بينه وبين الشرح بأن يقدم كلمة "قال" أو "قوله" قبل ذكر جزء من المتن، ثم يبدأ بالشرح. وهذا أنفع الأقسام لمن أراد تحقيق المتن.

وثمة قسم ثالث كانت الفائدة منه أقل، وهو عدم ذكر المتن كاملاً، والاقتصار على ذكر طرف من المتن دال على بقيته.

وسنقسم هذا المطلب إلى فرعين: نتناول في أولهما الشروح المخطوطة، وفي الآخر الشروح المطبوعة.

الفرع الأول

الشروح المخطوطة

1. الدرة النحوية في شرح الجرومية، لمحمد بن أحمد بن يعلى الحسني، وقد تلقى المقدمة من ابن صاحب الآجرومية، ولعل شرحه أول شرح عليها. وهذه المخطوطة محفوظة في الأزهر، ويعود تاريخ نسخها إلى سنة 1064هـ، وعدد أوراقها 73 ورقة، وهي بخط مغربي.
2. شرح شهاب الدين أبي العباس أحمد بن علي البجائي (ت 837 هـ). وهذه المخطوطة محفوظة كذلك في الأزهر، ويعود تاريخ نسخها إلى سنة 992هـ، وعدد أوراقها 34 ورقة.
3. شرح أبي الحسن علي بن عبد الله بن علي السنهوري الأزهري الضير المالكي (ت 889 هـ). وهذه النسخة محفوظة في الأزهر أيضا، وعدد أوراقها 76 ورقة، وذكر ناسخها أنها مقابلة على نسخة المؤلف⁽¹⁾.
4. شرح فايد بن مبارك الإبياري (المتوفى بعد 1063 هـ). وهذه النسخة محفوظة في جامعة الملك سعود، وعدد أوراقها 136 ورقة، ويعود تاريخ نسخها إلى سنة 1292هـ، وهي مكتوبة بخط النسخ، والتمن فيها مميز بالحمرة.
5. الدرة البهية على المقدمة الآجرومية، لمحمد بن عمر بن عبد القادر الكفيري الدمشقي الحنفي (ت 1130 هـ). وهذه المخطوطة محفوظة في جامعة

1- طُبِعَ هذا الشرح تحت اسم "شرح الآجرومية في علم العربية لعلي بن عبد الله بن علي نور الدين السنهوري (ت: 889هـ)"، دراسة وتحقيق: د. محمد خليل عبد العزيز شرف، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة - مصر، الطبعة الأولى 1427هـ - 2006.

الملك سعود، وعدد أوراقها 132 ورقة، وقد نسخت سنة 1153 هـ على يد مصطفى الرشاش.

6. الكلمات الجليّة في بيان المراد من الآجروميّة ، لأبي الحسن علي بن عبد البر الوّنائي الشافعي (ت 1212 هـ). وهذه المخطوطة محفوظة في الأزهر، وعدد أوراقها 76 ورقة، وقد نُسخَت سنة 1268 هـ على يد يوسف محمد⁽¹⁾.

7. من الشروح المخطوطة المعتمدة في التحقيق أيضا كتاب جاء في فهرسة جامعة الملك سعود، وإدارة المخطوطات بوزارة الأوقاف بالكويت، وغيرها من المصادر، أنه لنجم الدين أبي المكارم محمد بن محمد بن محمد الغزي العامري الدمشقي الشافعي (ت 1061 هـ). غير أن الدكتور حايك النبهان يكاد يجزم أن هذا الكتاب ليس من تأليف المؤلف المذكور، بل هو كتاب آخر غير كتاب إعراب أو شرح الآجرومية لنجم الدين الغزي؛ مستدلا على ذلك بأن اسم الغزي لم يذكر على أي من نسخ الكتاب المنسوب له، ومنها نسختان خطيتان في جامعة الملك سعود، ومصورتان عن نسختين محفوظتين في مكتبة الأسد في دمشق. يضاف إلى ذلك أن الكتاب المشار إليه ليس كتاب إعراب لألفاظ الآجرومية، بل كتاب إعراب لأمثلتها، فإن لم توجد أمثلة في المسألة أتى بأمثلة من عنده وأعربها، مع شرح يسير جدا. وقد جاء في إحدى مخطوطتي مكتبة الأسد في ورقة العنوان: كتاب شرح الآجرومية في علم العربية، تأليف الشيخ الإمام نجم الدين الفرضي الحلبي؛ فإذا كانت المعطيات كتابا موضوعه الأساسي إعراب أمثلة الآجرومية، لعالم فرضي حلبي لقبه نجم الدين، فالنتيجة أن الكتاب قيد الدراسة ليس إعراب الآجرومية لنجم الدين الغزي، بل كتاب: الفوائد السنية

1- راجع: الأعلام، ج4، ص298.

في إعراب أمثلة الآجرومية لنجم الدين محمد بن يحيى بن تقي الدين بن عبادة بن هبة الله الدمشقي الحلبي الفرضي المتوفى سنة 1090 هـ. وعلى العموم، وخروجا من الخلاف وإن كان ضعيفا، فقد أشار المحقق للشارح بالنجم، وهو صالح للثنتين⁽¹⁾.

الفرع الثاني الشروح المصبوعة

1. شرح الآجرومية لأبي زيد عبدالرحمن بن علي بن صالح المكودي (ت 807هـ). طبعة مكتبة مصطفى البابي الحلبي، سنة 1355هـ.
2. شرح الشيخ زين الدين خالد بن عبدالله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهري، ويعرف أيضا بالوقاد (ت 905هـ) وهو أشهر شروحها. طبعة بولاق سنة 1290هـ، والتمن فيه موضوع بين أقواس.
3. نور السجدة في حل ألفاظ الآجرومية، لشمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني (ت 977هـ). طبعة دار المنهاج سنة 1429هـ، وهي بتحقيق سيد شلتوت الشافعي.
4. شرح شهاب الدين أبي العباس أحمد بن أحمد بن حمزة الرملي الأنصاري الشافعي (ت: 973هـ، وقيل 971هـ). طبع الشرح بتحقيق د. علي موسى الشوملي، نشر دار أمية للنشر والتوزيع في الرياض دون تاريخ، وجاء في 314

1- راجع: الآجرومية، تحقيق حايك النبهان، ط2، دار الظاهرية للنشر والتوزيع، الكويت 2011، ص27.

صفحة؛ ويرى بعض الباحثين أن الكتاب ليس لشهاب الدين أحمد وإنما لابنه شمس الدين محمد (ت 1004 هـ)⁽¹⁾.

5. شرح الشيخ حسن بن علي الكفراوي الشافعي (ت 1202 هـ). طبعة المطبعة العامرة، سنة 1291 هـ، وبهامشه حاشية الحفناوي، واعتنى بتصحيحه إبراهيم عبدالغفار.

6. حاشية الشيخ عبدالله العشماوي على متن الآجرومية. طبعة المطبعة العلمية، ط2، سنة 1315 هـ.

المطلب الثالث

كتاب إعراب ألفاظها

ذكر الدكتور حايك النبهان أنه اعتمد في تحقيق الآجرومية على كتاب واحد من بين الكتب العديدة المؤلفة في إعرابها، وهو كتاب (إعراب الآجرومية) للشيخ خالد الأزهري (ت 905 هـ)، وأن هذا الكتاب مازال مخطوطا محفوظا في الأزهر، عدد أوراقه 72 ورقة، ويعود تاريخ نسخه إلى سنة 1075 هـ، وهو بخط نسخ متقن، والمتمن فيه مميز بالحمرة. وقد اعتمد على هذا الكتاب مع أن شرحه معتمد في التحقيق أيضا؛ للأمن من أن تكون بعض الألفاظ قد كتبت بالحمرة سهوا مع أن الصواب أنها من الشرح، ولوجود تغاير بين نسخته التي اعتمد عليها المؤلف في شرحه، وتلك التي اعتمد عليها في إعرابه.

1- راجع: كشف الظنون، ج2، ص1797. والدليل إلى المتون العلمية، ج1، ص492.

المطلب الثالث

مطبوعات الآجرومية

- من المصادر المعتمدة في تحقيق المتن نسختان مطبوعتان للآجرومية، هما:
1. طبعة مطبعة السعادة سنة 1324هـ، واعتنى بتصحيحها العلامة أحمد بن الأمين الشنقيطي، وإليها الإشارة بطبعة السعادة. وعدد صفحاتها 21 صفحة.
 2. طبعة مكتبة مصطفى البابي الحلبي، طبعت سنة 1355هـ، واعتنى بتصحيحها أحمد سعد، وتقع في 24 صفحة، وإليها الإشارة بطبعة الحلبي.

وبذلك أكون قد بينتُ في هذا المبحث النسخ التي اعتمد عليها الدكتور حايك النبهان في إخراج نسخته من هذا المتن المفيد، وقد وصفها بأنها نسخة متقنة تتضمن أبرز الاختلافات بين النسخ المتعددة للمتن؛ وهي النسخة التي خصصتُ لها المبحث اللاحق.

المبحث الثاني نصُّ الآجرومية محققاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ⁽¹⁾

أنواعُ الكلام

الكَلَامُ: هو اللَّفْظُ المَرْكَبُ، المُفِيدُ بِالْوَضْعِ.
وَأَقْسَامُهُ ثَلَاثَةٌ: اسْمٌ، وَفِعْلٌ، وَحَرْفٌ جَاءَ لِمَعْنَى.

1- البسملة موجودة في بعض نسخ المتن دون بعض، وأما الحمدلة فقد قال الأبياري: "لم يأت المصنف بالحمدلة ... وتوجد في بعض النسخ من كلام بعض الطلبة".

فَالِاسْمُ يُعْرَفُ بِ: الْخَفْضِ، وَالتَّنْوِينِ، وَدُخُولِ⁽¹⁾ الْأَلِفِ وَاللَّامِ⁽²⁾، وَحُرُوفِ الْخَفْضِ، وَهِيَ⁽³⁾: مِنْ، وَإِلَى، وَعَنْ، وَعَلَى، وَفِي، وَرُبَّ⁽⁴⁾، وَالْبَاءُ، وَالْكَافُ، وَاللَّامُ، وَحُرُوفِ⁽⁵⁾ الْقَسَمِ، وَهِيَ: الْوَاوُ، وَالْبَاءُ⁽⁶⁾، وَالتَّاءُ⁽⁷⁾.

وَالْفِعْلُ يُعْرَفُ بِ: قَدْ، وَالسَّيْنِ، وَسَوْفَ، وَتَاءِ التَّانِيثِ السَّاكِنَةِ⁽⁸⁾.

وَالْحَرْفُ: مَا لَا يَصْلُحُ مَعَهُ دَلِيلُ الْإِسْمِ وَلَا دَلِيلُ الْفِعْلِ.

- 1- في "ك": "وبدخول"، بزيادة حرف الباء.
- 2- في "أ" و"ك" و"ن" وعند السنهوري: "... الألف واللام عليه" بزيادة "عليه".
- 3- "وهي" ساقطة من "خ".
- 4- عند السنهوري زيادة بعد "ورب": "وحتى، وحاشا، وخلا، وعدا، ومذ، ومنذ". وقال عن صاحب المتن بعد أن سرد باقي حروف الجر المذكورة: "ذكر منها سبعة عشر حرفا، وسكت عن ثلاث؛ لأن الجر بها قليل، وهي: لعل، ومتى، وكى". وأما ابن يعلى فقد زاد: "حتى، وحاشا، ومذ، ومنذ"، دون ذكر "خلا وعدا".
- 5- قال الرملي: "وحروف القسم بالرفع؛ عطفا على (من) فيفيد أنها من حروف الخفض، وبالجر عطفا على الألف واللام؛ أي ودخول حروف القسم، أو على الخفض؛ أي وتعرف بحروف القسم".
- 6- الباء ليست في نسخة ابن يعلى، وسيكرر عنده إسقاط الباء من حروف القسم، في مبحث المخفوض بالحرف آخر الكتاب.
- 7- عند السنهوري: "وهي الواو والتاء والباء"، بتقديم التاء على الباء.
- 8- "الساكنة" لا توجد في نسخة ابن يعلى وأضافها في الشرح قائلا: "واحترزنا نحن بقولنا الساكنة من تاء التأنيث التي تلحق الأسماء...".

بَابُ⁽¹⁾ الْإِعْرَابِ

الْإِعْرَابُ: هُوَ⁽²⁾ تَغْيِيرُ أَوَاخِرِ الْكَلِمِ؛ لِاخْتِلَافِ الْعَوَامِلِ الدَّاخِلَةِ عَلَيْهَا، لَفْظًا أَوْ تَقْدِيرًا. وَأَقْسَامُهُ⁽³⁾ أَرْبَعَةٌ: رَفْعٌ، وَنَصْبٌ، وَخَفْضٌ، وَجَزْمٌ.

فَلِلْأَسْمَاءِ مِنْ ذَلِكَ: الرَّفْعُ، وَالنَّصْبُ، وَالْخَفْضُ، وَلَا جَزْمَ فِيهَا.

وَلِلْأَفْعَالِ مِنْ ذَلِكَ: الرَّفْعُ، وَالنَّصْبُ، وَالْجَزْمُ، وَلَا خَفْضَ فِيهَا.

1- "باب" تصح قراءته بالرفع، وفيه وجهان: الأول كونه خبراً لمبتدأ محذوف تقديره: "هذا باب"، والثاني كونه مبتدأ، والخبر محذوف تقديره: "باب الإعراب هذا". ويصح قراءته بالنصب على كونه مفعولاً لفعل محذوف تقديره: "اقرأ باب الإعراب". ويصح قراءته بالجر على كونه مجروراً بحرف جر محذوف تقديره: "انظر في باب الإعراب". وأولى الكل الرفع، ويليه النصب، والجر أضعفها ولا يتمشى إلا على مذهب الكوفيين المجيزين لجر الحرف وهو محذوف. وهذا الإعراب يجري في كل باب فلا يحتاج إلى إعادته. انظر: شرح الإبياري، وشرح الكفراوي.

2- كلمة "هو" لا توجد في "ل" و"ن"، وليست عند ابن يعلى ولا المكودي ولا السنهوري ولا الأزهري في إعرابه ولا الرملي ولا الخطيب الشربيني ولا الإبياري. وهي ثابتة في النسخ الخطية الأخرى، وطبعة السعادة والحلي، وعند الأزهري في شرحه والنجم والكفيري والكفراوي والونائي.

3- وقع في نسخة البجائي: "وألقابه"، قال: "وفي بعض النسخ علاماتُه" اهـ، ووقع عند الرملي كما هو مثبت، وقال: "وفي بعض النسخ: ألقابه، وفي بعضها: وعلاماته".

بَابُ مَعْرِفَةِ عِلَامَاتِ الْإِعْرَابِ

لِلرَّفْعِ أَرْبَعُ عِلَامَاتٍ: الضَّمَّةُ، وَالْوَاوُ، وَالْأَلِفُ، وَالتَّوْنُ.
فَأَمَّا الضَّمَّةُ فَتَكُونُ عِلَامَةً لِلرَّفْعِ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ: فِي الْإِسْمِ الْمُفْرَدِ⁽¹⁾، وَجَمْعِ
التَّكْسِيرِ⁽²⁾، وَجَمْعِ الْمُؤَنَّثِ السَّلَامِ، وَالْفِعْلِ الْمُضَارِعِ الَّذِي⁽³⁾ لَمْ يَتَّصِلْ بِآخِرِهِ شَيْءٌ.
وَأَمَّا الْوَاوُ فَتَكُونُ عِلَامَةً لِلرَّفْعِ فِي مَوْضِعَيْنِ: فِي جَمْعِ الْمَذَكَّرِ السَّلَامِ، وَفِي الْأَسْمَاءِ
الْخَمْسَةِ⁽⁴⁾، وَهِيَ: أَبُوكَ، وَأَخُوكَ⁽⁵⁾، وَحَمُوكَ⁽⁶⁾، وَفُوكَ، وَذُو مَالٍ.
وَأَمَّا الْأَلِفُ فَتَكُونُ عِلَامَةً لِلرَّفْعِ فِي تَثْنِيَةِ الْأَسْمَاءِ خَاصَّةً⁽⁷⁾.

- 1- عند ابن يعلى: "في الاسم المفرد مطلقا" اه، قال: "وقوله مطلقا، يريد انصرف أو لم ينصرف".
- 2- عند ابن يعلى: "وجمع التفسير مطلقا".
- 3- في (ل) و(خ) وعند السنهوري: "إذا" بدلا من "الذي". قال الرملي: "وفي بعض النسخ: إذا".
- 4- قال الرملي: "وفي بعض النسخ: الستة". وورد النص عند ابن يعلى: "وفي الأسماء الخمسة المعتلة المضافة".
- 5- في (خ) و(ل) وعند ابن يعلى والسنهوري: "أخوك وأبوك".
- 6- ضمير حموك (الكاف) مبني على الكسرة؛ لأن الحم اسم لأقارب الزوج، وقيل اسم لأقارب الزوجة؛ فيكون مبني على الفتح كالبقية.
- 7- في نسخة ابن يعلى ورد نص الآجرومية كالاتي: "وأما الألف فتكون علامة للرفع في تثنية الأسماء خاصة، نحو الرجلان، وكلا وكلتا إذا أضيفا إلى مضمّر، نحو: جاء الرجلان كلاهما،

وَأَمَّا التُّونُ فَتَكُونُ عَلَامَةً لِلرَّفْعِ فِي الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ، إِذَا اتَّصَلَ بِهِ: ضَمِيرُ تَثْنِيَّةٍ، أَوْ ضَمِيرُ جَمْعٍ⁽¹⁾، أَوْ ضَمِيرُ الْمُؤَنَّثَةِ الْمُخَاطَبَةِ.

وَلِلنَّصْبِ خَمْسُ عَلَامَاتٍ: الْفَتْحَةُ، وَالْأَلِفُ، وَالْكَسْرَةُ، وَالْيَاءُ، وَحَذْفُ التُّونِ.
فَأَمَّا الْفَتْحَةُ فَتَكُونُ عَلَامَةً لِلنَّصْبِ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ: فِي الْإِسْمِ الْمُفْرَدِ، وَجَمْعِ التَّكْسِيرِ⁽²⁾، وَالْفِعْلِ الْمُضَارِعِ⁽³⁾ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ نَاصِبٌ⁽⁴⁾، وَلَمْ يَتَّصِلْ بِآخِرِهِ شَيْءٌ.
وَأَمَّا الْأَلِفُ فَتَكُونُ عَلَامَةً لِلنَّصْبِ فِي الْأَسْمَاءِ الْخَمْسَةِ⁽⁵⁾، نَحْوُ⁽⁶⁾: رَأَيْتُ أَبَاكَ وَأَخَاكَ⁽⁷⁾، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ⁽⁸⁾.

وقامت المرأتان كلتاها "اه، ثم قال شارحا: "هكذا أثبت النص في بعض النسخ، وفي بعضها: وأما الألف فتكون علامة للرفع في تثنية الأسماء خاصة".

1- في (ك): "ضمير التثنية، أو ضمير الجمع".

2- عن السهري: "وفي جمع التكسير"، بزيادة كلمة "في".

3- في (ز) و(س) و(ل) و(م) و(ن) وعند السهري والونائي: "وفي الفعل المضارع"، بزيادة كلمة "في".

4- "إذا دخل عليه ناصب" لا توجد عند المكودي.

5- قال الرملي: "وفي بعض النسخ: الستة".

6- يصح رفع كلمة "نحو" على كونه خبرا لمبتدأ محذوف، تقديره: وذلك نحو؛ ويصح نصبه على كونه مفعولا لفعل محذوف، تقديره: أعني نحو. ويجري هذان الوجهان في كل لفظة "نحو" فلا نعيده.

7- في (ك) و(خ) وعند ابن يعلى والمكودي والأزهري في إعرابه والنجم والكفيري: "أخاك وأباك". قال المكودي: "فأخاك مفعول برأيت، وأباك معطوف عليه" اه. وجاء النص عند الونائي: "ورأيت أباك وأخاك وحماك وفاك وذا مال".

8- قوله: "وما أشبه ذلك" لا يوجد عند السهري ولا المكودي ولا الكفيري ولا الونائي.

وَأَمَّا الْكَسْرَةُ فَتَكُونُ عَلَامَةً لِلنَّصَبِ فِي جَمْعِ الْمُؤَنَّثِ السَّالِمِ.
وَأَمَّا الْيَاءُ فَتَكُونُ عَلَامَةً لِلنَّصَبِ فِي التَّثْنِيَةِ، وَالْجَمْعِ.
وَأَمَّا حَذْفُ النُّونِ فَيَكُونُ عَلَامَةً لِلنَّصَبِ فِي الْأَفْعَالِ (1) الَّتِي رَفَعَهَا بِثَبَاتِ (2) النُّونِ.

وَلِلْخَفْضِ ثَلَاثُ عَلَامَاتٍ: الْكَسْرَةُ، وَالْيَاءُ، وَالْفَتْحَةُ.
فَأَمَّا (3) الْكَسْرَةُ فَتَكُونُ عَلَامَةً لِلْخَفْضِ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ: فِي الْإِسْمِ الْمُفْرَدِ الْمُنْصَرَفِ،
وَجَمْعِ التَّكْسِيرِ الْمُنْصَرَفِ (4)، وَفِي جَمْعِ الْمُؤَنَّثِ السَّالِمِ (5).

وَأَمَّا الْيَاءُ فَتَكُونُ عَلَامَةً لِلْخَفْضِ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ: فِي الْأَسْمَاءِ الْخَمْسَةِ، وَفِي (6)
التَّثْنِيَةِ، وَالْجَمْعِ (7).

وَأَمَّا الْفَتْحَةُ فَتَكُونُ عَلَامَةً لِلْخَفْضِ فِي الْإِسْمِ الَّذِي لَا يَنْصَرِفُ.

- 1- في (ز) و(س) وطبعة السعادة والحلي، وعند الأزهري في شرحه والخطيب الشريفي والإبياري: "في الأفعال الخمسة"، بزيادة لفظ الخمسة. وهذه الزيادة ليست في النسخ الخطية الثمان الأخرى، وليست عند ابن يعلى ولا المكودي ولا السنهوري ولا الأزهري في إعرابه ولا النجم ولا الكفيري ولا الكفراوي ولا الونائي، وتوجد خارج أقواس المتن عند الرملي.
- 2- في (ك) وعند السنهوري والنجم: "بثبوت".
- 3- في (أ) وعند المكودي: "وأما" بدلا من "فأما".
- 4- في (خ): "وفي جمع التكسير"، بزيادة كلمة "في".
- 5- في (خ) و(ل) و(ن): "وفي جمع المؤنث السالم"، بزيادة كلمة "في".
- 6- كلمة "في" لا توجد في (أ) و(ز) و(س)، وليست عند الكفراوي.
- 7- في (ع) و(ن) وعند الإبياري: "وفي الجمع"، بزيادة كلمة "في".

وَلِلْجُزْمِ عَلامَتَانِ: السُّكُونُ، وَالْحَذْفُ.

فَأَمَّا السُّكُونُ فَيَكُونُ عَلامَةً لِلْجُزْمِ فِي الْفِعْلِ الْمَضَارِعِ الصَّحِيحِ الْآخِرِ.

وَأَمَّا الْحَذْفُ فَيَكُونُ عَلامَةً لِلْجُزْمِ فِي⁽¹⁾ الْفِعْلِ الْمَضَارِعِ الْمُعْتَلِّ الْآخِرِ، وَفِي الْأَفْعَالِ⁽²⁾ الَّتِي رَفَعُهَا بِثَبَاتِ⁽³⁾ النَّونِ.

فَصْلٌ⁽⁴⁾

المَعْرَبَاتِ قِسْمَانِ: قِسْمٌ يُعْرَبُ بِالْحَرَكَاتِ، وَقِسْمٌ يُعْرَبُ بِالْحُرُوفِ.
فَالَّذِي يُعْرَبُ بِالْحَرَكَاتِ أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ: الْإِسْمُ الْمُفْرَدُ، وَجَمْعُ التَّكْسِيرِ، وَجَمْعُ الْمُؤَنَّثِ
السَّالِمِ⁽⁵⁾، وَالْفِعْلُ الْمَضَارِعُ الَّذِي لَمْ يَتَّصِلْ بِآخِرِهِ شَيْءٌ.

1- في (ع) والونائي: "وأما الحذف فيكون علامة للجزم في موضعين: في الفعل ..."، بزيادة عبارة "في موضعين".

2- في (ن) وطبعة السعادة والحلبي، وعند الأزهري في شرحه (خارج أقواس المتن) وعند الخطيب الشربيني: "وفي الأفعال الخمسة"، بزيادة كلمة الخمسة. وليست هذه الزيادة في النسخ الخطية التسعة الأخرى، ولا عند ابن يعلى ولا المكودي ولا السهوي ولا الأزهري في إعرابه ولا الرملي ولا النجم ولا الإبياري ولا الكفيري ولا الكفراوي ولا الونائي.

3- في (أ) و(ك) و(ل): "بثبوت".

4- في (ع): "فصل في المعربات"، وفي (ك): "المعربات" فقط دون ذكر كلمة فصل.

5- قال الرملي: "السالم بالرفع صفة لجمع، لا بالجر صفة للمؤنث" اهـ. وقال الأزهري: "السالم نعت لجمع" اهـ. وقال الكفراوي: "السالم نعت لجمع، ونعت المرفوع مرفوع". ينظر: قول الصبان الآتي، وفي الحاشية على جمع المذكر السالم؛ فإنه يؤخذ منه جواز أن يكون السالم نعتا لكلمة جمع فيرفع، أو نعتا لكلمة المؤنث فيجر، مع أرجحية الثاني عنده.

وَكُلُّهَا: تُرْفَعُ بِالضَّمَّةِ، وَتُنْصَبُ بِالْفَتْحَةِ، وَتُخَفَّضُ بِالْكَسْرِ، وَتُجْزَمُ بِالسَّكُونِ.
وخرج عن ذلك ثلاثة أشياء: جمع المؤنث السالم يُنصب بالكسرة، والاسم الذي لا ينصرف يُخفف بالفتحة، والفعل المضارع المعتل الآخر يُجزم بحذف آخره⁽¹⁾.

وَالَّذِي يُعْرَبُ بِالْحُرُوفِ أَرْبَعَةٌ أَنْوَاعٌ: التَّثْنِيَّةُ، وَجَمْعُ الْمَذْكَرِ السَّالِمِ⁽²⁾، وَالْأَسْمَاءُ الْخَمْسَةُ⁽³⁾، وَالْأَفْعَالُ الْخَمْسَةُ، وَهِيَ: يَفْعَلَانِ، وَتَفْعَلَانِ، وَيَفْعَلُونَ، وَتَفْعَلُونَ، وَتَفْعَلِينَ. فَأَمَّا⁽⁴⁾ التَّثْنِيَّةُ: فَتُرْفَعُ بِالْأَلْفِ، وَتُنْصَبُ وَتُخَفَّضُ بِالْيَاءِ.

وَأما جمعُ المذكرِ السالمِ: فيُرفعُ بالواو، ويُنصب ويُخفف بالياء.
وَأما الأسماءُ الخمسة⁽⁵⁾: فَتُرْفَعُ بالواو، وَتُنْصَبُ بِالْأَلْفِ، وَتُخَفَّضُ بِالْيَاءِ.
وَأما الأفعالُ الخمسة: فَتُرْفَعُ بالنون⁽⁶⁾، وَتُنْصَبُ وَتُجْزَمُ بِحذفها⁽⁷⁾.

1- عند ابن يعلى والمكودي والسنهوري: "نُصِبَ" و"خُفِضَ" و"جُزِمَ" بدلا من: "يُنْصَبُ" و"يُخَفَّضُ" و"يُجْزَمُ".

2- قال الرملي: "السالم بالرفع نعت لجمع لا بالجر صفة لمذكر" اهـ. وقال الأزهري: "السالم نعت لجمع" اهـ. وقال الكفراوي: "السالم نعت لجمع، ونعت المرفوع مرفوع" اهـ. وجوز الصبان في حاشيته على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك أن يكون السالم نعتا لجمع فيرفع؛ أو للمذكر فيجر، ثم قال: "والأرجح الثاني؛ لأن السلامة في الحقيقة للمذكر عند جمعه" اهـ، ومثل هذا يقال في جمع المؤنث السالم.

3- قال الرملي: "وفي نسخة: الستة؛ بزيادة هـ" اهـ. وقال البيجوري في شرح نظم العمريطي: ووقع في بعض نسخه (يعني الآجرومية) الأسماء الستة بزيادة الهـ.

4- عند الونائي: "أما"، دون فاء.

5- قال الرملي: "وفي نسخة: الستة".

6- في (س) وعند النجم: "بثبوت النون".

7- في (ك) و(ل) و(م) و(ن) وعند ابن يعلى والسنهوري: "بحذف النون".

بَابُ الْأَفْعَالِ

الْأَفْعَالُ ثَلَاثَةٌ: ماضٍ، وَمُضَارِعٌ، وَأَمْرٌ.

نحو⁽¹⁾: ضَرَبَ، وَيَضْرِبُ، وَاضْرِبْ⁽²⁾.

فَالْمَاضِي مَفْتُوحُ الْآخِرِ⁽³⁾ أَبَدًا.

وَالْأَمْرُ مَجْزُومٌ أَبَدًا⁽⁴⁾.

وَالْمُضَارِعُ مَا كَانَ فِي أَوَّلِهِ إِحْدَى الزَّوَائِدِ الْأَرْبَعِ، يَجْمَعُهَا قَوْلُكَ: "أَنْيْتُ"، وَهُوَ مَرْفُوعٌ أَبَدًا⁽⁵⁾؛ حَتَّى يَدْخُلَ عَلَيْهِ نَاصِبٌ أَوْ جَازِمٌ.

فالنواصب⁽⁶⁾ عَشْرَةٌ، وَهِيَ⁽⁷⁾: أَنْ، وَلَنْ، وَإِذَنْ، وَكَيْ⁽⁸⁾، وَلَا مُ كَي، وَلَا مُ الْجُحُودِ، وَحَتَّى، وَالْجَوَابُ بِالْفَاءِ وَالْوَاوِ، وَأَوْ.

1- في (م) وعند السنهوري: "نحو قولك".

2- في (ك) و(ل) و(ن) وعند ابن يعلى والمكودي والسنهوري والكفيري: "نحو: ضرب يضرب اضرب"، بدون واو العطف، والعبارة بكاملها ليست عند الخطيب الشربيني.

3- في (ز): "فالماضي مفتوح أبدا"، دون ذكر كلمة الآخر.

4- في (خ) و(ن): "والأمر مجزوم الآخر أبدا"، بزيادة كلمة الآخر. وقال الرملي: "وفي بعض النسخ: والأمر ساكن أبدا".

5- في (خ) و(ك): "وهو مرفوع الآخر أبدا"، بزيادة كلمة الآخر.

6- في (ن) وعند السنهوري والبجائي: "النواصب" بالواو لا بالفاء. قال الكفراوي: "الفاء فاء الفصيحة" اه، وقال الأزهري: "وقرن بالفاء لما في الكلام من معنى الشرط، والتقدير: إن أردت تعدادها".

7- "وهي" ليست عند الخطيب الشربيني.

8- عند السنهوري: "وكي وإذن"، بتقديم كي على إذن.

وَالْجَوَازِمْ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ، وَهِيَ: لَمْ، وَلَمَّا، وَأَلَمْ، وَأَلَمَّا، وَلَامُ الْأَمْرِ وَالْدُّعَاءِ⁽¹⁾، وَ"لَا" فِي
الْنَّهْيِ وَالْدُّعَاءِ⁽²⁾، وَإِنْ، وَمَا، وَمَنْ، وَمَهُمَا، وَإِذْمَا، وَأَيُّ، وَمَتَى، وَأَيَّانَ⁽³⁾، وَأَيْنَ⁽⁴⁾،
وَأَنْتَى، وَحَيْثُمَا، وَكَيْفَمَا، وَإِذَا فِي الشَّعْرِ خَاصَّةً⁽⁵⁾.

1- في (ن): "ولام الأمر، ولام الدعاء".

2- في (ك): "ولا في النهي، ولا في الدعاء".

3- في (ع): "وأين وأيان"، بتقديم أين.

4- عند الخطيب الشربيني: "وأينما"، بتركيب "ما" مع "أين".

5- "خاصة" ساقطة من (خ) و(ز) و(ك) وليست عند ابن يعلى ولا السنهوري ولا الخطيب الشربيني.

وعبارة "إذا في الشعر خاصة" لا توجد في (ل) وليست عند الأزهري في إعرابه، وقد أشار الكفراوي إلى عدم وجود العبارة في بعض النسخ بقوله: "ويوجد في بعض نسخ المتن زيادة: وإذا في الشعر خاصة"، وكذا نص على هذه الزيادة في بعض النسخ الرملي والإبياري والونائي، لكن دون ذكر كلمة "خاصة".

بَابُ مَرْفُوعَاتِ الْأَسْمَاءِ

المَرْفُوعَاتُ سَبْعَةٌ، وَهِيَ: الْفَاعِلُ، وَالْمَفْعُولُ الَّذِي لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ، وَالْمُبْتَدَأُ، وَخَبَرُهُ،
وَاسْمُ "كَانَ" وَأَخَوَاتِهَا، وَخَبَرُ "إِنَّ" وَأَخَوَاتِهَا، وَالتَّابِعُ لِلْمَرْفُوعِ، وَهُوَ ⁽¹⁾ أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ:
الْنَّعْتُ، وَالْعَطْفُ، وَالتَّوَكُّيدُ، وَالْبَدَلُ.

1- في (ع) و(ك) و(ل) وعند ابن يعلى: "وهي". قال الرملي: "وفي بعض النسخ: وهي".

بَابُ الْفَاعِلِ

الْفَاعِلُ: هُوَ الْاسْمُ الْمَرْفُوعُ الْمَذْكُورُ قَبْلَهُ فِعْلُهُ.
وَهُوَ عَلَى قِسْمَيْنِ: ظَاهِرٍ، وَمُضْمَرٍ⁽¹⁾.
فَالظَّاهِرُ⁽²⁾ نَحْوُ قَوْلِكَ: قَامَ زَيْدٌ، وَيَقُومُ زَيْدٌ، وَقَامَ الزَّيْدَانِ، وَيَقُومُ الزَّيْدَانِ، وَقَامَ الزَّيْدُونَ،
وَيَقُومُ الزَّيْدُونَ، وَقَامَ أَخُوكَ، وَيَقُومُ أَخُوكَ⁽³⁾.

1- قال العشماوي: "يصح في ظاهر ومضمر: الرفع، والنصب، والجر" اهـ. وقال الونائي: "بجرهما على البدل من قسمين بدل تفصيل، وبرفعهما خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ خبر محذوف، وبنصبهما بتقدير أعني، وتجري هذه الأوجه فيما يشبه هذا المحل".

2- "فالظاهر" ليس عند الخطيب الشربيني.

3- هكذا ورد نص المتن في تسع نسخ خطية، وكذلك عند ابن يعلى والمكودي والسنهوري والأزهري في إعراب الآجرومية والرملي والخطيب الشربيني والإبياري والنجم والكفيري والونائي، وزاد الخطيب والنجم في آخره: "وما أشبه ذلك". وورد النص في (ن) وحاشية (م) وطبعة السعادة والحلبي والأزهري في شرحه والكفراوي؛ على النحو الآتي: "فالظاهر نحو قولك: قام زيد، ويقوم زيد، وقام الزيدان، ويقوم الزيدان، وقام الزيدون، ويقوم الزيدون، وقام الرجال، ويقوم الرجال، وقامت هندٌ، وتقوم هندٌ، وقامت الهندان، وتقوم الهندان، وقامت الهندات، وتقوم الهندات، وقامت الهنود، وتقوم الهنود، وقام أخوك، ويقوم أخوك، وقام غلامي، ويقوم غلامي، وما أشبه ذلك". قال المكودي: "ثم مثل للظاهر بأربعة مثل ... ونوع الفعل إلى قسمين: ماضٍ وهو قام، ومضارع وهو يقوم" اهـ. وقال الخطيب الشربيني: "ثم الظاهر أقسام، ذكر المصنف منها أربعة أمثلة".

وَالْمُضْمَرُ اثْنَا عَشَرَ⁽¹⁾، نَحْوُ قَوْلِكَ⁽²⁾: ضَرَبْتُ، وَضَرَبْنَا، وَضَرَبْتَ، وَضَرَبْتُمْ، وَضَرَبْتُمَا، وَضَرَبْتُمْ، وَضَرَبْتُنَّ، وَضَرَبَ، وَضَرَبْتَ، وَضَرَبَا، وَضَرَبُوا، وَضَرَبْنَ.

بَابُ الْمَفْعُولِ الَّذِي لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ

وَهُوَ: الْإِسْمُ الْمَرْفُوعُ الَّذِي لَمْ يُذَكَّرْ مَعَهُ فَاعِلُهُ.
فَإِنْ كَانَ الْفِعْلُ مَاضِيًّا: ضَمَّ أَوَّلُهُ وَكُسِرَ مَا قَبْلَ آخِرِهِ.
وَإِنْ كَانَ مُضَارِعًا: ضَمَّ أَوَّلُهُ وَفُتِحَ مَا قَبْلَ آخِرِهِ.

وَهُوَ عَلَى قِسْمَيْنِ: ظَاهِرٍ، وَمُضْمَرٍ.
فَالظَّاهِرُ نَحْوُ قَوْلِكَ: ضَرَبَ زَيْدٌ، وَيُضْرَبُ زَيْدٌ، وَأُكْرِمَ عَمْرُو، وَيُكْرَمُ عَمْرُو.

1- "اثنا عشر" لا توجد في (خ) وليست عند المكودي ولا السنهوري ولا الأزهرى في إعرابه ولا الرملي ولا الإبياري ولا النجم ولا الكفراوي ولا الونائي.
2- في (ي): "وهي"، بدلا من "نحو قولك".

وَالْمُضْمَرُ⁽¹⁾ اثْنَا عَشَرَ⁽²⁾، نَحْوُ قَوْلِكَ⁽³⁾: ضُرِبْتُ، وَضُرِبْنَا، وَضُرِبْتَ، وَضُرِبْتِ، وَضُرِبْتُمْ، وَضُرِبْتُنَّ، وَضُرِبَ، وَضُرِبَتْ، وَضُرِبَا، وَضُرِبْنَ⁽⁴⁾.

1- في (خ) و(ل) وعند ابن يعلى والمكودي والسنهوري جاء النص على النحو الآتي: "والمضمر نحو قولك: ضُرِبْتُ، وَضُرِبْنَا، وَضُرِبْتَ، وما أشبه ذلك". قال المكودي: "وإنما اقتصر على المثل الثلاثة دون ما بقي؛ لتقدمها في باب الفاعل".

وورد النص عند الرملي والونائي: "والمضمر نحو قولك: والمضمر نحو قولك: ضُرِبْتُ، وَضُرِبْنَا، وَضُرِبْتَ، وما أشبه ذلك"، بزيادة: "ضُرِبْتَ" بكسر التاء، وقال الرملي والونائي مع اتحاد عبارتيهما: "وفي بعض النسخ ذكر بقية الضمائر المتصلة".

2- "اثنا عشر" توجد في (س) و(ن) وعند الخطيب الشربيني والعشماوي وطبعة السعادة والحلبي. ولا توجد في النسخ الخطية الثمان الأخرى، وليست عند الأزهري في إعرابه ولا في شرحه ولا الإبياري ولا النجم ولا الكفيري ولا الكفراوي، ولا في نسخ من ذكرنا آنفا ممن اقتصر على ذكر ثلاثة أو أربعة أمثلة.

3- في (ي): "وهي"، بدلا من "نحو قولك".

4- في (م) و(ن) وعند الأزهري في إعرابه والكفيري زيادة: "وما أشبه ذلك".

بَابُ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ

الْمُبْتَدَأُ: هُوَ الْإِسْمُ الْمَرْفُوعُ الْعَارِي عَنِ الْعَوَامِلِ اللَّفْظِيَّةِ⁽¹⁾.

وَالْخَبَرُ: هُوَ الْإِسْمُ الْمَرْفُوعُ الْمُسْنَدُ إِلَيْهِ.

نَحْنُ قَوْلُكَ: زَيْدٌ قَائِمٌ، وَالزَّيْدَانِ قَائِمَانِ، وَالزَّيْدُونَ قَائِمُونَ⁽²⁾.

وَالْمُبْتَدَأُ قِسْمَانِ: ظَاهِرٌ، وَمُضْمَرٌ.

فَالظَّاهِرُ: مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ⁽³⁾.

وَالْمُضْمَرُ اثْنَا عَشَرَ، وَهِيَ⁽⁴⁾: أَنَا، وَنَحْنُ، وَأَنْتَ، وَأَنْتِ، وَأَنْتُمَا، وَأَنْتُمْ، وَأَنْتَنَّ، وَهُوَ،

وَهِيَ، وَهَمَا، وَهَم، وَهِنَّ.

نَحْنُ قَوْلُكَ: أَنَا قَائِمٌ، وَنَحْنُ قَائِمُونَ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

وَالْخَبَرُ قِسْمَانِ: مُفْرَدٌ، وَغَيْرُ مُفْرَدٍ.

1- "اللفظية" لا توجد عند المكودي.

2- في (أ) و(س) و(ل) و(م) و(ي) زيادة: "وما أشبه ذلك".

3- "ذكره" لا توجد في (ن) ولا عند الإبياري.

4- في (س): "وهو".

فَالْمُفْرَدُ⁽¹⁾ نَحْوُ قَوْلِكَ⁽²⁾: زَيْدٌ قَائِمٌ⁽³⁾.
وَعَبَّرَ الْمُفْرَدُ: أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ: الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ⁽⁴⁾، وَالظَّرْفُ، وَالْفِعْلُ مَعَ فَاعِلِهِ، وَالْمُبْتَدَأُ
مَعَ خَبَرِهِ.
نَحْوُ قَوْلِكَ⁽⁵⁾: زَيْدٌ فِي الدَّارِ، وَزَيْدٌ عِنْدَكَ، وَزَيْدٌ قَامَ أَبُوهُ، وَزَيْدٌ جَارِيَتُهُ ذَاهِبَةٌ⁽⁶⁾.

-
- 1- في (س): "فالمفرد ما تقدم ذكره".
 - 2- "قولك" ثابتة في (أ) و(خ) و(ك) و(م) و(ن) و(ي) وعند السنهري والأزهري في إعرابه وشرحه والرملي والإبياري والكفيري والونائي.
 - 3- في (م) وعند الخطيب الشربيني والكفراوي زيادة: "والزيدان قائمان، والزيدون قائمون"؛ وهي عند الأزهري والرملي في شرحيهما خارج الأقواس، وبالسواد عند الإبياري دلالة على أنها من الشرح لا المتن.
 - ولا توجد هذه الزيادة في النسخ الخطية التسعة الأخرى، ولا في المطبوعتين، ولا عند ابن يعلى ولا المكودي ولا السنهري ولا الأزهري في إعرابه ولا النجم ولا الكفيري ولا الونائي.
 - 4- في (ع) و(ل) و(ن) وعند ابن يعلى والسنهري والرملي: "المجرور" دون ذكر: الجار وحرف الواو.
 - 5- "قولك" ساقطة من (خ) وليست عند المكودي ولا الرملي ولا الونائي.
 - 6- في (م) زيادة: "وما أشبه ذلك".

بَابُ الْمَوْلِ الدَّخِلَةِ عَلَى الْمُبْتَدِ وَالْخَبَرِ

وَهِيَ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ⁽¹⁾: كَانَ وَأَخَوَاتُهَا، وَإِنَّ وَأَخَوَاتُهَا، وَظَنَنْتُ⁽²⁾ وَأَخَوَاتُهَا.

فَأَمَّا كَانَ وَأَخَوَاتُهَا، فَأَنهَا تَرْفَعُ الْإِسْمَ، وَتَنْصِبُ الْخَبَرَ.
وَهِيَ: كَانَ، وَأَمْسَى، وَأَصْبَحَ، وَأَضْحَى، وَظَلَّ، وَبَاتَ، وَصَارَ، وَلَيْسَ، وَمَا زَالَ، وَمَا نَفَكَ،
وَمَا فَتَى، وَمَا بَرَحَ، وَمَا دَامَ.

وَمَا تَصَرَّفَ مِنْهَا، نَحْوُ: كَانَ وَيَكُونُ وَكُنْ، وَأَصْبَحَ وَيُصْبِحُ وَأُصْبِحُ.
تَقُولُ: كَانَ زَيْدًا قَائِمًا⁽³⁾، وَلَيْسَ عَمْرُو شَاخِصًا، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

وَأَمَّا "إِنَّ" وَأَخَوَاتُهَا، فَأَنهَا: تَنْصِبُ الْإِسْمَ، وَتَرْفَعُ الْخَبَرَ.
وَهِيَ: إِنَّ، وَأَنَّ، وَلَكِنَّ، وَكَأَنَّ⁽⁴⁾، وَلَيْتَ، وَلَعَلَّ.
تَقُولُ: إِنَّ زَيْدًا قَائِمًا، وَلَيْتَ عَمْرًا شَاخِصًا، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ⁽⁵⁾.

1- في (ن): "أقسام" بدلا من "أشياء"، ولا يوجد قوله "ثلاثة أشياء" في (ز) ولا عند الكفراوي،

ولا توجد "أشياء" وحدها في (ك) ولا عند الأزهرى في شرحه ولا الإيبارى ولا النجم.

2- عند الخطيب والكفراوي: "وظنَّ وأخواتها".

3- قال الرملي: "وفي بعض النسخ بعد ما تقدم: ويكون زيد قائما"، وكذا أشار الونائي إلى تلك الزيادة، وجاء في (أ) وعند النجم زيادة بعد المثال الأول: "ويكون زيد قائما، وكن قائما".

4- في (خ) و(س) و(ع) و(ن) وعند ابن يعلى والمكودي والأزهري في شرحه والإيبارى: "وكأنَّ ولكنَّ" بتقديم كأنَّ على لكنَّ.

5- "وما أشبه ذلك" ثابتة في (س) و(م) و(ن) وعند المكودي وفي طبعة السعادة والحلبي وعند الخطيب الشربيني. وهي ليست موجودة في النسخ الخطية الأخرى، ولا عند ابن يعلى

وَمَعْنَى "إِنَّ" وَ"أَنَّ" لِلتَّوَكُّيدِ⁽¹⁾، وَ"لَكِنَّ" لِلإِسْتِدْرَاكِ، وَ"كَأَنَّ" لِلتَّشْبِيهِ⁽²⁾، وَ"لَيْتَ" لِلتَّمَنِّي، وَ"لَعَلَّ" لِلتَّرَجِّي وَالتَّوَقُّعِ.

وَأَمَّا ظَنَنْتُ⁽³⁾ وَأَخَوَاتُهَا، فَإِنَّهَا: تَنْصِبُ الْمُبْتَدَأَ⁽⁴⁾ وَالْخَبَرَ عَلَى أَنَّهُمَا مَفْعُولَانِ لَهَا⁽⁵⁾. وَهِيَ: ظَنَنْتُ، وَحَسِبْتُ، وَخَلْتُ، وَزَعَمْتُ، وَرَأَيْتُ، وَعَلِمْتُ، وَوَجَدْتُ، وَاتَّخَذْتُ، وَجَعَلْتُ، وَسَمِعْتُ⁽⁶⁾.

تَقُولُ⁽⁷⁾: ظَنَنْتُ زَيْدًا قَائِمًا⁽⁸⁾، وَرَأَيْتُ عَمْرًا شَاخِصًا⁽⁹⁾، وَمَا أَشَبَهُ ذَلِكَ.

ولا السنهوري ولا الأزهري في إعرابه ولا في شرحه ولا الرملي ولا الإبياري ولا النجم ولا الكفراوي ولا الونائي.

1- عند الخطيب الشربيني: "للتأكيد". فائدة: قال السنهوري: "كان الصواب أن يسقط اللام أو المعنى" اهـ، يعني أن تكون العبارة: "ومعنى إِنَّ وَأَنَّ التوكيد" أو: "إِنَّ وَأَنَّ للتوكيد".

2- في (س) و(م) و(ن) وعند ابن يعلى والأزهري في إعرابه وشرحه والإبياري والعشماوي: "وَكأن للتشبيه، وَلَكِنَّ للإستدراك" بتقديم كأن على لكن.

3- عند الخطيب الشربيني: "وظنَّ".

4- في (س) و(ك) و(ل)، وعند ابن يعلى والونائي: "تنصب الاسم".

5- "على أنهما مفعولان لها" ليست في نسخة الخطيب الشربيني، وقوله "لها" فقط ساقطة من (خ) و(ز) و(ل) و(ن).

6- قال السنهوري: "وقع في بعض النسخ زيادة لفظ: سمع".

7- من قوله: تقول إلى آخر العبارة ليس عند السنهوري.

8- في (ن): "قائما" بدلا من "منطلقا".

9- عند الكفراوي بدل هذا المثال: "وخلت الهلال لائحا".

بَابُ النَّعْتِ

النَّعْتُ تَابِعٌ لِلْمَنْعُوتِ (1) فِي: رَفْعِهِ وَنَصْبِهِ وَخَفْضِهِ (2)، وَتَعْرِيفِهِ وَتَنْكِيرِهِ.
تَقُولُ: قَامَ (3) زَيْدٌ الْعَاقِلُ، وَرَأَيْتُ زَيْدًا الْعَاقِلَ، وَمَرَرْتُ بِزَيْدٍ الْعَاقِلِ.

وَالْمَعْرِفَةُ خَمْسَةُ أَشْيَاءَ (4): الْإِسْمُ (5) الْمُضْمَرُ نَحْوُ: أَنَا، وَأَنْتَ؛ وَالْإِسْمُ (6) الْعَلَمُ نَحْوُ:
زَيْدٍ (7) وَمَكَّةَ؛ وَالْإِسْمُ الْمُبْهَمُ نَحْوُ: هَذَا، وَهَذِهِ، وَهَؤُلَاءِ؛ وَالْإِسْمُ الَّذِي فِيهِ الْأَلِفُ
وَاللَّامُ نَحْوُ: الرَّجُلِ وَالْغُلَامِ (8)؛ وَمَا أُضِيفَ إِلَى وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ.
وَالنَّكْرَةُ: كُلُّ اسْمٍ شَائِعٍ فِي جِنْسِهِ لَا يَخْتَصُّ (9) بِهِ وَاحِدٌ دُونَ آخَرَ؛ وَتَقْرِيئُهُ (10): كُلُّ
مَا صَلَحَ (11) دُخُولُ الْأَلِفِ وَاللَّامِ عَلَيْهِ، نَحْوُ: الرَّجُلِ وَالْفَرَسِ (12).

1- في (ن) وعند ابن يعلى والمكودي: "المنعوتة".

2- عند السهوري: "وجره".

3- في (ل) و(م) و(ن) وعند الخطيب الشربيني: "جاء".

4- "أشياء" ليست عند السهوري.

5- "الاسم" لا توجد في (أ) و(ع) وليست عند النجم.

6- في (أ) و(ع) وعند الأزهري في شرحه والنجم: "والعلم"، فليس فيها كلمة: الاسم.

7- عند الإبياري: "كزيد"، بوجود الكاف بدلا من نحو.

8- "والغلام" ليس في نسخة النجم.

9- عند النجم: "لم يختص".

10- في (أ) و(م): وتعريفه، بدلا من: وتقريبه.

11- عند الرملي والكفيري: "كل اسم صلح ..."، وجاء في (أ) وعند ابن يعلى والمكودي:

"كل ما صلح معه دخول ..."، بزيادة "معه". قال الكفيري: "صلح: بفتح اللام، وضمها".

12- في (ل) وعند الأزهري في إعرابه والكفراوي والونائي: "الرجل والغلام، وجاء في (ن):

"الرجل والغلام والفرس وما أشبه ذلك".

بَابُ الْمَصْفِ

وَحُرُوفُ الْعَطْفِ عَشْرَةٌ، وَهِيَ: الْوَاوُ، وَالْفَاءُ، وَثَمَّ، وَأَوُّ، وَأَمْ، وَإِمَّا⁽¹⁾، وَبَلْ، وَلَا، وَلَكِنْ، وَحَتَّى فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ.
فَإِنْ عَطَفْتَ بِهَا عَلَى مَرْفُوعٍ رَفَعْتَ، أَوْ عَلَى مَنْصُوبٍ نَصَبْتَ، أَوْ عَلَى مَخْفُوضٍ خَفَضْتَ، أَوْ عَلَى مَجْزُومٍ جَزَمْتَ.
تَقُولُ: قَامَ⁽²⁾ زَيْدٌ وَعَمَرُو، وَرَأَيْتُ زَيْدًا وَعَمَرًا، وَمَرَرْتُ بِزَيْدٍ وَعَمَرٍ⁽³⁾.

1- "وإما" لا توجد في نسخة ابن يعلى المعتمدة في التحقيق وكذلك حرف العطف "لا"، وهذا مشكل من جهة ثبوت كلمة عشرة في تلك النسخة. وهما ثابتتان في بعض نسخ شرح ابن يعلى الأخرى، لكن هذا مشكل أيضا؛ لأن ابن يعلى نص على أن ابن آجروم لم يذكر حرف العطف "إما"، فقال عند حديثه على "أو": "ونظيرتها "إما" ولم يذكرها المؤلف؛ لأنها ليست بحرف عطف عنده؛ لمصاحبتها الواو" اهـ، وقال أيضا في آخر الباب: وبقي من حروف العطف ما لم يذكره المؤلف ولكن هذا غاية ما يسعه هذا المختصر.

2- في (أ) و(ز) و(ي): "جاء بدلا من قام."

3- في (ع) و(ي) زيادة: "وَلَمْ يَقُمْ وَيَقْعُدْ زَيْدٌ"، وجاء المثال الزائد في (س) وطبعة السعادة والحلبي والإبياري: "وَزَيْدٌ لَمْ يَقُمْ وَلَمْ يَقْعُدْ". وهذه الزيادة لا توجد في النسخ الخطية السبعة الباقية، ولا في أي من الشروح المعتمدة في التحقيق، قال ابن يعلى: "وقد أتى بمثال ذلك كله إلا مثال المجزوم، وكان حقه أن يأتي به، لكن مراده الاختصار؛ ولذا لم يأت به" اهـ، وقال الكفراوي: وكان عليه أن يمثل للمرفوع والمنصوب والمجزوم من الأفعال ... ومثال الثالث: لم يقم ويقعد زيد.

بَابُ التَّوَكُّيدِ

التَّوَكُّيدُ⁽¹⁾ تَابِعٌ لِلْمُؤَكَّدِ فِي: رَفْعِهِ وَنَصْبِهِ وَخَفْضِهِ، وَتَعْرِيفِهِ⁽²⁾.
وَيَكُونُ بِالْأَفَاطِ مَعْلُومَةً، وَهِيَ النَّفْسُ، وَالْعَيْنُ، وَكُلُّ، وَأَجْمَعُ، وَتَوَابِعُ أَجْمَعُ؛ وَهِيَ⁽³⁾:
أَكْتَعُ، وَأَبْتَعُ، وَأَبْصَعُ⁽⁴⁾.
تَقُولُ: قَامَ⁽⁵⁾ زَيْدٌ نَفْسُهُ، وَرَأَيْتُ الْقَوْمَ كُلَّهُمْ، وَمَرَرْتُ بِالْقَوْمِ أَجْمَعِينَ.

1- عند السنهوري والرملي: "وهو تابع ...". قال الرملي: "وفي بعض النسخ: التوكيد تابع ..".
2- في (خ) و(س) وطبعة السعادة وعند الأزهري في إعرابه والكفيري: "وتعريفه وتنكيره"،
بزيادة تنكيره، قال الأزهري والكفيري مع اتحاد عبارتيهما: "ونصبه وخفضه وتعريفه وتنكيره،
هذه الألفاظ الأربعة معطوفة على رفعه". وهذه الزيادة لا توجد في النسخ الخطية الثمان
الأخرى، ولا طبعة الحلبي وليست عند ابن يعلى ولا المكودي ولا السنهوري ولا الأزهري في
شرحه ولا الرملي ولا الخطيب الشربيني ولا النجم ولا الكفراوي ولا الونائي ولا العشماوي،
وجاءت عند الأبياري بالسواد. قال المكودي: "فُهم من اقتصاره على التعريف أن التوكيد لا
يكون نكرة، بخلاف النعت" اهـ، وقال الأزهري في الشرح: "ولم يقل "وتنكيره" كما قاله في
النعت؛ لأن ألفاظ التوكيد كلها معارف، فلا تتبع النكرات عند البصريين" اهـ، وقال الونائي:
"ولم يذكر التنكير؛ لأنه لا يكون نكرة؛ لأنه لا بد أن يضاف لضمير المؤكد، والمضاف للضمير
معرفة" اهـ، وكذا نصَّ الرملي والخطيب الشربيني والكفراوي والعشماوي على أن المؤلف اقتصر
على ذكر التعريف ولم يذكر التنكير.

3- عند العشماوي: "وهو".

4- "وهي: أكتع وأبتع وأبصع" لا توجد في (خ) و(ل) وليست عند المكودي ولا السنهوري
ولا الأزهري في إعرابه، وقد ورد النص في (ن) وعند ابن يعلى والرملي: "وهي: أكتع وأبصع
وأبتع" بتقديم أبصع على أبتع.

5- في (ي): "وجاء"، بدلا من: قام.

بَابُ الْبَدَلِ

إِذَا أُبْدِلَ إِسْمٌ مِنْ إِسْمٍ، أَوْ فِعْلٌ مِنْ فِعْلٍ، تَبِعَهُ فِي جَمِيعِ إِعْرَابِهِ.

وَهُوَ عَلَى (1) أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ: بَدَلُ الشَّيْءِ مِنَ الشَّيْءِ، وَبَدَلُ الْبَعْضِ مِنَ الْكُلِّ، وَبَدَلُ
الِاشْتِمَالِ، وَبَدَلُ الْغَلَطِ.

نَحْوُ قَوْلِكَ (2): قَامَ (3) زَيْدٌ أَخُوكَ، وَأَكَلْتُ الرَّغِيفَ ثُلُثَهُ، وَنَفَعَنِي زَيْدٌ عِلْمُهُ، وَرَأَيْتُ زَيْدًا
الْفَرَسَ؛ أَرَدْتُ أَنْ تَقُولَ: الْفَرَسَ فَعَلِطْتُ فَأَبْدَلْتُ زَيْدًا مِنْهُ (4).

1- في (م) وعند الكفراوي: "وهو أربعة أقسام" دون ذكر حرف الجر "على"، وقال الإبياري:
"ولو أسقط "على" لكان أخصر وأظهر".

2- "قولك" لا توجد في (ز)، وليست عند الونائي. وجاء في (ي) وعند الأزهري في شرحه
والنجم والكفيري: "تقول" بدلا من: نحو قولك.

3- في (أ) و(ز) و(ع) و(م) و(ن) وعند المكودي والسنهوري والخطيب الشربيني والنجم
والكفيري: "جاء" بدلا من "قام".

4- في (ن): "منها" بدلا من "منه".

بَابُ مَنْصُوبَاتِ الْأَسْمَاءِ

الْمَنْصُوبَاتُ خَمْسَةٌ عَشَرَ⁽¹⁾، وَهِيَ: الْمَفْعُولُ بِهِ، وَالْمَصْدَرُ، وَظَرْفُ الزَّمَانِ، وَظَرْفُ الْمَكَانِ، وَالْحَالُ، وَالتَّمْيِيزُ، وَالْمُسْتَثْنَى، وَاسْمُ لَا⁽²⁾، وَالْمُنَادَى، وَالْمَفْعُولُ مِنْ أَجْلِهِ،

1- في (ك): "أربعة عشر" وهو تصرف من الناسخ؛ فقد نص غير واحد من العلماء على أن (خمسة عشر) مثبتة في أصل نسخة المؤلف، لكنهم اختلفوا في الخامس عشر. قال المكودي: "ذكر في الترجمة أن منصوبات الأسماء خمسة عشر، ثم لما ذكرها في الأبواب ذكرها أربعة عشر، وهو مثبت في أصل المؤلف، وأظنه غلطا، ويمكن أن يكون الخامس عشر الذي تركه (خبر "ما" الحجازية)". ووافقه الأزهرى فقال في إعرابه: "وسقط من الأصل واحد، وهو خبر "ما" الحجازية، وبه يكمل العدد خمسة عشر". وقال السنهوري: "قال بعض الشارحين وهو ساقط من أصل المؤلف، وإنما أسقطه سهوا، قال: وأظنه خبر "ما" الحجازية، وأقول: ثبت في بعض نسخ المتن أنه مفعول "ظننت" وأخواتها، وعلى هذا فيكون زاده بعد أن نسيه، وسارت النسخ على الوجه الأول". وقال الرملي بعد أن ذكر قول المكودي والسنهوري دون تسميتهما: "وبعضهم جعل ما ذكره في الأبواب خمسة عشر، فجعل ظرف الزمان وظرف المكان واحدا؛ فإنهما مسميان بالمفعول فيه، وجعل خبر كان وأخواتها واسم إن وأخواتها واحدا؛ فإنهما مسميان بالناسخ للابتداء، وجعل كلا من النعت والعطف والتوكيد والبدل واحدا، فلم يجعلها شيئا واحدا وهو التابع".

2- في (ز) والأزهري في شرحه والنجم: "واسم لا والمستثنى"، بتقديم اسم لا على المستثنى.

وَالْمَفْعُولُ مَعَهُ⁽¹⁾، وَخَبَرُ كَانَ وَأَخَوَاتِهَا، وَاسْمُ إِنَّ وَأَخَوَاتِهَا⁽²⁾، وَالتَّابِعُ لِلْمَنْصُوبِ، وَهُوَ⁽³⁾ أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ: النَّعْتُ، وَالْعَطْفُ، وَالتَّوَكُّيدُ، وَالْبَدَلُ⁽⁴⁾.

- 1- "والمفعول من أجله، والمفعول معه" وقعا بعد "خبر كان وأخواتها واسم إن وأخواتها" في (خ) و(ل) و(م) وابن يعلى والرملي والكفيري والكفراوي والونائي.
- 2- في (ك) وعند الخطيب الشربيني بعد قوله: "واسم إن وأخواتها" زيادة: "ومفعولاً ظننت وأخواتها"، قال الخطيب: "وهذا ساقط في غالب نسخ المتن وثابت في بعضها".
- 3- "وهو" ساقطة من (ك)، وجاء بدلا منها في (خ) و(ن) وعند ابن يعلى والأزهري في شرحه وفي إعرابه: "وهي"، وقال الرملي: "وفي بعض النسخ: وهي". قال الإبياري: "وهو بتذكير الضمير لرجوعه للتابع، وفي بعض النسخ: وهي بتأنيثه؛ ليطابق قوله: أربعة أشياء".
- 4- في (ن): "وهي أربعة أشياء تقدم ذكرها في المرفوعات بزيادة ما بعد أشياء، وفي (م): "وهو أربعة أشياء تقدم ذكرها ... بزيادة: تقدم ذكرها فقط، دون قوله في المرفوعات، وفي (خ) اقتصر على قوله: "وهي الأربعة المتقدم ذكرها" دون إكمال باقي العبارة، ومن قوله: "وهو ... إلى آخر العبارة ليس عند السنهوري، ومن قوله: "النعته ... إلى آخر العبارة ليس عند الأزهري في إعرابه ولا الكفيري.

بَابُ الْمَفْعُولِ بِهِ

وَهُوَ⁽¹⁾ الْإِسْمُ الْمَنْصُوبُ⁽²⁾ الَّذِي يَقَعُ بِهِ⁽³⁾ الْفِعْلُ، نَحْوُ⁽⁴⁾: ضَرَبْتُ زَيْدًا، وَرَكِبْتُ الْفَرَسَ. وَهُوَ قِسْمَانِ⁽⁵⁾: ظَاهِرٌ، وَمُضْمَرٌ. فَالظَّاهِرُ: مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ. وَالْمُضْمَرُ قِسْمَانِ: مُتَّصِلٌ، وَمُنْفَصِلٌ. فَالْمُتَّصِلُ اثْنَا عَشَرَ، نَحْوُ قَوْلِكَ⁽⁶⁾: ضَرَبَنِي، وَضَرَبْنَا، وَضَرَبَكَ، وَضَرَبَكُمَا، وَضَرَبَكُمُ، وَضَرَبَكُنَّ، وَضَرَبَهُ، وَضَرَبَهَا، وَضَرَبَهُمَا، وَضَرَبَهُنَّ، وَضَرَبَهُنَّ.

1- في (أ) وعند النجم والكفيري: "والمفعول به هو"، بزيادة المفعول به، ونقصان الواو.
2- "المنصوب" لا يوجد في (خ) و(ل) وليس عند السنهوري، قال السنهوري: "المفعول به: هو الاسم، وفي بعض النسخ بعده: المنصوب، ولا يحتاج إليه؛ لأن الأحكام لا تؤخذ في التعاريف".

3- في (ك) والسنهوري والونائي: "عليه" بدلا من "به"، والمثبت هو الواقع في النسخ الخطية التسعة الأخرى، وطبعة السعادة والحلي، وعند ابن يعلى والمكودي والأزهري في إعرابه وفي شرحه والرملي والخطيب الشربيني والإبياري والنجم والكفيري والكفراوي والعشماوي. وقال السنهوري: "وفي بعض النسخ بدل عليه به" وقال الرملي: "وفي بعض النسخ بدل به عليه" وقال الأزهري في إعرابه: "به يتعلق ب(يقع)، والباء بمعنى (على)".

4- في (أ) و(س) و(ن) وطبعة السعادة وعند الأزهري والإبياري والونائي: "نحو قولك"، ولا توجد الزيادة في النسخ الخطية السبعة الأخرى، ولا طبعة الحلي، ولا باقي الشروح المعتمدة في التحقيق.

5- في (خ) و(ن) وعند ابن يعلى والبجائي والكفراوي: "وهو على قسمين". قال الرملي: "وفي بعض النسخ: على قسمين".

6- في (س) و(ن) وطبعة السعادة والحلي: "وهي" بدلا من "نحو قولك"، وعند الخطيب الشربيني والإبياري والونائي: "نحو" فقط دون "قولك". والمثبت من النسخ الخطية الثمان الأخرى، وباقي الشروح المعتمدة في التحقيق.

وَالْمُنْفَصِلُ اثْنَا عَشَرَ، نَحْوُ قَوْلِكَ⁽¹⁾: إِيَّايَ، وَإِيَّانَا، وَإِيَّاكَ، وَإِيَّاكُمْ، وَإِيَّاكُمْ، وَإِيَّاكُمْ، وَإِيَّاَهُ، وَإِيَّاَهَا، وَإِيَّاَهُمَا، وَإِيَّاَهُمْ، وَإِيَّاَهُنَّ.

بَابُ الْمَصْدَرِ

الْمَصْدَرُ⁽²⁾: هُوَ الْإِسْمُ الْمَنْصُوبُ الَّذِي يَجِيءُ ثَالِثًا فِي تَصْرِيفِ الْفِعْلِ، نَحْوُ⁽³⁾: ضَرَبَ يَضْرِبُ ضَرْبًا.

وَهُوَ قِسْمَانِ⁽⁴⁾: لَفْظِيٌّ، وَمَعْنَوِيٌّ. فَإِنْ وَافَقَ لَفْظُهُ لَفْظَ فِعْلِهِ⁽⁵⁾ فَهُوَ لَفْظِيٌّ، نَحْوُ⁽⁶⁾: قَتَلْتُهُ قَتْلًا⁽⁷⁾.

- 1- يقال فيها ما قيل في الحاشية السابقة، مع ملاحظة أن الوارد عند الخطيب الشربيني في هذا الموطن والإبياري: "نحو قولك"، موافق للنسخ الخطية الثمان، وباقي الشروح.
- 2- في (ل) و(م) وعند السنهوري والأزهري والرملي والكفيري والكفراوي: "بابُ المصْدَرِ وهو الاسم..."، بحذف كلمة المصْدَرِ الثانية، وإضافة واو قبل "هو".
- 3- في (خ) و(س) و(ع): "نحو قولك"، بزيادة "قولك". ومن قوله: "نحو" إلى آخر التمثيل، ليس عند المكودي ولا الخطيب الشربيني.
- 4- في (س) و(ع) و(ل) و(ن) وعند المكودي: "وهو على قسمين...".
- 5- عند المكودي: "فإن وافق لفظ فعله" بإسقاط "لفظه". وجاءت العبارة في (خ) و(ل) و(م) و(ن) وعند ابن يعلى والسنهوري والأزهري في إعرابه والرملي هكذا: "فإن وافق لفظه فعله"، بإسقاط كلمة "لفظ"، قال الأزهري: "(فإن): حرف شرط، وافق: فعل الشرط، لفظه: فاعل وافق، فعله: مفعول به على حذف مضاف تقديره (لفظ فعله)".
- 6- عند الكفراوي: "نحو قولك"، بزيادة "قولك".
- 7- في (ن): "نحو جلستُ جلوساً وقعدتُ قُعُوداً"، بدلا من: قتلته قتلا. وجاء في (م) زيادة على المثبت من المتن: وضربته ضرباً.

وَإِنْ وَافَقَ مَعْنَى فِعْلِهِ دُونَ لَفْظِهِ فَهُوَ مَعْنَوِيٌّ، نَحْوُ: جَلَسْتُ قُعُودًا، وَقُمْتُ وَقُوفًا⁽¹⁾.

بَابُ نَحْرِفِ الزَّمَانِ وَنَحْرِفِ الْمَكَانِ

ظَرَفُ الزَّمَانِ: هُوَ اسْمُ الزَّمَانِ الْمَنْصُوبُ بِتَقْدِيرِ "فِي".
نَحْوُ: الْيَوْمَ، وَاللَّيْلَةَ، وَغُدُوَّةً، وَبُكْرَةً، وَسَحَرًا، وَغَدًا، وَعَتَمَةً⁽²⁾، وَصَبَاحًا، وَمَسَاءً، وَأَبَدًا،
وَأَمَدًا، وَحِينًا، وَمَا أَشَبَهُ ذَلِكَ.

وظَرَفُ الْمَكَانِ: هُوَ اسْمُ الْمَكَانِ الْمَنْصُوبُ بِتَقْدِيرِ "فِي".
نَحْوُ: أَمَامَ، وَخَلْفَ، وَقُدَّامَ، وَوَرَاءَ، وَفَوْقَ، وَتَحْتَ، وَعِنْدَ، وَمَعَ، وَإِزَاءَ، وَحِذَاءَ،
وَتِلْقَاءَ⁽³⁾، وَهُنَا، وَثَمَّ⁽⁴⁾، وَمَا أَشَبَهُ ذَلِكَ.

1- في (س) و(م) و(ن) وطبعة السعادة والحلبي والمكودي زيادة: "وما أشبه ذلك". وهذه
الزيادة لا توجد في النسخ الخطية السبع الأخرى، وليست عند ابن يعلى ولا السنهوري ولا
الأزهري في إعرابه ولا شرحه ولا الرملي ولا الخطيب الشربيني ولا الإبياري ولا النجم ولا
الكفراوي ولا الونائي.

2- في (ك) بعد وعتمة: "وعشاء"، وفي (أ) و(ي): بعد وحينا: "ووقتاً".

3- في (أ) و(خ) و(س) و(ع) و(ك) و(م) و(ي) وعند ابن يعلى والمكودي والأزهري في
إعرابه والرملي والإبياري: "إزاء، وتلقاء، وحذاء" وعند الونائي: "وتلقاء، وإزاء، وحذاء".

4- في (س) وطبعة السعادة: "وثم وهنا".

بَابُ الْحَالِ

الْحَالُ: هُوَ الْإِسْمُ الْمَنْصُوبُ الْمُفَسِّرُ لِمَا أَنْبَهُمْ⁽¹⁾ مِنَ الْهَيْئَاتِ.
نَحْنُ قَوْلُكَ⁽²⁾: جَاءَ زَيْدٌ رَاكِبًا، وَرَكِبْتُ الْفَرَسَ مُسْرَجًا، وَلَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ رَاكِبًا، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

وَلَا يَكُونُ⁽³⁾ الْحَالُ⁽⁴⁾ إِلَّا نَكْرَةً، وَلَا يَكُونُ⁽⁵⁾ إِلَّا بَعْدَ تَمَامِ الْكَلَامِ، وَلَا يَكُونُ صَاحِبُهَا إِلَّا مَعْرِفَةً.

1- في (أ) و(خ) و(ز) و(ك): "أُبْهِم".

2- "قولك" لا توجد في (خ) و(ز) و(س) و(ع) وليست عند المكودي ولا الأزهرى في إعرابه ولا الرملي ولا الخطيب الشربيني ولا النجم ولا الكفيري ولا الكفراوي ولا الونائي. وهي ثابتة في (أ) و(م) و(ن) و(ي) وطبعة السعادة والحلبي وعند ابن يعلى والسنهوري والأزهرى في شرحه.

3- في (ع) وعند المكودي والإبياري والنجم والعشماوي: "ولا تكون"، بصيغة التانيث بدلا من "يكون" الدالة على التذكير.

4- كلمة "الحال" لا توجد عند الأزهرى في إعرابه.

5- في (ع) وعند المكودي والإبياري والنجم والعشماوي: "ولا تكون".

بَابُ التَّمْيِيزِ

التَّمْيِيزُ: هُوَ الْإِسْمُ الْمَنْصُوبُ الْمُفَسِّرُ لِمَا أَنْبَهُمْ⁽¹⁾ مِنَ الذَّوَاتِ.
نَحْنُ قَوْلُكَ⁽²⁾: تَصَبَّبَ زَيْدٌ عَرَقًا، وَتَفَقَّأَ بَكْرٌ شَحْمًا، وَطَابَ مُحَمَّدٌ نَفْسًا، وَاشْتَرَيْتُ
عِشْرِينَ غُلَامًا، وَمَلَكَتُ تِسْعِينَ نَعْجَةً، وَزَيْدٌ أَكْرَمُ مِنْكَ أَبًا وَأَجْمَلُ مِنْكَ وَجْهًا.
وَلَا يَكُونُ⁽³⁾ إِلَّا نَكْرَةً، وَلَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ تَمَامِ الْكَلَامِ⁽⁴⁾.

1- في (أ) و(خ) و(ز) و(ك): "أُبْهِم".

2- "قولك" لا توجد في (س) و(ع).

3- في (س) و(م) و(ي) وطبعة الحلبي وعند الأزهري في إعرابه وفي شرحه (خارج الأقواس) والكفيري: "ولا يكون التمييز"، بزيادة لفظ "التمييز"، ولا يوجد عند الباقي. قال الكفراوي: "يكون: فعل مضارع متصرف من كان الناقصة، يرفع الاسم وينصب الخبر، واسمه ضمير مستتر في محل رفع يعود على التمييز".

4- "ولا يكون إلا بعد تمام الكلام" توجد في (أ) و(س) و(م) و(ن) وفي طبعة السعادة والحلبي وعند ابن يعلى والمكودي والأزهري في إعرابه والإبياري والكفراوي والكفيري والونائي والعشماوي. وليست في النسخ الخطية الستة الأخرى، ولا عند السنهوري ولا الأزهري في شرحه ولا الرملي ولا الخطيب الشربيني ولا النجم.

بَابُ الِاسْتِثْنَاءِ⁽¹⁾

وَحُرُوفُ الِاسْتِثْنَاءِ ثَمَانِيَةٌ، وَهِيَ: إِلَّا، وَغَيْرُ، وَسَوَى، وَسَوَاءٌ، وَخَلَا، وَعَدَا، وَحَاشَا.

فَالْمُسْتَثْنَى بِـ "إِلَّا" يُنْصَبُ إِذَا كَانَ الْكَلَامُ تَامًّا⁽²⁾ مُوجِبًا⁽³⁾، نَحْوُ⁽⁴⁾: قَامَ الْقَوْمُ إِلَّا زَيْدًا، وَخَرَجَ النَّاسُ إِلَّا عَمْرًا.

وَإِنْ⁽⁵⁾ كَانَ الْكَلَامُ مَنْفِيًّا تَامًّا⁽⁶⁾ جَازَ فِيهِ: الْبَدَلُ، وَالنَّصْبُ عَلَى الِاسْتِثْنَاءِ⁽⁷⁾، نَحْوُ⁽⁸⁾: مَا قَامَ الْقَوْمُ⁽⁹⁾ إِلَّا زَيْدٌ، وَإِلَّا زَيْدًا.

1- في (ل) وعند ابن يعلى والسنهوري: "بابُ المستثنى".

2- "تامًا" ليست في (خ) و(ل) ولا عند السنهوري.

3- عند ابن يعلى والمكودي والأزهري في إعرابه والونائي: "موجبًا تامًا".

4- في (أ) و(ك) و(ن) و(ي): نحو قولك.

5- في (م) و(ن): "وإذا" بدلا من "وإن".

6- في (أ): "تامًا منفيًا".

7- "على الاستثناء" ليست في (ل) ولا عند السنهوري.

8- في (س) و(م) و(ن) وعند الأزهري في شرحه: "نحو قولك".

9- في (أ) و(خ) و(س) و(ك) و(ل) و(ي)، وعند ابن يعلى والمكودي والسنهوري والرملي والإبياري: "ما قام أحدٌ" بدلا من "ما قام القوم".

وَإِنْ كَانَ الْكَلَامُ نَاقِصًا⁽¹⁾ كَانَ عَلَى حَسَبِ الْعَوَامِلِ، نَحْوُ⁽²⁾: مَا قَامَ إِلَّا زَيْدٌ، وَمَا ضَرَبْتُ⁽³⁾ إِلَّا زَيْدًا، وَمَا مَرَرْتُ إِلَّا بِزَيْدٍ.

وَالْمُسْتَثْنَى بِ: غَيْرٍ، وَسَوَى، وَسَوَاءٍ: مَجْرُورٌ لَا غَيْرَ.

وَالْمُسْتَثْنَى بِ: خَلَا، وَعَدَا، وَحَاشَا: يَجُوزُ نَصْبُهُ وَجَرُّهُ، نَحْوُ⁽⁴⁾: قَامَ الْقَوْمُ خَلَا زَيْدًا وَزَيْدٍ⁽⁵⁾، وَعَدَا عَمْرًا وَعَمْرٍو⁽⁶⁾، وَحَاشَا زَيْدًا وَزَيْدٍ⁽⁷⁾.

1- في (س): "وإن كان الكلام المنفي ناقصا"، وفي (ك) و(ن) وعند الأزهري في شرحه: "وإن كان الكلام ناقصا منفيًا".

2- في (م): "نحو قولك".

3- في (ي) وعند الونائي: "وما رأيت إلا زيدا" بدلا من: ضربت.

4- في (ن): "نحو قولك".

5- عند ابن يعلى: "قام القوم حاشا زيد وزيدا، وقام القوم خلا زيدا وزيدا، وعدا عمرا وعمرو" وقال: "لَمَّا مَثَلْ قَدَمٌ فِي "حاشا" الخفض وأخر النصب، فقال: حاشا زيد وزيدا، ولم يقدم في أخويها إلا النصب، فقال في خلا وعدا: خلا زيدا وزيدا، وعدا عمرا وعمرو". وجاء في (م): "قام القوم خلا عمرا وعمرو".

6- عند المكودي: "وقام القوم عدا عمرا وعمرو". وفي (م) وعند النجم والكفيري: "وعدا زيدا وزيد".

7- هذا المثال الثالث لا يوجد في (خ) و(ك) و(ن) وليس عند السهوي ولا الأزهري في إعرابه ولا الإيباري. وهو موجود عند الأزهري في شرحه وكذا في باقي الشروح، وجاء بدلا منه في (ي) وطبعة السعادة والحلي: "وحاشا بكرًا وبكرٍ".

بَابُ "لَا"

اعْلَمْ أَنَّ "لَا" تَنْصِبُ النَّكَرَاتِ (1) بِغَيْرِ تَنْوِينٍ إِذَا بَاشَرَتْ النَّكِرَةَ (2)، وَلَمْ تَتَكَرَّرْ "لَا" (3)، نَحْوُ: لَا رَجُلٌ فِي الدَّارِ.

فَإِنْ لَمْ تُبَاشِرْهَا وَجَبَ الرَّفْعُ (4)، وَوَجِبَ تَكَرُّرُ "لَا" (5)، نَحْوُ: لَا فِي الدَّارِ رَجُلٌ وَلَا امْرَأَةٌ.

وَإِنْ (6) تَكَرَّرَتْ (7) جَازَ إِعْمَالُهَا وَإِلْغَاؤُهَا، نَحْوُ (8): لَا رَجُلٌ فِي الدَّارِ وَلَا امْرَأَةٌ، وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ: لَا رَجُلٌ فِي الدَّارِ وَلَا امْرَأَةٌ (9).

1- في (خ) وعند ابن يعلى والمكودي: "تنصب النكرة".

2- في (ز) وعند الإيباري: "النكرات" بدلا من "النكرة".

3- كلمة "لا" غير موجودة في (ن) وليست عند السنهوري.

4- في (م) و(ن) و(ي): "وجب الرفع والتنوين"، بزيادة كلمة "التنوين".

5- عند السنهوري زيادة: "ووجب إلغائها".

6- في طبعة السعادة والحلبي وعند الرملي والنجم والكفراوي والونائي والعشماوي: "فإن"، بالفاء.

والمثبت من النسخ الخطية، وابن يعلى والمكودي والسنهوري والأزهري في إعرابه وفي شرحه والكفيري.

7- في طبعة الحلبي: "فإن تكررت لا" بزيادة "لا".

8- في طبعة السعادة والحلبي وعند الأزهري في شرحه والكفراوي: "فإن شئت قلت" بدلا من: "نحو". والمثبت من النسخ الخطية، والأزهري في إعرابه وباقي الشروح.

9- من قوله: "وإن شئت قلت..." إلى آخر العبارة، ليس عند المكودي.

بَابُ الْمَنَادَى

الْمَنَادَى خَمْسَةُ أَنْوَاعٍ: الْمُفْرَدُ الْعَلَمُ، وَالنَّكِرَةُ الْمَقْصُودَةُ، وَالنَّكِرَةُ غَيْرُ الْمَقْصُودَةِ، وَالْمُضَافُ، وَالْمُشَبَّهُ⁽¹⁾ بِالْمُضَافِ.

فَأَمَّا الْمُفْرَدُ الْعَلَمُ، وَالنَّكِرَةُ الْمَقْصُودَةُ فَيُبْنَيَانِ⁽²⁾ عَلَى الضَّمِّ مِنْ غَيْرِ تَنْوِينٍ، نَحْوُ: يَا زَيْدُ، وَيَا رَجُلُ.

وَالثَّلَاثَةُ الْبَاقِيَةُ⁽³⁾ مَنْصُوبَةٌ لَا غَيْرُ.

1- عند الخطيب الشربيني والونائي والعشماوي: "والشبيه".

2- عند المكودي: "فالمفرد العلم والنكرة المقصودة يُبْنَيَانِ ..."، دون "أما" و لافاء "فيبنيان".

3- في (م): "وأما الثلاثة الباقية"، بزيادة كلمة "أما". وفي (خ) بعد هذه العبارة زيادة: "نحو: يا غلام زيد، ويا خيراً من عمرو، ويا طالعا جبلاً".

بَابُ الْمَفْعُولِ مِنْ أَجْلِهِ

وَهُوَ: الْإِسْمُ الْمَنْصُوبُ الَّذِي يُذَكَّرُ⁽¹⁾ بَيَانًا⁽²⁾ لِسَبَبِ وُقُوعِ الْفِعْلِ.
نَحْوُ قَوْلِكَ⁽³⁾: "قَامَ زَيْدٌ"⁽⁴⁾ إِجْلَالًا لِعَمْرٍو، وَقَصْدُكَ ابْتِغَاءَ مَعْرُوفِكَ.

بَابُ الْمَفْعُولِ مَعَهُ

وَهُوَ⁽⁵⁾: الْإِسْمُ الْمَنْصُوبُ الَّذِي يُذَكَّرُ لِبَيَانِ مَنْ فَعَلَ مَعَهُ الْفِعْلُ⁽⁶⁾.
نَحْوُ قَوْلِكَ⁽⁷⁾: جَاءَ الْأَمِيرُ وَالْجَيْشُ، وَاسْتَوَى الْمَاءُ وَالْخَشَبَةُ.

1- عند المكودي: "يجيء" بدلا من "يذكر".

2- في (س): "علة" بدلا من "بيانا".

3- "قولك" لا توجد في (س) وليست عند الكفراوي ولا الونائي وبالسواد عند الأبياري.

4- في (خ): "قام القوم".

5- عند المكودي: "المفعول معه هو الاسم..." بدلا من "وهو الاسم".

6- في (ن) وعند الأزهري في إعرابه: "الذي يُذكر بيانا لسبب من فَعَلَ معه الفعل"، ومثله

وقع عند الإبياري لكن بلفظ "بسبب" بدلا من "لسبب".

7- "قولك" ليست عند المكودي ولا الكفراوي.

وَأَمَّا خَبَرُ "كَانَ" وَأَخَوَاتِهَا، وَاسْمُ "إِنَّ" وَأَخَوَاتِهَا⁽¹⁾، فَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمَا⁽²⁾ فِي الْمَرْفُوعَاتِ⁽³⁾. وَكَذَلِكَ التَّوَابِعُ، فَقَدْ⁽⁴⁾ تَقَدَّمتْ هُنَاكَ⁽⁵⁾.

1- عند الخطيب الشربيني زيادة: "ومفعولاً ظننتُ".

2- عند السنهوري: "ذكره"، وعند الخطيب والإبياري: "ذكرها".

3- في (ن): "في باب المرفوعات"، بزيادة كلمة "باب".

4- عند السنهوري والأزهري في شرحه والنجم: "قد".

5- في (خ): "فقد تقدم ذكرها".

بَابُ مَخْفُوضَاتِ الْأَسْمَاءِ

الْمَخْفُوضَاتُ ثَلَاثَةٌ⁽¹⁾: مَخْفُوضٌ بِالْحَرْفِ، وَمَخْفُوضٌ بِالْإِضَافَةِ، وَتَابِعٌ لِلْمَخْفُوضِ⁽²⁾.
فَأَمَّا الْمَخْفُوضُ بِالْحَرْفِ فَهُوَ مَا يُخَفِّضُ بِ: مِنْ، وَإِلَى، وَعَنْ، وَعَلَى، وَفِي، وَرُبَّ،
وَالْبَاءِ، وَالْكَافِ، وَاللَّامِ، وَحُرُوفِ⁽³⁾ الْقَسَمِ، وَهِيَ: الْوَاوُ، وَالْبَاءُ⁽⁴⁾، وَالتَّاءُ، وَبَوَاوِ رَبٍّ⁽⁵⁾،
وَبِمُذٍ⁽⁶⁾، وَمُمْنُذٍ⁽⁷⁾.

وَأَمَّا مَا يُخَفِّضُ بِالْإِضَافَةِ، فَنَحْوُ⁽⁸⁾ قَوْلِكَ⁽⁹⁾: غُلَامٌ زَيْدٌ.

- 1- في طبعة السعادة والحلبي والونائي: "ثلاثة أقسام"، وفي (أ) و(م) وعند الأزهري في شرحه والنجم: "على ثلاثة أقسام"، ولا توجد هذه الزيادة في النسخ الخطية الثمانية الأخرى، ولا عند الأزهري في إعرابه، ولا باقي الشروح.
- 2- عند الرملي: "وتابع المخفوض".
- 3- في (أ) و(ع) وطبعة الحلبي وعند المكودي والأزهري في شرحه والخطيب الشربيني والنجم: "وبحروف".
- 4- "والباء" ليست عند ابن يعلى.
- 5- "وبواو رب" ليست عند الكفراوي، ووقعت عند السنهوري بعد قوله: "وفي، ورب".
- 6- عند السنهوري والونائي: "ومُذٌ".
- 7- قال السنهوري: "ولم يذكر في الحروف الجارة هنا حروف الاستثناء، التي هي خلا وعدا وحاشا؛ استغناء عن ذلك بما قال أول الكتاب وفي الاستثناء".
- 8- في (ع) و(خ) و(ك) وعند الإبياري والكفيري: "نحو"، دون فاء.
- 9- "قولك" لا توجد في (ع) وليست عند المكودي ولا العشماوي.

وَهُوَ عَلَى قِسْمَيْنِ: مَا يُقَدَّرُ بِاللَّامِ، وَمَا يُقَدَّرُ بِ"مِنْ" (1).
فَالَّذِي يُقَدَّرُ بِاللَّامِ نَحْوُ (2): غُلَامٌ زَيْدٌ، وَالَّذِي يُقَدَّرُ بِ"مِنْ" نَحْوُ (3): ثَوْبٌ خَزٌّ، وَبَابُ
سَاجٍ، وَخَاتَمٌ حَدِيدٌ (4).

تَمَّ بِحَمْدِ اللَّهِ.

وبتمام تحقيق المقدمة الآجرومية أصل إلى بيت القصيدة؛ تحقيق كتاب
"النفحة القيومية بتقرير الآجرومية"، وهو ما خصصت له الفصل اللاحق.

1- في (ع) وعند الأزهري في شرحه والخطيب الشربيني والنجم والكفراوي ورد النص على النحو التالي: "وهو على قسمين: ما يقدر باللام، نحو: غلام زيد، وما يقدر بمن، نحو: ثوب خز، وباب ساج، وخاتم حديد، وما أشبه ذلك".

2- في (خ) و(ز): "نحو قولك".

3- في (ز) و(ك) و(ل): "نحو قولك".

4- في (أ) و(ن) و(ي) وعند الكفيري زيادة: "وما أشبه ذلك"، وفي (خ) وعند الأزهري في إعرابه: "وخاتم فضة"، وفي طبعة الحلبي: "والله أعلم".

الفصل الثاني

تحقيق النفحة القيومية بتقرير الآجرومية

تمهيد

ما كان الشناقطة الموريتانيون ليغيبوا عن مشهد الاحتفاء بالمقدمة الآجرومية، وهم الذين يعدّون تعلم اللغة مطلوباً شرعاً؛ وفي ذلك يقول شاعرهم ولد مُتَالِي⁽¹⁾، رحمه الله:

تَعْلُمُ اللُّغَةَ شَرْعًا فَضِّلْ عَلَى التَّخْلِي لِعِبَادَةِ الْعَلِي
يُؤْخَذُ ذَا مِنْ قَوْلِهِ: وَعَلَّمَا آدَمَ الْأَسْمَاءَ. الْزَمِ التَّعْلَمَا

لذا نجد عددا من العلماء الشناقطة قد وضعوا شروحا على المقدمة الآجرومية، حظي بعضها بقيمة كبيرة، وأضحى مرجعا يعوّل عليه في الدرس النحوي في المحاضر⁽²⁾ الموريتانية، كحال كتاب **النفحة القيومية بتقرير الآجرومية، للشيخ سيدي الكبير** الذي نحن بصدد تحقيقه بعد أن درسناه وسلطنا عبره بعض الضوء على المقدمة الآجرومية ومؤلفها؛ ونحن في هذا التحقيق بصدد إبراز شكل آخر من أشكال الشروح المتعددة لهذه المقدمة النافعة تميز عن غيره، ذلك أن هذا الشرح ممتزج بنص المقدمة الآجرومية، فواضعه لا ينقل فقرات من كلام ابن آجروم ويشرحها، بل يمزج كلامه بكلامه ويتمم الناقص ما أهمله ابن آجروم من الضوابط والمسائل، وبامتزاج المتن والشرح هذا الامتزاج التام أصبحنا أمام متن نحوي جديد جمع المحاسن من أطرافها؛ ففيه اختصار ابن آجروم غير المخلّ، وتوسّع الشيخ سيدي غير المملّ. ويمتاز هذا الشرح بالسهولة والوضوح، مع اشتماله خلاصة الخلاصة، فكان مُعِينَا على معرفة قواعد اللغة دون الخوض في مسائل لا تهم إلا المختصين في النحو⁽³⁾.

1- سلفت ترجمته في الصفحة رقم 13 من هذا العمل.

2- المحاضر نمط تعليمي تميز به المجتمع الموريتاني، وقد سبق الحديث عنه باستفاضة في الباب المخصص للدراسة.

3- راجع: تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، ص 483.

ولا شك في اطلاع الشيخ سيدنا على مؤلفات من تقدمه من النحويين، فمنها استقى معلوماته القيمة وتبويباته النيرة، غارفا من معينها ما يكون بلغة لطالب العلم، وحاذفا منها ما أسهب به متكلموهم وفصل فيه مكثروهم؛ فقد عزا إلى الكوفيين وإلى البصريين، وسمى في حالات نادرة بعض أعلام هذين المذهبين، لكنه لم يصرح إلا مرة واحدة باسم مصدر معين استقى منه معلومة، فالكتاب خلو من الإسناد، كما كان ذلك متعارفا فيما قبله من الكتب منذ قرون عديدة. ومهما يكن فإن من مثله لن يتأتى له جمع مادة في فن إلا بعد استيعاب جميع مؤلفاتها، وناهيك برجل يستعرض ابنه في شعره الكتب العلمية التي درسها في حضرته، متذكرا سمره المحظري مع زملائه طلاب والده؛ إذ كانوا يسهرون طول الليل على ضوء ألسنة اللهب التي يشعلون نارها في الحطب، وذلك شغفا منهم بتدارس مضمون هذه الكتب التي جمعت بين فنون كثيرة يعددها الشاعر عدّ الخبير المتقن، وذلك في قوله من إحدى قصائده المطوّلة:

وَكَمْ سَامَرْتُ سُمَارًا فُتُوًّا	إِلَى الْمَجْدِ انْتَمَوْا مِنْ مَخْنَدَيْنِ
حَوُّوا أَدَبًا عَلَى حَسَبِ فِدَاسُوا	أَدِيمَ الْفَرْقَدَيْنِ بِأُخْمَصَيْنِ
أَذَاكِرُ جَمْعَهُمْ وَيُذَاكِرُونِي	بِكُلِّ تَخَالُفٍ فِي مَذْهَبَيْنِ
كَخُلْفِ اللَّيْثِ وَالنُّعْمَانِ طَوْرًا	وَحُلْفِ الْأَشْعَرِيِّ مَعَ الْجَوْنِي
وَأُورَادِ الْجَنِيدِ وَفِرْقَتَيْهِ	إِذَا وَرَدُوا شَرَابَ الْمَشْرِتَيْنِ
وَأَقْوَالِ الْحَلِيلِ وَسَيَبَوِيهِ	وَأَهْلِي كُوفَةٍ وَالْأَحْفَشَيْنِ
نُوضِّحُ حَيْثُ تَلْتَبِسُ الْمَعَانِي	دَقِيقَ الْفَرْقِ بَيْنَ الْمَعْنَيْنِ
وَأَطْوَارًا نَمِيلُ لِذِكْرِ دَارَا	وَكِسْرَى الْفَارِسِيِّ وَذِي رُعَيْنِ
وَتَحَوُّ السِّتَّةِ الشُّعْرَاءِ نَنَحُو	وَنَحَوُّ مُهْلَهْلٍ وَمُرْقَشَيْنِ
وَشَعَرَ الْأَعْمَعَيْنِ إِذَا أَرَدْنَا	وَأِنْ شِئْنَا فَشِعَرَ الْأَعَشَيْنِ
وَنَذْهَبُ تَارَةً لِأَبِي نُؤَاسٍ	وَنَذْهَبُ تَارَةً لِابْنِ الْحُسَيْنِ.

فمن الواضح في هذا النص أن صاحبه يستحضر جيدا أسماء الكثير من الفنون التي درسها في حضرة والده؛ إذ تعكس القائمة التي عرضها الشاعر في هذا المقطع المجتزأ

من نص مطوّل في الفخر = شمولية المعرفة الشنقيطية وتنوعها في ذلك الوقت؛ فهي تجمع بين مختلف الفنون بصدر رحب، لا يرى غضاضة في تعلم جميع الفنون المتاحة، طالما أن الطالب يجد من يعلمها له؛ فالفقه الإسلامي بأصوله وفروعه وبعلمائه المشهورين في مراحل التاريخ المختلفة يبدو حاضرا، إلى جانب العقيدة والفكر الإسلامي والتصوف واللغة والنحو والشعر العربي بعصوره المختلفة، دون أن يؤدي هذا الكم الهائل من المعارف المتنوعة إلى اختلاف فكري بين الشاعر وزملائه، بل إن تنوع هذه المعارف التي يدرسونها قد أفادهم في بناء شخصيتهم العلمية المحظرة التي تؤمن بالتنوع والاختلاف.

وإذا كانت أهم الأعمال العلمية التي يتوجب على الباحث بذل جهده فيها هي نسبة الكتاب إلى المؤلف، إذ بها يتحقق القارئ من نسبة ما تضمنه الكتاب بين دفتيه من حقائق علمية إلى المؤلف المنسوب إليه، فإن مما لا يتطرق إليه شك نسبة كتاب "النفحة القيومية" إلى الشيخ سيدي الكبير؛ فقد ذكره ضمن مؤلفاته كل من ترجم له، ومنهم - مثالا لا حصرا - الدكتور محمد المختار ولد اباه، الذي استغرب أن هذا المصنف لم ينل طريقه إلى النشر حتى الآن، بالرغم مما له من قيمة علمية عالية وتربوية فائقة⁽¹⁾.

كما وردت نسبة الكتاب إلى الشيخ سيدي الكبير في جميع ما اعتمدنا عليه من مخطوطات للكتاب، فضلا عن كون دراسة هذا الكتاب ضمن مقررات بعض المحاضر الموريتانية تتم بالسند الموصول إلى المؤلف؛ فقد ألقى الله القبول على هذا الشرح، ورزق بركة النحو وفهمه لمن قرأه، فكان إذا قيل شرح الجرومية أو الشرح بدون إضافة لا يتبادر للسامع إلا أنه شرح الشيخ سيدي للآجرومية دون سائر شروحيها⁽²⁾. ولم أقف

1- راجع: تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، ص 483.

2- راجع: كتاب الأخبار، ج 1، ص 73.

على نص صريح يشير إلى التاريخ الذي بدأ فيه المؤلف الكتاب خلافا لتاريخ انتهائه من جمع مادته سنة 1240هـ، وهو ما يدل على أنه ألفه إبان مقامه مدرّسا في مدينة (تيشيت)⁽¹⁾ خلال رحلته العلمية التي امتدت أربعين سنة؛ وقد مرّ تفصيل تلك الرحلة في موضعه من باب الدراسة.

وهذا الفصل مقسم إلى ثلاثة مباحث؛ يخصص أولها للحديث عن الأصول المعتمدة في تحقيق الكتاب، ويخصص ثانيها للمنهج المتبع في التحقيق، أما ثالث المباحث فيخصص للنص المحقق.

المبحث الأول

نسخ المخطوط المعتمدة في التحقيق

ثبت لدي عبر البحث والتنقيب أن كتاب النفحة القيومية بتقرير الآجرومية كان مقررا دراسيا في أغلب محاضر منطقة القبلة الموريتانية، طيلة القرنين الماضيين، لذلك كثرت نسخه وتعددت، وانتشرت في مناطق القطر الشنقيطي وخارجه؛ فهذه مجلة (Revue du monde Musulman) تورد قبل أكثر من مائة سنة أن نسخة من هذا الكتاب كانت ضمن محتويات مكتبة الشيخ سيدي محمد ولد الشيخ أحمدو ولد اسليمان (ت 1339هـ)، وعلى الرغم من كون المكتبة المذكورة لا تضم إلا حوالي 200 كتاب، ولا تعدّ من أعظم المكتبات في البلاد، كما لا يعدّ صاحبها من الذين قصرُوا اهتمامهم على علم النحو وحده؛ إلا أنها حوت مجموعة كبيرة من

1- راجع: كتاب الأخبار، ج 1، ص 72 وكذلك ص 229.

كتب النحو؛ ويُعدّ ذلك برهانا ساطعا على بالغ الاهتمام الذي كان الشناقطة يولونه للدرس النحوي⁽¹⁾.

وسأقسم هذا المبحث المتعلق بالأصول المعتمدة في تحقيق كتاب النفحة القيومية، إلى مطلبين؛ يتناول أولهما وصفا مجملا لهذه النسخ، ويتضمن الآخر تفصيل الحديث عن نُسخ المخطوط.

المطلب الأول وصف نسخ المخطوط

لم أتمكن للأسف من الحصول على دستور المؤلف الذي خطه بيده، لكنني استطعت - بعون الله وتوفيقه - الحصول على تسع نسخ خطية منقولة عن هذا الدستور اتخذت أحسن خمسٍ منها أصلا في التصحيح والمقابلة، وزيادة ما نقص أو حُذف، وتصحيح ما حُرّف أو صُحّف، وألغيت النسخ الباقية وذلك لكثرة ما فيها من الأخطاء والتصحيّف والتحريف، ولعدم علمية نُسخها في نسخ النص.

وجلّ النسخ الخمس المعتمدة في التصحيح والمقابلة مكتوب بخط مغربي خال من الشكل⁽²⁾، طمس المداد ألفاظا قليلة في مواضع متفرقة منها، وقد مُيزت فيها عنوانات الأبواب بكتابتها بخط ثخين كبير الحجم، وأُتبع في كتابتها ما تعارف عليه النساخ من وضع إشارة عند السقط واستدراك ما سقط في الهامش مع تذييله بكلمة (صح)،

1- مجلة (Revue du monde Musulman)، العدد (31)، 1915-1916.

نقلا عن الدكتور يحيى ولد البراء في رسالة تخرجه من المدرسة العليا للتعليم.

2- لم يكن تشكيل الكتابة معهودا لدى الشناقطة؛ إذ يعدّونه نوعًا من الاستهانة بالقدرات المعرفية للقارئ.

غير أن بعض نساخها كانوا يمزجون الشواهد من شعر وآيات بكلام المؤلف في كثير من المواضع، كما كتبوا كثيرا من الألفاظ بطريقة الرسم التي كانت شائعة في عصرهم؛ من مثل: عدم إثبات الهمزة أو كتابتها على غير القواعد المتعارف عليها الآن، ومثل قلب الألف المقصورة إلى ألف ممدودة⁽¹⁾، ومثل إضافة ألف في آخر كلمات من قبيل (يدعو)، وكإثبات الألف بعد اللام في كلمة (لكنها)، بل ربما خرجوا عن بعض قواعد النحو، فنجد أخطاء في الشكل وعدم مراعاة العوامل الجازمة والناصفة .. إلى غير ذلك من الأغلاط النحوية التي أشرت إليها في حاشية التحقيق، كما أن بعض النساخ أسقط بعض حروف الجر من جمل يحتاج إليها السياق، ومن ذلك أيضا استخدامه الفعل (يدل) في بعض الأحيان دون أن يعديه بحرف الجر (على).

وقد رمزتُ لكل واحدة من النسخ الخمس المعتمدة بأحد حروف كلمة (أجروم) التي تُستخدم علما في المجال الثقافي الشنقيطي للدلالة على المتن النحوي الذي هو موضوع هذا العمل، ورتبت النسخ حسب أهميتها من حيث دقة النسخ في النقل، والكتابة والضبط، وقلة الأخطاء، وتصحيح الخطأ، وإثبات الصواب، وزيادة ما أسقط

1- كتابة الألف اللينة في آخر الأسماء المقصورة، والأفعال الناقصة، وبعض الحروف والظروف والأدوات، هي إحدى مشاكل الخط العربي؛ فهذه الألف وإن نطقت في العربية الفصحى ألفا فإنها تكتب في بعض الأحيان ياءً وفقا لقواعد معينة. وأغلب الظن أن رسمها بالياء يعود إلى فترة كان الناطقون بالعربية فيها يُميلون هذه الألف نحو الياء، ومع تطور النطق عند الحجازيين من الإمالة إلى الفتح الخالص كان الرسم الإملائي قد ثبت واستقر، فبقيت تلك الأمثلة مكتوبة بالياء على صورتها القديمة. راجع: **عمدة الأدباء في معرفة ما يكتب بالألف والياء**، ابن الأنباري، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب، منشور ضمن دراسات عربية وإسلامية مهداة إلى أديب العربية الكبير أبي فهر محمود محمد شاكر بمناسبة بلوغه السبعين، القاهرة 1982، ص 281-297.

أو حُذف؛ لذلك فالنسخة الأكثر صحة، والأكثر صوابا، والأكثر علمية، والأدق متنا، والأقرب إلى النسخة الأم هي التي اتخذتها أصلا بما أنني لم أجد نسخة المؤلف، وإنما وجدت النسخة التي نُقلت لابنه الأوحده، وكتبت في عصر المؤلف، وعليها حواشٍ تواتر لدى كبار أسرتنا أنها بخط جدنا المؤلف رحمه الله. ومع ذلك فلم أعتمد قدم التاريخ مقياسا أحكم به لأنه لا يعتمد دائما في اتخاذ نسخة قديمة أصلا، إذ "المبدأ العام لتقديم النسخة ذات التاريخ الأقدم ثم التي عليها سماعات العلماء، ولكننا إذا اعتبرنا بقديم التاريخ فقد نفاجأ بأن ناسخ أقدم النسخ مغمور أو ضعيف، ونلمس ذلك في عدم إقامته للنص، أم عدم دقته، فلا يكون قدم التاريخ عندئذ مسوغا لتقديم النسخة، فقد نجد أخرى أحدث تاريخا منها، وكاتبها عالم دقيق في حرصه وإشارته إلى الأصل، فلا ريب في تقديم هذه النسخة الأحدث تاريخا"⁽¹⁾.

المطلب الثاني

تفصيل الحديث عن نسخ المخطوط

نظرا إلى كون عدد النسخ الخطية التي اعتمدتُ عليها في التحقيق قد بلغ خمس نسخ، فإن ذلك استدعى مني تقسيم هذا المطلب إلى ستة فروع، تناولتُ في كل واحد من الخمسة الأولى وصفا تفصيليا لواحدة من النسخ الخمس، وخصصتُ الفرع السادس لاستعراض صور ضوئية من النسخ المذكورة.

1- تحقيق النصوص ونشرها، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط7، القاهرة - 1998، ص38.

الفرع الأول نسخة المخطوطة الأولى

رمزت لها بحرف (أ)، وهي نسخة خاصة محفوظة في مكتبتنا العائلية التي تحتوي على أكبر كم من الإرث العلمي لجدنا مؤلف هذا الكتاب؛ وقد كُتبت هذه النسخة للابن الأوحى للمصنف الذي لم يعيش بعد والده إلا نحوًا من عشرة أشهر، وليس بعيد أن يكون الابن قد سمعها من والده مؤلفها، وأن يكون أيضًا نسخ نسخته من دستور والده الذي خطه بيده؛ ذلك الدستور الذي للأسف لا تُراح رائحته من قريب ولا من بعيد.

وهذه النسخة بخط محمد محمود ولد عبد الفتاح الذي ذكر ذلك في صفحتها الأولى، دون ذكر التاريخ ولا الأصل الذي كُتبت عليه. وقد سألتُ الشيخ إبراهيم (المفتي) ولد يوسف ولد الشيخ سيديا - بواسطة ابنه أحمد - عمًا لديه من معلومات حول النسخ المذكور، فكان نص جوابه المكتوب أنه: "من أهل بُدَّة، وقد أدرك الشيخ سيديا الكبير، وتلمذ له، ودرّس في حضرته، وممن درس عليه فيها من بيتنا: الوالدان الشيخ سيدي محمد، والشيخ سيدي بابّه، فهو معمر؛ وكان ممّا درّسهما البلاغة والعروض. وألّف للشيخ سيدي محمد - خاصة - رسالة في فنّ موسيقى البيضان (أزوان)، وأوزان الشعر الحسّاني، وهو الذي كتب باسم أولاد أبييري، بيعة الشيخ سيدي محمد، في سجع مشهور، مرصع ببعض الأشعار⁽¹⁾، وهو عالم جليل، ولا سيما في البلاغة والعروض والنحو⁽²⁾. وكان قد درس على سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم، وابنه سيدي محمد. وله أبيات في التهئة بمولد الشيخ سيدي محمد (ابن الشيخ سيديا الكبير). رحم الله الجميع".

1- أوردتُ النصّ الكامل لهذه البيعة ابتداء من الصفحة رقم 386 من هذه الأطروحة.

2- راجع: كتاب الأخبار، ج 1، ص 38.

وهذه النسخة أقدم مخطوط عثرت عليه لهذا الكتاب، مع طول البحث ومشقة المعاناة؛ إذ من المؤكد أنها نُسخَت خلال الفترة التي كان فيها المصنّف حيًّا، فبها حواشٍ ذكر لي خالي بابّ ولد هارون ولد الشيخ سيديا، القيّم على مكتبنا العائلية أنه تواتر لديه أنها بخط المؤلف نفسه، وهو ما يرجح معه أن تكون مُقابلة على المخطوطة الأم التي خطّها المؤلف بيده؛ فهي لهذا نسخة فريدة نادرة، طُبِعَ خطها بطابع علمي متفرد، يظهر من رسمه التمكن من كيفية رسم الهمزات وإخلاء الحروف التي لا تنقط - إذا تطرفت - من النقط وهي المعروفة بحروف (ينفق)⁽¹⁾، والتبريز في استعمال إشارات اللحق وتسويته مع الكتبة التي يومئ إليها، مع العناية بالتصحيح الذي يعبر عنه بكلمة (صح) عند آخر اللحق، إلى غير ذلك من الضوابط المعروفة عند علماء الرسم من الحذف الإشاري والنقل وغيره على طريق المقاربة في ضبط النص القرآني.

وقد كان لعوادي الزمن وسوء الصيانة تأثير سيئ في هذه النسخة، خصوصا أن استخدام الملصقات البلاستيكية الشفافة لإلصاق ما اهترأ من صفحاتها قد أدى إلى امّحاء أجزاء كثيرة من محتوياتها نتيجة تفاعل صمغ الملصق مع حبر المخطوطة. يضاف إلى ذلك ما أصاب أطراف الصفحات من تكسّرٍ أفقدها أيضا بعضًا من محتوياتها، كما أن صفحتها الأخيرة سبق لها الالتصاق بجلدة الغلاف فلم يبق من مضمونها إلا بضع كلمات متناثرة؛ ومع ذلك فهذه النسخة تمتاز بأن جميع صفحاتها مازالت موجودة ومعظمها مازال مقروءًا.

والنسخة مكتوبة بالخط المغربي، وهو الخط ذاته الذي مازال سائدًا في المحاضر الموريتانية التي قلّ أن تجد متخرجًا منها يكتب غيره. ويبلغ مجموع صفحاتها مع صفحة الغلاف (37) صفحة من الحجم الكبير، ومسطرتها (23) سطرًا في الصفحة.

1- راجع: المحكم في نقط المصحف، ص 35.

الفرع الثاني

نسخة المخطوطة الثانية

رمزت لها بحرف (ج)، وهي نسخة خاصة أيضا، محفوظة في مكتبنا العائلية التي أشرت إليها آنفا. وهذه النسخة بخط خير بن محمد العلوي⁽¹⁾، الذي لم يذكر تاريخ نسخه لها ولا الأصل الذي كُتبت عليه؛ غير أن غلافها الأخير يحتوي على ما يفيد انتقال ملكيتها لسيد أحمد لحبيب ولد الحسن ولد سيد أحمد⁽²⁾، وهو ما يدل على أن هذه النسخة ليست بعيدة أيضا عن محيط المؤلف، لكون سيد أحمد الجد المذكور كان من أوائل من اتصل من فخذ أولاد خاجيل بالشيخ سيدي علي الرغم من أنه لم يأخذ عنه الطريقة القادرية؛ لكونه قد أخذ الطريقة التجانية قبل عودة الشيخ سيدي إلى موطن قبيلتهما معا. وهو سيد أحمد ولد مَحْمُود ولد خاجيل ولد احميد ولد خاجيل ولد امرباط مكة ولد أبييري⁽³⁾.

وهذه النسخة جيدة مقارنة بسابقتها، وخطها واضح مقروء، إلا أن أغلب أعالي صفحاتها قد فُقدت منها أجزاء فذهب لذلك بعض محتوى النص. وهي تقع في (37) صفحة، غير أن حجم صفحاتها أصغر من حجم صفحات سابقتها، ويتراوح عدد الأسطر في صفحات هذه النسخة بين 25 و 27 سطرا، وهي مكتوبة بخط مغربي واضح.

1- لعل اسم الناسخ (خيري ولد محمدي)؛ إذ الاسمان متداولان بهذه الصيغة في كثير من الأوساط الاجتماعية الموريتانية، وتنطق الميم الثانية من اسم (محمدي) ساكنة.

2- (سيد أحمد) اسم مركب، ينطق جزؤه الأول بكسر السين ومدّها، كما تنطق فيه الدال بفتحة ملازمة تحيل همزة الجزء الثاني وصلا.

3- راجع: كتاب الأخبار، ج 2، ص 12.

وتتفق هذه النسخة مع سابقتها في ترتيب النص من حيث بدايته ونهايته، وترتيب أبوابه وفصوله وأقسامه دون تقديم أو تأخير. وتمتاز عن سابقتها بتضمنها الإشارة التعقيبية لترتيب الصفحات، وهو ما خلت منه النسخة (أ) التي ربما يكون سبب ذلك فيها هو اهتراء أسافل صفحاتها التي هي محلّ تلك الإشارة عادة.

الفرع الثالث

نسخة المخطوطة الثالثة

نسخة عتيقة محفوظة في دار الكتب الوطنية في موريتانيا، تحت الرقم (1389)، ولا يوجد فيها ما يفيد في معرفة تاريخ كتابتها بدقة، إلا أن نوع الورق الذي كتبت عليه وكذا الحبر الذي كتبت به يوحيان بأنها كتبت منذ وقت ليس بالقريب. وهذه النسخة غير كاملة، فهي تفتقد جزءا كبيرا من النص؛ حيث غاب منها ما جاء بعد حديث المصنف عن "ظننتُ وأخواتها"؛ وتحديدًا منها "سمعتُ"، وهذا ما يفسر كون عدد صفحاتها لا يتجاوز سبع عشرة صفحة من الحجم المتوسط، بمعدل ثلاثة وعشرين سطرا في الصفحة الواحدة.

وهذه النسخة خالية مما اعترى سابقتها من فقد متقطع لأجزاء من النص، وبلى في بعض الصفحات، فورها جيّد سالم من التمزيق والخروم؛ لذا فقد أفادتني في فك بعض غوامض النسخ الأخرى كما أسهمت في إكمال ما اعترى تلك النسخ من نقص في النص. وقد رمزت لها بالحرف (ر).

الفرع الرابع

نسخة المخطوطة الرابعة

نسخة ثانية عتيقة محفوظة في دار الكتب الوطنية في موريتانيا، تحت الرقم (2107)، وليست إلا صنوًا للنسخة الثالثة المذكورة آنفاً، تشاركها صفاتها جميعاً، وتؤدي الدور الذي أدّته في التوضيح والإكمال؛ غير أن الفرق الجوهرية بينهما هو أن هذه النسخة يتضح أنها ملفقة من نسختين، تنتهي أقدمهما - كما يتضح من نوع الورق الذي كتبت عليه - بالمثال الذي أورده المؤلف لأداة نصب المضارع (إِذَنْ) ليكون ما بعد ذلك مكتوباً بخط مختلف على ورق مسطر مغاير لسابقه؛ يضاف إلى ذلك غياب ما بين الموضع السابق من الكتاب، وبين الشطر الثاني من البيت الأول الذي أورده المؤلف مثلاً على العَرَض بوصفه قِسْماً من أقسام الطلب؛ وذلك في معرض حديثه عن كون الفاء السببية وواو المعية يُنصب المضارع بعدهما على المشهور. وبذلك يتضح أن ما غاب من الكتاب يقدر بصفحة واحدة تقريباً.

وقد كتبت هذه النسخة بخطوط مختلفة وألوان عديدة، فمرةً بمداد أسود ومرةً بمداد بني قاتم ومرةً أخرى بني يميل إلى السواد، وأما العناوين والشواهد الشعرية فكتبت بالأحمر تارة، وبالأزرق وبالأخضر تارة أخرى، وأما متن الآجرومية والشواهد الشعرية، فكتب باللون البرتقالي. ولعلّ هذا الاختلاف في الخطوط والأشكال عائد إلى ما درج عليه تلاميذ المحاضر من الاشتراك في نسخ متن معين؛ ليتشاركوا الانتفاع به في دراستهم المحظرة.

ويقع الجزء الأول من هذه النسخة في ثماني صفحات من الحجم المتوسط، وقد كُتب بخط مغربي واضح، غير أن ورقه أصابته الأرضة والبلى فتخرمت أجزاء كثيرة منه.

أما الجزء الأخير من هذه النسخة فيقع في خمس عشرة صفحة مسطرة سالمة من التمزيق والخروم؛ ويُستشفُّ من جودة أوراق هذا الجزء وكونها مسطرة أنه قد كُتب في وقت أحدث من سابقه، إذ إن الورق المسطر حديث العهد نسبيا في موريتانيا مقارنة بما كان موجودا من أنواع الورق الأخرى التي كُتب عليها الجزء الأول، يضاف إلى ذلك ما أصاب أوراق الجزء الأول من خروم وتمزيق سلم منها ورق الجزء الأخير. والجزء الثاني من هذه النسخة مكتوب بخط مغربي كذلك إلا أنه تصعب قراءته بسبب صغر حجم حروفه وعدم عناية الناسخ بوضوحها.

ويوجد في الجزئين ترقيم حديث للصفحات يبدأ في الأول من الرقم (1) وينتهي بالرقم (8)، بينما يبدأ في الجزء الأخير من الرقم (9) وينتهي بالرقم (23) على الصفحة الأخيرة. ويتراوح عدد أسطر صفحات جزئها الأول بين 21 و 23 سطرا، أما جزؤها الأخير فتتراوح أسطر صفحاته بين 35 و 38 سطرا.

ويتميز الجزء الأخير من هذه النسخة بكثرة الإسقاط، والحذف والتصحيح، والتحريف، فالظاهر أن الناسخ لا مساس له بالعلم ألبتة، فقد كان يرسم الكلمات فقط دون فقه لمعناها، وقد يصحف الفاء قافا، والنون باء، وعنه منه، وبه له، أما الكلمات التي لها رسم الكلمة وليس لها مدلولها فحدث عنها ولا حرج، ناهيك عن الحذف والزيادة، وانتقال النظر، مما يجعل النص مبتورا تلسع المحقق قراءته. وعلى العموم فهي نسخة رديئة ليس فيها نفع إلا في جملتها، وقد رمزت لها بحرف (و).

الفرع الخامس

نسخة المخطوطة الخامسة

وهي النسخة الأحدث المتداولة بين طلاب محاضر منطقنا حتى الآن، ويعود تاريخ نسخها إلى سنة 1407هـ - 1987م، وقد أمدني بها أخي الأكبر عبد الرحمن (الناحسين) ولد الخليل ولد أحمد، الذي تملكها بهبة من السيد الفاضل ابن الأفاضل أحمد ولد الشيخ سيدي محمد ولد داداه. وتقع هذه النسخة في أربعين صفحة مسطرتها ما بين 23 و 25 سطرا، ورقها جيد لم تصبه الأرضة ولا البلى ولا الخروم. وخطها مغربي واضح، وكتبت بمداد أسود، ومُيزت فيها رؤوس العناوين ومتن الآجرومية بخط غليظ، وتتضمن التعقيبة لترتيب الصفحات. وعلى الرغم من كونها ليست قديمة حيث نسخت "منتصف يوم السبت لثمان بقين من ذي القعدة سنة سبع وأربعمئة وألف هجرية، الموافق 18-7-1987م" فقد استفدتُ منها استفادة عظيمة بسبب ما تميزت به من تصحيح وتصويب ودقة الناسخ وضبطه، وقلة الأخطاء والتصحيح والتحريف والإسقاط؛ لذا اعتمدتُ عليها كثيرا في تصحيح النص وتقويمه وفي إكمال ما فُقد في النسخ الأخرى من نص الكتاب. وتعدّ هذه النسخة متصلة السند بالمؤلف باعتبار أن مصدرها (محظرة أهل داداه) التي هي امتداد طبيعي للإشعاع العلمي للشيخ سيدي الكبير، فمؤسس هذه المحظرة العريقة هو الشيخ سيدي محمد ولد الداه (سيديا) ولد داداه (أحمد محمود) ولد المختار ولد الهيبة، حفيد شقيق مؤلف الكتاب الذي نحن بصدد دراسته وتحقيقه، وكان هو ووالده وعمّاه المختار ومولود من أخص خلق الله بالشيخ سيدي الكبير⁽¹⁾. والشيخ سيدي محمد ولد داداه أخذ

1- راجع: كتاب الأخبار، ج 1، ص 234. وكذلك ج 2، ص 9.

عن ابن عمه الشيخ سيدي محمد ولد الشيخ سيديا⁽¹⁾، وقد شهد الشيخ سيدي محمد ولد داداه وهو صغير إنشاء الشيخ سيديا الكبير قصيدته الاستسقاءية التي مطلعها (يا واسع الرحمات يا فتاح) فحفظها وكان يُسمعها الشيخ سيديا فيسُرُّ به ويُثيبه عليه بما يثاب به الأطفال حينها⁽²⁾. وقد رمزت لهذه النسخة بحرف (م).

ومع إعطاء الأسبقية للنسخة (أ) لأقدميتها، فهذه النسخ الخمس لا يمكن القول إن إحداها بعينها هي الأصل المعتمد، إنما كتبتُ ما أثبتُّ منها مجتمعة، وذلك لأسباب منها:

- أن بعضها قد تلفت منه بعض السطور فلا تمكن قراءتها بسهولة.
 - أن بعضها لا يظهر فيه بوضوح التمييز بين النص وشرحه.
 - أن كثرة الحواشي والزيادات واختلاف اتجاه كتابتها وتقارب الإشارات التي ترمز إلى محل تفريعها، تجعل الباحث لا يستطيع الجزم بأن حاشية في نسخة أو زيادة في أخرى أهي من وضع المؤلف أم وضعها الناسخ.
 - اختلاط الطرر بالحواشي في بعض النسخ.
- وعلى الرغم من كل ذلك فلم أدخر جهدا في تحري الصواب، وذكر ما بين النسخ من تخالف.

1- راجع: بلاد شنقيط.. المنارة والرباط، ص 513.

2- راجع: كتاب الأخبار، ج 2، ص 157.

الفرع السادس

نماذج مصورة من النسخ الخمس

الصفحات الآتية تشتمل على نماذج من المخطوطات التي اعتمدت عليها في تحقيق الكتاب، مرتبة حسب تسلسلها المذكور آنفاً؛ وحالها يوضح جانباً من الصعوبات الجمة التي ستعترض من يتصدى لفك غوامضها. وعلى العموم فأغلبها نسخ صعبة المنال، تحمل القارئ فيها على الإملال، ولكن الله ذللها لي فمشيت في مناكبها وغذيت بدرها، ولله الحمد.

المبحث الثاني

المنهج المتبع في التحقيق

انطلاقاً من أن الهدف من التحقيق هو إخراج النص المخطوط في صورة هي أقرب ما تكون إلى الصورة التي وضعه عليها مؤلفه، فلم أدخر وسعا ولم أبخل بجهد أو وقت في تحقيق هذا النص، وإخراجه بالصورة التي تليق به وبسمعة مؤلفه، فلم أتدخل إلا في ما كان من رسم الناسخ، وأما ما كان من اقتراح يتصل بنقص أو زيادة أو تعديل فقد أشرت إليه في المتن وفصلته في الحواشي، مراعيًا بذلك الأمانة والحذر في تقديم النص كما هو أصلاً، ولعل ذلك أشد صعوبة من بناء نص جديد.

فبعد جمع النسخ التي ذكرت آنفاً، وقراءة تلك النسخ ودراستها، ومقابلة بعضها مع بعض، واعتمادها في نقل النص وكتابته؛ عملت على تحقيق النص مراعيًا في ذلك القواعد المتبعة في تحقيق النصوص التراثية ومعتمداً المنهجية التالية:

1. كتبتُ متن الآجرومية بالحرف المعتاد مغلظاً، وكتبتُ نص الشرح بالحرف المعتاد دون تغليظ.

2. كتبتُ النص كما ورد في الأصل دون أي تغيير؛ إلا ما جاء مخالفاً للقواعد الإملائية أو مخالفاً للقواعد النحوية في الشكل، لأن هذا من عمل الناسخ ولا يعبر عن علم المؤلف، وقد أشرت إلى الأصل في الحاشية.

3. عملتُ على إخراج نصوص الكتاب وفق الرسم الحديث، وطريقة الكتابة العصرية فغيّرت في بعض الأحيان شكل الكلمات عن الشكل الذي وردت مكتوبة به في نُسخ المخطوط.

4. قسمت النص إلى مفردات وجمل متكاملة الدلالة، مما يعين على توضيح مفاده، مستعينا باستخدام علامات الترقيم المناسبة كالنقطة والفاصلة،

- وعلامات التعجب والاستفهام، والفاصلة المنقوطة.. وغير ذلك من علامات الترقيم التي تساعد في إبانة المعنى المقصود.
5. تقويما للنص وحرصا على الفائدة؛ فقد أدخلت ما كان على هامش المخطوط في صلب الكتاب، وأشارت إلى ذلك في الحاشية، فالذي يغلب على الظن أن معظمها سقط من الناسخ ثم استدركه، وبعضها لتمام الفائدة.
6. تسهيلا لقراءة النص وفهمه ميّزت عناوينه الأصلية فجعلتها بخط أكبر حجما، وضبطت معظم نصّي الآجرومية والنفحة القيومية؛ مسترشداً بأنه "لا يُشكّل إلا ما يُشكّل"، على الرغم من أن كل مقروء أضحي مُشكِلا لدى أغلب أبناء اليوم.
7. ابتعدت عن تقييد الواضح الذي لا يلتبس، وحرصتُ على التعليق على النص بما يزيل اللبس ويناقش الرأي.
8. ميزتُ الآيات القرآنية وضبطتها بالشكل، وأحطتها بمعقوفين هكذا ﴿...﴾ وذكرْتُ في الهامش اسم السورة ورقم الآية؛ كما أشارت إلى القراءات الواردة فيها بالرجوع إلى كتب القراءات والتفسير، إذا كان موضع الشاهد يمتُّ بصلة إلى قراءة معينة.
9. ميزتُ الحديث الشريف وجعلته بين ظفرين هكذا {...} وخرّجته ما استطعت، دون التعرض لدرجته غالبا. مع ذكر مختلف الروايات إن وجدت، وقد أقتصر على رواية واحدة إذا كان غيرها من الروايات لا يحتوي على موضع الشاهد من الحديث، وإن لم أجد رواية الشرح في كتب الأحاديث الصحيحة ألجأ إلى أقرب رواية له، مع التنبيه إلى ذلك.
10. بما أن هذا الكتاب جامع حقا لأغلب موضوعات النحو، بأسلوب أصيل، مع فهم عميق لمدلول النصّ والشاهد، فقد خرّجت الأشعار الواردة فيه وعزوتها إلى قائلها ما أمكنني ذلك، ورددتها إلى أماكن وجودها، كما أتممت الأبيات التي وردت أنصافا، مع ضبط حروف الأبيات وشرح موطن

الشاهد من كل بيت والتعليق عليه إن كان ذلك ضروريا، وأحيانا أشير بإيجاز إلى مناسبة القصيدة التي ورد فيها الشاهد وأشرح الغامض من مفرداته وأشير إلى رواياته المتعددة - إن كان له أكثر من رواية - كما أشير إلى اختلاف نسبه إن كان منسوباً إلى أكثر من قائل.

11. ذكرتُ محل الشاهد من الأبيات الشعرية خاصة، على أنني إنما أركز غالبا على ما أوردها له المؤلف، ولو كان غيره استشهد بها لغير ذلك، وقد يكون في البيت شاهدان، فأدلل عليهما أو أكتفي بواحد منهما، وقد أعرب ما ظهر لي أنه يحتاج إلى الإعراب من البيت غير موطن الشاهد.

12. دلت أثناء تخريج الشواهد الواردة في المخطوط على أماكن المسائل النحوية المتصلة بها في أمّات كتب النحو، كما ذكرت المصدر النحوي الذي استشهد بالبيت، وإذا تعددت المصادر ذكرت أكثرها.

13. تعرضت في الهامش - كذلك - لمسائل نحوية إما بذكر جانب الخلاف الذي طواه المصنف والشارح فلم يذكرها، وإما لتوضيح معنى رأيت أنه غامض، وإما بذكر إعراب كلمة يفيد ذكر إعرابها معنى زائدا، وإما بذكر طُرف ونوادير نحوية، مع مراعاة الاختصار في كل ذلك. وقد استحوذ التحقيق على الجانب الأكبر من تلك التعليقات، على الرغم من سعيي إلى عدم إثقال الحواشي بها.

14. شرحت ما ظهر لي أنه غامض من معنى البيت، ومزجت بين الرأي النحوي، والذوق الأدبي، وربما رجّحت الذوق الأدبي على الصنعة النحوية؛ لأن الذوق الأدبي هو الدافع إلى التعبير أو هو الموجه له.

15. ترجمت للأعلام الذين وردت أسماؤهم ودلت على أماكن ذلك في كتب التراجم، واقتصرت على ترجمة العلم مرة واحدة لدى أول ورود لاسمه، ورددت سائر المرات عليه.

16. اخترت كتابة (سيديا) في اسم المصنف بالألف، خلافا لأصلها اللغوي (سَيِّدِي)؛ وذلك رغبة مني في التمييز بين أسماء العائلات الموريتانية التي يتقارب شكل كتابة أسمائها حدّ التطابق إن غاب التشكيل. ثم وفاء لتاريخية أسماء الأعلام المحليين لذا توخيتُ رسمها بأقرب طريقة ممكنة إلى نطقها، وذلك بدلا من كتابة ترسم بدل العلم العامي أصله الفصحى، فتلغى بذلك التطور اللغوي وتطمس معالم المجتمع المحلي الذي نسعى إلى تسجيل تاريخه.

17. عدلت - أيضا - عمّا درج عليه الباحثون قبلي، من ربط بين أسماء الأعلام الموريتانيين وأسماء آباء أولئك الأعلام بواسطة كلمة "ابن"، مخالفين بذلك ما جرت عليه عادة الموريتانيين أنفسهم من استخدام لكلمة "ولد" في أسمائهم؛ لذا فقد ربطتُ أسماء الأعلام المحليين بآبائهم مستخدما لفظ (ولد)، ولم أخرق ذلك إلا في حالات نادرة تقتضيها الطبيعة الوضعية لبعض تلكم الأسماء.

المبحث الثالث

نص كتاب "النفحة القيومية" محققاً

واضح من التسمية التي أطلقها الشيخ سيديا - رحمه الله - على كتابه أنه أرادته شرحاً شاملاً لكل جوانب المقدمة الآجرومية؛ لغةً وشواهدً واصطلاحات وتأويلات وتصحيحات واحتمالات. ونلاحظ في هذا السياق اعتناؤه بنقل الأحكام والتعليقات والتوجيهات أكثر من الإسناد، ولعل ذلك راجع إلى الأسباب الآتية:

- طبيعة الرواية في ذلك الوقت التي لم تعتد على النسبة.
- اشتها هذه الأقوال مما يضعف الحاجة إلى نسبتها لقائل.
- أن هذه الأقوال ليست لشخص بعينه، بل هي لغة عامة العرب، أو طائفة منهم، فلا يمكن أن تنسب لشخص بعينه.

وبما أن هذا الشرح الذي كان واحداً من المقررات الأساسية لتدريس النحو في المحاضر الموريتانية خلال القرنين الماضيين لم يعد موجوداً من نسخته إلا القليل، وأقل من ذلك ما هو متداول، مع أنه آخذ في الانقراض؛ فقد وجدتُ أن واجب الحفاظ على هذا التراث العلمي الثمين يحتم علي الخوض في غمار لججه تحقيقاً ودراسة، إذ إن نُسخ الشرح المخطوطة لا تتيح للقارئ والمحقق بغيتهما من هذا الكتاب القيم فقد كثرت فيها الأسقاط وعظمت، بسبب الناسخين الماسخين الذين لا يميزون بين التاء والنون⁽¹⁾، يُضاف إلى ذلك أن الطريقة التي كُتبت بها هذه النسخ

1- حكى المنذر بن سعيد، قاضي الأندلس، قال: لقيت يوماً ابنَ النحاس بمصر، في مجلسه، فألفيته يملئ شعر قيس بن معاذ المجنون، فأنتهى إلى قوله:

لم تعد مألوفة لدى أبناء هذا العصر. فكانت الحاجة إلى مقارنة جيدة لهذه المخطوطات، حتى يخرج النص على ما أراده مؤلفه؛ وبذلك يتضح جليا أن أسلافنا العلماء قد أبلّوا بلاءً حسناً في خدمة اللغة العربية والاهتمام بها، على الرغم من شحّ الإمكانيات التي كانت متاحة لهم حينها، لكنها العزيمة وعلوّ الهمة اللذان تحلّى بهما أولئك الأفذاذ المتفانون في حب هذه اللغة.

وتالياً تحقيقُ كتاب (النفحة القيومية بتقرير الآجرومية):

خليلي هل بالشام عينٌ مريضةٌ بُكّي على نجدٍ لعلّي أُعِينُها
قد اسلمها الباكون إلا حمامةً مطوقةً باتت وباتَ قرينُها

فقلت: باتا يفعلان ماذا، أعزك الله! قال لي: وكيف تقول أنت يا أندلسي؟ فقلت: باتت وبان قرينها. فسكت". راجع: تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر التنوخي المعري (المتوفى: 442هـ)، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة - 1992، ص34.

وفي القصة تسلية لنا نحن معاصر الناسخين الماسخين، فكثيرا ما نقوم بالنسخ قبل التثبت من سلامة المنسوخ من الأخطاء، فنقع في المحذور. و(الناسخون الماسخون) عنوان مقال لأديب العربية الكبير أبي فهر محمود محمد شاكر، نشره سنة 1927 في مجلة الزهراء لصاحبها محب الدين الخطيب.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم⁽¹⁾.

1- الواو زيادة من (أ). وفي (ج) "صلى الله على نبيه محمد وآله وصحبه وسلم". وفي (ر) و(و) زيادة "مبارك الابتداء ميمون الانتهاء". وانفردت (ر) بزيادة "عونك يا معين، وبك نستعين".

النَّفْحَةُ الْقِيُومِيَّةُ بِتَقْرِيرِ الْآجُرُومِيَّةِ⁽¹⁾، لِعُبَيْدِ رَبِّهِ، الْمُسْتَغْفِرِ مِنْ ذَنْبِهِ وَسَيِّئِ كَسْبِهِ؛
سَيِّدِي⁽²⁾ بَنِ الْمُخْتَارِ بْنِ الْهَيْبِ⁽³⁾ الْإِنْتِشَائِي، كَانَ اللَّهُ لِلْجَمِيعِ وَلِيًّا وَنَصِيرًا،
آمين⁽⁴⁾.

1- ورد في (و) "هذه النفحة القيومية بتقرير الجرومية"، وفي الأخريات "النفحة القيومية بتقرير الجرومية"؛ ولذا اعتمدتُ لفظ "تقرير" لما له من معنى معجمي دالٌّ على أنه بيان تُشرح فيه مسألة أو قضية أو تفاصيل حادث أو نتائج دراسة ما. كما رجّحتُ مدَّ همزة "الآجرومية" استئناسا بالأصل الصنهاجي لابن آجروم، وفي لغتهم أن (آ) علامة دالة على التذكير؛ مقابل (تا) الدالة على التأنيث. يُضاف إلى ذلك ما أوردناه في القسم الأول من أن المصادر المعتمدة في تراجم الأعلام قد ضبطت اسم ابن آجروم ضبطا لا لبس بعده في كون همزته ممدودة.

2- كان مما يزري بالمروءة حينها أن يضيف الشخص إلى نفسه أي صفة تمجيد، ولذا فلم يُؤثر عن أي من سلسلة والدينا المشايخ أنه كتب لفظ (الشيخ) في اسمه؛ فلا الشيخ سيدي الكبير كتبها، ولا ابنه الأوحّد خليفته كتبها، ولا حفيدها فعلا.

3- في الأصل "الهيّب" هكذا، وقد أضفتُ هاء السكت في آخرها كما فعلتُ ببعض الكلمات التي تنتهي بفتحة لا يوقف عليها سكونا، مثل: بابّه - ولاتّه - تندوجه - امّامّه...

4- في (ج) "لفقير مولاه، الراجي عفوه ورحمته ورضاه، الخديم المليم المختاري المحمدي؛ سيديّ بن المختار بن الهيّب الانتشائي، غفر الله له ذنوبه وستر عيوبه، وكان للجميع بجاه محمد الشفيع". وفي (ر) زيادة "يارب العالمين" بعد قوله "آمين".

الكَلَامُ فِي اصْطِلَاحِ النَّحْوِيِّينَ⁽¹⁾ عِبَارَةٌ عَمَّا⁽²⁾ اجْتَمَعَتْ فِيهِ هَذِهِ الْقِيُودُ
الْأَرْبَعَةُ الْمُشَارُّ إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ: هُوَ اللَّفْظُ⁽¹⁾، أَيِ الصَّوْتِ الْمُنْقَطِعِ مِنَ اللِّسَانِ،

1- فضّل الشارح النسبة إلى النحو بدلا من الوصف به، فقال (اصطلاح النحويين) ولم يقل (اصطلاح النحاة)، وكلا اللفظين صحيح. غير أن من النحويين من رأى أن المراد بالنحاة أهل النحو الاصطلاحي، ومن قال: هو جمع نحوي، فإن قصد المعنى فصحيح، وإن قصد الصناعة ففساد. والنحاة جمع "ناح"، يقال: نحا ينحو - أي قصد يقصد - فهو ناحٍ، وفاعل الوصف المعتل اللام يجمع على "فُعَلَة" نحو: رامٍ ورماة، وغازٍ وغزاة، والأصل: ثَحْوَةٌ وَغُرْوَةٌ وَرُمِيَّةٌ، فتحرك حرف العلة وانفتح ما قبله، فقلبت الواو والياء أَلْفًا.

2- تُكْتَبُ (عَمَّا) متصلة عندما تكون (ما) زائدة وليست اسماً موصولاً بمعنى (الذي)، وقد رُسمت هنا متصلة التزاماً بصورة كتابتها في رسم المصحف، فقد ورد الوصل مع (ما) الموصولة في عدة مواضع من كتاب الله العزيز؛ نحو قوله تعالى ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة 113]، وقوله تعالى ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة 234]، وقوله تعالى ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال 68]، ونحو ذلك .. وقد ظلَّ الرسم المصحفي خلال القرون الأولى معياراً يلتزمه كثير من الكتّاب في رسم الكلمات، فما يسمى اليوم بالإملاء هو علم الرسم الذي نشأ بعد كتابة المصحف وهو مرتبط بخطه ومعتمد عليه.

ويشكل هذا الالتزام بالرسم المصحفي ظاهرة ستتكرر معنا كثيرا في تحقيق هذا الكتاب؛ لذا فسأكتفي بمناقشة الأمر هنا دون أن أتوقف عند كل حالة على انفراد. ذلك أن هناك علاقة وطيدة بين ما نكتب به الآن من الكتابة العربية، وبين رسم المصحف، على الرغم من تحدث كثير من القدماء والمحدثين بأسلوب يوحى أن هناك انفصلاً وتباعداً بينهما، حتى ردّ بعضهم مقولة ابن درستويه: "خَطَّانٌ لَا يُقَاسُ عَلَيْهِمَا: خط المصحف، وخط تقطيع العروض ... ووجدنا كتاب الله - جلّ ذكره - لَا يُقَاسُ هِجَاؤُهُ، وَلَا يَخَالَفُ خَطُّهُ، وَلَكِنَّهُ يُتَلَقَّى بِالْقَبُولِ عَلَى مَا أُودِعَ الْمَصْحَفُ"، وقد أدى التسليم بهذه المقولة إلى جعل الاصطلاح في الكتابة على ثلاثة أنحاء: اصطلاح العروض، واصطلاح كتابة المصحف، واصطلاح الكتّاب في غير هذين. والحق أن هناك التباساً وقع فيه كثير من الدارسين، حين نظروا إلى الرسم

المُشْتَمِلُ عَلَى بَعْضِ الحُرُوفِ الهِجَائِيَّةِ الَّتِي أَوَّلُهَا الأَلِفُ وَآخِرُهَا اليَاءُ. وَاحْتَرَزَ بِاللَّفْظِ مِنَ الحَطِّ⁽²⁾، وَالْإِشَارَةِ، وَحَدِيثِ النَّفْسِ، وَمَا يُفْهَمُ مِنْ حَالِ الشَّيْءِ؛ وَإِنْ

العثماني من خلال القواعد التي وضعها علماء العربية، واعتقدوا أن الكتابة العربية كانت قبل منتصف القرن الهجري الأول على نحو ما نجده في كتب علماء العربية عن الهجاء، ومن ثم اعتبروا ما جاء في الرسم العثماني من ظواهر كتابية خروجًا على تلك القواعد، واعتبرها بعضهم خطأ، واكتفى آخرون بالقول بأن الرسم لا يقاس عليه ولا يخالف؛ فكل ما نجده في الرسم العثماني من ظواهر كتابية إنما كان يستعمله الكتاب في كل ما يكتبون، لكن الفجوة بين ما نجده في الرسم وما يستعمله الكتاب أخذت تتسع كلما تقدمت السنون، حتى وضع علماء العربية القواعد واستقرت الكتابة على ما نجده في كتبهم. إلا أن الذي يجب أن يبرز هنا هو أن فجوة الاختلاف بين ما استقر عليه الإملاء العربي وبين ما نجده في رسم المصحف لم تكن كبيرة جدًا بحيث يسوغ الحديث عن نظامين أو ثلاثة. راجع: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة - 1957، ج1، ص376. ورسم المصحف.. دراسة لغوية تاريخية، غانم قدوري الحمد، اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، بغداد - 1982.

1- وردت كلمة (هو) في (ج) سابقة لهذا المحلّ، فقد جاءت بعد عبارة الشارح "في اصطلاح النحويين" وقبل قوله "عبارة عمّا اجتمعت".

2- وردت العبارة في (ج) بلفظ "احترازًا من الخط".

كَانَ يُطْلَقُ عَلَيْهَا الْكَلَامُ لُغَةً. كَقَوْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا⁽¹⁾: [مَا بَيْنَ دَفْتِي
الْمُصْحَفِ كَلَامُ اللَّهِ]⁽²⁾، وَقَوْلِهِ:

إِذَا كَلَّمْتَنِي بِالْعُيُونِ الْفَوَاتِرِ رَدَدْتُ عَلَيْهَا بِالذُّمُوعِ الْبَوَادِرِ⁽³⁾
وَقَوْلِهِ:

إِنَّ الْكَلَامَ لَفِي الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الْفُؤَادِ دَلِيلًا⁽⁴⁾
وَقَوْلِهِ:

1- هي الصّديقة بنت الصّديق، أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر، لم يتزوج الرسول (ﷺ) بـ
بكرًا غيرها. روت عنه (ﷺ) ألفين ومائتين وعشرة من الأحاديث، توفيت بالمدينة سنة 58
هـ ودفنت بالبقيع. راجع: الصّديقة بنت الصّديق، عباس محمود العقاد، شركة نهضة مصر
للطباعة والنشر، مصر - 2005.

2- راجع: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين
الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت - 1985، ج 8، ص 188. ومن ذلك أيضا قولهم:
(القلم أحد اللسانين) وقد أورد الميداني هذا المثل بقوله: "القلم أحد الكاتبين". راجع:
مجمع الأمثال، أحمد بن محمد الميداني، دار صادر - بيروت، ط 1، 2002م، ج 2،
ص 624.

3- ينسب إلى إبراهيم بن المهدي. راجع: الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، دار
إحياء التراث العربي، بيروت - 2000، ج 6، ص 75.

4- ورد في هامش (ج) بعد هذا البيت بيت آخر يدل على أن حديث النفس كلام؛ إلا أنني
لم أثبتة هنا لكونه بخط وممداد مغايرين، فلكانه طرّة وُضعت لاحقا بهدف التوضيح والشرح.
والبيت المثبت منسوب إلى الأخطل غياث بن غوث بن الصلت. راجع: شرح شذور الذهب
في معرفة كلام العرب، عبد الله بن يوسف ابن هشام النحوي، دار إحياء التراث العربي،
بيروت - 2001، ص 19.

شَكَا إِلَيَّ جَمَلِي طُولَ السَّرَى مَهْلًا رُوَيْدًا فَكَلَانَا مُبْتَلَى (1)

الْمُرْكَبُ مِنْ كَلِمَتَيْنِ فَأَكْثَرَ تَرْكِيبًا إِسْنَادِيًّا، كَقَامَ زَيْدٌ. وَمِنْهُ أَنْ تَكُونَ الْكَلِمَةُ الْوَاحِدَةُ فِي قُوَّةِ كَلِمَتَيْنِ، كَقُمْتُ، وَأَقُومُ (2)، وَيَا زَيْدُ؛ فَإِنَّهَا فِي قُوَّةِ (3): قُمْ أَنْتَ، وَأَقُومُ (4) أَنَا، وَأَدْعُو زَيْدًا (5)؛ وَكَذَلِكَ "نَعَمْ" وَ"بَلَى" لِكَوْنِهِمَا فِي قُوَّةِ جُمْلَةِ الْجَوَابِ (6).

1- وردت كلمة "شكا" في كل من (أ) و(ج) و(ر) بألف قصيرة، كما وردت كلمة "مبتلى" في (أ) و(ر) بألف طويلة. كما وردت في (ج) و(و) "صبرا جميلا" مكان "مهلا رويدا". وقد جاء الشطر الثاني بصيغة: صبرا جميلي فكلانا مبتلى. راجع: لسان العرب، ج 14، ص 440.

2- ورد في (ج) "وقمْتُ" بدلا من "وأقوم".

3- ورد في (ر) سبق قلم من الناسخ فكتب "في قوة جملة الجواب" ثم تنبه إلى خطئه فوضع خطأ على "جملة الجواب" تنبيها إلى حذف العبارة من السياق الذي أوردها فيه.

4- ورد في (ج) "وقمْتُ أنا" بدلا من "وأقوم أنا".

5- ورد في كل من (ج) و(ر) و(و) "وادعوا" بصيغة الأمر، وموضع الكلمة من (أ) منطمس؛ والصواب أن الصيغة الصحيحة في تفسير النداء هي صيغة المضارع (أدعو).

6- ممن قالوا بالتركيب المقدر في جملة الجواب، محمد بن طلحة الإشبيلي (ت 618هـ). فإذا قلت: (نعم) في جواب: هل ذهب زيد؟ فإن التقدير: نعم، ذهب زيد. وممن ذهب إلى ذلك أيضا ابن فلاح اليميني الذي قال: "وأما نحو (صه) فإنما أفاد بالنظر إلى مسماه فإنه مركب تقديرًا" لأن (صه) بمعنى اسكت، وفيها فاعل مستتر تقديره: أنت. راجع: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة - 2001م، ج 1، ص 33. والمغني في النحو، منصور بن فلاح اليميني، تحقيق: عبد الرزاق عبد الرحمن السعدي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد - 1999، ج 1، ص 71.

وَاحْتَرَزَ⁽¹⁾ بِالْمُرَكَّبِ⁽²⁾ تَرْكِيبًا إِسْنَادِيًّا مِنْ: الْمُفْرَدِ كَزَيْدٍ، وَالْمُرَكَّبِ تَرْكِيبٍ إِضَافَةٍ كَعَبْدِ اللَّهِ، أَوْ تَرْكِيبٍ مَزْجٍ وَهُوَ أَنْ تَنْزَلَ الْكَلِمَةُ مِمَّا قَبْلَهَا (مَنْزِلَةٌ تَاءِ التَّأْنِيثِ مِمَّا قَبْلَهَا)⁽³⁾ كَبَعْلَبِكَ وَحَضْرَمَوْتَ⁽⁴⁾.

الْمُفِيدُ فَائِدَةً (يَحْسُنُ الشُّكُوتُ)⁽⁵⁾ عَلَيْهَا بِحَيْثُ لَا يَصِيرُ السَّامِعُ مُنْتَظِرًا لشيءٍ آخَرَ؛ (وَاحْتَرَزَ بِهِ مِنْ غَيْرِ الْمُفِيدِ)⁽⁶⁾ كَالسَّمَاءِ فَوْقَنَا، وَالْأَرْضِ تَحْتَنَا، وَالنَّارِ حَارَّةً. وَمِنْ الْمُفِيدِ فَائِدَةً لَا يَحْسُنُ الشُّكُوتُ عَلَيْهَا: كَإِنْ قَامَ زَيْدٌ، وَإِذَا قَدِمَ عَمْرُو⁽⁷⁾.

- 1- ورد في (ج) "احترازا من المفرد كزيد".
- 2- خرجت على ناسخ (أ) لفظة "بالمركب" فاستدركها في الهامش، ولربما لم يستدرك كل ما خرج بدليل عدم ورود "تركيبا إسناديا" بعدها؛ وهو ما لا يستقيم المعنى دونه. وفي (ج) غابت كذلك عبارة "بالمركب تركيبا إسناديا" اللازمة للمعنى، فلكانها سقطت سهوا.
- 3- ما بين القوسين ساقط من (و).
- 4- بعلبك: بفتح الباء وسكون العين وفتح اللام وتشديد الكاف، مدينة قديمة بينها وبين دمشق ثلاثة أيام، وهي اليوم من مدن لبنان الكبيرة. راجع: **معجم البلدان**، ج 1، ص 453.
- وحضرموت: بفتح الحاء وسكون الضاد وفتح الراء والميم، مركب من اسمين؛ مدينة شرقي عدن في اليمن. المرجع السابق، ج 2، ص 269.
- 5- موضع ما بين القوسين منطمس من (أ). وبعده في (و) سبق قلم استدركه الناسخ فحذفه بوضع خط عليه.
- 6- موضع ما بين القوسين منطمس من (أ)، والعبارة من (م)؛ بينما وردت في (ج) بلفظ "احترازا من غير المفيد".
- 7- واو عمرو موضوعة للتمييز بين (عمر) الممنوع من الصرف، و(عمرو) المنصرف. فإذا كتبنا: (رأيتُ عمرا)، بالألف بعد الراء، فمن الواضح أن المقصود هنا (عمرو)، فتلفظ العبارة هكذا: (رأيتُ عمروًا) بالتنوين. ولو كان (عمر) هو المقصود، لكتبنا: (رأيتُ عمر)، من غير ألف بعد الراء، ويكون اللفظ حينئذ: (رأيتُ عمرَ)، من غير تنوين. ولهذا السبب، يتعين الإبقاء على واو (عمرو)، إذا كان منصوبا غير منون؛ لأن حذف الواو هنا يؤدي إلى التباسه ب(عمر).

بِالْوَضْعِ أَيُّ بِالْقَصْدِ بِأَنْ يَقْصِدَ الْمُتَكَلِّمُ⁽¹⁾ إِفَادَةَ السَّامِعِ؛ اخْتِرَازًا مِنْ كَلَامِ السَّاهِي
وَالنَّائِمِ، وَهَذَيَانِ الْمَرِيضِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ⁽²⁾.

ومن ذلك حالة الوصف بـ(ابن)، نحو: (رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ). وكذلك حالة الإضافة إلى اسم ظاهر، نحو: (رَأَيْتُ عَمْرَو الْخَيْرِ)، إذا سُمِّيَ شخص مَّا بهذا الاسم، على غرار (زيد الخير) وهو الاسم الذي أطلقه الرسول ﷺ على صحابي جليل كان يُدعى قبل إسلامه (زيد الخيل).

1- يوجد طمس في (أ) بدءًا من قوله في الفقرة السابقة "والأرض تحتنا" وختمًا بقوله "بأن يقصد المتكلم".

2- من القائلين بذلك ابن مالك، ونقله السيوطي عن خلائق. راجع: شرح التسهيل، محمد ابن مالك، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، وطارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 2001م، ج1، ص13. والمساعد على تسهيل الفوائد، عبد الله ابن عقيل، تحقيق: محمد كامل بركات، جامعة أم القرى، مكة المكرمة - 2001م، ج1، ص5. وهمع الهوامع، ج1، ص30.

وَأَقْسَامُهُ (أَيُّ أَجْزَائِهِ الَّتِي يَتَرَكَّبُ مِنْهَا) ⁽¹⁾ ثَلَاثَةٌ: اسْمٌ، وَفِعْلٌ، وَحَرْفٌ جَاءَ
لِمَعْنَى ⁽²⁾؛ فَالِاسْمُ ⁽³⁾ يُعْرَفُ بِالْخَفْضِ ⁽⁴⁾ وَالْمُرَادُ بِهِ الْكَسْرَةُ الَّتِي يُحْدِثُهَا عَامِلٌ

1- ما بين القوسين ساقط من (ج).

2- أقسام الكلام ثلاثة لا رابع لها؛ لأن هذه الثلاثة يُعَبَّرُ بها عن جميع ما يخطر بالبال،
ويُتَوَهَّمُ في الخيال. وبيان الحصر أن الكلمة الملفوظ بها الموضوع لمعنى مفرد إن أُخبر
عنها وبها فهي الاسم، أو يخبر بها فقط فهي الفعل، ولا يخبر بها ولا عنها فهي الحرف؛
وقد قُدِّمَ الاسم لسموه، أي: علوه على قسيميه بالإخبار به وعنه، وأعقبه الفعل لأنه ركن
للإسناد، وأُخِّرَ الحرف لعدمهما فيه، ولأن معناه في اللغة الطَّرْف. راجع: لسان العرب، مادة
(حرف).

3- الفاء رابطة للشرط المقدر بجزائه الظاهر، والتقدير: إن أردت معرفة هذه الثلاثة فالاسم
يعرف بكذا وكذا.

4- الخفض عبارة الكوفيين، والجر عبارة البصريين.

الْجَرِّ أَوْ نَائِبُهَا. وَعَامِلُ الْجَرِّ⁽¹⁾ الْحَرْفُ وَالْإِضَافَةُ اتِّفَاقًا⁽²⁾، وَالتَّبَعِيَّةُ عَلَى قَوْلٍ⁽³⁾؛ وَقَدْ اجْتَمَعْنَ فِي الْبَسْمَلَةِ⁽⁴⁾.

وَالْتَّنْوِينَ وَهُوَ نُونٌ سَاكِنَةٌ تَلْحَقُ الْأَوَاخِرَ لَفْظًا لَا خَطًّا⁽⁵⁾ لِعِغْرِ تَوْكِيدٍ⁽⁶⁾.

- 1- لفظ "الجر" ساقط من (ج) سقوطاً مُخْلاً بالمعنى إخلالاً بينا.
- 2- لفظ "اتفاقاً" ساقط من (ج) كلية، ومشار إلى محل سقوطه من (أ) غير أن الهامش الأيمن من الصفحة مفقود؛ وكذا بدايات بعض أسطر الصفحة ذاتها.
- 3- لفظ "على قول" ساقط من (ج) كلية، ومشار إلى محل سقوطه من (أ) وموجود في الهامش الأيسر السليم؛ عكساً للأيمن المفقود. وقد نقل السيوطي هذا الرأي عن الأخفش، وعلّق عليه قائلاً: هو مرجوح عند الجمهور الذي يرى أن التبعية ليست هي العامل وإنما العامل عامل المتبوع في غير البدل. راجع: **همع الهوامع**، ج4، ص153. وقد ذهب أبو حيان إلى الرأي عينه. راجع: **ارتشاف الضرب من لسان العرب**، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة - 1998م، ج4، ص1695. ويبدو أن هذا هو الظاهر من كلام الخليل فقد قال: "والخفض بالبدل". راجع: **الجمل في النحو**، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة، بيروت - 1985م، ص206.

4- يقصد بذلك أن الخفض بالحرف والإضافة والتبعية مجتمع كله في البسملة "بسم الله الرحمن الرحيم" ف-(اسم) مخفوض بالحرف، و(الله) بالإضافة، و(الرحمن الرحيم) بالتبعية للموصوف.

5- احترازاً من النون اللاحقة لأواخر القوافي.

6- أقسام التنوين كثيرة، والمختص بالاسم منها أربعة: تنوين التمكين، وتنوين التنكير، وتنوين المقابلة، وتنوين العوض؛ فالأول: هو الداخل على الاسم المُعَرَّب المنصرف، كزيد ورجل. والثاني: هو الداخل على بعض الأسماء المبنية للفرق بين معرفتها ونكرتها، نحو: صَهٍ - مَهٍ - إِيهِ - سَبْوِيهِ آخِر. وتنوين المقابلة: في نحو مسلماتٍ، لأنه في مقابلة نون

وَدُخُولِ الْأَلْفِ وَاللَّامِ الرَّائِدَتَيْنِ عَلَى أَصْلِ الْكَلِمَةِ غَيْرِ الْمُرَادِ بِهِمَا الْمُؤْصُولُ
وَالِاسْتِفْهَامُ⁽¹⁾ كَالرَّجُلِ وَالْفَرَسِ؛ اخْتِرَارًا مِنَ الْأَصْلِيَّتَيْنِ كَأَلْهَاكُمُ، وَالْوَاحِ، وَالْفَافُ⁽²⁾؛
وَمِنَ الْمُرَادِ بِهِمَا الْمُؤْصُولُ كَقَوْلِهِ:
مَا أَنْتَ بِالْحَكَمِ التُّرْضَى حُكُومَتُهُ وَلَا الْأَصِيلِ وَلَا ذِي الرَّأْيِ وَالْجَدَلِ⁽³⁾
وَالِاسْتِفْهَامُ، كـ "أَلْ قَامَ؟" بِمَعْنَى: هَلْ قَامَ؟⁽⁴⁾.

المسلمين. وتنوين العوض: إمّا عن حرف كَجَوَارٍ وَغَوَاشٍ وَلَيَالٍ، وإمّا عن كلمة ككلٍّ وبعضٍ،
وإمّا عن جملة كيومئذٍ وحينئذٍ ونحوهما.

1- ورد في (ج) "أو الاستفهام".

2- وردت (ألفافاً) معطوفة على مجرور فكان حَقُّهَا أَنْ تُجْرَ، غير أن الشارح أوردتها حكاية
إذ لم ترد في القرآن إلا منصوبة؛ وذلك في قول الله تعالى في سورة النبأ: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ
مَاءً ثَجَّاجًا لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾. وينبغي التنبيه إلى هذا الأمر لاحقاً، فالشارح
حريص على التمثيل بألفاظ القرآن.

3- ورد في (ج) لفظ "ذي" مرفوعاً، وهو تصحيف بيّن. والبيت للفرزدق، واسمه هَمَامُ بن
غالب، يقوله في هجاء رجل من بني عذرة، كان قد فضّل جريراً على الفرزدق والأخطل.

وإعراب البيت: ما: نافية. أنت: مبتدأ. بالحكم: الباء زائدة، والحكم خبر. الترضى: "ال" اسم
موصول نعت للحكم. الأصيل: معطوف بالجر حسب اللفظ على الحكم. والشاهد
«الترضى» حيث قال بعضهم إن (ال) ليست من علامات الأسماء؛ لأنها دخلت على الفعل.
والجواب: أن قول الفرزدق شاذ، والقواعد تبنى على القياس المطّرد. راجع: **الإنصاف في**
مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، أبو البركات ابن الأنباري، تحقيق: جودة مبروك
محمد مبروك، مكتبة الخانجي، القاهرة - 2002، ص 521.

4- ورد في (ج) "أو الاستفهام"، وهو تصحيف؛ إذ لا مسوغ هنا للتخيير. ومن النسخة ذاتها
سقطت كلمة "قام" بعد قوله "بمعنى هل...".

وَدُخُولِ حُرُوفِ الْخَفْضِ، وَهِيَ: مِنْ، وَإِلَى، نَحْوُ: ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾⁽¹⁾، وَعَنْ كَرَمِيْتُ عَنِ الْقَوْسِ، وَعَلَى نَحْوُ: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾⁽²⁾، وَفِي نَحْوُ: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾⁽³⁾، وَرُبَّ نَحْوُ: رَبِّ رَجُلٍ كَأَلْفٍ، وَالْبَاءُ نَحْوُ: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾⁽⁴⁾، وَالْكَافُ نَحْوُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾⁽⁵⁾ وَاللَّامُ نَحْوُ: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾⁽⁶⁾.
وَحُرُوفِ الْقَسَمِ، وَهِيَ: الْوَاوُ كَ "وَاللَّهِ لَأَفْعَلَنَّ". وَالتَّاءُ كَ "تَاللَّهِ لَأَفْعَلَنَّ"، وَتَخْتَصُّ بِلَفْظِ الْجَلَالَةِ، وَلَفْظِ (رَبِّ) مُضَافًا لِيَاءِ الْمُتَكَلِّمِ أَوْ الْكَعْبَةِ؛ وَنَدَّرُ: تَالرَّحْمَنِ وَتَحْيَاتِكَ. وَالْبَاءُ كَ "بِاللَّهِ لَأَفْعَلَنَّ".⁽⁷⁾

1- سورة الإسراء، الآية 1.

2- سورة المؤمنون، الآية 22.

3- سورة البقرة، الآية 179.

4- سورة آل عمران، الآية 123.

5- سورة الشورى، الآية 11.

6- سورة البقرة، الآية 284.

7- حرف الجر وحرف القسم لا يدخلان إلا على الاسم، إمّا صريحًا نحو: مررت بزيد، أو مؤوّلًا نحو: عجبت من أن تفعل، أي: من فعلك، وسيأتي الكلام عنها - إن شاء الله تعالى - في آخر الكتاب.

ولم يذكر المؤلف ولا الشارح أربعًا من علامات الاسم، هي: النداء، وكون الكلمة مجموعة جمع تكسير، وياء التصغير، وياء النسب. ويشار هنا إلى أن اشتقاق الاسم عند البصريين من السمو بمعنى العلو، وأصله (سمو) نحو: قَنُوْ وصِنُوْ، فحذف لامه وعوّض عنها ألف الوصل فصار اسمًا؛ أما الكوفيون فيرونه مشتقًا من السمة بمعنى العلامة. راجع: كشف المشكل في النحو، ج1، ص172.

وَالْفِعْلُ⁽¹⁾ يُعْرَفُ بِـ"قَدْ"⁽²⁾ وَتَدْخُلُ عَلَى الْمَاضِي وَالْمُضَارِعِ؛ كَقَدْ قَامَ، وَقَدْ يَقُومُ. وَالسَّيْنِ وَسَوْفَ⁽³⁾ وَتَدْخُلَانِ عَلَى الْمُضَارِعِ فَقَطْ، كَ: ﴿سَيَقُولُ﴾⁽⁴⁾ وَ﴿سَوْفَ

1- حدُّ الفعل تقريباً: كل كلمة تدل على معنى في نفسها مقترنة بزمان وضعاً. وهو عند البصريين مشتق من المصدر، أما الكوفيون فيرون أنّ المصدر مشتق من الفعل. قال سيبويه: " فالأفعال أثقل من الأسماء، لأن الأسماء هي الأولى، وهي أشد تمكناً ... وإنما هي [أي الأفعال] من الأسماء". راجع: الكتاب (كتاب سيبويه)، عمرو بن عثمان سيبويه، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة - 1988، ج1، ص20-21.

2- وهي حرف يصحب الأفعال ويُقرَّب الماضي إلى الحال ويحققه في غالب الأحوال، ويفيد التقليل في فعل الاستقبال، وقد يجيء للتكثير على قول منسوب إلى سيبويه استشفافاً من قوله: "وأما (قد) فجواب لقوله (لما يفعل)"; نقله المرادي وابن هشام عن الأخفش حيث جعل منه قول الله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾. راجع: الكتاب (كتاب سيبويه)، ج4، ص345. والجنى الداني في حروف المعاني، ص258.

3- ف(السين) حرف للتنفيس والإمهال، معدودة مع أحرف الإمهال، تختص بالمضارع وتخلّصه للاستقبال. و(سوف) للتسويق وهي مثلها، وقيل: أنْفَسُ منها أي: أبلغ في التنفيس من السين؛ ومن القائلين بذلك المالقي، ونسبه المرادي إلى البصريين. راجع: الجنى الداني في حروف المعاني، ص60 و495. ورصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد بن عبد النور المالقي، تحقيق: أحمد الخراط، دار القلم، دمشق - 2002م، ص461.

4- في كل من (أ) و(ج) "كسيقوم"، وقد أثبت ما ورد في (م) اعتماداً على أن "سيقول" واردة في القرآن الكريم؛ وهو ما درج الشارح على الاستشهاد به كلما وجد فيه شاهداً على ما يؤدُّ توضيحه، ولينسجم المثال مع المثال القرآني الذي بعده مباشرة "سوف تعلمون".

تَعْلَمُونَ⁽¹⁾. وَتَاءِ التَّائِيثِ السَّاكِنَةِ أَصَالَةٌ⁽²⁾، وَتَدْخُلُ عَلَى الْمَاضِي خَاصَّةً⁽³⁾
كَقَامَتْ هِنْدُ، وَقَالَتِ الْأَعْرَابُ⁽⁴⁾.
وَيُعْرَفُ الْفِعْلُ أَيْضًا بِنُونِ التَّوَكِيدِ، وَيَاءِ الْوَاحِدَةِ الْمُخَاطَبَةِ؛ وَيَحْتَصِّنُ بِالْأَمْرِ
وَالْمُضَارِعِ كَاضْرِبَنَّ، وَاضْرِبِي⁽⁵⁾، وَهَلْ تَفْعَلَنَّ، وَلَنْ تَفْعَلِي⁽⁶⁾.

- 1- تكرر ورودها في القرآن الكريم كثيرا بحيث يعسر تحديد أيها المقصودة.
- 2- التاء الساكنة في آخر الماضي تدل على تائيث الفاعل، والمتحركة ضمير شامل لجميع أفراد الفاعل: المذكر والمؤنث، المفرد والمثنى والجمع؛ فيقال: ذهبت (مثلثة التاء) وذهبتما وذهبتن وذهبتن. يُذكر هنا أن من الأفعال ما يقبل التاءين، أي الساكنة والمتحركة التي هي الضمير، مثل "تبارك" فهي فعل ماض يقبل التاءين، نحو: تباركت يا الله؛ وتباركت أسماء الله. ومن الأفعال ما لا يقبل إلا الساكنة فقط، مثل (نَعَمْ) و(بُئْسَ)، نحو: نِعِمْتُ المرأةُ عائشة، وبُعِثْتُ الفتاةُ أمُّ جميل.
- 3- لفظ "خاصة" زيادة من (م)، وقد أثبتُّه لما له من أهمية في تأكيد أن تاء التائيث الساكنة مختصة بالفعل الماضي وحده.
- 4- سورة الحجرات، الآية 14.
- 5- في (ج) "وأضرب" وهو تحريف بيِّن؛ إذ المثال متعلق بياء الواحدة المخاطبة.
- 6- ورد في (ج) "وهل تفعلني"، وقد أثبتُّ ما ورد في النسخ الأخرى.

وَالْحَرْفُ⁽¹⁾ مَا لَا يَصْلُحُ مَعَهُ دَلِيلُ الْإِسْمِ وَلَا دَلِيلُ الْفِعْلِ⁽²⁾:

الْحَرْفُ مَا لَيْسَتْ لَهُ عَلَامَةٌ تَرُكُّ الْعَلَامَةَ لَهُ الْعَلَامَةُ⁽³⁾.

1- يوجد في (أ) انطماس اعتبارا من قول الشارح "وتختصان بالأمر والمضارع" إلى قوله "ما لا يصلح معه"، وهو انطماس متكرر في جميع صفحات هذه النسخة دون استثناء؛ وسببه قدم النسخة وكثرة تداولها، فأدى ذلك إلى تكسر أطراف صفحاتها فغاب محتوى تلك الأطراف، كما أن الطريقة التي اتبعت في علاج ما أصاب أعالي الصفحات وأواسطها من تمزق زادت الأمر سوءًا إذ تفاعل حبر الكتابة مع صمغ العلاج فانطمس النص المقابل لأماكن الإلصاق. لذا فسأكتفي بهذه الإشارة هنا ولن أشير في بقية هذا العمل إلى أماكن الطمس من هذه النسخة.

2- كلمة "الفعل" خارجة من نص (ج) ومستدركة في الهامش الأيمن من الصفحة.

3- وردت كلمة "العلامة" في كل من (أ) و(ج) مجردة من (أل). ومعنى البيت أن الحرف لا يقبل شيئًا من علامات الأسماء، ولا من علامات الأفعال.

وحدُّ الحرف: كل كلمة تدل على معنى في غيرها فقط، و(فقط) مخرجة لأسماء الشرط من هذا الحد؛ فكل كلمة قبلت شيئًا من علامات الأسماء فهي اسم، أو شيئًا من علامات الأفعال فهي فعل، وإذا لم تقبل شيئًا من العلامات فهي حرف، وإذا لم ينطبق عليها حدُّ الحرف فتُحمل على الأصل وهو الاسم حتى يقوم دليل على غيره.

وبعض الأسماء تؤخذ بالبراهين، نحو (كيف)؛ تقول: لا يصح أن يكون فعلاً لأن الفعل يليها من غير حاجز، نحو: ﴿كَيْفَ فَعَلَ رُبُّكَ﴾ [سورة الفيل: 1]، والفعل لا يدخل على الفعل. ولا يصح أن يكون حرفاً؛ للإخبار بها، نحو: كيف زيد، والحرف لا يخبر به؛ فإذا انتفى الفعل والحرف تعيّن الاسم.

وكذلك: أيان، وأنى، واسم الفعل نحو: نزال ودراك؛ جميعها لا يصح أن يكون حروفاً لتحملها الضمير، والحرف لا يحمل ضميراً. ولا يصح أن يكون أيُّ منها فعلاً لعدم قبوله لعلامات الفعل، فتعيّن أنها أسماء. وكذلك كلُّ ما أفهم معنى فعلٍ ولم يقبل شيئًا من علاماته فهو اسم فعل، كهيهات، وأوّه، وحذار.

و(قَطُّ) و(عَوْضُ) علامة اسميتهما الإسناد إليهما في المعنى، إذا قلت: ما فعلته قَطُّ، ولا أفعله عَوْضُ، معناه: الزمن الماضي، ما فعلته، والزمن المستقبل لا أفعله، ف(قَطُّ) ظرف لاستغراق المُضَيِّ، و(عَوْضُ) لاستغراق المستقبل كـ(أبدًا).

والحرف إما مُعْمَلٌ أو مُهْمَلٌ؛ فكل حرف اختص بقسم من أقسام الكلام ولم يكن كالجاء منه فحقه أن يعمل فيه، وكل حرف دخل على القسمين فمهمل إلا المشبّه بـ(ليس)، وهي: ما، ولا، ولات، وإن. وحق المختص أن يعمل العمل الخاص، وغيره محمول عليه. راجع: المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس ورفاقه، ط2، 1972م، مادة (قبل).

والحروف قليلة لا تكاد تبلغ مائة، ولا يلتبس غيرها بها لمن أمعن النظر؛ ودونك سردها، وهي من الأحادية إلى الخماسية: فالأحادية يجمعها قولك: (بكشف سألتهمونها). والثنائية ثلاثة وعشرون حرفاً: أل، إي، أي، أو، أم، بل، هل، قد، أن، كي، لن، إن، لم، ما، لا، لو، يا، وا، ها، عن، من، في، مذ. والثلاثية عشرون حرفاً: ألا، أما، أيّا، هيا، أجل، جيّر، نعم، بلى، إن، أن، ليت، إذن، مُنْذُ، رُبَّ، إلى، على، ثم، سوف، عدا، خلا. والرابعة أربعة عشر: إلّا، إلّا، هَلّا، لَوْلا، لَوْما، إمّا، أمّا، لكن، لَعَلَّ، كَأَنَّ، لما، إذْما، حتّى، حاشى. والخماسية: لكنّ فقط.

فهذه حروف المعاني كاملة. راجع: الجنى الداني في حروف المعاني، ص30.

بَابُ الْإِعْرَابِ

الْإِعْرَابُ لُغَةٌ التَّغْيِيرُ وَالتَّبْيِينُ وَالتَّحْسِينُ⁽¹⁾، وَاصْطِلَاحًا تَغْيِيرُ أَوَاخِرِ الْكَلِمِ⁽²⁾
لِاخْتِلَافِ الْعَوَامِلِ الدَّاخِلَةِ عَلَيْهَا⁽³⁾؛ لَفْظًا فِي صَحِيحِ⁽⁴⁾ الْآخِرِ مِنَ الْأَسْمَاءِ
وَالْأَفْعَالِ، كَجَاءَ زَيْدٌ، وَرَأَيْتُ زَيْدًا، وَمَرَرْتُ بِزَيْدٍ، وَيَقُومُ، وَلَنْ يَقُومَ، وَلَمْ يَقُمْ؛

1- راجع: مجمل اللغة، أحمد ابن فارس، تحقيق: زهير عبدالمحسن سلطان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - 1986، ص 664.

2- بيانٌ لمحلّ الإعراب، ويحتمل أن يكون احترازًا من أول الكلمة ووسطها، فلا يكون فيهما إعراب؛ إذ من ألقاب الإعراب الجزم، والجزم يكون بالسكون، والعرب لا تبتدئ بساكن، ووسط الكلمة قد يكون ساكنًا، والحرف الواحد لا يسكن بسكونين، ولا يتحرك بحركتين إذا كان محركًا؛ فإذا انتفيا تعيّن الآخر، لأنه محل التغيير. كما أن الإعراب يكون طارئًا على الكلمة، دالًّا على معنى فيها، وحق الطارئ أن يكون في الآخر.

3- احترازًا من التغيير الحادث بغير عامل، كحركاتي النقل والإتباع، نحو: ﴿مَنْ آمَنَ﴾ [البقرة: 62 - 126 - 177 - 253]، [آل عمران: 99]، [النساء: 55]، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا﴾ [البقرة: 87]، بنقل حركة الهمزة للساكن الصحيح قبلها، وهي قراءة ورش، وكقراءة من قرأ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ بكسر الدال إتباعًا للآم؛ فهذان التغيران لا يُعدّان إعرابًا، لعدم العامل فيهما. راجع: معجم القراءات، عبد اللطيف الخطيب، دار سعد الدين، دمشق - 2002، ج 1، ص 4-117-243.

4- في (ج) أثبتت (أل) في كلمة "صحيح"؛ وهو تحريف بيّن إذ يجمع بين علامتين من علامات التعريف.

أَوْ تَقْدِيرًا فِي مُعْتَلٍّ⁽¹⁾ الْآخِرِ مِنْهَا: كَجَاءِ الْفَتَى، وَرَأَيْتُ الْفَتَى، وَمررتُ بِالْفَتَى،
وَيَدْعُو⁽²⁾، وَيَرْمِي، وَيَخْشَى، وَلَنْ يَخْشَى، وَلَمْ يَخْشَ^{(3)*}.

وأقسامه أربعة: رفع، ونصب، وخفض، وجزم؛ فللأسماء من ذلك الرفع والنصب
والخفض ولا جزم فيها، وللأفعال من ذلك الرفع والنصب والجزم ولا خفض
فيها.⁽⁴⁾

1- في (ج) أثبتت (أل) في كلمة "معتل" أيضا؛ وهو تحريف بين كما أسلفت في الهامش
السابق.

2- في (ج) ألحقت الألف الفارقة بالفعل "يدعو" الدال على المفرد، وهو خطأ جلّي، لكون
تلك الألف لا تلحق إلا الفعل الدال على الجمع.

3- "لم يخش" ساقط من (ج). وفائدة الإعراب في الكلام بيان الفاعلية، والمفعولية،
والإضافة؛ وسبب الإعراب التركيب الإسنادي. ومذهب الجمهور أن الألفاظ قبل التركيب
موقوفة لا معربة ولا مبنية. راجع: شرح المفصل للزمخشري، ج 1، ص 149.

4- ورد في بعض النسخ مما سوى الخمسة التي اعتمدت عليها "ألقابه: رفع ونصب وخفض
وجزم". وألقاب البناء أربعة: ضم وفتح وكسر وسكون، وهي علامات لألقاب الإعراب؛ لأن
الفاعل في نحو (قام زيد) مرفوع وعلامة رفعه الضمة، وكذلك المنصوب والمجرور والمجزوم.
وألقاب الإعراب لا تكون إلا بعامل، وألقاب البناء بغير عامل، كـ(حيث) و(أين) و(أمس)
و(كم).

بَابُ مَعْرِفَةِ عِلَامَاتِ الْإِعْرَابِ

لرفع أربع علامات: الضمة، والواو، والألف، والنون⁽¹⁾.

فأما الضمة فتكون علامة للرفع في أربعة مواضع:

في الاسم المفرد؛ وتكون فيه ظاهرة كجاء زيد، ومقدرة كجاء الفتى⁽²⁾. وجمع التكسير أي التغير؛ وتكون فيه ظاهرة كجاء الرجال، ومقدرة كجاء الأسارى. وسمي جمع تكسير⁽³⁾ لأنه يتغير فيه بناء المفرد⁽⁴⁾. وجمع المؤنث السالم؛ ولا تكون فيه

1- الضمة أصل والواو فرعها، لأنه ناشئ عنها، لأنك إذا أشبعت الضمة تولد منها واو، وكذا الفتحة يتولد منها الألف، والكسرة يتولد منها الياء. وإنما جعلت الواو والألف علامة للرفع لكونها مع الفعل ضمير رفع؛ والنون جعلوها علامة للرفع لشبهها بحرف العلة في الغنة إذا سكنت. راجع: سر صناعة الإعراب، عثمان ابن جني، تحقيق: حسن هنداي، دار القلم، دمشق - 1985، ص 438. وكتاب البيان في شرح اللمع لابن جني، عمر بن إبراهيم الكوفي، تحقيق: علاء الدين حموية، دار عمّار، عمان - 2002، ص 422. ومعنى كلام المصنف: أن الواو والياء والألف تكون ضمائر رفع مع الأفعال الخمسة لأنها فيها فاعل، ولما كانت النون تشبه هذه الأحرف في صوت الغنة جعلت علامة للرفع، ولا سيما أنها تشترك مع الواو والياء في حروف "ينمو" التي يكون فيها الإدغام بغنة.

2- يلاحظ هنا أن المؤلف مدرّك عدم الحاجة في الإعراب إلى عبارة "على آخره"؛ لأنها لم تُضف قيدا جديدا صالحا للاحتراز به، وعلامة الإعراب اللفظي أو المقدر لا تكون إلا في الأواخر. ولا بأس باستعمال العبارة في مقام التعليم، ولا سيما للمبتدئين؛ لأنهم لا يعقلون غالباً دلالات اللزوم والقيود والمحترزات.

3- وردت كلمة "تكسير" معرفة ب(أل) في النسخة (م).

4- وكذلك اسم الجمع: وهو الذي لا واحد له من لفظه، نحو: أقبل القوم، وجاء الرهط، و﴿قَالَ نِسْوَةٌ﴾ [سورة يوسف: 30]، وخرجت النساء. واسم الجنس أيضا: وهو الذي يفرّق

إلا ظاهرةً، كجاءت⁽¹⁾ الهنداتُ. وسُمِّيَ بذلك لسلامة بناء المفرد فيه⁽²⁾ من التغير⁽³⁾. والفعل المضارع الذي لم يتصل بآخره شيءٌ أي⁽⁴⁾ لم يتصل بآخره ضميرٌ تشبیه، (ولا ضميرٌ جمع)⁽⁵⁾، ولا ضميرٌ الواحدة المخاطبة، ولا نونٌ التوكيد،

بينه وبين مفرده بالتاء غالباً، نحو: هذا الشجرُ، وكثر الثمرُ. وقد يفرَّق بين اسم الجنس ومفرده بالجمع؛ مثل: كمأة وكمأ، أو بياء النسب؛ مثل: روم ورومي. راجع: التحقيقات الوفية بما في البهجة المرضية من النكات والرموز الخفية، محمد صالح الغرسي، دار السلام، القاهرة - 2000، ص 23.

1- ورد في (ج) "كجاء الهندات"، وهي لغة فصيحة في حذف التاء حين يُؤمَّن اللبس، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ نِسْوَةٌ﴾ [سورة يوسف: 30]، ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ﴾ [سورة الأعراف: 87].

2- سقط من (ج) كلمة "فيه".

3- السالم صفة للجمع لا للمذكر ولا للمؤنث؛ ألا ترى أنك تقول الجمع السالم والجمع المكسّر؛ لأن الجمع على قسمين: صحيح ومكسّر، لا أن المذكر والمؤنث على قسمين: صحيح ومكسّر؛ لفساد ذلك المعنى.

4- ورد في (ج) كلمة "أن" بدلا من "أي"، والصواب ما أثبتنا مما ورد في نسخ المخطوط الأخرى؛ لأن المقام مقام تفسير لا مقام شرط.

5- ما بين القوسين ساقط من (ج)، ولا تستقيم القاعدة دونه.

ولا نونُ الإناث؛ وتكونُ الضمةُ فيه ظاهرةً كيَقوم وَيَضْرِبُ، و⁽¹⁾ مُقَدَّرَةٌ كَيَدْعُو⁽²⁾ وَيَرْمِي وَيَخْشَى.⁽³⁾

فإن اتصلت به إحدى النونين⁽⁴⁾ بُنِيَ؛ فَمَعَ الْأُولَى⁽⁵⁾ على الفتح ك﴿لَتَجِدَنَّ﴾⁽⁶⁾، و﴿لَيْسَجَنَّ﴾⁽⁷⁾. ومع الثانية⁽⁸⁾ على السُّكون ك"النساء يُرْعَن"، و﴿إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ﴾⁽⁹⁾. وأما إن اتصل به أحدُ الضمائر الثلاثة فسيأتي⁽¹⁰⁾.

- 1- الواو التي لا يستقيم دونها المعنى، ساقطة من (ج).
- 2- في (ج) زيادة ألف في "يدعو"، وقد تكرر الخطأ ذاته سابقاً؛ وهو ما يدلُّ على أن القاعدة الإملائية للألف الفارقة غائبة عن ذهن الناسخ.
- 3- مجمل كلام الشارح أن الفعل المعني هو المضارع الذي لم يتصل بآخره موجب بنائه كاتصاله بنون النسوة أو مباشرة نون التوكيد له، ولا ناقل إعرابه ككونه من الأفعال الخمسة؛ إذ ينتقل معها المضارع من الرفع بالضمّة إلى الرفع بالنون.
- 4- وردت العبارة بصيغة المذكر "أحد" في (أ) و(ج)، وليس في الأمر خطأ إذ الحروف الهجائية كلها تحتل التذكير والتأنيث؛ غير أن تأنيثها أكثر شيوعاً.
- 5- في (أ) و(ج) وردت عبارة "الأول" وهو أمر منسجم مع تذكيرهما لحرف النون، المشار إليه في الهامش السابق مباشرة.
- 6- سورة المائدة، الآية 82.
- 7- سورة يوسف، الآية 32.
- 8- في (أ) و(ج) ورد لفظ "الثاني" وهو أمر منسجم مع تذكيرهما لحرف النون، المشار إليه قبل. وزادت (ج) عبارة "فيني" بعد قوله "وفي الثاني".
- 9- سورة البقرة، من الآية 235.
- 10- سيأتي الحديث عن ذلك حين الحديث عن الأفعال الخمسة، إن شاء الله.

وأما الواو فتكون علامة للرفع في موضعين؛ في جمع المذكر السالم كقام الزيدون، ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ﴾⁽¹⁾. وسُمِّيَ بذلك لسلامة بناء المفرد فيه من التغيير. وفي الأسماء الخمسة⁽²⁾، وهي: أخوك، وأبوك، وحموك⁽³⁾، وفوك⁽⁴⁾، وذو⁽⁵⁾ مال؛ فتقول: جاء أخوك، وجاء حموك، وجاء ذو مال، وهذا فوك. ويُشترط في رفع هذه الأسماء بالواو إضافتها إلى غير⁽⁶⁾ ياء المتكلم، وأما إن لم تُضف أصلاً أو

1- سورة الفرقان، الآية 8. ونحو: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ﴾ [التوبة: 90]، و﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾ [الفتح: 15]، و﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ [المنافقون: 1]، و﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: 1].

2- جعلتها بعض المصادر ستة أسماء، مضافة إليها ما هو كناية عن الشيء يُستفحش ذكره.

3- الحمو: أخو زوج المرأة، وقد يطلق على أقارب الزوج مطلقاً.

4- الفم إن كان بالميم أعرب بالحركات، وإلا لزم الإضافة والإعراب بالحروف.

5- "ذو" إن كانت بمعنى (صاحب) فتلزم الإضافة والإعراب بالحروف؛ وإن كانت بمعنى (الذي) فتكون مبنية، وتسمى طائية، كقول سنان بن فحل الطائي:

فَإِنَّ الْمَاءَ مَاءُ أَبِي وَجْدِي وَبِئْرِي ذُو حَفْرَتٍ وَذُو طَوَيْتٍ

وذو حفرت: التي حفرتها. وطويت البئر: إذا بنيت بالحجارة عليها. يريد أن يقول: 'نه لا حق لكم في ورود الماء، لأنه ماء كان يرده أبي وجدّي من قبل وكان خاصاً بهما، وهذه البئر أنا الذي حفرتها، وأنا الذي بنيت دائرها.

قوله "وبئري" إما مبتدأ خبره ذو (الاسم الموصول) أو معطوف على اسم إن .. والواو في الحالين عاطفة إما عطف جملة على جملة في الأول، أو مفرد على مفرد في القول الثاني. وشاهده «وبئري ذو حفرت، وذو طويت». حيث استعمل (ذو) مرتين اسماً موصولاً بمعنى (التي) لأنّ البئر مؤنثة. راجع: الإنصاف في مسائل الخلاف، ص 328. وشرح المفصل للزمخشري، ج 2، ص 384. ج 4، ص 507. وجمع الهوامع، ج 1، ص 289.

6- وردت العبارة في (ج) بصيغة "وإضافتها لغير ياء المتكلم"، ولا يخفى ما في ذلك من تصحيف؛ فالمقام ليس مقام عطف.

أُضيفت للياء⁽¹⁾ فإنها تُرفع بالضمّة، كهذا أَخُ صالحٌ، وهذا أَخِي؛ ويُشترط مثل ذلك في نصبها بالألف وخفضها بالياء في ما يأتي.

وأما الألف فتكون علامة للرفع في تثنية الأسماء خاصة⁽²⁾، كقام الزيدان، و﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾⁽³⁾.

وأما النون فتكون علامة للرفع في الفعل المضارع إذا اتَّصل به ضميرُ تَنْيئةٍ، كيفعلان وتفعلان؛ أو ضميرُ جَمْعٍ، كيفعلون وتفعلون؛ أو ضميرُ الواحدة⁽⁴⁾ المخاطبة، كتفعلين يا هندُ وتقولين⁽⁵⁾.

وللنَّصْبِ خَمْسُ علاماتٍ: الفتحةُ، والألفُ، والكسرةُ، والياءُ، وحذفُ النونِ؛

1- في (أ) و(بون) و(ي) و(م): إلى الياء.

2- ورد في (ج): "وأما الألف فتكون علامة للرفع في الفعل المضارع إذا اتصل به ضمير تثنية الأسماء خاصة، كقام الزيدان .." ولا يخفى ما في هذا من خلط يشي بعدم فهم الناسخ لفحوى ما يكتب!

3- سورة المائدة، الآية 23.

4- ورد في متن (ج) لفظ "المؤنثة" وأشار إلى تصحيحه بلفظ "الواحدة" في الهامش الأيمن من الصفحة.

5- وتسمى الأفعال الخمسة، وهي: يفعلان وتفعلان، ويفعلون وتفعلون، وتفعلين، نحو: الزيدان يقومان، والزيدون يقومون، وأنتِ تقومين. فكلها يقال فيها: فعل وفاعل، والنون علامة رفع؛ وهي معربة، ولا حرف إعراب لها، والمقصود بذلك أن الألف في نحو (يفعلان) ليست حرف إعراب كما هي في تثنية الأسماء، بل هي ضمير رفع.

فأما الفتحة فتكون علامة للنصب في ثلاثة مواضع: في الاسم المفرد، وتكون فيه ظاهرة: كرايْتُ زَيْدًا وَعَمْرًا⁽¹⁾؛ ومقدّرة: كرايْتُ الفتى، وأخذتُ العصا⁽²⁾. وجمع التكسير وتكون فيه ظاهرة: كرايْتُ الرجال، وركبتُ الجمال؛ ومقدّرة: كرايْتُ الأسارى، ونزلتُ الصحارى. والفعل المضارع الذي لم يتصل بآخره شيء من الأشياء الخمسة المتقدمة⁽³⁾ وتكون الفتحة فيه ظاهرة، ك"لن يقوم" و"لن يدعو"⁽⁴⁾ و"لن يرمي"، ومقدّرة ك"لن يخشى" و"لن يسعى".

وأما الألف فتكون علامة للنصب في الأسماء الخمسة، نحو: رأيتُ أخاك وأباك، وما أشبه ذلك: كرايْتُ حماك، ورأيتُ ذا مالٍ، وأبصرتُ فاك⁽⁵⁾. وقد تقدّم أنه يُشترط في إعراب هذه الأسماء بالحروف إضافتها إلى غير ياء المتكلم.

1- من الأخطاء الشائعة في عصرنا اليوم نطقُ واو (عمرو) حتى بين الخاصة؛ وهي إنما زيدت في غير المنصوب المنون لتمييزه عن (عمر) غير المنصرف.

2- رُسمت "العصا" بياء في كل من (أ) و(ج)، وهو خطأ؛ إذ الألف المتطرفة في الاسم الثلاثي تكتب ممدودة إذا كان أصلها واوا، وتكتب مقصورة إذا كان أصلها ياء. ويُعرف أصل الاسم الثلاثي الذي آخره ألف بواحد من أمور ثلاثة: (أ) تشنية الاسم، مثل (فتى - فتيان). (ب) رده إلى المفرد، مثل (الرّبا - الربوة). (ج) اشتقاق صفة مؤنثة منه، مثل (لمى - لمياء). راجع: قواعد الإملاء (المطالع النصرية للمطابع المصرية في الأصول الخطية)، نصر الهوريني، تحقيق: عبد الوهاب محمود الكحلة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت - 2001، ص 141

3- أي: ضمير تشنية، وضمير جمع، وضمير الواحدة المخاطبة، ونون التوكيد، ونون الإناث.

4- ورد في (ج) "ولن يدعو" بألف بعد الواو، وهي ثالث مرة يتكرر فيها الخطأ ذاته، ليتأكد أن الناسخ ليس مستحضرا معنى ما ينسخ.

5- وردت في (م) عبارة "نظرتُ فاك"، وأشير إلى تصويبها في الهامش. وهناك فرق دقيق بين المعنيين؛ فالنظر يستدعي التدقيق، بينما البصر يأتي خاطفا.

وَأَمَّا الْكَسْرَةُ فَتَكُونُ عَلَامَةً لِلنَّصَبِ فِي جَمْعِ الْمُؤَنَّثِ السَّالِمِ، كَرَأَيْتُ الْهِنْدَاتِ، وَنَحْوُ ﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾⁽¹⁾.

وَأَمَّا الْيَاءُ فَتَكُونُ عَلَامَةً لِلنَّصَبِ فِي التَّثْنِيَّةِ، كَرَأَيْتُ الزَّيْدَيْنِ الْعَاقِلَيْنِ، وَلَقَيْتُ الْعُمَرَيْنِ الْفَاضِلَيْنِ⁽²⁾؛ وَالْجَمْعِ، كَرَأَيْتُ الزَّيْدَيْنِ الْعَاقِلَيْنِ، وَلَقَيْتُ الْعُمَرَيْنِ الْفَاضِلَيْنِ. وَأَمَّا حَذْفُ التَّوْنِ فَيَكُونُ عَلَامَةً لِلنَّصَبِ فِي الْأَفْعَالِ (الْخَمْسَةِ)⁽³⁾ الَّتِي رَفَعُهَا بِإِثْبَاتِ التَّوْنِ، كـ"لن يفعلوا"، و"لن تفعلوا"، و"لن يفعلوا"، و"لن تفعلوا". يا هند.

وَلِلْخَفْضِ ثَلَاثُ عَلَامَاتٍ: الْكَسْرَةُ، وَالْيَاءُ، وَالْفَتْحَةُ؛ فَأَمَّا الْكَسْرَةُ فَتَكُونُ عَلَامَةً لِلْخَفْضِ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ: فِي الْأِسْمِ الْمُفْرَدِ الْمُنْصَرَفِ أَيِ الَّذِي يَدْخُلُهُ تَنْوِينُ الصَّرْفِ؛ وَتَكُونُ فِيهِ ظَاهِرَةً، كَمَرَرْتُ بِزَيْدٍ وَعَمَرٍ، وَمُقَدَّرَةً كَمَرَرْتُ بِالْفَتَى وَالْقَاضِي. وَجَمْعِ التَّكْسِيرِ الْمُنْصَرَفِ؛ وَتَكُونُ فِيهِ ظَاهِرَةً، كَمَرَرْتُ بِرَجَالٍ عَلَى جِمَالٍ، وَمُقَدَّرَةً كَسَرْتُ إِلَى الْعِدَا بِالْمُدَى⁽⁴⁾. وَجَمْعِ الْمُؤَنَّثِ السَّالِمِ؛ وَلَا تَكُونُ فِيهِ إِلَّا ظَاهِرَةً كَمَرَرْتُ بِالْهِنْدَاتِ، وَعُنِيَتْ بِالْمَعْلُوتِ⁽⁵⁾.

1- سورة الممتحنة، الآية 10.

2- ومنه ﴿إِنَّ هَذَيْنِ لَسَاحِرَانِ﴾ [طه: 63] التي قرأ بها كلٌّ من أبي عمرو بن العلاء، والنخعي، والجحدري، والأعمش، وآخرين؛ وهي مروية عن عائشة وعثمان والحسن. راجع: معجم القراءات، ج 5، ص 450.

3- لفظ "الخمس" ساقط من (أ) و(م).

4- ورد في (ج) "سرت إلى العدا بالمُدا"، وفي (أ) "سرت إلى العدى بالمُدَى"؛ وكل فيهِ خطأ، والصواب ما أثبتنا. راجع: قواعد الإملاء (المطالع النصرية للمطابع المصرية في الأصول الخطية)، ص 141.

5- واحداً منها (مَعْلُوتٌ) وهي مكسب الشرف. راجع: لسان العرب، ج 15، ص 86.

وَأَمَّا الْبَاءُ فَتَكُونُ عَلَامَةً لِلْخَفْضِ (فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ)⁽¹⁾: فِي الْأَسْمَاءِ الْخَمْسَةِ، كَمَرَرْتُ بِأَخِيكَ وَبَأْبِيكَ وَبَحْمِيكَ وَبَذِي مَالٍ، وَنَظَرْتُ إِلَى فَيْكَ. وَفِي التَّثْنِيَّةِ كَمَرَرْتُ بِالزَّيْدَيْنِ وَظَفَرْتُ بِالْخَيْرَيْنِ. وَالْجَمْعُ أَيُّ جَمْعِ الْمَذَكَّرِ السَّالِمِ، كَمَرَرْتُ بِالزَّيْدَيْنِ الْعَالِمَيْنِ، وَجَلَسْتُ إِلَى الْعَمَرَيْنِ الْعَامِلَيْنِ.

وَأَمَّا الْفَتْحَةُ فَتَكُونُ عَلَامَةً لِلْخَفْضِ فِي الْإِسْمِ الَّذِي لَا يَنْصَرِفُ أَيُّ لَا يَدْخُلُهُ تَنْوِينُ الصَّرْفِ⁽²⁾. وَهُوَ مَا كَانَ فِيهِ عِلَّتَانِ أَوْ وَاحِدَةٌ تَقُومُ مَقَامَهُمَا، مِنَ الْعِلَلِ التَّسْعِ الَّتِي تَمْنَعُ الصَّرْفَ؛ وَقَدْ جَمَعَهَا بَعْضُهُمْ فِي بَيْتَيْنِ فَقَالَ:

عَدْلٌ وَوَصْفٌ وَتَانِيثٌ وَمَعْرِفَةٌ وَعُجْمَةٌ ثُمَّ جَمْعٌ ثُمَّ تَرْكِيبٌ
وَالنُّونُ زَائِدَةٌ مِنْ قَبْلِهَا أَلِفٌ وَوُزْنُ فِعْلٍ⁽³⁾؛ وَهَذَا الْقَوْلُ تَقْرِيبُ⁽⁴⁾

فَالْعَدْلُ يَجْتَمِعُ مَعَ الْوَصْفِيَّةِ، كَمَثْنَى وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ؛ وَمَعَ الْمَعْرِفَةِ أَيُّ الْعَلَمِيَّةِ، كـ"عُمَرُ" وَ"قُتْمٌ"⁽⁵⁾. وَالتَّانِيثُ يَجْتَمِعُ مَعَ الْمَعْرِفَةِ أَيْضًا⁽⁶⁾، كـ"حَمْرَةٌ" وَ"طَلْحَةٌ" وَ"فَاطِمَةٌ" وَ"عَائِشَةٌ"؛ وَالْعُجْمَةُ مَعَهَا أَيْضًا كـ"إِبْرَاهِيمَ" وَ"إِسْمَاعِيلَ"؛ وَالتَّركِيبُ مَعَهَا أَيْضًا

1- ما بين القوسين ساقط من (ج).

2- ما لا ينصرف وجمع المؤنث السالم متفقان رفعًا، متعاكسان جرًّا ونصبًا.

3- ورد في (ج) "ووزن افعل"، وهو مما يؤكد أن ناسخها لا يستحضر معنى ما يكتب.

4- البيتان موجودان دون عزو في شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة - 1980م، ج 3، ص 321.

5- اسم علم مذكّر معدول عن قائم وهو: الجامع للخير المانح. وممن سُمِّيَ به: قُتْمُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ. راجع: لسان العرب، ج 12، ص 461.

6- ورد في (م) "والتانيث معها أيضا كحمزة"، وموقع العبارة في (أ) منطمس، وما أثبتناه عبارة (ج).

كـ"مَعْدِيكَرَب" ⁽¹⁾ و"بَعْلَبَك"؛ والألف والنون وهما المعبر عنهما بزيادتي "فَعْلَان" معها أيضا كـ"عُثْمَان" و"صَفْوَان"، ومع الوصفية كـ"شَعْبَان" و"رَيَّان". ووزن الفعل معها أيضا كـ"أحمد" و"يَعْلَى". ومع الوصفية كـ"أفضل" و"أكمل". والعلة التي تقوم مقامَ عِلَّتَيْنِ (ألف التَّأْنِيثِ) ⁽²⁾ كـ"حَمراء" و"حُبلى". والجَمْعُ المُشَبَّه بـ"مَفَاعِل" أو "مَفَاعِيل" كـ"مساجد" و"دراهم" و"مصايح" و"دنانير" ⁽³⁾.

1- وردت عبارة "معديكرب" دون ياء في كل من (أ) و(ج). وهذا اللفظ وأمثاله (بعلبك وحضرموت) فيه لغتان اثنتان، إحداهما التركيب ومنع الصرف، والأخرى الإضافة وجواز صرف المضاف إليه. راجع: شرح المفصل، ج3، ص162.

2- ما بين القوسين ساقط من (ج) ومنطمس محله من (أ).

3- الاسم إذا أشبه الحرف بُني، وإذا أشبه الفعل مُنع من الصرف. وإذا اجتمع في الاسم عِلَّتَان أو علة تقوم مقامهما مُنع من الصرف لِشَبَّهه حينها بالفعل؛ وَعِلْلُ المنع تسع: أولها منتهى الجمع وهو وزن (مَفَاعِل) أو (مَفَاعِيل) كدراهم ودنانير وهذه تقوم مقام عِلَّتَيْن. الثاني: الوزن الخاص بالفعل أو الغالب عليه، كيَعْلَى وأحمد. الثالث: العدل، كأخَرَ وَعُمَرَ وسحر وحذام ومثنى وباب مثنى مما اشتق من العدد على وزن - مَفْعَل أو فُعَال - مثل: مثلث وثلاث، ومربع ورباع ... الخ. الرابع: التأنيث؛ إما بالألف كحمرَاء وسكرى، وتقوم مقام عِلَّتَيْن. أو بالناء ظاهرة كطلحة وحمزة وهبة وعكاشة وفاطمة وخديجة، أو مقدرة كزينب وسعاد ومريم وسقر وحلب؛ لأن الحرف الرابع يقوم مقام التاء، وحركة الوسط تقوم مقام الحرف الرابع. الخامس: التعريف، ومرادهم به تعريف العلمية. السادس: التركيب، ومرادهم به المَرْجِي، وهو: كل كلمتين جُعلا كلمة واحدة لا بإضافة، ولا بإسناد، بل بتنزيل الثانية من الأولى منزلة تاء التأنيث، كَبَعْلَبَك وَحَضْرَمَوْتَ وَمَعْدِيكَرَب. وأما المَرْجِي العددي فمبني جُزْءاه على الفتح، كأحد عشر إلى تسعة عشر، إلا اثني عشر فالصَّدْرُ مُعَرَّبٌ إعراب المثنى؛ بالألف رفعا وبالياء جرا ونصبًا. والمختوم بـ(ويه) كسيبويه وعمرويه فمبني على الكسر في الكثير؛ لأن من النحاة من يرى أن المختوم بـ(ويه) ممنوع من الصرف، ولكن أكثرهم يذهب إلى أنه مبني على الكسر. السابع: الزيادة، وهي الألف والنون في الآخر بعد ثلاثة أصول، نحو: عمران وعثمان

وَلِلْجَزْمِ عَلَامَتَانِ السُّكُونُ وَالْحَذْفُ؛ فَأَمَّا السُّكُونُ فَيَكُونُ عَلَامَةً لِلْجَزْمِ فِي الْفِعْلِ
الْمُضَارِعِ الصَّحِيحِ الْآخِرِ، نَحْوُ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾⁽¹⁾.
وَأَمَّا الْحَذْفُ فَيَكُونُ عَلَامَةً لِلْجَزْمِ فِي الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ الْمُعْتَلِ الْآخِرِ، نَحْوُ: لَمْ
يَدْعُ، وَلَمْ يَحْشَ، وَلَمْ يَزَمْ. وَفِي الْأَفْعَالِ (الْخَمْسَةِ)⁽²⁾ الَّتِي رَفَعَهَا بِإِثْبَاتِ النُّونِ،
كَ"لَمْ يَفْعَلَا"، وَ"لَمْ تَفْعَلَا"، وَ"لَمْ يَفْعَلُوا"، وَ"لَمْ تَفْعَلُوا"، وَ"لَمْ تَفْعَلِي يَا هِنْدُ".

وعقَّان، وسكران ونَدَمَان ورَيَّان. الثامن: العُجْمَةُ، وشرطها العَلَمِيَّة في العَجَم أيضًا كإبراهيم
ويوسف وموسى وهارون وعيسى. التاسع: الوصفُ، كأحمر وأَبْيَضَ وشرطه الأصالة في
الوصفية، أما إذا كانت الوصفية فيه عارضة فلا يُمنع من الصرف وذلك مثل: لفظ "أرنب"
أصله اسمٌ للحيوان المعروف، ولكنه استعمل فيما بعد وصفاً بمعنى ذليل؛ لكن دلالة على
هذه الصفة عارضة ليست أصلية فلا يُمنع من الصرف. وكلُّ ما كانت العَلَمِيَّة أحدَ مانعيه
الصرفَ فينصرف إذا تُكِّر. وما لا ينصرف كلُّه جرُّه بالفتحة إلا إن أُضيف أو حلِّيَ بـ"أل". راجع:
ارتشاف الضرب من لسان العرب، ج2، ص867 و874. والممنوع من الصرف في
اللغة العربية، عبدالعزيز علي سفر، عالم الكتب، القاهرة - 2009، ص380 و390.
وشرح الكافية الشافية، محمد بن عبد الله ابن مالك، تحقيق: علي معوض وعادل عبد
الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت - 2000، ج2، ص76.

1- سورة الإخلاص، الآية 3.

2- زيادة من المتن المطبوع.

فصل (في المَعْرَبَاتِ) ⁽¹⁾:

المَعْرَبَاتُ قِسْمَانِ: قِسْمٌ يُعْرَبُ بِالْحَرَكَاتِ، وَقِسْمٌ يُعْرَبُ بِالْحُرُوفِ؛ فَالَّذِي يُعْرَبُ بِالْحَرَكَاتِ أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ: الْإِسْمُ الْمَفْرَدُ، وَجَمْعُ التَّكْسِيرِ ⁽²⁾، وَجَمْعُ الْمُؤَنَّثِ السَّالِمِ ⁽³⁾، وَالْفِعْلُ الْمُضَارِعُ الَّذِي لَمْ يَتَّصِلْ بِآخِرِهِ شَيْءٌ. وَكُلُّهَا تُرْفَعُ بِالضَّمَّةِ، وَتُنْصَبُ بِالْفَتْحَةِ، وَتُخَفَّضُ بِالْكَسْرِ، وَتُجْزَمُ بِالسُّكُونِ؛ وَخَرَجَ عَنْ ذَلِكَ ثَلَاثَةٌ

1- ما بين القوسين زيادة من (ر) و(و) و(م). وهذا الفصل يضبط الباب الذي قبله ويحصره، وتقدم أن الإعراب بالحركات أصل، وبالحروف فرع نيابة عنها، والنيابة تارة يكون الحرف نائباً عن الحركة، وتارة تكون الحركة نائبة عن حركة؛ فالجر بالفتح نيابة عن الكسرة، والنصب بالكسرة نيابة عن الفتحة، والنصب والجر متحاملان، لأنهما فضلة والكلام قد يتم بدونهما. والإعراب أشرف من البناء، والحركة أشرف من السكون، فجعل الأشرف للأشرف مناسبة.

2- جمع التفسير هو ما تعيّر نظم واحده إما بزيادة، كأبيات وأقفال وصنوان (مفرده صنو وهو المثل) وقنوان (مفرده قنؤ وهو العذق)؛ أو بنقصان ككُثِبَ وحُمِرَ؛ أو بتغيير الحركات فقط لفظاً كأُسِدَ، أو تقديرًا كفُلْكَ ودِلَاص (الدرع اللينة). ويُعرف الجمع من المفرد في مقدّر الحركات إما بالضمير أو بالنعته، مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾ [البقرة: 164]، ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ﴾ [النحل: 14]، ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾ [يونس: 22] و﴿فُلْنَا احْمِلْ فِيهَا﴾ [هود: 40] والحديث عن فُلْكَ نوح، كما يقال: دِرْعٌ دِلَاصٌ، وَأَذْرُعٌ دِلَاصٌ؛ الدِّلَاصُ صَلْحَتٌ، الدِّلَاصُ صَلْحَنٌ.

3- جمع المؤنث السالم ما كان في آخره ألف وتاء مزيدتان؛ احترازاً مما كانت تأوّه أصليةً، نحو: أبياتٌ وقضاةٌ، فـ(أبيات) مفردُها (بيت) فالتاء أصلية، وقضاةٌ أصلُها (قُضِيَّةٌ) فانقلبت الياء ألفاً فهي أصلية كذلك؛ ويلحق بجمع المونث السالم في الإعراب لفظان هما: (أولات) و(أذرعات).

أَشْيَاء: جَمْعُ الْمُؤَنَّثِ السَّالِمِ نُصِبَ بِالْكَسْرِ، وَالْإِسْمُ الَّذِي لَا يَنْصَرِفُ خُفْضَ
بِالْفَتْحَةِ، وَالْفِعْلُ الْمُضَارِعُ الْمُعْتَلُّ الْآخِرُ جُزِمَ بِحَذْفِ آخِرِهِ.
وَالَّذِي يُعَرَّبُ بِالْحُرُوفِ أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ: التَّثْنِيَّةُ، وَجَمْعُ الْمَذْكَرِ السَّالِمِ، وَالْأَسْمَاءُ
الْخَمْسَةُ، وَالْأَفْعَالُ الْخَمْسَةُ وَهِيَ: يَفْعَلَانِ، وَتَفْعَلَانِ، وَيَفْعَلُونَ، وَتَفْعَلُونَ،
وَتَفْعَلَيْنِ.

فَأَمَّا التَّثْنِيَّةُ⁽¹⁾ فَتَرْفَعُ بِالْأَلِفِ⁽²⁾، وَتُنْصَبُ وَتُخَفَّضُ بِالْيَاءِ⁽³⁾.⁽⁴⁾

1- التثنية هي المثنى، أي كل اسم دال على اثنين بزيادة في آخره صالح للتجريد وعطف
مثله عليه؛ فخرج: شَفْعٌ وَزَوْجٌ وَزَكَا (مقصورًا) الذي بمعنى الشفع من العدد، ونحوها؛ لعدم
الزيادة. واثنان واثنتان؛ لعدم التجريد. والأبوان ونحوهما؛ لعدم عطف المثل عليه لأنه يراد به
الأب والأم. ولك أن تقول إيجازًا واختصارًا إن المثنى ما دلَّ على اثنين، وأغنى عن
المتعاطفين.

2- رفعها بالألف لخفتها وكثرة استعمالها، لأن العادة أنه إذا كثر استعمال اللفظ أُعْطِيَ أخفُّ
الحروف؛ فإذا قلت: قام الزيدان، فالألف حرف تثنية وإعراب وعلامة رفع.

3- جرُّها بالياء نيابة عن الكسرة، وحُمل الجر على النصب؛ وما قبل الياء مفتوح للفرق بين
المثنى والجمع، وللإشعار بالألف المحذوفة، وأن الياء خَلَفَتْ عنها؛ ونونُه مكسورة - غالباً
- على الأصل في التقاء الساكنين، وهي عوض عن الحركة والتنوين اللذين كانا في المفرد،
لثبوتها مع (أل) وذهابها في الإضافة. وهناك قولٌ بأنها عوض عن التنوين في المجرد عن
(أل) والإضافة، وعن الحركة في المحلي بـ(أل)، وعنهما في الإضافة. راجع: **البهجة المرضية**
على ألفية ابن مالك، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد الصالحي الأنديمشكي، مكتبة
المدرّس، مدينة قم - إيران، دون تاريخ، ج 1، ص 109.

4- تُعرَّب "كِلا" و"كِلتا" إعراب المثنى بشرط إضافتهما إلى مضمَر، وهو من إعطاء الفرع
للفرع لكونهما فرعين عن المثنى لأنهما ملحقان به فأعطينا الإعراب بالحروف التي هي فرع
عن الحركات؛ وإلا فبالحركة المقدرة كالمقصور. و(كِلا) و(كِلتا) مفردان لفظاً، مُثنَّيان معنًى،
مضافان أبداً إلى مثنى لفظاً ومعنًى، أو معنًى دون لفظ؛ بلا تفرق غالباً، لأنهما تضافان إلى

وَأَمَّا جَمْعُ الْمَذْكُرِ السَّالِمِ⁽¹⁾ فَيُرْفَعُ بِالْوَاوِ⁽²⁾، وَيُنْصَبُ وَيُخَفَضُ بِالْيَاءِ⁽³⁾.⁽⁴⁾

مفرد في اللفظ مثنى في المعنى من غير تفريق بحرف عطف. راجع: الإنصاف في مسائل الخلاف، ص 355.

1- الجمع نوعان: سالمٌ وغيرُ سالمٍ، وكل منهما مذكر ومؤنث، وكل منهما اسم وصفة؛ فالسالم: ما سلم بناءً مفردة من التغيير. وحدُّ المذكر منه: ضم واحد إلى أكثر منه بزيادة في آخره صالح للتجريد وعطف مثليه أو أمثاله عليه. فإن كان اسمًا فشرطه: أن يكون علمًا لمذكر عاقل خاليًا من تاء التأنيث سالمًا وللتركيب عادمًا؛ فخرج: رجل وهند وشذقم وطلحة ومَعْدِي كَرَب. وإن كان صفة فشرطها: أن تكون لمذكر عاقل خاليًا من تاء التأنيث ليس من باب أَفْعَلَ فَعْلَاءَ، ولا من باب فَعْلَانُ فَعْلَى، ولا مما يستوي فيه المذكر والمؤنث كَجَرِيحٍ وَصُبُورٍ؛ فخرج: حائض، وجملٌ بَارِك، وعَلَامَةٌ، وأخضر، وسكران.

2- يرفع جمع المذكر السالم بالواو نيابة عن الضمة، فإذا قلت: جاء الزيدون، فالواو حرف جمع وتذكير وعلم وحرف إعراب وعلامة رفع. والمقصود بكونه علمًا أن الواو تكون علامة على الجمع المذكر مع الفعل، إما ضميرًا في مثل: الرجال قاموا أو يقومون، وإما حرفًا دلالةً على الجمع كما يرى سيبويه في نحو لغة "أكلوني البراغيث". راجع: الكتاب (كتاب سيبويه)، ج 1، ص 20.

3- يُجَرُّ جَمْعُ الْمَذْكُرِ السَّالِمِ بِالْيَاءِ نيابة عن الكسرة، والنصب محمول على الجر أيضًا، والنونُ عَوْضٌ ومفتوحة للخفة، وما قبل الياء مكسور للمجانسة.

4- لم يذكر المؤلف ولا الشارح ما يلحق بجمع المذكر السالم من أسماء أخرى تعرب إعرابه؛ من ذلك: أولو، وعليُّون، وعالمون، وعشرون وبابه، وأَرْضُونَ، وسنون وبابه من كل اسم ثلاثي حذف لامه وعوض عنها هاء التأنيث ولم يُكسَّر. وخرج بذلك كلٌّ من: عدة، لأن الحذف من أوله فأصله وعد؛ ويدًا، ودَمًا، واسمًا، لأنه لم يعوض عنه بشيء؛ وشَقَّة، لأنها تجمع جمع تكسير "شفاه".

- وَأَمَّا الْأَسْمَاءُ الْخَمْسَةُ⁽¹⁾ فَتُرْفَعُ بِالْوَاوِ، وَتُنْصَبُ بِالْأَلْفِ، وَتُخَفَّضُ بِالْيَاءِ⁽²⁾.
وَأَمَّا الْأَفْعَالُ الْخَمْسَةُ (فَتُرْفَعُ بِالنُّونِ) وَتُنْصَبُ وَتُجْزَمُ بِحَذْفِهَا⁽³⁾.
(وَقَدْ تَقَدَّمَتْ أَمْثَلُهُ مَا فِي هَذَا الْفَصْلِ كُلِّهِ فِي الْبَابِ قَبْلَهُ⁽⁴⁾ لِأَنَّهُ حَاصِلُهُ)⁽⁵⁾.

1- الأسماء الخمسة، وفي نسخة الستة؛ بزيادة (هنوك) وهو الفرج، والأكثر في إعرابه الحركات، ومنه حديث: {مَنْ تَعَزَّى بَعَزَاءَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعِضُّوهُ عَلَى هَنْ أَبِيهِ وَلَا تَكُنُوا}. وتعزَّى بوزن تجلى: انتسب وانتمى. وعزاء الجاهلية: المناداة بالجاهلية والعصبية القبلية وهو أن يقول: يا لفلان، يخرج الناس معه إلى القتال في الباطل. فأعضوه، أي قولوا له: اعضض هَنْ أبيك، استهزاء به ولا تجيبوه إلى ما دعا إليه. ولا تكونوا: قولوا له ذلك صراحة بلا كناية، احتقاراً لما دعا إليه. راجع: البهجة المرضية، ج 1، ص 77.

2- وشرط إعراب هذه الأسماء بالحروف أن تكون: مفردة، مُكَبَّرَةٌ، مضافَةٌ لغير ياء المتكلم. فإن تُنْيِثُ أُعْرِبَتْ بِالْأَلْفِ رَفْعًا وَبِالْيَاءِ جَرًّا وَنَصْبًا، فتخرج عن الأصل الذي كانت عليه؛ وإن كُسِّرَتْ أَوْ صُغِّرَتْ أُعْرِبَتْ بِالْحَرَكَاتِ الظَّاهِرَةِ؛ وَإِنْ أُضِيفَتْ إِلَى الْيَاءِ فَبِالْحَرَكَاتِ الْمَقْدَّرَةِ. راجع: همع الهوامع، ج 1، ص 122.

3- ما بين القوسين ساقط من (أ).

4- يعني باب معرفة علامات الإعراب.

5- ما بين القوسين زيادة من (ج). وضابط جميع ما يعرب به الكلام عشرة أشياء: الحركات الثلاث، والسكون، وأحرف العلة وحذفها للجازم، والنون وحذفها له وللناصب. مثال ذلك ملخصاً: يقوم زيدٌ ورجالٌ ومومناتٌ، ولن أضربَ زيدًا ورجالًا، ومررت بزيدٍ ورجالٍ ومومناتٍ، وجاء إبراهيمُ والمؤمناتُ، ورأيت إبراهيمَ والمؤمناتِ، ومررت بأحمدَ والمؤمناتِ، وعَمَّرُوا ولم يَزِم، وأقبل الزيدان، ورأيت أخاك، وجاء الزيدون وأخوك، ورأيت الرجلين والزيدَين، ومررت بأخيك والرجلين والمسلمين، والزيدون يقومون، والرجلان لم ينطلقا ولن يخرججا.

بَابُ الْأَفْعَالِ

الأَفْعَالُ ثَلَاثَةٌ: مَاضٍ، وَمَضَارِعٌ، وَأَمْرٌ؛ نَحْوُ: ضَرَبَ، وَيَضْرِبُ، وَاضْرِبْ⁽¹⁾؛
فَالْمَاضِي مَفْتُوحٌ الْآخِرُ أَبَدًا⁽²⁾: لَفْظًا كَضَرَبَ وَقَامَ⁽³⁾، أَوْ تَقْدِيرًا كَدَعَا وَرَمَى؛ مَا لَمْ
يَتَّصِلْ بِهِ وَאוُ جَمْعُ فَيُضَمُّ، كَضَرَبُوا وَقَامُوا؛ أَوْ ضَمِيرٌ رَفَعَ مَتَحَرِّكٌ فَيَسْكُنُ كَضَرَبْتُ
وَقَمْتُ⁽⁴⁾.

1- الفعل يدل على الحدث والزمان؛ والزمان ثلاثة بدليل قوله تعالى: ﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾
[مريم: 64] يعني المستقبل، ﴿وَمَا خَلَقْنَا﴾ [مريم: 64] يعني الماضي، ﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾
[مريم: 64] الحال. وبعضهم يستدل بقول الشاعر: وَأَعْلَمَ مَا فِي الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ وَلَكِنِّي
عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمِي

البيت لزهير بن أبي سلمى، ووجه الاستدلال به أنه قسم الأيام ثلاثة لا رابع لها؛ فكان الفعل
أيضًا ثلاثة؛ لأن الحدث يستلزم زمانًا بالضرورة. ودليل الحصر أَنَّ المتكلم بالفعل إما أن يكون
ذلك الفعل وقع وانقطع قبل التلفظ به فهو الماضي، أو يقارن اللفظ بعد وجود الفعل فهو
الحال، أو يكون التلفظ سابقًا على الفعل فيكون ذلك الفعل مستقبلًا. فصيغة الماضي (فَعَلَ)
مثلث العين، كَنَصَرَ وَعَلِمَ وَحَسُنَ. وصيغة الأمر كاضْرِبْ وَقُمْ وَكُلْ. وصيغة المضارع كَيَقُومُ
وَيَقْعُدُ، محتملة للحال والاستقبال عند جمهور النحاة، ومنهم من يرجح دلالة المضارع على
الحال، ومنهم من يخصصه بالحال، ومنهم من يعينه للمستقبل. راجع: همع الهوامع، ج 1،
ص 15.

2- يعني إذا كان مجردًا من ضمير الرفع البارز. والأسلم أن يقال: الماضي ما صلح معه
أَمْسٌ، أَوْ قَبْلَ إِحْدَى التَّاءَيْنِ (تاء الفاعل، وتاء التأنيث الساكنة).

3- "وقام" ساقط من (ج)، ومحله من (أ) منطمس.

4- حُكِمَ الماضي البناء على الفتح ما لم يتصل بآخره ضميرٌ رفعٍ بارزٌ؛ أخرج ضميرَ النصب،
وأخرج المستتر. فإذا اتصل ضميرُ الرفعِ البارزُ بالماضي وكان متحركًا بُنِيَ الفعل على السكون؛

والأمر مجزومٌ أبداً⁽¹⁾، أي مبني على ما يُجزمُ به مضارعُه من سكونٍ أو حذفٍ، ك: اضرب، وقُمْ، وادْع، وارم، واخش، وافعلأ، وافعلُوا، وافعلي⁽²⁾.

لأنه كالجزء من الفعل، نحو: قمتُ، وقمنا، والنساء خرجن؛ وإن كان الضمير ساكناً بُني الفعل على حركة تُجانسه: على الضمة في "ضربوا" على رأي، وعلى رأي آخر يكون مبنياً على الفتح المقدّر؛ لأن الأصل فيه البناء على الفتح. وإن كان الضمير ساكناً يُبنى الفعلُ على الفتحة في "ضرباً"، مع خلاف في ما إذا كانت هي الأصلية أو غيرها لأجل الألف. و(نعم) و(يُس) يقبلان تاء التأنيث الساكنة، و(أفعلُ) في التعجب يصلح معه (أمس). راجع: كتاب ترشيح العلل في شرح الجمل، القاسم بن الحسين الخوارزمي، تحقيق: عادل محسن العميري، جامعة أم القرى - 1998م، ص11. وشرح المفصل، ج4، ص208. والكواكب الدرية على متممة الآجرومية، ص49.

1- أي إذا كان فعل الأمر مسنداً لضمير واحد وصحيح الآخر، نحو: قم واقعد. وعلامته: أن يدل على الأمر ويقبل نون التوكيد.

2- فعل الأمر مبني على ما يُجزم به مضارعُه؛ فإن كان مضارعُه يُجزم بالسكون نحو: لم يضرب، ولم يقم، فالأمر مبني على السكون، نحو: قم، واضرب. وإن كان مضارعُه يجزم بحذف الآخر فالأمر مبني على حذف نيابة عن السكون، نحو: ادْع، وارم، واخش. وإن كان مضارعُه يجزم بحذف النون فالأمر مبني على حذف النون، نحو: اضربا، واضربوا، واضربي - نيابة؛ لأنَّ الأمر هو المضارع المجزوم المحذوف منه حرف المضارعة، ثم يُنظر: فإن كان ما بعدها متحركاً ابتدأت به، نحو: تَعَلَّم، ودَخِرْج، وضَارِب، وفَرَّجْ؛ إذ باب الأفعال يراعى فيها الأصل المرفوض، وهو رد المحذوف؛ تقول: أكرم، وأخرج، وأصلح. وإن كان ما بعد حرف المضارعة ساكناً اجتلبت قبله همزة وصل تحركها بحسب ثالثه، فإن كان الثالث مضموماً بضمة أصلية ضممتها نحو: أَسْجُدْ، وأدْكُرْ، وإن كان الثالث مفتوحاً أو مكسوراً بكسرة أصلية كسرتها نحو: اِتَّبِعْ، وإِغْلَمْ، وإِضْرِبْ. والضمة العارضة لا مراعاة لها ولا اعتداد بها، نحو: امشُوا، واقضُوا؛ وكذلك الكسرة العارضة، نحو: ادْعِي، واغْزِي، وقد نُقل إشمام الضمة هنا، أي جعلها صوتاً بين صوت الضم والفتح والفتح، فهي ضمة مشمة صوت الكسرة.

والمضارع ما كان في أوله إحدى الزوائد الأربع⁽¹⁾ يجمعها قولك "أنيت"⁽²⁾ يعني أن المضارع لا بد أن يبدأ فيه بالهمزة الدال على المتكلم وحده: كأقوم وأضرب؛ أو بالنون الدالة على المتكلم المعظم نفسه أو معه غيره: كنقوم ونضرب؛ أو بالتاء الدالة على المخاطب مطلقاً مذكراً أو مؤنثاً، مفرداً أو مثني أو مجموعاً: كتقوم وتضرب، وتقومان وتضربان، وتقومون وتضربون، وتقومين وتضربين ياهند، وتقمين وتضربين ياهندات؛ وعلى المؤنث الغائب مفرداً أو مثني: كهند تقوم وتضرب، والهندان تقومان وتضربان؛ أو بالياء الدالة على الغائب المذكر مطلقاً (مفرداً أو مثني أو مجموعاً)⁽³⁾: كيقوم ويضرب ويقومان ويضربان ويقومون ويضربون، أو جمع⁽⁴⁾ الإناث الغائبات: كيقمن ويضربن، (أو تثنية الإناث الغائبات: كالهندان هما يقومان؛ بشرط "هما" أي

1- ورد في (ج) إضافة التاء إلى "ما كان" كما أقحمت فيها "التي" بعد قول المؤلف: "الزوائد الأربع"، وكلهما زيادة لا وجود لها في نسخ المخطوط الأخرى.

2- المضارع ما كان في أوله إحدى الزوائد الأربع يجمعها قولك "أنيت"، ومنهم من يجمعها (نأيت) و(نأتني) و(يتأن)، و(أنيت) أولى من غيره، لأن كل حرف ما بعده ضعفه: فالهمزة للمتكلم وحده مذكراً كان أو مؤنثاً، لأن كل واحد يخبر عن نفسه بلفظ أقوم؛ والنون لاثنتين: له وحده أو معه غيره؛ والياء لأربع: للمذكر الغائب (يفعل)، وفرعيه (يفعلان) و(يفعلون)، وللغائبات (يفعلن)؛ والتاء لثمان: للحاضر مطلقاً وفرعيه، وللغائبة والغائبتين، فتكون ثمانية في اللفظ وخمسة في الخط؛ وزاد بعضهم المضارع المسند إلى جمع المؤنث السالم، نحو: تقوم الهندات، ومنه: ﴿تَكَاذُ السَّمَاوَاتُ﴾ [مريم: 90]، وفيه نظر، لأن "تقوم" ليست صيغة مستقلة، إنما هي التي تستعمل مع المخاطب المفرد والغائبة المفردة؛ لأن جمع المؤنث السالم يكون فعله كفعل مفردة. والصحيح أن التاء تكون لسبعة؛ ستة للمخاطب مذكراً ومؤنثاً مفرداً ومثني وجمعاً، وواحد للغائبة المؤنثة. راجع: كشف المشكل، ص 251.

3- ما بين القوسين زيادة انفردت بها (و).

4- وردت في (ج) بصيغة "وعلى جمع ..".

إن كان معهما "هُما" ⁽¹⁾. وَهُوَ مَرْفُوعٌ أَبَدًا ⁽²⁾ ورافعه التجريدُ من العوامل ⁽³⁾ على الأصح ⁽¹⁾ حَتَّى يَدْخَلَ عَلَيْهِ نَاصِبٌ فَيَنْصِبُهُ أَوْ جَازِمٌ فَيَجْزِمُهُ.

1- ما بين القوسين زيادة من (م). ومن علامات الفعل المضارع أن يقبل "لم". والزوائد شرطها أن تكون الهمزة دالة على المتكلم، والنون على الجمع، والياء للغائب، والتاء للحاضر؛ ليخرج: أَكْرَمَ، وَتَرَجَسَ (نرجست الدواء، أي خلطته بالنرجس)، وَتَعَلَّمَ، وَيَرْنَأُ (اليرنأ: بضم الياء وتشديد النون: اسم للحنأ، يقال: يرناً لحيته: صبغها باليرنأ).

2- سبب إعراب المضارع شَبَّهُهُ بالاسم في: الشيعاء والتخصيص، ودخول لام الابتداء، والجريان مع اسم الفاعل في الحركات والسكنات وعدد الأحرف. والمراد بالشيعاء الإبهام والعموم؛ فكما أن الاسم يكون نكرة دالة على الشيوع والعموم، يكون المضارع شائعاً إذ يصلح للأزمنة الثلاثة: الماضي: لم يضرب أمس، والمستقبل: لن يضرب غداً، والحال: يضرب الآن. أما التخصيص فكما أن الاسم يتخصص بالتعريف، فالمضارع يتخصص بأحد الأزمنة بوساطة الأدوات؛ مثل السين وسوف التي تخصصه للاستقبال. راجع: همع الهوامع، ج 1، ص 54. وبيان ذلك: أن النكرة شائعة في الجنس لا تخصُّ واحداً بعينه، وكذلك المضارع شائع في الزمانين الحال والاستقبال؛ والنكرة تتخصص بالإضافة إلى مثلها أو بنعت، والمضارع يتخصص لزمان واحدٍ بمخلص له؛ ولأنَّ الابتداء تدخل عليهما، نحو: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ﴾ [الليل: 13]، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ﴾ [النحل: 124]؛ والجريان، نحو: ضَارِبٌ وَيَضْرِبُ، ومَكْرِمٌ وَيُكْرِمُ. فلما أشبهه في هذه الأربعة أعرب مثله دون الماضي والأمر، فإنهما مبنيان لعدم الشَّبه. وشرطُ إعراب المضارع أن لا يتصل به نون إناث كيزهبن، فإن اتصلت به فيبنى على السكون؛ وأن لا يؤكد بنون مباشرة، وتباشره إذا أسند لظاهر أو لضمير مفرد مذكر، نحو: ﴿لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الروم: 58]، و﴿كَأَلَّا لَيُبَدَنَّ﴾ [الهمزة: 4] فيبنى على الفتح لخفته وثقل التركيب.

3- عبارة "من العوامل" ساقطة من (أ) واستُدرك ذلك في الهامش الأيمن من الصفحة، أما (ج) فقد أبدلت العبارة كلها بعبارة "من الناصب والجازم". والعبارة المثبتة هي الأخلص، كما سيتضح من الهامش الموالي.

فالنواصبُ عشرة⁽²⁾، وهي: أن⁽³⁾، نحو: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ﴾⁽⁴⁾، ولن⁽⁵⁾ نحو: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا﴾⁽⁶⁾، وإذن⁽⁷⁾ نحو: إِذَنْ أُكْرِمَكَ، جوابًا لمن قال: آتيك غَدًا. وشرطُ عملِها التصدُّر واستقبالُ منصوبِها واتصالُها بها؛ وجازَ فصلُها بالقسم كقولهِ:

1- اختلف النحاة في رافع المضارع المُعَرَّب؛ فالبصريون يرون أن رافعه حلوله محلَّ الاسم، والكوفيون يرون أن رافعه تجرُّده عن الجازم والنائب. راجع: شرح المفصل، ج4، ص218.
2- أربعة منها تنصب بنفسها، والستة الباقية تنصب بـ"أن" مضمرة بعدها؛ إما جوازًا أو وجوبًا. وسيأتي تفصيل ذلك لاحقًا، إن شاء الله.

3- تكون مخففة من الثقيلة بعد العلم، نحو: ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ﴾ [المزمل:20]، وبعد الظن محتملة؛ وبهما قرئ: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً﴾ [المائدة:71]، فمن رفع جعلها مخففة، ومن نصب جعلها ناصبة على أصلها؛ والرفع قراءة أبي عمرو والكسائي وحمزة وأبي بكر عن عاصم، وآخرين، والنصب قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم وآخرين. راجع: معجم القراءات، ج2، ص323.

4- سورة الزمر، الآية 56. ونحو: ﴿كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ [طه:40].

5- حرفٌ نفي ونصبٍ واستقبالٍ، وتختص بتقديم معمول معمولها عليها نحو: زيدًا لن أضرب. ولا تأبید لنفيها عند أهل السنة لوقوع الغاية بعدها، نحو: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾ [يوسف:80]. أما المعتزلة فإنهم يرونها تفيد التأكيد، والتأبید لنفي المستقبل. راجع: شرح المفصل، ج4، ص225. وج5، ص38.

6- سورة الحج، الآية 37.

7- وردت "إذن" بالألف في نسخ المخطوط جميعها؛ وهناك خلاف حول (إذن) هل هي اسم أم حرف؟ وعليه ينبنى الخلاف في كتابتها: هل تكتب بالنون، أم بالألف؟ والصواب عندي أن تكتب بالنون "إذن"؛ لأنها - على رأي الجمهور - حرف جزاء ونصب، والحرف لا يدخله التنوين؛ لأن التنوين من خصائص الأسماء. وروى عن المبرد أنه قال: "أشتهي أن أكوي يد من يكتب (إذن) بالألف". وربما ساروا في كتابتها بالألف على كونها في المصحف كذلك، لكن رسم المصحف وقف عليه، لا يقاس عليه، ولا يصح الاحتجاج به في الرسم

إِذَنْ وَاللَّهِ نَزَمِيَهُمْ بِحَرْبٍ تُشِيبُ الطِّفْلَ مِنْ قَبْلِ الْمَشِيبِ⁽¹⁾
وكذا الظَّرْفُ والمَجْرورُ والنداءُ والدعاءُ ومعمولٌ معمولُها عند بعض⁽²⁾، وَكَيْ⁽³⁾ نحو:
﴿كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾⁽⁴⁾، وَلَامُ كَيْ أي اللّام التي بمعنى كَيْ⁽⁵⁾، نحو: جئتُك

الإملائي. راجع: الجنى الداني في حروف المعاني، ص 363؛ والمساعد على تسهيل
الفوائد، ج 4، ص 348.

1- البيت منسوب إلى حسان بن ثابت، وتذكره كتب النحو شاهدا على نصب المضارع إذا
فُصل عن (إذن) بالقسم، وهو هنا الفعل (نزميهم). راجع: الهمع الهوامع، ج 2، ص 7.
2- يعني أنه يجوز بكل منها الفصل بين "إذن" ومنصوبها. المرجع السابق، ج 4، ص 103.
3- تكون جارة تعليلية بمعنى اللام، ومصدرية ناصبة كـ(أن)؛ فإن كان بعدها (ما) فتعليلية،
وقد تظهر بعدها (أن) كقول الشاعر: أَرَدْتُ لِكَيْمًا أَنْ تَطِيرَ بِقُرْبَتِي فَتَتَرَكَّهَا شَنَا بَبِيدَاءِ بَلْقَعِ
والشاهد في البيت أنّ «كي» محتملة لأن تكون جارة بمعنى اللام؛ ويحتمل أن تكون
ناصبة، واجتمعت مع «أن» على سبيل التوكيد، أو زائدة. وإن لم تظهر (أن) بعد (كَيْ)
فيرتفع الفعل، كقول الآخر: إِذَا أَنْتَ لَمْ تَنْفَعْ فَضُرُّ فَإِنَّمَا يُرْجَى الْفَتَى كَيْمَا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ
والشاهد أن «كي» فيه جارة بمعنى اللام، و«ما» مصدرية، وقيل: كافة، والفعل منصوب بـ
«كي»، واللام التي تجر المصدر مقدرة. وروي: "كيما يضرّ وينفعاً" على جعل (ما) زائدة،
و"يضرّ" منصوب بـ(كي). راجع: شرح أبيات مغني اللبيب، عبد القادر بن عمر البغدادي،
تحقيق: عبدالعزيز رباح وأحمد يوسف دقاق، دار الثقافة العربية، دمشق - 1993، ج 4،
ص 152. وشرح الأشموني (منهج السالك إلى ألفية ابن مالك)، تحقيق: محمد محيي
الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت - 1955، ج 3، ص 549.

4- سورة القصص، الآية 13.

5- إن سُبقت (كي) باللام أو تأخرها ولم تكن بعدها (ما) مصدرية، فيحتمل أن تكون
(كي) زائدة، أو جارة واللام زائدة، أو تأكيداً لفظياً بالمرادف؛ وإن تجردت احتملت الوجهين،
نحو: ﴿لَكَيْلًا يَكُونُ﴾ [الأحزاب: 50]، وتقول: جئت كي لتقضي حقي. راجع: شرح أبيات
مغني اللبيب، ج 4، ص 160.

لُتَكْرَمَنِي⁽¹⁾، وَلَا أُمَّ الْجُحُودِ وهي الواقعة بعد "كان" المنفية بـ(ما) أو (إن) أو (لم)، نحو: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾⁽²⁾ و﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾⁽³⁾ و﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾⁽⁴⁾.

قال بعضهم:

وَكُلُّ لَامٍ قَبْلَهُ "مَا كَانَا" أو "لَمْ يَكُنْ" فَلِلْجُحُودِ بَانَا⁽⁵⁾

1- لام (كَي) تَنْصَبُ بِإِضْمَارِ (أَنْ) جَوَازًا، نَحْوُ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾ [الفتح: 2]، ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْحَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [الأنفال: 37]. ويجوز إظهارها نَحْوُ: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الزُّمَر: 12]. ويجب الإظهار، نحو: ﴿لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ [الحديد: 29]؛ وهذه اللام جارة لمصدر مؤوَّل، فإذا قلت: جئتُ لتكرماني، أي: لإكرامك إياي.

2- سورة البقرة، الآية 143.

3- سورة إبراهيم، الآية 46.

4- سورة النساء، الآية 168.

5- ورد بعده في (ج): "صوابه: وكل لام قبله (ما كان) # أي (نفي كان) للجحود بنا"، وفي حاشية (م): "ولشيخنا مذيلا: كذاك إن كان فزد إحسانا". ومن مجموع ذلك يتضح أن الناظم لم يذكر الحالة التي تجيء فيها "كان" مسبقة بـ"إن".

وسمّي لَامَ الجُحود لأنه لا يَقَعُ إلا بَعْدَ الجُحود أي النفي⁽¹⁾. وَحَتَّى⁽²⁾ نحو: ﴿حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا﴾⁽³⁾ و﴿حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾⁽⁴⁾؛ والمشهور أَنَّ النصب بعد "حتى" واللامين⁽⁵⁾ قَبْلَهَا بـ"أَنَّ" مَحْذُوفَةٌ⁽⁶⁾. وَالْجَوَابُ بِالْفَاءِ وَالْوَاوِ يعني أَنَّ الفاء السببية والواو المَعِيَّةُ يُنْصَبُ المضارعُ بعدهما على المشهور بـ"أَنَّ" مُضْمَرَةً وجوبًا إِذَا وَقَعَا فِي جَوَابِ طَلَبٍ أَوْ نَفْيٍ مَحْضٍ⁽⁷⁾، والطلبُ إمَّا أَمْرٌ أَوْ نَهْيٌ أَوْ دَعَاءٌ أَوْ عَرَضٌ أَوْ تَحْضِيضٌ أَوْ اسْتِفْهَامٌ أَوْ تَمَنٍّ؛ فالأمرُ⁽⁸⁾ كقولهِ:

1- الجحد: النفي، ولام الجُحود هي الواقعة بعد (كان) المنفية، وتَنصب بإضمار (أَنَّ) وجوبًا، فإذا قلت: ما كان زيد ليقْرَأ، التقدير: ما كان زيد مريدًا للقراءة، ف(مريدًا) خبر كان. ومنه: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال:33]، و﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [النساء:168]. راجع: همع الهوامع، ج4، ص108.

2- "حتى" في بعض تصاريفها تكون عاطفة وابتدائية وجارّة، والأخيرة إذا دخلت على المستقبل كانت غاية بمعنى (إلى)، و(أَنَّ) بعدها مضمرة وجوبًا، نحو: ﴿حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾ [يوسف:80]، و﴿حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ﴾ [يونس:109]. المرجع السابق، ج4، ص111.

3- سورة الأعراف، الآية 87.

4- سورة طه، الآية 91.

5- أي لام كي ولام الجحود.

6- الرأي المشهور الذي أشار إليه الشارح هو رأي البصريين القائل إن النصب بعد "حتى" واللامين يكون بإضمار (أَنَّ)، والكوفيون يرون الاستغناء عن (أَنَّ). راجع: همع الهوامع، ج4، ص108.

7- المرجع السابق، ج4، ص135.

8- ليس في القرآن أمرٌ مُجَابٌ بالفاء ولا بالواو؛ وهو ما يُفسر خروج الشارح عن منهجه في الإتيان بالشاهد القرآني قبل غيره.

يَا نَاقُ سِيرِي عَنَّا فَسِيحًا إِلَى سُلَيْمَانَ فَتَسْتَرِيحًا⁽¹⁾
وكقوله:

فَقُلْتُ ادْعِي⁽²⁾ وَأَدْعُو إِنَّ أُنْدَى لَصَوْتٍ أَنْ يُنَادِيَ دَاعِيَانِ⁽³⁾
وَالنَّهْيُ، نَحْوُ: ﴿وَلَا تَطْعَمُوا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾⁽⁴⁾ وقوله:
لَا تَنَّهُ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ⁽⁵⁾

1- البيت لأبي النجم العجلي. يأمر ناقته أن تسرع السير به حتى يصل إلى ممدوحه، ليعطيه العطاء الجزل. يا ناق: منادى مرخم مبني على الضم في محل نصب. عنقا: مفعول مطلق مبين للنوع وأصله صفة لموصوف محذوف وتقدير الكلام سيري سيرا عنقا. والشاهد: قوله فنستريحاً، حيث نصب المضارع الذي هو نستريح بـ"أن" مضمرة وجوبا بعد فاء السببية الواقعة في جواب الأمر (سيري). راجع: همع الهوامع، ج 1، ص 182. وج 4، ص 118.

2- ورد في (ج) ادع، وهو تصحيف حسب ما سيتضح في الهامش اللاحق.

3- ينسب لغير واحد. وقوله "أندى" أفعل تفضيل من قولهم: ندي صوته يندى ندى، من باب فرح، ومعناه بُعد أمده وامتدّد. وقوله "ادعي" فعل أمر، والياء فاعله. وأدعو: مضارع منصوب بـ(أن) مضمرة بعد واو المعية. إنْ أندى: إنْ واسمها، لصوت: متعلقان بـ«أندى» وقيل: اللام زائدة، وأندى: مضاف، وصوت مضاف إليه. وخبر (إنْ) المصدر المؤول (أن ينادي داعيان) وداعيان: فاعل ينادي. والشاهد "وأدعو" منصوب بـ(أن) مضمرة بعد واو المعية الواقعة في جواب الأمر. ويروى الشاهد: فقلت ادعي وأدع فإنْ أندى ... أي: ولأدع، مجزوم بلام أمر محذوف. راجع: الكتاب (كتاب سيبويه)، ج 1، ص 226. وشرح المفصل، ج 7، ص 33.

4- سورة طه، الآية 81.

5- البيت لأبي الأسود الدؤلي، وقيل لغيره. وقوله "عار عليك" مبتدأ وخبر. وعظيم: صفة للمبتدأ، والصفة سوّغت الابتداء بالنكرة. والشاهد "وتأتي" حيث نصب المضارع بـ(أن) مضمرة وجوبا بعد الواو الدالة على المعية في جواب النهي. والبيت لا يصلح شاهداً على نصب المضارع بعد واو المعية، لأن وزنه (الكامل) يستقيم بتحريك الياء من (تأتي) وبإسكانها على أنه مرفوع. راجع: شرح المفصل، ج 2، ص 15. وشرح أبيات المغني، ج 6، ص 112.

والدعاء، كقوله:

رَبِّ وَفَّقْنِي فَلَا أَعْدِلَ عَنْ سَنَنِ السَّاعِينَ فِي خَيْرِ سَنَنِ⁽¹⁾
وَنَحْوُ: اللَّهُمَّ قَرِّبْنِي إِلَيْكَ وَتُعَافِنِي مِنْ كُلِّ مَكْرُوهِ⁽²⁾.

والعرض، كقوله:

يَا بَنَ الْكَرَامِ أَلَا تَدْنُو فَتَبْصِرَ مَا قَدْ حَدَّثُوكَ فَمَا رَأَى كَمَنْ سَمِعَا⁽³⁾
نَحْوُ: أَلَا تَزُورُنَا وَتَدْعُو لَنَا.

والتحضيض، نَحْوُ: هَلَّا تَأْتِينَا فَتَحَدِّثْنَا، وَأَلَا تَخَافُنَا وَتَحْذَرُ مِنَّا⁽⁴⁾.

والاستفهام⁽⁵⁾، نَحْوُ: ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾⁽⁶⁾، وقوله:

1- مجهول القائل. والسَّنَن، بفتح السين والنون: الطريق. والشاهد "فلا أعدل" حيث نصب المضارع «أعدل» بـ(أَنْ) المضمرة وجوبا بعد فاء السببية الواقعة في جواب فعل الدعاء الذي هو «وَفَّقَ» ومنه يتبين أن الفصل بـ(لا) النافية بين الفاء والفعل لا يمنع من عمل النصب. راجع: همع الهوامع، ج2، ص11.

2- (اللهم) منادى حذف حرف النداء منه وعوض عنها الميم. راجع: شرح التصريح، ج2، ص208. والإنصاف في مسائل الخلاف، ص290.

3- مجهول القائل. والشاهد «فتبصر» حيث نصب الفعل المضارع الذي هو «تبصر» بـ(أَنْ) المضمرة وجوبا بعد فاء السببية، الواقعة في جواب العرض المدلول عليه بقوله «ألا تدنو». راجع: شرح الأشموني (منهج السالك إلى ألفية ابن مالك)، ج2، ص302. أما حذف ألف (ابن) بعد ياء النداء فهو الأسلم إملائيا. راجع: قواعد الإملاء (المطالع النصرية)، ص216.

4- العرض والتحضيض كل منهما طلب، فالأول طلبٌ بِلِينٍ وَرُقٍ، والآخر طلبٌ بِحَثٍّ وإزعاج.

5- الاستفهام هو السؤال، ومن أمثلته: هل لي من صديق مخلص فأقصده.

6- سورة الأعراف، الآية 53.

أَتَيْتُ رِيَّانَ الْجُفُونِ مِنَ الْكَرَى وَأَبَيْتَ مِنْكَ بَلِيلَةَ الْمَلْسُوعِ⁽¹⁾
وَالْتَمَنِّي، نَحْوُ: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾⁽²⁾، وَلَيْتَكَ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ
وَتَأْتِمِرُ بِهِ⁽³⁾.

وَالنَّفْيِ، نَحْوُ: ﴿لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾⁽⁴⁾، ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ
وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾⁽⁵⁾.

وَأَوْ الَّتِي بِمَعْنَى "حَتَّى" أَوْ "إِلَّا"، كَقَوْلِهِ:

لَأَسْتَسْهِلَنَّ الصَّعْبَ أَوْ أُدْرِكَ الْمُنَى فَمَا انْقَادَتِ الْأَمَالُ إِلَّا لِصَابِرٍ⁽⁶⁾
وَقَوْلِهِ:

وَكُنْتُ إِذَا غَمَزْتُ قَنَاةَ قَوْمٍ كَسَرْتُ كُعُوبَهَا أَوْ تَسْتَقِيمًا⁽⁷⁾

1- البيت للشريف الرضي. الهمزة للاستفهام التوبيخي، و«أبيت» في الشطر الثاني منصوب
ب(أَنْ) مضمرّة بعد واو المعية المسبوقة بالاستفهام. راجع: شرح أبيات مغني اللبيب، ج 8،
ص 31. وجمع الهوامع، ج 4، ص 127.

2- سورة النساء، الآية 73.

3- ويكون التَّمَنِّي ب(لَوْ) أيضًا، نَحْوُ: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾
[الشعراء: 102].

4- سورة فاطر، الآية 36.

5- سورة آل عمران، الآية 142.

6- البيت غير منسوب. والشاهد فيه "أو أدرك" حيث نصب المضارع «أدرك» بعد «أو»
التي بمعنى "حَتَّى"، ب(أَنْ) مضمرّة وجوبًا. راجع: همع الهوامع، ج 2، ص 10.

7- البيت لزياد الأعجم. غمزت: الغمز الجسّ. والكُعُوب: جمع كعب، وهو طرف الأنوبة
الناشر. أراد: أنه إذا هجا قوما وقال فيهم شعرا لم يترك لهم أديما صحيحا حتى يرجعوا عن
معاداته، وضرب لذلك مثلا بحالة من يثقف الرماح فيجسها بيده، وما يزال بها حتى تعتدل
أو يكسرهما. ومعنى البيت: "من لم يستقم بالملاينة توليته بالمخاشنة إلا أن يستقيم". والشاهد

والمشهور أنَّ النصبَ بعدها⁽¹⁾ بـ"أنَّ" مضمرة أيضاً.
وَالجَوَازُ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ، وَهِيَ: لَمْ⁽²⁾، نَحْوُ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾⁽³⁾؛ وَلَمَّا⁽⁴⁾، نَحْوُ: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾⁽⁵⁾؛ وَأَلَمْ⁽⁶⁾، نَحْوُ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾⁽⁷⁾؛ وَأَلَمَّا⁽⁸⁾ كقوله:
عَلَى حِينٍ عَاتَبْتُ الْمَشِيبَ عَلَى الصَّبَا فَقُلْتُ أَلَمَّا أَصْحُ وَالشَّيْبُ وَازِعٌ⁽⁹⁾

"تستقيما" حيث نصب الفعل المضارع وهو قوله "تستقيم"، بـ(أنَّ) المضمرة وجوباً بعد «أو» التي بمعنى «إلا». راجع: شرح أبيات مغني اللبيب، ج2، ص71.

1- الضمير في "بعدها" متعلق بـ(أو) التي بمعنى "حتى" و"إلا". والفرق بين معنيي (أو) هو أن التي بمعنى (حتى) ما قبلها ينقضي شيئاً فشيئاً، والتي بمعنى (إلا) ينقضي دفعةً واحدة. والأخيرة عاطفة مصدرًا مؤوّلاً على مصدر مقدّر؛ فقولك: لأستسهلن الصعب أو أدرك المني، التقدير: ليكون استسهالٌ مني للصعب أو إدراك مني للمني.

2- "لم" حرف نفي وجزم، ينفي المضارع ويجزّمه ويقلب معناه ماضياً. ونفيها متّصلٌ ومنقطعٌ؛ فالمتّصل نحو قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص:3]، والمنقطع مثل قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان:1].

3- سورة الإخلاص، الآيتان 3 و4.

4- "لَمَّا" حرف نفي وجزم كذلك، وتختص باتصال النفي إلى زمن التكلم، وتحقق الفعل متوقع لا بدّ منه، نحو: ﴿بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابٍ﴾ [ص:8]، فالذوق متوقع لا بدّ منه.

5- سورة آل عمران، الآية 142.

6- "ألَمْ" عبارة عن (لم) دخلت عليها همزة الاستفهام.

7- سورة الشرح، الآية 1.

8- "ألَمَّا" عبارة عن (لَمَّا) دخلت عليها همزة الاستفهام.

9- البيت للناطقة الذبياني. والعتاب: اللوم في تسخط. والصِّبَا: الصَّبَوَة، وهي الميل إلى شهوات النفس. والوازع: الزاجر. والشاهد «حين»، فإنه يروى بالجرّ على أنه معرب، ويروى بالفتح على أنه مبني على الفتح في محل جر؛ ذلك أنّ الجملة بعد «حين» فعلها ماضٍ،

وَلَا مَ الْأَمْرِ⁽¹⁾، كَقَوْلِ الْآخِرِ⁽²⁾:

لِتَقُمْ أَنْتَ يَا بَنَ خَيْرِ قُرَيْشٍ فَلِتَقْضِي حَوَائِجَ الْمُسْلِمِينَ⁽³⁾

وإذا أضيفت «حين» إلى المبني، جاز فيها البناء وجاز الإعراب، والبناء أقوى وهو ما اختاره البصريون للتناسب بين الظرف والفعل الماضي الواقع بعدها. ويجوز فيها الجر على الظرفية وذلك على الأصل، فهو مجرور بـ"على" لفظاً ومحلاً. راجع: شرح المفصل، ج3، ص16.

1- لام الأمر إذا تقدمها واو العطف أو فاؤه سُكِّنَتْ، نحو: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ [البقرة:186]، وبعد (ثُمَّ) نحو: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ [الحج:29].

2- في الأصل "كقوله".

3- البيت مجهول القائل. والياء فيها للإشباع، نشأت من إشباع الكسرة لأن الفعل مجزوم. راجع: شرح أبيات مُغْنِي اللَّيْب، ج4، ص344. أما حذف ألف (ابن) بعد ياء النداء فهو الأسلم إملائياً. راجع: قواعد الإملاء (المطالع النصرية)، ص216.

ولامُ الدُّعاء⁽¹⁾، نَحْوُ: ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾⁽²⁾؛ و"لَا" فِي النَّهْيِ⁽³⁾، نَحْوُ: ﴿وَلَا تَطْعُوا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾⁽⁴⁾؛ و"لَا" فِي⁽⁵⁾ الدُّعاءِ، نَحْوُ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾⁽⁶⁾؛ وَإِنْ، نَحْوُ: ﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ﴾⁽⁷⁾؛ وَمَا، نَحْوُ: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾⁽⁸⁾؛ وَمَنْ، كَقَوْلِهِ:

1- سقطت من (ج) كلمة "لام" من قول الشارح "ولام الدعاء"، كما سقطت الكلمة ذاتها من (أ) إلا أنها استُدركت في الهامش الأيمن من الصفحة.
2- سورة الزخرف، الآية 77.

وقلّ دخول الأمر والنهي على فعل المتكلم، ومنه: {قُومُوا فَلَأُصِلَّ لَكُمْ} على رواية أبي داود عن أنس بن مالك. أما الرواية في صحيح البخاري ومسلم {فلأصلي بكم}. ويكثر دخول اللام على المفتتح بالنون، نحو: ﴿وَلَنَحْمِلَ خَطَايَاكُمْ﴾ [العنكبوت: 12]؛ ومن دخول النهي عليه أيضاً قول الشاعر: إذا ما خرجنا من دمشق فلا نعد لها أبداً ما دام فيها الجراضم. والمعنى يحتمل التأويل لأن (لا) هنا قد تكون للدعاء لا للنهي. البيت نسبته ابن هشام في المغنى إلى الفرزدق، ونسبه آخرون إلى الوليد بن عقبة. والجراضم: بضم الجيم - الأكل صاحب البطن العظيمة، وهو تعريض بمعاوية. راجع: شرح الكافية الشافية، ج 2، ص 139.
3- الأمر والنهي إذا كان من الأعلى إلى الأدنى فهو أمر ونهي بعينه، وبالعكس دعاء وطلب، ومن المتساويين التماس.

4- سورة طه، الآية 81.

5- ما بين القوسين ساقط كلياً من (ج)، وساقط من متن (أ) إلا أنه مستدرَك في هامشها الأيمن.

6- سورة البقرة، الآية 286. وأدوات الجزم الأربع المذكورة آنفاً تشكل القسم الذي يجزم فعلاً واحداً، وما سيأتي بعدها يجزم فعلين؛ وهو أدوات الشرط، فالفعل الأول شرط، والثاني جزاء.

7- سورة محمد، الآية 36.

8- سورة البقرة، الآية 197.

وَمَنْ لَا يَزُلْ يَسْتَحْمِلُ النَّاسَ نَفْسَهُ وَلَا يُغْنِيهَا يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ يُسَامُ⁽¹⁾
وَمَهُمَا⁽²⁾، كَقَوْلِهِ:

وَمَهُمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعَلِّمُ⁽³⁾
وَإِذْمًا، كَقَوْلِهِ:

فَإِنَّكَ إِذْمًا تَأْتِ مَا أَنْتَ آمِرٌ بِهِ تُلْفٍ مَنْ إِيَّاهُ تَأْمُرُ آتِيَا⁽⁴⁾
وَأَيُّ، نَحْوُ: ﴿أَيَّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾⁽⁵⁾.
وَمَتَى، كَقَوْلِهِ:

1- كُتِبَتْ هَمْزَةُ "يُسَامُ" فِي (أ) كَمَا أَثْبَتَهَا، بَيْنَمَا وَرَدَتْ فِي كُلِّ مِنْ (ج) وَ (م) عَلَى النَّبَرَةِ. وَالْبَيْتُ لَزْهِيرٍ مِنْ مَعْلَقَتِهِ، وَهُوَ ثَابِتٌ فِي بَعْضِ رَوَايَاتِهَا، وَسَاقَطٌ مِنْ بَعْضِهَا. وَقَوْلُهُ: "يَسْتَحْمِلُ النَّاسُ" يَعْنِي يَحْمِلُ النَّاسَ عَلَى عَيْبِهِ. وَيُرْوَى: "يَسْتَرْحِلُ النَّاسُ نَفْسَهُ" أَرَادَ: يَجْعَلُ نَفْسَهُ كَالرَّاحِلَةِ لِلنَّاسِ يَرْكَبُونَهُ وَيَذْمُونَهُ. وَالشَّاهِدُ فِيهِ رَفْعُ (يَسْتَحْمِلُ) لِأَنَّهُ أَرَادَ مَنْ لَا يَزُلْ مُسْتَحْمِلًا يَكُونُ مِنْ أَمْرِهِ ذَلِكَ. وَلَوْ رَفَعَ (يَغْنِيهَا) جَازَ وَكَانَ حَسَنًا، كَأَنَّهُ قَالَ: مَنْ لَا يَزُلْ لَا يَغْنِي نَفْسَهُ. رَاجِعْ: هَمْعُ الْهَوَامِعِ، ج 2، ص 63.

2- وَرَدَتْ "مَهُمَا" فِي (ج) بِأَلْفٍ قَصِيرَةٍ.

3- هَذَا الْبَيْتُ مِنْ مَعْلَقَةِ زَهِيرٍ. وَفِيهِ خِلَافٌ حَوْلَ «مَهُمَا» أَهِيَ حَرْفُ أَمِ اسْمٍ. رَاجِعْ: شَرْحُ أَبْيَاتِ مَغْنِيِّ اللَّيْبِ، ج 5، ص 327.

4- الْبَيْتُ غَيْرُ مَنْسُوبٍ. وَالْمَعْنَى: إِذَا كُنْتَ تَفْعَلُ مَا تَأْمُرُ النَّاسَ بِفَعْلِهِ فَإِنَّهُمْ يَتَأَثَّرُونَ بِأَوَامِرِكَ فَيَفْعَلُونَ مَا تَأْمُرُهُمْ بِهِ. يَرِيدُ: أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ لَا يَأْمُرُ بِشَيْءٍ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَكُونَ هُوَ آتِيَا بِهِ. وَالشَّاهِدُ: "إِذَا تَأْتِ" حَيْثُ جَزَمَ بِ"إِذَا" فَعَلَيْنِ، أَوَّلُهُمَا «تَأْتِ» وَثَانِيَهُمَا «تَلْفِ».

5- سُورَةُ الْإِسْرَاءِ، الْآيَةُ 110. (أَيَّا مَا) اسْمٌ شَرْطٍ جَازِمٌ مَفْعُولٌ مُقَدَّمٌ، (تَدْعُوا) مَجْزُومٌ بِحَذْفِ النُّونِ، وَالْفَاءُ رَابِطَةٌ، (لَهُ) فِي مَحَلِّ رَفْعِ خَبَرٍ مُقَدَّمٍ، وَ(الْأَسْمَاءُ) مُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ، وَ(الْحُسْنَى) نَعْتُهُ، وَالْجُمْلَةُ أَيْضًا مَحْلُهَا جَزَمٌ، وَكَذَلِكَ كُلُّ جُمْلَةٍ وَقَعَتْ بَعْدَ الْفَاءِ الرَّابِطَةِ لِلشَّرْطِ الْجَازِمِ بِجَزَائِهِ، أَوْ بَعْدَ (إِذَا) الْفَجَائِيَّةِ، نَحْوُ: ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الرُّومُ: 36].

مَتَى تَأْتِنَا تُلْمَم بِنَا فِي دِيَارِنَا تَجْدُ حَطْبًا جَزْلًا وَنَارًا تَأْجَجًا⁽¹⁾
وَأَيَّانَ، كَقَوْلِهِ:

أَيَّانَ نُؤْمِنُكَ تَأْمَنُ غَيْرِنَا وَإِذَا لَمْ تُدْرِكِ الْأَمْنَ مِنَّا لَمْ تَزَلْ حَذِرًا⁽²⁾
وَأَيْنَ، نَحْوُ: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ﴾⁽³⁾.
وَأَنَّى، كَقَوْلِهِ:

خَلِيلِي أَنَّى تَأْتِيَانِي تَأْتِيَا أَخَا غَيْرٍ مَا يُرْضِيكُمَا لَا يَحَاوُلُ⁽⁴⁾
وَحَيْثُمَا، كَقَوْلِهِ:

حَيْثَمَا تَسْتَقِمُّ؛ يُقَدِّرُ لَكَ اللَّهُ هُ نَجَاحًا فِي غَابِرِ الْأَزْمَانِ⁽⁵⁾

1- البيت لعبيد الله بن الحرّ، أو للحطيئة. قوله: "تأججا" التأجج الاحتراق والالتهاب، وهو فعل مسند لألف الاثنين هما الحطب والنار .. يصف الشاعر أنفسهم بالكرم وأنهم يقرّون الأضياف، فمن جاءهم وجدّهم يوقدون النار، ومن عادة العرب، إذا كانوا في جدب، أن يوقد كرامهم النار ليتهدي بها إليهم السالك. والشاهد فيه: متى تأتينا تجد (فعل الشرط وجوابه)، وقوله "تلّم" فعل مضارع مجزوم، لأنه بدل من فعل الشرط، ولو أمكن رفعه على تقدير الحال لجاز. راجع: شرح المفصل، ج4، ص282.

2- البيت مجهول القائل، ونؤمنك: نعطك الأمان، حذرا: خائفا. والشاهد: "أيان نؤمنك تأمن" حيث جزم بـ(أيان) فعلين، أحدهما فعل الشرط. نؤمنك. والثاني جوابه. تأمن. راجع: شرح الأشموني، ج3، ص580.

3- سورة النساء، الآية 78. فـ(يدرك) وحده جزاء الشرط، و(يدرككم الموت) جملة محلها نصب خبر (تكونوا)؛ وتقول: إذا ما تقم أقم معك، ومتى تجلس أجلس معك.

4- لم ينسب لقائل محدّد. و"غير" مفعول مقدم لـ"يحاول". والشاهد "أنى تأتيا تاتيا" حيث جزم بـ(أنى) فعلين: الأول: تأتيا، والثاني: تاتيا.

5- غير منسوب. وغابر الأزمان: باقيها. والشاهد: "حيثما تستقم يقدر" حيث جزم بـ"حيثما" فعلين. راجع: المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية (الشواهد الكبرى)، بدر

وَكَيْفَمَا، نَحْوُ: كَيْفَمَا تَقُمْ أَقُمْ، وَكَيْفَمَا تَجْلِسْ أَجْلِسْ⁽¹⁾.

و(إذا) فِي الشَّعْرِ خَاصَّةً⁽²⁾، كَقَوْلِهِ:

اسْتَعْنِ مَا أَغْنَاكَ رَبُّكَ بِالْغِنَى وَإِذَا تُصِيبَكَ خَصَاصَةٌ فَتَجَمَّلِ⁽³⁾

الدين محمود بن أحمد العيني، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة - 2010، ج4، ص1915.

1- فصل في (ج) بين "كيف" و"ما" في المثالين اللذين مثل بهما الشارح؛ وهو الأصل لأن كل كلمة تدل على معنى غير معنى الكلمة الأخرى، ويخرج عن ذلك ما كان اللفظان فيه كشيء واحد، فلا تفصل الكلمة من الكلمة، ومن ذلك الألفاظ التي توصل فيها "ما" الملغاة - وهي الزائدة - نحو: مِمَّا، أَيْنَمَا، إِمَّا، إِنَّمَا، حَيْثُمَا، وَكَيْفَمَا.

2- كلمة "خاصة" ساقطة من جميع نسخ المخطوط باستثناء (م). و(إذا) ظرف مستقبل خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك؛ أي تكون غير شرطية لأنها تأتي فجائية، وتأتي اسمًا مجرورًا بـ(حتى) مثل ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا﴾ [الزُّمَر: 73]، وتقع مبتدأ، مثل ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة: 1] خبره ﴿إِذَا رُجَّتْ﴾ [الواقعة: 4] في قراءة من نَصَبَ ﴿خَافِضَةً رَافِعَةً﴾ [الواقعة: 3]. راجع: الجني الداني في حروف المعاني، ص367-373.

3- من قصيدة لعبد قيس بن خفاف، وهو شاعر جاهلي. والبيت شاهد على أن «إذا» لا تجزم إلا في الشعر كما في البيت، وفيه رد على من لم يجعل ذلك خاصا بالشعر. راجع: همع الهوامع، ج2، ص132. وشرح أبيات مغني اللبيب، ج2، ص222.

وَمَا قَبْلَ "إِنْ" ⁽¹⁾ مِنْ أَدَوَاتِ الْجَزْمِ حُرُوفٌ، وَلَا يَقْتَضِي إِلَّا فِعْلًا وَاحِدًا؛ وَأَمَّا "إِنْ" وَمَا بَعْدَهَا فَتَقْتَضِي فِعْلَيْنِ، أَوَّلُهُمَا يُسَمَّى شَرْطًا وَالْآخَرُ جَوَابًا أَوْ جَزَاءً ⁽²⁾، وَهِيَ أَسْمَاءٌ مَاعِدًا "إِنْ" اتِّفَاقًا، وَ"إِذَا" عَلَى الْأَصَحِّ ⁽³⁾.

1- ورد في (ج) "وما قبل "أين" من هذه العوامل حروف ... " ولا يخفى ما فيه من تصحيف؛ إذ قصد الشارح أدوات الجزم التي ذكرت قبل "أَنْ"، وهي: لم، لما، ألم، ألما، لام الأمر والدعاء، لا في النهي والدعاء؛ فهذه من بين أدوات الجزم هي التي تقتضي فعلا واحدا.
2- عطف بالواو بين الجواب والجزاء، في (أ) و(ج). أما العطف بينهما بـ"أو" فقد ورد في (م)؛ وهو ما أثبتته بناء على معنى التخيير.

3- جعل الشارح مذهب سيبويه والمبرد - في أحد قوليه - القائل بحرفية (إذما) هو الأصح. ومقابل الأصح ما ذهب إليه المبرد - في قوله الآخر - وابن السراج والفارسي من أنها اسم ظرف زمان، وأصلها (إذ) التي هي ظرف لما مضى، فزيد عليها "ما" وجوبا في الشرط فجزم بها. راجع: الكتاب (كتاب سيبويه)، ج3، ص56. وشرح المفصل، ج5، ص150.

و(كيف) و(حيث) و(إذ)، يجب إلحاق (ما) بعدهن في الشرط؛ وأما في غيره فتكون (كيف) استفهامًا، و(حيث) ظرف مكان، و(إذ) ظرفًا ماضيًا. و(أني) و(أيان) لا تلحقهما (ما). و(مهما) و(متى) و(أين) كل منها يكون شرطًا ويجزم فعلين، ويكون استفهامًا ولا عمل له؛ وإلحاق (ما) في الثلاثة جائز، ويتمحّض بها للشرط. وكل منهن ظرف مبني متضمن شرطًا أو استفهامًا، إلا (أي) فمعربة فيهما، وهي اسم لا ظرف، إلا إن أضيفت إلى ظرف فتكون ظرفًا، نحو: أيّ وقت تقم أقم معك، وأيّ مكان تجلس أجلس معك. راجع: شرح المفصل، ج5، ص167.

وأدوات الشرط كلها لا يليها إلا فعل؛ إما ظاهر كما مرّ في الأمثلة التي أوردها الشارح، وإما محذوف وجوبًا على شرطية التفسير أي أن يكون الفعل المذكور مفسّرًا للمحذوف، نحو: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾ [التوبة:6]، و﴿إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ﴾ [النساء:176]، ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ﴾ [النساء:128].

بَابُ مَرْفُوعَاتِ الْأَسْمَاءِ

الْمَرْفُوعَاتُ سَبْعَةٌ، وَهِيَ: الْفَاعِلُ كَقَامَ زَيْدٌ، وَالْمَفْعُولُ الَّذِي لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ⁽¹⁾ كَضَرَبَ زَيْدٌ، وَالْمُبْتَدَأُ مَعَ خَبَرِهِ كَزَيْدٌ قَائِمٌ، وَاسْمُ كَانَ وَأَخَوَاتِهَا كَكَانَ زَيْدٌ قَائِمًا، وَخَبَرُ إِنَّ وَأَخَوَاتِهَا كَإِنَّ زَيْدًا قَائِمًا، وَالتَّابِعُ لِلْمَرْفُوعِ؛ وَهُوَ أَرْبَعَةُ أَشْيَاءٍ: النَّعْتُ، وَالْعَطْفُ، وَالتَّوَكِيدُ، وَالْبَدَلُ.

وللشرط مع جزائه ثلاث حالات: إما أن يكونا مضارعين فيتعين الجزم؛ أو ماضيين فلا جزم لفظًا بل محلًّا، نحو: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾ [الإسراء: 7]، ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عَدْنَا﴾ [الإسراء: 8]؛ أو مختلفين، فالجزم للمضارع نحو: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفٍ﴾ [هود: 15]. راجع: شرح المفصل، ج 5، ص 107.

1- أي نائب الفاعل.

بَابُ الْفَاعِلِ

الْفَاعِلُ حَقِيقَةُ اللَّهِ، وَلُغَةً مَّنْ أَوْجَدَ الْفِعْلَ، وَاصْطِلَاحًا مَّا أَشَارَ إِلَيْهِ الْمُصَنِّفُ بِقَوْلِهِ: هُوَ الْإِسْمُ الْمَرْفُوعُ⁽¹⁾ الْمَذْكُورُ قَبْلَهُ فِعْلُهُ⁽²⁾ الَّذِي أُسْنِدَ إِلَيْهِ؛ سَوَاءٌ فَعَلَهُ كَقَامَ زَيْدٌ أَوْ جَلَسَ، أَوْ وُصِفَ بِهِ كَحَسُنَ زَيْدٌ أَوْ قُبِحَ⁽³⁾، أَوْ وَقَعَ عَلَيْهِ كَمَاتَ زَيْدٌ وَفَنِيَ الْمَالُ.

وهو على قسمين: ظاهر ومضمَّر⁽⁴⁾؛ فالظاهر نحو قولك: قام زيدٌ، ويقوم زيدٌ، وقام الزيدان، ويقوم الزيدان، وقام الزيدون، ويقوم الزيدون، (وقام الرجال، ويقوم الرجال، وقامت هندٌ، وتقوم هندٌ، وقامت الهندان، وتقوم الهندان، وقامت الهندات، وتقوم الهندات، وقامت الهنود، وتقوم الهنود)، وقام أخوك، ويقوم أخوك، (وقام غلامي، ويقوم غلامي؛ وما أشبه ذلك)⁽⁵⁾.

1- هذا حُدُّه تقريبًا؛ فبذكر الاسم أخرج غيره، وبالمرفوع أخرج المنصوب والمجرور. والرفع حكم من أحكامه كان ينبغي للمصنّف أن لا يذكره هنا؛ لأن الرفع حكم، وأهل المنطق يقررون أن دخول الأحكام في الحدود مردود. وقد رُفِعَ الفاعل لِقَوْتِهِ وَلِقَلَّتِهِ وَأَوَّلِيَّتِهِ، وَنُصِبَ المفعول لصدّهن؛ والعامل فيهما الفعل أو ما يقوم مقامه كالمصدر والمشتقات.

2- قوله: "المذكور قبله فعله" أخرج المبتدأ، وخبر (إنّ).

3- عُطِفَ بالواو بين القيام والجلوس، في (أ) و(ج)؛ وكذلك الحال في العطف بين الحسن والقبح. أما العطف بـ"أو" فقد ورد في (م)؛ وهو ما أثبتّه بناء على معنى التخيير في الحالتين.

4- يجوز في "ظاهر ومضمّر" - هنا ونحوه - الجر على البدل من قسمين بدل تفصيل؛ ويجوز الرفع خبرًا لمبتدأ محذوف، أي: أحدهما ظاهر، أو مبتدأ خبره محذوف، أي: منه ظاهر؛ ويجوز نصبه بإضمار (أعني).

5- ما بين القوسين ساقط من نسخ المخطوط كلها، وقد أثبتّه من المتن؛ لما له من أهمية في كون الأمثلة التي أوردها المؤلف مُفهِمَةً أن الفاعل إما مفرد أو فرعه أي المثنى والجمع.

وَالْمُضْمَرُ اثْنَا عَشَرَ⁽¹⁾، نَحْوُ قَوْلِكَ: ضَرَبْتُ بِضَمِّ التَّاءِ لِلْمُتَكَلِّمِ وَحْدَهُ، وَضَرَبْنَا لِلْمُتَكَلِّمِ الْمُعْظَمِ نَفْسَهُ أَوْ مَعَهُ غَيْرُهُ، وَضَرَبْتُ بِفَتْحِهَا لِلْمَذْكُورِ الْمُخَاطَبِ، وَضَرَبْتُ بِكَسْرِهَا لِلْمُؤَنَّثَةِ الْمُخَاطَبَةِ، وَضَرَبْتُمَا لِاثْنَيْنِ مُخَاطَبَيْنِ مُذَكَّرَيْنِ أَوْ مُؤَنَّثَيْنِ، وَضَرَبْتُمْ لجماعة الذكور المخاطبين⁽²⁾، وَضَرَبْتَن لجماعة الإناث المخاطبات، وَضَرَبَ للمذكر الغائب، وَضَرَبْتُ للمؤنثة الغائبة، وَضَرَبَا للمذكرين الغائبين، وَضَرَبْتَا للمؤنثتين الغائبتين، وَضَرَبُوا لجمع الذكور الغائبين، وَضَرَبْنَ لجمع الإناث الغائبات⁽³⁾.

ويكون اسماً ظاهراً كالأمثلة، ويكون مرفوعاً لفظاً أو تقديرًا إن كان معرباً، أو محلاً إن كان مبنيًا، ويكون اسماً مضمراً متصلًا.

1- كُتِبَتْ "اثنا عشر" بألف قصيرة في (أ) و(ج). وأرى أن ألف (اثنا) لا تُكتب مقصورةً حتى لا تلتبس بـ(اثني) في حالتي النصب والجر.

2- ورد في (أ) و(ج) لفظ "الجمع الذكور" بدلا من اللفظ المثبت الوارد في (م).

3- الضمير إما متصل أو منفصل؛ فالمتصل يكون للرفع والنصب والجر؛ والمنفصل لا جرّ فيه. ودليل اسمية الضمير الإسناد إليه، والضمير كله مبني لا يظهر فيه إعراب.

بَابُ الْمَفْعُولِ الَّذِي لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ

وَيُسَمَّى النَّائِبُ عَنِ الْفَاعِلِ⁽¹⁾، وَهُوَ الْإِسْمُ الْمَرْفُوعُ الَّذِي لَمْ يُذَكَّرْ مَعَهُ فَاعِلُهُ، وَيَجِبُ لَهُ مَا يَجِبُ لِلْفَاعِلِ مِنَ الرَّفْعِ، وَالتَّأْخِيرِ عَنِ الْفِعْلِ، وَامْتِنَاعِ الْحَذْفِ، وَتَأْنِيثِ الْفِعْلِ لِتَأْنِيثِهِ إِنْ كَانَ مُؤَنَّثًا؛ فَإِنْ كَانَ الْفِعْلُ الْمَبْنِيُّ لَهُ مَاضِيًّا ضُمَّ أَوَّلُهُ لَفْظًا⁽²⁾ أَوْ تَقْدِيرًا⁽³⁾ وَكُسِرَ مَا قَبْلَ آخِرِهِ كَذَلِكَ⁽⁴⁾، وَإِنْ كَانَ مُضَارِعًا ضُمَّ أَوَّلُهُ لَفْظًا فَقَطْ وَفُتِحَ مَا قَبْلَ آخِرِهِ لَفْظًا أَوْ تَقْدِيرًا⁽⁵⁾.

1- العرب تحذف الفاعل لغرض من الأغراض؛ وتقيم غيره مقامه وَيُسَمَّى (مفعول ما لم يُسَمَّ فاعله) و(نائب الفاعل)؛ وَيُسَمَّى الفعل (مبنيًا للمفعول) و(الفعل المجهول) و(الفعل الذي لم يُسَمَّ فاعله). قال أبو حيان: لم أرَ مثل هذه الترجمة لغير ابن مالك، والمعروف "باب المفعول الذي لم يُسَمَّ فاعله". راجع: شرح التصريح، ج 1، ص 421.

2- ك"ضرب".

3- ك"قيل" و"بيع".

4- لم يذكر المصنّف معتلّ العين ك(قال) و(باع) وتبعه الشارح في ذلك. وحكم الماضي المعتلّ العين في البناء للمفعول أن يُكسر أَوَّلُهُ وَثَقُلَ عَيْنُهُ يَاءً، نحو: قيل، أصله: قُولٌ، فاستثقلت الكسرة على حرف العلة المحرّك ما قبلها فنقلت إليه بعد سلب حركته، وبقيت ساكنة وانكسر ما قبلها؛ فإن كانت ياء بقيت على حالها، نحو: جيء وغيض، وإن كانت واوًا قلبت ياءً لمجانسة الكسرة قبلها، نحو: قيل. وإن كان الماضي مفتتحًا بقاء المطاوعة ضُمَّ أَوَّلُهُ وَثَانِيَهُ، نحو: تُعَلِّمُ الْعِلْمَ، وتُدْرَجُ الْحَجْرُ. والماضي المفتتح بهمزة وصل يُضْمُّ أَوَّلُهُ وَثَالِثُهُ، نحو: أُنْطَلِقُ وَاسْتَخْرَجَ وَاسْتَعْمَلَ ونحوهن.

5- لم يذكر المصنّف أيضًا المضارع معتلّ العين؛ وحكمه في البناء للمجهول: ضُمَّ أَوَّلُهُ عَلَى الْأَصْلِ فِي ذَلِكَ، وَقَلْبَ عَيْنِهِ أَلْفًا، نحو: يُقَالُ وَيُطَاعُ، أصله: يُقُولُ، نحو يُقْتَلُ، نقلت حركة العين للساكن الصحيح قبلها، وبقيت ساكنة وانفتح ما قبلها فقلبت أَلْفًا. أما إن كان المضارع مفتتحًا بقاء المطاوعة بقي على الأصل.

وهو على قسمين: ظاهر ومُضْمَر؛ فالظاهر نحو قولك: ضُرب زيد، ويضرب زيد، وأكرم عمرو، ويكرم عمرو، وردّ المتاع، ويردّ المتاع، وقيل كذا، ويقال كذا؛ والمضمر اثنا عشر⁽¹⁾، نحو قولك: ضُربت، وضربنا، وضُربت، وضُربت، وضُربت، وما أشبه ذلك: كضُرب، وضُربت، وضُربا، وضُربنا، وضُربوا، وضُربن⁽²⁾؛ وتُفسَّر الضمائر هنا بما فسَّرت به في باب الفاعل.

وتجوز نيابة المجرور، والظرف، والمصدر؛ كجلس في الدار، وصيم رمضان، وسير سيّر حسن⁽³⁾.

- 1- لفظ "اثنا عشر" ساقط من النسختين (أ) و(ج)، وهو مثبت في النسخة (م).
- 2- نائب الفاعل يكون ظاهراً، نحو: ضُرب زيد ويضرب زيد، ف(زيد) اسم ظاهر نائب عن الفاعل؛ والمضمر، نحو: أكرمت وأكرمنا إلى آخرها: أكرم فعل ماضٍ مبني للمفعول، والضمير نائب عن الفاعل، وكذلك باقي الضمائر. وتقول في نحو يكرمون ويرجعون: فعل مضارع مبني للمفعول، والضمير نائب عن الفاعل محلّه رفع، والنون علامة الرفع.
- وصيغة الأمر لا تُبنى للمفعول، لفساد الصيغة والمعنى؛ أما فساد الصيغة فإن (افعل) إذا بُنيت للمجهول ستلتبس بالماضي المجهول من الرباعي بعد ضم أولها وكسر ما قبل آخرها، وأما فساد المعنى فلأنّ الأمر طلب، والفعل المبني للمجهول دالٌّ على الخبر.
- 3- الأولى بالنيابة عن الفاعل المحذوف المفعول به كالأمثلة، فإن فقدَ المصدر المخصَّص نحو: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [الحاقة: 13]؛ والمجرور، نحو: ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّ﴾ [الزمر: 69]؛ أو الظرف، نحو: جلسَ أمامَ زيد. وإذا اجتمعت الأربعة فالمفعول به مقدم، وإنْ فقد قيل: المصدر، وقيل: أنت مخير، مثال ذلك: ضُرب زيد ضرباً شديداً يوم الجمعة أمامَ الأمير بالسوط. القول الأول لابن عصفور، والقول بالتخيير اعتبره السيوطي مذهب البصريين؛ وبه قال الحيدرة اليميني. راجع: شرح جمل الزجاجي، ابن عصفور الإشبيلي، دار الكتب العلمية، بيروت - 1998، ج 1، ص 561. والمقرب، ابن عصفور

بَابُ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ⁽¹⁾

الْمُبْتَدَأُ هُوَ الْإِسْمُ الْمَرْفُوعُ الْعَارِي مِنَ الْعَوَامِلِ اللَّفْظِيَّةِ، حَقِيقَةً نَحْوُ: ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾⁽²⁾، أَوْ حُكْمًا نَحْوُ: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾⁽³⁾، وَبِحَسْبِكَ دِرْهَمٌ⁽⁴⁾. وَالْخَبَرُ هُوَ الْإِسْمُ الْمَرْفُوعُ الْمُسْنَدُ إِلَيْهِ أَيْ إِلَى الْمُبْتَدَأِ⁽⁵⁾، نَحْوُ قَوْلِكَ: زَيْدٌ قَائِمٌ، وَالزَّيْدَانِ قَائِمَانِ، وَالزَّيْدُونَ قَائِمُونَ، وَمَا أَشَبَّهُ ذَلِكَ. وَالْمُبْتَدَأُ قِسْمَانِ: ظَاهِرٌ وَمُضْمَرٌ؛ فَالظَّاهِرُ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، وَالْمُضْمَرُ اثْنَا عَشَرَ، وَهِيَ: أَنَا، وَنَحْنُ، وَأَنْتَ، وَأَنْتُمَا، وَأَنْتُمْ، وَأَنْتَنِ، وَهُوَ، وَهِيَ، وَهُمَا، وَهَمَّ، وَهِنَّ. نَحْوُ قَوْلِكَ: أَنَا قَائِمٌ، وَنَحْنُ قَائِمُونَ، وَمَا أَشَبَّهُ ذَلِكَ كَأَنْتَ قَائِمٌ، وَأَنْتِ وَهْنٌ.

الإشيلي، تحقيق أحمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري، ط1، 1972، الناشر غير المذكور، ج1، ص87. وكشف المشكل، مرجع سابق، ج1، ص306.

1- الثالث من المرفوعات المبتدأ، والرابع الخبر؛ جمعهما في باب واحد. وإنما قدّم الفاعل ونائبه لأن عاملهما لفظي، وهو على رأي فريق من البصريين يُعتبر أقوى من العامل المعنوي الذي هو عامل في المبتدأ وفي الخبر. راجع: الإنصاف في مسائل الخلاف، ص40. وقد راعيت في رسم همزة (المبتدأ) الأصل في أن تُكتب الهمزة المتطرفة المكسورة تحت الألف، مُخالفاً بذلك ما أقرّه بعض مجامع اللغة العربية من جواز كتابة تلك الهمزة فوق الألف.

2- سورة الشورى، الآية 15.

3- سورة فاطر، الآية 3.

4- قوله "العاري من العوامل اللفظية" أخرج الفاعل ونائبه، وخبر (إن)؛ وبقي المبتدأ لأن عامله معنوي وهو الابتداء. والابتداء: هو اهتمامك بالاسم وجعلك إياه أولاً لشأن بحيث يكون الثاني خبراً عنه.

ويقال له: المبتدأ، والمسند إليه، والمخبر عنه، والمحكوم عليه.

5- والخبر عرّفه أيضاً، ويسمى مسنداً، وحكماً.

قائمة، وأنتما قائمان أو قائمتان، وأنتم قائمون، وأنتن قائمات، وهو قائم، وهي قائمة، وهما قائمان أو قائمتان، وهم قائمون، وهنّ قائمات⁽¹⁾.

وإذا كان المبتدأ وصفاً مسبقاً بنفي أو استفهام رافعاً لمُكْتَفًى⁽²⁾ به من اسم ظاهر أو ضمير منفصل، استغنى عن الخبر بمرفوعه؛ نحو: ما قائم الزيدان، وأمضروب العمران؟ وقوله:

خَلِيلِي مَا وَافٍ بِعَهْدِي أَنْتَمَا إِذَا لَمْ تَكُونَا لِي عَلَى مَنْ أَقَاطِعُ⁽³⁾
وقوله:

أَقَاطِنُ قَوْمٌ سَلَمَى أَمْ نَوَوَا ظَعَنَا إِنْ يَظْعَنُوا فَعَجِيبٌ عَيْشٌ مِّنْ قَطْنَا⁽⁴⁾

1- يبين المصنف والشارح أن المبتدأ يكون اسماً ظاهراً كالأمثلة التي أوردها؛ ويكون ضميراً منفصلاً، وعدد الضمائر المنفصلة اثنا عشر؛ اثنان للمتكلم: أنا ونحن، وخمسة للحاضر: أنت وأنت وأنتما وأنتم وأنتن، وخمسة للغائب: هو هي هما هم هنّ؛ فكل هذه يقال فيها: ضمير رفع منفصل مبتدأ مبني.

2- أثبت لفظ "مكتفى" الوارد في نسخ المخطوط كلها باستثناء (ج) التي جعلته "مكتفٍ"؛ والمثبت هو ما ينسجم مع مضمون كلام المصنف.

3- لم ينسب لقائل؛ والشاهد فيه "ما واف أنتما" حيث اكتفى بالفاعل الذي هو «أنتما» عن خبر المبتدأ «واف»؛ لكون المبتدأ وصفاً - اسم فاعل - معتمداً على حرف النفي «ما». راجع: همع الهمع، ج 2، ص 6. وشرح أبيات مغني اللبيب، ج 7، ص 185.

4- لم ينسب لقائل. القطن: السكون. الظعن: الارتحال. والشاهد فيه "أقاطن قوم" حيث اكتفى بالفاعل «قوم» عن خبر المبتدأ لكون ذلك المبتدأ وصفاً معتمداً على أداة الاستفهام وهي الهمزة.

وقوله: "فعجيب" الفاء: واقعة في جواب الشرط. عجيب: خبر مقدم. عيش: مبتدأ مؤخر. والجملة جواب الشرط. راجع: شرح شذور الذهب، ص 98.

وَالْخَبَرُ قِسْمَانِ: مُفْرَدٌ؛ وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا مَا لَيْسَ بِجُمْلَةٍ وَلَا شَبِيهِ بِهَا، سَوَاءٌ كَانَ مُفْرَدًا أَوْ مُثْنًى أَوْ مَجْمُوعًا⁽¹⁾. وَغَيْرُ مُفْرَدٍ؛ وَالْمُرَادُ بِهِ الْجُمْلَةُ⁽²⁾ وَشَبِهُهَا وَهُوَ الْمَجْرُورُ وَالظَّرْفُ.

فَالْمُفْرَدُ نَحْوُ قَوْلِكَ: زَيْدٌ قَائِمٌ، وَالزَّيْدَانِ قَائِمَانِ، وَالزَّيْدُونَ قَائِمُونَ.

وَالْمُفْرَدُ أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ: الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ، وَالظَّرْفُ، وَالْفِعْلُ مَعَ فَاعِلِهِ، وَالْمَبْتَدَأُ مَعَ خَبَرِهِ. نَحْوُ قَوْلِكَ: زَيْدٌ فِي الدَّارِ، وَزَيْدٌ عِنْدَكَ، وَزَيْدٌ قَامَ أَبُوهُ⁽³⁾، وَزَيْدٌ جَارِيَّتُهُ ذَاهِبَةٌ⁽⁴⁾. وَيُسَمَّى الْفِعْلُ مَعَ فَاعِلِهِ جُمْلَةً فَعْلِيَّةً لِتَصَدُّرِهَا بِالْفِعْلِ، وَالْمَبْتَدَأُ مَعَ خَبَرِهِ جُمْلَةً اِسْمِيَّةً لِتَصَدُّرِهَا بِالاسْمِ⁽⁵⁾.

1- المراد بالمفرد اللفظة الواحدة. والمفرد في باب الإعراب يقابله المثنى والمجموع، وفي باب العلم يقابله المركب، وفي باب (لا) والنداء يقابله المضاف وشبهه، وفي باب المبتدأ والخبر يقابله الجملة وشبهها.

2- الجملة تعُمُّ الفعلية ك(قام زيد)، والاسمية ك(زيد قائم).

3- في الأصل "زيد قائم أبوه" وهو تحريف إذ المثال متعلق بالجملة الفعلية لا الاسمية؛ و(قام أبوه) فعلية محلها رفع خبر للمبتدأ. ومنه: ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾ [الأحزاب: 4]، و﴿الرَّحْمَنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن: 1-2].

4- زيدٌ جَارِيَّتُهُ ذَاهِبَةٌ؛ ف(زيدٌ) مبتدأ أول، و(جَارِيَّتُهُ) مبتدأ ثانٍ، و(ذَاهِبَةٌ) خبر المبتدأ الثاني، والثاني وخبره جملة اسمية محلها رفع خبر للمبتدأ الأول. ومنه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1].

وتقول: زيدٌ أبوه غلامه منطلق؛ ففيه ثلاثة مبتدآت، و(منطلق) خبر الثالث، والثالث وخبره خبر الثاني، والثاني وخبره خبر الأول.

5- الظرف والمجرور محلُّهما رفع، ومتعلقان بمحذوف وجوباً، تقديره (كائنٌ) أو (استقرَّ) أو ما يليق بالمقام؛ لأن كل مقام له مقال. ويتعلقان أيضاً بمحذوف وجوباً إذا وقعا صلة أو صفة أو حالاً. ويتعيَّن (استقرَّ) في الصلة، وفي الموافق في الاشتغال بحيث إذا نُصِبَ الاسم

بَابُ الْمُؤَلِّمِ الدَّاخِلَةِ عَلَى الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ

وُتَّسَمَّى نَوَاسِخَ الْإِبْتِدَاءِ، وَهِيَ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ: كَانَ وَأَخَوَاتُهَا، وَهِيَ أَفْعَالٌ؛ وَإِنْ وَأَخَوَاتُهَا، وَهِيَ حُرُوفٌ؛ وَظَنَنْتُ وَأَخَوَاتُهَا، وَهِيَ أَفْعَالٌ أَيْضًا. (1)
فَأَمَّا "كَانَ" وَأَخَوَاتُهَا فَإِنَّهَا تَرْفَعُ الْإِسْمَ وَتَنْصِبُ الْخَبَرَ (2)، وَهِيَ: كَانَ، وَمَعْنَاهَا اتَّصَفَ الْمُخْبَرُ عَنْهُ بِالْخَبَرِ فِي الْمَاضِي. وَأَمْسَى، وَمَعْنَاهَا اتَّصَفَهُ بِهِ فِي الْمَسَاءِ. وَأَصْبَحَ، وَمَعْنَاهَا اتَّصَفَهُ بِهِ فِي الصَّبَاحِ. وَأَضْحَى، وَمَعْنَاهَا اتَّصَفَهُ بِهِ فِي الضُّحَى. وَظَلَّ، وَمَعْنَاهَا اتَّصَفَهُ بِهِ نَهَارًا. وَبَاتَ، وَمَعْنَاهَا اتَّصَفَهُ بِهِ لَيْلًا. وَصَارَ، وَمَعْنَاهَا

المتقدم في باب الاشتغال قُدِّرَ له ما يناسبه بحسب السياق لينصبه؛ مثل: زيدًا ضربته؛ فزيدًا منصوب بفعل محذوف تقديره (ضربت).... وهكذا؛ كما يتعيَّن (استقرَّ) في فعل القسم، ويترجَّح الوصف في الباقي.

1- إذا قلتَ: (زيدٌ قائمٌ) فمبتدأ وخبر، فإذا أدخلتَ عليه (كان) نصبتَ الخبر وقلتَ خبرها. وإذا أدخلتَ عليه (إنَّ) نصبتَ المبتدأ وجعلته اسمها. وإذا أدخلتَ (ظننت) نصبتَهما وجعلتهما مفعولين لها.

2- "كان" وأخواتها ثلاثة عشر فعلاً، بدأ بها المؤلف وعدّها، وهي أفعال ناقصة؛ لأنها نفّص من دلالتها الحدث وهو المصدر فجعلوا لها خبراً عوضاً عمّا فاتها من الدلالة على الحدث. فإذا قلتَ (دخل زيدٌ) أو قام أو ضرب، دلّ الفعل على مصدر وزمان؛ وإذا قلتَ (كان زيدٌ) أو أصبح أو أمسى أو ظلَّ، دلّ على زمان من غير حدث؛ فسُمِّيت ناقصةً لذلك. ويرى ابن مالك أنها سميت ناقصةً لأنها لا تكفي بمرفوعها بل تحتاج إلى منصوبها وهو الخبر، وتابعه ابن هشام في ذلك. راجع: شرح التسهيل، ابن مالك، تحقيق: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، منشورات هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة - 1990، ج 1، ص 338. وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، عبد الله ابن هشام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - دون تاريخ، ج 1، ص 253.

التَّحَوُّلُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ. وَلَيْسَ، وَمَعْنَاهَا نَفْيُ الْحَالِ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ؛ وَعِنْدَ التَّقْيِيدِ بِزَمَنِ بِحَسَبِهِ. وَمَا زَالَ⁽¹⁾، وَمَا نَفَكَ⁽²⁾، وَمَا بَرِحَ، وَمَعْنَى هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ مُلَازِمَةٌ الْمُخْبَرِ عَنْهُ الْخَبَرُ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ الْحَالُ، وَلَا تَعْمَلُ (هذا العمل)⁽²⁾ إِلَّا بَعْدَ نَفْيٍ أَوْ نَهْيٍ أَوْ دَعَاءٍ. وَمَا دَامَ، وَلَا تَعْمَلُ "دَامَ" هَذَا الْعَمَلُ إِلَّا بَعْدَ "مَا" الْمَصْدَرِيَّةِ الظَّرْفِيَّةِ⁽³⁾.

وَمَا تَصَرَّفَ مِنْهَا أَيُّ مَا تَصَرَّفَ مِنْ "كَانَ" وَأَخَوَاتِهَا مِنْ مَضَارِعٍ أَوْ أَمْرٍ أَوْ غَيْرِهِمَا⁽⁴⁾ يَعْمَلُ عَمَلَهَا.

1- هذا الفعل لا يستعمل بهذا المعنى إلا مع حرف النفي، فليس معناه انتقل وتحوّل، بل معناه ملازمة حال دائمة؛ ومن ثمّ فحرف النفي مُلَازِمٌ للفعل كأنه حرف من حروفه، لذلك يُكتب كأنه فعل واحد غير منفي (ما زال)، والأمر كذلك في الأفعال اللاحقة المسبوقة بحرف النفي (ما). وهناك من يرى أنهما كلمتان الأولى حرف نفي والأخرى فعل وليست الكلمتان مركبتين، ويبنى على ذلك أن الصحيح الفصل بين الكلمتين، وهو ما ياباه كون (ما) في (مادام) ليست للنفي. راجع: أسرار العربية، أبو البركات الأنباري، تحقيق: محمد بهجة البيطار، مطبعة الدقي، دمشق - 1957، ص 139.

2- ما بين القوسين ساقط من (م).

3- "كان" وأخواتها على ثلاثة أقسام: قسم يعمل بلا شرط، وهي من (كان) إلى (ليس)، ثمانية أفعال. وقسم شرط عمله تقدم نفي أو نهي أو استفهام، وهو: زال - وبرح - وفتىء - وانفك. وقسم شرط عمله تقدم (ما) الظرفية المصدرية، وهو: دام، كقولك: أكرم زيداً ما دمت قادراً، أي مدة قدرتك. راجع: أسرار النحو، ابن كمال باشا، تحقيق: أحمد حسن حامد، دار الفكر للطباعة، دمشق - 2002، ص 246.

4- غير المضارع والأمر هو المصدر والوصف المشتق منه كاسم الفاعل (كائن) واسم المفعول (مَكُون) وما شابه ذلك.

وهي في التصرف ثلاثة أقسام: ما لا ينصرف بحال، وهو "ليس" اتفاقاً و"دام" على الأصح⁽¹⁾؛ وما يتصرف تصرفاً ناقصاً، وهو "زال" وأخواتها فإنها لا يستعمل منها أمر ولا مصدر؛ وما يتصرف تصرفاً تاماً، وهو الباقي نحو: كان، ويكون، وكُنْ، وأصبح، ويصبح، وأصبح؛ تقول: كان زيد قائماً، وليس عمرو شاخصاً، وما أشبه ذلك: كأمسى زيد مستغفراً، وأضحى زيد ذاكرًا، وظل زيد صائماً، وبات زيد قائماً، وصار زيد عالماً، وما زال وما انفك وما فتى وما برح زيد محسناً، ولا تزل⁽²⁾ ولا تنفك ولا تفتأ ولا تبرح مُتَقِنًا، ولا زلت ولا انفككت ولا فتئت ولا برحت مُوَقِنًا، ولا تخش ما دمت للحق مُدْعِنًا⁽³⁾.

1- أسرار النحو، ص 246 وما بعدها.

2- ورد في (ج) "ولا تزال" وهو تصحيف بيّن، إذ اللام هنا لام نهى جازمة، وليست لام نفي كما وهم الناسخ حين أثبت ألف الفعل.

3- هذه الأفعال كلها تتصرف إلا (ليس)؛ فيعمل ماضي كل منها ومضارعُه وأمرُه ومصدرُه ووصفُه المشتق منه كاسم الفاعل (كائن) واسم المفعول (مَكُون) وما شابه ذلك، نحو: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: 54]، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 4]، و﴿كُونُوا رَبَّائِينَ﴾ [آل عمران: 79]. ومثال إعمال المصدر قول الشاعر:

يَبْدُلِ وَحِلْمٍ سَادٍ فِي قَوْمِهِ الْفَتَى وَكُونُكَ إِيَّاهُ عَلَيْكَ يَسِيرُ

ومثال الوصف قول الآخر: وما كلُّ من يُبْدِي البَشَاشَةَ كَائِنًا أَخَاكَ إِذَا لَمْ تُلْفِهِ لَكَ مُنْجَدَا وَ(زال) وأخواتها تصرفهن ناقص؛ لا أمر لها ولا مصدر، وسمع اسم الفاعل من (زال)، ومنه قول الحسين بن مطير الأسدي:

قَضَى اللَّهُ يَا أَسْمَاءُ أَنْ لَسْتُ زَائِلًا أَحْبَبْتُكَ حَتَّى يُغْمِضَ الْجَفْنَ مُغْمِضُ

وأمثلة الباقي واضحة، ومن ذلك: ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: 103]، ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفرقان: 64]، و﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: 31]، ﴿فَلَنْ أَتْرَحَ الْأَرْضَ﴾ [يوسف: 80]، ﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسَوِّدًا﴾ [النحل: 58]، ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾

وَأَمَّا "إِنَّ" وَأَخَوَاتُهَا⁽¹⁾ فَإِنَّهَا تَنْصِبُ الْإِسْمَ وترفع الخبر⁽²⁾، وهي: إِنَّ، وَأَنْ، وَلَكِنْ، وَكَأَنَّ، وَلَيْتَ، وَلَعَلَّ⁽³⁾؛ تقول: إِنَّ زَيْدًا قَائِمٌ، وَلَيْتَ عَمْرًا شَاخِصٌ، وما أشبه ذلك.

ومعنى "إِنَّ" و"أَنَّ" للتوكيد أي توكيد النسبة بين الجزئين، نحو: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾⁽⁴⁾، وعلمتُ أن الله على كل شيء قدير⁽⁵⁾.

[هود:118]. راجع: شعر الحسين بن مُطير الأسدي، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الخامس عشر، مايو 1969، ص 127 وص 170.

ويجوز تقديم الخبر على الاسم في كلها، وتقديمه على الفعل نفسه، إلا (زال) وأخواتها و(دام)، والخَلْفُ في (ليس) فالكوفيون والمبرد من البصريين يمنعون تقديم خبرها عليها، والبصريون يجيزون ذلك. راجع: الإنصاف في مسائل الخلاف، ص 134.

1- "إِنَّ" وأخواتها حروف مختصة بالاسم؛ حقها أن تعمل الجرّ، لكنها عملت غيره بالحمل على الجار بجامع الاختصاص.

2- يرى الكوفيون أن الخبر مرفوع بما كان مرفوعاً به قبل دخولها، والمشهور أنه مرفوع بها؛ لأنهم يقولون: تنصب الاسم تشبيهاً له بالمفعول المقدم، وترفع الخبر تشبيهاً له بالفاعل، وأُخَر - وجوباً - ما أصله التقديم إشعاراً بالنيابة عن الفعل. فهذه الحروف حين أشبهت الفعل ألزموا فيها تقديم المنصوب على المرفوع ليعلم أنها حروف أشبهت الأفعال وليست أفعالاً، فعمل (إِنَّ) فرع عن الفعل، وتقديم المنصوب على المرفوع فرع كذلك؛ فالزموا الفرع الفرع. راجع: الإنصاف في مسائل الخلاف، ص 153. والجنى الداني في حروف المعاني، ص 393.

3- هذه الحروف الستة مبنية على الحركة لأجل التقاء الساكنين، وكانت تلکم الحركة فتحة لخفتها ولتكون مناسبة لعملها أيضاً.

4- سورة العنكبوت، الآية 62.

5- اتفقت (إِنَّ) و(أَنَّ) في التأكيد؛ وتزيد المفتوحة بالمصدرية، أي أنها هي ومعملها في تأويل مصدرٍ بحسب العامل، فإذا قلت: يعجبني أَنَّكَ قائمٌ، التقدير: يعجبني قيامك.

وَتَرَدُّ "إِنَّ" لِنَفْيِ الشَّكِّ⁽¹⁾ والإنكار، كقولك لِمَنْ يَشْكُ فِي قِيَامِ زَيْدٍ أَوْ يَنْكَرُهُ: إِنَّ زَيْدًا قَائِمٌ.

وقد⁽²⁾ تُرَادِفُ "إِنَّ" "نَعَمْ" فَلَا إِعْمَالَ، كَقَوْلِهِ:

لَيْتَ شِعْرِي هَلْ لِلْمُحِبِّ شِفَاءٌ مِنْ جَوَا حُبِّهِنَّ، إِنَّ اللَّقَاءَ⁽³⁾

وَكَأَنَّ لِلتَّشْبِيهِ الْمُؤَكَّدِ لَأَنَّهَا مُرَكَّبَةٌ مِنَ الْكَافِ وَأَنَّ، نَحْوُ⁽⁴⁾: كَأَنَّ زَيْدًا أَسَدٌ. ولا تكون للظن ولا للتقريب ولا للنفي، خلافاً لزاعمي ذلك⁽⁵⁾.

و"لَكِنْ" للاستدراك، وهو تعقيب الكلام برفع ما يُتوهم ثبوته أو إثبات ما يُتوهم نفيه من الكلام السابق؛ كزَيْدٌ كَرِيمٌ لَكِنَّهُ جَبَانٌ، وزَيْدٌ لَيْسَ بِكَرِيمٍ لَكِنَّهُ شَجَاعٌ. وقد تكون للتوكيد، نحو: لو جاء زَيْدٌ لَأَكْرَمْتُهُ، لَكِنَّهُ لَمْ يَجِئْ.

و"لَيْتَ" للتمني، وهو طلب ما لا طمع فيه أو ما فيه عُسْرٌ، كقول الشيخ الكبير: لَيْتَ الشَّبَابَ عَائِدٌ⁽⁶⁾؛ وقول الفقير: لَيْتَ لِي مَالًا أَنْفَقُ مِنْهُ.

1- ورد في النسختين (ج) و(م) لفظ "النفي الشك عنها"، بينما ورد في (أ) لفظ "النفي الشك منها"، واللفظان لا مكان لهما في السياق.

2- لفظ "قد" ساقط من النسخة (ج).

3- ورد عجز البيت مُخْتَلًا في نسخ المخطوط كلها، وهو ليس منسوباً لقائل معين. راجع: شرح التسهيل، ج2، ص32.

4- لفظ "نحو" ساقط من (ج).

5- المعنيون بتعليق الشارح هنا هم الكوفيون. راجع: شرح المفصل، ج4، ص563. وجمع الهوامع، ج2، ص148.

6- إشارة إلى قول أبي العتاهية: فَيَا لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا فَأُخْبِرُهُ بِمَا فَعَلَ الْمَشِيبُ

ولعل⁽¹⁾ للترجي في المحبوب، كعلل الحبيب قادم؛ والتوقع في المكروه: كعلل العدو داهم؛ وترد للتعليل، نحو: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَى﴾⁽²⁾ أي ليتذكر؛ وللاستفهام نحو: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي﴾⁽³⁾ أي يتزكى⁽⁴⁾.

وأما "ظننت" وأخواتها⁽⁵⁾ فإنها تنصب المبتدأ⁽⁶⁾ والخبر - بعد استيفاء الفاعل - على أنهما مفعولان لها؛ وهي: ظننت، وحسبت، وخلت، وهذه الثلاثة لليقين قليلا وللظن كثيرا، نحو: ﴿يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾⁽⁷⁾، وقوله:

وفيه شاهدان: الأول "ليت" الناسخة، ومعناها التمني، وهو طلب ما لا طمع فيه. والثاني نصب المضارع ب(أن) مضمرة وجوبا بعد فاء السببية (فأخبره) في جواب التمني. راجع: شرح أبيات مغني اللبيب، ج5، ص163.

1- "لعل" و"عل" و"رعن" و"عن" كلُّها بمعنى واحد.

2- سورة طه، الآية 44.

3- سورة عبس، الآية 3.

4- لا يجوز تقديم خبر "إن" وأخواتها على اسمها إلا إذا كان ظرفا أو مجرورا، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا﴾ [المزمل: 12]؛ ف(لدى) ظرف بمعنى (عند)، و(نا) مضاف إليه، محله رفع خبر ل(إن) مقدم على اسمها (أنكالا). أما المجرور، فنحو: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ﴾ [الليل: 13]. وتُزاد اللام مع (إن) المكسورة فتزداد الجملة تأكيدا؛ وتلحق المتأخر من اسمها كالأمثلة، أو خبرها، نحو: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ [المنافقون: 1].

5- هذه الأفعال تنصب الجزئين معا، وتسمى أفعال القلوب، وأفعال الشك واليقين.

6- ورد في النسختين (أ) و(ج) "تنصب الاسم والخبر"، وقد أثبت اللفظ الوارد في النسخة (م).

7- سورة البقرة، الآية 46.

ظَنَنْتُكَ إِن شُبْتُ لَظَى الْحَرْبِ صَالِيًا فَعَرَّدَتْ فِيمَنْ كَانَ عَنْهَا مُعَرِّدًا⁽¹⁾
وقوله:

حَسِبْتُ التُّقَى وَالْجُودَ خَيْرَ تِجَارَةٍ رِبَاحًا إِذَا مَا الْمَرْءُ أَصْبَحَ ثَاقِلًا⁽²⁾
وقوله:

وَكُنَّا حَسِبْنَا كُلَّ بَيْضَاءٍ شَحْمَةً عَشِيَّةً لَأَقَيْنَا جُذَامَ وَحْمِيرًا⁽³⁾
وقوله:

مَا - خِلْتَنِي - زِلْتُ بَعْدَكُمْ ضِمًّا أَشْكُو إِلَيْكُمْ حُمُوءَ الْأَلَمِ⁽⁴⁾

1- البيت غير منسوب. وعرد: انهزم، والشاهد في البيت أن الفعل "ظن" نصب مفعولين، الأول الكاف، والثاني "صاليا" من (صلي النار) إذا قاسى حرّها. راجع: شرح الأشموني، ج 1، ص 156. وشرح التصريح، ج 1، ص 362.

2- البيت للبيد بن ربيعة العامري. والرباح: الريح. والثاقل: الميت؛ لأن البدن يثقل إذا فارقه الروح.

والشاهد فيه: "حسبت التقى خير تجارة" حيث استعمل (حسب) بمعنى (علم)، ونصب به مفعولين، أولهما "التقى" والثاني "خير". راجع: همع الهمع، ج 2، ص 216. وشرح الأشموني، ج 1، ص 156. وشرح التصريح، ج 1، ص 362.

3- هذا البيت للشاعر الفارس زفر بن الحارث الكلابي من أبيات قالها في معركة «مرج راهط» أيام مروان بن الحكم، وكان الشاعر في جيش الضحاك بن قيس الفهري، يدعو لابن الزبير. وجذام وحمير قبيلتان من أصل يماني، كانتا تحاربان في صف مروان بن الحكم. والمعنى: إننا ظننا أن سبيل هاتين القبيلتين كسبيل سائر الناس لما التقينا معهم، بأننا نقهرهم قهرا قريبا، ثم وجدناهم بخلافه. والبيت ذكره الكوفيون شاهدا على أن "قد" تقدّر قبل الفعل الماضي الواقع خبرا لكان، واشترطها البصريون ظاهرة أو مقدرة قبل الفعل الماضي الواقع حالا. راجع: شرح أبيات مُغْنِي اللبيب، ج 7، ص 330. وشرح التصريح، ج 1، ص 362.

4- لم يُعرف قائله. وقد وردت كلمة "أشكو" مصحوبة بالألف الفارقة في كل نسخ المخطوط، وهو خطأ جلي؛ ذلك أن هذه الألف لا تلحق إلا الفعل الدال على جمع.

وقوله:

إِخَالُكَ إِنْ لَمْ تَغْضُضِ الطَّرْفَ ذَا هَوَى يَسُومُكَ مَا لَا يُسْتَطَاعُ مِنَ الْوُجْدِ (1)

وَزَعَمْتُ، وَهِيَ (2) لِلظَّنِّ خَاصَةً؛ كَقَوْلِهِ:

زَعَمْتَنِي شَيْخًا وَلَسْتُ بِشَيْخٍ إِنَّمَا الشَّيْخُ مَنْ يَدِبُ دَيْبًا (3)

ومثلها "عددت" (4)، كَقَوْلِهِ:

فَلَا تَعْدُدِ الْمُؤَلَى شَرِيكَكَ فِي الْغَنَى وَلَكِنَّمَا الْمُؤَلَى شَرِيكَكَ فِي الْعُدْمِ (5)

والضَّمَن: الذي به ضمانه في جسده من زمانة أو بلاء أو كسر؛ تقول منه "رجل ضمن" أي مبتلى. وقد فصل بين "ما" النافية وبين "زال" فكانت جملة "خلتني" معترضة. راجع: خزانة الأدب، ج 9، ص 152. وشرح التصريح، ج 1، ص 363.

1- لم ينسب لقائل. الشاهد: "إخال" مضارع دال على الرجحان، نصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر، أولهما الكاف والثاني (ذا هوى). راجع: شرح التصريح، ج 1، ص 363. وهمع الهوامع، ص 216، وشرح الأشموني، ص 155.

2- عبارة "وهي" ساقطة من جميع النسخ إلا النسخة (م)، وأسلوب الشارح في الموضعين السابق واللاحق يرجح إثباتها.

3- البيت لأبي أمية الحنفي؛ واسمه أوس. يقول: ظننت هذه المرأة أنني قد كبرت سني، وضعفت قوتي، ولكنها لا تعلم حقيقة الأمر، لأن من كان مثلي يسير سيرا قويا لا يقال عنه شيء من ذلك. والشاهد في البيت "زعم" التي تدل على الرجحان، ونصبت مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر. الأول: ياء المتكلم. والثاني "شيخا". راجع: شرح التصريح، ج 1، ص 362. وهمع الهوامع، ص 211. وشرح الأشموني، ص 156.

4- لم يرد مثال لـ "عددت" إلا في (م) وحدها.

5- ورد البيت في نسخ المخطوط مختوما بلفظ "الفقر"، ولعل ذلك يدل على أن الشارح وضع شرحه اعتمادًا على ذاكرته؛ فالبيت للنعمان بن بشير الأنصاري، ضمن خمسة أبيات ميمية هو ثالثها. والمعنى: لا تظن أن صديقك هو الذي يشاطرك المودة أيام غناك، وإنما الصديق الحق هو الذي يلوذ بك ويشاركك أيام فقرك. والشاهد "فلا تعدد المولى شريكك"

وَحَجُوتُ، كَقَوْلِهِ:

قَدْ كُنْتُ أَحْجُو أَبَا عَمْرٍو أَخَا ثِقَةٍ حَتَّى أَلَمْتُ بِنَا يَوْمًا مُلِمَّاتٍ⁽¹⁾
وَرَأَيْتُ وَعَلِمْتُ وَهُمَا لِلظَّنِّ قَلِيلًا وَلِلْيَقِينِ⁽²⁾ كَثِيرًا؛ عَكْسُ "ظَنْ"⁽³⁾، نَحْوُ: ﴿إِنَّهُمْ
يَرَوْنَهُ بَعِيدًا . وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾⁽⁴⁾، وَنَحْوُ: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾⁽⁵⁾، وَقَوْلِهِ:
عَلِمْتُكَ الْبَاذِلَ الْمَعْرُوفَ فَانْبَعَثَتْ إِلَيْكَ بِي وَاجِفَاتُ الشَّوْقِ وَالْأَمَلِ⁽⁶⁾

حيث استعمل المضارع من «عدّ» بمعنى ظنّ ونصب به مفعولين. أحدهما «المولى» والثاني «شريكك». راجع: شعر النعمان بن بشير الأنصاري، تحقيق: يحيى الجبوري، دار القلم، الكويت - 1985، ص 140. وجمع الهوامع، ج 2، ص 210. وخزانة الأدب، ج 3، ص 57.

1- تُسبب البيت إلى أبي شبل الأعرابي، ونسب إلى تميم بن أبي مقبل. وأحجو: بمعنى أظنّ. ويروى البيت بتنوين (أخا) ونصب (ثقة) من باب الوصف بالمصدر. يقول: كنت أظنّ أبا عمرو صديقا يركن إليه في الشدائد، فاكشفت أنه في الشدائد لا وداد له. والشاهد فيه "أحجو أبا عمرو أخا ثقة" حيث استعمل المضارع المأخوذ من «حجا» بمعنى (ظنّ) ونصب مفعولين. راجع: همع الهوامع، ج 2، ص 210. وشرح التصريح، ج 1، ص 360. وشرح الأشموني، ص 157.

2- اتفقت جميع نسخ المخطوط على استخدام لفظ "وللعلم كثيرا"، إلا النسخة (ر) فقد ورد فيها لفظ "لليقين كثيرا" وهو ما أثبتّه اعتمادا على أن الظن واليقين درجتان من درجات العلم.

3- يعني أن "ظنّ" تأتي للظن كثيرا ولليقين قليلا.

4- سورة المعارج، الآيتان 6 و 7.

5- سورة الممتحنة، الآية 10.

6- البيت غير منسوب. وقوله: "فانبعثت" ثارت، ومضت ذاهبة في طريقها. واجفات: أراد بها دواعي الشوق وأسبابه التي بعثته على الذهاب إليه؛ وهي جمع واجفة، وهي مؤنث اسم فاعل من الوجيف، وهو ضرب من السير السريع. والشاهد فيه "علمتك الباذل" فإن الفعل

وَوَجَدْتُ وَهِيَ ⁽¹⁾ لليقين خاصةً، عكس "زَعَمَ" نحو: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ﴾ ⁽²⁾؛ ومثلها "ذَرَيْتُ"، كقوله:
 ذُرَيْتَ الْوَفِيِّ الْعَهْدَ يَا عُرْوُ فَاعْتَبِطْ فَإِنَّ اغْتِبَاطًا بِالْوَفَاءِ حَمِيدٌ ⁽³⁾
 و"أَلْفَيْتُ"، نحو: ﴿إِنَّهُمْ أَلَفُوا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ﴾ ⁽⁴⁾.
 وَاتَّخَذْتُ وَجَعَلْتُ ⁽⁵⁾ وهما للتصيير، نحو: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ ⁽⁶⁾،
 ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً﴾ ⁽⁷⁾؛ ومثلهما "تَخَذْتُ" كقوله:
 تَخَذْتُ غُرَازَ إِثْرَهُمْ دَلِيلًا فَفَرُّوا فِي الْحِجَازِ لِيُعْجِزُونِي ⁽⁸⁾

"علم" دال على اليقين، وقد نصب مفعولين، أحدهما الكاف، والثاني "البازل". وقوله "المعروف" يجوز فيه نصب على أنه مفعول به للباذل، ويجوز جرّه بالإضافة. راجع: شرح الأشموني، ص 155.

1- عبارة "وهي" ساقطة من جميع النسخ إلا النسخة (م)، وأسلوب الشارح في الموضعين السابق واللاحق يرجح إثباتها.

2- سورة المزمل، الآية 20. والواو من "تجدوه" ساقط من (م)، وهو خطأ.

3- البيت مجهول القائل. وذُرَيْتَ: مبني للمجهول من «درى» إذا علم. عُرْوُ: مرخم عروة. والشاهد «دريت الوفي» حيث استعمل الفعل «درى» بمعنى علم، ونصب مفعولين، أولهما: تاء المخاطب الواقعة نائباً عن الفاعل، وثانيهما: الوفي. راجع: همع الهوامع، ج 2، ص 214. وشرح الأشموني، ص 157.

4- انفردت (م) بالتمثيل لـ"أَلْفَيْتُ"، مستخدمة عبارة "نحو" قبل الآية المستشهد بها، وهي الآية 69 من سورة الصافات.

5- من قوله "وهما للظن" إلى قوله "واتخذت" ساقط من (ج).

6- سورة النساء، الآية 125.

7- سورة الأنبياء، الآية 73.

8- قاله أبو جندب بن مرة الهذلي. واتخذت: أي اتخذت. نصب مفعولين أولهما: غراز، والثاني: دليلاً. وغراز: اسم واد، أو مكان ومنع من الصرف للعلمية وتأنيث المكان. وربما

و"خَلَفَ"، و"رَدَّ"، و"تَرَكَ"، و"وَهَبَ" غير متصرف، و"صَيَّرَ"، و"أَصَارَ"، و"أَكَانَ"⁽¹⁾.

وقد تكون "جَعَلَ" للظن خاصة، نحو: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا﴾⁽²⁾.

وَسَمِعْتُ، ولا يكون مفعولها الثاني إلا فعل صوت؛ كسمعتُ زيدًا يتكلم.
تَقُولُ: ظَنَنْتُ زَيْدًا قَائِمًا، وَخِلْتُ عَمْرًا شَاخِصًا، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.⁽³⁾

كان المانع العلمية والعدل. وقيل: غراز: اسم رجل، والذي يوحي بهذا أنه اتخذ غراز دليلاً. فإن لم يكن رجلاً. يكون بمعنى وجهة واتجاهها، أي: عرفت مكانهم ويممت نحو غراز، فكانت المعرفة كالدليل. وإثرهم: ظرف. وفي الحجاز: بمعنى إلى الحجاز. ويعجزوني: منصوب بأن مضمرة بعد اللام، وعلامة نصبه حذف النون، والنون الموجودة للوقاية. راجع: شرح الأشموني، ص 15. وشرح التصريح، ج 1، ص 367.

1- أي أن هذه كلها ألفاظ للتصيير. راجع: همع الهوامع، ج 2، ص 218 وما بعدها.
2- سورة الزُخْرُف، الآية 19. ولفظ (عند) هو ما قرأ به ورش عن نافع المدني، وهي القراءة المعهودة لدى الشناقطة.

3- ذكر المؤلف منها تسعة؛ هي: (ظن) التي ليست بمعنى (اتهم)، و(حسب) التي ليست بمعنى (عدّ)، و(خال) التي معناها (ظنّ)، و(زعم) التي ليست بمعنى (كفل)، و(زعم) التي هي قول مشوب بشك أو مقرون باعتقاد، و(رأى) التي ليست بمعنى (أبصر)، و(علم) التي ليست بمعنى (عرّف)، و(وجد) التي ليست بمعنى (حزن) أو (أصاب)، و(جعل) التي ليست بمعنى (خلق) بل بمعنى (صَيَّر) أو (اعتقَد)، و(اتخذ) التي بمعنى (صَيَّر). وكل فعل بمعنى (صَيَّر) في إفادة تحويل صاحبه إليه فمثله في العمل، كما أن كل فعل بمعنى (صار) - في إفادة الانتقال من شيء إلى شيء - يعمل عمله.

وإذا ورد شيء من هذه الأفعال على غير أصله فلا ينصب مفعولين؛ نحو: ظننتُ زيدًا على المال، أي: اتهمته؛ وحسبت المال، أي: عددته؛ وزعمت اليتيم، أي: كفلته.

بَابُ النَّعْتِ (وَيُسَمَّى الْوَصْفَ وَالصِّفَةَ)⁽¹⁾

النَّعْتُ تَابِعٌ لِلْمَنْعُوتِ⁽²⁾ فِي أَرْبَعَةٍ مِنْ عَشْرَةٍ⁽³⁾: فِي وَاحِدٍ مِنْ رَفْعِهِ وَنَصْبِهِ وَخَفْضِهِ؛ وَفِي وَاحِدٍ مِنْ تَعْرِيفِهِ وَتَنْكِيرِهِ؛ وَفِي وَاحِدٍ مِنْ تَذْكِيرِهِ وَتَأْنِيثِهِ؛ وَفِي وَاحِدٍ مِنْ إِفْرَادِهِ وَتَثْنِيَّتِهِ وَجَمْعِهِ.

نَحْوُ قَوْلِكَ: قَامَ زَيْدٌ الْعَاقِلُ⁽⁴⁾، وَرَأَيْتُ زَيْدًا الْعَاقِلَ، وَمَرَرْتُ بِزَيْدٍ الْعَاقِلِ. وَهَذَا رَجُلٌ صَالِحٌ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا صَالِحًا، وَمَرَرْتُ بِرَجُلٍ صَالِحٍ؛ وَجَاءَ الرِّجَالُ الْفَاضِلَانِ، وَرَأَيْتُ الرِّجَالَيْنِ الْفَاضِلَيْنِ، وَمَرَرْتُ بِالرِّجَالَيْنِ الْفَاضِلَيْنِ؛ وَجَاءَ الرِّجَالُ الْفَضْلَاءُ، وَرَأَيْتُ الرِّجَالَ

ويعمل ماضي هذه الأفعال، ومضارعها، وأمرها، وما تصرف منها؛ وكلها تتصرف. وتقع بعدها (أَنَّ) فتفتح همزتها، وتكون هي ومعمولاها محلها نصبٌ تسد مسد المفعولين، نحو: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: 187]؛ فد(أنفسكم) مفعول (تختانون)، و(تختانون) جملة فعلية محلها نصبٌ خبرًا لـ(كنتم)، و(كنتم) ومعمولاها محلها رفعٌ خبر لـ(أَنَّ)، و(أَنَّ) ومعمولاها جملة اسمية محلها نصب في مفعولي (علم).

1- ما بين القوسين انفردت به النسخة (ج).

2- حُدَّ النعت تقريبًا أنه "التابع الموضح لحقيقة متبوعه".

3- العشرة هي: التعريف، والتنكير، والتذكير، والتأنيث، والإفراد، والتثنية، والجمع، والرفع، والنصب، والخفض.

4- كلمة "العقل" في المثال، مطابقة لما قبلها في أربعة من عشرة؛ في التذكير والتعريف والإفراد والرفع.

الفضلاء، ومررت بالرجال الفضلاء؛ وهذه هند⁽¹⁾ الفاضلة، ورأيت هندًا الفاضلة، ومررتُ بهندٍ الفاضلة⁽²⁾.

وَالْمَعْرِفَةُ خَمْسَةُ أَشْيَاءَ: الاسمُ الْمُضْمَرُ⁽³⁾، وهو ما دلَّ على متكلِّم أو مخاطب أو غائب، نحو: أنا، وأنت، وهُوَ، وفُرُوعُهُنَّ⁽⁴⁾. وَالِاسْمُ الْعَلَمُ، نحو: زيد، ومكة،

1- وردت "هند" في (أ) منونة، وفي (م) غير منونة. وكلا الوجهين جائز؛ فالاسم الممنوع من الصرف بسبب العلمية والتأنيث والمكَّون من ثلاثة حروف وسطها ساكنٌ مثل هِنْد، دَعْد، وَعَد، مِصْر، يجوز منعها من الصرف ويجوز صرفها.

2- النعت قسمان: حقيقي وسببي، فالحقيقي: هو الجاري على من هو له، ويتبعه في أربعة من عشرة؛ هي: الرفع والنصب والجَر، والإفراد والتثنية والجمع، والتذكير والتأنيث، والتعريف؛ نحو: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ﴾ [غافر: 28]، ﴿وَلَأَمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ﴾ [البقرة: 221]، ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ﴾ [التوبة: 112]، ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ﴾ [التحریم: 10]، وما أشبه ذلك.

والسببي: هو الجاري على غير من هو له، ويتبع منوعته في اثنين من خمسة؛ هي: الرفع والنصب والجَر والتعريف والتذكير. أما تبعيته للمنعوت في التذكير والتأنيث فإنه لا يتبع المنعوت إنما يتبع الاسم الذي بعده، وأما في الإفراد والتثنية والجمع فإن النعت يبقى مفردًا سواء كان ما بعده مفردًا أم مثنى أم جمعًا، ومنه: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ [النساء: 75]، وتقول: مررتُ برجل قائمٌ أمه، وبهند العاقل أبوها؛ فيتبعه في واحد من أوجه الإعراب، وواحد من جهة التعريف والتذكير.

3- أعرف المعارف - على الإطلاق - لفظ الجلالة، والضمير العائد على الله عزَّ وجلَّ؛ وقد اجتمعا في قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ [طه: 14]. ثم ضمائر غيره، وهي مرتبة: فضمير المتكلم أعرف من المخاطب، وهذا أعرف من الغائب.

4- فرع "أنا" نحن؛ وفرع "أنت" أنت، وأنتما، وأنتن؛ وفرع "هو" هي، وهما، وهم، وهن.

ونحو: المدينة، والعبادة⁽¹⁾ كابن عمر وابن عباس⁽²⁾. وَالْإِسْمُ الْمُبْهَمُ، وهو اسم الإشارة، نحو: هذا، وهذه، وهؤلاء، وهَذَيْنِ، وهَاتَيْنِ⁽³⁾، وذلك، وتلك، وذَيْنِكَ،

1- جمع الرجال الذين يسمى كل واحد منهم "عبدالله".

2- العبادة هم عبدالله بن عمر بن الخطاب، وعبدالله بن العباس بن عبدالمطلب، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وعبدالله بن مسعود. والعلم ما وضع على شيء بعينه ولم يتناول ما أشبهه من جنسه. وإن شئت قلت: العلم اسم يُعَيَّن المسمى تعييناً مطلقاً، أي بلا قيد؛ وهذا التعريف للعلم الشخصي. وهذا يكون اسماً؛ ويكون كنية: وهو ما صُدِّرَ بأبٍ أو أمٍّ أو بَابن؛ ويكون لقباً: وهو ما أشعر بمدح كزين العابدين، أو ذم كأنف الناقة. واللقب يتأخر عن الاسم إذا اجتمعا في الكثير، وتقديماً للقب على الاسم قليل، مثل:

بأنَّ ذا الكلب عمرًا خيرهم حسبًا بطن شريان يعوي حوله الذئب

فقوله "ذا الكلب" لقب عمرو.

وينقسم العلم أيضاً إلى: مُرتَجَل وإلى منقول؛ فالمرتجل هو الذي لم يسبق له استعمال في غير العلمية، كعمرو وزيد ويوسف وإبراهيم. والمنقول ما سبق له استعمال في غير العلمية ثم نقل إليها، وهو إما منقول من مصدر ك"فَضَّلَ"؛ أو من صفة ك"حامد" و"عامر" و"ناصر" و"محمود" و"منصور"؛ أو من اسم عَيْنٍ، ك"سَيْف" و"ثَوْر" و"نُعمان" وهو الدم، ومنه: شقائق النعمان لنوع من الورد، شُبَّه به لِحُمْرته؛ أو من فعل ماض ك"شَمَّرَ" لفرس، و"بَدَرَ" لمكان؛ أو من مضارع ك"يزيد" و"يشكر"؛ أو من جملة فعلية ك"برقَ نحرُهُ" و"يزيدُ". ومنهم من قاس العلم المنقول في الجملة الاسمية، ك"المنطلق زيد". والعلم المنقول من جملة لا يكون الإعراب فيه ظاهراً، بل يُحكى لفظه على هيئته لا يُعَيَّر ولا يُثَنَّى ولا يُجمع. راجع: ارتشاف الضَّرْبِ من لسان العرب، ج2، ص961. وشرح المفصل، ج1، ص126.

3- لا تُحذف ألف هاء التنبيه من اسم الإشارة المبدوء بتاء أو بهاء، مثل: هاتان - هاهنا. راجع: قواعد الإملاء (المطالع النصرية)، ص232.

وَتَيْنِكَ، وَأُولَئِكَ، وَهُنَا، وَهُنَالِكَ، وَثَمَّ، وَهَنَّا⁽¹⁾، وَالْآنَ⁽²⁾. وَالْإِسْمُ الَّذِي فِيهِ الْأَلِفُ وَاللَّامُ، نَحْوُ: الرَّجُلِ، وَالْغُلَامِ⁽³⁾. وَمَا أُضِيفَ إِلَى وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ،

1- بفتح الهاء وكسرها وتشديد ما بعدها؛ وهي للبعيد، ومنه قول ذي الرمة من قصيدة يصف فيها الفلاة: هَنَّا وَهَنَّا وَمِنْ هُنَّا لَهْنٌ بِهَا ذَاتَ الشَّمَائِلِ وَالْأَيْمَانِ هَيْئُومٌ والهيئوم: الصوت الخفي. والشاهد فيه "هنا" يروى بفتحة على هاء الثلاث، وروي بفتح الأول وكسر الثاني وضم الثالث مع التشديد. والضمير في "لهن" للجن، وفي "بها" للأرجاء في البيت قبله (للجن بالليل في أرجائها زجل). و"ذات" نصب على الظرفية، والعامل فيه "استقر" المقدر في "بها". وهيئوم "مبتدأ" خبره "لهن". و"هنا" إشارة إلى المكان، ولكنها تختلف في القرب والبعد، فبالضم يشار إلى القريب، وبالأخرين إلى البعيد. راجع: شرح الأشموني، ص 66.

2- الاسم المبهم هو ما دلَّ على مسمًى وأشير به إليه؛ ودليل إبهامه عمومته وصلاحيته للإشارة به إلى كل جنس، وإلى أشخاص كل نوع، نحو: هذا حيوان، وهذا جماد، وهذا فرس، وهذا رجل، وهذا زيد. والمشار إليه مكان أو غيره؛ وغير المكان مذكر ومؤنث.

ومراتب المشار إليه - عند أكثر النحاة - قريب ومتوسط وبعيد؛ ف(ذا) للمفرد المذكر القريب، وللمؤنث (ذي) و(تا). و(ذان) و(تان) رفعًا وبالياء جرًا ونصبًا صيغة دالة على المثني. و(أولي) و(أولاء) والمد أكثر، ويشار به للجمع مطلقًا. والذي للمكان (هنا) و(هنا) و(هنا) و(ثم) بفتح الثاء؛ ولا تلحقها كاف ولا هاء تنبيه، ويلحقان غيرها. ويلحق اللام في غير (ثم) أيضًا؛ ولا يجتمع مع هاء التنبيه، وتدل على بُعد المشار إليه، والكاف وحدها للمتوسط، وهي حرف خطاب.

وألفاظ الإشارة كلها معارف مبنية إلا المثني ففيه خلاف إذ يرى بعضهم أنه مبني، ويرى آخرون أنه معرب لأن التثنية تزيل عنه شبه الحرف. راجع: شرح المفصل، ج 2، ص 365. وارتشاف الضرب، ج 2، ص 974.

3- رابع المعارف (المُحَلَّى بِالْأَلِ): و(أل) هذه عهدية وجنسية؛ فالعهدية تكون دكرية، كقوله تعالى: ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ مِّنْ مِّصْبَاحٍ فِي رُجَاةٍ ۖ الرُّجَاةُ ۚ﴾ [النور: 35]، ونحو: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا

إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا . فَعَصَى فِرْعَوْنَ الرَّسُولَ ﴿ [المزمل: 15-16]. وهي التي يتقدم عليها مصحوبها ذكراً؛ وتكون حضورية نحو: جاءني هذا الرجل، ونحو: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ [الانشقاق: 6]، وتقول: لا تضرب الرجل، إذا كان بحضرتك. وتكون (أل) العهدية ذهنية وتسمى علمية، نحو: ﴿إِذْ هُمَا فِي الْعَارِ﴾ [التوبة: 40]، و﴿تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: 18]، و﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: 3]، لأنهم عالمون بذلك؛ وعلامتها أن يكون مصحوبها معلوماً عند المخاطب.

أما (أل) الجنسية فتكون لاستغراق أفراد الجنس، نحو: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: 28]، و﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: 2]؛ ويصح موضعها (كل) حقيقة، وتكون لاستغراق خصائص أفراد الجنس، نحو: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ [البقرة: 2]، وأنت الرجلُ علماً، أي: أنت الكامل في خصائص الرجال والشامل لها؛ وتخلّفها (كل) مجازاً، وتكون لبيان الحقيقة، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: 30]، أي: من جنس الماء.

كغلامي، وغلّام زيد، وغلّام هذا، وغلّام الرجل⁽¹⁾. وَبَقِيَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ قِسْمَانِ وَهُمَا: الْمَوْصُولُ، كَالَّذِي وَالَّتِي⁽²⁾؛ وَالْمَقْصُودُ بِالْبَدَاءِ مِنْ أَسْمَاءِ الْجِنْسِ: كَيَا رَجُلٌ، وَيَا غُلَامٌ⁽¹⁾.

1- النكرة تتعرف بالإضافة إلى المعرفة، كما مثل له الشارح؛ وتتخصص بالإضافة لمثلها، نحو: غلام رجل، وثوب امرأة، وخاتم حديد.

2- السادس من المعارف الموصول؛ ولم يذكره المؤلف، ولا بدّ منه لذا أشار إليه الشارح؛ ويسمى (الناقص) لافتقاره إلى غيره لزومًا. وهو قسمان: حرفي واسمي؛ فالحرفي ما أوّل مع ما يليه بمصدر ولا عائد عليه. وجُمِلَتْهُ خَمْسَةُ أَحْرَفٍ: (أَنَّ) و(أَنَّ) و(كَيْ) و(مَا) في بعض أوجهها و(لو) بعد (وَدَّ) أو (يَوَدُّ). أما الموصول الاسمي فهو ما افتقر أبدًا إلى عائد أو خلفه. والأصل في العائد أن يكون ضميرًا، وقد يخلفه الظاهر، كقول الشاعر:

سُعَادُ الَّتِي أَضْنَاكَ حُبُّ سُعَادَا
إِعْرَاضُهَا عَنْكَ اسْتَمَرَّ وَزَادَا

وقد تخلف الضمير جملة تامة خبرية أو شبهها كذلك. راجع: شرح الأشموني، ج 1، ص 66. وشرح شذور الذهب، ص 80.

والموصول مشترك وغيره؛ فغيرُ المشترك: (الذي) و(التي) و(اللدان) و(اللتان) و(الذين) و(الأولى) و(اللائي) و(اللاتي)، والمثنى منها يرى بعضهم أنه مبني كسائر ألفاظ الإشارة، ويرى آخرون أنه معرب لأن التثنية تزيل عنه شبه الحرف. وقد أضاف يونس والفراء وابن مالك لفظ (الذي) إلى الموصولات الحرفية، ومثلوا لذلك بقوله تعالى: ﴿وَحُضِّتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ [التوبة: 69]، تقديره: كخوضهم؛ ومنع ذلك البصريون. راجع: ارتشاف الضرب، ج 2، ص 996.

والمشترك: (مَنْ)، و(مَا)، و(أَلْ)، و(ذُو)، و(ذَاتُ)، و(ذَوَاتُ)، و(ذَا) بعد "مَنْ" و"مَا" الاستفهاميتين، و(أَيُّ)؛ فهذه كلها تعمُّ المفرد المذكر وفروعه.

ويجوز في الضمير العائد على الموصول مراعاة أيّ كان؛ ف(أَلْ) توصل بصفة صريحة، ويُقصد بها المشتقات كاسم الفاعل واسم المفعول ونحوهما، كالضارب والمضروب؛ ومعنى كونها صريحة أن لا تكون الاسمية غلبت عليها، مثل: أبطح وصاحب وراكب. فإذا وصلت (أَلْ)

وَالنَّكِرَةُ كُلُّ اسْمٍ شَائِعٍ فِي جِنْسِهِ لَا يَخْتَصُّ بِهِ وَاحِدٌ دُونَ آخَرَ؛ وَتَقْرِيْبُهُ: كُلُّ مَا صَلَحَ دَخُولُ الْأَلْفِ وَاللَّامِ عَلَيْهِ⁽²⁾ وَلَمْ يَدْخُلَا عَلَيْهِ بِالْفِعْلِ، كَرَجُلٍ وَفَرَسٍ؛ فَإِنْ

في مثل الصفات تكون معرفة وليست موصولة. وقلَّ وصل (أل) بمضارع، نحو قول ذي الخرق الطهوي، واسمه قرط:

يَقُولُ الْخَنَى وَأَبْغَضُ الْعُجَمِ نَاطِقًا إِلَى رَبِّهَا صَوْتُ الْحِمَارِ الْيُجَدِّعُ

والخنَى: الفحش، والعجم: جمع أعجم وهو الحيوان، وقوله "اليجدع" أراد الذي يجدّع، فدخلت (أل) على الفعل المضارع، وفسروها بمعنى (الذي). والحمار المجدّع: الذي قطعت أذناه، ويبدو أنه يكون أقبح صوتاً فوق قبحة الأصلي. راجع: همع الهوامع، ج 1، ص 293. وشرح أبيات مغني اللبيب، ج 1، ص 292. وخزانة الأدب، ج 1، ص 31.

ودليل اسمية الموصولات عَوْدُ الضمير عليها؛ فمثال الصلة بالفعلية: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: 1]، وبلاسمية: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي يَبْدِيهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: 1]، وبالظرف: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنبياء: 19]، وبالمجرور: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنبياء: 19]؛ وكلُّها معارفٌ بالصلة.

والعائد يكون مطابِقًا، والمضاف للموصول معرفة أيضًا، نحو: جاء غلام الذي أقبل.

1- يعني النكرة المقصودة أي المنادى المعرفة بالقصد، نحو: يارجل، ويا امرأة؛ لأنها تعرّفت بإقبال النداء عليها. راجع: شرح التسهيل، ج 1، ص 116.

2- ورد في (أ) و(ر) و(م) لفظ "كل ما صلح عليه دخول الألف واللام"، وتأخير الجار والمجرور هو ما ورد في (ج) ويدعمه نص الآجرومية.

دخلا عليه كان معرفةً، نحو: الرجل والفرس⁽¹⁾. ثُمَّ إِنَّ الضَّمِيرَ⁽²⁾ لَا يُنْعَتُ وَلَا يُنْعَتُ بِهِ⁽³⁾، وَالْعَلَمُ وَالْمَقْصُودُ بِاللِّدَاءِ يُنْعَتَانِ وَلَا يُنْعَتُ بِهِمَا، وَغَيْرُ ذَلِكَ يُنْعَتُ وَيُنْعَتُ بِهِ؛ وَالْمِثَالُ سَهْلٌ⁽¹⁾.

1- النكرة أصل والمعرفة فرع؛ وأنكر النكرات (شيء)، ثم (جوهر)، ثم (جسم)، ثم (حيوان)، ثم (إنسان)، ثم (رجل). وتعريفها أنها: كل اسم شائع في جنسه لا يختص به واحد دون آخر، نحو: رجل وفرس وشجر، فهذا اللفظ يعم جميع الرجال والأفراس والأشجار، ولا يخص واحداً منها بعينه.

ويمكن تعريف النكرة بأنها: ما تقبل (رُبَّ) أو (أَل) وتؤثر فيه التعريف، أو يقع موقع ما يقبلها؛ لتُعَمَّ نحو (مَنْ) و(مَا) النكرتين بمعنى شخص وشيء، و(صَه) و(مَه) و(إِيَه) المنونات؛ لأنهن وقعن موقع سكوت وانكفاف وزيادة، فكل هذه لا تقبل (أَل) المؤثرة. راجع: همع الهوامع، ج1، 188.

2- ورد في (ج) لفظ "المضمر" بدلا من لفظ "الضمير"، ودلالتهما واحدة.

3- ما ذكره الشارح من أن الضمير لا يُنْعَت به هو مذهب جمهور النحويين، لأنهم يرون أن الاسم لا يضمّر إلا بعد أن يُعرف لذا استغنى عن النعت لأن المخاطب قد عرف المقصود به، ولأن المضمر إشارة إلى المذكور، والإشارة لا تُنْعَت إنما يُنْعَت المشار إليه، فإذا أضمرت بعد ذكرٍ ثم أردت أن تُنْعَت فإنما يجري النعت على الظاهر لا على علامة الإضمار التي هي إشارة إليه.

وخالف الجمهور في ذلك الكسائي فأجاز نعت ضمير الغائب إذا كان النعت لمدح أو ذم أو ترحم، واحتج لذلك بقولهم: (اللهم صل عليه الرؤوف الرحيم) حيث جاءت (الرؤوف الرحيم) نعتا للضمير في (عليه). وقد حمل الجمهور ذلك على البدل أو على إضمار (أعني).

وقد أجاز النعت من الضمير الزمخشري في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: 109] حيث أجاز في إعراب (عَلَّامُ الْغُيُوبِ) في قراءة من قرأ بنصب (عَلَّام) أن يكون صفة لاسم (إِنَّ). وقد أخذ ابن مالك برأي الكسائي في جواز نعت ضمير الغائب،

بَابُ الْعَطْفِ

وَحُرُوفُ الْعَطْفِ عَشْرَةٌ⁽²⁾، وَهِيَ: الْوَاوُ، وَمِنْ مَعَانِيهَا: الْمُصَاحَبَةُ؛ وَعَطْفُ الْآخِيقِ عَلَى السَّابِقِ؛ وَعَكْسُهُ، نَحْوُ: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾⁽³⁾، وَكَجَاءَ زَيْدٌ وَعَمَرُو بَعْدَهُ، وَتَكَلَّمَ بَكْرٌ وَخَالِدٌ قَبْلَهُ⁽⁴⁾. وَالْفَاءُ، وَثَمَّ: (وَالْفَاءُ لِلتَّرْتِيبِ بِاتِّصَالِ⁽⁵⁾)، وَ"ثُمَّ"

وذلك في كتابه (شرح التسهيل)، أما في كتابه (شرح الكافية) فقد منع النعت من الضمير مطلقاً. وهذا الموقف الأخير لابن مالك هو ما بنى عليه مصنف النفحة القيومية.

راجع: الكتاب (كتاب سيبويه)، ج2، ص11 وص88. والمقتضب، أبو العباس المبرّد، تحقيق: محمد عبدالخالق عزيمة، منشورات لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة - 1994، ج4، ص281 وص284. ونتائج الفكر، ص164. وشرح التسهيل، ج3، ص321. والدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق - 1406هـ، ج4، ص489. وارتشاف الضرب، ج4، ص1931.

- 1- سقطت كلمة "سهل" من النسخة (ر) سقوطاً كلياً دون إشارة لها في الهامش.
- 2- الثاني من التوابع وهو العطف بالحرف، ويسمى: عطف النسق. والمعطوف هو الذي بعد حرف العطف، والمعطوف عليه هو الذي قبله، والثاني يتبع الأول في جميع إعرابه.
- 3- سورة العنكبوت، الآية 15.

4- الواو لا تفيد ترتيباً، بل تعطف السابق واللاحق والموافق، تقول: جاء زيدٌ وعمرو بعده أو قبله أو معه، كلّها صحيح؛ وقد اجتمع السابق واللاحق في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ﴾ [الأحزاب: 7].

5- الفاء للتّرتيب بالاتّصال، تقول: جاء زيدٌ فعمرو، أي: جاء بعده متصلاً به من غير تراخٍ. واتّصال كل شيء بحسب حاله، تقول: دخلتُ مكة فالمدينة، إذا لم يكن بينها إلا مسافة الطريق؛ وتقول: تزوّج فلان فولد له، إذا لم يكن بين الزواج والولادة إلا مدة الحمل؛ وكذلك ما أشبهه.

لِلتَّرْتِيبِ بِإِنْفِصَالٍ⁽¹⁾، كَسَافَرَ زَيْدٌ فَعَمَّرُو، وَحَضَرَ سَعْدٌ ثُمَّ بَشَّرَ⁽²⁾. وَأَوْ، ومن معانيها التخيير، والإباحة بعد الطلب؛ كتزوج فلانة أو أختها، وجالس العلماء أو الزهاد؛ والتقسيم، والإبها، والشك بعد الخبر⁽³⁾، نحو: الكلمة اسم أو فعل أو حرف، وكلقيت أباك أو أخاك⁽⁴⁾. وَأَمْ، وتكون متصلة وهي الواقعة بعد همزة التسوية⁽⁵⁾ أو الهمز المغني عن لفظ "أَي"، نحو: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ

1- نحو: أقبل زيد ثم عمرو، فيكون بينهما تراخ؛ هذا هو الكثير. وما بين القوسين بيت من ألفية ابن مالك، أدمجه الشارح في شرحه.

2- وقد اجتمعتا في قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ [عَبَسَ: 21].

3- إذا وقعت (أو) بعد الخبر تكون للشك أو للإبها؛ فالشك من المتكلم، وشك المخاطب ناشئ عنه، نحو: ﴿لَيْشْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [المؤمنون: 113]؛ والإبها: أن يكون المتكلم عالمًا ويُبهم على السامع لأمر ما، نحو: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: 24]. وحُمل على المعنيين قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصفات: 147].

أما إذا وقعت (أو) بعد الطلب فإنها تحتمل التخيير والإباحة؛ فإن كان ما بعدها لا يجوز أن يُجمع مع ما قبلها تعين التخيير، نحو: تزوج هندًا أو أختها، وإن جاز فهي محتملة لهما، نحو: تعلم فقهاً أو نحوًا، فلك الجمع إن شئت.

4- مذهب الجمهور أن (أو) تُشرك في الإعراب لا في المعنى، وابن مالك يرى أنها تُشرك في الإعراب والمعنى. راجع: الجنى الداني في حروف المعاني، ص 227.

5- أي الهمزة الواقعة بعد "سواء".

تُنذِرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ⁽¹⁾، ونحو: ﴿أَقْرَبُ أُمِّ بَعِيدٍ مَّا تُوعَدُونَ﴾⁽²⁾. ومنفصلة⁽³⁾ وهي الخالية مما ذكر المتضمنة معنى "بل" مع استفهام أو دونه، نحو: إِنَّهَا لِإِبْلِ أُمِّ شَاءَ⁽⁴⁾، وهذا زيد أُمِّ هُوَ عمرو⁽⁵⁾. و"إمّا" الثانية⁽⁶⁾ وهي كـ"أو" فيما ذكر من المعاني، ويمثل لها بأمثلتها؛ فتقول: تزوج إمّا فلانة وإمّا أختها، وجالس إمّا العلماء

1- سورة البقرة، الآية 6.

2- سورة الأنبياء، الآية 109. و"أُمِّ" المتصلة تقع بعد همزة الاستفهام المفهومة للتسوية، ويكون ما بعدها متصلاً بما قبلها؛ وتقع بين جملتين في تأويل المصدر، نحو: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْتَهُمْ﴾ [البقرة: 6]، أي: سواء عليهم الإنذار وعدمه. وتقع كذلك بين مفردين، نحو: أعندك زيد أُمِّ عمرو؟ أي: أيُّهما عندك، وتسمى همزة التعيين.

3- وتسمى أيضاً منقطعة.

4- مثال متواتر في أمّات كتب النحو، وهو قول لأعرابي رأى أشباحاً ظنها إبلا ثم عدل عن رأيه إلى رأي آخر وهو أنها شياها، فقال: إنها لإبل أُمِّ شَاءَ (أي بل هي شاء). راجع: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، دار الفكر، دمشق - 1964، ج 1، ص 44. وجمع الهوامع، ج 5، ص 246. واللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء العكبري، تحقيق: غازي مختار طليمات، دار الفكر، دمشق - 2001، ج 1، ص 430.

5- "أُمِّ" المنفصلة معناها (بل)، نحو: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ [هود: 13]. وإذا وقعت بعد استفهام قُدِّر استفهام بعدها أيضاً، نحو: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا؟ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْتَطِشُونَ بِهَا؟ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا؟ أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا؟﴾ [الأعراف: 195]، والتقدير: بل أَلَهُمْ، بدليل ظهوره بعدها في نحو: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ [الرعد: 16].

6- أراد بها نحو: قام إما زيد وإما خالد، فالواو عطفت (إما) الثانية على الأولى، و(إما) عطفت الاسم الذي بعدها على الاسم الذي بعد الأولى.

وَأَمَّا الزهَاد، الخ⁽¹⁾. (والمختار أنها غير عاطفة؛ لِمَلَازِمَتِهَا الْوَاوُ الْعَاطِفَةُ)⁽²⁾. وَ"بَلْ" وَ"لَا" وَ"لَكِنْ" وهذه الثلاثة إنما تعطف لفظاً لا معنى؛ فأما "لا" فيُعطف بها بعد الإثبات والأمر والنداء⁽³⁾، كجاء زيدٌ لا عمرٌو، واضربْ زيداً لا عمرًا، ويا زيدٌ لا عمرٌو. ومعناها قَصُرُ الحُكْمِ على ما قبلها⁽⁴⁾. وَأَمَّا "لَكِنْ" ⁽⁵⁾ وَ"بَلْ" ⁽⁶⁾ فيُعطف بهما بعد النفي والنهي، نحو: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ﴾⁽⁷⁾، وما قام زيدٌ بل عمرٌو، ولا تهجُرْ مُطِيعًا لَكِنْ عَاصِيًا، ولا تكن بخيلاً بل كريماً. ومعناها تقريرُ الحكم لما قبلهما وجعلُ ضِدِّه لما بعدهما؛ وتقع "بَلْ" بعد الإثبات والأمر، فتفيد نقل حكم الأول للثاني، كسَارَ زيدٌ بل عمرٌو، وأَكْرِمَ زيداً بل عمرًا. وَ"حَتَّى" فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ: وهو ما إذا كان معطوفُها بعضًا من المعطوف عليه وغايةً له⁽⁸⁾، كجاء الحُجَّاج حَتَّى المشاة، وكقوله:

1- بدءًا من قوله "فتقول" وانتهاءً بقوله "الخ"، ساقط من النسخة (ج).

2- ما بين القوسين انفردت به النسخة (ج)، وهو عينٌ ما أورده المرادي. راجع: الجني الداني، ص 529.

3- حرف عطف ونفي.

4- إما قَصُرَ إيراد، نحو: زيدٌ كاتبٌ لا شاعرٌ، ردًّا على من يعتقد أنه كاتب وشاعر. وإما قَصُرَ تعيين، نحو: زيدٌ كاتبٌ لا شاعرٌ، للمتروك في أي الوصفين ثابتٌ لزيد مع علمه بثبوت أحدهما لا على التعيين. وإما قَصُرَ قَلْبٍ، نحو: زيدٌ عالمٌ لا جاهلٌ، رداً على من يعتقد أنه جاهل.

5- حرف عطف واستدراك.

6- حرف عطف وإضراب.

7- سورة الأحزاب، الآية 40.

8- أي أن شرط عمل (حَتَّى) أن يكون ما بعدها جزءًا ممَّا قبلها أو كالجُزء منه، ويكون الثاني غايةً له في شرف أو قوة أو ضِدِّهما، نحو: مات الناسُ حَتَّى الأنبياءُ، فالأنبياء غايةٌ في الشرف. وتقول: زارني الناسُ حَتَّى الحُجَّامونَ، فهم غايةٌ في الإهانة والدناءة.

قَهْرْنَاكُمْ حَتَّى الْكُمَاةَ فَأَنْتُمْ تَخَافُونَنَا حَتَّى بَنِينَا الْأَصَاغِرَا⁽¹⁾

فَإِنْ عَطَفْتَ بِهَا (أَيَّ حُرُوفِ الْعُطْفِ الْمَذْكُورَةِ)⁽²⁾ عَلَى مَرْفُوعٍ رَفَعْتَ، أَوْ عَلَى مَنْصُوبٍ نَصَبْتَ، أَوْ عَلَى مَخْفُوضٍ خَفَضْتَ، أَوْ عَلَى مَجْزُومٍ جَزَمْتَ⁽³⁾؛ تَقُولُ: قَامَ زَيْدٌ وَعَمْرُو، وَرَأَيْتُ زَيْدًا وَعَمْرًا، وَمَرَرْتُ بِزَيْدٍ وَعَمْرٍو، نَحْوُ: ﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ﴾⁽⁴⁾.

1- البيت غير منسوب، والشاهد فيه أن «حَتَّى» عاطفة بمنزلة الواو وأنَّ ما بعدها غاية لما قبلها في النقص، حيث بدأ بالكُمَاة، وانتهى بالأصاغر من الأبناء. راجع: همع الهوامع، ج5، ص258. وشرح أبيات مغني اللبيب، ج3، ص107.

2- ما بين القوسين ساقط من (ج).

3- لم يذكر ابن آجروم عطف البيان، ولم يستدركه عليه الشارح مثل ما استدرك عليه قبل عدم ذكر قسمين من المعرفة هما: الموصول والمقصود بالنداء من أسماء الجنس. وعطف البيان تابعٌ بواسطة حرف بينه وبين متبوعه يكون في قوة تكرار العامل؛ وهو يشبه النعت في كونه موضحًا لمتبوعه، ويفارق النعت في جموده. ولا يكون عطف البيان نكرة عند البصريين، والكوفيون يجيزون مجيئه في النكرة، مثل قوله تعالى: ﴿وَيُسْقَى مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ [إبراهيم:16]. والغالب على عطف البيان ردُّ الأعلام على الكنى وبالعكس، نحو: أقسم بالله أبو حفص عمر، وجاء أحمد أبو العباس. ويجوز إعرابه بدلًا، إلا إذا امتنع أن يحل محل الأول فيتعيَّن البيان. راجع: ارتشاف الضرب، ج4، ص1943. وهمع الهوامع، ج5، ص190.

4- سورة محمد، الآية 36. والعطف بالحرف يكون في الأسماء كالأمثلة؛ والأفعال، نحو قولك: زَيْدٌ قَامَ وَقَعَدَ، ومنه: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة:11].

بَابُ التَّوَكُّيدِ

التَّوَكُّيدُ⁽¹⁾ تَابِعٌ لِلْمُؤَكِّدِ فِي رَفْعِهِ وَنَصْبِهِ وَخَفْضِهِ وَتَعْرِيفِهِ، وَهُوَ قِسْمَانِ: لَفْظِي وَهُوَ تَقْوِيَةُ الْكَلِمَةِ بِإِعَادَةِ لَفْظِهَا أَوْ مُرَادِفِهَا مَرَّةً فَأَكْثَرَ؛ كَقَوْلِ النَّبِيِّ (ﷺ): {أَيُّمَا امْرَأَةٍ نَكَحْتُ بِغَيْرِ إِذْنٍ وَلِيِّهَا فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ} (2)، وَقَوْلِهِ (ﷺ): {وَاللَّهِ لَا غَرْوَنَ قُرَيْشًا} ثَلَاثَ مَرَّاتٍ (3)، وَنَحْوُ: أَنْتَ بِالْبَرِّ خَلِيقٌ جَدِيرٌ، وَصَمَتَ سَكْتَ زَيْدٌ (4).

وَمَعْنَوِيٌّ (5) وَهُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: وَيَكُونُ الْمَعْنَوِيُّ بِالْفَافِ مَعْلُومَةً أَيْ مَعْرُوفَةً مَحْضُورَةً (6)، وَهِيَ تَنْقَسِمُ إِلَى مَا يُفِيدُ رَفْعَ تَوْهُمِ الْإِضَافَةِ إِلَى الْمَتْبُوعِ وَهُوَ النَّفْسُ

1- التوكيد هو تحقيق المعنى في النفس أو هو التشييت. ويقال: توكيد، وتأکید، وهما لغتان. راجع: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - 2010، ج6، ص585.

2- صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض - 2000، ج1، ص558.

3- راجع: السنن الكبير، الحافظ البيهقي، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، القاهرة - 2011، ج20، ص118.

4- يكون التوكيد اللفظي في الأسماء والأفعال والحروف، نحو: ﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [الفجر: 21]، وتقول: قام قام زيد، ونعم نعم جاء عمرو، ونحو ذلك.

5- التوكيد المعنوي يرفع الشبهة والإشكال، ويقرّر ما خامر النفس على جهة الاحتمال؛ فإذا قلت: (جاء الأمير) احتمل مجيء رسوله أو كتابه؛ فقد دخلت الشبهة والإشكال، ووقع الاحتمال، فإذا قلت: (عينه أو نفسه) ارتفعت الشبهة، وتقرر أحد المحتملات.

6- التوكيد المعنوي خاص بالأسماء، ويتبع المؤكّد في الإعراب والبناء والإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث. ولا تؤكّد النكرة عند البصريين توكيدا معنويا خلافا للفظي، والكوفيون

والعينُ ومعناهما واحدٌ أي الذاتُ؛ وَالْأَفْصَحُ جَمْعُهُمَا بِـ"أَفْعَلٍ" إِنْ تَبِعَا مُتَنَّى أَوْ مَجْمُوعًا، كجاء الزيدان أنفُسُهُما (أو أَعْيُنُهُما)⁽¹⁾ والزيدون أنفُسُهُم (أو أَعْيُنُهُم)؛ ويجوزُ إفرادُهُما في الوجهين وتَثْنِيَّتُهُمَا في الأول⁽²⁾. وكما يجوز التوكيد بأحدهما يجوز بهما معًا بلا عَطْفٍ، قِيلَ وَبِهِ⁽³⁾. وتَلَزَمُ إضافَتُهُمَا مُطْلَقًا إِلَى ضمير يطابق المؤكَّدَ في الأفراد والتذكير وفروعِهِما، وإلى ما يُفِيدُ رفعَ تَوَهُّمِ إرادة الخصوص، وهو كُلٌّ، وجميعٌ، وعامَّةٌ، وكِلَا، وكِلْتَا، مضافاتٍ إِلَى ضمير يطابق المؤكَّدَ⁽⁴⁾؛ وَأَجْمَعُ (وفروعُهُ، وهي: أجمعون، وجمَعَاءُ، وَجُمُعٌ)⁽⁵⁾ وتوابعُ "أَجْمَعُ" وهي: أَكْتَعُ، وَأَبْتَعُ، وَأَبْصَعُ.

يؤكدونها إذا كانت محدودة، نحو: سرت يومًا كله. راجع: الإنصاف في مسائل الخلاف، ص362. وارتشاف الضرب، ج4، ص1953.

1- ما بين القوسين في هذا المثال والذي بعده، ساقط كلياً من (ج)، ومُشار إليه في هامش (أ).

2- يعني أن (نفس) و(عين) يجمعان في غير الأفراد، نحو: جاء الزيدان أنفُسُهُما، ويجوز نفساهما؛ وجاء الزيدون أنفُسُهُم، لا غير.

3- أي يعطف النفس على العين وبالعكس.

4- لا يؤكد بـ(كُلٌّ) إلا ما له أجزاء يجوز قيام الحكم ببعضها؛ لا تقول: جاء زيد كُلُّه، إذ لا يصحُّ مجيء بعضه. وتقول: جاء الجيش كُلُّه، لأنه يصحُّ أن تقول: جاء بعض الجيش.

5- ما بين القوسين زيادة انفردت بها النسخة (ج)، وهي زيادة لم أستسغ إغفالها لانسجامها مع الأمثلة التي سيوردها الشارح لاحقاً.

وفروع "أجمع" الثلاثة: أجمعون وجمَعَاءُ وَجُمُعٌ، تكون تأكيداً بعد تأكيد، تقول: جاء الجيش كله أجمعٌ، وأقبل القوم كلهم أجمعون، ومنه: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [ص:73]، وجاءت القبيلة كُلُّها جمَعَاءُ، وقامت الهندات كلهن جمعٌ؛ ف(أجمع) و(جمَعَاءُ) و(جُمُعٌ) لا صرف فيهن؛ للتعريف المقدر فيهن، ووزن الفعل في "أجمع"، والتأنيث في "جمَعَاءُ"، والعدل في "جُمُعٌ"؛ فتخفف بالفتحة. و(أجمعون) بالواو رفعاً، وبالياء جرّاً ونصباً.

تقول: قَامَ زَيْدٌ نَفْسُهُ (أو عَيْنُهُ)⁽¹⁾، ورَأَيْتُ الْقَوْمَ كُلَّهُمْ، ومررتُ بالقومِ أَجْمَعِينَ أو جميعهم أو عامَّتْهم، وجاءَ الرجلانِ كِلَاهُمَا؛ والمرأتانِ كِلْتَاهُمَا؛ والجيشُ كُلُّهُ أَجْمَعُ أَكْتَعُ أَتَعُ أَبْصَعُ؛ والجماعةُ كُلُّهَا جَمَعَاءُ كَتَعَاءُ بَتَعَاءُ بَصَعَاءُ؛ والرجالُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ أَكْتَعُونَ أَتَعُونَ أَبْصَعُونَ؛ والنساءُ كُلُّهُنَّ جُمَعُ كُتَعُ بُتَعُ بُصَعُ. (وَلَا يُؤَكَّدُ بـ"أجمع" وفروعه غالبا إلا بعدَ "كُلِّ")⁽²⁾.

والتعريف المقدر فيهن هو (أل) المعرفة، فكأنها معدولة عن الأجمع والأجمعون والجمع، مثل عدل (أمس) عن الأمس، وسحر المعين عن السحر. ونسب السيوطي إلى سيبويه والسهيلي وابن مالك أن تعريفها بالإضافة المقدرة؛ فإذا قيل: رأيت النساء جمع، كان أصلها: جمعهن. أما عدل (جُمَع) فعن (جُمَع) بضم الجيم وسكون الميم؛ لأن وزن فعلاء مما ذكره على أفعل يجمع على (فُعُل) نحو: حمراء حُمُر. وهذا رأي المازني كما نقله ابن يعيش. ويرى آخرون أنه عدل عن (جماعى) بفتح الجيم والميم والألف المقصورة في آخره؛ لأن (فعلاء) إذا كانت اسماً تُجمع على (فَعَالَى) مثل صحراء صحارى، وجمع اسم غير صفة. راجع: شرح المفصل، ج2، ص230. وهمع الهوامع، ج5، ص202.

1- زيادة من (ر) و(م).

2- ما بين القوسين زيادة انفردت بها (ج).

بَابُ الْبَدَلِ⁽¹⁾

إِذَا أُبْدِلَ اسْمٌ مِنْ اسْمٍ، أَوْ فِعْلٌ مِنْ فِعْلٍ؛ تَبِعَهُ فِي جَمِيعِ إِعْرَابِهِ. وَهُوَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ: بَدَلُ الشَّيْءِ مِنَ الشَّيْءِ وَهُوَ بَدَلُ الشَّيْءِ مِمَّا هُوَ طَبَقَ مَعْنَاهُ، وَيُسَمَّى بَدَلُ الْكُلِّ مِنَ الْكُلِّ، وَبَدَلُ الْمَطَابَقَةِ⁽²⁾. وَبَدَلُ الْبَعْضِ مِنَ الْكُلِّ، وَهُوَ بَدَلُ الْجُزْءِ مِنْ كُلِّهِ؛ قَلِيلًا كَانَ ذَلِكَ الْجُزْءُ أَوْ مَسَاوِيًا أَوْ أَكْثَرَ. وَبَدَلُ الْإِشْتِمَالِ، وَهُوَ بَدَلُ الشَّيْءِ مِمَّا هُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَيْهِ، لِكَوْنِ الثَّانِي صِفَةً لِلأَوَّلِ أَوْ دَالًّا عَلَى صِفَةٍ فِيهِ؛ (عَلَى مَا اخْتَارَهُ فِي التَّسْهِيلِ)⁽³⁾. وَبَدَلُ الْغَلَطِ وَهُوَ بَدَلُ الشَّيْءِ مِمَّا يَبَيِّنُهُ، عَلَى وَجْهِ الْغَلَطِ؛ أَيِ سَبْقِ اللِّسَانِ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ. فَالأَوَّلُ⁽⁴⁾ نَحْوُ قَوْلِكَ: قَامَ زَيْدٌ أَخَوْكَ،

1- هكذا يسميه البصريون؛ أما الكوفيون فيسمونه: الترجمة، والتبيين، والتكرير. وهو التابع المقصود بالحكم بلا واسطة بينه وبين متبوعه. وعلامته أن يحلَّ محلَّ المبدل منه من غير طرحه. ويجوز إعرابه عطف بيان ما لم يكن نكرة فإن جاء نكرة يُعرب بدلًا ولا يُعرب عطف بيان. راجع: همع الهوامع، ج5، ص190. وشرح الأشموني، ج2، ص435. وشرح التصريح، ج2، ص148.

2- هكذا سمَّاه ابن مالك في البيت خمسمائة وستة وستين من ألفيته؛ وذلك لوقوعه في اسم الله تعالى، نحو: ﴿إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ. اللَّهُ﴾ [إبراهيم: 1-2]، في قراءة الجر، ولم يطلق عليه بدل الكل لأن الكل يطلق على ما يقبل التجزؤ وذلك ممتنع في حقه تعالى. 3- ما بين القوسين زيادة من النسختين (ج) و(ر). وفيه أول إشارة من الشارح إلى أحد مصادر شرحه، وهو كتاب (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد)، وهو الكتاب الذي جعله ابن مالك تيسيرا لكتابه الآخر (الفوائد النحوية والمقاصد المحوية) كما هو واضح من عنوانه. راجع: شرح التسهيل، ج3، ص329.

4- أي بدل الشيء من الشيء.

ونحو: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾⁽¹⁾؛ والثاني⁽²⁾ نحو: أكلتُ الرغيفَ ثُلثَهُ أو نصفه أو ثُلثَيْهِ⁽³⁾؛ والثالث⁽⁴⁾ نحو: نفعتني زيدٌ علمه،

1- سورة الفاتحة، الآيتان 6-7. ومن بدل الشيء من الشيء قولُ الله تعالى: ﴿إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ . اللَّهُ﴾ [إبراهيم: 1-2]، في قراءة الجر بدل من (الحميد) أو بيان له، والرفع على الابتداء أو خبر لمحذوف. وقراءة الجر هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وعاصم وحمزة والكسائي وآخرين. راجع: إعراب القراءات السبع وعللها، الحسين بن أحمد ابن خالويه، تحقيق: عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الخانجي، القاهرة - 1992، ج1، ص334. ومعجم القراءات، مرجع سابق، ج4، ص448.

2- أي بدل البعض من الكل.

3- ومن بدل البعض من الكل قول الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ [الحج: 40]. وقد جَوَّز أبو حيان بدل الكل من البعض مستدلاً بقول عبيد الله بن قيس الرقيات: رَحِمَ اللَّهُ أَعْظَمًا دَفَعُوهُمَا بِسَجِسْتَانَ طَلْحَةَ الطَّلَحَاتِ

ف(طلحة) بدل من (أعظم) وهي بعضه، وسجستان: مدينة كبيرة جنوبي هراة. وطلحة الطلحات: أحد أجواد العرب المشهورين وهو طلحة بن عبدالله الخزاعي، وسمي بطلحة الطلحات لأنه فاق خمسة أجواد اسم كل واحد منهم طلحة. ويرى ابن السِّيد البَطْلِيوسِي أنه لا دليل في البيت لأنه يحتمل القطع أي أنه منصوب بفعل محذوف، تقديره: أعني أو أمدح؛ لأنه في مقام المدح والترحم عليه. راجع: ارتشاف الضرب، ج4، ص1841. وخزانة الأدب، ج8، ص14.

4- أي بدل الاشتمال.

وسُرق زيدٌ متاعه⁽¹⁾؛ والرابع⁽²⁾ نحو: رأيتُ زيدًا الفرسَ، أردتُ أن تقولَ رأيتُ⁽³⁾ الفرسَ فغلطتُ فأبدلتُ زيدًا منه أي جعلتُ زيدًا مكانه في النطق به غلطًا ثم رجعتُ إلى مُرادك وهو الفرسُ؛ فالفرسُ بدلٌ من زيدٍ بدل غلطٍ، لا أنَّ زيدًا بدلٌ منه كما قد يُتوهم⁽⁴⁾. ولا بدّ في "بدل البعض" و"بدل الاشتمال" من إضافتهما إلى ضمير المُبدلِ منه: لفظًا، كما تقدّم؛ أو تقديرًا، نحو: ﴿وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾⁽⁵⁾ أي منهم، و﴿قَتَلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ . النَّارِ ذَاتِ الْوُؤُودِ﴾⁽⁶⁾ أي فيه (النار ذات الوقود)⁽⁷⁾.
وبَدَلَ الْفِعْلِ مِنَ الْفِعْلِ، كَقَوْلِهِ:

1- ومن بدل الاشتمال قول الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ [البقرة: 217]. راجع: معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، القاهرة - 1988، ج 1، ص 289. وإعراب القرآن، أبو جعفر النحاس، دار المعرفة، بيروت - 2008، ص 92. والبحر المحيط في التفسير، مرجع سابق، ج 2، ص 383.

2- أي بدل الغلط.

3- كلمة "رأيتُ" زيادة انفردت بها (ج).

4- بدل الغلط لا يقع في فصيح الكلام؛ لأنه مخلٌّ بالفصاحة، ويكون في كلام الحطيط، كقولهم: خذ تمرًا زبيبا؛ وربما صحَّ قبله تقدير (بل) فيكون إضرابًا عن الأول.

5- سورة آل عمران، الآية 97. ورواية ورش تفتح الحاء، وهي الرواية المعهودة لدى الشناقطة.

6- سورة البروج، الآيتان 4 و 5.

7- ما بين القوسين انفردت به النسخة (ج) مكثفية بلفظ "ذات الوقود" فقط، وأضفتُ لفظ "النار" لكون البدل متعلقا به. وقد ردَّ السُّهيلي إعراب (النار ذات الوقود) بدل اشتمال من (الأخدود). راجع: نتائج الفكر، ص 240.

مَتَى تَأْتِنَا تُلِمُّمُ بِنَا فِي دِيَارِنَا تَجِدُ حَطْبًا جَزْلًا وَنَارًا تَأْجَجًا⁽¹⁾
وَقَوْلِهِ:

إِنَّ عَلَيَّ اللَّهَ أَنْ تُبَايَعَا تُؤْخَذَ كَرْهًا أَوْ تَجِيءَ طَائِعًا⁽²⁾

1- قوله "تأجج" التأجج الاحتراق والالتهاب، وهو فعل مسند لألف الاثنين هما الحطب والنار، والألف للإطلاق ... يصف الشاعر أنفسهم بالكرم وأنهم يقرّون الأضياف، فمن جاءهم وجدهم يوقدون النار؛ ومن عادة العرب إذا كانوا في جذب أن يوقد كرامهم النار ليهتدي بها إليهم السالك. والشاهد فيه: "متى تأتينا تجد" فعل الشرط وجوابه، وقوله "تلمم" فعل مضارع مجزوم، لأنه بدل من فعل الشرط. والبيت لعبيد الله بن الحرّ الجعفي. راجع: شرح المفصل، ج4، ص281. وهمع الهوامع، ج5، ص221.

2- البيت من الأبيات المجهولة. ومعناه: إني ألزم نفسي عهداً أن أحملك على الدخول فيما دخل فيه الناس من الخضوع للسلطان، فإما التزمت ذلك طائعا، وإما أن أُلجئك إليه وأُكرهك عليه. و"عليّ" خبر "إن" مقدم. "الله" اسمها مؤخر. "أن تبايعا" المصدر المؤول مفعول لأجله، أو اسم إن، ولفظ الجلالة منصوب بنزع الخافض، حرف القسم. كرها: حال على التأويل، بكاره. وطائعا: حال. والشاهد فيه: «أن تبايعا، تؤخذ...»، فإنه أبدل الفعل (تؤخذ) من الفعل (تبايعا) بدل اشتمال. راجع: خزانة الأدب، ج5، ص203. وشرح الأشموني، ج2، ص440.

(ونحو: إِنَّ تُصَلِّ تَسْجُدَ لِلَّهِ يَرْحَمَكَ) ⁽¹⁾، وَإِنْ تُطْعِمَ زَيْدًا تَكْسُهُ يُكْرِمَكَ ⁽²⁾. وبقي على المصنّف "بدل الإضراب" و"بدل النسيان" ويمثّل لهما بمثال الغلط، ويجمّع الثلاثة بدّل المَبَايِنَةِ ⁽³⁾.

1- المثال بين القوسين، ورد في النسخ (أ) و(ر) و(م) متوسطا المثالين الشعريين المذكورين آنفا.

2- ومن أمثلة بدل الفعل من الفعل، قول الله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ . اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا﴾ [يس: 20 - 21]، ﴿افْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: 1-2].

3- بدل المَبَايِنَةِ ثلاثة أنواع هي التي ذكرها الشارح، ولا بدّ في كل منها أن يكون هو المقصود بالحكم، وأن يقوم دليل يوضح المراد منه، ويمنع اللبس. وهذا القسم بأنواعه الثلاثة لا يحتاج إلى ضمير -أو غيره- يربطه بالمتبوع. راجع: النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة، ج3، ص663.

بَابُ مَنْصُوبَاتِ الْأَسْمَاءِ

الْمَنْصُوبَاتُ خَمْسَةٌ عَشَرَ، وَهِيَ: الْمَفْعُولُ بِهِ، كَلَقِيتُ زَيْدًا، وَاشْتَرَيْتُ كِتَابًا⁽¹⁾. وَالْمَصْدَرُ، كَقُمْتُ قِيَامًا، وَصُمْتُ صِيَامًا. وَظَرَفُ الزَّمَانِ، كَصُمْتُ زَمَانًا، وَقُمْتُ أَوَانًا. وَظَرَفُ الْمَكَانِ، كَجَلَسْتُ أَمَامَكَ، وَمَشَيْتُ قُدَّامَكَ. وَالْحَالُ، كَجِئْتُ رَاكِبًا، وَسِرْتُ مُصَاحِبًا. وَالتَّمْيِيزُ، كَاخْضَرَ الشَّجَرَ غُصُونًا، ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾⁽²⁾. وَالْمُسْتَثْنَى، كَقَامَ الْقَوْمُ إِلَّا فَضِيلًا، ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾⁽³⁾. وَاسْمُ "لَا"، كَلَا رَجُلٌ فِي الدَّارِ نَعْنِيهِ، وَ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾⁽⁴⁾. وَالْمَنَادَى، كَيَا عَبْدَ اللَّهِ، وَيَا رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم وكرم ومجد وعظم). وَخَبَرُ "كَانَ" وَأَخَوَاتُهَا، ك: كُنْتُ صَائِمًا، وَبِتُّ قَائِمًا. وَاسْمُ "إِنَّ" وَأَخَوَاتُهَا، كَيَانَ زَيْدًا قَائِمًا، وَلَيْتَ عَمْرًا صَائِمًا. وَالْمَفْعُولُ مِنْ أَجْلِهِ، كَجِئْتُكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ، وَنَصَحْتُكَ قَصْدَ نَجَاتِكَ. وَالْمَفْعُولُ مَعَهُ، كَسِرْتُ وَالنَّيْلَ، وَجِئْتُ وَالسَّبِيلَ. وَالتَّابِعُ لِلْمَنْصُوبِ، وَهُوَ أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ: النِّعْتُ وَالْعَطْفُ وَالتَّوَكُّيدُ وَالبَدَلُ، كَرَأَيْتُ زَيْدًا الْعَاقِلَ نَفْسَهُ أَخَاكَ وَعَمْرًا، وَلَقِيتُ خَالِدًا الْمِمَاتِلَ عَيْنَهُ أَبَاكَ وَبَكْرًا. وَبَقِيَ عَلَيْهِ الْخَامِسُ عَشَرَ⁽⁵⁾، وَهُوَ (خَبَرُ "مَا" الْحِجَازِيَّةِ وَأَخَوَاتُهَا)، نَحْوُ: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾⁽⁶⁾ وَ﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ﴾⁽⁷⁾.

1- حَوْرُثُ الْمُشْتَرَى فِي الْمَثَالِ؛ إِذْ هَدَفَ الشَّارِحُ تَبْيَانُ الْقَاعِدَةِ النُّحْوِيَّةِ، لَا غَيْرُ.

2- سُورَةُ الْقَمَرِ، الْآيَةُ 12.

3- سُورَةُ الْبَقَرَةِ، الْآيَةُ 249.

4- سُورَةُ الْبَقَرَةِ، الْآيَةُ 2.

5- لَفْظُ "عَشَرَ" سَاقِطٌ مِنْ (ر).

6- سُورَةُ يُوسُفَ، الْآيَةُ 31.

7- سُورَةُ الْمَجَادِلَةِ، الْآيَةُ 2.

بَابُ الْمَفْعُولِ بِهِ

وَهُوَ الْإِسْمُ الْمَنْصُوبُ الَّذِي يَقَعُ⁽¹⁾ بِهِ أَيُّ عَلَيْهِ الْفِعْلُ⁽²⁾.
وَالْأَصْلُ تَأْخِيرُهُ عَنِ الْفَاعِلِ؛ وَيَلْزَمُ ذَلِكَ إِنْ خِيفَ لَبْسُهُ بِهِ، أَوْ حُصِرَ بِـ"إِلَّا" أَوْ
"إِنَّمَا"، أَوْ كَانَ الْفَاعِلُ ضَمِيرًا غَيْرَ مَحْضُورٍ⁽³⁾. فالأول، نحو: أَكْرَمَ مُوسَى عِيسَى؛
والثاني، نحو: ما ضَرَبَ زَيْدٌ إِلَّا عَمْرًا، أو: إِنَّمَا ضَرَبَ زَيْدٌ عَمْرًا؛ والثالثُ نحو:
ضَرَبْتُ زَيْدًا، وَرَكِبْتُ الْفَرَسَ. ويجوز حَذْفُهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَحْضُورًا، أَوْ مُجَابًا بِهِ

1- في (ج): يقع الفعل به.

2- علامة المفعول به أن يُخْبَرَ عنه باسم مفعول تام من لفظ فعله، نحو: ضربت زيدًا،
وركبت الفرس، وأكرمتُ عَمْرًا، واستخرجتُ المالَ، وأكلتُ الطعامَ؛ إذُ يصح أن تقول: زيد
مضروب، والفرس مركوب، وعَمْرٌو مكرم، والمالُ مستخرج، والطعامُ مأكولٌ.
والفعل قسمان: لازم ومُتَعَدٍّ؛ فاللازم: هو الذي يكتفي بفاعله. والمتعدي: هو الذي ينصب
المفعول به ولا يكتفي بفاعله. وعلامة المتعدي أن تتصل به هاء لغير مصدره، كالأفعال
المتقدمة، فتقول: زيدًا ضربته، والطعامَ أكلته. أما ضمير المصدر فمثل: الجلوس جلسته،
والقيام قمته؛ ومثل هذا الضمير يقع مع المتعدي واللازم. راجع: شرح الأشموني، ج 1،
ص 195.

3- أي اجتمع في الفاعل أن كان ضميرًا، ولم يكن محصورًا بـ(إلا) أو بـ(إنما)؛ فصفة عدم
الحصر — إذن — متعلقة بالفاعل لا بالضمير، وهي صفة يشترك فيها الفاعل والمفعول. فإذا
انحصر الفاعل أو المفعول وجب تأخيرهما، وقد يتقدم المحصور من الفاعل أو المفعول على
غير المحصور إذا ظهر المحصور من غيره؛ وذلك كما إذا كان الحصر بـ(إلا)، فأما إذا كان
الحصر بـ(إنما) فإنه لا يجوز تقديم المحصور إذ لا يظهر كونه محصورًا إلا بتأخيرها، بخلاف
المحصور بـ(إلا) فإنه يُعرف بكونه واقعا بعد "إلا" فلا فرق بين أن يتقدم أو يتأخر. راجع:
نتائج الفكر، ص 133.

استفهام، أو محذوف العامل؛ نحو: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾⁽¹⁾ أي وما قلاك، وقول عائشة رضي الله عنها: {ما رأى مني ولا رأيت منه}⁽²⁾ أي العورة؛ وإلا مُنِعَ

1- سورة الضحى، الآية 3.

2- لم أر هذا اللفظ في شيء من كتب الحديث التي وقفتُ عليها، ولعله مروى بالمعنى؛ فقد روى ابن الجوزي عن عائشة رضي الله عنها قولها: {ما أتى رسول الله (ﷺ) أحدا من نسائه إلا مقنعا يرخي الثوب على رأسه، وما رأيت من رسول الله (ﷺ) ولا رآه مني}. راجع: الوفا بأحوال المصطفى، الإمام ابن الجوزي، تحقيق: محمد زهري النجار، مطبعة الكيلاني، القاهرة - 1976، ج2، ص353.

حَذْفُهُ، نحو: ما ضربتُ إلا زيدًا، وقولك "ضربتُ زيدًا" لمن قال "من ضربت؟"، ونحو: ﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ﴾⁽¹⁾ أي اذكر المُقِيمِينَ الصَّلَاةَ⁽²⁾.

وهو قِسمان⁽³⁾ ظاهرٌ ومضمَرٌ؛ فالظاهرُ ما تقدّم ذكره. والمضمَرُ قِسمان: مُتَّصِلٌ ومنفصلٌ؛ فالمُتَّصِلُ اثنا عشر⁽⁴⁾، نحو قولك: زيدٌ ضربني⁽⁵⁾، فالياء

1- سورة الحج، الآية 35، وقد ورد المثال في النسخة (م) بالآية الأخرى ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةِ﴾ [النساء: 162] وهو خطأ من الناسخ إذ (المقيمين) في هذه الآية ليست مفعولا به، بل هي منصوبة على الاختصاص. راجع: البحر المحيط، ج 3، ص 134.

أما حذف النون من ﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ﴾ فهو كحذفها من قول عنترَةَ مُخاطبا ابني مضمم: الشاتمي عرضي ولم أستمهما والناذرين إذا لقيتهما دمي

ومعناه (الشاتمين) إلا أن النون حُذِفَتْ من التثنية حملاً على حذفها من الواحد؛ كما حذفها من قرأ ﴿لَذَائِقُوا الْعَذَابِ﴾ بالنصب حملاً للنون على التنوين. فموضع (عرضي) خفضٌ بإضافة (الشاتمي) إليه، ويجوز أن يكون في موضع نصبٍ بـ(الشاتمي)، والاختيار خفض لأن النصب إذا أريد دخلت النون، يقال: رأيت الضاربي زيد، فتختار خفض (زيد) على نصبه، ويجوز أن تقول: رأيت الضاربي زيداً (على التفسير الذي مضى)، فإذا أدخلت النون، لم يجز إلا النصب كقولك: رأيت الضارين زيداً. راجع: الكتاب (كتاب سيبويه)، ج 1، ص 184. والدر المصون، ج 5، ص 56 - ج 8، ص 274. وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، دون تاريخ، ص 364.

2- ما بعد الآية ساقط من متن النسخة (أ)، مستدرك في هامشها الأيسر.

3- ورد في (أ) و(ر) و(م) لفظ "وهو على قسمين".

4- ورد لفظ "اثنا عشر" بألف مقصورة في (أ) و(ر)، وقد سبق تصويب ذلك في موضع آخر.

5- سقطت كلمة "زيد" من المثال في (ر).

ضمير متصل في محلّ نصب على المفعول به، للمتكم وحده؛ وضربنا كذلك للمتكم المعظم نفسه، أو معه غيره؛ وضربك - بفتح الكاف - كذلك للمذكر المخاطب؛ وضربك - بكسرها - كذلك للمؤنثة المخاطبة؛ وضربكما كذلك لاثنين مخاطبين مطلقاً؛ وضربكم كذلك لجمع الذكور المخاطبين؛ وضربكن كذلك لجمع الإناث المخاطبات؛ وضربه كذلك للواحد الغائب؛ وضربها للواحدة الغائبة؛ وضربهما كذلك لاثنين غائبين مطلقاً؛ وضربهم كذلك لجمع الذكور الغائبين؛ وضربهن كذلك لجمع الإناث الغائبات⁽¹⁾.

وَالْمُنْفَصِلُ اثْنَا عَشَرَ، نَحْوُ قَوْلِكَ: إِيَّايَ للمتكم وحده، كإِيَّايَ قَصَدَ زَيْدٌ، ف"إِيَّايَ" ضمير منفصل في محلّ نصب على المفعول به، وكذلك البواقي؛ وإِيَّانَا للمتكم المعظم نفسه أو معه غيره، كإِيَّانَا قَصَدَ زَيْدٌ؛ وإِيَّاكَ - بفتح الكاف - للمخاطب المذكّر، نَحْوُ: (إِيَّاكَ قَصَدَ زَيْدٌ. وإنما يُسْتَعْمَلُ من الضمائر في جانب من تنزّه عن التذكير والتأنيث وعن كلّ نقص، ما يُسْتَعْمَلُ في المفرد المذكّر، ومنه قوله تعالى)⁽²⁾: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾⁽³⁾؛ وإِيَّاكَ - بكسرها - للواحدة المخاطبة، كإِيَّاكَ قَصَدَ فُلَانٌ؛ وإِيَّاكُمَا لاثنين مخاطبين مطلقاً، كإِيَّاكُمَا قَصَدْتُ؛ وإِيَّاكُمْ لجمع الذكور المخاطبين، كإِيَّاكُمْ قَصَدْتُ؛ وإِيَّاكنَّ لجمع الإناث المخاطبات، كإِيَّاكنَّ قَصَدَ فُلَانٌ؛ وإِيَّاهُ للواحد الغائب، كإِيَّاهُ قَصَدَ فُلَانٌ؛

1- مثل المؤلف بلفظ (ضرب) في الجميع، ولو أبدلها بـ(أكرم) لكان اللفظ وأدق، والكل جائز. والنون في نحو "أكرمني" نون وقاية تقي الفعل من الكسر.

2- ما بين القوسين ساقط من (ج)، ومتدارك في الهامش الأيسر من (أ).

3- سورة الفاتحة، الآية 5.

وإِيَّاهُمَا لاثْنَيْنِ غَائِبَيْنِ مُطْلَقًا، كإِيَّاهُمَا قَصَدْتُ؛ وإِيَّاهُم لجمع الذكور الغائبين، كإِيَّاهُم قَصَدْتُ؛ وإِيَّاهُنَّ لجمع الإناث الغائبات، كإِيَّاهُنَّ قَصَدَ فُلَانٌ⁽¹⁾.
وَالْمُخْتَارُ أَنَّ الضَّمِيرَ فِي جَمِيعِ مَا ذُكِرَ نَفْسُ "إِيَّا"، وَأَنَّ اللَّوَّاحِقَ بِهَا⁽²⁾ أَخْرَفُ تَدُلُّ عَلَى الْمُتَكَلِّمِ وَالْخِطَابِ وَالْعَيْبَةِ⁽³⁾.

وَأَعْلَمُ أَنَّ الضَّمِيرَ لَا يُفْصَلُ مَعَ إِمْكَانِ اتِّصَالِهِ إِلَّا فِي الضَّرُورَةِ، كَقَوْلِهِ:
بِالْبَاعِثِ الْوَارِثِ الْأَمْوَاتِ قَدْ ضَمِنْتَ إِيَّاهُمُ الْأَرْضُ فِي ذَهْرِ الدَّهَارِ⁽⁴⁾
وَإِذَا تَعَدَّدَ الْمَفْعُولُ وَكَانَ ضَمِيرَيْنِ مُتَحَدِي الرُّتْبَةِ (لَزِمَ فَصْلُ الثَّانِي: كَأَعْطَيْتَنِي إِيَّايَ، وَأَعْطَيْتُكَ إِيَّاكَ، وَأَعْطَيْتَهُ إِيَّاهُ؛ فَإِنْ لَمْ تَتَّحِدِ الرُّتْبَةُ)⁽⁵⁾ جَازَ وَصْلُ الثَّانِي

1- كل هذه الأمثلة يقال فيها: ضمير نصب منفصل مفعول به مقدم للاختصاص. أما نحو قوله تعالى: ﴿فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [النحل: 51]؛ فالضمير المنفصل في هذه ونحوها مفعول بفعل محذوف يفسره المذكور، والتقدير: فارهبوا إِيَّايَ فارهبون، وهذا من باب اشتغال العامل عن معموله بضميره، نحو: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ [يس: 39]، و﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: 49].

2- انفردت النسخة (م) بتأنيث الضمير في قوله "اللوّاحق بها"، بينما ذكرته النسخ الأخرى. والصواب ما أثبتُّ إذ المقصود كلمة "إِيَّا" المؤنثة، بينما التذكير يحيل إلى أن المقصود هو الضمير، ولا يخفى ما في ذلك من خطأ.

3- ما اختاره الشارح هو مذهب البصريين، أما الكوفيون فقد ذهبوا إلى أن الكاف والهاء والياء من (إياك - إياه - إِيَّايَ) هي الضمائر المنصوبة وأن (إِيَّا) عماد لها. راجع: الإنصاف في مسائل الخلاف، ص 555.

4- البيت للفرزدق، وقوله "الدهارير" الزمن الماضي أو الشدائد، وهو جمع لا واحد له من لفظه. والشاهد "ضمنت إِيَّاهُم" حيث عدل عن وصل الضمير إلى فصله، وذلك خاص بالشعر، والأصل «ضمنتهم الأرض». راجع: خزانة الأدب، ج 5، ص 288. والإنصاف في مسائل الخلاف، ص 559.

5- ما بين القوسين ساقط من (و).

وَفَصْلُهُ حَيْثُ تَقَدَّمَ الْأَخْصُ مِنْهُمَا، نَحْوُ: ﴿أَنْزَلْنَاهُ مِنْهَا﴾⁽¹⁾، وَ﴿إِنْ يَسْأَلُكُمْ﴾⁽²⁾، وَ﴿إِنَّ اللَّهَ مَلِكٌ﴾⁽³⁾؛ فَإِنْ تَقَدَّمَ غَيْرُ الْأَخْصِ لَزِمَ الْفَصْلُ: كَأَعْطَيْتُكَ إِيَّايَ، وَأَعْطَيْتَهُ إِيَّاكَ. وَالْأَخْصُ مِنَ الضَّمَائِرِ ضَمِيرُ الْمُتَكَلِّمِ ثُمَّ الْخِطَابِ ثُمَّ الْغَيْبَةِ⁽⁴⁾.

وَيَجُوزُ حَذْفُ نَاصِبِ الْمَفْعُولِ بِهِ إِنْ عُلِمَ، كَقَوْلِكَ لِمَنْ سَدَّدَ سَهْمَا "الْقُرْطَاسَ" أَيْ تَصِيبُ؛ وَلِمَنْ تَأَهَّبَ لِسَفَرٍ "مَكَّةَ" أَيْ تَرِيدُ؛ وَلِمَنْ قَالَ مِنْ أَضْرِبُ؟ "شَرَّ النَّاسِ" أَيْ اضْرِبْ (شَرَّ النَّاسِ)⁽⁵⁾. وَقَدْ يَجِبُ حَذْفُهُ⁽⁶⁾ كَمَا فِي الْإِشْتَغَالِ⁽⁷⁾، وَالنِّدَاءِ، وَالْأَمْثَالِ

1- سورة هود، الآية 28.

2- سورة محمد، الآية 37.

3- حديث نبوي شريف، وتمامه: {ولو شاء الله لملكهم إياكم} والمراد الأرقاء. والشاهد "ملككم إياهم" حيث جاء الضمير في "إياهم" مفصلاً؛ لأنه لو وصل، لقال: مَلَكْكُمْوَهُمْ، ولكنه عدل عن الثقل الحاصل من اجتماع الواو مع ثلاث ضمات، وحكم هذا الفصل الجواز. وأقدم من وقفت عليه مورداً الحديث بهذا اللفظ أبو حامد الغزالي، أما معنى الحديث فمتفرق في الأحاديث الصحاح. راجع: إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، دار ابن حزم، بيروت - 2005، ص 683.

4- هذا ما يُستخلص من كلام ابن مالك عن أقسام المعرفة. راجع: شرح التصريح، ج 1، ص 96.

5- ما بين القوسين ساقط من (ج).

6- الضمير عائد على ناصب المفعول، لا على المفعول نفسه.

7- مرَّ مصطلح "الإشغال" كغيره من المصطلحات النحوية بمراحل متعددة حتى استوى شائعاً مشهوراً، كما نعرفه الآن من كونه (كل اسم تقدم على فعلٍ عملٍ في نصب ضمير الاسم المتقدم، نحو: الهلال رأيته). وقد بُنيَ الإشغال على قاعدة "أن كل منصوب لا بدَّ له من ناصب"، ولما كان الفعل قد نصب الضمير العائد للاسم المتقدم، فلا يمكن أن يعمل في

وما جرى مجراها، نحو: زَيْدًا ضَرَبْتُهُ، أي ضَرَبْتُ زَيْدًا ضَرَبْتُهُ؛ ويا عَبْدَ اللَّهِ، أي أَدْعُو عَبْدَ اللَّهِ⁽¹⁾؛ وَالْكَلابَ عَلَى الْبَقْرِ⁽²⁾، أي أُرْسِلْ (الكلاب على البقر)⁽³⁾؛ وَ﴿انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ﴾⁽⁴⁾ أي انْتَهُوا وَأَتُوا خَيْرًا لَكُمْ. ومنه⁽⁵⁾ التحذير والإغراء⁽⁶⁾: كَأَيَّاكَ وَالْأَسَدَ، أي بَاعِدْ نَفْسَكَ مِنَ الْأَسَدِ، واحْذَرِ الْأَسَدَ؛ وَالْمَرْوَةَ وَالنَجْدَةَ، أي الزَّمِ (المرؤة والنجدة)⁽⁷⁾.

الاسم نفسه، فقدّر النحاة عاملاً آخر ينصب الاسم، وهو فعل محذوف يفسره المذكور، وكان هذا التقدير هو المدخل الذي أدى إلى إيجاد تفسيرات أخرى للاشتغال عند بعض النحاة. ويرجع الفضل في اختراع هذا المصطلح إلى الزجاجي. راجع: الجُمْل، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (340هـ)، تحقيق: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت - 1984، ص 39. والرد على النحاة، ص 95. وشرح الأشموني، ج 1، ص 187.

1- انفردت (ج) بورود الفعل في المثال بصيغة الأمر "ادع"، وهو ما لا أراه منسجماً مع كون المنادي فاعلاً النداء؛ لذا فقد أثبت الفعل بصيغة المضارع كما جاء في نسخ المخطوط الأخرى.

2- "الكلاب على البقر" مثل يضرب عند تحريش بعض القوم على بعض من غير مبالاة، يعني لا ضَرَّ عليك فَخَلَّهم. ونصب "الكلاب" على معنى أرسل الكلاب.

3- ما بين القوسين ساقط من (ج)، ومستدرك في هامش (م).

4- سورة النساء، الآية 171.

5- أي مما يوجب حذف ناصب المفعول.

6- التحذير هو تنبيه المخاطب إلى أمر ليتجنبه، والإغراء هو حثُّه على أمر ليفعله.

7- ما بين القوسين ساقط من النسخة (ج).

بَابُ الْمَصْدَرِ⁽¹⁾

وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا مَا نُصِبَ عَلَى الْمَفْعُولِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ، وَهُوَ الْمُسَمَّى بِالْمَفْعُولِ الْمُطْلَقِ؛ وَالْمَصْدَرُ أَعَمُّ مِنْهُ لِكَوْنِهِ يَأْتِي مَفْعُولًا مُطْلَقًا، وَيَأْتِي فَاعِلًا، وَمَفْعُولًا بِهِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ وُجُوهِ الْإِعْرَابِ.

وَحَقِيقَتُهُ⁽²⁾ اسْمٌ مَا سِوَى الزَّمَانِ مِنْ مَدْلُولِي الْفِعْلِ⁽³⁾؛ فَ"ضَرَبَ" مَثَلًا يَدُلُّ عَلَى شَيْئَيْنِ، أَحَدُهُمَا الضَّرْبُ، وَالثَّانِي الزَّمَانُ الْمَاضِي⁽⁴⁾ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ الضَّرْبُ؛ وَمَا سِوَى الزَّمَانِ مِنْهُمَا⁽⁵⁾ هُوَ الْمَصْدَرُ. وَقَسَّ عَلَى ذَلِكَ.

وَالْمُخْتَارُ أَنَّ الْمَصْدَرَ أَصْلٌ لِلْفِعْلِ، وَالْوَصْفُ الَّذِي هُوَ اسْمُ الْفَاعِلِ، وَاسْمُ الْمَفْعُولِ، وَالصِّفَةُ الْمُشَبَّهَةُ، وَأَمَثَلَةُ الْمُبَالَغَةِ، وَاسْمُ التَّفْضِيلِ⁽⁶⁾.

وَهُوَ - أَيِ الْمَصْدَرِ بِمَعْنَى الْمَفْعُولِ الْمُطْلَقِ - الْإِسْمُ الْمَنْصُوبُ الَّذِي يَجِيءُ ثَالِثًا فِي تَصْرِيفِ الْفِعْلِ إِذَا صُرِفَ عَلَى مَا جَرَى بِهِ الْعُرْفُ النَّحْوِيُّ؛ نَحْوُ: ضَرَبَ

1- المصدر معنى صادرٌ من فاعل، وهو اسم الحدث المدلول عليه بالفعل المتصرف.

2- الضمير هنا عائد على المصدر لا على المفعول المطلق.

3- تضمين لقول ابن مالك ضمن ألفيته المشهورة:

المصدر اسم ما سوى الزمان من *** مدلولي الفعل كأمنٍ من أمن

4- ورد لفظ "الزمان" في (ج) منقوص الألف، والظاهر أنه تصحيف؛ بدليل ورود اللفظ ذاته بعد ذلك مباشرة محلى بالألف. ومدلول اللفظين واحد.

5- انفردت (ج) بعد موضع الإشارة المرجعية بزيادة عبارة "وهو الضرب".

6- ما اختاره الشارح هو رأي البصريين، أما الكوفيون فيرون أن المصدر مشتق من الفعل.

راجع: الانصاف في مسائل الخلاف، ص192.

- يَضْرِبُ - ضَرْبًا، وَقَامَ - يَقُومُ - قِيَامًا. وَالْعَامِلُ فِيهِ إِمَّا مِثْلُهُ أَوْ فِعْلٌ أَوْ وَصْفٌ؛ كَأَعْجَبَنِي إِيمَانُكَ تَصْدِيقًا، ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾⁽¹⁾، ﴿وَالصَّافَاتِ صَفًا فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾⁽²⁾.

وَهُوَ قِسْمَانِ: لَفْظِي وَمَعْنَوِي؛ فَإِنْ وَافَقَ لَفْظُهُ لَفْظَ فِعْلِهِ⁽³⁾ فَهُوَ لَفْظِي، نَحْوُ: قَتَلْتُهُ قَتْلًا؛ وَإِنْ وَافَقَ مَعْنَاهُ دُونَ لَفْظِهِ فَهُوَ مَعْنَوِي، نَحْوُ: جَلَسْتُ قُعُودًا، وَقُمْتُ وَقُوفًا، (وَمَا أَشَبَهُ ذَلِكَ)⁽⁴⁾.

وَهُوَ⁽⁵⁾ إِمَّا أَنْ يُؤَكِّدَ عَامِلَهُ، أَوْ يُبَيِّنَ نَوْعَهُ، أَوْ عَدَدَهُ؛ فَالْأَوَّلُ كَمِثَالِ الْمُصَنِّفِ لِلْفَظِي⁽⁶⁾، وَالثَّانِي كَضَرَبْتُ ضَرْبَ الْأَمِيرِ، وَالثَّالِثُ كَضَرَبْتُ ضَرْبَيْنِ. وَيُنُوبُ عَنِ الْأَوَّلِ وَهُوَ الْمُؤَكِّدُ أَحَدُ شَيْئَيْنِ: مُرَادِفُهُ، وَمُشَارِكُهُ فِي الْمَادَّةِ: كَاغْتَسَلَ غُسْلًا، ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾⁽⁷⁾، ﴿وَتَبَتَّلَ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾⁽⁸⁾. وَيُنُوبُ عَنِ الثَّانِي، وَهُوَ النَّوعِيُّ أَحَدُ ثَمَانِيَةِ أَشْيَاءَ، وَهِيَ: وَصْفُهُ، وَضَمِيرُهُ، وَالْإِشَارَةُ إِلَيْهِ، وَنَوْعُهُ، وَعَدَدُهُ،

1- سورة النساء، الآية 164.

2- سورة الصافات، الآية 1.

3- انفردت (م) بإثبات كلمة "لفظ" في قوله: فإن وافق لفظه لفظ فعله.

4- انفردت (م) بإثبات ما بين القوسين. والمقصود هنا أن يكون معناه معنى مصدر الفعل مخالفًا للفظه؛ ومنه قوله تعالى: ﴿كَأَلَيْسَ نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾ [النحل: 92] ف(أنكاثا) مصدر معنوي لـ(نقضت)، وأنقاضًا بمعناه. راجع: إعراب القرآن، ص 508.

5- أي المصدر عموماً.

6- مثل المصنّف للمصدر اللفظي بـ"قتلته قتلاً".

7- سورة نوح، الآية 17.

8- سورة المزمل، الآية 8.

وَأَلْتَهُ، وَكُلُّ، وَبَعْضٌ: كَسِرْتُ أَحْسَنَ السَّيْرِ، وَنَحْوُ: ﴿فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾⁽¹⁾، وَكَضَرْتُهُ ذَلِكَ الضَّرْبَ، وَكَرَجَعْتُ الْقَهْقَرَى⁽²⁾، (وَقَعَدْتُ الْقُرْفُصَا)⁽³⁾، وَنَحْوُ: ﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾⁽⁴⁾، وَكَضَرْتُهُ سَوَطًا، وَنَحْوُ: ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ﴾⁽⁵⁾، ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾⁽⁶⁾. وَلَا يَنْوِبُ عَنِ الثَّالِثِ وَهُوَ الْعَدَدِيُّ شَيْءٌ.

وَيَجُوزُ حَذْفُ عَامِلٍ غَيْرِ الْمُؤَكَّدِ، لِذَلِيلِ حَالِيٍّ أَوْ مَقَالِيٍّ؛ كَقَوْلِكَ لِمَنْ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ "قُدُومًا مُّبَارَكًا"، وَلِمَنْ تَكَرَّرَتْ مِنْهُ إِصَابَةُ الْغَرَضِ "إِصَابَتَيْنِ"، وَلِمَنْ قَالَ: مَا جَلَسْتُ "بَلَى، جُلُوسًا طَوِيلًا"، أَوْ "بَلَى جَلَسَتَيْنِ"⁽⁷⁾. وَقَدْ يَقُومُ الْمَصْدَرُ مَقَامَ فِعْلِهِ فَيَمْتَنِعُ ذِكْرُهُ مَعَهُ: كَسَقِيَا لَكَ وَرَعِيًا، أَيْ: سَقَاكَ اللَّهُ وَرَعَاكَ⁽⁸⁾، وَمِنْهُ قَوْلُهُ:

1- سورة المائدة، الآية 115.

2- الْقَهْقَرَى الرجوع إلى خلف، فإذا قلت: رَجَعْتُ الْقَهْقَرَى، فكأنك قلت: رجعت الرجوع الذي يُعرف بهذا الاسم لأن الْقَهْقَرَى ضرب من الرجوع؛ وَفَهَقَرُ الرَّجُلُ فِي مَشْيَتِهِ: فعل ذلك. راجع: لسان العرب، ج 5، ص 121.

3- المثال بين القوسين انفردت به (م). وَالْقُرْفُصَاءُ ضَرْبٌ مِنَ الْقَعُودِ يُمَدُّ وَيُقْصَرُ، فإذا قلت قعد فلان الْقُرْفُصَاءَ فكأنك قلت قَعَدَ قُعُودًا مَخْصُوصًا، وهو أَنْ يجلس على أَلْيَتَيْهِ وَيُلْصِقَ فَخْذِيهِ بِبَطْنِهِ وَيَحْتَبِي بِيَدَيْهِ يَضَعُهُمَا عَلَى سَاقَيْهِ كَمَا يَحْتَبِي بِالثَّوْبِ، تكون يدها مكان الثوب؛ وهي جلسة الأعراب. راجع: لسان العرب، ج 7، ص 71. واللباب في علل البناء والإعراب، ج 1، ص 264.

4- سورة النور، الآية 4.

5- سورة النساء، الآية 129.

6- سورة الحاقة، الآية 44.

7- انفردت (ج) بتقديم وتأخير في المثال الأخير، دون تغيير مضمونه.

8- راجع: شرح الأشموني، ج 2، ص 332.

فَصَبْرًا فِي مَجَالِ الْمَوْتِ صَبْرًا فَمَا نَيْلُ الْخُلُودِ بِمُسْتَطَاعٍ⁽¹⁾
أَيِّ اصْبِرْ فِي مَجَالِ الْمَوْتِ اصْبِرْ⁽²⁾؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا
فَضَرْبِ الرِّقَابِ﴾⁽³⁾ أَيِ اضْرِبُوا الرِّقَابَ.

1- البيت لقطري بن الفجاءة، والخطاب لنفسه. والشاهد «فصبرا» و«صبرا» حيث حذف منه فعله وهو الطلب، أي: اصبري يا نفس صبرا؛ وذلك لأنه وقع مكررا على ما زعم ابن عصفور؛ لأنه شرط في وجوب الحذف التكرار، وأطلقه ابن مالك إذا وقع في الطلب أمرا أو نهيا. و«الفاء» جواب الشرط المتضمن في البيت الذي يسبق هذا؛ لأن التقدير "إذا لم تطاعي يا نفس في سؤالك بقاء يوم على الأجل المقدر، فاصبري في مجال الموت"، و«صبرا» تأكيد للأول. راجع: أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)، الشريف المرتضى علي بن الحسين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة - 1954، ج1، ص636.

2- المثل الشعري ومتعلقه ساقطان من (ج).

3- سورة محمد، الآية 4.

بَابُ نَحْرِفِ الزَّمَانِ وَنَحْرِفِ الْمَكَانِ

وَيُقَالُ لَهُمَا "الْمَفْعُولُ فِيهِ"⁽¹⁾؛ وَظَرْفُ الزَّمَانِ هُوَ اسْمُ الزَّمَانِ الْمَنْصُوبُ بِتَقْدِيرِ "فِي" أَيِّ مَعَ تَضْمُنِهِ لِمَعْنَاهَا أَيِّ دَلَالَتِهِ عَلَيْهِ، نَحْوُ: "الْيَوْمَ، وَاللَّيْلَةَ، وَغُدُوَّةً"⁽²⁾، وَبُكْرَةً، وَسَحْرًا⁽³⁾، وَغَدًا، وَعَتَمَةً، وَصَبَاحًا وَمَسَاءً، وَأَبَدًا، وَأَمَدًا، وَوَقْتًا، وَحِينًا، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ: كَ "مُدَّةً، وَسَنَةً، وَشَهْرًا، وَأُسْبُوعًا، وَسَاعَةً"؛ تَقُولُ: جِئْتُ الْيَوْمَ، وَأَجِيءُ غَدًا؛ أَيِّ فِي الْيَوْمِ وَفِي غَدٍ. وَ"الْيَوْمَ" وَ"غَدًا" ظَرْفَا زَمَانٍ لِدَلَالَتِهِمَا عَلَى الزَّمَانِ وَتَضْمُنُهُمَا مَعْنَى "فِي"، وَقِسْ عَلَيْهِمَا (بَقِيَّةُ أَلْفَاظِ الزَّمَانِ)⁽⁴⁾.

وَظَرْفُ الْمَكَانِ هُوَ اسْمُ الْمَكَانِ الْمَنْصُوبُ بِتَقْدِيرِ "فِي" أَيِّ مَعَ تَضْمُنِهِ لِمَعْنَاهَا وَدَلَالَتِهِ عَلَيْهِ⁽⁵⁾ مَعَ اطِّرَادِ تَعْدِي كُلِّ فِعْلٍ إِلَيْهِ، نَحْوُ: أَمَامَ، وَخَلْفَ،

1- تسمية المفعول فيه ظرفا هو اصطلاح البصريين، والظرف لغة الوعاء مطلقا. راجع: شرح الأشموني، ج1، ص217.

2- انفردت (أ) بلفظ "غداة" بدلا من غدوة، واللفظ المثبت هو ما تواترت عليه نسخ المخطوط الأخرى.

3- السحر آخر الليل قُبَيْلُ الصبح. راجع: لسان العرب، ج4، ص350. وهذا اللفظ إن كان معرفة لا ينصرف؛ لاجتماع العدل والتعريف. و(غدوة وبكرة وعتمة) إذا كنَّ لمعيّن لا ينصرفن؛ لاجتماع التأنيث والتعريف.

4- ما بين القوسين زيادة من (ج) و(م)، واللفظ الوارد في (م) هو "بقية ظروف الزمان".

5- كلٌّ من الظرفين يكون محلاً للفعل، وهذا معنى قولهم: بتقدير (في)؛ لأن (في) للوعاء، والوعاء لا بدّ له من مُوعَى فيه، فإذا قلت: (سرتُ يوم الخميس) ف(يوم الخميس) وقع فيه السير، فصار ظرفاً له، لأن (في) العجالة قبله مقدرة؛ إلا أنه لا يصح تقديرها في نحو قولك:

وَقُدَّامَ، وَوَرَاءَ، وَفَوْقَ، وَتَحْتَ، وَعِنْدَ، وَمَعَ، وَإِزَاءَ، وَحِذَاءَ، وَتَلْقَاءَ، وَهُنَا، وَثَمَّ، وَمَا أَشَبَهُ ذَلِكَ: كَ"نَاحِيَةٍ، وَجَانِبًا، وَمَكَانًا، وَمِيَالًا"⁽¹⁾، وَفَرَسَخًا⁽²⁾، وَبَرِيدًا⁽³⁾؛ فَتَقُولُ: جَلَسْتُ أَمَامَ زَيْدٍ وَخَلْفَهُ، وَفَوْقَ السَّقْفِ وَتَحْتَهُ. فَ"أَمَامَ زَيْدٍ" ظَرْفُ مَكَانٍ لِدَلَالَتِهِ عَلَى الْمَكَانِ وَتَضَمُّنِهِ مَعْنَى "فِي" مَعَ اطِّرَادِ تَعَدِّي كُلِّ فِعْلٍ إِلَيْهِ؛ وَهَكَذَا يُقَالُ فِي مَا بَعْدَهُ مِنْ أَلْفَاظِ الْمَكَانِ⁽⁴⁾.

وَخَرَجَ بِقَيْدِ الْإِطْرَادِ الْمَذْكُورِ نَحْوُ "الدَّارِ" وَ"المَسْجِدِ" وَ"البَيْتِ" فَلَيْسَتْ ظُرُوفًا فِي نَحْوِ: دَخَلْتُ الدَّارَ وَالمَسْجِدَ، وَسَكَنْتُ البَيْتَ؛ بَلْ هِيَ مَنْصُوبَةٌ بِنَزْعِ الْخَافِضِ⁽⁵⁾ لِعَدَمِ اطِّرَادِ تَعَدِّي سَائِرِ الْأَفْعَالِ إِلَيْهَا، إِذْ لَا يُقَالُ: صَلَّيْتُ الْمَسْجِدَ، وَلَا نَمْتُ الدَّارَ وَالبَيْتَ⁽⁶⁾.

- (جلست عند زيد)، ولا في قولك: (جئت قبله) أو (أكلت بعده) أو (سرت معه) ، ونحو ذلك مما لا يقبل دخول (في) عليه، فلا يكون ظرفًا. راجع: شرح الأشموني، ج 1، ص 221.
- 1- المِيلُ من الأرض: قدر مُنتهى مَدِّ البصر. راجع: لسان العرب، ج 11، ص 639.
- 2- الفرسخ ثلاثة أميال أو ستة، سمي بذلك لأن صاحبه إذا مشى قعد واستراح من ذلك كأنه سكن، وهو واحد الفراسخ؛ فارسي معرَّب. المرجع السابق، ج 3، ص 44.
- 3- البريد فرسخان، وقيل: ما بين كل منزلين بَرِيد. وَسَكَّكَ الْبَرِيدُ: كل سكة منها اثنا عشر ميالًا.

وفي الحديث: لَا تُقْصِرُ الصَّلَاةَ فِي أَقَلِّ مِنْ أَرْبَعَةِ بُرْدٍ، وهي ستة عشر فرسخًا، والفرسخ ثلاثة أميال، والميل أربعة آلاف ذراع، والسفر الذي يجوز فيه القصر أربعة برد، وهي ثمانية وأربعون ميالًا بالأميال الهاشمية التي في طريق مكة. المرجع السابق، ج 3، ص 86.

- 4- عبارة "من أَلْفَاظِ الْمَكَانِ" وردت في (ج) و(م)، أما غيرهما فقد جاء فيه "من أَلْفَاظٍ".
- 5- انفردت (ج) بعبارة "نزع الخفض" وهو تصحيف.

6- إذا لم يكن اسم الزمان والمكان محلاً للفعل يخرج عن الظرف، فيكون بحسب العوامل، نحو قوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [الْقَدَر: 3]، فهذه وما أشبهها لا يقال فيها ظرف. راجع: شرح الأشموني، ج 1، ص 218.

وَمِنْ ظُرُوفِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ مَا هُوَ مُشْتَقٌّ مِنْ مَادَّةٍ عَامِلَةٍ؛ كَذَهَبَتْ مَذْهَبَ زَيْدٍ
وَرَمَيْتُ مَرْمَاهُ، أَيْ فِي زَمَانٍ ذَهَابِهِ وَرَمِيهِ أَوْ مَكَانِهِمَا.
وَيَجُوزُ حَذْفُ عَامِلِ الظَّرْفِ إِنْ دَلَّ عَلَيْهِ دَلِيلٌ، كَقَوْلِكَ: "يَوْمَ الْجُمُعَةِ" لِمَنْ قَالَ:
مَتَى جِئْتَ؟، وَ"فَرَسَحَيْنِ" لِمَنْ قَالَ: كَمْ سِرْتُ؟.

بَابُ الْحَالِ⁽¹⁾

الْحَالُ يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ⁽²⁾، هُوَ الْإِسْمُ الْمَنْصُوبُ الْمَفْسَرُ لِمَا انْبَهَمَ أَيُّ خَفِيَ مِنَ الْهَيْئَاتِ أَيُّ الْحَالَاتِ، نَحْوُ: جَاءَ زَيْدٌ رَاكِبًا، وَرَكِبْتُ الْفَرَسَ مُسْرَجًا، وَلَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ ضَاحِكًا، وَمَا أَشَبَهُ ذَلِكَ⁽³⁾. وَالْعَالِبُ فِي الْحَالِ أَنْ تَكُونَ مُشْتَقَّةً لَا جَامِدَةً وَمُنْتَقِلَةً لَا ثَابِتَةً، كَالْأَمْثَلَةِ السَّابِقَةِ؛ وَمِنْ غَيْرِ الْعَالِبِ: وَقَعَ الْمُصْطَرَعَانِ عِدْلِي بَعِيرٍ⁽⁴⁾، وَخَلَقَ اللَّهُ الزَّرَافَةَ يَدَيْهَا أَطْوَلُ مِنْ رِجْلَيْهَا⁽⁵⁾.

1- راجع: همع الهوامع، ج 4، ص 7.

2- الشائع في استعمال النحويين أنهم يؤنثون الحال، فيقولون مثلاً في إعرابها حال منصوبة، ويقولون الحال وصاحبها، ونحو ذلك مما يدل على تأنيثهم إياها، وقد قطع العكبري بتأنيثها، لكون تصغيرها (حَوِيلَةً). وأما ناظر الجيش فقد ذكر جواز التذكير والتأنيث للحال، ونبه على أن ابن مالك يستعمل الوجهين. راجع: الباب في علل البناء والإعراب، ج 1، ص 284. وشرح التسهيل (تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)، محمد بن يوسف المعروف بناظر الجيش، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة - 2007، ج 5، ص 2243.

3- إذا قلت: جاء زيدٌ، فحالة مجيئه مبهمه، فإذا قلت (ماشياً) أو (راكباً) اتضحت وتفسرت. ويكون الحال في غالب أحواله جواباً لـ (كيف)، نحو: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا﴾ [النمل: 19]، ﴿وَلَّى مُدْبِرًا﴾ [النمل: 10]، ﴿يَذْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر: 2]. ويقع الحال من الفاعل كالأمثلة المتقدمة؛ ومن المفعول، نحو: ركبتُ الفرسَ مسرجاً، وكتبتُ الدرسَ منمّقاً؛ ومن الخبر، نحو: ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ [البقرة: 91]، ﴿وَهَذَا بَعْلي شَيْخًا﴾ [هود: 72]. راجع: شرح الأشموني، ج 1، ص 242.

4- ورد اللفظ في أغلب النسخ "عدلي غير"، والمثبت هو ما انفردت به (ج)، والمعنى واحد: وقعا معاً لم يصرغ أحدهما صاحبه. راجع: لسان العرب، ج 12، ص 415.

5- يقع الحال جملة خبرية أو شبهها؛ فيكون محلّها نصباً، نحو: ﴿خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ [البقرة: 243]، ﴿لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ [النساء: 43]، ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ

وَلَا يَكُونُ الْحَالُ إِلَّا نَكْرَةً، كَمَا ذُكِرَ مِنَ الْأَمْثَلَةِ؛ فَإِنْ جَاءَ بِلَفْظِ الْمَعْرِفَةِ وَجَبَ تَأْوِيلُهُ بِنَكْرَةٍ، نَحْوُ: ادْخُلُوا الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ، أَيْ مُرْتَبِينَ؛ وَجَاؤُوا⁽¹⁾ الْجَمَاءَ الْغَفِيرَ، أَيْ جَمِيعًا⁽²⁾.

وَلَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ تَمَامِ الْكَلَامِ أَيْ الْجُمْلَةِ، وَالْمُرَادُ بِكَوْنِهِ بَعْدَ تَمَامِهَا أَنْ تَحْصُلَ جُمْلَةٌ تَامَّةٌ مِنْ مُسْنَدٍ وَمُسْنَدٍ إِلَيْهِ، دُونَهُ؛ لِأَنَّهُ فَضْلَةٌ وَإِنْ كَانَ قَدْ لَا يَسْتَعْنِي الْكَلَامُ عَنْهُ، نَحْوُ: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالً﴾⁽³⁾.

وَأَمَّا تَقْدِيمُ الْحَالِ عَلَى عَامِلِهَا فَيَجُوزُ⁽⁴⁾ إِنْ كَانَ فِعْلًا مُتَصَرِّفًا أَوْ صِفَةً تُشَبِّهُهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ﴾⁽⁵⁾، وَقَوْلِ الْعَرَبِ: "شَتَّى تَوُوبُ الْحَلَبَةِ" أَيْ مُتَفَرِّقِينَ يَرْجِعُ الْحَالِبُونَ⁽⁶⁾، وَنَحْوُ: زَيْدٌ مُسْرِعًا مُنْطَلِقًا، وَقَوْلِهِ:

فِي زَيْنَتِهِ ﴿[القصص: 79]، ونحو: يعجبني هذا الثمر فوق أغصانه. راجع: شرح ابن عقيل، ج 2، ص 244.

1- ورد فعل المثل في النسخة (ج) بصيغة المفرد "وجاء".

2- الغالب انتقال الحال واشتقاقه، ويلزم التنكير، وإن عرّف لفظه يؤوّل بنكرة، نحو: ادخلوا الأول فالأول، وجاء عمرو وحده، وفعلته جهدي، أي: ادخلوا مرتبين، وجاء منفردًا، وفعلته مجتهدًا. راجع: شرح ابن عقيل، ج 2، ص 248.

3- سورة النساء، الآية 142.

4- أجاز البصريون تقديم الحال على العامل فيها مع الاسم الظاهر والمضمر، أما الكوفيون فقد قصرُوا جواز ذلك مع الاسم الظاهر دون المضمر. راجع: الإنصاف في مسائل الخلاف، ص 210. والتبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين، أبو البقاء العكبري، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، دار الغرب الإسلامي، بيروت - 1986، ص 383.

5- سورة القمر، الآية 7.

6- مثل يُضْرَبُ فِي اخْتِلَافِ النَّاسِ أَخْلَاقًا وَشَيْمًا؛ فَالرَّعَاةُ يُوْرَدُونَ إِبْلَهُمْ مَجْتَمِعِينَ وَيَصْدُرُونَهَا مُتَفَرِّقِينَ فَيَحْلُبُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ عَلَى حِيَالِهِ. راجع: الإنصاف في مسائل الخلاف، ص 210.

عَدَسٌ مَا لَعَبَادٍ عَلَيْكَ إِمَارَةً أَمَنْتَ وَهَذَا تَحْمِلِينَ طَلِيقٌ⁽¹⁾
 ويجب⁽²⁾ إذا استَحَقَّتْ صَدَرَ الْكَلَامِ، نحو: "كَيْفَ جَاءَ زَيْدٌ؟".
 ويُمنَعُ⁽³⁾ إِنْ كَانَ الْعَامِلُ فِعْلاً جَامِداً، أو اسم تَفْضِيلٍ، أو مَصْدَراً مُقَدَّراً بـ "أَنَّ"
 والفِعْلِ، أو اسم فِعْلٍ، أو لَفْظاً مُتَضَمِّناً مَعْنَى الْفِعْلِ دُونَ حُرُوفِهِ كَاسْمِ الْإِشَارَةِ؛
 أو عَامِلاً غَيْرَ ذَلِكَ مَقْرُوناً بِإِلَامِ ابْتِدَاءٍ أو قَسَمٍ. نحو: مَا أَحْسَنَهُ مُقْبِلاً، وَهُوَ
 أَفْصَحُ النَّاسِ خَطِيباً، وَيُعْجِبُنِي اعْتِكَافُ أَحِيكَ صَائِماً، وَنَزَالَ مُسْرِعاً، ﴿فَتِلْكَ
 بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ﴾⁽⁴⁾، وَلَأَصْبِرُ مُحْتَسِباً، وَلَأَعْتَكِفَنَّ صَائِماً.

وجمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد
 قطامش، دار الفكر، بيروت - 1988، ج1، ص541.

1- قائله يزيد بن مفرغ الحميري، وذلك حين خرج من سجن عبّاد بن زياد، والي سجستان
 في عهد معاوية. وعدس: اسم صوت يزر به البغل، وهو هنا اسم بغلة بعينها، وهو مبني على
 السكون لا محل له من الإعراب. والشاهد في البيت «وهذا تحمّلين طليق» إذ يرى الكوفيون
 أنّ «هذا» اسم موصول مبتدأ، والجملة بعده صلة الموصول، و"طليق" خبر المبتدأ، والجملة
 حال. أما البصريون فيرون أنّ «هذا» اسم إشارة مبتدأ، وجملة «تحمّلين» حال من المبتدأ،
 وطليق خبر المبتدأ، والجملة الاسمية حال. راجع: الإنصاف، ص580. وشرح أبيات
 المغني، ج7، ص20. وجمع الهوامع، ج1، ص290.

2- أي يجب تقديم الحال على عاملها.

3- أي يمنع تقديم الحال على عاملها.

4- سورة النمل، الآية 52.

ويجوزُ حذفُهُ⁽¹⁾ إِنْ دَلَّ عَلَيْهِ دَلِيلٌ، كَقَوْلِكَ لِقَاصِدٍ سَفَرٍ: "رَاشِدًا"، وَلِقَادِمٍ مِنْ حَجٍّ: "مَأْجُورًا"، وَنَحْوُ: ﴿بَلَى قَادِرِينَ﴾⁽²⁾، ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا﴾⁽³⁾؛ أَي: تُسَافِرُ رَاشِدًا، وَجِئْتَ مَأْجُورًا، وَنَجْمُهَا قَادِرِينَ، وَصَلُّوا رِجَالًا.
وَلَا يَكُونُ صَاحِبُهَا إِلَّا مَعْرِفَةً⁽⁴⁾، كَالْأَمْثَلَةِ السَّابِقَةِ؛ وَقَدْ يَكُونُ نَكِرَةً إِنْ تَقَدَّمَ عَلَيْهِ الْحَالُ، أَوْ خُصِّصَ بِوَصْفٍ أَوْ إِضَافَةٍ أَوْ عَمَلٍ، أَوْ سُبِقَ بِنَفْيٍ أَوْ نَهْيٍ أَوْ اسْتِفْهَامٍ⁽⁵⁾؛ كَقَوْلِهِ:

لِمِيَّةٍ مُوَحِّشًا طَلَلٌ يُلُوحُ كَأَنَّهُ خِلَلٌ⁽⁶⁾

وقوله:

نَجَّيْتَ يَا رَبِّ نُوحًا فَاسْتَجَبْتَ لَهُ فِي فُلِّكَ مَاخِرٍ فِي الْيَمِّ مَشْحُونًا⁽⁷⁾

1- أي يجوز حذف عامل الحال.

2- سورة القيامة، الآية 4.

3- سورة البقرة، الآية 239.

4- الضمير عائد على الحال.

5- راجع: شرح التصريح، ج 1، ص 584.

6- البيت لكثير بن عبد الرحمن، المعروف بكثير عزة. وقوله "لمية" خبر مقدم. طلل: مبتدأ مؤخر. وقوله "خلل" بكسر الخاء، جمع خلة، وهي بطانة تغشى بها أجفان السيوف. والشاهد في البيت أن نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالا؛ فـ«موحشا» منصوب على الحالية، وصاحبه «طلل»، وصاحب الحال جاء نكرة، والمسوغ له تقدم الحال على صاحبه، وقد يكون المسوغ التخصيص؛ لأن صاحب الحال «طلل» وُصف بجمله «يلوح». راجع: الكتاب (كتاب سيبويه)، ج 2، ص 123. والخصائص، ج 2، ص 492. وشرح المفصل، ج 1، ص 443.

7- البيت غير منسوب لقائل معين. والشاهد فيه «مشحونا» حيث وقع حالا من النكرة «فلك»، والذي سوغ مجيء الحال من النكرة أنها وصفت بقوله «ماخر» فقربت من المعرفة

ونحو: ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءٌ لِّلْسَائِلِينَ﴾⁽¹⁾، وَكَعَجِبْتُ مِنْ ضَرْبِ أَخُوكَ شَدِيدًا،
وقوله:

مَا حُمَّ مِنْ مَوْتٍ حَمَى وَاقِيَا وَلَا تَرَى مِنْ أَحَدٍ بَاقِيَا⁽²⁾
ونحو: "لَا يَبْغِ"⁽³⁾ امْرُؤٌ عَلَى امْرِئٍ مُسْتَسْهِلًا⁽⁴⁾؛ أَي مُسْتَخَفًّا ذَلِكْ، وكقوله:
لَا يَرْكَنُ أَحَدٌ إِلَى الْإِحْجَامِ يَوْمَ الْوَعَى مُتَخَوِّفًا لِحِمَامِ⁽⁵⁾
وقوله:

لتخصيصها بالوصف. راجع: شرح التصريح، ج 1، ص 585. وشرح ابن عقيل، ج 2،
ص 259.

1- سورة فُصِّلَتْ، الآية 10.

2- البيت ساقط من (ج)، وقائله مجهول. و"حُمَّ" مبني للمجهول، أي: قُدِّرَ، والمعنى: إن
الله تعالى لم يقدر شيئا يحمي من الموت ولم يكتب لأحد الخلود. والشاهد فيه قوله "واقيا"
حيث وقع حالا لـ"حمى" مع أنه نكرة وصاحب الحال لا يكون إلا معرفة؛ لأنه وجد مسوغا
متمثلا في تقدم النفي عليها، وفيه مسوغ آخر وهو التخصيص لقوله "من موت" على جعله
متعلقا بـ"حمى". راجع: شرح ابن عقيل، ج 2، ص 260. وشرح الأشموني، ج 1، ص 247.
3- ورد المثال في (ج) بصيغة النفي "لا ينبغي".

4- جزء من بيت من ألفية ابن مالك. راجع: شرح التصريح، ج 1، ص 587. وشرح ابن
عقيل، ج 2، ص 262.

5- انفردت (ج) بهذا البيت، وهو لقطري بن الفجاءة. والمعنى: لا ينبغي لأحد أن يميل
إلى الإعراض عن اقتحام الحرب ويركن إلى التواني خوفا من الموت. والشاهد "متخوفا" حيث
وقع حالا من النكرة التي هي قوله «أحد» والذي سَوَّغَ ذلك وقوعها في حيِّز النهي. راجع:
شرح التصريح، ج 1، ص 587. وشرح الأشموني، ج 1، ص 247. وشرح ابن عقيل،
ج 2، ص 262.

يَا صَاحِ هَلْ حُمَّ عَيْشٌ بَاقِيًا فَتَرَى لِنَفْسِكَ الْعُذْرَ فِي إِبْعَادِهَا الْأَمَلَا⁽¹⁾
وَقَدْ يَقَعُ⁽²⁾ نَكْرَةً بِلَا مُسَوِّغٍ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ: {صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) قَاعِدًا
وَصَلَّى خَلْفَهُ رَجُلًا قِيَامًا⁽³⁾}.

1- لرجل من طيء لم يعينه أحد. "يا صاح" منادى مرخم على غير قياس؛ لأنه غير علم، وقياس الترخيم أن يكون في الأعلام. هل: الاستفهام هنا إنكاري بمعنى النفي. وحُمَّ: قُدِّر. والشاهد: «باقيا» حيث وقع حالا من النكرة، وهو قوله «عيش»، والذي سَوَّغ مجيء الحال من النكرة، وقوعها بعد الاستفهام الإنكاري الذي يؤدي معنى النفي. راجع: شرح الأشموني، ج1، ص247. وهمع الهوامع، ج4، ص22. وشرح التصريح، ج1، ص588. وشرح ابن عقيل، ج2، ص261.

2- أي صاحب الحال.

3- صحيح البخاري، دار ابن كثير للطباعة والنشر، دمشق - 2002. باب صلاة القاعد، ج1، ص139.

بَابُ التَّمْيِيزِ⁽¹⁾

التَّمْيِيزُ هُوَ الْإِسْمُ الْمَنْصُوبُ الْمَفْسَرُ لِمَا انْبَهَمَ أَيَّ خَفِيَ مِنَ الذَّوَاتِ بِأَنْ يُفَسِّرَ إِبْهَامَ نِسْبَةٍ، أَوْ إِبْهَامَ مُفْرَدِ اسْمٍ عَدَدٍ؛ أَوْ مِقْدَارٍ ذَالٍ عَلَى مِسَاحَةٍ أَوْ كَيْلٍ أَوْ وَزْنٍ، أَوْ شَبْهِ ذَلِكَ⁽²⁾. فَالْمُفَسِّرُ لِإِبْهَامِ النِّسْبَةِ، نَحْوُ قَوْلِكَ: تَصَبَّبَ زَيْدٌ عَرَقًا، وَتَفَقَّأَ - أَيَّ امْتَلَأَ - بَكْرٌ شَحْمًا، وَطَابَ مُحَمَّدٌ نَفْسًا. وَالْمُفَسِّرُ لِإِبْهَامِ الْعَدَدِ، نَحْوُ: اشْتَرَيْتُ عِشْرِينَ كِتَابًا⁽³⁾، وَمَلَكَتُ تِسْعِينَ نَعْجَةً. وَالْمُفَسِّرُ لِإِبْهَامِ الْمِقْدَارِ وَشَبْهِهِ⁽⁴⁾: كَهَذَا شَبْرٍ أَرْضًا، وَقَفِيزٍ بُرًّا⁽⁵⁾، وَلِي مَنَوَانٍ⁽⁶⁾ عَسَلًا وَتَمْرًا، وَنَحْوُ: ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾⁽⁷⁾، وَعِنْدِي نَحْيٍ⁽⁸⁾ سَمْنًا، وَنَحْوُ: ﴿فَمَنْ

1- ويسمى التبيين والتفسير. راجع: شرح المفصل، ج2، ص35. والمقتضب، ج3، ص32.

2- الحال والتمييز كل منهما نكرة مفسرة للإبهام، إلا أنَّ الحال مفسر للهيئات، والتمييز مفسر للذوات.

3- حوِّثُ المِثَالِ مراعاة للمتغيرات الاجتماعية.

4- كلمة "المقدار" ساقطة من (ج) و(ر)، ومكانها منطمس من (أ).

5- الْقَفِيزُ مكيال سَعْتُهُ ثمانية مَكَايِكُ، وَالْمَكُوكُ صَاعٌ وَنِصْفٌ. راجع: لسان العرب، ج15، ص274.

6- مَنَوَانٌ مِثْلُ الْمَنِّ الَّذِي هُوَ لُغَةٌ فِي الْمَنَّا الَّذِي يوزن به؛ وهو رطلان، والجمع أَمْنَانٌ وجمع الْمَنَّا أَمْنَاءٌ. راجع: لسان العرب، ج13، ص419.

7- سورة الكهف، الآية 109.

8- النَّحْيُ عِنْدَ الْعَرَبِ الزَّقُّ الَّذِي يُجْعَلُ فِيهِ السَّمْنُ خَاصَّةً؛ وَمِنْهُ قِصَّةُ ذَاتِ النَّحْيَيْنِ صَاحِبَةِ الْمَثَلِ الْمَشْهُورِ. راجع: جمهرة الأمثال، ج2، ص321.

يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ⁽¹⁾. وَمَنْ مَفْسَرٍ النَّسَبَةِ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ الْمُصَنِّفُ بِقَوْلِهِ:
زَيْدٌ أَكْرَمُ مِنْكَ أَبًا، وَأَجْمَلُ مِنْكَ وَجْهًا⁽²⁾.

وَلَا يَكُونُ التَّمْيِيزُ إِلَّا نَكْرَةً⁽³⁾، خِلَافًا لِلْكُوفِيِّينَ وَابْنِ الطَّرَاوَةِ⁽⁴⁾؛ تَمَسُّكًا بِقَوْلِهِ:
رَأَيْتُكَ لَمَّا أَنْ عَرَفْتَ وَجُوهَنَا صَدَدْتَ وَطَبْتَ النَّفْسَ يَا قَيْسُ عَنْ عَمْرٍو⁽⁵⁾

1- سورة الزلزلة، الآية 7.

2- الخلاصة أن الإبهام يكون في نسبة جملة أو مفرد؛ فالمفسر لإبهام الجملة يكون محوّلًا: إما عن فاعل وإما عن مفعول، فالأول نحو: ﴿وَاشْتَغَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم:4]، التقدير: اشتغل شيبُ الرأسِ، ففككت الإضافة وحوّل الإسناد قصدًا للمبالغة. وكذلك طاب زيدٌ نفسًا، وباقي الأمثلة التي أوردها المؤلف. ومثال المحوّل عن المفعول: ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ [القمر:12]، أي: عيون الأرض، وتقول: غرست الأرض شجرًا. ومثال المفسر لإبهام المفرد: ﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف:142]، ﴿لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ [ص:23]؛ فهذا كله تمييز للعدد المبهم. ويقع التمييز بعد الكيل، نحو: ما له قفيزٌ بُرًّا، وأخذت صاعًا تمرًّا؛ وبعد الوزن: اشتريت متوَيْنَ زيتًا، أو قنطارًا عسلًا؛ وبعد الممسوح، نحو: ما له شبر أرضًا؛ وبعد الوصف، كقولك: محمد أكرم منك أبًا، ومنه ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا﴾ [الكهف:34]. والقفيز والصاع والمنُّ، كلها مكايل يتعارف عليها أهل كل بلد.

3- من يلزمون التمييز التنكير يقدرّون قبله (من) الجارة. راجع: همع الهوامع، ج4، ص62.

4- راجع: نتائج الفكر، ص182. وهمع الهوامع، ج4، ص72. وابن الطراوة هو أبو الحسين، سليمان بن محمد السبئي المالقي، علم من أعلام العربية والنحو، بلغ الغاية فيهما وتفرد بمذهب نحوي متكامل، ومن تلاميذه السُّهيلي. توفي سنة 528هـ عن سن عالية. راجع: إنباه الرواة، ج4، ص113. وبغية الوعاة، ج1، ص602. والأعلام، ج3، ص132. وأبو الحسين بن الطراوة وأثره في النحو، محمد إبراهيم البناء، دار بوسلامة للطباعة والنشر، تونس - 1980.

5- البيت لرشيد بن شهاب الإشكري، يندّد بقيس لأنه فرّ عن صديقه لما رأى وقع أسياهم، ورضي من الغنيمة بالإياب فلم يدافع عنه ولم يتقدم للأخذ بثار. وقوله "رأيتك" فعل وفاعل

وهو محمولٌ عَلَى زِيَادَةِ "أَل" عِنْدَ غَيْرِهِمْ⁽¹⁾.
وَلَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ تَمَامِ الْكَلَامِ أَيِ الْجُمْلَةِ؛ لِأَنَّهُ فَضْلَةٌ.
وَيَجُوزُ جَرُّهُ بِ"مِنْ" إِنْ لَمْ يَكُنْ تَمْيِيزَ عَدَدٍ، أَوْ مَحْوَلًا فِي الصَّنَاعَةِ عَنْ فَاعِلٍ أَوْ
مَفْعُولٍ؛ كَقَوْلِهِ:

تَخَيَّرَهُ فَلَمْ يَعْدِلْ سِوَاهُ فَنِعَمَ الْمَرْءُ مِنْ رَجُلٍ تَهَامِي⁽²⁾
وَيَجُوزُ حِينَئِذٍ مُرَاعَاةُ مَحَلِّهِ فِي الْإِثْبَاعِ، كَقَوْلِهِ:
طَافَتْ أُمَامَةً بِالرُّكْبَانِ آوَنَةً يَا حُسْنَهُ مِنْ قَوَامٍ مَّا وَمُتَّقَبَا⁽³⁾

ومفعول، وهي بصرية تنصب مفعولا واحدا. أن عرفت: (أن) زائدة. وقوله: "طبت النفس" النفس: تمييز نسبة. والشاهد "طبت النفس" حيث أدخل «أل» على التمييز الذي يجب تنكيه في مذهب البصريين، وهذا من الضرورات؛ أما الكوفيون فيرون تعريف التمييز وتنكيهه، وبذلك تكون «أل» هنا أصلية. راجع: همع الهوامع، ج 1، ص 278. وشرح التصريح، ج 1، ص 184 وص 616.

1- الضمير عائد على الكوفيين وابن الطراوة، والمراد أي عند البصريين ومن تبعهم في إلزام التمييز التنكير.

2- البيت لأبي بكر بن الأسود الليثي. والشاهد "من رجل" حيث اجتمع التمييز والفاعل الظاهر، وجاء التمييز مجرورا؛ والغرض من مجيء التمييز هنا التأكيد لا التوضيح، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ [التوبة: 36]، فشهر تمييز لم يذكر للبيان ورفع الإبهام لأن ذكر الشهور قبل العدد مزيل لإبهامه، وإنما أريد بذكر التمييز التأكيد. راجع: شرح التصريح، ج 1، ص 626. وج 2، ص 80. وشرح الأشموني، ج 1، ص 265.

3- البيت للحطيئة. والشاهد فيه "منتقبا" حيث نصب مراعاة لمحل التمييز "قوام". راجع: شرح التصريح، ج 1، ص 625. وشرح الأشموني، ج 1، ص 265. وهمع الهوامع، ج 4، ص 67.

وَلَا يَتَقَدَّمُ التَّمْيِيزُ عَلَى عَامِلِهِ وَلَوْ كَانَ فِعْلًا مُتَصَرِّفًا، خِلَافًا لِلْمَازِنِيِّ وَالْمُبَرِّدِ
وَالْكَسَائِيِّ⁽¹⁾؛ تَمَسُّكَ بِقَوْلِهِ:

أَنْفَسًا تَطِيبُ بِنَيْلِ الْمُنَى وَدَاعِي الْمُنُونِ يُنَادِي جَهَارًا⁽²⁾
وَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى الضَّرُورَةِ وَالنُّدُورِ عِنْدَ غَيْرِهِمْ⁽³⁾.

1- أجاز الكسائي والمبرد والمازني والجرمي تقدم التمييز على عامله إن كان فعلا متصرفا.
راجع: شرح الأشموني، ج 1، ص 266.

2- البيت مجهول القائل. والشاهد فيه تقدم التمييز «نفسا» على عامله للضرورة. وقوله
"أنفسا" الهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي، وجملة (وداعي المنون ..) حالية، ومفعول
ينادي محذوف، و"جهارا" تعرب: حالا، أو مفعولا مطلقا. راجع: شرح أبيات مغني اللبيب،
ج 7، ص 26. وشرح الأشموني، ج 1، ص 266. وشرح التصريح، ج 1، ص 628.

3- راجع تفصيل تلك الآراء في: ارتشاف الضرب، ج 4، ص 1634. وشرح المفصل،
ج 2، ص 41.

بَابُ الْمُسْتَشْنَى

الاستثناءُ الإخراجُ⁽¹⁾ بِـ "إِلَّا" أَوْ إِحْدَى أَخَوَاتِهَا لِمَا كَانَ دَاخِلًا⁽²⁾ أَوْ مُنْزَلًا مَنْزِلَةً الدَّخِلِ⁽³⁾: كَقَامِ الْقَوْمِ إِلَّا خِيَارَهُمْ، وَقَدِمَ الرَّهْطُ إِلَّا حِمَارَهُمْ⁽⁴⁾.
وَحُرُوفُ الاستثناءِ ثَمَانِيَةٌ، وَهِيَ: إِلَّا⁽⁵⁾، وَغَيْرُ، وَسَوَى بِوَزْنِ رِضًا⁽⁶⁾، وَسَوَى بِوَزْنِ هُدَى، وَسَوَاءٌ بِوَزْنِ سَمَاءٍ؛ وَتُكْسَرُ سِينُهَا، وَخَلَا، وَعَدَا، وَحَاشَا⁽⁷⁾.

- 1- ورد في النسخة (ج) لفظ "الأخرى" بدلا من "الإخراج"، وهو تصحيف.
- 2- هو الاستثناء المتصل، أي الذي يكون فيه المستثنى بعضا من المستثنى منه. راجع: شرح الأشموني، ج 1، ص 227.
- 3- وهو الاستثناء المنقطع، أي الذي لا يكون فيه المستثنى بعضا من المستثنى منه، أو كان بعضا منه إلا أن العامل غير متوجه إليه. راجع: ارتشاف الضرب، ج 3، ص 1500.
- 4- رَهْطُ الرَّجُلِ: قَوْمُهُ وَقَبِيلَتُهُ. يُقَالُ: هُمْ رَهْطُهُ دُنْيَةً. وَالرَّهْطُ عَدَدٌ يَجْمَعُ مِنْ ثَلَاثَةِ إِلَى عَشْرَةٍ، وَبَعْضٌ يَقُولُ مِنْ سَبْعَةٍ إِلَى عَشْرَةٍ، وَمَا دُونَ السَّبْعَةِ إِلَى الثَّلَاثَةِ نَقَرٌ، وَقِيلَ: الرَّهْطُ مَا دُونَ الْعَشْرَةِ مِنَ الرِّجَالِ لَا يَكُونُ فِيهِمْ امْرَأَةٌ. وَهُوَ جَمْعٌ لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ مِثْلُ ذَوْدٍ، وَجَمْعُ الرَّهْطِ أَرْهَطٌ وَأَرْهَاطٌ وَأَرْهَاطٌ. راجع: لسان العرب، ج 7، ص 305.
- 5- "إِلَّا" هِيَ أَصْلُ الاستثناء. راجع: الأشباه والنظائر في النحو، جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبدالعال مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت - 1985، ج 3، ص 166. وشرح المفصل، ج 2، ص 48.
- 6- انفردت النسخة (م) بكتابة لفظ "رَضًا" بألف طويلة، وهو الصواب؛ ذلك أن "الرضا" مقصور، وهو مصدر محض، والاسم "الرضاء" ممدود. راجع: الصَّحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، دار الحديث، القاهرة - 2009، ص 446.
- 7- اختلفت نسخ المخطوط في كتابة (حاشا)؛ فبعضها كتبها بألف طويلة، والآخر كتبها بألف قصيرة. ولعلَّ مردَّ ذلك هو أن هذه الكلمة قد تكون فعلاً وقد تكون حرفاً. وهناك من

وَتَسْمِيَتُهُ لِهَذِهِ الْأَدَوَاتِ حُرُوفًا مِنْ بَابِ تَسْمِيَةِ الشَّيْءِ بِاسْمِ بَعْضِهِ؛ لِأَنَّ الْحَرْفَ مِنْهَا إِنَّمَا هُوَ "إِلَّا"، وَكَذَا "حَلَا" و"عَدَا" و"حَاشَا" حَيْثُ جُرَّ بِهِنَّ؛ فَإِنْ نُصِبَ بِهِنَّ فَهُنَّ أَفْعَالٌ جَامِدَةٌ لَوْقُوعِهِنَّ مَوْقِعَ "إِلَّا". وَأَمَّا "غَيْرُ" و"سَوَى" و"سَوَى" و"سَوَاءٌ" فَهُنَّ أَسْمَاءٌ⁽¹⁾.

فَالْمُسْتَثْنَى بِـ"إِلَّا" يُنْصَبُ أَيُّ يَجِبُ نَصْبُهُ مُطْلَقًا - سَوَاءً كَانَ مُتَّصِلًا أَوْ مُنْفَصِلًا⁽²⁾ - بِهَا لَا بَغَيْرَهَا؛ عَلَى مَا اخْتَارَهُ ابْنُ مَالِكٍ فِي التَّسْهِيلِ مِنْ ثَمَانِيَةِ أَقْوَالٍ، وَزَعَمَ أَنَّهُ مَذْهَبُ سِبْيَوِيهِ⁽³⁾؛ إِذَا كَانَ الْكَلَامُ مُوجِبًا بِأَنْ لَمْ يَتَقَدَّمْ عَلَيْهِ نَفْيٌ، وَلَا شَبْهُهُ وَهُوَ النَّهْيُ وَالِاسْتِفْهَامُ الْإِنْكَارِيُّ؛ تَامًّا بِأَنْ ذُكِرَ فِيهِ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ⁽⁴⁾. فَالْمُتَّصِلُ وَهُوَ مَا يَكُونُ فِيهِ الْمُسْتَثْنَى بَعْضَ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ، نَحْوُ: قَامَ الْقَوْمُ إِلَّا زَيْدًا، وَخَرَجَ النَّاسُ إِلَّا عَمْرًا⁽⁵⁾؛ وَالْمُنْفَصِلُ - وَيُقَالُ فِيهِ الْمُنْقَطِعُ -

يرى أن (حاشا) ثابتة على شكل واحد هو الألف القائمة، بغض النظر عما إذا كانت الكلمة فعلا أو حرفا. راجع: ارتشاف الضرب، ج3، ص1532. ومغني اللبيب، ج1، ص129.

1- جميع النحويين متفقون على حرفية "إلا" واسمية (غير) و(سوى) بلغاتها، والخلاف في الأخريات أهن حروف أم أفعال. راجع: شرح التصريح، ج1، ص538.

2- يقصد به كونه منقطعا، وسيصرح بذلك قريبا.

3- عبارة "في التسهيل" زيادة من النسختين (ر) و(م). وقد اختلف النحويون في ناصب المستثنى بـ(إلا) على ثمانية أقوال كما ذكر الشارح. راجع: شرح التسهيل، ج2، ص271.

وشرح التصريح، ج1، ص541. ولفظ (زعم) الوارد في عبارة الشارح ليس ذا دلالة قدحية كما قد يُظن؛ فالزعم القول يكون حقا ويكون باطلا. راجع: لسان العرب، ج12، ص264.

4- ورد في النسخة (م) عبارة "ذكر معه" أي مع المستثنى، وفي باقي النسخ "ذكر فيه" أي في الكلام.

5- إذا كان ما قبل "إلا" تاما موجبا فيتعين النصب، كالمثالين اللذين ذكرا، ونحو قوله تعالى: ﴿فَشَرِّبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [البقرة: 249].

وَهُوَ مَا لَا يَكُونُ فِيهِ الْمُسْتَثْنَى بَعْضَ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ، نَحْوُ: قَدِمَ الْقَوْمُ إِلَّا ظُرُوفَهُمْ،
وَسَلِمَ الْجَيْشُ إِلَّا سُيُوفُهُمْ. وَإِنْ كَانَ الْكَلَامُ مَنْفِيًّا أَوْ مَسْبُوقًا بِشِبْهِ النَّفْيِ، وَكَانَ
تَامًّا، وَكَانَ الْإِسْتِثْنَاءُ مُتَّصِلًا؛ جَازَ فِيهِ وَجْهَانِ، أَحَدُهُمَا وَهُوَ الرَّاجِحُ: الْبَدَلُ؛
أَيُّ بَدَلِ الْبَعْضِ عِنْدَ الْبَصَرِيِّينَ، وَهُوَ عَطْفُ نَسَقٍ عِنْدَ الْكُوفِيِّينَ⁽¹⁾؛ لِأَنَّ "إِلَّا"
عِنْدَهُمْ مِنْ حُرُوفِ الْعَطْفِ فِي بَابِ الْإِسْتِثْنَاءِ خَاصَّةً بِمَنْزِلَةِ "لَا"⁽²⁾. وَثَانِيَهُمَا
وَهُوَ الْمَرْجُوحُ، لَكِنَّهُ عَرَبِي جَيِّدٌ: النَّصْبُ عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ. نَحْوُ: مَا قَامَ أَحَدٌ إِلَّا
زَيْدٌ، بِالرَّفْعِ بَدَلًا أَوْ عَطْفَ نَسَقٍ - عَلَى الْخِلَافِ الْمَذْكُورِ - وَإِلَّا زَيْدًا بِالنَّصْبِ
عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ⁽³⁾. وَفُرِئَ بِالْوَجْهَيْنِ: ﴿مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾⁽⁴⁾، ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ
مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ﴾⁽⁵⁾، وَبِالرَّفْعِ فَقَطْ: ﴿وَمَنْ يَفْقَطْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا
الضَّالُّونَ﴾⁽⁶⁾. فَأَمَّا إِنْ كَانَ الْإِسْتِثْنَاءُ مُنْقَطِعًا فَيَجِبُ النَّصْبُ عِنْدَ الْحَجَازِيِّينَ

1- راجع: شرح التسهيل، ج2، ص279. وشرح التصريح، ج1، ص542. وجمع
الهوامع، ج3، ص249. وشرح الأشموني، ج1، ص228.

2- في بعض النسخ: "عند غيرهم" وهو ما لا يستقيم؛ إذ المقصود أن الكوفيين يعتبرون "إلا"
من حروف العطف - في باب الاستثناء خاصة - بمنزلة "لا". راجع: الإنصاف، ص226.
وشرح التصريح، ج1، ص542.

3- راجع: شرح التصريح، ج1، ص542.

4- سورة النساء، الآية 66؛ فالرفع على البدل من الضمير المرفوع، وهو قراءة الجمهور؛
والنصب على الاستثناء، وهو قراءة أبي بن كعب وابن أبي اسحاق وعيسى بن عمر وابن عامر.
راجع: معجم القراءات، ج2، ص101.

5- سورة هود، الآية 81؛ فالرفع على البدل من الضمير المرفوع، وهو قراءة الجمهور؛
والنصب على الاستثناء، وهو قراءة أبي بن كعب وابن أبي اسحاق وعيسى بن عمر وابن عامر.
راجع: معجم القراءات، ج4، ص116.

6- سورة الحجر، الآية 56.

مُطْلَقًا، سَوَاءً أَمْكَنَ تَسْلِيْطُ الْعَامِلِ عَلَى الْمُسْتَثْنَى أَمْ لَا. وَعِنْدَ التَّمِيْمِيِّينَ إِنْ لَمْ يُمَكِّنْ تَسْلِيْطُهُ عَلَيْهِ⁽¹⁾، نَحْوُ: مَا زَادَ هَذَا الْمَالُ إِلَّا مَا نَقَصَ، وَمَا نَفَعَ زَيْدٌ إِلَّا مَا ضَرَّ؛ وَإِلَّا جَاَزَ الْإِتْبَاعُ عِنْدَهُمْ، لَكِنْ النَّصْبُ أَرْجَحُ مِنْهُ⁽²⁾؛ كَقَوْلِهِ: وَبَلَدَةٌ لَيْسَ بِهَا أَنْيْسُ إِلَّا الْيَعَاْفِيرُ وَإِلَّا الْعَيْسُ⁽³⁾ وَإِنْ كَانَ الْكَلَامُ نَاقِصًا بِأَنْ لَمْ يُذَكَّرْ فِيهِ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ⁽⁴⁾ - وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا مَعَ نَفْيٍ أَوْ شَبْهِهِ - كَانَ عَلَى حَسَبِ مَا اقْتَضَتْهُ الْعَوَامِلُ مِنْ رَفْعٍ وَنَصْبٍ وَخَفْضٍ، وَلَا عَمَلٍ لِـ"إِلَّا" فِيهِ⁽⁵⁾؛ فَالرَّفْعُ نَحْوُ: مَا قَامَ إِلَّا زَيْدٌ، وَالنَّصْبُ نَحْوُ:

- 1- قوله "تَسْلِيْطُ الْعَامِلِ عَلَى الْمُسْتَثْنَى أَمْ لَا؛ وَعِنْدَ التَّمِيْمِيِّينَ إِنْ لَمْ يُمْكِنْ" ساقط كله من (ج). وورد في (ر) "إِنْ لَمْ يَكُنْ" بدلا من "إِنْ لَمْ يُمْكِنْ"، وهو تحريف.
- 2- راجع: الكتاب (كتاب سيبويه)، ج2، ص320. همع الهوامع، ج3، ص255. وشرح التصريح، ج1، ص546. وشرح الأشموني، ج1، ص229.
- 3- هذا الرجز لعامر بن الحارث المعروف بجران العود. والضمير فيه يعود إلى المنزل. واليعافير: جمع يعفور وهو الطبي الأعفر، أي: الذي لونه لون التراب. والعيس: الإبل. "وبلدة" الواو: واو ربّ، بلدة: مبتدأ مرفوع بضمّة مقدرة. وجملة (ليس بها أنيس) صفة لبلدة، والخبر محذوف تقديره «سكنتها». إلا: أداة استثناء. واليعافير: بدل من أنيس. والشاهد: "إلا اليعافير، وإلا العيس" حيث رفع اليعافير والعيس على أنهما بدلان من قوله «أنيس»، مع أنهما ليسا من جنس الأنيس، أي: الذي يؤنس به، وجاز ذلك على التوسع في معنى «أنيس»، فكأنه قال: ليس بها شيء إلا اليعافير. راجع: الكتاب (كتاب سيبويه)، ج1، ص263 - ج2، ص322. وشرح التصريح، ج1، ص547. وخزانة الأدب، ج10، ص15.

4- في (و) "بأن يذكر المستثنى منه" وهو تحريف بيّن ينسف مضمون القاعدة النحوية.

5- راجع: شرح الأشموني، ج1، ص230.

مَا ضَرَبْتُ إِلَّا زَيْدًا، وَالْخَفْضُ نَحْوُ: مَا مَرَرْتُ إِلَّا بِزَيْدٍ⁽¹⁾. وَتَقُولُ مَعَ شِبْهِ النَّفْيِ: لَا يَقُمُ إِلَّا زَيْدٌ، وَلَا تَضْرِبُ إِلَّا زَيْدًا، وَلَا تَمُرُّ إِلَّا بِزَيْدٍ؛ وَهَلْ قَامَ إِلَّا زَيْدٌ، وَهَلْ ضَرَبْتُ إِلَّا زَيْدًا، وَهَلْ مَرَرْتُ إِلَّا بِزَيْدٍ.

وَالْمُسْتَثْنَى بِـ"غَيْرٍ" وَ"سَوَى" وَ"سَوَى" وَ"سَوَاءٍ" مَجْرُورٌ بِالِإِضَافَةِ لَا غَيْرُ أَيُّ لَا يُفْعَلُ بِهِ غَيْرُ الْجَرِّ⁽²⁾. وَأَمَّا إِعْرَابُ "غَيْرٍ" وَ"سَوَى" وَ"سَوَى" وَ"سَوَاءٍ" فِي أَنْفُسِهِنَّ فَكَإِعْرَابِ الْمُسْتَثْنَى بِـ"إِلَّا"؛ يُنْصَبْنَ⁽³⁾ إِذَا كَانَ الْكَلَامُ مُوجِبًا تَأْمًا: كَقَامَ الْقَوْمُ غَيْرَ زَيْدٍ (بِالنَّصْبِ فَقَطْ). وَيَجُوزُ فِيهِنَّ الْبَدَلُ وَالنَّصْبُ إِذَا كَانَ الْكَلَامُ مَنْفِيًّا تَأْمًا⁽⁴⁾: كَمَا قَامَ أَحَدٌ غَيْرَ زَيْدٍ (بِالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ)، وَإِذَا⁽⁵⁾ كَانَ الْكَلَامُ نَاقِصًا كَانَ عَلَى حَسَبِ الْعَوَامِلِ: كَمَا قَامَ غَيْرُ زَيْدٍ، وَمَا ضَرَبْتُ غَيْرَ زَيْدٍ، وَمَا مَرَرْتُ بِغَيْرِ

1- إذا كان الكلام قبل [إلا] غير تام، وكان معتمدًا على نفي أو شبهه، فهو حَصْرٌ أو قَصْرٌ، لا استثناء. فالتراكيب التي مثل بها ابن آجروم ليست تراكيب استثناء، فـ[زيد] في التركيب الأول فاعل، وفي الثاني مفعول به، وفي الثالث مجرور بالباء، ولا صلة لكل ذلك بالاستثناء! ومع ذلك نجد كتب الصناعة تجعلها تراكيب استثناء، خلافا لكتب البلاغة التي تعدّها تراكيب قصر أو حصر؛ ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عمران: 144]، أي: [محمد ﷺ] مقصور على الرسالة، لا أنّ كلمة [رسول] مستثناة من [محمد]!

2- وذلك لكون ما قبله مضافا إليه، فهو مجرور بالإضافة.

3- انفردت (م) بلفظ "يُنْصَبُ" أي المستثنى بـ(إلا)، وفي باقي النسخ "يُنْصَبْنَ" أي ("غَيْرُ" و"سَوَى" و"سَوَى" و"سَوَاءٍ")؛ والمعنى واحد في العبارتين.

4- انفردت (ج) بلفظ "وإن كان الكلام..." والواو منه تحريف؛ إذ لا محل له في السياق.

5- وردت في (و) عبارة "وإن كان الكلام..." بدلا من "وإذا كان الكلام..."

زَيْدٍ. وَكَذَا تَقُولُ فِي الْبَوَاقِي. وَقَدْ اخْتُلِفَ فِي نَصْبِ الْجَمِيعِ عَلَى الْوَجْهَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ؛ هَلْ هُوَ عَلَى الْحَالِ، أَوْ عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ⁽¹⁾.

وَالْمُسْتَثْنَى بِـ"خَلَا" وَ"عَدَا" وَ"حَاشَا" يَجُوزُ نَصْبُهُ مَفْعُولًا بِهِ عَلَى أَنَّهُنَّ أَفْعَالٌ؛ وَفَاعِلُهُنَّ ضَمِيرٌ مُسْتَتِرٌ يَعُودُ عَلَى اسْمِ الْفَاعِلِ الْمَفْهُومِ مِنَ الْفِعْلِ الْمُتَقَدِّمِ⁽²⁾، وَقِيلَ يَعُودُ عَلَى الْبَعْضِ الْمَذْذُولِ عَلَيْهِ بِكُلِّيَّةِ السَّابِقِ⁽³⁾، وَقِيلَ يَعُودُ عَلَى الْمَصْدَرِ الْمَذْذُولِ عَلَيْهِ بِالْفِعْلِ⁽⁴⁾. وَيَجُوزُ جَرُّهُ بِهِنَّ⁽⁵⁾ عَلَى أَنَّهُنَّ أَخْرُفُ جَرٍّ⁽⁶⁾، نَحْوُ: قَامَ الْقَوْمُ خَلَا زَيْدًا (بِالنَّصْبِ) وَزَيْدٍ (بِالْجَرِّ)، وَعَدَا عَمْرًا وَعَمْرٍو (بِالْوَجْهَيْنِ)، وَحَاشَى بَكْرًا وَبَكْرٍ كَذَلِكَ⁽⁷⁾. وَالْجَرُّ بِـ"عَدَا" قَلِيلٌ كَالنَّصْبِ فِي "حَاشَا"؛ وَلِذَا لَمْ يَحْفَظْ سَيَبَوِيهِ فِي "عَدَا" إِلَّا النَّصْبُ⁽⁸⁾ وَفِي "حَاشَا" إِلَّا الْجَرَّ⁽⁹⁾.

1- الأول مذهب سيبويه، والثاني مذهب المغاربة؛ واختاره ابن عصفور. راجع: شرح الأشموني، ج 1، ص 234.

2- "المتقدم" زيادة من (م). وهذا المذهب هو مذهب سيبويه.

3- في (م): "بالكلية السابقة". والمذهب المذكور هو مذهب جمهور البصريين.

4- المذهب المذكور هو مذهب الكوفيين.

5- الضمير عائد على المستثنى بِـ"خَلَا" وَ"عَدَا" وَ"حَاشَا"، وهنَّ كذلك المعنيات بالضمير اللاحق.

6- وردت العبارة في (م) بلفظ "حروف جر". و(أحرف) أنسب لكونها جمع قلة.

7- راجع: شرح الأشموني، ج 1، ص 237. وهمع الهوامع، ج 3، ص 283.

8- يعني الشارح أن سيبويه لم يحفظ في (عدا) إلا الفعلية؛ ف(عدا) و(خلا) إذا نصبتا فهما فعلا، وإن جرّتا فهما حرفان. راجع: مغني اللبيب، ج 1، ص 152. وشرح الأشموني، ج 1، ص 238.

9- راجع: همع الهوامع، ج 3، ص 286. ومغني اللبيب، ج 1، ص 129.

وَيَتَعَيَّنُ النَّصْبُ بِهِنَّ (1) إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِنَّ "مَا" الْمَصْدَرِيَّةُ (2)، كَقَوْلِهِ:
أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مُحَالَةَ زَائِلٌ (3)
وقوله:

تَمَلُّ النَّدَامَى مَا عَدَانِي فَإِنِّي بِكُلِّ الَّذِي يَهْوَى نَدِيمِي مُوَلِّعٌ (4)
وقول بعضهم: اللهم اغفر لي ولمن يسمعونني ما حاشى الشيطان وأبا الأصبغ (5)

وَيُسْتَشْنَى أَيْضًا بِ"لَيْسَ" وَ"لَا يَكُونُ" (6)؛ لَكِنْ يَجِبُ نَصْبُ الْمُسْتَشْنَى بِهِمَا
عَلَى أَنَّهُ خَبَرٌ لَهُمَا، كَالْحَدِيثِ: {مَا أَنَهَرَ الدَّمَ وَذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَكُلُّوا؛ لَيْسَ

1- أي بـ"عدا" و"خلا" و"حاشى".

2- إذا تقدمت (ما) على (خلا) و(عدا) تَعَيَّنَ النصب؛ لأن (ما) مصدرية، والمصدر لا يوصل بحرف. راجع: شرح الأشموني، ج 1، ص 238.

3- البيت للبيد بن ربيعة العامري. والشاهد «ما خلا الله» وجب نصب لفظ الجلالة بعد "خلا"؛ لأنَّ سَبْقَهَا بـ"(ما) المصدرية" يحقق فعليتها، فلفظ الجلالة: منصوب على التعظيم مفعول به للفعل (خلا). راجع: شرح أبيات مغني اللبيب، ج 3، ص 154. وجمع الهوامع، ج 3، ص 287.

4- البيت غير منسوب. والشاهد فيه «ما عداني»، فإنَّ "عدا" في هذا الموضع فعل، والدليل سَبْقَهَا بـ"(ما) المصدرية، ومجيء نون الوقاية قبل ياء المتكلم، ونون الوقاية لا تجيء إلا مع الأفعال. راجع: همع الهوامع، ج 3، ص 287.

5- هذا كلام منشور ورد في كثير من كتب النحو. والأصل في (حاشا) أنه لا يستثنى بها إلا في مقام التنزيه وأن المغفرة لا يتنزه منها، إلا أن الداعي قد بالغ في خسة الشيطان فجعل الغفران كأنه يشينه وينقص مرتبة لؤمه فينزه عنها، أو أنه من باب التهكم. ولما كان الداعي يرى أبا الإصبغ (بالصاد والغين) لثيما خسيسا أعطاه حكم الشيطان في ما ذكر. راجع: همع الهوامع، ج 3، ص 283. وشرح الأشموني، ج 1، ص 239.

6- لم يذكرهما المؤلف ضمن أدوات الاستثناء حين عددها، ولم يعقب الشارح على قول المؤلف "وحروف الاستثناء ثمانية"؛ وإلا فهي عشرة لا ثمانية.

السِّنَّ وَالظُّفْرَ⁽¹⁾، وَتَقُولُ: أَتَوْنِي لَا يَكُونُ زَيْدًا. وَمُفَسِّرُ اسْمَيْهِمَا كَمُفَسِّرِ فَاعِلِ
الثَّلَاثِ قَبْلَهُمَا⁽²⁾.

1- صحيح سنن الترمذي، ج2، ص154.

2- المقصود بالثلاث ("عدا" و"خلا" و"حاشا") وفاعلهن ضمير مستتر يعود على اسم
الفاعل المفهوم من الفعل المتقدم، وقيل يعود على البعض المدلول عليه بكلية السابق، وقيل
يعود على المصدر المدلول عليه بالفعل. ولا تُستعمل (يكون) في الاستثناء مع غير (لا) من
أدوات النفي. راجع: الكتاب (كتاب سيبويه)، ج2، ص347. وشرح الأشموني، ج1،
ص237.

بَابُ "لَا"

الْعَامِلَةُ عَمَلُ "إِنَّ"، وَهِيَ النَّافِيَةُ لِلْجِنْسِ عَلَى سَبِيلِ التَّنْصِيصِ⁽¹⁾؛ وَتُسَمَّى "لَا" التَّبَرُّةُ⁽²⁾.

اعْلَمْ أَنَّ "لَا" الْمَذْكُورَةَ تَنْصِبُ النِّكَرَاتِ بِغَيْرِ تَنْوِينٍ⁽³⁾، إِذَا بَاشَرَتِ النِّكَرَةَ وَلَمْ تَتَكَرَّرْ "لَا"⁽⁴⁾.

1- تنقسم (لا) قسمين: زائدة وغير زائدة؛ فالزائدة: دخولها في الكلام كخروجها، نحو: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: 12]، بدليل الآية الأخرى ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ﴾ [ص: 75]. وغير الزائدة: نافية وغير نافية؛ فغير النافية: ناهية ودعائية، نحو: ﴿فَلَا يُسْرِفْ﴾ [الإسراء: 33]، و﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا﴾ [البقرة: 286]. والنافية: عاملة وغير عاملة؛ فالعاملة: على قسمين: عاملة عمل (ليس): ترفع الاسم وتنصب الخبر، وتنفي الوحدة، وتختص بالنكرات؛ كقول الشاعر:

تَعَزَّ فَلَاشَيْءٌ عَلَى الْأَرْضِ بَاقِيَا وَلَا وَزَرَ مِمَّا قَضَى اللَّهُ وَاقِيَا

وعاملة عمل (إِنَّ) وهي هذه، أي "لا" النافية للجنس. ومصطلح (لا النافية للجنس) مصطلح بصري، أما الكوفيون فيسمونها (لا التبرئة). وإنما سميت (لا) التبرئة؛ لتبرئة أفراد الجنس عن حكم الخبر. راجع: شرح التسهيل، ج 2، ص 53. ومغني اللبيب، ج 1، ص 262. وهمع الهوامع، ج 2، ص 118. وشرح الأشموني، ج 1، ص 148.

2- ورد في أغلب نسخ المخطوط "التبرية"، ولعل مرد ذلك التأثر برواية ورش التي تسهل الهمزة، وهي الرواية السائدة في بلاد شنقيط.

3- مذهب الكوفيين أن "لا" النافية للجنس تنصب النكرة بغير تنوين، وأما البصريون فلا ينصبونه إلا إذا كان مضافاً أو شبيهاً به، نحو: لا غلامَ رجلٍ حاضرٍ، ولا حسناً فعله قادمٌ. راجع: الإنصاف، ص 310. وأسرار العربية، ص 246.

4- راجع: شرح الأشموني، ج 1، ص 149.

ثُمَّ إِنْ كَانَتْ النَّكْرَةُ مُفْرَدًا أَوْ جَمْعَ تَكْسِيرٍ بُنِيَتْ عَلَى الْفَتْحِ؛ وَإِنْ كَانَتْ جَمْعَ مُؤَنَّثٍ بِالْأَلِفِ وَالتَّاءِ⁽¹⁾ بُنِيَتْ عَلَيْهِ أَوْ عَلَى الْكَسْرِ؛ وَالْفَتْحُ أَوْلَى⁽²⁾. وَإِنْ كَانَتْ مُثَنًى أَوْ مَجْمُوعًا عَلَى حَدِّهِ⁽³⁾ بُنِيَتْ عَلَى الْيَاءِ. وَإِنْ كَانَتْ مُضَافًا أَوْ شَبِيهَا بِهِ - وَهُوَ مَا اتَّصَلَ بِهِ شَيْءٌ مِنْ تَمَامٍ مَعْنَاهُ⁽⁴⁾ - أُعْرِبَتْ بِالنَّصْبِ؛ لَكِنْ يَجِبُ تَنْوِينُ الشَّيْبَةِ عِنْدَ الْبَصْرِيِّينَ، وَيَجُوزُ عِنْدَ الْبَغْدَادِيِّينَ⁽⁵⁾.

فَالْمُفْرَدُ وَجَمْعُ التَّكْسِيرِ، نَحْوُ: لَا رَجُلَ فِي الدَّارِ، وَلَا رِجَالَ فِيهَا. وَجَمْعُ الْمُؤَنَّثِ بِالْأَلِفِ وَالتَّاءِ، كَقَوْلِهِ: إِنَّ الشَّبَابَ الَّذِي مَجَّدُ عَوَاقِبُهُ فِيهِ نَلْدٌ وَلَا لَذَاتٌ لِلشَّيْبِ⁽⁶⁾

- 1- ورد في (و) لفظ "بالألف والياء"، والتصحيح من باقي النسخ.
- 2- أوجب المازني والفارسي فتح المؤنث السالم الواقع اسم (لا). راجع: همع الهوامع، ج2، ص200. وشرح الأشموني، ج1، ص151.
- 3- قصد الشارح بعبارة "المجموع على حدِّه" ما ألحق بالجمع السالم. راجع: شرح التصريح، ج2، ص212.
- 4- أي ما اتصل به شيء من تمام معنى المضاف، كما سيمثل له الشارح لاحقا.
- 5- راجع: همع الهوامع، ج2، ص204.
- 6- البيت لسلامة بن جندل السعدي، وهو شاعر جاهلي. ومعناه: إذا تعقبت أمور الشباب وجدت في عواقبه العزَّ، وليس في الشيب ما ينتفع به، إنما فيه الهرم والعلل. والشاهد قوله «لا لذات» فهو جمع مؤنث سالم وقد وقع اسما لـ "لا" النافية للجنس، ووردت فيه روايتان: الأولى بالفتح، والثانية بالكسر، فيدل مجموع هاتين الروايتين على أنَّ جمع المؤنث السالم إذا وقع اسما لـ (لا) جاز فيه أمران البناء على الفتح، والبناء على الكسر نيابة عن الفتحة، كما هو الحال حين يكون معربا منصوبا. وقوله "مجد عواقبه" مجد: خبر مقدم. وعواقبه: مبتدأ مؤخر. راجع: المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية (الشواهد الكبرى)، ج2، ص788. وخزانة الأدب، ج4، ص27. وهمع الهوامع، ج2، ص201.

رُوي بِالْوَجْهَيْنِ⁽¹⁾.

وَالْمُثْنَى وَالْمَجْمُوعُ عَلَى حَدِّهِ، كَقَوْلِهِ:

تَعَزَّ فَلَا إِلْفَيْنَ بِالْعَيْشِ مُتَعَا وَلَكِنْ لِيُورَادِ الْمُنُونِ تَتَائُعُ⁽²⁾
وَكَقَوْلِهِ:

يُحْشَرُ النَّاسُ لَا بَنِينَ وَلَا آ بَاءَ إِلَّا وَقَدْ عَنَتُهُمْ شُؤُونُ⁽³⁾
وَالْمُضَافُ وَشِبْهُهُ، نَحْوُ: لَا غُلَامَ سَفَرٍ حَاضِرٍ، وَلَا طَالِعًا جَبَلًا حَاضِرًا⁽⁴⁾.

فَإِنْ لَمْ تُبَاشِرْهَا أَيُّ لَمْ تُبَاشِرْ "لَا" النَّكِرَةَ - بِأَنْ فُصِّلَ بَيْنَهُمَا بِالْخَبَرِ مَثَلًا -
وَجَبَ الرِّفْعُ فِي جَمِيعِ مَا ذُكِرَ، وَالتَّنْوِينُ فِي غَيْرِ الْمُضَافِ، وَوَجَبَ تَكَرُّارُ "لَا"
وَتَكُونُ حِينَئِذٍ مُلْغَاةً، أَيُّ غَيْرَ عَامِلَةٍ، نَحْوُ: لَا فِي الدَّارِ رَجُلٌ وَلَا امْرَأَةٌ؛ وَمِنْهُ:
﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾⁽⁵⁾.

1- أي أن تاء (لذات) يصح فيه الفتح والكسر.

2- غير منسوب. التتايع: التهافت والوقوع في الأمر من غير فكرة ولا روية. والشاهد «إلفين»
فإنه وقع اسما لـ«لا» النافية للجنس، وهو مثنى، فيبنى على ما كان ينصب عليه. راجع:
المقاصد النحوية، ج2، ص792. وهمع الهوامع، ج2، ص200. وشرح الأشموني،
ج1، ص150. ولسان العرب، ج8، ص38.

3- في الأصل "علتهم شئون". والبيت غير منسوب. والشاهد "لا بنين" حيث جاء اسم
«لا» جمعا، فبنى على الياء. خلافا للمبرد الذي يرى أن المثنى وجمع المذكر السالم يعربان
إذا كانا اسم «لا» النافية للجنس. راجع: المقاصد النحوية، ج2، ص793. وهمع الهوامع،
ج2، ص200. وشرح الأشموني، ج1، ص150.

4- راجع: مغني اللبيب، ج1، ص262.

5- سورة الصافات، الآية 47.

وَأِنْ تَكَرَّرَتْ "لَا" مَعَ الْمُبَاشَرَةِ وَكَانَ اسْمُهَا يُعْرَبُ بِالْحَرَكَاتِ لَوْ أُعْرِبَ غَيْرُ مُضَافٍ وَلَا شَبِيهِ بِهِ، كَ(لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ)⁽¹⁾؛ جَازَ فِيهَا خَمْسَةٌ أَوْجُهٍ⁽²⁾: الْأَوَّلُ إِعْمَالُهَا فِي الْمَوْضِعَيْنِ⁽³⁾، وَالثَّانِي إِلْغَاؤُهَا فِيهِمَا؛ فَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ: لَا رَجُلٌ فِي الدَّارِ وَلَا امْرَأَةٌ، بِإِعْمَالِهَا فِيهِمَا؛ وَبِهِ قُرِئَ: ﴿لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا حُلَّةً﴾⁽⁴⁾. وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ: لَا رَجُلٌ فِي الدَّارِ وَلَا امْرَأَةٌ، بِإِلْغَائِهَا فِيهِمَا؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ:

فَمَا هَجَرْتُكَ حَتَّى قُلْتَ مُعْلِنَةً لَا نَاقَةَ لِي فِي هَذَا وَلَا جَمَلَ⁽⁵⁾
وَالْوَجْهُ الثَّلَاثُ إِعْمَالُ الْأُولَى وَإِلْغَاءُ الثَّانِيَةِ، كَقَوْلِهِ:
هَذَا وَجَدْتُكُمْ الصَّغَارُ بِعَيْنِهِ لَا أُمُّ لِي إِنْ كَانَ ذَاكَ وَلَا أَبُ⁽⁶⁾

1- سيأتي توضيح هذا المثال لاحقا، إن شاء الله.

2- راجع: شرح الأشموني، ج 1، ص 152.

3- عبارة "في الموضعين" ساقطة من (ج). والمقصود به ما بعد كل من "لا" الأولى والثانية.

4- سورة البقرة، الآية 254. وقد قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وابن محيصن والحسن واليزيدي، بالفتح من غير تنوين، جاعلين (لا) نافية للجنس. أما عاصم وحمزة والكسائي وابن عامر ونافع وأبو جعفر فقد قرأوا بالرفع والتنوين، على جعل (لا) عاملة عمل (ليس) نافية للوحدة. راجع: معجم القراءات، ج 1، ص 359.

5- البيت لعبيد بن حصين، المعروف بالراعي النُميري. وعجز البيت مثل يضرب عند التبري من الأمر، والتخلي عنه. والشاهد: رفع ما بعد «لا» على الابتداء والخبر؛ وذلك لتكرارها، ولو نَصِبَ على الإعمال لجاز، والرفع أكثر؛ لأن ذلك جواب لمن قال: ألك في هذا ناقة أو جمل؟ فقلت: لا ناقة لي في هذا ولا جمل، فجري ما بعد «لا» في الجواب مجراه في السؤال. راجع: المقاصد النحوية، ج 2، ص 795. وشرح المفصل، ج 2، ص 111. وشرح الأشموني، ج 1، ص 152.

6- ينسب البيت لهما بن مرة، وينسب لضمرة بن ضمرة بن قطن، وينسب لغيرهما. والشاهد "ولا أب" وفيه ثلاثة أوجه؛ الأول: "ولا" الواو: عاطفة، "لا" زائدة للتوكيد، أي توكيد النفي.

والرَّابِعُ عَكْسُ هَذَا⁽¹⁾، كَقَوْلِهِ:

فَلَا لَغَوٌ وَلَا تَأْثِيمٌ فِيهَا وَمَا فَاهُوا بِهِ أَبَدًا مُقِيمٌ⁽²⁾
والخامس - وهو أضعفها - إِعْمَالُ الْأُولَى وَنَصْبُ مَا بَعْدَ الثَّانِيَةِ، كَقَوْلِهِ:
لَا نَسَبَ الْيَوْمَ وَلَا خُلَّةً اتَّسَعَ الْخَرْقُ عَلَى الرَّاقِعِ⁽³⁾

أب: معطوف على محل "لا" مع اسمها. والوجه الثاني: "لا" نافية عاملة عمل ليس. أب:
اسمها. والوجه الثالث: "لا" مهملة غير عاملة. أب: مبتدأ؛ فهذه الوجوه الثلاثة يخرج عليها
رفع الاسم الواقع بعد «لا» الثانية إذا كان الاسم الواقع بعد «لا» الأولى، مفتوحا. راجع:
المقاصد النحوية، ج2، ص797. وشرح المفصل، ج2، ص108. وهمع الهوامع، ج5،
ص288.

1- أي الوجه الرابع من الوجوه التي تجيء عليها "لا" النافية للجنس مكررة، حين يكون
اسمها يعرب بالحركات لو أعرب غير مضاف ولا شبيه به؛ أي أن الوجه الرابع تُلغى فيه "لا"
الأولى وتُعمل الثانية، فهو عكس الوجه الثالث الذي تُعمل فيه الأولى وتُلغى الثانية.
2- البيت لأمية بن أبي الصلت، وهو من قصيدة يذكر فيها أوصاف الجنة وأهلها وأحوال
يوم القيامة. والشاهد: قوله «فلا لغو ولا تأثيم فيها» حيث رفع الاسم الواقع بعد «لا» الأولى
على أن «لا» مهملة، وفتح الاسم الواقع بعد «لا» الثابتة على أنها «لا» النافية للجنس
عاملة عمل (إن). ويجوز أن يكون رفع ما بعد «لا» الأولى على أنها عاملة عمل ليس
والمرفوع اسمها. راجع: المقاصد النحوية، ج2، ص801. وشرح الأشموني، ج1،
ص152. وهمع الهوامع، ج5، ص288.

3- نسب لأنس بن العباس بن مرداس، وقيل لجده أبي عامر. والخلة: بضم الخاء، الصداقة،
وقد تطلق على الصديق نفسه. يقول: أنه لا ينفع فيما جرى بيننا من أسباب القطيعة، نسب
ولا صداقة؛ لأن الخطب قد تفاقم حتى صعب رتقه. الشاهد «ولا خلة» بالتونين، حيث
عطف «خلة» بالنصب على محل اسم «لا» الأولى المبني على الفتح في محل نصب
بتقدير «لا» الثانية زائدة، لتأكيد النفي؛ وقيل: «خلة» اسم «لا» مبني على الفتح، والتونين
للضرورة، وخبرها محذوف. راجع: المقاصد النحوية، ج2، ص804. وشرح الأشموني،

فَإِنْ عَطَفْتَ وَلَمْ تُكْرَرْ "لَا"⁽¹⁾ وَجَبَ فَتْحُ الْأَوَّلِ عَلَى إِعْمَالِهَا، وَجَازَ فِي الثَّانِي النَّصْبُ عَطْفًا عَلَى مَحَلِّ الْأَوَّلِ فَقَطْ؛ وَالرَّفْعُ عَطْفًا عَلَى مَحَلِّهِ مَعَ "لَا"، وَبِهِمَا رُيَ قَوْلُهُ:

فَلَا أَبَ وَابْنًا مِثْلَ مَرْوَانَ وَابْنِهِ إِذَا هُوَ بِالْمَجْدِ ارْتَدَى وَتَأَزَّرَا⁽²⁾

ج1، ص151. وشرح المفصل، ج2، ص93. وهمع الهوامع، ج5، ص288. والبيت يمثل آخر الوجوه الخمسة التي تجي عليها «لا» إذا تكررت وتكرر اسمها، وهو ما مثل له الشارح بـ «لا حول ولا قوة إلا بالله» فإنها تأتي على الوجوه الخمسة الآتية:

- . لا حول ولا قوة: بفتح الاثنين «لا لغو فيها ولا تأثيم».
- . لا حول ولا قوة: بفتح الأول ورفع الثاني «لا أم لي إن كان ذاك ولا أب».
- . لا حول ولا قوة: بفتح الأول ونصب الثاني «لا نسب اليوم ولا حُلَّة».
- . لا حول ولا قوة: رفع الأول وفتح الثاني «فلا لغو ولا تأثيم».
- . لا حول ولا قوة: رفع الأول والثاني «لا بيع فيه ولا حُلَّة».

1- انفردت (أ) بلفظ "تكرر"، وفي نسخ المخطوط الأخرى ورد لفظ "تكرر".

2- البيت منسوب للفرزدق، ولرجل من عبد مناة بن كنانة. والبيت في مدح مروان ابن الحكم، وابنه عبد الملك؛ وكنى بارتدائه المجد وتأزره به، عن ثبوته له. وأفرد الضمير فقال «إذا هو» مع أن حقه التثنية فيقول «إذا هما ارتديا»؛ ارتكانا على فهم السامع وتعويلا على أن إسناد الشيء إلى أحدهما كإسناده إليهما جميعا، إذ كان الغرض مدحهما معا. و(لا) نافية للجنس، أب: اسمها مبني على الفتح، وابنا: معطوف على محل اسم لا ويجوز فيه الرفع عطفا على محل «لا واسمها وخبرها» فهما في محل رفع على الابتداء. "مثل" يروى بالرفع خبر «لا»، وبالنصب نعت لاسم «لا» وخبرها محذوف. وإذا: بمعنى (إذ) الدالة على التعليل. هو: فاعل لفعل محذوف يفسره ما بعده. والشاهد: "فلا أب وابتأ" حيث عطف ابنا بالنصب على اسم «لا»، ويجوز فيه الرفع عطفا على محل لا واسمها، ومحلها الابتداء. راجع: المقاصد النحوية، ج2، ص806. وشرح المفصل، ج2، ص94.

وَيَكْثُرُ حَذْفُ خَبَرِهَا إِنْ دَلَّ عَلَيْهِ دَلِيلٌ، نَحْوُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ أَيْ فِي الْوُجُودِ.
وَلَا سَيْفَ إِلَّا ذُو الْفَقَارِ، وَلَا فَتَى إِلَّا عَلِيٌّ⁽¹⁾؛ أَيْ لَنَا أَوْ مَوْجُودٌ. ﴿وَقَالُوا
لَا ضَيْرَ﴾⁽²⁾؛ أَيْ عَلَيْنَا. وَإِلَّا فَلَا⁽³⁾، نَحْوُ: {لَا أَحَدَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ}⁽⁴⁾، وَقَوْلُهُ:
إِذَا اللَّقَاحُ غَدَتْ مُلْقَى أَصْرَتُهَا وَلَا كَرِيمَ مِنَ الْوِلْدَانِ مَصْبُوحٌ⁽⁵⁾

1- ذو الفقار اسم سيف علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه). وحديث (لا فتى إلا علي، لا سيف إلا ذو الفقار) لا أصل له، فهو من الأحاديث المكذوبة باتفاق أهل العلم بالحديث. راجع: كتاب الموضوعات، الإمام ابن الجوزي، المكتبة السلفية، المدينة المنورة - 1966، ج1، ص382.

2- سورة الشعراء، الآية 50.

3- أي أن خبر "لا" لا يحذف إذا لم يدل عليه دليل.

4- حديث صحيح مروي بصيغ مختلفة. راجع: صحيح البخاري، ص1141.

5- البيت لرجل من بني النبيت بن مالك يفخر بقومه حين الجذب، حيث يكونون كرماء. والشاهد فيه ذكر خبر "لا" النافية، لكونه ليس يُعلم إذا حُذف، وقد يحذف إذا دل عليه دليل، كقولهم: لا بأس. ولا ضير. راجع: المقاصد النحوية، ج2، ص819. وشرح الأشموني، ج1، ص154.

بَابُ الْمَنَادَى⁽¹⁾

وَحُرُوفُ النَّدَاءِ ثَمَانِيَةٌ، وَهِيَ: (الْهَمْزَةُ) وَ (أَيُّ) مَقْصُورَتَيْنِ أَوْ مَمْدُودَتَيْنِ⁽²⁾، وَ (يَا)، وَ (أَيَا)، وَ (هَيَا)، وَ (وَآ). فَالْهَمْزَةُ لِلْقَرِيبِ إِلَّا أَنْ يُنْزَلَ مَنْزِلَةُ الْبَعِيدِ⁽³⁾؛ فَلَهُ بَقِيَّةُ الْحُرُوفِ، كَمَا أَنَّهَا⁽⁴⁾ لِلْبَعِيدِ. وَ (وَآ) لِلْمَنْدُوبِ وَهُوَ الْمُتَوَجَّعُ مِنْهُ أَوْ عَلَيْهِ: كَ (وَآ) رَأْسَاهُ) وَ (وَآ زَيْدَاهُ). وَتَتَعَيَّنُ (يَا) فِي نِدَاءِ اسْمِ اللَّهِ وَفِي الْمُسْتَعَاثِ: كَيَا اللَّهُ⁽⁵⁾ وَيَا لِلَّهِ لِلْمُسْلِمِينَ⁽⁶⁾؛ وَفِي⁽⁷⁾ "أَيُّهَا" وَ "أَيَّتُهَا"؛ وَفِي الْحَذْفِ⁽⁸⁾.

1- النداء من خواص الأسماء؛ وهو رفع الصوت بالمنادى - طالبًا إقباله عليك - بحرف من حروف النداء التي هي نائبة عن فعل لا يظهر أبدًا؛ لأنه لو ظهر لكان خبرًا والنداء طلبًا. راجع: المرتجل في شرح الجمل، عبد الله بن أحمد ابن الخشاب، تحقيق: علي حيدر، دمشق - 1972، ص 191.

2- انفردت (م) بالعطف بـ (أو) بينما ورد العطف بالواو في نسخ المخطوط الأخرى. والمقصورتان هما اللتان ذكرهما الشارح، أما الممدودتان فهما (آ) و (أي). راجع: همع الهوامع، ج 3، ص 35.

3- لنومه أو سهره أو ارتفاع محله وانخفاضه؛ كنداء العبد لربه فإنه لا يناديه إلا بـ "يا" ونحوها لارتفاع الرتبة. المرجع السابق، ج 3، ص 32.

4- الضمير في قوله "أنها" عائد إلى بقية حروف النداء، فهي للبعيد باستثناء الهمزة.

5- لفظ الجلالة (الله) منادى تُقَطَّعُ همزته، لأن حرف التعريف صار كجزء من الكلمة. راجع: المقتضب، ج 4، ص 239.

6- ذلك أن (يا) هي أم باب النداء. راجع: شرح التصريح، ج 2، ص 206.

7- أي أن (يا) تتعين كذلك في "أيها" و "أيتها" وفي الحذف.

8- أي لا يحذف من حروف النداء إلا "يا"، كقوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ [يوسف: 29]،

وَالْمُنَادَى خَمْسَةُ أَنْوَاعٍ: الْمَفْرَدُ الْعَلَمُ (وَالْمُرَادُ بِهِ مَا لَيْسَ مُضَافًا وَلَا شَبِيهًا بِهِ)⁽¹⁾؛ وَالنَّكِرَةُ الْمَقْصُودَةُ بِالنِّدَاءِ؛ وَالنَّكِرَةُ غَيْرُ الْمَقْصُودَةِ بِهِ؛ وَالْمُضَافُ؛ وَالْمُشَبَّهُ بِالْمُضَافِ وَهُوَ مَا اتَّصَلَ بِهِ شَيْءٌ مِنْ تَمَامِ مَعْنَاهُ. فَأَمَّا⁽²⁾ الْمَفْرَدُ الْعَلَمُ وَالنَّكِرَةُ الْمَقْصُودَةُ، فَيُبْنَيَانِ عَلَى الضَّمِّ مِنْ غَيْرِ تَنْوِينٍ حَيْثُ كَانَا؛ يُرْفَعَانِ بِالضَّمِّ لَوْ أُعْرِبَا، وَإِلَّا بُنِيَا عَلَى مَا يُرْفَعَانِ بِهِ مِنْ أَلِفٍ أَوْ وَاوٍ. فَالْمَفْرَدُ الْعَلَمُ نَحْوُ: يَا زَيْدُ، وَيَا زَيْدَانَ، وَيَا زَيْدُونَ. فَإِنْ كَانَ مَبْنِيًّا قَبْلَ النِّدَاءِ كَسَيِّبَوَيْهِ، وَحَذَامِ فِي لُغَةِ الْحِجَازِيِّينَ = قُدِّرَتْ فِيهِ الضَّمَّةُ؛ وَيُظْهَرُ أَثَرُ ذَلِكَ فِي تَابِعِهِ، (كَيَا سَيِّبَوَيْهِ الْعَاقِلُ، وَيَا حَذَامِ الْعَاقِلَةَ)⁽³⁾. وَالنَّكِرَةُ الْمَقْصُودَةُ نَحْوُ: "يَا رَجُلُ" تُرِيدُ رَجُلًا مُعَيَّنًا، وَكَيَا رَجُلَانِ، وَيَا رُجُلُونَ. (وَأَجَازَ الْفَرَّاءُ نَصَبَ مَا وُصِفَ مِنَ النَّكِرَةِ

وقد جعل ابن الخشاب حروف النداء خمسة فقط، هي: (يا) وهي للقريب وللبعيد، و(أي) للقريب، و(الهمزة) لما هو أقرب، و(أيا) للبعيد، و(هيا) لما هو أبعد. راجع: المرتجل في شرح الجمل، ص 191.

1- انفردت (م) بما بين القوسين.

2- انفردت (ج) بلفظ "فالمفرد..."، وفي نسخ المخطوط الأخرى ورد فيها لفظ "فأما المفرد...".

3- انفردت (م) بما بين القوسين. والمفرد هنا وفي باب (لا) يقابله المضاف وشبهه، ويعم المثني والمجموع. والمنادى المعرفة مبني على ما يرفع به، نحو: يا رجل، يا رجال، يا هندات، يا رجالان، يا زيدان، يا زيدون؛ فتبينهن على الضمة، والألف والواو نائبة عنها. راجع: شرح التصريح، ج 2، ص 211.

الْمَقْصُودَةِ⁽¹⁾؛ وَيُؤَيِّدُهُ مَا رُؤِيَ مِنْ قَوْلِهِ (ﷺ) فِي سُجُودِهِ: {يَا عَظِيمًا يُرْجَى لِكُلِّ عَظِيمٍ} (2).

وَالثَّلَاثَةُ الْبَاقِيَةُ وَهِيَ: النَّكِرَةُ غَيْرُ الْمَقْصُودَةِ، وَالْمُضَافُ، وَالْمُشَبَّهُ بِهِ؛ مَنْصُوبَةٌ لَا غَيْرُ. فَالنَّكِرَةُ غَيْرُ الْمَقْصُودَةِ كَقَوْلِ الْوَاعِظِ: يَا غَافِلًا وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ، وَقَوْلِ الْأَعْمَى: يَا رَجُلًا خُذْ بِيَدِي. وَالْمُضَافُ كَيَا عَبْدَ اللَّهِ، وَيَا رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ)؛ وَأَجَازَ فِيهِ ثَعْلَبُ الضَّمِّ إِذَا كَانَتْ إِضَافَتُهُ غَيْرَ مَحْضَةٍ: كَيَا حَسَنَ الْوَجْهِ (3). وَالْمُشَبَّهُ بِالْمُضَافِ: كَيَا جَمِيلًا صُنْعُهُ، وَيَا فَاعِلًا مَا يَشَاءُ، وَيَا رَفِيقًا بِالْعِبَادِ (4).

وَيَجُوزُ فِي الْعَلَمِ إِذَا كَانَ مُفْرَدًا، مَوْصُوفًا بِابْنٍ أَوْ ابْنَةٍ مُتَّصِلٍ بِهِ، مُضَافٍ إِلَى عِلْمٍ؛ أَنْ يُضَمَّ وَيُفْتَحَ، ك(يَا زَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ) بِضَمِّ دَالٍ "زَيْدٍ" وَفَتْحِهِ (5). وَكَذَا إِذَا كَانَ مُكْرَّرًا مُضَافًا، كَقَوْلِهِ:

1- شرح التصريح، ج2، ص215.

2- ما بين القوسين ساقط من (ج)، ومُستدرَك في الهامش الأيمن من (أ)؛ وقد تكرر هذا الأمر ذاته في مواضع من النسختين المذكورتين، وهو ما يوحى بأن (أ) ربما تكون الأصل الذي نُسخَت منه (ج) فأغفل ناسخ الأخيرة ما ورد في هوامش الأولى. أو لعل أصل النسختين واحد، إلا أن (أ) حظيت من التدقيق والمقابلة على الأصل بما لم تحظ به (ج).

3- راجع: شرح التصريح، ج2، ص214.

4- الشبيه بالمضاف هو الذي يكون ما بعده من تمام معناه بعمل أو عطف، وإن شئت قلت: هو الذي يعمل في ما بعده إما رفعًا أو نصبًا أو جرًا. كالأمثلة التي أوردها الشارح.

5- المرجع السابق، ج2، ص216.

فَيَا سَعْدُ سَعْدَ الْأَوْسِ كُنْ أَنْتَ نَاصِرًا وَيَا سَعْدُ سَعْدَ الْخَزْرَجِينَ الْغَطَارِفِ (1)

وَيَجِبُ رَفْعُ صِفَةٍ (2) "أَيُّ" و"أَيَّةُ" (3) فِي النَّدَاءِ إِنْ عُرِفَ بِ"أَلْ": كَمَا ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ (4) وَ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ﴾ (5)؛ وَكَذَا نَعْتُ اسْمِ الْإِشَارَةِ الْمُتَوَصِّلِ بِهِ لِنَدَاءِ الْمُعَرَّفِ بِهَا: كَمَا "يَا هَذَا الرَّجُلُ".

كَمَا يَجِبُ نَصْبُ تَابِعِ الْمُنَادَى الْمَضْمُونِ إِنْ كَانَ نَعْتًا أَوْ بَيَانًا (6) أَوْ تَوْكِيدًا، وَكَانَ مُضَافًا مُجَرَّدًا مِنْ "أَلْ"؛ كَمَا زَيْدٌ صَاحِبَ عَمْرٍو، وَيَا عَمْرُو أَبَا بَشَرٍ، وَيَا تَمِيمُ كُلَّكُمْ. فَإِنْ كَانَ غَيْرَ مُضَافٍ أَوْ مُضَافًا غَيْرَ مُجَرَّدٍ مِنْهَا (7)، جَازَ فِيهِ الرَّفْعُ وَالنَّصْبُ: كَمَا (يَا زَيْدُ الْعَاقِلُ) (8)، وَيَا سَعِيدُ كُرْزٍ (9)، وَيَا تَمِيمُ أَجْمَعُونَ، وَيَا زَيْدُ

1- ينسب لهاتف من الجن بمكة أوان الهجرة، ولما سمعته قريش علمت أين توجه النبي (ﷺ). راجع: السيرة النبوية، أبو الفداء إسماعيل ابن كثير، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت - 1976، ج2، ص207. وشرح التصريح، ج2، ص220.

2- الصفة والنعت لفظان مترادفان. وقد عبّر الشارح هنا بمصطلح الكوفيين، وسيعبر لاحقاً بمصطلح النعت الذي هو عبارة البصريين.

3- لفظ "وأية" ساقط من (ج).

4- سورة النساء، الآية 1.

5- سورة الفجر، الآية 27.

6- يقصد الشارح عطف البيان.

7- أي غير مجرد من (أل).

8- المثال المحصور بين قوسين ساقط من (ج).

9- الكُرْزُ: ضَرْبٌ مِنَ الْجَوْلِقِ، وَقِيلَ: هُوَ الْجَوْلِيُّ الصَّغِيرُ، وَقِيلَ: هُوَ الْخُرْجُ، وَقِيلَ: الْخُرْجُ الْكَبِيرُ يَحْمِلُ فِيهِ الرَّاعِي زَادَهُ وَمَتَاعَهُ. وَسَعِيدُ كُرْزٍ: لَقَبٌ. راجع: شرح المفصل، ج1، ص107. ولسان العرب، ج5، ص399.

الْحَسَنَ الْوَجْهَ؛ بِالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ فِي الْأَرْبَعِ⁽¹⁾. وَكَذَا النَّسْقُ⁽²⁾ إِنَّ قُرْنَ بِ"أَل"، كَيَا زَيْدُ وَالْغُلَامُ، وَقُرَى بِالْوَجْهَيْنِ: ﴿يَا جِبَالَ أَوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾⁽³⁾؛ وَإِلَّا فَحُكْمُهُ وَحُكْمُ الْبَدَلِ - وَإِنْ تَبَعًا غَيْرَ الْمَضْمُونِ - كَحُكْمِهِمَا مُنَادَيْنِ، كَيَا زَيْدُ وَبَشْرُ، وَيَا زَيْدُ بَشْرُ؛ وَيَا عَبْدَ اللَّهِ وَمُحَمَّدُ، وَيَا عَبْدَ اللَّهِ مُحَمَّدُ؛ (وَيَا زَيْدُ وَأَبَا بَكْرٍ، وَيَا زَيْدُ أَبَا بَكْرٍ؛ وَيَا عَبْدَ اللَّهِ وَأَبَا مُحَمَّدٍ، وَيَا عَبْدَ اللَّهِ أَبَا مُحَمَّدٍ)⁽⁴⁾.

1- جاء العدد في (ج) بلفظ "الثلاث" انسجاما مع ما ذكرتُ آنفا من كون أحد الأمثلة ساقطا منها.

2- يقصد الشارح عطف النسق.

3- سورة سبأ، الآية 10. وقد قُرئ لفظ (الطير) في الآية مرفوعا عطفا على لفظ (يا جبال) أو على الضمير المستكن في (أوبي)، واختار الرفع الخليل وسيبويه والمازني. كما قرئ اللفظ ذاته منصوبا عطفا على محل (الجبال)، واختار النصب أبو عمرو وعيسى بن عمر ويونس والجرمي. راجع: معجم القراءات، ج7، ص340.

4- انفردت (ج) بما بين القوسين من أمثلة. وراجع: شرح التصريح، ج2، ص227.

بَابُ الْمَفْعُولِ مِنْ أَجْلِهِ

وَيُسَمَّى الْمَفْعُولَ لَهُ، وَلَأَجْلِهِ. وَهُوَ الْإِسْمُ الْمَنْصُوبُ الَّذِي يُذَكَّرُ بَيَانًا لِسَبَبِ وَقُوعِ الْفِعْلِ، وَيُشْتَرَطُ عَلَى الْأَصَحِّ كَوْنُهُ مَصْدَرًا قَلْبِيًّا؛ مُتَّحِدًا بِعَامِلِهِ وَقَتًا وَفَاعِلًا⁽¹⁾. ثُمَّ هُوَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ مُجَرَّدًا مِنْ "أَل" وَالْإِضَافَةِ؛ أَوْ مُتَلَبِّسًا بِأَحَدِهِمَا. فَالْمُجَرَّدُ نَحْوُ قَوْلِكَ: قَامَ زَيْدٌ إِجْلَالًا لِعَمْرٍو، وَقَعَدَ عَنِ الْحَرْبِ جُبْنًا، وَجِئْتُكَ رَغْبَةً فِي مَعْرُوفِكَ. وَالْمُضَافُ نَحْوُ: قَصَدْتُكَ ابْتِغَاءَ مَعْرُوفِكَ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾⁽²⁾. وَالْمُعَرَّفُ بِـ"أَل" كَقَوْلِهِ:

لَا أَقْعُدُ الْجُبْنَ عَنِ الْهَيْجَاءِ وَلَوْ تَوَالَتْ زُمُرُ الْأَعْدَاءِ⁽³⁾
وَمَتَى فَقَدْ شَرُطُ مِنَ الشُّرُوطِ الْأَرْبَعَةِ وَجَبَ جَرُّهُ بِحَرْفِ التَّغْلِيلِ⁽⁴⁾، نَحْوُ: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾⁽⁵⁾، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَاقٍ﴾⁽⁶⁾، وَقَوْلِهِ:

1- المصدر القلبي هو الذي يكون من أفعال النفس الباطنة لا من أفعال الجوارح، والمقصود باتحاد المصدر بعامله أن يكون متحدًا مع الفعل في الزمان والفاعل، سببًا لوقوع الفعل؛ فهذه هي الشروط التي جعلها الشارح هي الأصح مقابل من جعلوها أكثر من ذلك. راجع: شرح التصريح، ج 1، ص 509. وجمع الهوامع، ج 3، ص 132.

2- سورة البقرة، الآية 265.

3- رجز مجهول القائل، والشاهد فيه جواز نصب المفعول من أجله المحلى بـ(أَل) والأكثر فيه أن يكون مجرورًا. راجع: شرح التصريح، ج 1، ص 513. وجمع الهوامع، ج 3، ص 134. والمقاصد النحوية، ج 3، ص 1056.

4- جعل بعضهم شروطه سبعة. وحرف التعليل الذي ذكره الشارح هنا يعني به اللام أو (من) والباء لأنهما في معنى اللام. راجع: جمع الهوامع، ج 3، ص 131. وشرح التفصيل، ج 5، ص 128.

5- سورة الرحمن، الآية 10.

6- سورة الأنعام، الآية 151.

فَجِئْتُ وَقَدْ نَضْتُ لِنَوْمٍ ثِيَابَهَا لَدَى السِّتْرِ إِلَّا لِبَسَةَ الْمُتَفَضِّلِ (1)
وَقَوْلُهُ:

وَإِنِّي لَتَعْرُونِي لِذِكْرِكَ هَزَّةٌ كَمَا انْتَفَضَ الْعُصْفُورُ بِلَلِّهِ الْقَطْرُ (2)

وَيَجُوزُ جَرُّهُ مَعَ اسْتِيفَاءِ الشُّرُوطِ؛ قَلِيلًا فِي الْمَجَرَّدِ، كَقَوْلِهِ:
مَنْ أَمَّكُمْ لِرَغْبَةٍ فِيكُمْ ظَفِرٌ وَمَنْ تَكُونُوا نَاصِرِيهِ يَنْتَصِرُ (3)
وَكَثِيرًا فِي الْمُعَرَّفِ بِـ"أَلْ": كَجَاءَ زَيْدٌ لِلطَّاعَةِ. وَمُسَاوِيًا فِي الْمُضَافِ: كَبَكَى مِنْ
خَشْيَةِ اللَّهِ.

1- البيت لامرئ القيس. والشاهد قوله «لنوم» فإن النوم علة لخلع الثياب، وفاعل الخلع والنوم واحد، ولكن زمانهما غير واحد؛ لأنها تخلع ثيابها قبل النوم؛ ولذلك وجب جره باللام الدالة على التعليل، ولم يجز أن يكون منصوبا؛ لأن شرط نصب المفعول لأجله اتحاده مع فعله في الزمن. راجع: شرح التصريح، ج 1، ص 512. وشرح الأشموني، ج 1، ص 216. وهمع الهوامع، ج 3، ص 132.

2- البيت لأبي صخر الهذلي. والشاهد قوله "لذكرك" فإن اللام فيه للتعليل وهي في مقام المفعول من أجله، وإنما ظهرت اللام فيه لانعدام بعض شروط نصب باللام المقدرة وهي اتحاده بالفاعل؛ ففاعل (لذكرك) هو المتكلم، في حين أن (هزة) هي فاعل (تعروني). راجع: شرح التصريح، ج 1، ص 512. والمقاصد النحوية، ج 3، ص 1055.

3- البيت غير منسوب، وقد روي "جبر" مكان "ظفر". والشاهد فيه "الرغبة" فهو مفعول من أجله مجرد من (أل) وجاء مجرورا والأكثر فيه أن يكون منصوبا. راجع: شرح التصريح، ج 1، ص 513.

بَابُ الْمَفْعُولِ مَعَهُ

وَهُوَ الْإِسْمُ الْمَنْصُوبُ الَّذِي يُذَكِّرُ لِبَيَانِ مَنْ فَعَلَ مَعَهُ الْفِعْلُ. وَشَرْطُهُ أَنْ يَكُونَ تَالِيًا لِوَاوٍ بِمَعْنَى "مَعَ"؛ تَالِيَةً لِحُجْمَلَةٍ ذَاتِ فِعْلٍ، أَوْ اسْمٍ فِيهِ مَعْنَى الْفِعْلِ وَخُرُوفُهُ⁽¹⁾.

وَنَصْبُهُ عَلَى الْمَعْيَةِ إِمَّا رَاجِحٌ عَلَى الْعُطْفِ، أَوْ مَرْجُوحٌ لَهُ، أَوْ وَاجِبٌ.

فَالرَّاجِحُ: كَقُمْتُ وَزَيْدًا، وَجَلَسْتُ وَعَمْرًا، وَكَقَوْلِهِ:

فَكُونُوا أَنْتُمْ وَبَنِي أَبِيكُمْ مَكَانَ الْكُلَيْتَيْنِ مِنَ الطَّحَالِ⁽²⁾

وَإِنَّمَا رَجَحَ النَّصْبُ هُنَا لِضَعْفِ الْعُطْفِ مِنْ جِهَةِ الصَّنَاعَةِ فِي الْمِثَالَيْنِ⁽³⁾؛ وَمِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى فِي الْبَيْتِ.

وَالْمَرْجُوحُ نَحْوُ قَوْلِكَ: جَاءَ الْأَمِيرُ وَالْجَيْشُ، وَجَاءَ زَيْدٌ وَعَمْرًا؛ وَإِنَّمَا رَجَحَ الْعُطْفُ هُنَا لِأَنَّهُ الْأَصْلُ وَقَدْ أُمِكنَ بِلَا ضَعْفٍ.

1- راجع: شرح المفصل، ج1، ص451. وشرح الأشموني، ج1، ص216.

2- البيت مختلف في نسبته. وكاف (الكليتين) مضموم، وطاء (الطحال) مكسور. والشاهد «وبني» حيث نصبه على أنه مفعول معه، ولم يرفعه بالعطف على اسم «كونوا»، مع وجود التوكيد بالضمير المنفصل الذي يسوّغ العطف؛ لأن الرفع على العطف يفيد أن "بني أبيهم" مأمورون مثلهم بأن يكونوا منهم مكان الكليتين من الطحال، وليس هذا مراد الشاعر، فلذلك وجب ترجيح النصب؛ ليدل على المعنى المراد. راجع: شرح التصريح، ج1، ص534. وشرح المفصل، ج1، ص437.

3- لأن العطف على ضمير الرفع المتصل من غير فاصل ضعيف. راجع: شرح التصريح، ج1، ص534.

وَالْوَاجِبُ نَحْوُ: اسْتَوَى الْمَاءُ وَالْخَشَبَةُ، وَجَاءَ زَيْدٌ وَطُلُوعُ الشَّمْسِ، وَسِرْتُ
وَالنَّيْلِ، وَأَنَا سَائِرُ وَالنَّيْلِ؛ وَإِنَّمَا وَجَبَ النَّصَبُ هُنَا وَامْتَنَعَ الْعَطْفُ لِعَدَمِ الشَّرَكَةِ فِي
مَعْنَى الْفِعْلِ، وَالْعَطْفُ يَقْتَضِيهَا.

وَيَجِبُ الْعَطْفُ فِي نَحْوِ: كُلُّ رَجُلٍ وَضِيعَتُهُ، وَاشْتَرَكَ زَيْدٌ وَعَمَرُو، وَجَاءَ زَيْدٌ وَعَمَرُو
قَبْلَهُ أَوْ بَعْدَهُ؛ لِعَدَمِ تَقَدُّمِ جُمْلَةٍ فِي الْأَوَّلِ، وَعَدَمِ الْإِسْتِغْنَاءِ بِالْوَاحِدِ فِي الثَّانِي،
وَعَدَمِ الْمُصَاحَبَةِ فِي الثَّلَاثِ.

وَقَدْ يَمْتَنِعُ النَّصَبُ وَالْعَطْفُ مَعًا وَيُقَدَّرُ فِعْلٌ يَنْصَبُ الْإِسْمَ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ بِهِ،
كَقَوْلِهِ:

عَلَفْتُهَا تَبْنًا وَمَاءً بَارِدًا حَتَّى غَدَتْ هَمَّالَةً عَيْنَاهَا⁽¹⁾
وَقَوْلِهِ:

إِذَا مَا الْغَانِيَاتُ بَرَزْنَ يَوْمًا وَزَجَّجْنَ الْحَوَاجِبَ وَالْعُيُونَا⁽²⁾

1- غير منسوب. والشاهد فيه "وماء" فإنه لا يمكن عطفه على "تبناً" لكون العامل في
المعطوف عليه لا يصح تسليطه على المعطوف مع بقاء معنى هذا العامل في حاله؛ لأنَّ
الناقة تُعَلَفُ تَبْنًا، وَلَا تُعَلَفُ تَبْنًا وَمَاءً، إِذِ الْمَاءُ لَا يَكُونُ عِلْقًا. وَلَا يَصِحُّ أَيْضًا أَنْ تَكُونَ مَنْصُوبَةً
عَلَى الْمَعْيَةِ، لِأَنَّ الْمَعْيَةَ تَقْتَضِي الْمَصَاحَبَةَ فِي الزَّمَانِ، وَالنَّاقَةُ لَا تَشْرَبُ الْمَاءَ وَتَأْكُلُ التَّبْنَ فِي
وَقْتُ وَاحِدٍ. وَلَقَدْ شَغَلَ هَذَا الْبَيْتُ أَكْبَارَ الْأُئِمَّةِ فَالْتَقَوْا فِي تَخْرِيجِهِ وَافْتَرَقُوا، وَلَكِنْ مَعْظَمُهُمْ
عَلَى أَنَّ فِعْلَ "عَلَفْتُهَا" مُتَضَمِّنٌ مَعْنَى "قَدِّمْتُ لَهَا"، فَيَصِحُّ الْمَعْنَى عَلَى ذَلِكَ إِذْ يَكُونُ: قَدِّمْتُ
لَهَا تَبْنًا وَمَاءً. راجع: الإِنْصَافُ فِي مَسَائِلِ الْخِلَافِ، ص 488. وَشَرَحَ أَبْيَاتُ مَغْنِي اللَّيْلِ،
ج 7، ص 323. وَشَرَحَ ابْنُ عَقِيلٍ، ج 2، ص 207.

2- البيت للراعي النميري. والشاهد فيه "والعيونا" فهي لا تصلح أن تكون معطوفة على
ما قبلها عطف مفرد على مفرد؛ لانتفاء اشتراك المعطوف - وهو العيون - مع المعطوف
عليه - وهو الحواجب - في العامل، وهو "زججن" لأنَّ التزجيج هو ترقيق الحواجب.
وَلَا يَصْلَحُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ «الْعُيُونُ» مَفْعُولًا مَعَهُ لِأَنَّ الْإِخْبَارَ بِالْمَعْيَةِ هَاهُنَا لَا يَفِيدُ شَيْئًا. وَلِذَلِكَ

(أَيَّ سَقَيْتَهَا مَاءً؛ وَكَحَلْنَ الْعُيُونَ)⁽¹⁾، وَقِيلَ هُوَ مِنْ بَابِ الْعَطْفِ لَكِنْ يُؤَوَّلُ
"عَلَفَتْهَا" بِ"أَنَلَتْهَا"، وَ"زَجَّجْنَ" بِ"حَسَّنَ".

وَأَمَّا خَبَرُ "كَانَ" وَأَخَوَاتِهَا، وَاسْمُ "إِنَّ" وَأَخَوَاتِهَا؛ فَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمَا فِي
الْمَرْفُوعَاتِ، وَكَذَلِكَ التَّوَابِعُ فَقَدْ تَقَدَّمَتْ هُنَاكَ.

وجب واحد من أمرين: الأول: أن يتضمن العامل "زجج" معنى فعل آخر يصلح تسليطه عليهما
مثل "جَمَلْنَ وَحَسَّنَ" وحينئذ يكون الثاني معطوفاً على الأول. والأمر الثاني: أن تجعل
"العيون" مفعولاً به لفعل محذوف تقديره وَكَحَلْنَ. راجع: الإنصاف في مسائل الخلاف،
ص 488. وجمع الهوامع، ج 3، ص 244.

1- ما بين القوسين ساقط من (ج)، ومتدارك في الهامش الأيسر من (أ).

بَابُ مَخْفُوضَاتِ الْأَسْمَاءِ

الْمَخْفُوضَاتُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ⁽¹⁾: مَخْفُوضٌ بِالْحَرْفِ، وَمَخْفُوضٌ بِالْإِضَافَةِ، وَتَابِعٌ لِلْمَخْفُوضِ؛ بِنَاءً عَلَى أَنَّ الْعَامِلَ فِي التَّابِعِ تَبَعِيَّتُهُ؛ وَهُوَ ضَعِيفٌ. وَالْجُمُهُورُ عَلَى أَنَّ الْعَامِلَ فِي الْمَتَّبِعِ هُوَ الْعَامِلُ فِي النَّعْتِ وَالتَّوَكِيدِ وَالْبَيَانِ، بِلاَ وَاسِطَةٍ؛ وَفِي النَّسَقِ بِوَاسِطَةِ حَرْفٍ، وَأَنَّ الْعَامِلَ فِي الْبَدَلِ مَحذُوفٌ⁽²⁾.

فَأَمَّا الْمَخْفُوضُ بِالْحَرْفِ فَمَا يُخَفِّضُ بِوَاحِدٍ مِنْ حُرُوفِ الْجَرِّ الْعِشْرِينَ الَّتِي مِنْهَا مَا تَقَدَّمَ فِي الْإِسْتِثْنَاءِ، وَهُوَ: حَلَا، وَعَدَا، وَحَاشَا⁽³⁾. وَمِنْهَا مَا هُوَ شَادُّ، وَهُوَ: "مَتَى" فِي لُغَةِ هَذِيلٍ؛ وَ"لَعَلَّ" فِي لُغَةِ عُقَيْلٍ⁽⁴⁾؛ وَ"كَيَّ" التَّغْلِيلِيَّةُ إِذَا دَخَلَتْ عَلَى "مَا" الْإِسْتِفْهَامِيَّةِ، أَوْ "مَا" أَوْ "أَنَّ" الْمَصْدَرِيَّتَيْنِ: كَقَوْلِهِ:

1- زاد بعضهم قسما رابعا هو (المخفوض بالمجاورة) كقولهم: هذا جحرٌ ضبٍ خربٍ، ف(خرب) نعت ل(جحر) لكنه لما جاور المخفوض خُفِضَ.

2- راجع: همع الهوامع، ج4، ص153. وشرح المفصل، ج2، ص218.

3- كونها عشرين حرفا هو ما ذهب إليه ابن مالك حين قال في ألفيته المشهورة:

هاك حروفَ الجرِّ، وهي: مِنْ، إِلَى، حَتَّى، حَلَا، حَاشَا، عَدَا، فِي، عَنْ، عَلَى

مُذٌ، مُنْذُ، رَبٌّ، اللَّامُ، كَيَّ، وَآوُ، وَتَا، وَالْكَافُ، وَالْبَاءُ، وَلَعَلَّ، وَمَتَى

أما غير ابن مالك فمنهم من جعلها سبعة عشر فقط. والكوفيون يسمونها حروف الإضافة، وحروف الصفات. راجع: شرح المفصل، ج4، ص458. وشرح ابن عقيل، ج3، ص3. وشرح التصريح، ج1، ص630.

4- لفظ "متى" ساقط من (ج). وراجع في اللغتين المذكورتين: شرح الأشموني، ج2، ص284.

شَرِبْنَ بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمَّ تَرَفَّعَتْ مَتَى لَجَجِ خُضِرَ لَهُنَّ نَيْجٌ⁽¹⁾
أَيُّ: مِنْ لُجَجٍ، وَقَوْلِهِ:

لَعَلَّ اللَّهَ فَضَّلَكُمْ عَلَيْنَا بِشَيْءٍ أَنْ أَمَّكُمْ شَرِيْمٌ⁽²⁾
وَقَوْلِهِمْ إِذَا سَأَلُوا⁽³⁾ عَنْ عِلَّةِ الشَّيْءِ: كَيْمَهُ، أَيُّ لِمَهُ⁽⁴⁾. وَقَوْلِهِ:
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَنْفَعْ فَضُرَّ فَإِنَّمَا يُرَادُ الْفَتَى كَيْمَا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ⁽⁵⁾

1- البيت لأبي ذؤيب الهذلي، يدعو لامرأة اسمها أم عمرو بالسقيا بماء سحب موصوفة بأنها شربت من ماء البحر، وأخذت ماءها من لججه ولها في تلك الحال صوت عال مرتفع. والبيت فيه شاهدان؛ الأول قوله «بماء»، فالباء بمعنى (من) الابتدائية أو على تضمين «شرب» معنى روي، فتكون الباء سببية. والشاهد الثاني "متى لجج" (متى) هنا حرف جرّ، حيث جرّت (لجج) في لغة هذيل، وتكون بمعنى (من) والجار والمجرور بدل من الجار والمجرور الأول (بماء) إذا قدرت الباء بمعنى (من) وإلا فالجار والمجرور متعلقان بـ(شرب). راجع: مغني اللبيب، ج1، ص111. وهمع الهوامع، ج4، ص211. وشرح الأشموني، ج2، ص284.

2- غير منسوب. وشريم: وصف مذموم توصف به المرأة التي شقّ مسلكها فصارا شيئا واحدا. والشاهد هنا "لعلّ الله" حيث نُسب البيت إلى بني عقيل، وهؤلاء يجرّون بـ(لعلّ) فلفظ الجلالة مجرور لفظا مرفوع محلا مبتدأ. وجملة "فضلكم" خبره. أن أمكم: أن ومعموليها في تأويل مصدر مجرور بدل من «شيء». راجع: المقاصد النحوية، ص1197. وشرح الأشموني، ج2، ص284. وخزانة الأدب، ج10، ص423.

3- وردت في (ج) بلفظ "إذا سئلوا"، وهو تحريف؛ إذ الواضح من المثال أنهم السائلون لا المسؤولون.

4- راجع: شرح الأشموني، ج2، ص283.

5- مختلف في نسبه. والمعنى: إذا لم تنفع الصديق فضّر العدو؛ لأن العاقل لا يأمر بالضرّ مطلقا. والشاهد: أن «كي» فيه جارة بمعنى اللام، و«ما» مصدرية، وقيل: كافة. والفعل منصوب بـ «كي»، واللام التي تجر المصدر مقدرة. وروي: "كيما يضرّ وينفع" على جعل

وَقَوْلِهِ:

فَقَالَتْ: أَكُلَّ النَّاسِ أَصْبَحْتَ مَانِحًا لِسَانَكَ كَيْمَا أَنْ تَعُرَّ وَتَخْدَعَا⁽¹⁾
وَإِظْهَارُ "أَنْ" بَعْدَ "كَيْ" قَلِيلٌ أَوْ ضَرُورَةٌ.

وَمِنْهَا⁽²⁾ "حَتَّى" وَهِيَ لِانْتِهَاءِ الْغَايَةِ؛ وَتَخْتَصُّ بِالظَّاهِرِ، نَحْوُ: ﴿حَتَّى مَطْلَعِ
الْفَجْرِ﴾⁽³⁾، وَلَا تَدْخُلُ عَلَى الضَّمِيرِ إِلَّا فِي الضَّرُورَةِ؛ خِلَافًا لِلْكَوْفِيِّينَ⁽⁴⁾: كَقَوْلِهِ:
أَتَتْ حَتَّاكَ تَقْصِدُ كُلَّ فَجٍّ تُرْجِي مِنْكَ أَنَّهَا لَا تَخِيبُ⁽⁵⁾

وَمِنْهَا الثَّلَاثَةُ عَشَرَ الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا الْمُصَنِّفُ بِقَوْلِهِ:

(ما) زائدة، ويضر منصوب بـ(كي). راجع: المقاصد النحوية، ص 1197. وشرح أبيات
مغني اللبيب، ج 4، ص 152.

1- البيت لجميل بن معمر العُدري. وقوله "أَكُلَّ" مفعول أول لاسم الفاعل "مانح"، لسانك:
مفعوله الثاني. والشاهد «كيما أن تغر» حيث أدخل (كي) على (أن) فلزم احتساب (كي)
حرف تعليل و"أن" المصدرية ناصبة، ولا يجوز اعتبار (كي) مصدرية لئلا يتوالى حرفان بمعنى
واحد. راجع: شرح المفصل، ج 5، ص 128. وشرح أبيات مغني اللبيب، ج 4، ص 157.
2- أي من حروف الجر.

3- سورة القدر، الآية 5.

4- يرى المبرد والكوفيون جواز جرهما المضمَر. راجع: همع الهوامع، ج 4، ص 166. وشرح
المفصل، ج 4، ص 466. وشرح أبيات مغني اللبيب، ج 3، ص 93.

5- في (م) "أَتَتْكَ". والبيت غير منسوب. والفج: الطريق الواسع. وفاعل "أَتَتْ" ضمير الناقصة،
أو طَلَّابُ المعروف. وفي البيت شاهدان؛ الأول ظهور اسم "أن" المفتوحة المخففة «أنها»
بدون تشديد، وهو لا يظهر. والثاني: كون مجرور (حتى) ضميرا، والكوفيون والمبرد يجيزون
ذلك، ويقولون: حتاي، وحتاه، وحتاهما .. إلخ. راجع: شرح أبيات مغني اللبيب، ج 3،
ص 93. وهمع الهوامع، ج 4، ص 166. وشرح الأشموني، ج 2، ص 287.

"مِنْ" وَمِنْ مَعَانِيهَا ابْتِدَاءُ الْغَايَةِ، وَالتَّبَعِيضُ، وَبَيَانُ الْجِنْسِ، وَمَعْنَى بَدَلٍ، وَالظَّرْفِيَّةُ، وَالتَّعْلِيلُ، وَالتَّنْصِصُ عَلَى الْعُمُومِ أَوْ تَوْكِيدُ التَّنْصِصِ؛ وَهِيَ الرَّائِدَةُ. وَشَرْطُهَا أَنْ يَسْبِقَهَا نَفْيٌ أَوْ نَهْيٌ أَوْ اسْتِفْهَامٌ بِ"هَلْ"، وَأَنْ يَكُونَ مَجْرُورُهَا نَكْرَةً: مُبْتَدَأً، أَوْ فَاعِلًا، أَوْ مَفْعُولًا. نَحْوُ: ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾⁽¹⁾، وَنَحْوُ: ﴿حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾⁽²⁾، وَنَحْوُ: ﴿يُحَلَّلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾⁽³⁾، وَنَحْوُ: ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾⁽⁴⁾، وَنَحْوُ: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾⁽⁵⁾، وَنَحْوُ: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا﴾⁽⁶⁾، وَنَحْوُ: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾⁽⁷⁾، وَ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾⁽⁸⁾، وَ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مَنْ أَحَدٍ﴾⁽⁹⁾.

وَإِلَى" وَمِنْ مَعَانِيهَا انْتِهَاءُ الْغَايَةِ مَكَانًا أَوْ زَمَانًا؛ نَحْوُ: ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾⁽¹⁰⁾، وَ﴿ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾⁽¹¹⁾.

- 1- سورة الإسراء، الآية 1.
- 2- سورة آل عمران، الآية 92.
- 3- سورة الكهف، الآية 31.
- 4- سورة التوبة، الآية 39.
- 5- سورة الجمعة، الآية 9.
- 6- سورة نوح، الآية 25.
- 7- سورة فاطر، الآية 3.
- 8- سورة الحجر، الآية 11.
- 9- سورة مريم، الآية 99.
- 10- سورة الإسراء، الآية 1.
- 11- سورة البقرة، الآية 187.

و"عَنْ" وَمِنْ مَعَانِيهَا: الْمَجَاوِزَةُ، وَالْبَعْدِيَّةُ، وَالْإِسْتِعْلَاءُ، وَالتَّغْلِيلُ. كَسِرْتُ عَنْ
الْبَلَدِ، وَنَحْوُ: ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾⁽¹⁾، وَقَوْلِهِ:
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا أَفْضَلُكَ فِي حَسَبٍ عَنِّي وَلَا أَنْتَ دَيَّانِي فَتَحْزُونِي⁽²⁾
وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ﴾⁽³⁾.

و"عَلَى" وَمِنْ مَعَانِيهَا: الْإِسْتِعْلَاءُ، وَالظَّرْفِيَّةُ، وَالْمَجَاوِزَةُ، وَالْمُصَاحَبَةُ؛ نَحْوُ:
﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾⁽⁴⁾، وَنَحْوُ: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ
أَهْلِهَا﴾⁽⁵⁾، وَقَوْلِهِ:

1- سورة الانشقاق، الآية 19.

2- البيت لذي الإصبع العدواني، واسمه حُرثان بن الحارث بن محرث، ولُقِّبَ بذي الإصبع
لأن أفعى ضربت إبهام رجله فبيست أو قطعها، وكان من فرسان الجاهلية وحكام شعرائهم.
وقوله "فضلت" زدت. و"دياني" الديان: القاهر المالك للأمور الذي يجازي عليها. تخزوني:
تسومني الذل وتقهرني. والمعنى: لله ابن عمك، فلقد ساواك في الحسب وشابهك في رفعة
الأصل، فما من مزية لك عليه ولا أنت مالك أمره والمدير لشؤونه فتقهره وتذله.

"لاه" أصله «لله» جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ثم حذفت لام الجر وأبقى
عمله شذوذا فصار «الله» ثم حذفت أداة التعريف فصار كما ترى «لاه». ابن: مبتدأ مؤخر.
أفضلت: فعل وفاعل. والشاهد: «عني» فإن «عن» هنا بمعنى «على» والسّر في ذلك أن
«أفضل» بمعنى زاد في الفضل إنما يتعدى بعلی. راجع: شرح أبيات مغني اللبيب، ج3،
285. وشرح التصريح، ج1، ص653. وجمع الهوامع، ج4، ص190.

3- سورة هود، الآية 53.

4- سورة "المؤمنون"، الآية 22.

5- سورة القصص، الآية 15.

إِذَا رَضِيتَ عَلَيَّ بَنُو قُشَيْرٍ لَعَمْرُ اللَّهِ أَعْجَبَنِي رِضَاهَا⁽¹⁾
وَنَحْوُ: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾⁽²⁾.

و"في" وَمِنْ مَعَانِيهَا: الظَّرْفِيَّةُ، وَالسَّبَبِيَّةُ، وَالْمُصَاحَبَةُ، وَالِاسْتِعْلَاءُ، وَالْمُقَايَسَةُ؛
وَهِيَ الدَّاخِلَةُ بَيْنَ مَفْضُولٍ سَابِقٍ وَفَاضِلٍ لَاحِقٍ. نَحْوُ: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ . فِي أَذْنَى
الْأَرْضِ﴾⁽³⁾، وَنَحْوُ: ﴿لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁽⁴⁾، وَنَحْوُ: ﴿قَالَ
ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ﴾⁽⁵⁾، وَنَحْوُ: ﴿وَلَا تُصَلِّبْنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّحْلِ﴾⁽⁶⁾، وَنَحْوُ: ﴿فَمَا مَتَاعُ
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾⁽⁷⁾.

1- البيت للفُحَيْفِ العُقَيْلِي من أبيات يمدح فيها حكيم بن المسيَّب القشيري. والشاهد
"رضيت عليّ" فإنَّ «على» فيه بمعنى «عن» لأن "رضي" يتعدى بـ«عن»؛ لقوله تعالى:
﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: 100] وقد حمل الشاعر (رضي) على ضده وهو
(سَخِط) فعّده بالحرف الذي يتعدى به ضده، وهو «على» والعرب تحمل الشيء على ضده
كما تحمله على نظيره. راجع: شرح أبيات مغني اللبيب، ج3، 231 - ج2، ص393.
وشرح ابن عقيل، ج3، ص25.

2- سورة الرعد، الآية 6.

3- سورة الروم، الآيتان 2 و3.

4- سورة النور، الآية 14.

5- سورة الأعراف، الآية 38.

6- سورة طه، الآية 71.

7- سورة التوبة، الآية 38.

و"رُبَّ" وَتَحْتَصُّ بِالظَّاهِرِ الْمُنْكَرِ؛ وَهِيَ لِلتَّكْثِيرِ كَثِيرًا وَالتَّقْلِيلِ قَلِيلًا⁽¹⁾، كَقَوْلِهِ:
فَيَارُبَّ يَوْمٍ قَدْ لَهَوْتُ وَلَيْلَةٍ بِأَنِسَةٍ كَأَنَّهَا خَطٌّ تِمْنَالٍ⁽²⁾
وَقَوْلِهِ:

أَلَا رُبَّ مَوْلُودٍ وَلَيْسَ لَهُ أَبٌ وَذِي وَلَدٍ لَمْ يَلِدْهُ أَبَوَانِ⁽³⁾
وَقَدْ تَدَخَّلُ عَلَى ضَمِيرٍ غَيْبَةٍ مُلَازِمٍ لِلْإِفْرَادِ وَالتَّذْكِيرِ وَالتَّفْسِيرِ بِتَمْيِيزٍ بَعْدَهُ مُطَابِقٍ
لِلْمَعْنَى: كَرُبُّهُ رَجُلًا، وَرُبُّهُ امْرَأَةً، وَرُبُّهُ رَجُلَيْنِ، وَرُبُّهُ امْرَأَتَيْنِ، وَرُبُّهُ رَجُلًا، وَرُبُّهُ نِسَاءً؛
قَالَ:

1- خالف الشارح هنا رأي أكثر النحاة كالخليل وسيبويه وغيرهما كثير ممن يقولون إن (رُبَّ) للتقليل دائما. راجع: شرح المفصل، ج4، ص481. ومغني اللبيب، ج1، ص143. وهمع الهوامع، ج4، ص174.

2- قائله امرؤ القيس. وقوله "يا" ليست للنداء، وإنما هي للتنبيه كالدخلة على «ليت» و«حبذا». والآنسة: المرأة التي تأنس بحديث، والتمثال: الصورة؛ شَبَّهَ صاحبه بصورة الصنم المنقوشة، في حسن المنظر وتناسب الأعضاء. والشاهد أن «رُبَّ» فيه للتكثير. راجع: همع الهوامع، ج4، ص176. وشرح أبيات مغني اللبيب، ج3، ص161.

3- البيت منسوب لرجل من أزد السراة. وهو شاهد على أن «رُبَّ» للتقليل، فإن مولودا لا والد له في غاية القلة، وكذلك ولد لا أبوين له. وأصل (يَلِدُهُ) بكسر اللام وسكون الدال للجزم، فسُكِّنَ المكسور تخفيفا، فحُرِّكَتِ الدال لالتقاء الساكنين بحركة هي أقرب المتحركات إليها، وهي الفتحة، لأن الساكن غير حاجز حصين، وكل مكسور ومضموم إذا لم يكن من حركات الإعراب يجوز فيه التسكين، ولا يجوز ذلك في المفتوح لخفة الفتحة. والواو في البيت قبل "ليس" هي المسمّاة واو اللصوق، أي لصوق الصفة بالموصوف، ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ [الحجر:4]. راجع: الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله الزمخشري، دار المعرفة، بيروت - 2009، ص558. وهمع الهوامع، ج4، ص176. وشرح أبيات مغني اللبيب، ج3، ص173. والمقاصد النحوية، ج3، ص1283.

رُبُّهُ فِتْيَةً دَعَوْتُ إِلَى مَا يُورِثُ الْمَجْدَ دَائِبًا فَأَجَابُوا⁽¹⁾
وَلَيْسَ اسْمًا⁽²⁾؛ خِلَافًا لِلْكُوفِيِّينَ (وَالْأَخْفَشِ فِي أَحَدِ قَوْلَيْهِ)⁽³⁾.

وَالْبَاءُ وَمِنْ مَعَانِيهَا: الْإِسْتِعَانَةُ، وَالتَّعْوِيزُ، وَالْإِلْصَاقُ، وَالتَّبَعِيضُ، وَالْمُصَاحَبَةُ،
وَالْمُجَاوَزَةُ، وَالظَّرْفِيَّةُ، وَمَعْنَى "بَدَل"، وَالْإِسْتِعْلَاءُ، وَالسَّبَبِيَّةُ، وَالتَّوَكُّيدُ؛ وَهِيَ الرَّائِدَةُ
مَعَ مُبْتَدَأٍ أَوْ فَاعِلٍ أَوْ خَبَرٍ مَنْفِيٍّ بِ"لَيْسَ" أَوْ "مَا"⁽⁴⁾.
نَحْوُ: كَتَبْتُ بِالْقَلَمِ، وَكَتَبْتُ هَذَا بِهَذَا؛ وَكَأَمْسَكْتُ بِرَيْدٍ، وَنَحْوُ: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ
بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾⁽⁵⁾، وَنَحْوُ: ﴿وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ﴾⁽⁶⁾، وَنَحْوُ: ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَيْرًا﴾⁽⁷⁾،
وَنَحْوُ: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغُرْبِيِّ﴾⁽⁸⁾، وَقَوْلِ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ الصَّحَابِيِّ⁽⁹⁾:

1- ورد في (أ) و(م) لفظ "داعيا" بدلا من "دائبا". والبيت غير منسوب لقائل معين، والشاهد فيه «ربه فتية» حيث دخلت ربّ على الضمير، والضمير معرفة و"ربّ" لا تجر إلا النكرات. راجع: همع الهوامع، ج4، ص180. وشرح الأشموني، ج2، ص286. والمقاصد النحوية، ج3، ص1206.

2- ترجيح من الشارح لرأي البصريين القائل بأن "ربّ" حرف وليس اسما. راجع: همع الهوامع، ج4، ص173.

3- انفردت (ج) بما ورد محصورا بين القوسين. وراجع فيه: شرح الأشموني، ج1، ص180.

4- المرجع السابق، ج2، ص293.

5- سورة الإنسان، الآية 6.

6- سورة المائدة، الآية 61.

7- سورة الفرقان، الآية 59.

8- سورة القصص، الآية 44.

9- رافع بن خديج بن رافع، صحابي أنصاري، كان عريف قومه بالمدينة. شهد أحداً والخندق، وتوفي في المدينة سنة 74 هـ متأثراً من جراحه. راجع: الأعلام، ج3، ص12.

"مَا يَسُرُّنِي أَنِّي شَهِدْتُ بَدْرًا بِالْعَقَبَةِ"⁽¹⁾، وَنَحْوُ: ﴿مَنْ إِنْ تَأْمَنُ بِقِنْطَارٍ﴾⁽²⁾، وَنَحْوُ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ﴾⁽³⁾، وَنَحْوُ: بِحَسْبِكَ دِرْهَمٌ، وَ﴿كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾⁽⁴⁾، وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ⁽⁵⁾، وَلَيْسَ زَيْدٌ بِقَائِمٍ وَمَا هُوَ بِقَاعِدٍ.

وَالْكَافُ وَتَخْتَصُّ بِالظَّاهِرِ⁽⁶⁾؛ إِلَّا فِي الضَّرُورَةِ، كَقَوْلِهِ:

خَلَّى الذَّنَابَاتِ شَمَالًا كَثَبًا وَأُمَّ أَوْعَالٍ كَهَا أَوْ أَقْرَبًا⁽⁷⁾
وَقَوْلِهِ:

فَلَا تَرَى بَعْلًا وَلَا حَلَالًا كَهُو وَلَا كَهُنَّ إِلَّا حَاطِلًا⁽⁸⁾

1- صحيح البخاري، ص 980.

2- سورة آل عمران، الآية 75.

3- سورة المائدة، الآية 13.

4- سورة الرعد، الآية 43.

5- سورة البقرة، الآية 195.

6- عبّر الشارح هنا بلفظ "الظاهر" عما ليس ضميراً، وما ذهب إليه من اختصاص الكاف بالاسم الظاهر هو رأي سبويه. راجع: شرح المفصل، ج 4، ص 466.

7- الرجز للعجاج يصف حمار وحش وأُتْنَه، وقد أراد هذا الحمار ورود الماء معهنّ فرأى الصياد فهرب منه. والشاهد "كها" حيث جرّ بالكاف الضمير، وهو شاذ، لأن الكاف لا تجر غالباً إلا الأسماء الظاهرة. راجع: الكتاب (كتاب سبويه)، ج 3، ص 384. وخزانة الأدب، ج 10، ص 202. والمقاصد النحوية، ج 3، ص 1202.

8- من أرجوزة لرؤبة بن العجاج - وتكثر نسبتها خطأ إلى أبيه - يصف حماراً يمنع أنّنه من أن يقربها الفحول. والحافظ: المانع. والشاهد «كه، كهن» حيث جرّ الضمير في الموضعين بالكاف، وهو شاذ. راجع: الكتاب (كتاب سبويه)، ج 3، ص 384. والمقاصد النحوية، ج 3، ص 1204. وهمع الهوامع، ج 4، ص 196.

وَمِنْ مَّعَانِيهَا: التَّشْبِيهُ، وَالتَّعْلِيلُ، وَالِاسْتِعْلَاءُ، وَالتَّوَكُّيدُ؛ وَهِيَ الزَّائِدَةُ⁽¹⁾. نَحْوُ: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾⁽²⁾، وَنَحْوُ: ﴿وَادْكُرُوهُ كَمَا هَذَاكُمْ﴾⁽³⁾، وَكَقَوْلِ رُؤْبَةَ وَقَدْ قِيلَ لَهُ: "كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟" قَالَ: كَخَيْرٍ⁽⁴⁾، وَنَحْوُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾⁽⁵⁾ أَيْ لَيْسَ شَيْءٌ مِّثْلُهُ⁽⁶⁾.

وَاللَّامُ وَمِنْ مَّعَانِيهَا: الْمِلْكُ وَشِبْهُهُ وَهُوَ الْإِخْتِصَاصُ وَالِاسْتِحْقَاقُ؛ وَمِنْهَا: التَّعْلِيلُ، وَانْتِهَاءُ الْغَايَةِ، وَالْقَسَمُ، وَالتَّعَجُّبُ، وَالصِّيْرُورَةُ، وَالْبَعْدِيَّةُ، وَالِاسْتِعْلَاءُ، وَالتَّوَكُّيدُ؛ وَهِيَ الزَّائِدَةُ لِتَقْوِيَةِ عَامِلٍ ضَعْفَ بِسَبَبٍ تَأْخِيرِهِ عَنِ الْمَعْمُولِ، أَوْ لِكَوْنِهِ فَرْعًا فِي الْعَمَلِ. نَحْوُ: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾⁽⁷⁾، وَنَحْوُ: السَّرْجُ لِلْفَرَسِ، وَالْحَبْلُ لِلدَّابَّةِ، وَالْعِمَارَةُ لِلدَّارِ⁽⁸⁾. وَكَقَوْلِهِ:

1- راجع: شرح الأشموني، ج2، ص295. وهمع الهوامع، ج4، ص194.

2- سورة الرحمن، الآية 37.

3- سورة البقرة، الآية 198.

4- هو رؤبة بن العجاج، الراجز المشهور، ابن الراجز المشهور. والعبارة المنسوبة إليه ترد في معرض استشهاد الكوفيين والأخفش بها على أن الكاف تفيد معنى الاستعلاء. راجع: شرح التصريح، ج1، ص654. وهمع الهوامع، ج4، ص195.

5- سورة الشورى، الآية 11.

6- ما قدره الشارح هو ما ذهب إليه أكثر النحويين؛ إذ لو لم يقدروه كذلك لصار المعنى: (ليس شيء مثل مثله)، فيلزم المحال وهو إثبات المثل، وإنما زيدت الكاف لتوكيد نفي المثل، لأن زيادة الحرف بمنزلة إعادة الجملة ثانية. راجع: شرح التصريح، ج1، ص655.

7- سورة البقرة، الآية 284.

8- ورد في (ج) الاكتفاء بصيغة "السرج للدابة"، فلكان ناسخها أسقط ما بين الكلمتين (للفرس والحبل). والعبارات الثلاث بعد الآية أمثلة على شبه المِلْك الذي يعبر عنه

وَإِنِّي لَتَعْرِوْنِي لِدُكْرَاكِ هِزَّةً كَمَا انْتَفَضَ الْعُصْفُورُ بَلَلَهُ الْقَطْرُ⁽¹⁾
وَنَحْوُ: ﴿كُلُّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾⁽²⁾، وَنَحْوُ: لِلَّهِ لَا يُؤَخَّرُ الْأَجَلُ؛ أَيُّ تَالَلِهِ،
وَنَحْوُ: لِلَّهِ دُرُكٌ؛ أَيُّ مَا أَكْثَرُهُ، وَكَقَوْلِهِ:

لِدُوا لِلْمَوْتِ وَابْنُوا لِلْخَرَابِ فَكُلُّكُمْ يَصِيرُ إِلَى ذَهَابٍ⁽³⁾
وَنَحْوُ: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ﴾⁽⁴⁾، وَنَحْوُ: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾⁽⁵⁾، وَنَحْوُ:
﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾⁽⁶⁾، وَ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾⁽⁷⁾.

بالاختصاص والاستحقاق، إذ لا يتصور ملك مما ذكر في أي منها. راجع: شرح التصريح،
ج 1، ص 642.

1- البيت لأبي صخر الهذلي، وقد مرَّ تمثيل الشارح به في شواهد المفعول من أجله. أما
الشاهد هنا فقوله "لذكرارك" فإن اللام فيه للتعليل؛ كقولك: جئتُ لإكرامك. راجع: شرح
المفصل، ج 4، ص 480. وشرح التصريح، ج 1، ص 512. والمقاصد النحوية، ج 3،
ص 1055.

2- سورة فاطر، الآية 13.

3- البيت منسوب لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) ولغيره. والشاهد فيه: لدوا للموت، وابتوا
للخراب؛ فإن الموت ليس علة الولد، والخراب ليس علة للبناء، ولكن صار عاقبتُهما ومآلُهما
إلى ذلك. ومن هنا سمّاها الكوفيون لام الصيرورة ولام العاقبة، وسمّاها البصريون لام
الاختصاص، وتسمى لام المآل. راجع: همع الهوامع، ج 4، ص 202. وشرح التصريح،
ج 1، ص 645. وخزانة الأدب، ج 9، ص 529. وشرح الرضي لكافية ابن الحاجب،
تحقيق: يحيى بشير مصري، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1996، ج 2،
ص 1169.

4- سورة الإسراء، الآية 78.

5- سورة الإسراء، الآية 109.

6- سورة يوسف، الآية 43.

7- سورة البروج، الآية 16.

وَقَدْ تُزَادُ بَيْنَ فِعْلٍ مُتَعَدٍّ وَمَفْعُولِهِ؛ وَبَيْنَ مُتَضَايِفَيْنِ، كَقَوْلِهِ:
وَمَلَكَتْ مَا بَيْنَ الْعِرَاقِ وَيَثْرِبٍ مُلْكًا أَجَارَ لِمُسْلِمٍ وَمُعَاهِدٍ⁽¹⁾
وَكَقَوْلِهِ:

يَا بُؤْسَ لِلْحَرْبِ الَّتِي وَضَعْتَ أَرَاهُطَ فَاسْتَرَاخُوا⁽²⁾

وَلَا مُلُوكَ الْمُسْتَعَاتِ زَائِدَةٌ عِنْدَ الْمُبَرَّدِ؛ وَاخْتَارَهُ ابْنُ خُرُوفٍ لِصِحَّةِ إِسْقَاطِهَا⁽³⁾.

1- البيت للرماح بن أبرد، المشهور بابن ميادة، مخاطبا عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك. وقوله "مُلْكًا" المصدر من «ملك»، ويعرب مفعولا مطلقا. والعراق؛ سميت بذلك لأنها على عراق النهرين، دجلة والفرات، أي: شاطئهما. والشاهد: زيادة اللام على المفعول به، في قوله «أجار لمسلم» وأصله: أجار مسلما، وهي للتوكيد. راجع: شرح أبيات مغني اللبيب، ج4، ص307. وشرح التصريح، ج1، ص643. والمقاصد النحوية، ج3، ص1223.

2- البيت لسعد بن مالك، جدّ طرفة بن العبد؛ يعرض باعتزال الحارث بن عباد وقومه حرب البسوس التي هاجت بين بكر وتغلب. والبيت على وجه التعجب، دعا بؤس الحرب التي حطت أراهاط فأذلتهم حتى استسلموا للأعداء وحالفوا الراحة وآثروا السلامة. والشاهد في البيت أن اللام في قوله (يا بؤس للحرب) مقحمة بين المتضايفين لتوكيد الاختصاص. راجع: الكتاب (كتاب سيبويه)، ج2، ص207. وشرح المفصل، ج1، ص347. وشرح أبيات مغني اللبيب، ج4، ص311.

3- أي دليل صحة إسقاطها. راجع: مغني اللبيب، ج1، ص240. وشرح التصريح، ج1، ص644. وابن خروف هو علي بن محمد، النحوي، المتوفى سنة 609هـ.

وَبِحُرُوفِ الْقَسَمِ، وَهِيَ: الْوَأُ، وَالتَّاءُ، وَالْبَاءُ⁽¹⁾. وَتَحْتَصُّ الْوَأُ بِالظَّاهِرِ؛ وَالتَّاءُ بِلَفْظِ الْجَلَالَةِ وَلَفْظِ "رَبِّ" مُضَافًا لِلْكَعْبَةِ أَوْ لِيَاءِ الْمُتَكَلِّمِ، نَحْوُ: ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقُّ﴾⁽²⁾، وَنَحْوُ: ﴿وَتَاللَّهِ لَا كَيْدَنَّ أَصْنَامُكُمْ﴾⁽³⁾، وَتَرَبُّ الْكَعْبَةِ، وَتَرَبِّي لَأَفْعَلَنْ؛ وَنَدَرَتْ: تَالرَّحْمَنِ، وَتَحْيَاتِكَ. (وَنَحْوُ: بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَأَفْعَلَنْ كَذَا)⁽⁴⁾.

وَبِوَائِ "رَبِّ" أَيِ الْوَأُ الْقَائِمَةُ مَقَامَ "رَبِّ" فِي اللَّفْظِ، لَكِنَّ الْجَرَّ لَيْسَ بِهَا - خِلَافًا لِلْمُبَرَّدِ وَبَعْضِ الْكُوفِيِّينَ - بَلْ بِ"رَبِّ" مَحذُوفَةً بَعْدَهَا⁽⁵⁾: كَقَوْلِهِ:
وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلِي⁽⁶⁾
وَتُحَذَفُ "رَبِّ" أَيْضًا بَعْدَ الْفَاءِ كَثِيرًا، كَقَوْلِهِ:

- 1- الباء هي أصل أحرف القسم، وتستعمل في القسم الاستعطافي، وهو المؤكد لجملة طلبية، نحو: بالله هل قام زيد، أي أسألك بالله مستحلفا. وتستخدم في القسم غير الاستعطافي، وهو المؤكد لجملة خبرية، نحو: بالله لتفعلن. راجع: شرح التصريح، ج1، ص648.
- 2- سورة يونس، الآية 53.
- 3- سورة الأنبياء، الآية 57.
- 4- ما بين القوسين ساقط من (ج).
- 5- يرى الكوفيون والمبرد أن واو (رب) هي التي أحدثت الجر في الاسم الذي بعدها، أما بقية البصريين فيرون أن الاسم بعد تلك الواو مجرور بـ(رب) محذوفة. راجع: مغني اللبيب، ج1، ص144 وكذلك ص400.
- 6- البيت لامرئ القيس من معلقته. والشاهد فيه هنا «وليل» حيث حذف حرف الجر «رب» وأبقى عمله بعد الواو، ويعرب هنا مبتدأ. راجع: شرح التصريح، ج1، ص669.
- والمقاصد النحوية، ج3، ص1268.

فَمِثْلُكَ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعٍ فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمٍ مَحْوِلٍ⁽¹⁾
وَبَعْدَ "بَلٍ" قَلِيلًا⁽²⁾، كَقَوْلِهِ:

بَلٍ مَهْمَةٍ قَطَعْتُ بَعْدَ مَهْمَةٍ أَعْمَى الْهَدَى بِالْجَاهِلِينَ الْعُمَّةِ⁽³⁾

وَبِمُنْذُ، وَمُنْذُ وَيَخْتَصَّانِ بِاسْمِ الزَّمَانِ الظَّاهِرِ⁽⁴⁾؛ وَمَعْنَاهُمَا ابْتِدَاءُ الْعَايَةِ إِنْ كَانَ
الزَّمَانُ مَاضِيًا، كَقَوْلِهِ:

قِفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَعِرْفَانٍ وَرَسَمٍ عَفَتْ آيَاتُهُ مُنْذُ أَرْزَمَانٍ⁽⁵⁾

1- هذا البيت لامرئ القيس كسابقه. والشاهد فيه أنَّ «مثلك» مجرور بعد الفاء بإضمار
«رب»، ويجوز نصب «مثلك» بالفعل بعده، ولذلك يروى «ومثلك حبلى قد طرقت
ومرضعا». راجع: شرح ابن عقيل، ج3، ص36. والمقاصد النحوية، ج3، ص1266.
2- أي أن حذف "رب" قليل بعد "بل".

3- الرجز لرؤبة بن العجاج وقيل لأبيه. وقد اقتضت (ج) على إيراد شطره الأول فقط. المهمة:
مفازة بعيدة الأطراف؛ قيل: سميت بذلك؛ لأن سالكها يقول لصاحبه من الخوف والذعر:
مه مه؛ أي كف عن الحديث. والشاهد فيه "بل مهمة"؛ حيث جرّ بـ(رب) المحذوفة بعد
"بل". وحذف "رب" بعد "بل" وإبقاء عملها، قليل بالنسبة للواو والفاء، وكل حرف من هذه
الأحرف الثلاثة يسمى العوض عن "رب"، أو النائب عنها، ويقال في الإعراب: الواو واو
"رب"، والفاء فاء "رب"، وبل: بل "رب". راجع: المقاصد النحوية، ج3، ص1274. وشرح
التصريح، ج1، ص670.

4- اللفظان (مذ) و(منذ) يأتيان على ثلاث حالات، منها أن يليهما اسم مجرور، وهو ما
اقتصر عليه المصنّف فأدرجهما في هذا الباب، وقد استوفى الشارح الحالات الثلاث كلها
كما سيتضح لاحقاً. راجع: مغني اللبيب، ج1، ص372.

5- البيت لامرئ القيس. وقوله: "وعرفان" أي: معرفته منزل الحبيب. و«من» للتعليل. والبيت
شاهد على أنَّ الكثير جرّ «منذ» للزمان الماضي. راجع: همع الهوامع، ج4، ص202.
وشرح أبيات مغني اللبيب، ج6، ص22.

وَالظَّرْفِيَّةُ إِنْ كَانَ حَاضِرًا⁽¹⁾، نَحْوُ: مَا رَأَيْتُهُ مُنْذُ يَوْمِنَا؛ وَبِمَعْنَى "مِنْ" وَ"إِلَى" مَعًا
إِنْ كَانَ مَعْدُودًا، نَحْوُ: مَا رَأَيْتُهُ مُنْذُ يَوْمَيْنِ.

وَيَرِدَانِ اسْمَيْنِ وَذَلِكَ إِذَا دَخَلَ عَلَى اسْمِ زَمَانٍ مَرْفُوعٍ أَوْ عَلَى جُمْلَةٍ.
فَإِنْ دَخَلَ عَلَى اسْمِ زَمَانٍ مَرْفُوعٍ فَهُمَا مُبْتَدَأَانِ وَمَا بَعْدَهُمَا خَبَرٌ، وَمَعْنَاهُمَا "الْأَمَدُ"
إِنْ كَانَ الزَّمَانُ حَاضِرًا أَوْ مَعْدُودًا؛ وَ"أَوَّلُ الْمُدَّةِ" إِنْ كَانَ مَاضِيًا. وَقِيلَ خَبَرَانِ
وَمَا بَعْدَهُمَا مُبْتَدَأٌ، وَمَعْنَاهُمَا "بَيْنَ وَبَيْنَ" مُضَافَيْنِ. وَقِيلَ ظَرْفَانِ وَمَا بَعْدَهُمَا
فَاعِلٌ "كَانَ" تَامَّةٌ مَحذُوفَةٌ⁽²⁾، نَحْوُ: مَا رَأَيْتُهُ مُنْذُ يَوْمِنَا، وَمُنْذُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ.
وَإِنْ دَخَلَ عَلَى جُمْلَةٍ فَهُمَا ظَرْفَانِ، كَقَوْلِهِ:
(مَا زَالَ مُذْ عَقَدْتُ يَدَاهُ إِزَارَهُ فَسَمَا وَأَذْرَكَ خَمْسَةَ الْأَشْبَارِ)⁽³⁾
وَقَوْلِهِ:

- 1- أي أن "مذ ومنذ" تفيدان معنى الظرفية إن كان الزمان حاضرا أي مضارعا.
 - 2- ابتداء من قوله: "فإن دخلا على اسم زمان مرفوع" إلى قوله: "تامة محذوفة" ساقط كله من (ج).
 - 3- البيت ساقط من (ج). وهو من قصيدة للفرزدق يمدح بها يزيد بن المهلب، والي خراسان في عهد بني أمية، وهو أحد شجعان العرب وكرمائمهم. وقوله: خمسة الأشبار، أراد طول خمسة أشبار بشبر الرجال وهي ثلثا قامة الرجل، ويُنسب إليها فيقال: غلام خماسي قد أيفع، ولا يقال سداسي ولا سباعي لأنه إذا بلغ ستة أشبار أو سبعة أشبار صار رجلا. والبيت هنا شاهد على إيلاء الجملة الفعلية لـ«مذ» وهو دليل على اسميتها، وفي قوله "خمسة الأشبار" شاهد أيضا على أن العدد المفرد يعرّف منه المضاف إليه، فنقول: قرأت خمسة الكتب.
- راجع: خزانة الأدب، ج 1، ص 212. وشرح المفصل، ج 2، ص 129. وشرح شواهد مغني اللبيب، ج 6، ص 28. والمقاصد النحوية، ج 3، ص 1255.

فَمَازَلْتُ أَبْغِي الْخَيْرَ مُذْ أَنَا يَافِعٌ وَلَيْدًا وَكَهْلًا حِينَ شَبْتُ وَأَمْرَدًا⁽¹⁾

وَكَذَلِكَ الْكَافُ؛ لَكِنَّ اسْمِيَّتَهَا مَخْصُوصَةٌ بِالشَّعْرِ (عَلَى الْأَصَحِّ)⁽²⁾، كَقَوْلِهِ:

بَيْضٌ ثَلَاثٌ كَنْعَاجٍ جُمٌّ يَضْحَكُنْ عَنْ كَالْبَرْدِ الْمُنْهَمِّ⁽³⁾
أَيِّ مِثْلٍ.

وَكَذَا "عَنْ" وَ"عَلَى" إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِمَا "مِنْ"، كَقَوْلِهِ:

وَلَقَدْ أَرَانِي لِلرِّمَاحِ دَرِيئَةً مِنْ عَنْ يَمِينِي تَارَةً وَأَمَامِي⁽⁴⁾

1- البيت للأعشى ميمون بن قيس، من قصيدة مدح بها رسول الله (ﷺ) ولم يُنشد لها أمامه. وقد حوّر الشارح البيت عمد عين؛ فجعل مبتغاه الخير لا المال. والشاهد فيه «مذ أنا يافع» حيث أضيف «مذ» إلى الجملة الاسمية. وقوله "وليدًا" نصب على أنه خبر (كان) المقدرة، والتقدير: ومذ كنتُ وليداً. "وكهلاً" معطوف على «أمرد» في التقدير، لأن الكهولة بعد الأُمردية. راجع: شرح شواهد مغني اللبيب، ج 6، ص 30. وهمع الهوامع، ج 3، ص 222. والمقاصد النحوية، ج 3، ص 1258.

2- انفردت (ج) بما ورد بين القوسين.

3- الرجز للعجاج. والبَيْض: الحسان. والنعاج: جمع نعجة وهي هنا البقرة الوحشية، والعرب تكني بها عن المرأة. والجُمُّ: جمع جمّاء وهي التي لا قرن لها. وفائدة الوصف بجُمِّ نفي ما يكسبهنّ سماجة. والبرد: حب الغمام. والمنهمّ: الذائب. شبه ثغر النساء بالبرد الذائب في اللطافة والجلاء. والشاهد "يضحكن عن كالبرد" على أن الكاف الاسمية لا تكون إلا في الشعر عند سيبويه، وهي هنا بمعنى (مثل) مجرور بـ(عن). راجع: شرح التصريح، ج 1، ص 659. والمقاصد النحوية، ج 3، ص 1235. وشرح أبيات مغني اللبيب، ج 4، ص 135.

4- البيت لقطري بن الفجاءة. وقوله "دريئة" هي حلقة يتعلم فيها الرمي والطنع. وأراد بهذه العبارة أنه جرىء على اقتحام الأهوال ومنازلة الأبطال وأنه ثابت عند اللقاء، ولو أن الأعداء

أَيُّ مِنْ جَانِبٍ يَمِينِي، وَقَوْلِهِ:

غَدَتْ مِنْ عَلَيْهِ بَعْدَ مَا تَمَّ ظَمُّهَا تَصِلُ وَعَنْ قَيْضٍ بَزِيَّاءَ مَجْهَلٍ⁽¹⁾
أَيُّ مِنْ فَوْقِهِ.

وَأَمَّا مَا يُخَفِّضُ بِالْإِضَافَةِ فَنَحْوُ قَوْلِكَ: غُلَامُ زَيْدٍ⁽²⁾.

وَهُوَ عَلَى قِسْمَيْنِ: مَا يُقَدَّرُ بِاللَّامِ الْمَلَكِيَّةِ أَوْ شِبْهَهَا؛ وَهُوَ الْأَكْثَرُ.

قصدوا إليه وتناولته رماحهم من كل جانب. وذكر اليمين والأمام وحدهما وترك اليسار والظهر لأنه يعلم أن اليسار كاليمين وأن الظهر قد جرت العادة ألا يُمكن الفارس منه أحدا بل لأن الطعن في الظهر دليل الفرار. والشاهد «من عن» حيث استعمل «عن» اسما بمعنى «جهة» بدليل دخول حرف الجرّ عليه. راجع: شرح المفصل، ج 4، ص 500. والمقاصد النحوية، ج 3، ص 1243. وشرح التصريح، ج 1، ص 660.

1- البيت لمزاحم بن الحارث العُقيلي، يصف قطاة. وغدت: بمعنى صارت. ظمؤها: زمان صبرها عن الماء. تصلّ: تصوّت، وإنما يصوّت حشاها. والقيض: قشر البيضة الأعلى. زيزاء: هو ما ارتفع من الأرض. المجهل: الذي ليس له أعلام يهتدى بها. يقول: إن هذه القطاة انصرفت من فوق فراخها بعد ما تمت مدة صبرها عن الماء، حال كونها تصوت أحشاؤها لعطشها، وطارَت عن بيضها الذي وضع بمكان مرتفع خال من الأعلام التي يهتدى بها. والشاهد في البيت «من عليه» حيث ورد «على» اسما بمعنى فوق، بدليل دخول حرف الجرّ عليه. راجع: شرح التصريح، ج 1، ص 660. والمقاصد النحوية، ج 3، ص 1240. وشرح أبيات مغني اللبيب، ج 3، ص 265.

2- الإضافة لغة: إسناد شيء إلى شيء آخر؛ واصطلاحاً: نسبة تفيد الأول تعريفاً أو تخصيصاً أو تخفيفاً؛ كقولك: غلامُ زيدٍ، وغلامُ رجلٍ، وأنت مُكرمي الآن أو غداً. والإضافة تختص بالأسماء فلا يضاف غيرها من أقسام الكلام. راجع: همع الهوامع، ج 4، ص 264. وشرح المفصل، ج 2، ص 123.

وَمَا يُقَدَّرُ بِـ"مِنْ" وَهُوَ كَثِيرٌ، وَضَابِطُهُ أَنْ يَكُونَ الْمُضَافُ بَعْضَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ؛
وَالْمُضَافُ إِلَيْهِ صَالِحٌ لِلْإِخْبَارِ بِهِ عَنْهُ.

فَالَّذِي يُقَدَّرُ بِاللَّامِ، نَحْوُ: غُلَامٌ زَيْدٌ وَثَوْبُهُ، وَحَصِيرُ الْمَسْجِدِ وَقَنْدِيلُهُ.

وَالَّذِي يُقَدَّرُ بِـ"مِنْ" نَحْوُ: ثَوْبٌ خَزٍ، وَبَابٌ سَاجٍ، وَخَاتَمٌ حَدِيدٍ⁽¹⁾.

وَبَقِيَ عَلَيْهِ مَا يُقَدَّرُ بِـ"فِي" وَهُوَ قَلِيلٌ؛ وَضَابِطُهُ أَنْ يَكُونَ الثَّانِي ظَرْفًا لِلأَوَّلِ، نَحْوُ:
﴿مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾⁽²⁾، وَ﴿تَرْبُصُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾⁽³⁾، وَ﴿يَا صَاحِبِي السِّجْنِ﴾⁽⁴⁾،
وَشَهِيدُ الدَّارِ⁽⁵⁾.

1- الإضافة تكون مقدرة: باللام: كدار عمرو، وغلाम زيد؛ واللام للملك أو للاستحقاق.
وتكون بـ(مِنْ): كثوب خز، وباب ساج، وخاتم حديد؛ وعلامة هذه: أن يصح جعل المضاف
إليه - وهو الثاني - نعتًا للمضاف - وهو الأول -، أو خبرًا عنه، ألا ترى أنه يصح أن يقال:
ثوبك خز، وبابك ساج، وخاتمك حديد، فيخبر بالثاني عن الأول، ويُقال: هذا ثوب خز،
وخاتم حديد؛ فيجعل نعتًا له.

2- سورة سبأ، الآية 33. أي: بل مكرٌّ في الليل.

3- سورة البقرة، الآية 226. أي: بل تربص في أربعة أشهر.

4- سورة يوسف، الآية 39.

5- ما استدركه الشارح على المصنّف هو مما زاده بعض المتأخرين، ومنهم ابن مالك وابن
الحاجب، ونقله السيوطي عن الجرجاني. راجع: شرح التسهيل، ج3، ص221. وشرح
الرضي لكافية ابن الحاجب، ج1، ص879. وجمع الهوامع، ج4، ص267.

وَأَعْلَمَ أَنَّهُ يُحَذَفُ لِلإِضَافَةِ مَا فِي الْمُضَافِ مِنْ تَنْوِينٍ، أَوْ نُونٍ مُثَنَّى أَوْ مَجْمُوعٍ عَلَى حَدِّهِ⁽¹⁾؛ كَغُلَامٍ زَيْدٍ وَثَوْبِهِ، وَ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾⁽²⁾، وَنَحْوُ: ﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ﴾⁽³⁾.

وَالإِضَافَةُ إِمَّا مَعْنَوِيَّةٌ وَهِيَ الَّتِي تُفِيدُ تَعْرِيفَ الْمُضَافِ أَوْ تَخْصِيصَهُ، كَغُلَامٍ زَيْدٍ وَغُلَامٍ امْرَأَةٍ - وَمِنْهَا إِضَافَةُ "غَيْرٍ" وَ"مِثْلٍ"⁽⁴⁾ - وَلَا تُفِيدُ غَيْرَ تَخْصِيصِهِ وَلَوْ أُضِيفَ إِلَى مَعْرِفَةٍ. وَإِمَّا لَفْظِيَّةٌ وَهِيَ إِضَافَةُ الْوَصْفِ الَّذِي يُشَبِّهُ الْمَضَارِعَ فِي كَوْنِهِ مُرَادًّا بِهِ الْحَالُ وَالاسْتِقْبَالُ، وَهِيَ لَا تُفِيدُ تَخْصِيصًا وَلَا تَعْرِيفًا؛ وَلِذَا يَأْتِي مُضَافُهَا إِلَى الْمَعْرِفَةِ وَصْفًا لِلنَّكِرَةِ وَحَالًا وَمَجْرُورًا بِـ"رَبِّ". نَحْوُ: ﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾⁽⁵⁾، وَقَوْلُهُ:

فَأَتَتْ بِهِ حُوشَ الْفُؤَادِ مُبَطَّنًا سُهْدًا إِذَا مَا نَامَ لَيْلُ الْهُوجَلِ⁽⁶⁾

1- المجموع على حدِّه مصطلح مرادف لمصطلح جمع المذكر السالم. راجع: شرح التصريح، ج2، ص212. وشرح التسهيل، ج3، ص223.

2- سورة المسد، الآية 1.

3- سورة الحج، الآية 35.

4- يُشْتَرَطُ فِي (غَيْرٍ) وَ(مِثْلٍ) كَيْ تَتَعَرَّفَا بِالإِضَافَةِ أَنْ يَرَادَ بِهِمَا مَطْلَقُ الْمَغَايِرَةِ وَالْمِمَاثِلَةِ لَا كِمَالِهِمَا مِنْ كُلِّ وَجْهِ، وَإِنْ أُرِيدَ بِهِمَا غَيْرُ ذَلِكَ لَمْ تَتَعَرَّفَا؛ لِأَنَّ الْمَغَايِرَةَ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ لَا تَخْصُ وَجْهًا بَعِيْنَهُ. راجع: شرح التصريح، ج1، ص678. وجمع الهوامع، ج4، ص269.

5- سورة المائدة، الآية 95.

6- البيت لأبي كبير الهذلي، يصف تأبط شرا. وقوله "فأتت به" أي: فولدته. والهوجل: الوحمة الثقيل. وأتت به: يعني أمه. حوش الفؤاد: حديد الفؤاد. مبطن: خميص البطن ضميره وهو محمود في الذكور. سهدا: يقوذا لا ينام. والشاهد أن إضافة «حوش» إلى الفؤاد لفظية لا تفيد تعريفا ولا تحضيضا، ولذلك وقع حالا من «الهاء» إذ الحال لا يكون إلا نكرة. راجع:

وَقَوْلِهِ:

يَا رَبِّ غَابِطَنَا لَوْ كَانَ يَطْلُبُكُمْ لَاقِيَ مُبَاعَدَةً مِنْكُمْ وَحِرْمَانًا⁽¹⁾

وَسُمِّيَتِ الْأُولَى مَعْنَوِيَّةً لِأَنَّ فَائِدَتَهَا رَاجِعَةٌ لِلْمَعْنَى، وَهُوَ إِفَادَةُ التَّخْصِصِ
وَالتَّعْرِيفِ؛ وَتُسَمَّى أَيْضًا مَحْضَةً لِأَنَّهَا خَالِصَةٌ مِنْ تَقْدِيرِ الْإِنْفِصَالِ.

وَسُمِّيَتِ الثَّانِيَّةُ لَفْظِيَّةً لِأَنَّ فَائِدَتَهَا رَاجِعَةٌ لِلْفِظِ؛ كَتَخْفِيفِهِ بِحَذْفِ التَّنْوِينِ وَنُونِ
التَّثْنِيَّةِ وَالْجَمْعِ، فِي نَحْوِ: ضَارِبُ زَيْدٍ، وَضَارِبًا زَيْدٍ، وَضَارِبُو زَيْدٍ. وَكَرْفَعِ قُبْحِهِ،
فِي نَحْوِ: مَرَرْتُ بِالرَّجُلِ الْحَسَنِ الْوَجْهَ؛ فَإِنَّ فِي رَفْعِ "الْوَجْهِ" قُبْحُ خُلُوهِ الصِّفَةِ مِنْ
ضَمِيرِ الْمُوصُوفِ، وَفِي نَصْبِهِ قُبْحُ إِجْرَاءِ وَصْفِ الْقَاصِرِ مَجْرَى الْمُتَعَدِّي، وَفِي
الْجَرِّ تَخْلُصُ مِنْهُمَا.

وَتَخْتَصُّ اللَّفْظِيَّةُ بِجَوَازِ دُخُولِ "أَلْ" عَلَى الْمَضَافِ؛ إِذَا دَخَلَتْ فِي الثَّانِي أَوْ
مَا أُضِيفَ إِلَيْهِ الثَّانِي، أَوْ فِي مَا أُضِيفَ إِلَى ضَمِيرِهِ الثَّانِي، أَوْ كَانَ الْمَضَافُ مُثْنَى
أَوْ مَجْموعًا عَلَى حَدِّهِ، كَقَوْلِهِ:

شرح أبيات مغني اللبيب، ج 7، ص 98. والمقاصد النحوية، ج 3، ص 1289. وشرح
التصريح، ج 1، ص 680.

1- البيت لجريز، من قصيدة هجا بها الأخطل. يقول: ربّ رجل يظن أنا نظفر منكم بما
رغبناه وأنكم تبدلون لنا من فضلكم ما أملناه، فيغبطنا على ذلك ولو طلب وصلكم كما نطلب
لم يظفر منكم بشيء مما كان يرغب. والبيت شاهد على أنّ إضافة "غابط" إلى الضمير
للتخفيف لا تفيد تعريفًا بدليل دخول «ربّ» عليه وهي مختصة بالنكرة. راجع: شرح
التصريح، ج 1، ص 681. وهمع الهوامع، ج 4، ص 271. وشرح أبيات مغني اللبيب،
ج 1، ص 100.

أَبَانَا بِهَا قَتَلَى وَمَا فِي دِمَائِهَا شِفَاءٌ وَهَنَّ الشَّافِيَاتُ الْحَوَائِمَ⁽¹⁾
وَقَوْلُهُ:

لَقَدْ ظَفَرَ الزُّوَارُ أَفْفِيَةَ الْعِدَى بِمَا جَاوَزَ الْآمَالَ مِلْأَسْرٍ وَالْقَتْلَ⁽²⁾
وَقَوْلُهُ:

الْوُدُّ أَنْتِ الْمُسْتَحِقَّةُ صَفْوَهُ مِنِّي وَإِنْ لَمْ أَرْجُ مِنْكَ نَوَالًا⁽³⁾
وَقَوْلُهُ:

1- البيت للفرزدق من قصيدة يذكر فيها مقتل قتبية بن مسلم الباهلي بعد خروجه على سليمان بن عبد الملك. يقول: ليس الشفاء في الدماء التي تهريقها السيوف وإنما الدماء هي الشافيات لأنه لولاها لما سفكت الدماء. والحوائم: العطاش التي تحوم حول الماء، ولعله يريد هنا الطيور الحائمة حول القتلى. وخفض (الحوائم) على معنى: الحسن الوجه. والشاهد قوله «الشافيات الحوائم» حيث دخلت الألف واللام على الشافيات التي هي مضافة إلى الحوائم، لأن الإضافة لفظية لم تفد تعريفا والمضاف مشتق. راجع: المقاصد النحوية، ج3، ص1312. وخزانة الأدب، ج7، ص373. وشرح التصريح، ج1، ص683.

2- البيت غير منسوب. والزوار: جمع زائر، وفيه الشاهد، حيث أضيف - وهو بالألف واللام - إلى «أففية» التي هي جمع «قفا»، التي هي مضافة إلى «العدا» بالألف واللام، جمع عدو. كما في الضارب رأس الجاني؛ لكون الإضافة لفظية. وقوله «ملأسر» على لغة أهل اليمن فإنهم أبدلوا الميم من اللام، وأصله (من الأسر). راجع: المقاصد النحوية، ج3، ص1314. وشرح التصريح، ج1، ص684.

3- البيت غير منسوب. والود: بضم الواو. والشاهد أن «المستحقة» مضاف إلى صفوه، وهو مضاف لضمير ما هو مقرون بـ «أل» وهو «الود». وزعم المبرد أن مثل هذا لا يجوز فيه إلا النصب. والصحيح جواز الجر كما في الشاهد. راجع: همع الهوامع، ج4، ص274. وشرح التصريح، ج1، ص684. والمقاصد النحوية، ج3، ص1315.

إِنْ يَغْنِيَا عَنِّي الْمُسْتَوْتُنَا عَدَنْ فَإِنِّي لَسْتُ يَوْمًا عَنْهُمَا بِغْنِي (1)
وَقَوْلُهُ:

لَيْسَ الْأَخْلَاءُ بِالْمُصْنَعِي مَسَامِعِهِمْ إِلَى الْوُشَاةِ وَإِنْ كَانُوا ذَوِي رَحِمٍ (2)

وَأَجَازَ الْفَرَاءُ إِضَافَةَ الْوَصْفِ الْمَحَلِّي بِ(أَل) إِلَى الْمَعَارِفِ كُلِّهَا (3).

وَمِنْ الْأَسْمَاءِ مَا تَمْتَنِعُ إِضَافَتُهُ؛ كَالْمُضْمَرَاتِ، وَالْإِشَارَاتِ، وَغَيْرِ (أَيِّ) مَنْ
الْمَوْصُولَاتِ وَمِنْ أَسْمَاءِ الشَّرْطِ وَالِاسْتِفْهَامِ.

1- البيت غير منسوب. وقوله "يغنيا" بفتح النون، مضارع غني، بكسرها، أي: استغنى وأثبت
الألف في «يغنيا» مع أنَّ الفعل مسند إلى الظاهر «المستوطننا» على لغة «يتعاقبون فيكم
ملائكة» والباء في «بغني» زائدة في خبر (ليس)، وتخفيف الياء للضرورة، وأصلها «غني»
بالتشديد. والشاهد فيه «المستوطننا عدن» فالمستوطننا: مثنى «المستوطن» اسم فاعل مشتق؛
فقد أجاز ابن مالك أن يعرف الوصف المشتق بـأل، إذا كان مضافا، ووجدت "ال" في
المضاف إليه، أو مضاف إلى المضاف إلى المعرف بها، أو كان المضاف مثنى أو جمعا.
والمثنى كما في البيت. راجع: همع الهوامع، ج 4، ص 274. وشرح التصريح، ج 1،
ص 684. وشرح الأشموني، ج 3، ص 309.

2- البيت غير منسوب. وقوله "بالمصغي" جمع مذكر سالم، مفردة المصغي. حذفت النون
لإضافة أو للتخفيف، والذي سوغ تحلية المضاف المشتق بـأل مع خلو المضاف إليه منها
أنَّ الإضافة لا تفيد تعريفا، وهذه الإضافة تكون في المثنى والمجموع. راجع: همع الهوامع،
ج 4، ص 274. وشرح التصريح، ج 1، ص 685.

3- راجع: شرح الأشموني، ج 3، ص 309.

ومنها مَا تَلَزَمُ إِضَافَتُهُ إِلَى الْمَفْرَدِ، ظَاهِرًا أَوْ مُضْمَرًا⁽¹⁾. إِمَّا لَفْظًا فَقَطْ كـ "كِلَا" و "كِلْتَا" و "عِنْدَ" و "لَدَى" و "قُصَارَى" و "جَمَادَى" و "سَوَى"، وَإِمَّا لَفْظًا أَوْ تَقْدِيرًا⁽²⁾، كـ "كُلِّ" و "بَعْضٍ" و "أَيِّ".

ومنها مَا يَخْتَصُّ بِالظَّاهِرِ، كـ "أُولَى" و "أُولَاتٍ" و "ذِي" و "ذَاتٍ".

وَمَا يَخْتَصُّ بِالْمُضْمَرِ، وَهُوَ نَوْعَانِ: مَا يُضَافُ لِكُلِّ مُضْمَرٍ؛ وَهُوَ "وَحْدًا"، تَقُولُ: جِئْتُ وَحْدِي، وَجِئْتُ وَحْدَكَ، وَجَاءَ زَيْدٌ وَحْدَهُ⁽³⁾. وَمَا يَخْتَصُّ بِضَمِيرِ الْمُخَاطَبِ؛ وَهُوَ: "لَبَّيْكَ" و "سَعْدَيْكَ" و "حَنَانِيكَ" و "دَوَالِيكَ" و "هَذَاذِيكَ"⁽⁴⁾.

وَمَا تَلَزَمُ إِضَافَتُهُ إِلَى الْجُمْلَةِ اسْمِيَّةٌ أَوْ فِعْلِيَّةٌ، وَهُوَ "إِذَا" و "حَيْثُ"؛ وَمَا يَخْتَصُّ بِالْجُمْلَةِ الْفِعْلِيَّةِ، كـ "إِذَا" عِنْدَ غَيْرِ الْأَخْفَشِ وَالْكُوفِيِّينَ⁽⁵⁾.

وَرُبَّمَا أَضِيفَ "حَيْثُ" إِلَى مُفْرَدٍ، كَقَوْلِهِ:

1- راجع: شرح التسهيل، ج3، ص239.

2- قوله "وإما لفظًا" ساقط من (ج)، ومستدرك في الهامش الأيمن من (أ).

3- من قوله "وَمَا يَخْتَصُّ بِالْمُضْمَرِ" إلى قوله "جاء زيد وحده"، ساقط من (ج)، مستدرك بخط مغاير في الهامش الأيسر من (أ).

4- مذهب سيبويه أن (لَبَّيْكَ) وأخواته مصادِرٌ مثناةٌ لفظًا ومعناها التكرير، وأنها تُنصب على المصدرية بعوامل محذوفة من ألفاظها؛ باستثناء (هَذَاذِيكَ) و (لَبَّيْكَ) فنصبهما بما من معناهما لا بما من لفظهما. راجع: شرح الأشموني، ج2، ص313.

5- الأخفش لقب ثلاثة من مشاهير النحاة، والمقصود هنا أوسطهم: سعيد بن مسعدة (ت830هـ)، وهو والكوفيون يرون أن (إِذَا) حرفٌ، والحرف لا يُخبر به ولا عنه؛ فمن هنا كان منشأ الخلاف المشهور حول المسألة الزنبورية بين سيبويه والكسائي، وشواهد القرآن تعضد رأي سيبويه القائل (فإذا هو هي)؛ كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ بِئِضَاءٌ﴾ [الأعراف: 108]، ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ﴾ [طه: 20]. راجع: مغني اللبيب، ج1، ص92. وجمع الهوامع، ص269.

وَنَطْعُهُمْ تَحْتَ الْحَبَا بَعْدَ ضَرْبِهِمْ بِيِضِ الْمَوَاضِي حَيْثُ لِيَّ الْعَمَائِمُ⁽¹⁾
وَلَا يُقَاسُ عَلَيْهِ؛ خِلَافًا لِلْكَسَائِيِّ⁽²⁾.

1- البيت غير منسوب في أغلب المراجع، وقيل هو للفرزدق. و"الحبا" جمع "حبة" وضبطه الجوهري بكسر الحاء، وابن السكيت ذكر الوجهين؛ والمراد بها هنا الأوساط. والكلبي: جمع كلية أو كلوة، والمواضي: السيوف. وليّ: مصدر لوى العمامة على رأسه، أي لّفها ومكان لفّ العمامة هو الرأس. والشاهد فيه إضافة «حيث» إلى المفرد، فتكون حينها لفظا معربا محله النصب على الحالية بمعنى مكان، و"ليّ" مجرور بإضافة "حيث" إليه. راجع: المقاصد النحوية، ج3، ص1311. وخزانة الأدب، ج6، ص553.

2- يرى الكسائي أن إضافة (حيث) إلى المفرد مقيس على إضافتها إلى الجملة. راجع: مغني اللبيب، ج1، ص141.

خاتمة المؤلف

وهذا آخر ما قصدتُ جمعه من هذه النفحة القيومية، بتقرير الأجرومية؛ برسم إثارة الاختصار، على الإطالة والإكثار، خوف السامة على المبتدئين من الصغار والكبار.

والحمد لله على الإنعام بالإتمام، مع توفر السلامة والإسلام؛ فنسأله سبحانه أن ينفع به كما نفع بأصله، وأن يجعله موجبا لرضاه عنا وأن يجعلنا به في أعلى درجات نعمه وكمال فضله. إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير، فهو حسبنا ونعم الوكيل، ونعم المولى ونعم النصير.

(وكان الفراغ من جمعه عشية الجمعة لإثنتي عشرة ليلة خلت من شهر الله تعالى الحرام ذي الحجة من عام أربعين بعد المائتين والألف؛ رزقنا الله خيرَه، ووقانا شره وضره. آمين آمين آمين، يارب العالمين)⁽¹⁾.

1- انفردت (ج) بما ورد محصورا بين القوسين. وواضح من الصفحة الأخيرة في (أ) أنها كانت تشتمل على تحديد تاريخ الانتهاء من جمع الكتاب، إلا أن عوادي الزمن طمست جُلَّ ما كان في تلك الصفحة تحديدا.

الخاتمة

ليس القصد هنا تلخيص ما ورد في هذا العمل من شتات وما توزع فيه من نتائج، بل الوقوف فقط عند أهم نقاطه وضم بعضها إلى بعض باقتضاب شديد لا يكفي لإبراز أهم ملامحه.

تبيّن من الدراسة أن مجموعة من قبائل بني حسان العربية التي أجلاها ملوك بني مرين من جنوب المغرب، في مستهل القرن الثامن الهجري قد دخلت الصحراء الشنقيطية، فكان ذلك بداية انتشار اللغة العربية في تلك الربوع، وبدأ عهد جديد طبعه الحضور العربي وإحلال العربية محل غيرها من اللغات.

وقد أولى الشناقطة اهتماما كبيرا بتشييد المحاضر العلمية التي علا شأنها وذاع صيتها بعد سيطرة بني حسان على البلاد، ورجحان كفة العربية والتعرب في القرن الثامن ومطلع التاسع الهجريين، وتطورت تلك المحاضر بشكل ملحوظ، وازدهرت ازدهارا كبيرا في القرن العاشر الهجري، ثم بلغ هذا الازدهار أوجه في القرون الأربعة الموالية حتى أضاء ربوع الصحراء الشنقيطية كلها، وامتد إشعاعه خارجها إلى بعض الحواضر العربية الإسلامية في إفريقيا وآسيا.

وقد أنجبت هذه المحاضر كثيرا من العلماء الكبار الذين كانوا رافدا حيا للثقافة العربية الإسلامية ببلاد شنقيط، وخارجها ببعض الحواضر الإسلامية التي سافر إليها كثير منهم وأصبحوا بها سفراء للثقافة العربية الإسلامية، أساتذة محاضرين ومؤلفين وباحثين في مراكز العلم والثقافة، ومثل هؤلاء المتخرجون من المحاضر ذاكرة الصحراء الشنقيطية وعبقريتها أحسن تمثيل في استظهار العلوم المحظرة وضبطها، وخير مثال على ذلك كتاب "النفحة القيومية بتقرير الآجرومية" الذي تناولناه في هذا العمل البحثي، ورأينا من خلاله كيف قرّب مؤلفه الشيخ سيديا الكبير النحو والصرف ووضّحهما حتى انجلت غوامضهما وانحلت إشكالاتهما؛ ويعود ذلك إلى سببين:

أولهما استيعابه قواعد النحو والصرف العربيين استيعابا تاما، وإحاطته بكل الآراء المتعلقة ببنية الكلمة العربية، حتى إن الناظر في تحليله المتعلق بالمعنى يرى أنه قد سبق "البنويين" في التوصل إلى الأسس التي بنوا عليها نظرياتهم البنيوية الحديثة. وثانيهما قدرته على تبسيط هذه القواعد مهما بلغت من التعقيد أو التجريد، وإيصالها بشكل واضح ومنظم. وهناك جانب آخر يتجاوز مستوى فهم القاعدة وإيصالها بسهولة، ألا وهو الإدراك العميق للأسس والمبادئ الأصولية التي قام عليها النحو العربي، فقد كان تمكن الشيخ سيديا الكبير من تلك الأسس والمبادئ عاملا رئيسا في إبحاره بحرية دون أن يلزم نفسه في بعض المسائل مثلا برأي سابقه، كما كان يجتهد عند تعارض آرائهم في مسألة ما، أو تباين مواقف البصريين والكوفيين حول خلاف نحوي معين، نلاحظ ذلك مثلا عندما نقرأ في مؤلفه الآخر "تحفة الأطفال بحل عُقد لامية الأفعال" تحليله المفيد حول كلمة (أشياء) وبنيتها الصرفية، فقد رجّح في نهاية التحليل رأي الخليل وسيبويه داعما ترجيحه بالأدلة⁽¹⁾.

وقد عشتُ خلال إعداد هذه الأطروحة مع كنز من كنوز مخطوطات الدراسة النحوية، ألا وهو كتاب "النفحة القيومية بتقرير الآجرومية" للعلم الموريتاني الأشهر الشيخ سيديا الكبير المتوفي سنة (1284هـ). وإنه لمدعاة للأمل والتفاؤل أن يكون إخراج هذا الكتاب باكورة أعماله في التحقيق؛ فقد أعاد إلى ذاكرتي ما كنتُ قد مررتُ به في بواكير حياتي العلمية حين كان والدي - عليه رحمة الله ورضوانه - يدرّسني متن الآجرومية قبل أن ينتقل بي بعده إلى دراسة شرحها هذا.

1- بسطنا ذلك في الصفحة رقم 22 من هذه الأطروحة.

وقد حققتُ هذا الكتاب على خمس نسخ مخطوطة، بعد أن أجريتُ دراسة تحدثت فيها بنبذة عن مؤلف الكتاب من حيث اسمه ونسبه ولقبه وكنيته وبلده ورحلاته العلمية ووفاته. ثم عملتُ دراسة شاملة للشرح نفسه تناولتُ فيها: توثيق اسم الكتاب ونسبته إلى المؤلف، والمصطلحات التي استعملها فيه وأسلوبه، واختياراته وترجيحاته النحوية. ثم تلا ذلك النصُّ المحقق، ممهداً له بطريقة التحقيق، ووصف مخطوطات الكتاب.

وآثرتُ أن أمهد لتحقيق هذا الشرح بتحقيق متن الآجرومية نفسه، مع ترجمة ضافية لابن آجروم، وذكر جملة من الشروح التي وُضعت على الآجرومية، وكذلك الحواشي التي وضعت على تلك الشروح، ومنظوماتها وأعاريبها. وآمل بذلك أن أكون قد نفضتُ الغبار عن مصباحين مضيئين من المصابيح التي أوقدها أسلافنا من قبل، يستنير بهما طالبو الدراسة النحوية مع بقية المصابيح؛ إذ يمتاز شرح الشيخ سيدي الكبير للآجرومية بالسهولة والوضوح، مع اشتماله على خلاصة الخلاصة، فكان مُعينا على معرفة قواعد اللغة دون الخوض في مسائل لا تهم إلا المختصين في النحو، ولذا كانت شواهد أمثلة لإيضاح القواعد، وليست لبيان ما شذّ وندر، وقد أكثر فيها من الاستشهاد بالقرآن الكريم، كما استشهد بعدة أحاديث نبوية.

أما شواهد الشعرية فقد كان اختيارها يتم وفقا لمعيارين اثنين؛ أحدهما توضيح القاعدة، والثاني أن يكون مضمونها يدعو إلى المثل الأخلاقية والفضائل الدينية. فذكر منها ما يحث على الصبر والمثابرة في قول القائل:

لأستسهلنَّ الصعب أو أدرك المُنَى فما انقادت الآمال إلا لصابر

مستشهدا فيه بإعمال (أو) بمعنى (حتى).

ومنها ما يدعو إلى القناعة والتعفف، وذلك في قول الشاعر:

استغن ما أغناك ربك بالغنى وإذا تصبك خصاصة فتجمل
وقد أورده في الجزم بـ(إذا) في الشعر خاصة.

وفي جزم (من) و(إذا) استشهد بيتين لهما مدلولهما في التربية الخلقية، وهما:

ومن لا يزل يستحمل الناس نفسه ولا يغنيها؛ يوما من الدهر يُسأم
وقول الشاعر:

فإنك إذا تأت ما أنت أمرٌ به تُلف من إياه تأمر آتيا
وقد أورد في مواضيع أخرى أبيات حكم ونصائح، منها:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عارٌ عليك إذا فعلت عظيم
وهذا ما يُظهر نزعة التربية، ونصائحه الدينية، في البحث عن الاستقامة والكرم
والتقوى؛ ومما أورد في هذا:

حيثما تستقم يقدر لك الد نجاحا في غابر الأزمان
وقول الشاعر:

حسبتُ التقى والجود خير تجارة رباحا إذا ما المرء أصبح ثاقلا
وقول لبيد بن ربيعة:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

وقد مكّنت دراسة كتاب "النفحة القيومية بتقرير الآجرومية" من حصر بعض النقاط المهمة التي يجمعها اهتمام المؤلف بتيسير النحو للمتلقي، حتى إن الناظر في الكتاب يحسب نفسه أمام المؤلف نفسه؛ وذلك لما تميز به الكتاب من:

- 1- كثرة الأمثلة وشرحها.
- 2- شرح المسائل بسيطها ومعقدِها.
- 3- بساطة اللغة التي كتب بها الكاتب.
- 4- المقارنة المختصرة بين المسائل المتشابهة.
- 5- اختيار الأسهل عند الاختلاف في بعض المسائل.
- 6- عدم التوسع في المواضيع الخلافية، إذ يلمح فقط ويذكر المفيد منها.
- 7- حسن الانتقال من باب إلى باب حسب ما يقتضيه المتن.
- 8- التعليق على المتن بما يجب في بعض أبوابه.
- 9- سدّ الفراغات في المتن سعيا إلى فهم أوسع.
- 10- الاهتمام بآراء كبار النحويين في المسائل الخلافية.
- 11- الاستشهاد ببعض الآراء والتعليق عليها، إما لقوتها أو لإحاطتها بالموضوع.
- 12- اتباع أسلوب المقارنة، وهو ما أعطى القارئ نظرة أشمل وفكرة أدق.
- 13- الاعتماد على المتن بذكره حرفيا ثم الشرح، وهو ما يجعل المتلقي حاضر الذهن لما يقال. علما أن المتن واضح أصلا ودقيق حتى إنّ القارئ يراه مفهوما واضحا في الغالب لا يحتاج إلى شرح، لكن الشارح يأتي بالجديد دائما بإظهاره لبعض الأساسيات والجزئيات التي تشدّ المتلقي المبتدئ فيكتشف فيها الجديد، والمتخصص فيجد فيها المتميز.

14- لم يهتم مؤلف كتاب النفحة القيومية، بالمسائل الصرفية كثيرا، وذلك لكون الآجرومية وُضعت أول ما وُضعت كتابًا خاصًا بعلم النحو دون علم الصرف.

15- الكتاب حافل بمسائل دقيقة جعلها العرض السلس، وأسلوب الطرح المتميز سهولة ورود بسيطة الفهم.

16- كثرة الشواهد التي أوردها الشارح تدل على صحة القواعد النحوية التي عالجهها، والآراء التي ذكرها تصريحًا أو تلميحًا تدل على سعة علمه ومعرفته بدقائق النحو.

17- استطاع الشارح أن يشرح المتن شرحًا دقيقًا رقيقًا محكمًا، وأن يعلّل ويناقش المسائل النحوية التي أوردها المؤلف، فلم يترك مسألة إلا تناولها بالشرح أو التعقيب؛ مستعينا في ذلك بالشواهد الشعرية والقرآنية وآراء العلماء بصريين وكوفيين.

18- كانت تعليقات الشارح مبنية على حجج وبراهين؛ فقد كان يصدر عن آراء العلماء على مختلف مذاهبهم ويناقشها، وأحيانا يرد عليها وربما فضّل رأيا واختاره ودلّل على صحته بحجج ارتضاها.

وبعد فأرجو أن أكون قد نجحت في معالجة هذا الموضوع معالجة تليق به، ذلك أنني لم أدخر جهدا في سبيل إنجازه؛ فاعتمدتُ على الوثائق الأصلية، والشهادات الموثوقة، والمعاينة الذاتية، والاتصال المباشر بمحيط المؤلف، والإحاطة بجوانب سيرته الذاتية؛ فأهل مكة أدرى بشعابها، وصاحب البيت أدرى بالذي فيه. وهكذا جاءت الدراسة المصاحبة للتحقيق ترجمة عصر لا ترجمة فرد، إذ لم تترجم لعلمين فقط وإنما ترجمت لجيل كامل وفضاء جامع، فهي مرجع للحياة الثقافية والعقلية والاجتماعية التي سادت المجالين الموريتاني والمغربي في حقبة متتابعة.

وآمل أن أكون بهذا العمل قد أضفت لبنة في صرح الثقافة العربية الإسلامية الشامخ، وأن ينفع به الله كل ساع للعلم والتحصيل؛ إذ لا سبيل لنا إذا أردنا صلاح الحال وإصلاح الألسنة إلا العودة في تدريس النحو إلى الكتاب القديم والنص التراثي، فإن آخر هذه الأمة لن يصلح إلا بما صلح به أولها. فتعليم النحو من خلال هذه الكتب القديمة الموجزة - كما يرى العلامة الطناحي، رحمه الله - فيه تثبيت للعربية وتمكين لها في النفوس، مع التقاط معارف أخرى تأتي من خلال الشواهد والنصوص، وينبغي أن نحسن الظن بناشئتنا ولا نخشى عليهم من التعامل مع الكتاب القديم فإن فيهم خيرا كثيرا، وطبيعة تعلم العربية تقتضي حفظ كثير من النصوص والضوابط لترسيخ القاعدة، ولذلك لجأ المصنفون قديما إلى وضع المتون العلمية لضبط القواعد وتثبيتها، وقالوا: "من حفظ المتون حاز الفنون". وما دخل علينا البلاء واستبد بنا الضعف إلا يوم أن هجرنا هذه الضوابط الكلية، ونفرنا من الحفظ، واجتوينا النصوص، ثم غرقنا في البحث النظري الذي أسلمنا إلى التجريد والمطلق، ففقدنا ملكة النحو والإحساس بالعربية في أبنيتها وتراكيبها. إن الإسراف في النظريات والمناهج هو الذي أضعف إحساس أبنائنا بالعربية الأولى، وهو الذي أورثهم العجز الذي يأخذ بألسنتهم وأقلامهم، فلا يستطيعون قولاً ولا بياناً؛ فأنت قد تصادف نحويًا خالطت بشاشة النحو قلبه، وزعم أنه خير سواده وبياضه، أسهر فيه ليله، وأدأب له نهاره، حتى ظن أنه ملك ناصيته: قواعد وخلافيات ونقداً، فإذا أخذ في كلام، أو أدار قلمه على بيان خلط واعتسف وأخطأ، وما أوتي هذا النحوي إلا من قبيل الإغراق في النظريات والمناهج والقواعد، وأطراح الحفظ، وهجر النصوص، وإهمال التطبيق. فإنه يشيع في أيماننا هذه كلام عجيب، يبعث إلى طالب العربية "الحفظ" ويزهده فيه، بل إن الأمر قد تعدى ذلك إلى تثبيت قاعدة تجعل "الحفظ" مقابل "الفهم" وأن الطالب الذي يحفظ غير قادر على الفهم والاستيعاب؛ وهذا كلام إن صدق على العلوم المعملية والتطبيقية لا يصدق على علوم العربية، من أدب وبلاغة ولغة

ونحو، فطبيعة تعلم العربية تقتضي حفظ كثير من النصوص لتثبيت القواعد والتمكين للأبنية والتراكيب في ذهن طالب العلم. وتراثنا كله قائم على الرواية والدراية، والرواية مقدّمة فقد وصل إلينا تراثنا في أول أمره عن طريق الحفظ والرواية، فقد وعته صدور الرواة الثقل، وسلمته أجيال إلى أجيال، حتى أظل زمان التدوين والكتابة، فالحفظ هو الأساس، وقد حثوا عليه ومدحوا أهله، بل قد قال قائلهم: "كل علم لا يدخل معي الحمّام فليس بعلم" ويريد بذلك أنه حافظه ومستحضره في كل وقت وعلى كل حال. وهذا ابن خلدون يقول: "وجه التعليم لمن يتغي هذه الملكة [ملكة اللسان المضري] ويروم تحصيلها أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على أساليبهم، من القرآن والحديث وكلام السلف ومخاطبات فحول العرب في أسجاعهم وأشعارهم، وكلمات المولدين أيضا في سائر فنونهم، حتى يتنزل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور منزلة من نشأ بينهم ولقن العبارة عن المقاصد منهم"⁽¹⁾.

وخير ردّ وأوفاه على هؤلاء الذين يشترطون للحفظ الفهم، ويقولون: لا تطلبوا من الصبي حفظ ما لا يفهم، فإن هذا غير مُجدٍ في العملية التعليمية = ما نقله العلامة الطناحي من أن أبا الفتح عثمان بن جني قال: «قال لنا أبو علي - الفارسي - يوماً قال لنا أبو بكر - ابن السراج - : إذا لم تفهموا كلامي فاحفظوه، فإنكم إذا حفظتموه فهمتموه». وقد عقّب العلامة الطناحي على كلام ابن جني، قائلا: "وهذا كلام صحيح، يصدّقه الواقع وتؤكدّه التجربة، فإن الإلحاح بالحفظ الدائم المستمر مما يمهّد للفهم لا محالة. وآية ذلك أن صغار التلاميذ في دور الحضانة والروضة يرددون مع إطلالة كل صباح النشيد الوطني لبلادهم، وهم بالقطع لا يعرفون شيئاً عن معاني مفرداته فضلاً عن تراكيبه، ولكنهم بمرور الأيام يدركون ويفهمون. والشواهد على ذلك أكثر من أن تُحصى في اكتساب وإدراك المعارف. ونحن الذين حفظنا القرآن صغارا

نعرف هذا من أنفسنا، فما زلنا نذكر ألفاظ القرآن وتراكيبه الغريبة علينا في مطالع أيامنا، ثم إضاءة معانيه في نفوسنا بعد ذلك بالتدريج، وإن كنا لا ندرك بالضبط متى تم هذا، كما لا يدرك الناظر في السماء انسلاخ النهار من الليل إلا حين يغشاه نوره ويغمره سناه. وليس أدل على أهمية «الحفظ» في العملية التعليمية في تراثنا، من هذا القدر الهائل من المنظومات في اللغة، والنحو، والفرائض (المواريث)، والقراءات، وعلوم الحديث، والأصول، والبلاغة، والمنطق، والعروض، والميقات، والطب، وكل ذلك لضبط القاعدة وتثبيت الأحكام⁽¹⁾ وتتأكد أهمية الحفظ حين نعلم أن المتون ما وُضعت إلا لتسهيله، وما أمر «متن الآجرومية» ببعيداً. فبهذه المتون الشعرية والنثرية تعلّم من قبلنا الأدب واللغة والنحو، لأنهم سلموا من زلازل التطوير وأعاصير التيسير؛ وإنه لواجب علينا إذا أردنا الخير لهذا الجيل أن نحیی فيهم مهارات الحفظ، ونقدم لهم قواعد العربية من خلال النصوص التراثية الموثقة، فالحفظ وسيلة ضبط وإتقان ينبغي أن تراعى من أول درجة من درجات سلّم التعليم، ولا تشفقوا على الصغار والناشئة، فإن فيهم خيراً كثيراً.

إن هجر الكتاب القديم - وهو وعاء العلم ومستودع التراث - والاستعاضة عنه بالمذكرات والمختصرات، قد حجب عن هذا الجيل كُوى النور، وحلّاهم عن موارد العلم... وكان من أخطر الأمور ردُّ ذلك إلى التيسير والتسهيل والتخفيف على الناشئة، ولقد مضينا في التيسير والتسهيل خطوات وخطوات حتى انتهينا إلى ما لم يعد خافياً اليوم من التدني الذي وصل إليه خريجو أقسام اللغة العربية في جامعاتنا، وهؤلاء الخريجون هم الذين يتولون تعليم أولادنا في المدارس، وهم أيضاً الذين يُسمعوننا الكلمة العربية من خلال الإذاعة والتلفزيون، ويكتبونها لنا في الجرائد والمجلات، ولو تُرك الأمر على ما هو عليه الآن فالله وحده هو الذي يعلم أبعاد الكارثة التي

سُتُطْبِق على هذه الأمة، ونخشى أن تغشانا طوارقها ذات يوم وقد استحال تراثنا الذي ضَيَّيَ به الأوائل خلال أربعة عشر قرناً من الزمان: أَلْغَاظَا وَطَلَّسَمَات، كالذي تراه على جدران المقابر والمعابد ولفائف البردي، رموزاً قديمة تخفى على جمهرة الناس، ولا يعقلها إلا العالمون ... وها هي نذر الفتنة قد أطلت برأسها، فلن يستطيع أحد مهما غلا في تقدير كُليته أو معهده أن يزعم أن طالباً متخرجاً في هذا المعهد أو تلك الكلية يستطيع الآن أن يقرأ سطراً من كتاب سيبويه، فضلاً عن أن يفهمه أو يحل رموزه، وإذا لم يستطع خريج كلية تُعنى باللغة العربية وآدابها أن يقرأ سيبويه، فمن ذا الذي يقرأه؟⁽¹⁾

والمصيبة التي تتضاءل دونها كل مصيبة هي تعلق المسألة بتلاوة القرآن العزيز، فقد استعجم على ألسنة معلمي المدارس، وصاروا يتلون على تلاميذهم محرفاً ومزلاً عن جهته، ثم أصبحت تسمعه من بعض المذيعين والمذيعات كذلك مغلوطة ملحونة. وهذا هو الخطر الماحق الذي يجب أن نقف جميعاً أمامه نصده وندفعه، فإن القضية والحالة هذه قد صارت دِينًا يُغْتَال وشرعية تُنتهك، ولا بد أن يقول فيها كل غيور على دين الله كلمته، لا يفزعه سخط الساخط، ولا يخيفه سلطان هؤلاء الذين يظنون أن بأيديهم إغلاق الأبواب وفتحها، وقد قال سيدنا رسول الله (ﷺ): {ألا لا يمنعن رجلاً هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه}⁽²⁾.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

1- راجع: مقالات العلامة الطناحي، ص 126.

2- أخرجه الترمذي وابن ماجه والحاكم والطيالسي وأحمد وأبو يعلى والقضاعي، من طريق علي بن زيد ابن جدعان القرشي عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً به. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. راجع: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (السلسلة الصحيحة)، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، دون تاريخ، ج 1، ص 271.

المراجع والمصادر⁽¹⁾:

- 1- الآجرومية، تحقيق حايك النبهان، ط2، دار الظاهرية للنشر والتوزيع، الكويت 2011.
- 2- اجتهادات لغوية، الدكتور تمام حسان، طبعة عالم الكتب، القاهرة - 2007.
- 3- إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، دار ابن حزم، بيروت - 2005.
- 4- أخبار النحويين البصريين، أبو سعيد السيرافي، تحقيق: طه محمد الزيني ومحمد عبدالمنعم خفاجي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة - 1955.
- 5- أدب الرحلة في بلاد شنقيط، محمذن ولد المحبوبي، مطبعة المنار، الرباط، 2013.
- 6- الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياها، د. عباس الجراري، مكتبة المعارف، 1979.
- 7- ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة - 1998.
- 8- إرواء الغليل في تخرّيج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت - 1985.
- 9- الأروستقراطية الدينية في موريتانيا، المصطفى ولد اغلمبّطالِب (علي بن أبي طالب)، أطروحة تخرج في المدرسة العليا للأساتذة، انواكشوط 1985م.
- 10- أزمة الإبداع في الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر الهجري من خلال عينية ابن الشيخ سيديا، د. الشيخ أحمد المنى، حولية كلية اللغة العربية بنين بجرجا، العدد الثاني والعشرون للعام 1440هـ/2018م، الجزء السابع.
- 11- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء - 1997.
- 12- أسرار النحو، ابن كمال باشا، تحقيق: أحمد حسن حامد، دار الفكر للطباعة، دمشق - 2002.
- 13- الأشباه والنظائر في النحو، جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبدالعال مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت - 1985.
- 14- الأصول.. دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، الدكتور تمام حسان، طبعة عالم الكتب، القاهرة - 2000.
- 15- إعراب القرآن، أبو جعفر النحاس، دار المعرفة، بيروت - 2008.
- 16- إعراب القراءات السبع وعللها، الحسين بن أحمد ابن خالويه، تحقيق: عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الخانجي، القاهرة - 1992.
- 17- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط15، بيروت - 2002.
- 18- أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن (نثر الجمان في شعر من نظمنا وإياه الزمان)، أبو الوليد إسماعيل ابن الأحمر، تحقيق: الدكتور محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، بيروت - 1976.
- 19- الإعلام بمن حلّ بمراكش وأغمات من الأعلام، القاضي العباس بن إبراهيم المراكشي، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، 1403هـ/1983م.

1- رتبت المصادر والمراجع تبعاً لترتيب حروف الهجاء لدى الشناقطة، مغفلاً (أل) التعريف ولفظي (ابن) و(أبو).

- 20- الاقتراح في أصول النحو، جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبدالحكيم عطية، دار البيروني، الطبعة الثانية 2006.
- 21- اكتفاء القنوع بما هو مطبوع (أشهر التأليف العربية في المطابع الشرقية والغربية)، إدوارد كرنيليوس فاندايك، صححه وزاد عليه: السيد محمد علي الببلاوي، مكتبة الهلال، مصر - 1896.
- 22- الإمارات والمجال الأميري البيضاوي خلال القرن 18م-19م، محمد المختار ولد السعد، حوليات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة انواكشوط، العدد الثاني، 1990.
- 23- إمارة الترارزة وعلاقاتها التجارية والسياسية مع الفرنسيين من 1703 إلى 1860، د. محمد المختار ولد السعد، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط - 2000.
- 24- أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)، الشريف المرتضى علي بن الحسين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة - 1954.
- 25- إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين القفطي، دار الفكر، مصر - 1986.
- 26- الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، أبو البركات ابن الأنباري، تحقيق: جودة مبروك محمد مبروك، مكتبة الخانجي، القاهرة - 2002.
- 27- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، علي بن أبي زرع الفاسي، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط - 1972.
- 28- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، عبدالله ابن هشام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - دون تاريخ.
- 29- إيضاح الأسرار والبدائع في شرح الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع، ابن المجراد، تحقيق: ناصر محمد أبو زيد نصر، جامعة الأزهر، أطروحة دكتوراه - 1991.
- 30- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، إسماعيل باشا الغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - 1386هـ.
- 31- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - 2010.
- 32- البداية والنهاية، الحافظ ابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت - 1990.
- 33- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة - 1957.
- 34- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، أبو زكرياء يحيى ابن خلدون، طبعة الجزائر - 1903.
- 35- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة - 1965.
- 36- بلاد شنقيط. المنارة والرباط، الخليل النحوي، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس - 1987.
- 37- البنيوية، جان بياجه، ترجمة: عارف منيمه وبشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت - 1985.
- 38- البنيوية بين العلم والفلسفة، عبد الوهاب جعفر، دار المعارف، مصر - 1989.
- 39- البهجة المرضية على ألفية ابن مالك، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد الصالحي الأنديمشكي، مكتبة المدرّس، مدينة فم - إيران، دون تاريخ.

- 40- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري، دار الغرب الإسلامي، تونس - 2013.
- 41- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: عبد الستار أحمد فرّاج، مطبعة حكومة الكويت، 1965.
- 42- تاريخ آداب العربية، مصطفى صادق الرافعي، مكتبة الإيمان، القاهرة - 1997.
- 43- تاريخ ابن خلدون (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، دار الفكر، بيروت - 2000.
- 44- تاريخ الأدب الموريتاني، أحمد ولد حبيب الله، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق - 1996.
- 45- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت - 1987.
- 46- تاريخ إمارتي إدوعيش ومشظوف، بابّه ولد الشيخ سيديا، مرقون بحوزتنا، ولم نتمكن من الحصول على المطبوع.
- 47- تاريخ بلاد شنقيطي، د. حماد الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، بيروت - 2010.
- 48- تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي، علي محمد الصلابي، دار المعرفة، بيروت - 2005.
- 49- تاريخ السودان، عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر السعدي، تحقيق وطبع هوداس، المدرسة الباريزية لتدريس الألسنة الشرقية، باريس - 1981.
- 50- تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر التنوخي المعري (المتوفى: 442هـ)، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة - 1992.
- 51- تاريخ المغرب العربي إلى قيام دولة المرابطين، سعد زغلول عبد الحميد، منشأة المعارف، مصر 1995.
- 52- تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، د. محمد المختار ولد اباه، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت - 2008.
- 53- تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، بيروت - 1993.
- 54- التبصرة والتذكرة، أبو محمد عبد الله بن علي الصيّمرّي، تحقيق: فتحي أحمد مصطفى علي الدين، منشورات مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي في جامعة أم القرى - 1982.
- 55- التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين، أبو البقاء العكبري، تحقيق: عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، دار الغرب الإسلامي، بيروت - 1986.
- 56- تحفة الأطفال بحلّ عقد لامية الأفعال، الشيخ سيديا الكبير، مرقون.
- 57- تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط - 1417 هـ.
- 58- التحقيقات الوفية بما في البهجة المرضية من النكات والرموز الخفية، محمد صالح الغرسي، دار السلام، القاهرة - 2000.

- 59- تحقيق النصوص ونشرها، عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط7، القاهرة - 1998.
- 60- التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، عبدالرحمن ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني، بيروت - 1979.
- 61- التقرير العام لموريتانيا 2014، المركز الموريتاني للبحوث والدراسات الاستراتيجية، انواكشوط - 2015.
- 62- التكملة، أبو علي الفارسي، تحقيق: الدكتور حسن شاذلي فرهود، الرياض - 1981.
- 63- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة 1964-1967.
- 64- جذوة الاقتباس في ذكر من حلَّ من الأعلام مدينة فاس، أحمد ابن القاضي المكناسي، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط - 1973.
- 65- الجُمْل، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، تحقيق: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت- 1984.
- 66- الجُمْل في النحو، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة، بيروت - 1985.
- 67- جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبدالمجيد قطامش، دار الفكر، بيروت - 1988.
- 68- الجمهورية الإسلامية الموريتانية، منشورات وزارة الإعلام الموريتانية، 1987م.
- 69- الجمهورية الإسلامية الموريتانية.. دراسة مسحية شاملة، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الطبعة الأولى 1978.
- 70- الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت - 1992.
- 71- جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، علي الجزنائي، تحقيق: عبد الوهاب ابن منصور - مؤرخ المملكة المغربية، المطبعة الملكية، الرباط - 1991.
- 72- جوامع السيرة ورسائل أخرى، ابن حزم، دار المعارف، القاهرة - 1956.
- 73- حاشية ابن حمدون بن الحاج على شرح المكودي، دار الفكر، بيروت - 2003.
- 74- حاشية أبي العباس أحمد بن محمد بن حمدون السُّلَمي (المعروف بابن الحاج) على شرح الشيخ خالد الأزهرى على متن الآجرومية، المطبعة المحمودية، مصر - 1316هـ.
- 75- الحركة الفكرية في بلاد شنقيط حتى نهاية القرن الثاني عشر (18م)، عبدالودود ولد عبدالله (ددود)، مركز الدراسات الصحراوية، الرباط - 2015.
- 76- الحزب الواحد وتطور الحياة السياسية في موريتانيا، سيدي ابراهيم ولد محمد احمد، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في العلوم السياسية، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1989-1990.
- 77- أبو الحسين بن الطراوة وأثره في النحو، محمد إبراهيم البناء، دار بوسلامة للطباعة والنشر، تونس - 1980.
- 78- الحقائق المكللة والدرة الإلغية، سيدي صالح بن عبدالله الأُلغي، دن، ط1 - 1993.

- 79- **الحلل المؤشّية في ذكر الأخبار المُراكشية**، مؤلف أندلسي من أهل القرن الثامن الهجري (الثامن عشر خطأ في العنوان)، تحقيق: سهيل زكار وعبدالقادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء - 1979.
- 80- **حوادث السنين (حياة موريتانيا)**، المختار ولد حامد، تحقيق الدكتور سيدي أحمد ولد أحمد سالم، الدوحة - 2009، الناشر غير مذكور.
- 81- **خزانة الأدب ولبّ أبواب لسان العرب**، عبدالقادر البغدادي، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة - 1997.
- 82- **الخصائص**، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، القاهرة - 1952.
- 83- **خُطب الملك الحسن الثاني**: 3 مارس 1977 - 3 مارس 1978، وزارة الإعلام، الرباط - 1978.
- 84- **خواطر حول عينية ابن الشيخ سيديا**، أحمد ولد الحسن، حوليات الجامعة التونسية، عدد 1984/23.
- 85- **دائرة المعارف الإسلامية**، إعداد وتحرير: إبراهيم زكي خورشيد وآخرين، دار الشعب - القاهرة.
- 86- **دراسات تاريخية مهداة إلى عبد العزيز الدوري**، إحسان عباس، منشورات الجامعة الأردنية، 1995.
- 87- **دراسات وصور من تاريخ الحياة الأدبية في المغرب العربي**، د. طه الحاجري، طبعة دار النهضة، بيروت - 1983.
- 88- **درة الحجال في غرة أسماء الرجال**، ابن القاضي المكناسي، دار الكتب العلمية، بيروت - 2002.
- 89- **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق - 1406هـ.
- 90- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، ابن حجر العسقلاني، دار الجيل، بيروت - 1993.
- 91- **الدليل إلى المتون العلمية**، عبدالعزيز بن إبراهيم بن قاسم، دار الصميقي، الرياض - 2000.
- 92- **دور علماء الصحراء المغربية وأدبائها في تثبيت الوحدة الوطنية**، الدكتور عباس الجراري، عرض تمهيدي قدم - مرتجلاً - في افتتاح الندوة التي عقدتها أكاديمية المملكة المغربية حول "ثقافة الصحراء.. مقوماتها المغربية وخصوصياتها" يومي 26-27 ذي الحجة 1422هـ الموافق 11-12 مارس 2002م وقد نشرت أعمالها ضمن سلسلة "الندوات".
- 93- **دور موريتانيا في التواصل الفكري المشرقي-المغربي**، بحوث ومناقشات ندوة الذكرى الثمانين للشيخ محمد محمود بن التلاميذ الشنقيطي، انواكشوط: 18-20 يونيو 1996، الناشر منشأة المعارف - الإسكندرية.
- 94- **ديوان سحيم عبد بني الحساس**، تحقيق: عبدالعزيز الميمني، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة - 1950.
- 95- **ديوان الشيخ سيديا ولد المختار ولد الهيبه**، تحقيق: عبدالله ولد إسماعيل ولد أبو مدين، د.ت، د.ن.

- 96- ديوان المامون اليعقوبي، تحقيق: محمد ولد ماء العينين، المدرسة العليا للتعليم، انواكشوط 1983م.
- 97- ديوان محمد ولد ابن ولد احميداً الشقروي، تحقيق: أحمد ولد حبيب الله، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة - 1988.
- 98- ديوان محمدي ولد سيدينا، تحقيق: محمد الأمين ولد بدي، دار المعلمين العليا، انواكشوط - 1984.
- 99- ديوان المختار بن بونه الجكني، جمع وتحقيق: محمد محمود بن محمد الأمين، بحث مقدم لنيل الإجازة في اللغة العربية وآدابها، جامعة انواكشوط، السنة الجامعية: 1993-1992.
- 100- ديوان الهادي بن بدي العلوي، تحقيق حفيده محمد بن الهادي، دار نجيبويه للمخطوطات والتراث، 2015.
- 101- ذكريات مشاهير رجال المغرب، عبدالله كنون، تقديم: الدكتور محمد بن عزوز، دار ابن حزم، بيروت - 2010.
- 102- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، دار الغرب الإسلامي، تونس - 2012.
- 103- رحلة ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، منشورات دار صادر - بيروت، من دون تاريخ.
- 104- الرد على النحاة، ابن مضاء القرطبي، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد إبراهيم البناء، دار الاعتصام، القاهرة - 1979.
- 105- رسائل الشيخ سيديا الكبير إلى الكيانات السياسية والمجموعات القبلية، تحقيق: الدكتور محمد المختار ولد السعد، دار الإسرائ، عمان - 2020.
- 106- رسم المصحف.. دراسة لغوية تاريخية، غانم قدوري الحمد، اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، بغداد - 1982.
- 107- رصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد بن عبد النور المالقي، تحقيق: أحمد الخراط، دار القلم، دمشق - 2002.
- 108- الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، محمد ابن غازي العثماني، تحقيق: عبدالوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط - 1988.
- 109- سبب وضع علم العربية، جلال الدين السيوطي، تحقيق: مروان العطية، طبعة دار الهجرة، بيروت / دمشق، 1409هـ - 1988.
- 110- سِر صناعة الإعراب، عثمان ابن جني، تحقيق: حسن هنداي، دار القلم، دمشق - 1985.
- 111- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (السلسلة الصحيحة)، أبو عبدالرحمن محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، دون تاريخ.
- 112- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض - 1992.
- 113- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بمدينة فاس، أبو عبدالله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني، تحقيق الدكتور محمد حمزة الكتاني، الموسوعة الكتانية لتاريخ فاس، العدد (4)، عام 2005.
- 114- السنن الكبير، الحافظ البيهقي، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، القاهرة - 2011.

- 115- السياسة الاستعمارية الفرنسية في موريتانيا على عهد فيديرب، د. محمد عبدالرحمن ولد عمار، مجلة عصور الجديدة، العدد 14-15، أكتوبر 2014.
- 116- سيبويه إمام النحاة، علي النجدي ناصف، منشورات عالم الكتب، القاهرة - 1979.
- 117- سِير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت - 1984.
- 118- السيرة النبوية، أبو الفداء إسماعيل ابن كثير، تحقيق: مصطفى عبدالواحد، دار المعرفة، بيروت - 1976.
- 119- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف، دار الكتب العلمية، بيروت - 2003.
- 120- شذا العرف في فنّ الصرف، أحمد بن محمد بن أحمد الحملاوي، دار الكيان - الرياض، د.ت.
- 121- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق / بيروت، الطبعة الأولى، 1406 هـ - 1986م.
- 122- شَرْبِيَه أو أزمة الجنوب الغربي الموريتاني خلال القرن 17م، محمد المختار ولد السعد، منشورات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، انواكشوط - 1993.
- 123- شرح الأجرومية في علم العربية، عليّ بن عبد الله بن عليّ نور الدين السنهوري (ت: 889هـ)، دراسة وتحقيق: د. محمد خليل عبد العزيز شرف، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة - مصر، الطبعة الأولى 1427هـ - 2006.
- 124- شرح أبيات مغني اللبيب، عبدالقادر بن عمر البغدادى، تحقيق: عبدالعزيز رباح وأحمد يوسف دقاق، دار الثقافة العربية، دمشق - 1993.
- 125- شرح أشعار الهذليين، أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، مراجعة: محمود أحمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة - 1965.
- 126- شرح الأشموني (منهج السالك إلى ألفية ابن مالك)، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الكتاب العربي، بيروت - 1955.
- 127- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار التراث، القاهرة - 1980.
- 128- شرح التسهيل، محمد ابن مالك، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، وطارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، بيروت - 2001.
- 129- شرح التسهيل، ابن مالك، تحقيق: عبدالرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، منشورات هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة - 1990.
- 130- شرح التسهيل (تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)، محمد بن يوسف المعروف بناظر الجيش، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة - 2007.
- 131- شرح التصريح على التوضيح (التصريح بمضمون التوضيح)، خالد الأزهرى، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - 2000.
- 132- شرح جُمَل الزجاجة، ابن عصفور الإشبيلي، دار الكتب العلمية، بيروت - 1998.
- 133- شرح ديوان الحطينة برواية ابن السكيت، دار الكتب العلمية، بيروت - 1993.
- 134- شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، مطبعة حكومة الكويت، الكويت - 1962.

- 135- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، الإمام اللغوي النحوي جمال الدين ابن هشام، تحقيق: محمد أبو فضل عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت - 2001.
- 136- شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، تحقيق: يحيى بشير مصري، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1996.
- 137- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، دون تاريخ.
- 138- شرح الكافية الشافية، محمد بن عبد الله ابن مالك، تحقيق: علي معوض وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت - 2000.
- 139- شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، أبو أحمد العسكري، تحقيق: أحمد عبدالعزيز، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، القاهرة - 1963.
- 140- شرح متن الآجرومية، أبو زيد عبدالرحمن بن علي بن صالح المؤودي، تحقيق: أحمد بن إبراهيم بن عبد المولى المغيني، المكتبة الإسلامية، القاهرة - 2005.
- 141- شرح المفصل للزمخشري، أبو البقاء ابن يعيش، تقديم: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت - 2001.
- 142- شرح نظم عمود النسب، حماد ولد ألعين المجلسي الشنقيطي، تحقيق: أباه ولد محمد عالي ولد نعم العبد المجلسي الشنقيطي، دار الفتح للطباعة والنشر والتوزيع، الشارقة - 2002.
- 143- شعراء موريتانيا القدماء والمحدثون، محمد يوسف مقلد، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء - 1962.
- 144- شعر الحسين بن مطير الأسدي، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الخامس عشر، مايو 1969.
- 145- الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر الهجري.. مساهمة في وصف الأساليب، أحمد جمال ولد الحسن، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية - ليبيا، ط 1، 1995.
- 146- الشعر العربي الفصيح في بلاد شنقيط، عبد الله حسن ولد بن احميده، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة - 1986.
- 147- شعر النعمان بن بشير الأنصاري، تحقيق: يحيى الجبوري، دار القلم، الكويت - 1985.
- 148- الشعر والشعراء في موريتانيا، د. محمد المختار ولد أباه، دار الأمان، الرباط - 2003.
- 149- الشيخ سيديا.. الموروث الثقافي والأدبي، أعمال ندوة بوتلميت 18-19/02/2006، دار الكتب العلمية، بيروت - 2011.
- 150- الصاحب في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد ابن فارس، تحقيق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت - 1997.
- 151- صبح الأعشى، أبو العباس أحمد القلقشندي، طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة - 1922.
- 152- الصّاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، دار الحديث، القاهرة - 2009.
- 153- صحراء المثلثين وعلاقاتها بشمال وغرب إفريقيا، الناني ولد الحسين، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة محمد الخامس، الرباط - 2000.
- 154- صحيح البخاري، دار ابن كثير للطباعة والنشر، دمشق - 2002.

- 155- صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض - 2000.
- 156- صحيحة النقل في علوية إيدو علي وبكرية محمد قلي، سيدي عبدالله ولد الحاج إبراهيم، مخطوط بحوزتنا صورة منه، ولم أتمكن من الوقوف على طبعته التي نشرتها وحدة المنارة للدراسات والبحوث والتحقيق سنة 2016.
- 157- الصديقة بنت الصديق، عباس محمود العقاد، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر - 2005.
- 158- ضحى الإسلام، أحمد أمين، مطبعة الاعتماد، القاهرة - 1934.
- 159- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار الجيل، بيروت - 1992.
- 160- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب ابن السبكي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة - 1964.
- 161- طبقات الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - 2001.
- 162- طبقات النحويين واللغويين، أبوبكر الزبيدي الأندلسي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة - 1973.
- 163- الطرة.. توشيح لامية الأفعال لابن مالك، الحسن ولد زين الشنقيطي، تحقيق: عبدالحميد بن محمد الأنصاري، دار الكتب العلمية، بيروت - 2008.
- 164- الطريقة الشاذلية في بلاد شنقيط.. أعلام ونصوص، أحمدو ولد آكاه، أطروحة لنيل الدكتوراه في الآداب، جامعة سيدي محمد بن عبدالله، فاس - 2013.
- 165- عمدة الأدباء في معرفة ما يكتب بالآلف والياء، ابن الأنباري، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب، منشور ضمن دراسات عربية وإسلامية مهداة إلى أديب العربية الكبير أبي فهر محمود محمد شاكر بمناسبة بلوغه السبعين، القاهرة - 1982.
- 166- عوائد البحث في التاريخ الموريتاني، محمد المختار ولد السعد، بحث قدم لندوة اتحاد المؤرخين العرب حول إعادة كتابة التاريخ العربي المنعقدة في بغداد من 27 إلى 30 دجنبر 1987م، منشور في مجلة الوسيط العدد 1987/2م الصادرة عن المعهد الموريتاني للبحث العلمي.
- 167- فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي، تحقيق: عبد الودود ولد عبد الله والدكتور أحمد جمال ولد الحسن، منشورات مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، القاهرة - 2010.
- 168- فرائد المعاني في شرح حرز الأمانى ووجه التهاني، العلامة ابن أجروم، تحقيق: الدكتور عبد الرحيم نوبلسي، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في النحو والصرف، جامعة أم القرى في المملكة العربية السعودية، سنة 1997.
- 169- فهرس ابن غازي، تحقيق: محمد الزاهي، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس - 1984.
- 170- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيكات والمسلسلات، عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت - 1982.

- 171- القبائل البيضاوية في الحوض والساحل الموريتاني، بول مارتني، تعريب: محمد محمود ودادي، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.
- 172- قراءة في عينية الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيديا، د. يحيى ولد محمد الهاشمي، مجلة التعليم، المعهد التربوي الموريتاني، انواكشوط، العدد 35، 2004.
- 173- قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، أبو العباس أحمد الفلقشندي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة - 1982.
- 174- قواعد الإملاء (المطالع النصرية للمطابع المصرية في الأصول الخطية)، نصر الهوريني، تحقيق: عبد الوهاب محمود الكحلة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت - 2001.
- 175- الكامل في التاريخ، عز الدين ابن الأثير، دار الكتب العلمية، بيروت - 1987.
- 176- الكتاب (كتاب سيبويه)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة، القاهرة - 1988.
- 177- كتاب الأخبار، هارون ولد الشيخ سيديا، الشركة الإفريقية للطباعة والنشر، انواكشوط - 1998.
- 178- كتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق كل من: الدكتور إحسان عباس والدكتور إبراهيم السعافين والأستاذ بكر عباس، دار صادر، بيروت - 2008.
- 179- كتاب الأنساب، أبو سعد عبد الكريم السمعاني، مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند - 1977.
- 180- كتاب البيان في شرح اللمع لابن جني، عمر بن إبراهيم الكوفي، تحقيق: علاء الدين حموية، دار عمّار، عمّان - 2002.
- 181- كتاب ترشيح العلل في شرح الجمل، القاسم بن الحسين الخوارزمي، تحقيق: عادل محسن العميري، جامعة أم القرى - 1998.
- 182- كتاب التكملة في تاريخ إمارتي البراكنة والترارزة، محمد فال بن بابو العلوي، تحقيق: أحمد ولد الحسن، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات (بيت الحكمة)، تونس - 1986.
- 183- كتاب الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة - 1965.
- 184- كتاب الفهرست، أبو الفرج محمد بن إسحاق النديم، تحقيق: الدكتور أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن - 2009.
- 185- كتاب الموضوعات، الإمام ابن الجوزي، المكتبة السلفية، المدينة المنورة - 1966.
- 186- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله الزمخشري، دار المعرفة، بيروت - 2009.
- 187- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، تحقيق: محمد شرف الدين يالتقاي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - 1386هـ.
- 188- كشف المشكل في النحو، علي بن سليمان الحيدرة اليمني، تحقيق: د. هادي عطية مطر، مطبعة الإرشاد، بغداد - 1984.
- 189- كفاية الغلام في إعراب الكلام، زين الدين شعبان بن محمد القرشي الآثاري، تحقيق: الدكتور زهير زاهد والأستاذ هلال ناجي، مكتبة النهضة العربية، بيروت - 1987.

- 190- الكواكب الدرية على متممة الآجرومية، محمد بن أحمد بن عبد الباري الأهدل، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - 1990.
- 191- اللباب في تهذيب الأنساب، عز الدين ابن الأثير الجزري، مكتبة المثنى، بغداد - 2004.
- 192- اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء العكبري، تحقيق: غازي مختار طليمات، دار الفكر، دمشق - 2001.
- 193- لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر - بيروت، د.ت.
- 194- اللغة بين المعيارية والوصفية، الدكتور تمام حسان، منشورات عالم الكتب، القاهرة - 2001.
- 195- ابن مالك الطائي ناظم علوم العربية، مجلة التراث العربي - مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب - دمشق، العدد 98 - السنة الخامسة والعشرون - حزيران 2005 - جمادى الأولى 1426.
- 196- مجالس ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، طبعة دار المعارف، القاهرة - 1948.
- 197- مجمع الأمثال، أحمد بن محمد الميداني، دار صادر، بيروت - 2002.
- 198- مجمل اللغة، أحمد ابن فارس، تحقيق: زهير عبدالمحسن سلطان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - 1986.
- 199- المحكم في نقط المصاحف، أبو عمرو الداني، تحقيق: د. عزة حسن، طبعة دار الفكر، دمشق - 1997.
- 200- محمد ولد محمد سالم (حياته)، رسالة تخرج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، محمد الأمين ولد داداه، سنة 1985.
- 201- محمد اليدالي.. حياته وآثاره، محمذن ولد باباه، مرقون.
- 202- محمود الطناحي.. ذكرى لن تغيب، إعداد: محمد محمود الطناحي، مطبعة المدني، القاهرة - 1999.
- 203- المدارس النحوية.. أسطورة وواقع، إبراهيم السامرائي، دار الفكر، عمان - 1987.
- 204- المدارس النحوية، خديجة الحديثي، ط3، دار الأمل، الأردن - 2001.
- 205- المدارس النحوية، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة - 1968.
- 206- المدرسة القرآنية في المغرب من الفتح الإسلامي إلى ابن عطية، عبد السلام أحمد الكونني، مكتبة المعارف، الرباط - 1981.
- 207- مذكرات غير شخصية، عبد الله كنون، منشورات جمعية مكتبة عبد الله كنون بطنجة - 2000.
- 208- مراتب النحويين، أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت - 2009.
- 209- المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي، عبد الهادي التازي، نشر الفنك، الطبعة الأولى، 1992.
- 210- المرتجل في شرح الجمل، عبد الله بن أحمد ابن الخشاب، تحقيق: علي حيدر، دمشق - 1972.
- 211- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت - 1986.

- 212- المساعد على تسهيل الفوائد، عبدالله ابن عقيل، تحقيق: محمد كامل بركات، جامعة أم القرى، مكة المكرمة - 2001.
- 213- المسالك والممالك، أبو غبيد البكري، تحقيق: الدكتور جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت - 2003.
- 214- المعارضة في الشعر الموريتاني، د. عبد الله ولد محمد سالم ولد السَّيِّد، منشورات المعهد التربوي الموريتاني، انواكشوط - 1996.
- 215- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، القاهرة - 1988.
- 216- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي، تحقيق: محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة، القاهرة - 1949.
- 217- معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، ياقوت الحموي الرومي، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت - 1993.
- 218- معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت - 1977.
- 219- معجم القراءات، عبداللطيف الخطيب، دار سعد الدين، دمشق - 2002.
- 220- معجم المطبوعات العربية والمعرّبة، يوسف إيلان سركيس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.
- 221- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت - 1993.
- 222- المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس ورفاقه، ط2، 1972.
- 223- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، الإمام الذهبي، تحقيق: الدكتور طيار آلتي قولاج، إسطنبول - 1995.
- 224- المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب، أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط - 1981.
- 225- المغني في النحو، منصور بن فلاح اليماني، تحقيق: عبدالرزاق عبدالرحمن السعدي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد - 1999.
- 226- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، دار الفكر، دمشق - 1964.
- 227- مفاتيح العلوم، أبو عبد الله الخوارزمي، طبعة القاهرة 1930.
- 228- مفاهيم دلالية ولسانية لوصف العربية، عز الدين محمد المجذوب، منشورات جامعة القصيم، بريدة - 1440هـ.
- 229- المقابسات، أبو حيان التوحيدي، تحقيق: حسن السندوبي، دار سعاد الصباح، الكويت - 1992.
- 230- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، إبراهيم بن موسى الشاطبي. تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين وآخرين، الناشر: جامعة أم القرى، 1428 - 2007.
- 231- المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية (الشواهد الكبرى)، بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة - 2010.
- 232- مقالات العلامة محمود الطناحي، دار البشائر الإسلامية - 2002.
- 233- المقتضب، أبو العباس المبرّد، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، منشورات لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة - 1994.

- 234- المقرب، ابن عصفور الإشبيلي، تحقيق أحمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري، ط1، 1972، الناشر غير مذكور.
- 235- الممتع المحيط من كلام أهل شنقيط، إسماعيل ولد محمد يحظيه، دار الفكر، نواكشوط - 2010.
- 236- الممتع في التصريف، ابن عصفور الإشبيلي، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار المعرفة، بيروت - 1987.
- 237- الممنوع من الصرف في اللغة العربية، عبد العزيز علي سفر، عالم الكتب، القاهرة - 2009.
- 238- منال الطالب في شرح طوال الغرائب، مجد الدين ابن الأثير، تحقيق: الدكتور محمود محمد الطنّاحي، منشورات مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي - جامعة أم القرى بمكة المكرمة، 1983.
- 239- من تاريخ النحو، سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت - د.ت.
- 240- الموجز في مراجع التراجم والبلدان والمصنفات وتعريفات العلوم، الدكتور محمود محمد الطنّاحي، مكتبة الخانجي، القاهرة - 1985.
- 241- موريتانيا الثقافة والدولة والمجتمع، الناني ولد الحسين ومحمد الأمين ولد الشيخ عبد الله، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى 1995.
- 242- موريتانيا الحديثة.. أو العرب البيض في إفريقيا السوداء، محمد يوسف مقلد، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت - 1960.
- 243- موريتانيا الماضي المتحرك والمكان المؤثر، أحمد ولد سيد أحمد، الشركة الإفريقية للطباعة والنشر، د.ت. دن.
- 244- موسوعة حياة موريتانيا (الحياة الثقافية)، المختار ولد حامد، الدار العربية للكتاب، تونس - 1990.
- 245- موسوعة مشاهير رجال المغرب، عبد الله كنون، دار الكتاب المصري، القاهرة - 1994.
- 246- النبوغ المغربي في الأدب العربي، عبد الله كنون الحسني، الطبعة الثانية، بيروت - 1960.
- 247- نتائج الفكر في النحو، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت - 1992.
- 248- النحو في النوادي الشنقيطية، محمد ولد بتار، مقال منشور في حوليات جامعة شنقيط العصرية، 2007-2008.
- 249- النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة.
- 250- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، أبو البركات ابن الأنباري، مكتبة المنار، الأردن - 1985.
- 251- النظرية البنائية في النقد الأدبي، صلاح فضل، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1980.
- 252- نعت البدايات، الشيخ ماء العينين ولد الشيخ محمد فاضل، دار الفكر، دون تاريخ للنشر.
- 253- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، دار صادر، بيروت - 1988.
- 254- نور السجدة في حل ألفاظ الآجرومية، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني، تحقيق: الشيخ سيّد بن شلتوت الشافعي، منشورات دار المنهاج، جدّة - 2008.
- 255- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا التنبكتي، منشورات دار الكتاب، طرابلس - 2000.

- 256- هدية العارفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي، مطبعة وكالة المعارف، إستانبول - 1955.
- 257- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة - 2001.
- 258- الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - 2000.
- 259- الوزير المغربي.. العالم الشاعر الناثر الثائر، الدكتور إحسان عباس، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان - 1988.
- 260- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، أحمد بن الأمين الشنقيطي، مطبعة المدني، القاهرة - 1989.
- 261- الوفا بأحوال المصطفى، الإمام ابن الجوزي، تحقيق: محمد زهري النجار، مطبعة الكيلاني، القاهرة - 1976.
- 262- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس أحمد ابن خلكان، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت - 1978.
- 263- يانية الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي الإحيائية (جهود للكشف عن إحياء الأصل ونظرة في بناء القصيد)، د. محمذن ولد أحمد ولد المحبوبي، مجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، السنة الثامنة عشرة - العدد السبعون، يونيو 2010.

الفهرس

1	تصدير
2	الإهداء
3	شكر وتقدير
4	مقدمة
40	القسم الأول - الدراسة
41	الفصل الأول: تاريخ تدوين اللغة ونشأة علم النحو
43	المبحث الأول: بواذر اللحن
47	المبحث الثاني: الاحتجاج
51	المبحث الثالث: نشأة النحو
55	المبحث الرابع: واضع علم النحو
59	المبحث الخامس: نُقْطُ المصاحف
65	المبحث السادس: أوائل النحلة
69	المبحث السابع: مذهب نحاة البصرة
74	المبحث الثامن: مذهب نحاة الكوفة
78	المبحث التاسع: أبرز الفروق بين البصريين والكوفيين
84	المبحث العاشر: تأصيل مصطلحي المذهب والمدرسة
96	المبحث الحادي عشر: السماع والقياس
99	المبحث الثاني عشر: النحو التعليمي

101	الفصل الثاني: دراسة تحليلية لسيرة ابن آجروم مؤلف المقدمة الأجرومية
104	المبحث الأول: الحياة السياسية والعلمية في عصر ابن آجروم
104	المطلب الأول: اهتمام سلاطين الدولة المرينية بالعلم
108	المطلب الثاني: دور المرابطين في النهضة العلمية للمغرب
110	المبحث الثاني: ترجمة الإمام ابن آجروم
111	المطلب الأول: اسمه ونسبه وشهرته
115	المطلب الثاني: مولده ووفاته
117	المطلب الثالث: شيوخه وتلاميذه
122	المطلب الرابع: مكانته وثناء العلماء عليه
123	المطلب الخامس: مؤلفاته
124	المطلب السادس: مذهبه في النحو
129	المبحث الثالث: التعريف بالمقدمة الأجرومية
129	المطلب الأول: التسمية
131	المطلب الثاني: مكانتها ثناء العلماء عليها
132	المطلب الثالث: موضوعاتها ومنهج مؤلفها
134	المطلب الرابع: طبعاتها
136	المطلب الخامس: عناية العلماء بها
137	الفرع الأول: شروحها
150	الفرع الثاني: أعاربيها
153	الفرع الثالث: منظوماتها

الفصل الثالث: حياة الشيخ سيديا الكبير (مصنف كتاب النفحة القيومية) 157

المبحث الأول: الحياة العامة في بلاد شنقيط خلال القرن 13هـ 159

المطلب الأول: لمحة تاريخية عامة 160

المطلب الثاني: التسميات التي عُرفت بها المنطقة 194

المطلب الثالث: الإطار الجغرافي والسكان 205

المطلب الرابع: الأوضاع الاجتماعية والسياسية 211

الفرع الأول: التقسيم الفئوي للمجتمع 212

الفرع الثاني: نظام الإمارات الحسانية 224

المبحث الثاني: الحياة الثقافية في بلاد شنقيط خلال القرن (13)هـ 231

المطلب الأول: نشأة الثقافة الشنقيطية 232

الفرع الأول: المراكز العلمية في المدن الأثرية 235

الفرع الثاني: مؤسسات الثقافة الشنقيطية 242

المطلب الثاني: المدارس التقليدية (المحاضر) 243

الفرع الأول: أصل التسمية 245

الفرع الثاني: المحظرة جامعة بدوية متنقلة 248

الفرع الثالث: النظام التعليمي المحظري 253

الفرع الرابع: مميزات النظام المحظري ومبادئه التربوية 257

الفرع الخامس: مكانة شيخ المحظرة 262

الفرع السادس: العلوم المحظرية 265

الفرع السابع: الرحلة في طلب العلم 266

الفرع الثامن: المحاضر التخصصية 268

الفرع التاسع: التيارات الفكرية في المحاضر 271

المطلب الثالث: الطرق الصوفية	274
الفرع الأول: دخول الطرق الصوفية إلى بلاد شنقيط	275
الفرع الثاني: الجدل الذي أحدثه دخول الطرق الصوفية	275
المطلب الرابع: مصادر الثقافة الشنقيطية	279
الفرع الأول: انتماء الثقافة الشنقيطية إلى المغرب والأندلس	281
الفرع الثاني: إسهامات العلماء الشناقطة ومؤلفاتهم	284
الفرع الثالث: طرافة الثقافة الشنقيطية	287
الفرع الرابع: منزلة علوم اللغة من الثقافة الشنقيطية	289
المبحث الثالث: ترجمة الشيخ سيديا الكبير	298
المطلب الأول: نسبه ومولده	299
المطلب الثاني: مساره العلمي والروحي	306
الفرع الأول: مساره العلمي	307
الفرع الثاني: مساره الروحي	313
الفرع الثالث: عودته من رحلته العلمية الطويلة	316
المطلب الثالث: مكانته الاجتماعية	319
الفرع الأول: تأسيس حاضرة بوتلميت واتخاذها موطنًا معنويًا	319
الفرع الثاني: صورة حية عن المشهد العام لحضرة الشيخ سيديا ...	328
الفرع الثالث: صفات الشيخ سيديا	338
المطلب الرابع: مكانته العلمية	345
الفرع الأول: بعض تلاميذه الذين أجازهم	345
الفرع الثاني: مؤلفاته ورسائله	349

354	المطلب الخامس: مكانته السياسية
357	الفرع الأول: مقاومته الاحتلال الفرنسي لبلاد شنقيط
360	الفرع الثاني: مؤتمر تَنْدَوْجَه التاريخي
364	الفرع الثالث: علاقته بسلاطين المغرب
376	المطلب السادس: وفاته وخليفته (رضي الله عنهما)
390	خاتمة باب الدراسة
391	القسم الثاني - التحقيق
392	الفصل الأول: تحقيق المقدمة الآجرومية
395	المبحث الأول: النسخ المعتمدة في تحقيق الآجرومية
396	المطلب الأول: نسخها الخطية
397	المطلب الثاني: شروحها المعتمدة في تحقيقها
398	الفرع الأول: الشروح المخطوطة
400	الفرع الثاني: الشروح المطبوعة
401	الفرع الثالث: كتاب إعراب ألفاظها
402	المطلب الثالث: مطبوعات الآجرومية
403	المبحث الثاني: نص الآجرومية محققا
440	الفصل الأول: تحقيق كتاب النفحة القيومية بتقرير الآجرومية
444	المبحث الأول: نسخ المخطوط المعتمدة في التحقيق
445	المطلب الأول: وصف نسخ المخطوط
447	المطلب الثاني: تفصيل الحديث عن نسخ المخطوط
448	الفرع الأول: نسخة المخطوط الأولى
450	الفرع الثاني: نسخة المخطوط الثانية

451	الفرع الثالث: نسخة المخطوط الثالثة
452	الفرع الرابع: نسخة المخطوط الرابعة
454	الفرع الخامس: نسخة المخطوط الخامسة
456	الفرع السادس: نماذج مصورة من النسخ الخمس
462	المبحث الثاني: المنهج المتبع في التحقيق
466	المبحث الثالث: نص كتاب "النفحة القيومية" محققا
468	مقدمة
470	تعريف الكلام
476	أقسام الكلام
484	باب الإعراب
486	باب معرفة علامات الإعراب
496	فصل في المَعْرَبَاتِ
500	باب الأَفْعَالِ
518	باب مَرْفُوعَاتِ الْأَسْمَاءِ
519	باب الْفَاعِلِ
521	باب الْمَفْعُولِ الَّذِي لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ
523	باب الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ
526	باب الْعَوَامِلِ الدَّاخِلَةِ عَلَى الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ
537	باب النَّعْتِ وَيُسَمَّى الْوَصْفِ وَالصِّفَةِ
545	باب الْعَطْفِ
550	باب التَّوَكِيدِ
553	باب الْبَدَلِ

558	بَابُ مَنْصُوبَاتِ الْأَسْمَاءِ
559	بَابُ الْمَفْعُولِ بِهِ
566	بَابُ الْمَصْنَدِ
570	بَابُ ظَرْفِ الزَّمَانِ وَظَرْفِ الْمَكَانِ
573	بَابُ الْحَالِ
579	بَابُ التَّمْيِيزِ
583	بَابُ الْمُسْتَثْنَى
591	بَابُ "لَا"
598	بَابُ الْمَنَادَى
603	بَابُ الْمَفْعُولِ مِنْ أَجْلِهِ
605	بَابُ الْمَفْعُولِ مَعَهُ
608	بَابُ مَخْفُوضَاتِ الْأَسْمَاءِ
632	خاتمة المؤلف
633	الخاتمة
643	قائمة المصادر والمراجع
657	الفهرس